حمـدى الكنيسى

الســاعة ٢,٠٥ بـدأ الطوفان

لماذا . . . « الطوفان » ؟ ؟

كثيراً ما واجهت مشكلة اختيار عناوين القصص التى أكتبها ، وهى على أى حال مشكلة تقليدية يواجهها كل أديب وكاتب .

لكننى لم أتصور أن اختيار عنوان لكتاب عسكرى سياسى سيمثل بالنسبة لى مشكلة أكبر ! وبخاصة أن كتابى الأول عن حرب أكتوبر لم يحمل معه هذه المشكلة إذ فرض شكله ومضمونه العنوان الذى اخترته له بغير ما جهد وهو « يوميات مذيع فى جبهة القتال » .

أما هذا الكتاب فقد كانت حكاية عنوانه – معى – حكاية ! ! . لقد أجهدت نفسى فى البحث عن « الصفة » التى تلخص محصلة ما دار فى جبهات القتال العربية الإسرائيلية منذ أشارت عقارب الزمن التاريخى إلى الدقيقة الخامسة بعد الثانية من ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ . . وقد ضاعف من حجم المشكلة أننى لم أكن بصدد « ابتكار » عنوان بقدر ما كنت مصمماً على « التقاط » عنوان من عشرات ومئات « الصفات » التى ترددت فى التعليقات والدراسات التى صدرت عن هذه الحرب . والأكثر من ذلك أننى – التزاماً بالموضوعية الكاملة التى اخترتها منهجاً لا أحيد عنه فى كتاباتى – قررت أن تكون « الصفة » المنشودة صادرة عن شخصية غير عربية تفادياً لأى شبهة تحيز أو مبالغة . بل إننى فضلت أن تكون صادرة عن شخصية إسرائيلية .

١ – هل أختار كلمة « الزلزال » التى رددها واحد من أخطر المعلقين الإسرائيليين وهو (زئيف شيف) فى أكثر من مقال له (كمقاله فى صحيفة هآرتس الصادرة فى ١٩٧٥/٨/١) والتى يتساءل فيها : « هل تعود القيادة الإسرائيلية العسكرية إلى أسلوبها الذى كانت تتبعه قبل أن يفاجئها « الزلزال » فى أكتوبر ٧٣ ؟ » . . لقد ردد الرجل الكلمة أكثر من مرة ، بل إنه اختارها عنواناً لكتابه الذى انتهت إحدى مطابع إسرائيل من طباعته منذ شهور قليلة . . ثم إن عدداً غير قليل من المعلقين الإسرائيليين استخدموا الكلمة نفسها « زلزال » فى وصف ما جرى – بالنسبة لجيشهم ودولتهم – فى حرب أكتوبر . بل إن كاتباً فرنسياً معروفاً هو « أريك رولو » جعلها عنواناً لسلسلة مقالاته وتحقيقاته التى نشرها فى صحيفة « لوموند » حول (ما أحدثته حرب أكتوبر من زلزال عسكرى وسياسى واقتصادى

واجتماعى ونفسى فى إسرائيل) .

٢ – أم أختار كلمة « **الكارثة** » التى كان أول من نطق بها صقر المؤسسة العسكرية الإسرائيلية وإله حربهم السابق الجنرال موشيه ديان ، حين وقف منهاراً أمام رئيسة وزرائهم جولدا مائير وقال لها بحروف مرتبكة متآكلة : « إننا نواجه كارثة كبرى . . لقد أخطأت . . لقد أخطأت يا جولدا ! » .

والمثير أن السيدة جولدا مائير نفسها رددت الكلمة ذاتها « الكارثة » بعد ذلك حين سمعها الإسرائيليون تقول لهم فى إذاعتهم العبرية إن حرب أكتوبر . . كانت كارثة بالنسبة لنـــا . »

بل إن الكلمة فرضت نفسها على الآخرين . . ومنهم جورج إليزلى رئيس المنظمة اليهودية فى استراسبورج . الذى قال « لقد أسفرت حرب أكتوبر عن « كارثة » بالنسبة لإسرائيل » . كما أن الجنرال حاييم بارليف وجه نداء قال فيه (أيتها الأمهات الثكالى . . إنها « كارثة » حلت بنا . ولكن يعزينا أنكن مواطنات صالحات قـدمتن فلذات الأكباد لمعركة بقائنا . . بقاء إسرائيل) .

٣ – ولكن . . هذا عنوان آخر يحاول إغراء قلمى ، « **نهاية العالم** » ولعل ما يضيف إلى قوة إغرائه أنه صدر عن مجموعات من الجنود الإسرائيليين الذين وصفوهم بأنهم « لا يقهرون . . وعلى كل شىء قادرون . . » لقد قال هؤلاء الجنود فى تصويرهم لما حدث لهم فى حرب أكتوبر « أنهم تصوروا ما يجرى وكأنه « نهاية العالم » بالنسبة لهم .

وقد سجل ذلك بقلمه الكاتب الشهير « جان كلود جيبوه » فى كتابه « الأيام المؤلمة فى إسرائيل » .

٤ – أم ترانى أختار كلمة « **الصاعقة** » التى رددها بعض الكتاب والضباط الإسرائيليين – وكان آخرهم موشيه دور فى مقاله بصحيفة معاريف والذى قال فيه « إن الحرب نزلت على إسرائيل كصاعقة البرق . . فصعقت كل شىء ! ! » .

٥ – ويطل على عنوان آخر له مدلوله الخطير : « **عصر ما بعد الصهيونية** » وقد جاءت هذه الكلمات على لسان الأستاذ الإسرائيلى « إلعازار » « المحاضر بجامعة بار – إيلان والأستاذ فى جامعة تمبل فى بنسلفانيا » فقال فى إحدى دراساته : « إن حرب أكتوبر قد أثبتت خطأ الحلم الصهيونى بأن دولة إسرائيل ستؤدى إلى تمتع الشعب اليهودى بالحياة السوية . لقد ثبت أنه حلم خاطئ من أساسه . وأصبح من المحتمل أن حرب أكتوبر قد

نقلت اليهود إلى « عصر ما بعد الصهيونية » .

٦ – أخيراً . . وليس آخراً . . ها هو ذا عنوان يحمل إيقاع حروفه معنى تدفق الأحداث وردود الفعل الضخمة التى بدأت مع السادس من أكتوبر من عام ١٩٧٣ . ثم إن صاحبه هو المتحدث العسكرى الإسرائيلى ومدير مخابراتهم السابق ، ومندوب إسرائيل فى الأمم المتحدة ، ثم إنه أكبر معلقيهم العسكريين .

والأهم من ذلك أنه ارتبط بحرب أكتوبر لأن كتاباته وتعليقاته كانت تحظى باهتمام وتقدير خاصين ، إلى أن اهتزت صورته هو الآخر حين أوقعته نتائج المعارك فى تناقضات مخجلة كادت تقضى على سمعته الكبيرة . إنه الجنرال حاييم هيرتسوج . والكلمة التى صدرت عنه ورشحت نفسها عنواناً لكتابى هذا هى « الطوفان » . وقد وردت فى مقال له بصحيفة هآرتس عدد ١٣/١١/١٩٧٣ . . حين قال « إننا نعيش بعد الطوفان . ولا خيار لنا إلا أن نكيف أنفسنا مع الواقع الجديد الصعب وغير المريح . واقع ضاعت معه كل الإنجازات التى جمعناها طوال أعوام وخصوصاً بعد حرب الأيام الستة فى ١٩٦٧ .

لقد أصيبت إسرائيل بضربة قوية ، وتحطمت مسلمات ، وتزعزعت أسس كانت حتى وقت قريب جداً بمثابة البديهيات ! ! « . . . وإذا كان السيد حاييم هيرتسوج – بكل رصيده الفكرى والعسكرى والسياسى قد اعترف بأن حرب أكتوبر كانت « طوفاناً » فإننا يجب أن نتوقف – باهتمام – أمام هذه الكلمة خاصة وأن وزير الخارجية الإسرائيلى – وقتها – أبا إيبان – قد ردد المعنى نفسه حين قال فى ١١/١١/٧٣ : « إن إسرائيل واجهت فى حرب أكتوبر تهديداً حقيقياً وخطيراً . حتى إن الأمر تطلب قراراً على أعلى مستوى فى الولايات المتحدة الأمريكية لكى لا تتعرض إسرائيل « للغرق » .

. . . كذلك فقد ورد الوصف نفسه على لسان مؤلفى كتاب « المحدال » الإسرائيليين حين قالوا بالحرف الواحد . « كانت الدبابات الإسرائيلية تحاول القيام بمهمة كبح « الطوفان المصرى » !

* * *

. . . هكذا تكاثرت أمامى « العناوين » التى كان على أن أختار واحداً منها ، وهى جميعها – كما هو واضح – تغرى بالاختيار ، لأنها تعبير حى عما أحدثته حرب أكتوبر فى إسرائيل .

لكننى انحزت تماماً لكلمة « الطوفان » عنواناً لهذا الكتاب ربما لحجم ومكانة من

أطلقها سواء كان الجنرال حاييم هيرتسوج برغم حرصه ودهائه . أو آبا إيبان برغم دقته الدبلوماسية فى اختيار الكلمات التى ينطقها . أو مؤلفى كتاب المحدال الإسرائيليين السبعة الذين قرنوا هذهالصفة « الطوفانية » بقصص ووقائع من قلب ميادين القتال . وربما لأنه – وقد مر أكثر من ثلاثة أعوام على اندلاع الحرب – تتوالى ردود الفعل والتقلصات المتعسرة فى إسرائيل – مما يجعل هذه الكلمة « الطوفان » خير تعبير عما تعرضت له جيشاً واقتصاداً بل وكياناً . . منذ تدفقت أولى موجات العبور المصرى والاقتحام السورى فى الساعة ١٤٠٥ من ظهر السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

* ترى ألم يكن اختيار العنوان مشكلة حقيقية كما اتضح من سرد بعض العناوين التى تزاحمت أمامى ؟
* ثم . . ألم يكن « الطوفان » هو العنوان الأنسب والأقوى تعبيراً ومضموناً ؟ .
* أرجو أن أكون قد وفقت فى الاختيار . . مع رجائى بأن أوفق إلى عرض ملامح هذا الطوفان . . وأبرز ما دار معه وفيه وبعده !

حمدى الكنيسى

الفصل الأوّل

تمهيد

إسرائيل دولة كبرى ثم . . إسرائيل دولة صغرى

إسرائيل . . دولة كبرى ! !

لكى نتبين حجم الطوفان العربى الذى اجتاح إسرائيل فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ يتحتم أن نلقى نظرة مدققة على الواقع الإسرائيلى قبل « الطوفان » ، وبالتحديد بعد يونية ٦٧. هذا الواقع الذى يكفى جداً أن تلخصه تلك الجملة التى قالها أحد جنرالاتهم – منتشياً بالإحساس بالقوة – « إن إسرائيل الآن واحدة من الدول الكبرى » . وقد يكفى أيضاً أن نتذكر تصريح الجنرال شارون حين قال : « إن إسرائيل مستعدة لمحاربة حلف وارسو . . وهى قادرة على توجيه ضرباتها القاسية حتى القطب الشمالى ! ! » أقول . . قد يكفى هذا التصريح أو ذاك . . ولكننا ما دمنا بصدد دراسة علمية وثائقية . . فإننا – حتى لا يقال إن تلك الكلمات صدرت عن شخصين لا يمثلان إسرائيل – سوف نتوقف بشكل تفصيلى أمام أقوال وتصريحات وتصرفات مختلف عناصر القيادة الإسرائيلية والأفراد العاديين أيضاً. لنرى عدة صور توضح كيف كانوا ينظرون إلى أنفسهم وكيف كانوا ينظرون إلى العرب قبل السادس من أكتوبر ١٩٧٣ .

الصورة الأولى : لافتة فوق نقطة حصينة :

« كان ذلك فى أحد الأيام الأخيرة من عام ١٩٦٨ ، والمكان هو موقع رأس العش فى شرق القناة والذى تشبثت به القوات المصرية ولم تنسحب منه فى يونية ٦٧ بل قامت بصد وتدمير جميع الهجمات الإسرائيلية عليه والتى استمرت منذ ذلك التاريخ حتى وقف حرب الاستنزاف » . . وفى ذلك اليوم تحرك قائد الموقع المصرى فى عملية استطلاع للمواقع الإسرائيلية القريبة منه . . وحين وصل إلى نقطة (التينة) الحصينة . . شدت نظره لافتة ضخمة وضعها الإسرائيليون فى مكان بارز من الحصن . . ، وبدأ الرجل فى قراءتها وهو يشعر أن سكيناً حادة تمزق صدره . كانت اللافتة مكتوبة بثلاث لغات : « العربية » . . والإنجليزية والعبرية . . » وقد تضمنت الكلمات التالية :

« سنة ١٩٤٨ ——— أخذنا فلسطين .

سنة ١٩٥٦ ـــــ أخذنا شرم الشيخ .

سنة ١٩٦٧ ـــــ أخذنا سينـاء .

سنة ١٩٧٥ ـــــ سنأخذ القاهرة ! ! ! ».

نسى الرجل نفسه لحظات . . وأخذ يعيد قراءة اللافتة الإسرائيلية وكأنه قد استمرأ تعذيب نفسه . . ، وفى أثناء ذلك نادى عليه جندى إسرائيلى – ولم يكن هو يضع علامات رتبته فوق كتفيه والتى تبين أنه قائد . وقال له الجندى .

« مصرى . . يا مصرى . . أنا كنت فى العريش إمبارح وكنت نايم مع أختك هناك ! ! » .

. . وغلى الدم فى رأس الضابط المصرى . . وأحس بأن صدره يتمزق أكثر . . لكنه لم يرد عليه . . ودعا الله أن يأتى اليوم الذى يكون فيه الرد العملى البليغ . (بل إنه اقترح بعد ذلك على القائد العام حين بدأت حرب الاستنزاف أن يقوم باحتلال هذه النقطة أثناء أى اشتباك ، ولم يتصدق له بذلك .)

* **ملحوظة بالغة الأهمية** : فى ٦ أكتوبر ٧٣ كان هذا الضابط الذى أصبح عقيداً قائداً للواء مشاة سمى باسم « لواء النصر » ، وقد وجه هذا اللواء ضربات عنيفة للقوات الإسرائيلية ، واستولى على أكثر من نقطة قوية . وكانت شجاعة قائده (العقيد عادل يسرى) مثار الإعجاب ، حتى إنه سمى « روميل العربى » .

الصورة الثانية : كل شىء . . على ما يرام !

الزمان : يونية عام ١٩٧٣ . **المناسبة** : انعقاد المؤتمر الاقتصادى فى إسرائيل . الجنرال موشيه ديان يقف أمام أعضاء المؤتمر ، ليلقى بخطبة جديدة من سلسلة خطبه العديدة . ويقول وابتسامة الثقة ترتسم على شفتيه :

« طالما أن لنا جنوداً إسرائيليين ، وأن قناة السويس هى حدودنا العسكرية وأن العرب هم أعداؤنا . . فإن كل شىء على ما يرام » .

هكذا تحدث الجنرال ديان الذى استقبل المؤتمرون كلماته بالتصفيق والهتاف . . وربما ابتسم الكثيرون منهم . . وهو يقول : « طالما أن العرب هم أعداؤنا . . فإن كل شىء على ما يرام » .

الصورة الثالثة : « ونحن لا نبالى » :

مجموعة من الشباب الإسرائيلى . . يمسك أحدهم براديو ترانزستور . . انطلقت منه أغنية مشهورة فى إسرائيل – وأخذ الجميع . . يرددون مع المغنى :

العالم كله ضدنا . .
لا يهمنا ! !
العالم كله ضدنا . .
ونحن لا نبالى
العالم كله ضدنا . .
لا يهمنا ! !

الصورة الرابعة : « لا نخجل من شىء ! » .

* **الزمان** : ١٠ أبريل عام ١٩٧٣ . **المكان** : قلب بيروت .

* تسلل عدد من جنود الكوماندوز الإسرائيليين الذين أحسن تدريبهم إلى قلب العاصمة اللبنانية (العربية) وقتلوا ثلاثة من القادة الفلسطينيين داخل بيوتهم إذ أمطروهم بوابل من رصاص بنادقهم الرشاشة الجديدة من طراز « جليل » المصنوع فى إسرائيل . (إنه عمل رمزى) .

حدث ذلك . . ولم تعبأ إسرائيل بردود الفعل العربية والعالمية . لهذا العمل الذى يتسم بالغدر والتبجح . حتى أن السيدة جولدا مائير رئيسة الوزراء وقفت أمام عدسات المصورين وقد ملأت الابتسامة السعيدة تجاعيد وجهها . . وهى تقول « إنها عملية رائعة . . إننا – فى إسرائيل – يجب ألا نخجل من شىء ! ! .

وتنتقل الكاميرات إلى بقية القادة والجنرالات . . وتتسم كل التصريحات باحتقار العرب . والاستهزاء بالرأى العام العالمى . بل إن رئيس الأركان – الجنرال دافيد اليعازار قال وهو يشير بسبابته : « لسوف يأتى اليوم الذى نفعل فيه الشىء نفسه فى العاصمة الليبية طرابلس » .

الصورة الخامسة : « من الخرطوم إلى . . بغداد . . إلى الجزائر . . والعكس ! ! »

الزمان : ٢٠ يولية ١٩٧٣ **المكان :** صفحات جريدة معاريف

* تتصدر الصفحة الأولى صورة القائد الإسرائيلى المتفخ الأوداج إريل شارون . . بمناسبة إدلائه بتصريح جديد . . قال فيه بالحرف الواحد : إن إسرائيل الآن قوة عسكرية عظمى ، فأى دولة أوربية أضعف منها عسكريًّا .

« إننى أرى أنه ليس هناك أى هدف عسكرى أو مدنى من الخرطوم إلى بغداد والجزائر – بما فى ذلك الأراضى الليبية – إلا ويستطيع الجيش الإسرائيلى غزوه فى خلال أسبوع واحد » .

الصورة السادسة : « لو أطلقوا قذيفة واحدة ! ! »

* **الزمان :** أحد أيام شهر فبراير عام ١٩٧٣ **المكان :** مرتفعات الجولان .

* مجموعة من الشباب الإسرائيلى يقومون بزيارة للجولان ، يقف بينهم الضباط اليهود . . ويقولون لهم ضاحكين :

« انظروا إلى العرب . . إنهم إذا أطلقوا قذيفة مدفع واحد . . فإننا سنكون فى دمشق فى اليوم التالى مباشرة » .

. . وتنطلق الضحكات من الجميع !

الصورة السابعة : « أيها الجبناء . . ماذا تنتظرون ! ! »

* **الزمان :** مارس ١٩٧٣ **المكان :** الساتر الرملى على الضفة الشرقية لقناة السويس .

* مجموعة من الجنود والضباط الإسرائيليين . . تركوا موقعهم ووقفوا فوق الساتر بجوار إحدى نقاط الملاحظة . . يأكلون البرتقال ويلقون بالقشر فى مياه القناة الراكدة ، ويصيحون على بعض الجنود المصريين فى موقعهم بالضفة الغربية . . ويحركون أصابعهم نحوهم بشكل فاضح ومستفز . ولا يكتفى أحدهم بذلك بل يهبط من فوق الساتر . ويفك أزرار بنطلونه . . لكى يتبول فى القناة !. . ويظهر ضابط مصرى . . وفى يده ميكرفون صغير ويوجه كلامه للجنود الإسرائيليين ، متحدثاً عن ضرورة وقف الاستفزاز . . وعن الدوافع الإنسانية

والأخلاقية التى ينبغى أن تدفعهم إلى مناقشة قادتهم فى سياستهم العدوانية التوسعية . ثم يحدثهم عن جماعة الفهود السود فى القدس وكيف تحمل راية العصيان على المؤسسة العسكرية – وللسياسة العنصرية والتوسعية التى تتحكم فى إسرائيل .

*ولم يكد الضابط المصرى ينتهى من كلماته ، حتى تدافع الجنود الإسرائيليون على ميكرفون أمسك به أحدهم ، وأخذوا يتسابقون إلى إلقاء النكات القاسية والجارحة على الجنود المصريين ، كما تحدثوا عما أسموه بالتخلف فى مصر والجبن الأبدى الذى يطبع الجيوش العربية فى مواجهة جيش الدفاع الأسطورى . . ولم يكتف أحدهم بذلك بل إنه أمسك بالميكرفون وأخذ يصيح فيه موجهاً كلامه للجنود المصريين الذين ظلوا فى أماكنهم على الضفة الغربية يسمعون أو يتجاهلون ما يدور فى تلك الساعة .

* **قال لهم الجندى الإسرائيلى :**

« ماذا تنتظرون كى تعبروا ؟ هذه ليست بحرب ولا بسلام أيضاً . إنه حائط أيها الجبناء ! ! » .

* فى تلك اللحظة بالذات قبض الجندى عطية على رشاشه وكاد يفتح نيرانه عليهم لولا أن أمسك به زميله « صابر » وأخذ يهدئ من ثورته . . وكانت الدموع تطفر من عينى « صابر » جندى المؤهلات الذى مضى على وجوده فى هذا الموقع ثلاث سنوات كاملة .

ودعا الضابط المصرى جنوده إلى النزول إلى خنادقهم . . وظل هو مكانه . . لا تبتعد نظراته عن مياه القناة الراكدة . . ولم تهدأ ضحكات الجنود الإسرائيليين فوق الساتر الشاهق .

الصورة الثامنة : « أنا بمفردى . . أوقفهم ! ! »

فى أحد أيام عام ١٩٧٠ . . سأل صحفى جنرالاً إسرائيلياً (عمل كرئيس للأركان قبل ذلك) عما قد يحدث لو حاول المصريون عبور القناة ، فقهقه الجنرال . . وأخذ يدق بيده على فخذيه . . ثم رد على الصحفى قائلا : « إننى – بمفردى – وبمدفع هاون عيار ٨١ – أستطيع أن أوقف عبورهم » .

الصورة التاسعة : « السادات . . لم تواته الشجاعة ! ! »

١ – فى ١٩ سبتمبر ١٩٧٣ وجهت جولدا مائير رسالة إلى يهود الشتات بمناسبة العيد الجديد . قالت فيها :

« إن هناك سببين رئيسيين للهدوء الذى يسود خطوط وقف القتال هما قوة الردع لدى الجيش الإسرائيلى ، والقوة الداخلية فى إسرائيل » .

٢ – فى ٣ سبتمبر من العام نفسه وعند افتتاح مستعمرة (هامبوهاد) قالت رئيسة الوزراء الإسرائيلية :

« إن السادات لم تواته الشجاعة لكى يعترف بأن عليه أن يقيم السلام مع إسرائيل لأنه عاجز عن هزيمتها فى ميدان القتال » .

الصورة العاشرة : « نحن . . الأقوى »

الزمان : ٩ أغسطس ١٩٧٣ **المكان** : الأكاديمية العسكرية الإسرائيلية

المناسبة : تخريج دفعة جديدة من الأكاديمية .

المتحدث : الجنرال موشيه ديان .

التصريح : « إن ضعف العرب يأتى نتيجة عوامل أعتقد أنها لن تتغير فى وقت قريب . **وهذه العوامل هى** : المستوى المنخفض لتعليم جنودهم وقدرتهم التكنولوجية ، والانقسامات السائدة فى العالم العربى – أما شبابنا الإسرائيلى فعلى العكس من ذلك فإن صفاتهم عالية سواء من الناحية الثقافية أو التكنولوجية » أو فيما يتعلق بالمهارة والروح القتالية . وفضلا عن ذلك فإن خطوطنا العسكرية قد أصبحت ملائمة لنا تماماً . وقد أعدت جيداً للدفاع والرقابة الإليكترونية . لهذه الأسباب أقول إن الحرب مستحيلة الوقوع

الصورة الحادية عشرة : على مصر أن تستعير طيارين ألماناً :

بعد حرب يونية ١٩٦٧ . . أجرت صحيفة ألمانية غربية مع الجنرال موشيه ديان حديثاً طويلا . . كان فيه ديان – كعادته – فى مئات الأحاديث التى ظل يدلى بها منذ كانت تلك الحرب – يتحدث فى ثقة بغير حدود ... وقد سأله الصحفى الألمانى فى ذلك اليوم

من عام ١٩٦٨ عما **إذا كان الجيش المصرى يستطيع هزيمة إسرائيل فى أية حرب قادمة ؟** .

فارتسمت ابتسامة عريضة على وجه ديان وقال باقتناع كامل :

« ليس لدى المصريين أدنى فرصة . . **إنهم فقط يستطيعون أن يحاربوا أفضل إذا ما حصلوا على طيارين ألمان ! !** » .

الصورة الثانية عشرة : استعراض القوة فى آخر ذكريات النصر ! !

الزمان : **١٥ مايو ١٩٧٣** .

المناسبة : احتفال إسرائيل بذكرى قيامها وذكرى انتصارها فى حرب يونية من عام ١٩٦٧ .

المنظر العام : أعضاء الكنيسيت والحكومة والجنرالات وجماهير الشعب الإسرائيلى يصطفون فى زهو ونشوة لمشاهدة العرض العسكرى لجيش الدفاع الإسرائيلى الذى لا يقهر .

يبدأ العرض الكبير . . فتظهر طائرات الفانتوم القاذفة المقاتلة ، وتظهر طائرات السكاى هوك لتحلق هى الأخرى فى السماء وقد قاد إحداها الجنرال مورد خاى هود قبل تقاعده ثم تتوالى فى ساحة العرض المدرعات التى تحمل شعار « الفخر للمدرعات » ، ثم منصات الصواريخ وطوابير المشاة الميكانيكية فى عرض أنفق عليه أكثر من تسعة ملايين من الدولارات ، وتم إخراجه بطريقة معينة لتتناقله وكالات الأنباء العالمية ، وكاميرات التليفزيون والسينما ، بحيث يعطى انطباعاً محدداً عن عظمة « جيش إسرائيل القوى » والدولة الفتية القوية التى قامت وسط صحراء التخلف العربى

* * *

* تلك كانت أمثلة محدودة جداً . . من عشرات ومئات الصور والمواقف والتصريحات التى عزفتها الفرقة السيمفونية للدعاية الإسرائيلية – منذ عام ١٩٦٧ ، وبعد ذلك الانتصار الذى حققه جيش الدفاع – فى ظروف غير طبيعية – على القوات العربية – عشرات ومئات الصور التى تقول بمنتهى الوضوح والثقة : إن إسرائيل بجيشها الذى لا يقهر ، وجبهتها الداخلية القوية . واقتصادها المزدهر لم تعد أقل من أى دولة كبرى ! !

ولكن حيث إن هذه « الصفة الضخمة » أكبر من أن أدلل عليها باثنتى عشرة صورة فقط ، فإننى أتوقف الآن أمام أمثلة محدودة جداً **لما قاله الآخرون عنها** حتى يتضح الجانب الثانى من جوانب الصورة – **وكما يراه العالم نفسه** .

لغة الجيش الذى لا يقهر :

فى أعقاب يونية ١٩٦٧ أرسل رئيس تحرير مجلة دير شبيجل الألمانية الغربية خطاباً إلى السيدة جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل قال فيه بكل الانبهار :

« إننى يا سيدتى أشعر بالأسف الشديد لأننى أصدرت ملحق المجلة الخاص بالانتصار الإسرائيلى باللغة الألمانية .

إننى سأفرض على المحررين فى دور الصحف التى أملكها أن يتعلموا العبرية . . لغة جيش الدفاع الذى لا يقهر ! ! » .

ميدالية ديان :

فى ذلك العام أيضاً . . وبكل الحماس الهستيرى أصدر وزير المالية الهولندى أمراً إلى دار سك النقود ، بأن تبادر على الفور بسك ميداليات ذهبية وفضية وبرونزية تكون صورة موشى ديان (بالرباط على عينه اليسرى) فوق وجهها الأول ، وتكون النجمة السداسية . . نجمة صهيون وجهها الثانى ! !

ولقد صدرت هذه الميداليات بالفعل ، وسرعان ما تحولت إلى « موضة » انتقلت من هولندا إلى أوربا الغربية . .

تعلموا . . من جيش الدفاع . . أيها السادة !

فى آخر سلسلة من التحقيقات والريبورتاجات التى نشرت فى صحيفة الديلى تليجراف عن جيش إسرائيل الأسطورى – قال المحرر العسكرى : « إن حرب الأيام الستة . . يجب أن تكون البوصلة الهادية لكل العسكريين الغربيين وغير الغربيين . . وكل المسئولين فى الأكاديميات العسكرية فى العالم .

. . وإن صورة موشى ديان يجب أن توضع جنباً إلى جنب مع صور الأبطال العسكريين عبر التاريخ » .

لن تقع أية حرب !

فى سبتمبر من عام ١٩٧٣ قال الخبير العالمى « هولبروك » فى مجلة السياسة الخارجية الأمريكية التى يعمل أيضاً رئيساً لتحريرها :

« إن إسرائيل لم يسبق لها طوال تاريخها المضطرب أن كانت آمنة بمثل هذا القدر ، ولا متفوقة من وجهة النظر العسكرية بمثل هذا التفوق – وبعد انقضاء ست سنوات على حرب الأيام الستة ، فإن نشوب حرب صريحة بين إسرائيل وجيرانها العرب يبدو أقل احتمالا مما كانت عليه فى أى وقت من الأوقات » .

* **ملحوظة قصيرة جداً** : (اندلعت شرارة الحرب . . وتعرضت إسرائيل للطوفان العربى ، بعد أقل من شهر من نشر مقال الخبير الأمريكى الكبير هولبروك) .

أفضل طيارين فى العالم :

فى شهر أغسطس ١٩٧٣ (قبل دراسة رئيس تحرير السياسة الخارجية الأمريكية بشهر . . وقبل اندلاع شرارة الحرب بأقل من شهرين) صدر التحليل الأخير للميزان العسكرى عام ١٩٧٣ – ١٩٧٤ **عن المعهد الدولى للدراسات الإستراتيجية بلندن** .وقد جاء فى هذا التحليل أن التفوق الجوى الإسرائيلى قد تدعم بدرجة كبيرة . . حيث وصل مجموع ما لدى إسرائيل الآن ٤٨٨ مقاتلة قاذفة يتفوق أغلبها على طائرات الميج ، وإنه من دواعى فخر إسرائيل أن لديها **أفضل الطيارين فى العالم ! !**

العلم الإسرائيلى فوق السد العالى :

فى روايته « مياه أسوان » تصور الكاتب الألمانى « ميكائيل حايم » أن إسرائيل قادرة على الوصول إلى السد العالى بفضل جنودها الجدد من العلماء . فتخيل أن المصريين يستيقظون ذات يوم ليجدوا علم إسرائيل فوق السد العالى ، فقد وصلت إسرائيل إلى هذا المكان أيضاً ، وأصبحت أعلامها تنتشر فوق عوامات من المطاط تقف أمامه ، ثم بدأ قادة إسرائيل يعقدون المؤتمرات الصحفية التى يقولون فيها إن مصر فى جيوبهم ، وإنهم سوف ينسفون السد العالى فتغرق مصر بمن فيها من المصريين . وبالفعل – كما تخيل الكاتب – زحفت مياه بحيرة ناصر إلى البحر الأبيض المتوسط ، وتهدم الهرم الأكبر ، وغرقت الأشجار

والبيوت وطفت جثث المصريين على سطح مياه الفيضان . وعند ما يتم اكتشاف المادة التى ألقاها العالم اليهودى وأدت إلى هذا الفيضان ، يكون الدمار قد عم كل أرجاء الدلتا ووادى النيل ، وأصبحت مصر – بلا مصريين – لقمة سائغة فى يد إسرائيل المنتصرة التى تستطيع الآن أن تحقق أحلامها فى بناء الدولة التى **تمتد من النيل إلى الفرات** .

لا أمل . . لا حل . . أو هى القنبلة الذرية ! !

فى أبريل ١٩٧٣ وصل كبير الخبراء السوفييت الجنرال « لاشنكوف » إلى مصر لدراسة مطالبها من بعض الأسلحة ، وكان برنامج زيارته يتضمن جولة فى المواقع التى اتخذتها القوات المصرية غرب القناة ، وحينما وصل الجنرال الكبير إلى الإسماعيلية ، استقبله اللواء سعد مأمون قائد الجيش المصرى الثانى . ودار بينهما هذا الحوار البالغ الأهمية :

– الجنرال لاشنكوف : كيف ترى الكفاءة القتالية لقواتك !

– اللواء سعد مأمون : ممتازة . . ممتازة للغاية .

– الجنرال لاشنكوف : وما تقديرك للكفاءة الفنية لأسلحتكم ؟

– اللواء سعد مأمون : مائة فى المائة .

* حينئذ نظر الجنرال السوفييتى إلى المصاطب الترابية المرتفعة – التى أنشئت على الضفة الغربية بعد خروج الخبراء السوفييت – وسأل عن الهدف من إقامتها ، وشرح له سعد مأمون فكرتها بصفة عامة دون أن يتناول التفاصيل ثم وجه الجنرال لاشنكوف بصره إلى الضفة الشرقية حيث ترتفع السواتر الترابية للعدو . . وسأل قائد الجيش الثانى :

– ما تصورك ؟ كيف يمكن أن تعبر قواتك مع وجود هذا الساتر المرتفع إلى ٢٠ متراً ؟

* ولسبب ما لم يشر اللواء سعد مأمون إلى الابتكار المصرى المتمثل فى استخدام مدافع المياه (التى أثبتت نجاحها المذهل بعد ذلك وحين بدأت الحرب) – لكنه قال له : « سنفجر هذا الساتر بالديناميت وسوف تعبر دباباتنا فى ثلاث ساعات .

فقال الجنرال السوفييتى الكبير :

« إنكم تفكرون فى الحرب بأساليب عام ١٩١٤ قبل أن تخترع الدبابات . .

هل تتصور يا جنرال أن المقاتل الفرد فى الحرب الحديثة يستطيع أن يتصدى لدبابة ؟ إن دبابات إسرائيل أمامكم . . فكيف يمكن مقاومتها بغير الدبابات ؟

وتساءل اللواء سعد مأمون – بمنتهى الخبث :

– وماذا نستطيع أن نفعل ؟ هل لديكم فى الاتحاد السوفييتى شىء نقاوم به هذه السواتر الترابية الشاهقة ؟ لقد وصلتم إلى القمر . . ولا بد أن لديكم شيئاً جديداً يمكن أن يفيدنا ؟

– فرد الجنرال لاشنكوف قائلا : آسف . . آسف جداً . . إننا لم نواجه مثل هذه الموانع من قبل ! ! » .

** هكذا كان تصور الجنرال السوفييتى الكبير لاستحالة أى تحرك عسكرى من قبل مصر . . وقد وصل جنرال سوفييتى آخر إلى الحد نفسه من اليأس حين قال للمشير أحمد إسماعيل على قبل الحرب بشهور – وهو يشير أيضاً إلى الساتر الترابى : « إنكم تحتاجون إلى قنبلة ذرية . . لكى تتغلبوا على هذه المشكلة ! ! » . .

كيف كان ينظر العرب إلى إسرائيل . . وإلى أنفسهم ؟ .

* لن أستطرد كثيراً فى هذا الجانب من جوانب الصورة التى تتبدى فيها إسرائيل عظيمة وكبيرة وأسطورية القوة (مقارنة بالعرب . . أو بغيرهم . .)

لن أستطرد كثيراً . . لأن أقل القليل مما كان يقوله أو يفعله العرب . . يضيف بشكل مكثف ومركز لهذه الصورة . وبالتالى فإننى أكتفى بهذه الجزئيات .

تمزيق الماضى والحاضر والمستقبل :

كانت النغمة السائدة فى العالم العربى هى التهويل من قوة إسرائيل . والتهوين من القوة العربية ، حتى إن بعض الشعراء العرب انهالوا بخناجر اليأس على الحاضر والمستقبل العربى . . بل إن الماضى العربى نفسه – وبرغم عراقته – لم يسلم من التمزيق والتشويه .

مطلوب عشر سنوات :

لم يجد بعض القادة العرب أى حرج فى التصريح بما يعتقدونه ، فعلى سبيل المثال قال وزير الدفاع اللبنانى نصرى معروف فى ٢٢ أغسطس من عام ١٩٧٣ (إننا نحن العرب نحتاج إلى عشر سنوات على الأقل لكى نصل إلى مستوى قوة إسرائيل .)

هل تتحول المدافع إلى مواسير مياه :

تزايدت الشكاوى من الضعف والخلل فى أمور الحياة اليومية ، حتى إن أكثر من كاتب مصرى أخذ يصرخ – حين تكرر انقطاع المياه وتلوثها فى القاهرة – بكلمات يهزها اليأس ، فقال أحدهم : « إذا كنا بالأمس قد غرقنا فى شبر ميه حينما زاد المطر عن حده ، وإذا كنا اليوم نفشل فى حل مشكلة المياه . . فكيف نتصور أننا نستطيع أن نخوض حرباً مع إسرائيل ؟ . . ويبدو أن جنرالاً إسرائيليًّا قرأ هذه الكلمات الشاكية البائسة ، فتطوع باقتراح حل سريع . بقوله « لماذا لا يحول العرب مدافعهم إلى مواسير مياه ؟ . » .

وانهمكوا فى اختيار أجمل كلب :

وصل الهبوط باهتمامات الإنسان العربى – اللهم إلا من تماسك واحتفظ بالأمل قوياً فى صدره – وصل ذلك الهبوط إلى الحد الذى نظمت فيه مسابقة كبيرة فى بيروت لاختيار « أجمل كلب ! ! ».

الألم . . واليأس :

تكررت الضربات الإسرائيلية استعراضاً لقوة جيش الدفاع الذى لا يقهر . . فأسقطت طائرة الركاب الليبية بمن فيها من مدنيين راحوا ضحية الجريمة . وتكررت غارات الكوماندوز الإسرائيليين على بيروت وكان أبرزها وأكثرها تحدياً للمشاعر العربية والعالمية قتل عدد من زعماء المقاومة الفلسطينية داخل بيوتهم !

ثم كان ذلك الاشتباك الجوى الذى حدث فى ١٣ سبتمبر ١٩٧٣ فوق ميناء طرطوس السورى . . والذى انتهى بإسقاط ١٣ طائرة سورية مقابل طائرة واحدة إسرائيلية . . واتسعت الابتسامات فوق وجوه الإسرائيليين الذين عبر عنهم معلقهم العسكرى حاييم هيرتسوج بقوله : « هكذا . . سيعرف العرب كيف يحترمون وقف إطلاق النار ؟ ! » . . أما فى الجانب العربى . . فقد انطوى الكثيرون على الإحساس بالمرارة واليأس ! !

* * *

فجأة . . إسرائيل : دولة صغرى ! !

. . تلك كانت صورة إسرائيل (الكبرى) كما رسخت تماماً فى أذهان الإسرائيليين أنفسهم ، والعالم كله ! ! . فهـل كان هناك من يتوقع أن تندلع الحرب فى الشرق الأوسط ؟ ؟ هل يبلغ الجنون بالعرب إلى حد التفكير فى شن حرب يواجهون فيها مرة أخرى الجيش الإسرائيلى الذى لا يقهر ؟؟

المؤكد أن أكثر المتفائلين جنوحاً فى الخيال لم يتوقعوا ذلك . وخاصة أن القيادة المصرية رسمت لنفسها – عمداً – فى أذهان الجميع صورة أقل ما توصف به : الضعف والتردد والاستسلام والانهزامية !

ولكن ما لم يكن متوقعاً . . حدث بالفعل . . وأصبح واقعاً مثيراً ، فلم تكد عقارب الساعة تصل إلى الثانية وخمس دقائق من ظهر السبت السادس من أكتوبر من عام ١٩٧٣ ، حتى كانت موجات العبور المصرية تتدفق شرقاً إلى سيناء متحدية أعتى الموانع وأقوى الحصون ، واندفعت موجاتِ المغاوير السوريين لتجتاح المواقع الإسرائيلية فوق الجولان !

وبطبيعة الحال لم يحدث ذلك من باب الصدفة أو الفوران المفاجىء ، بل كان نتيجة منطقية لمقدمات وإعداد وتخطيط فاق كل التوقعات .

* وقبل أن أدخل فى تفاصيل « الطوفان » الذى فجره العرب فى هذا اليوم ليكشف الحجم الحقيقى لإسرائيل ، فإننى أجدنى مضطرًّا إلى وقفة سريعة أمام ردود الفعل الأولى من الجانب الإسرائيلى . . أعنى التصريحات والتهديدات التى تدافع بعضها وراء بعض فى إيقاع صاخب عصبى طوال الساعات الثمانى والأربعين الأولى من الحرب أو الطوفان . أتوقف أمام هذه التصريحات الواثقة أحياناً والعصبية كثيرة لأنها لم تكن سوى « الرتوش » الأخيرة فى صورة إسرائيل « الكبرى » قبل أن تتهاوى وتتقلص !

جيش الدفاع سيحل أزمة المساكن والمواصلات فى مصر ! !

* قالت جولدا مائير – بمجرد اندلاع الحرب :

« لقد كانت المخابرات الإسرائيلية تعلم منذ بضعة أيام أن الجيوش السورية والمصرية حشدت للقيام بالهجوم فى وقت واحد ، وقد اتخذت قواتنا الاستعدادات العسكرية

اللازمة لمواجهة الخطر . (ونحن لا نشك أبداً فى أننا سننتصر) »

* بعد هذا التصريح الواثق جداً . . المطمئن جداً . . وفى اليوم الثانى من أيام الحرب الطوفانية . . اتصل وزير الخارجية الأمريكى بالسيدة جولدا مائير . . وسألها عن الموقف . . فى جبهات القتال . . فقالت له . . بنفس الثقة . ونفس الغرور : « أعطنى – يا عزيزى كيسنجر – أربعاً وعشرين ساعة أخرى لكى يتمكن جيش الدفاع الإسرائيلى من حل أزمة المساكن والمواصلات فى مصر ، وذلك بإلقاء جيشها كله فى قناة السويس ! !

سنضربهم ضرباً مبرحاً . . سنسحق « كليتهم » :

استمع الإسرائيليون فى ساعات الحرب الأولى . . إلى التصريح الثانى – وقد جاء هذه المرة على لسان معشوقهم الأول وجنرالهم المدلل موشيه ديان الذى نقل الأثير العبرى كلماته الحادة الواثقة التى تقول :

« إننا سوف نلحق بالعرب هزيمة مجلجلة ! إننا سوف نضربهم ضرباً مبرحاً . . ولسوف نسحق « كليتهم » .

إن تحقيق النصر على هؤلاء العرب لا يحتاج منا إلى شهور أو أسابيع أو حتى أيام . . إنها مسألة ساعات فقط » .

مؤتمر « سحق العظام » :

بعد ذلك تقدم دافيد اليعازر رئيس الأركان ليأخذ دوره فى طابور قادة إسرائيل الواثقين المطمئنين المهددين للعرب بالويل والثبور . وعظائم الأمور !

وفى مؤتمر صحفى عقد فى قاعة بيت سوكولوف للمؤتمرات – وهى المركز الصحفى لجيش الدفاع الإسرائيلى – قدم اليعازر عرضاً إجماليا لنتائج الـ ٤٨ ساعة الأولى من الحرب ، ثم بدأ وقد تقلص فكه وبرقت عيناه فى نوبة غضب جامح فى توجيه تهديداته . . فقال بالحرف الواحد :

« إننا سوف نطارد المصريين والسوريين فى كل مكان . سنلاحقهم وسنسحق عظامهم » .

نهاركم – أيها العرب – أسود !

كانت التهديدات الواثقة التى تؤكد أنها تصدر عن دولة كبرى قادرة . . لها ذراعها الطويلة المستعدة « لتأديب العرب فى كل مكان وكل زمان » كانت هذه التهديدات تتوالى بغير انقطاع سواء من خلال القادة والجنرالات . . أو من خلال إذاعتهم الرسمية . .

وفى مساء اليوم الأول للحرب هدد راديو إسرائيل العرب بقوله : « إننا سنحول نهاركم إلى ليل . سنجعلكم ترون النجوم فى وضح النهار ، وسنمرغ وجوهكم وأنوفكم فى الوحل .. إن زعماءكم « السادات والأسد وغيرهما » سوف يدفعون الثمن غالياً .

بأنفسهم . . سعى العرب . . إلى مصيرهم :

استخدمت إسرائيل فى تنفيذ التعبئة كل وسائل المواصلات العسكرية والمدنية . . وازدحمت الأتوبيسات بجنود الاحتياط الذين تم استدعاؤهم وكانت الكلمات التى تتردد بين هؤلاء الجنود . . كما سجلها « جان كلود جيبوه » فى كتابه « الأيام المؤلمة فى إسرائيل » – كانت هذه الكلمات تعبر عن الثقة الهائلة فى أنفسهم وفى دولتهم القوية القادرة .

فكانوا يقولون :

* إن العرب قد سعوا إليها بأنفسهم »
* إن هذه الحرب ستكون نزهة أفضل من حرب ١٩٦٧ »
* ويضيف (جان كلود جيبوه) إلى هذه الصورة التى تترجمها كلمات الجنود الإسرائيليين (الذين لا يقهرون) . . ما قاله واحد من هؤلاء الجنود – يدعى هنرى – لزوجته وهو يعانقها مودعاً :

« إننى سوف أعود يوم سوكوس (أى يوم الخميس القادم) ، إذ أن ستة أيام تكفى للإطاحة بالسوريين والمصريين ! ! »

* ويعلق المؤلف الفرنسى على هذه الكلمات بقوله « إنها كانت الكلمات نفسها تقريباً التى تبادلها الجنود الإسرائيليون مع زوجاتهم وصديقاتهم . . قبل أن يتجهوا إلى جبهات القتال » .

حزنت عليكم !

بعد وقف إطلاق النار . . وحضور وزير الخارجية الأمريكى هنرى كيسنجر إلى القاهرة قال للرئيس السادات : « عندما اندلعت الحرب أيقظنى آبا إيبان من نومى ليبلغنى بأن مصر وسوريا هاجمتا إسرائيل . وأقول لك الحق . . إننى حزنت وقتها عليك ، وقلت : بعد ساعتين أو ثلاثة سيدمر الإسرائيليون الجيش المصرى . وإسرائيل إذا انتصرت لثانى مرة فلن يستطيع أحد أن يتحدث معها ! ! »

السادات يصرخ « أنقذونى » ! !

فى صباح يوم (٧ – أكتوبر ٧٣) وبينما أجهزة الإعلام الإسرائيلى تواصل – لليوم التالى – الحديث عن هجمات الجيش الإسرائيلى المضادة التى « تهزم » العدو « وتسحقه» ! نشرت صحيفة معاريف كاريكاتير بريشة الرسام كارئيل جردوش (دوش) ، انتشر بسرعة خاطفة بين الإسرائيليين الذين أخذوا يتفرجون عليه . . ثم ينفجرون فى الضحك . . كان رسام الكاريكاتير (دوش) قد رسم شعب إسرائيل فى صورة « يسرائيل » الذى يضع على رأسه قبعة « تنبل » وفى يده بندقية منتصباً أمام أنور السادات رئيس مصر الواقف على الجانب الآخر من القناة رافعاً يديه وهو يصرخ « أنقذونى » ! ! !

* * *

* **هكذا** لم تتخل إسرائيل عن الإحساس بأنها دولة كبرى . . لديها جيش لا يقهر . . بينما على الجانب الآخر شعوب عربية مفككة غير متمدينة . . تعانى من الضعف والتخلف والجبن . . »

* **هكذا** شهدت الساعات الثانى والأربعين الأولى من الحرب . . الحلقة الأخيرة فى سلسلة التصريحات والتهديدات التى انطلقت بها شفاه قادة وجنرالات ومذيعى وكتاب إسرائيل . والمؤكد أنها فعلا كانت الحلقة الأخيرة فى مسرحية « إسرائيل الكبيرة » . كانت اللحن الأخير فى معزوفة القوة الأسطورية للدولة الإسرائيلية . .

* هى الحلقة الأخيرة . . واللحن الأخير . . لأن طوفان أكتوبر اجتاح أمامه كل ألوان الدعاية الصهيونية . . ومزقت موجاته الجارفة أوراق « مسرحية إسرائيل الكبرى » وأسكتت تماماً جوقة العازفين فى أوركسترا الإعلام الصهيونى عن جيشهم الذى لا يقهر . . ودولتهم التى لا تهزم !

* عفواً . . . لقد تخليت – لحظة – عن منهجى . . ووجدتنى أعلق بصوت مسموع على انهيار الأسطورة الإسرائيلية . تحت طوفان أكتوبر ويشفع لى . . أن الصفحات التالية . . وحتى نهاية هذه الدراسة سوف تتضمن هذا المعنى نفسه . . وربما هذه الكلمات نفسها على لسان إسرائيليين وخبراء عسكريين وسياسيين عالميين . – يشفع لى ذلك بالتأكيد – كما أن لدى عذراً شخصياً آخر . وهو أننى كشاب عربى عاش نكسة ٦٧ ضابطاً احتياطياً بالقوات المسلحة . . ثم كأديب وإذاعى شعرت بحدة وقوة ما عاناه كل عربى من إحساس بالذل والمهانة كانت تغذيه دائماً الأقوال والأفعال الإسرائيلية منذ انتهت تلك الحرب . . وعلى مدى السنوات الكابوسية التى امتدت بعدها . . ولم تنته إلا باندلاع حرب أكتوبر ١٩٧٣ . .

هذا هو عذرى الذى أرجو أن أفسر به تدخلى المباشر أو تعليق بصوت مسموع على آخر فصول الدعاية لإسرائيل الكبرى . .

وكيف بدأت تواجه الواقع الذى كشفها وعراها تماماً .

* **والآن** – وكما ألمحت فى بداية هذا الفصل – نصل إلى الصورة الأخرى لإسرائيل..

صورة إسرائيل الصغرى كما كشفت الستار عنها حرب أكتوبر . حرب أكتوبر التى قوضت كل أركان الدعاية والنظريات والمسلمات التى جعلت من إسرائيل – على مدى ست سنوات وبضعة شهور – دولة كبرى . . تقف وحدها فى الشرق الأوسط قادرة على فرض إرادتها . . واثقة فى حاضرها **ومستقبلها**

والحقيقة أنه يكفى تماماً أن أعود بك -- أيها القارئ العزيز – إلى الصفحات الأولى التى أجبت فيها على سؤال « لماذا الطوفان » فهذه الصفحات تتضمن تصريحات القادة الإسرائيليين عن نتائج الحرب . . وكيف ترنح الغرور.. مع سقوط جيش الدفاع . . أقول تكفى تلك الصفحات . . لكى تبدو المقارنة بين ما قالوه بعد يونية ٦٧ . وما قالوه بعد أكتوبر ٧٣ شاهداً حياً على الآثار الخطيرة التى أحدثتها حرب أكتوبر . . وكانت بمثابة الطوفان الذى كادت تغرق إسرائيل فى مياهه ودمائه ورصاصه . .

ومع ذلك فإننى حرصاً منى على تعميق ملامح الصورتين (ما قبل أكتوبر . . وما بعده) وحتى تكون الفجوة الهائلة بين هاتين الصورتين . . إجابة أخرى أدق وأشمل على من يتساءل عن آثار حرب أكتوبر على إسرائيل وكيف نسميها طوفاناً أو زلزالاً . . من أجل

ذلك . . أضيف – الآن – بعض التصريحات والمواقف الإسرائيلية بعد تبلور نتائج عمليات الحرب – وما يعنيني هنا هو تبيان الحجم الكلى والعام لما جرى لإسرائيل من خلال المقارنة البحتة ، ثم ندخل بعد ذلك فى تفاصيل التفاصيل . . من خلال مراحل الطوفان المتتالية .

* * *

نهاية دولة إسرائيل الكبرى :

فى مجلة « لانوفيل أوبزرفاتور » الفرنسية كتب فيكتور سيجلمان (وهو كاتب إسرائيلى مقالاً تحليليًّا بعنوان « نهاية دولة إسرائيل الكبرى » قال فيها : لقد اختفت تماماً أغانى الانتصار التى كانت ترددها إذاعة إسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ عن (شرم الشيخ) و (القدس الذهبية) . لقد حلت محلها اليوم (بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣) أغنية تلاحق الإسرائيليين ليل نهار من الإذاعة والتليفزيون . وتقول كلمات هذه الأغنية :

« باسم الجنود الذين احترقوا فى دباباتهم . .
باسم الطيارين الذين هبطوا والنيران مشتعلة فى أجسادهم . .
باسم . . وباسم . . وباسم
أعدك ياصغيرتى العزيزة أن هذه الحرب ستكون الأخيرة . . نعم الأخيرة . . الأخيرة . . الأخيرة ! ! »

ويعلق الكاتب على ذلك بقوله : (كانت أغانى ٦٧ تعبر عن فرحة الحياة ، ولذة النصر ، أما اليوم – بعد حرب أكتوبر – فقد خارت قوى « الأبطال » ولم يسبق فى تاريخ إسرائيل القصير أن شعر الإسرائيليون بمثل هذه الشدة والحدة بالتعطش إلى السلام والهدوء وزوال التوتر . إن الشاغل الرئيسى لرجل الشارع الإسرائيلى يتركز الآن فى الانتهاء من هذه الأمور بسرعة ، وفى إعادة الجنود المرابطين على الجبهة ، ووضع حد لقائمة القتلى والمفقودين والجرحى ، لكى يتسنى له أن يلتقط أنفاسه التى كادت تتوقف . وعند ما يقول الجنرال ديان « لسوف نصبح عما قريب ، أقوى بكثير مما كنا قبل الحرب » حينما يقول هذا يغضب الإسرائيليون أو يبتسمون باستخفاف . . لقد فقدوا الثقة فى وزرائهم وأصبحوا يشكون فى جنرالاتهم السياسيين الذين أخذوا – من جانبهم – يتبادلون الاتهامات ! ! وهذا أحد الأدلة على أن صورة إسرائيل « كدولة كبرى تقف راسخة ومستحكمة للغاية » . . هذه الصورة اختفت مع حرب أكتوبر ، وبدون أن تخلف أية آثار .

لم أستطع أن أبكى ! !

إنهـا بالنسبة لهم فى إسرائيل كانت فى موقع أمهم العجوز ، وواحدة من بقايا جيل الرواد الكبار . . فإنهم اكتفوا بأن قالوا لها (. . معذرة . . لابقاء لك بعد ما فعله الطوفان بنا) . وانطوت هى على نفسها تجتر آلام الهزيمة . . وضياع الأحلام وأسرعت إلى أوراقها تدفن عزلتها فيها . . لتقدم قصة حياتها فى كتاب نشر أخيراً . . وبعد عامين من طوفان أكتوبر .

وقد تساقطت اعترافات جولدا مائير . . الحزينة اليائسة . . فقالت بالحرف الواحد :

لا شىء أقسى على نفسى من كتابة ما حدث فى أكتوبر ١٩٧٣ ، فلم يكن حدثاً عسكريًّا رهيباً فقط ، وإنما كان مأساة عاشت وسوف تعيش معى حتى الموت . . لقد وجدت نفسها فجأة أمام أعظم مسئولية عاجــزة عن اتخاذ قرار أمام أعظم تهديد واجهته إسرائيل منذ إنشائها .

« إن صدمتنا لم تتمثل فقط فى الطريقة التى حاربونا بها ولكن لأن عدداً من المعتقدات الأساسية التى آمنا بها قد انهارت أمامنا » ، « فقد آمنا باستحالة وقوع حرب فى شهر أكتوبر ، وآمنا بأننا سوف نتلقى إنذاراً مبكراً لكل تحركاتهم قبل نشوب الحرب . وآمنا بقدرتنا التامة على منع المصريين من عبور قناة السويس » . . وقد انهار ذلك كله فجأة . إن ما حدث شىء لا يمكن وصفه . ويكفى أن أقول إننى **لم أستطع أن أبكى** وكنت أمضى معظم الوقت فى مكتبى ، وأحياناً أذهب إلى غرفة العمليات وكانت هناك اجتماعات متواصلة ، وتليفونات من أمريكا . . وأخبار مروعة من الجبهة بينما كانت خسائرنا تمزق قلبى . . ! ! »

بطل إسرائيل . . ينهار :

فى اليوم الرابع للقتال (٩ أكتوبر ١٩٧٣) قابل الجنرال موشيه ديان (بطل إسرائيل) محررى الصحف اليومية وقال لهم بلهجة مأساوية وروح معنوية محطمة : لن أخفى عليكم إن قواتنا فى الجولان وفى قناة السويس فى حالة ذعر تام . ولم يعد لخط بارليف وجود . كما أن أجهزة إشعال مياه القناة صارت خرافة . وأصارحكم بأننى لا أتمنى أن أكون فى هذه اللحظات فى موقف رجال مدرعاتنا . . أما سلاحنا الجوى فقد تم تحييده وقد بلغت خسائرنا فيه – فى اليوم الأول فقط – ستين طائرة منها ٣٦ طائرة فانتوم .

هذا ما قاله ديان – منهاراً – فى اليوم الرابع – وقد أخفت الرقابة الإسرائيلية الكثير مما اعترف به – ومن جهة أخرى فإنه فى ثانى أيام القتال (يوم الأحد ٧٣/١٠/٧) عاد من الجبهة ليلتقى برئيسة الوزراء جولدا مائير وقال لها . . إن الموقف فى الجنوب سيئ جداً . وإنه لا بد من اتخاذ موقف الدفاع وأن تنسحب القوات الإسرائيلية إلى خط دفاعى جديد – قال ديان هذه الكلمات اليائسة لجولدا مائير – وقبل أن يغادر مكتبها ، عاد وأغلق الباب عليهما . . ثم قال لها : « هل تريدين منى أن أستقيل . . إننى على استعداد لأن أفعل ذلك فوراً » .

والمعروف – كما قالت مائير نفسها – أنها آثرت أن تبقى عليه حتى لا يحدث مزيد من الانهيار بين القوات . وقد أعطت معظم صلاحياته لحاييم بارليف وغيره من الجنرالات الذين أعيدوا إلى الخدمة العسكرية . . لعلهم يفعلون شيئاً ! ! – كما أنها فى الوقت نفسه سارعت إلى الاتصال بأمريكا . . طالبة النجدة ! – ومن جهة أخرى تعرض ديان لأقسى ألوان النقد والتجريح حتى إن مدير استخباراتهم السابق ومعلقهم العسكرى حاييم هيرتسوج قال موجهاً اتهامات قاسية للغاية لكفاءة موشيه ديان « إن بعض نصائح الجنرال ديان أثناء حرب أكتوبر كادت تقود إسرائيل إلى كارثة » .

وإذا كانت صورة إسرائيل الكبرى قد تقلصت وعادت إلى حجمها الطبيعى فإن ذلك بطبيعة الحال جاء نتيجة لتقلصات وانهيارات فى العمد والأسس التى قامت عليها تلك الصورة السابقة . . ومما لا شك فيه أن ديان وعدداً من الجنرالات كانوا أحد تلك العمد والأسس . . بل إنهم كانوا فى الوقت نفسه أحد مظاهر القوة الأسطورية لإسرائيل . ولعل نظرة أخرى على ما جاء فى الصفحات الأولى من فصل « إسرائيل دولة كبرى » توضح هذه الحقيقة بشكل قاطع .

ومن ثم فإن انهيار ديان ورفاقه كان انهياراً لجانب من جوانب « إسرائيل الكبرى » ولعل ما يضيف إلى هذا المعنى ما قاله المؤلفون الإسرائيليون السبعة لكتاب التقصير . . حين وصفوا زياراته لجبهات القتال – فقالوا « كان ديان – لأول مرة – يبحث عن شيء يستمد منه الإلهام والتشجيع . إنه لم يكن قائد الأيام الخالية الشهير الذى كان قدومه إلى الجبهة يشيع حوله جواً من الشجاعة والكبرياء والثقة بالنفس . لقد عاد ديان فى حرب أكتوبر إلى صورة الإنسان الفانى العادى ، واصطدم الرجل الذى كانت له شعبية جارفة فى الشرق الأوسط كله – اصطدم (بعد الحرب) بالظاهرة المذهلة المتمثلة فى فقدانه لمكانته .

« **لقد تبخرت الأسطورة** » . وبعد أن كانت استفتاءات الرأى العام تقول مثلا فى عام ١٩٧٠ إن ديان هو القائد الأكثر شعبية فى نظر ٩١ ٪ من سكان إسرائيل . . هبطت هذه النسبة فى نهاية عام ١٩٧٣ إلى ٢ ٪ فقط ! !

إسرائيل . . دولة صغيرة أكثر من اللازم :

جولدا مائير . . – وقد التزمت الصمت إلى حد كبير بعد حرب أكتوبر – خرجت عن صمتها حين دعيت إلى إلقاء محاضرة بتل أبيب فقالت :

« إن إسرائيل دولة صغيرة أكثر من اللازم ، والشعب الذى يعيش فى إسرائيل صغير جداً . إننى أرى أن خطوات السلام التى تفرضها نتائج الحرب تفرض على كيان إسرائيل وشعبها عبئاً ثقيلا »

ملحوظة : جاء هذا الاعتراف من جولدا مائير . . فى الوقت الذى كانت تستعد فيه لإصدار كتابها « قصة حياتى » وهو الكتاب الذى استشهدت ببعض ما جاء فيه . . فى بداية هذا الفصل .

وظهر حجمها الصغير – أيضاً – فى مدارسهم :

فى ١٢/١٢/١٩٧٣ أعلنت وكالة الأنباء الفرنسية أن وزارة التعليم الإسرائيلية قامت بتوزيع كتيب صغير « دعت فيه المدرسين إلى تهيئة طلبتهم معنوياً لتقبل حقيقة أن دولة إسرائيل أصغر بكثير من تلك التى اعتادوها » . والغريب أن بعض قادة إسرائيل قد عبروا عن غضبهم من هذا الكتيب الخطير ، وصرحوا لصحيفة جيروزاليم بوست بأن الأمر يبدو وكأن وزارة التعليم الإسرائيلية قد قررت – بمفردها – الانسحاب من جانب واحد .

وقد علقت وكالة الأنباء الفرنسية على هذا الكتيب قائلة : لو أن وزارة التعليم الإسرائيلية قد نشرت ووزعت هذا الكتيب منذ عام ٤٨ لتهيئة طلبة إسرائيل معنوياً وتنشئتهم على أن إسرائيل ما هى إلا دولة صغيرة وسط محيط من دول مسالمة ذات حضارات عريقة وأنها إذا أرادت الاستقرار والأمن فلابد من احترام أمن وحدود جاراتها – لو أن وزارة التعليم فعلت ذلك منذ هذا التاريخ لما كانت كل هذه الحروب التى فقدت فيها إسرائيل الآلاف والآلاف من شبابها .

هذا هو تعليق الوكالة الفرنسية على كتيب وزارة التعليم الإسرائيلية الذى عبر خير

تعبير عن الواقع الذى خلقه أو كشفه طوفان أكتوبر . أما غضب أولئك القادة الإسرائيليين من هذا الكتيب فلم يعد ذا موضوع لأن وزارة التعليم لم تعد هى وحدها التى تقبل مبدأ الانسحاب . . وإنما هم أيضاً – سواء كانوا داخل الحكومة أو خارجها – استسلموا لهذا الواقع – ولو جزئيًّا – من خلال اتفاقيات فك الاشتباك التى بدأت بعد وقف إطلاق النيران . وبدأ معها الانسحاب المرحلى إلى حدود ما قبل ١٩٦٧ .

ونحن بغض النظر عن تعليق وكالة الأنباء الفرنسية على هذا الكتيب التعليمى الخطير الذى يعكس « تقلص إسرائيل وتساقط أوراق الدعاية الصهيونية التى جعلت منها دولة كبرى » – يهمنا أن نرى كيف كانت الكتيبات التى يلقنها الإسرائيليون لأطفالهم قبل حرب أكتوبر .

إن الصحفى الإسرائيلى « تامر مروز » يصف أسلوب تعليم أطفال إسرائيل ويحلله فى مقال له بصحيفة هآرتس – يقول فيه :

لقد كان من أبرز الظواهر التى تثير الألم والاستياء فى مجال أدب الأطفال فى إسرائيل ، ما نراه من سخف وبلاهة فى سلسلة كتب الأطفال التى تتحدث عن كيفية انتصار الأطفال الأبطال من الإسرائيليين على العرب البلهاء السذج ! !

ولم يكن الصحفى الإسرائيلى « تامر مروز » هو وحده الذى بدأ يتنبه لأسلوب تعليم وتثقيف أطفالهم . فا هى ذى أم إسرائيلية لطفلة تبلغ من العمر ثمانية أعوام تقول : « لقد انتابتنى الدهشة عندما اطلعت على ما يقرؤه الأطفال،إننى لم أقرأ فى حياتى أسوأ من هذا الكلام .

وفى حديث لصحفى إسرائيلى قال أمين إحدى مكتبات تل أبيب : « إن معظم الكتب التى يقرؤها الأطفال تتحدث عن الطفل العبرى النقى الطاهر الذى ينتصر على العرب الخنازير الجبناء » .

* وهكذا يتأرجح الطفل الإسرائيلى الآن بين الكتب « التى تهيئهم لتقبل حقيقة أن دولة إسرائيل أصغر بكثير من تلك التى اعتادوها » وبين الكتب التى ظلت – تصور لهم العرب كخنازير جبناء يشتهون قتل الأبرياء ،ويهمنا هنا أن نقول إن هذا الكتيب الذى وزعته وزارة التعليم الإسرائيلية لا يعنى أن مناهج التعليم هناك قد اتخذت كلها هذا الاتجاه . . فما زالت الكتب الأخرى تصدر وتنشر .

اسألوا حرب أكتوبر :

بمجرد أن توقف إطلاق النار ، بدأت الدراسات والتحليلات لآثار الحرب على إسرائيل ، وقد التقت جميعاً على أنها كانت بمثابة (الطوفان) ، وقد حاولت هذه الدراسات إلقاء الضوء من زوايا وأبعاد مختلفة على ما أحدثه فى إسرائيل طوفان السادس من أكتوبر ، أو الظروف التى قادت إليه . وقد شارك كثيرون من الأساتذة والخبراء والكتاب الإسرائيليين فى هذه الدراسات . . كما اهتمت المعاهد والدوائر العالمية بتقديم رؤيتها هى الأخرى .

ومن الإسرائيليين الذين يحظون باحترام الجماهير والذين كتبوا عن الطوفان البروفيسور يعقوب تلمون أستاذ التاريخ المعاصر فى الجامعة العبرية ، وقد قال فى إحدى مقالاته :

« لقد سكب انتصارنا عام ١٩٦٧ نشوة القوة فى أفكارنا وتصرفاتنا وجرف معه كل اتزان ، وكانت القوة قادرة على كل شىء ، وكان النجاح مبرراً لكل شىء – وأصبح طبيعياً أن تسود بيننا العجرفة والاحتقار والاستهتار بالرأى العام العالمى .

ثم جاءت حرب السادس من أكتوبر فقوضت كل شىء . وأصبح علينا أن ندرك جيداً أنه بدون سلام لن يكون لنا وجود ، وأن قبولنا بحدود أضيق لا يعنى فناء إسرائيل . وخاصة أن مسألة الحدود الآمنة التى سادت بعد ٦٧ . . لم تعد مقبولة . .

. . . و . . اسألوا حرب أكتوبر ! ! »

قرون إسرائيل . . انخفضت . . ثم تلاشت :

قال الكاتب الإسرائيلى الياهو عميكام فى مقال له بصحيفة يديعوت أحرونوت فى ١٩٧٤/٨/٩ » :

إن الانتصار العربى فى حرب أكتوبر قد فرض نتائجه حتى على العالم غير العربى . . فطيلة ست سنوات سمعنا من معلقينا من يقولون – وقد ارتسمت على وجوههم ابتسامة حكيمة حمقاء – « إن قرون إسرائيل انخفضت فى العالم لأن العالم لا يحب المنتصرين ولكنه يتعاطف مع المهزومين » . هذا ما كان يقوله معلقونا الحكماء . . وعندما تحقق للعرب الانتصار العظيم فى أكتوبر ١٩٧٣ تبددت ادعاءات هؤلاء المعلقين وسقطت تقديراتهم السابقة إذ وجدنا أن دول أفريقيا قد سارت وراء عيدى أمين فى قطع علاقاتها مع الجانب المهزوم

– جانبنا – كذلك فعلت دول أمريكا اللاتينية .

وهكذا لم تعد قرون المسكينة منخفضة فقط ، بل إنها لم تعد قائمة على الإطلاق ! !

أخشى أن يحطم العرب عظامنا :

نعم . . هو نفسه دافيد اليعازر رئيس الأركان الإسرائيلى وصاحب التهديد الشهير بسحق عظام العرب (كما ورد فى الصفحات السابقة) هو نفسه الذى أعد بياناً بعد فشل الهجوم المضاد – وكان سيذيعه فى التليفزيون مساء ٨ / ١٠ / ٧٣ لولا تدخل المسئولين عن رفع المعنويات . . ومنعهم لإذاعته .

ويقول اليعازر فى هذا البيان (كما يروى الصحفى الإسرائيلى حايم إيزاك فى صحيفة معاريف الصادرة بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢٨) « خرج اليوم جيش الاحتياط إلى هجوم مضاد ، ولكن على أن أبلغكم بصدق أن هذا الهجوم فشل فشلا ذريعاً ، وأن قوات العدو فى البر والجو ، قوات هائلة ، حتى أجدنى مضطرًّا إلى الخوف من أن يحطموا عظامنا . إن أقصى ما نستطيع توقعه – فى الظروف الحالية – هو أن يكتفى المصريون بصدنا فى سيناء ! ! »

العقاب . . على السنوات السمان :

تعبيراً عن آثار الطوفان على المجتمع الإسرائيلى كتب مارك سيجال فى جريدة جيروزاليم بوست :

يطرح الإسرائيليون الآن أسئلة تخوض فى الأعماق البعيدة للأمور تصل إلى جذور أصولنا وهويتنا والمزاج السائد فى بلادنا الآن .

إننا كما لو كنا قد استيقظنا فجأة من حلم جميل وكما لو كانت حرب أكتوبر لم يكفها أنها صدمتنا فى آمالنا المادية لكى تصدمنا فى مشاعرنا أيضاً .

إن هناك إحساساً بأننا نلقى عقاباً على السنوات السمان التى قضيناها قبل هذه الحرب . وكأنها لعنة كتبت علينا . إن حرب عيد الغفران هبطت على شعبنا دون انتظار وفجأة سمعنا الأصداء المخيفة لما حدث لنا وتغير العالم حولنا » .

حين تكون الدولة . . بدون تقاليد :

لم يتوقف المعلقون والمحللون الإسرائيليون عند الإحساس الواعى بتقلص حجم دولتهم أو بتحديد أكثر – تكشف الحجم الحقيقى لها بعد أن جرف طوفان أكتوبر كل أوراق الدعاية التى كانت تجعلها فى صورة الدولة الكبرى – لم يتوقف هؤلاء المعلقون عند هذا الحد . . بل إنهم أخذوا يحللون الواقع الإسرائيلى . . ويكتشفون مظاهر الخلل الجذرى فى بناء هذا الكيان . . بل إن الأفراد العاديين بدأوا يتساءلون عن جذور أصولهم وهويتهم بما فى ذلك من فقدان للثقة فى أسس بقائهم .

وإن كان هذا المفهوم قد اتضح تماماً فى مقال مارك سيجال (العقاب على السنوات السمان) فإنه يتضح أكثر فيما قاله « ميخائيل فيدمان » فى ندوة معاريف التى نشرت فى ١٦ / ٩ / ١٩٧٤ فنجده يقول :« إن إسرائيل ليست إلا دولة جديدة ومعظم سكانها من المهاجرين وينقصها التقاليد العريقة التى تستطيع أن تساعدها فى التغلب على مثل هذه الأزمات . .

إسرائيل « التى كانت لن تكون » :

وجيشها كالعامل الذى يحتاج دائماً إلى مائة ليرة أخرى حتى يكمل الشهر :

هذا معلق وخبير آخر له وزنه فى إسرائيل على الأقل ، فهو كبير معلّق صحيفة « هآرتس » للشئون الأمنية ، وقد عمل مراسلاً حربيًّا منذ الستينيات فى فيتنام والشرق الأوسط ، إنه المحرر العسكرى زئيف شيف ، الذى نشر دراسات عديدة عن حرب أكتوبر ، وصدر له أخيراً كتابه « زلزال فى أكتوبر » – ونحن نتوقف أمام ما قاله من الزاوية التى يدور حولها هذا الفصل فنراه يقول :

« إن إسرائيل التى كانت » لن تكون .

إن مصدر الهزة التى واجهت إسرائيل فى الأساس هو فى الإحساس بأن الدولة قد عادت فجأة إلى مراحلها الأولى ، قد وجدت نفسها تقف مرة أخرى أمام مخاطر تحيط بوجودها ، ومرة أخرى تأكدت إسرائيل أن هزيمتها فى معارك محلية كبيرة قد يعرض وجودها أيضاً للخطر » .

وفى جانب آخر من دراسته يقول زئيف شيف :

لقد أكدت حرب يوم الغفران أن الإسرائيليين شعب صغير ، وكالعامل الحذر فى ميزانيته والذى يجد مع ذلك أنه ينقصه دائماً مائة ليرة إسرائيلية حتى يكمل آخر الشهر ، فكذلك حال الجيش الإسرائيلى إذ ينقصه دائماً تشكيلة واحدة كبيرة ، أو عدة تشكيلات .

* * *

ونكتفى بهذه الأمثلة لما اعترف به الإسرائيليون أنفسهم من انهيار كامل لصورة إسرائيل الكبرى ، كما كانوا يؤكدون من قبل ، وظهور حجمها الحقيقى كدولة صغيرة . . بلا تقاليد عريقة . . يبحث سكانها عن أصول هويتهم وجذورهم . . يعتمدون كل الاعتماد على حليفة كبرى لتحفظ لهم بقاءهم مستجيبة لاستغاثاتهم . . وصرخاتهم . .

أقول نكتفى بهذه الأمثلة . . لنتوقف الآن أمام أمثلة أخرى لرؤية العالم الخارجى لإسرائيل – بعد الطوفان . .

دير شبيجل . . . ترى الصورة الجديدة :

لم تكن إسرائيل وحدها هى التى أفاقت على الحقيقة الثابتة حين تدفق طوفان أكتوبر – فقد فتح العالم كله عينيه ليستوعب الصورة الجديدة لمنطقة الشرق الأوسط . . بعد أن حجب الانهيار بإسرائيل فى ١٩٦٧ سبل الرؤية الواضحة أمامه . ولعل هذا ما يترجمه بشكل محدد جداً موقف جريدة دير شبيجل الألمانية الغربية . . فبعد أن أعلن رئيس تحريرها – كما أوردت فى الصفحات السابقة – أنه سيجبر محررى الجريدة على تعلم اللغة العبرية والكتابة بها لأنها لغة الجيش الإسرائيلى الذى لا يقهر . . خرجت الجريدة بعد أيام من حرب أكتوبر (فى ١٩٧٣/١١/٢٢) لتقول :« إن اجتياح المصريين لخط بارليف ، جعل الأمة العربية بكاملها تنفض عن نفسها آثار المهانة التى تحملت آلامها منذ ١٩٦٧ » هكذا اعترفت الجريدة الألمانية بأن ما حدث فى ٦٧ . . لم يشطب من خريطة المنطقة كل شىء . . . لتبقى فيها إسرائيل وحدها وإنما كان ما حدث شيئاً عارضاً . . ما لبثت الأمة العربية أن نفضت عن نفسها غباره ، وبالتالى فإنها حطمت كل الأساطير التى أحاطت بإسرائيل .

الدولة التى تحولت إلى سلم خشبى غير مترابط :

مرة أخرى مع المؤلف الفرنسى جان كلود جيبوه . . فى تحليله لآثار الطوفان الذى فجره العرب فى أكتوبر ٧٣ حيث يقول :

« إن الشكوك ، كل الشكوك التى تحتويها دولة إسرائيل الجديدة ، قد انبعثت مع الانهيـار الذى أحدثه يوم كيبور (حرب أكتوبر) وفى وسط أسبوع السكوت ٣٧٣٤ القاسى ها هى تلك الشكوك تطفو من جديد فى الضمائر وقد تشابكت وامتزج بعضها ببعض .

إن إسرائيل تنجرف وسط الحطام ولم تعد الدولة اليهودية فى تلك اللحظة سوى سلم خشبى هش غير مترابط كما ينبغى له أن يكون » .

الاحتفال الحزين :

قالت وكالات الأنباء : كان احتفال إسرائيل بالذكرى الخامسة والعشرين لقيامها . . الذى وافق ١٥ مايو ١٩٧٣ . . آخر احتفال بعد يونية ١٩٦٧ . . لأنه أعقبه بعد شهور قليلة نشوب الحرب الرابعة فى أكتوبر ١٩٧٣ - فماذا كانت صورة الاحتفال بالذكرى السادسة والعشرين الذى وافق ١٥ مايو ٧٤ أى بعد حرب أكتوبر بستة شهور تقريباً ؟ ؟

التاريخ ١٥ مايو ١٩٧٤ :

المنظر :

متغير تماماً - شكلاً ومضموناً - عن آخر احتفال . فإسرائيل اليوم تقيم الاحتفال السنوى لكنه هذه المرة . . كئيب حزين مر المذاق تحتويه الرهبة . جماهير الشعب ورجال الحكومة وأعضاء الكنيست يبتلعون الإحساس بالأسى والانهيار ، إن إسرائيل اليوم تقيم حداداً علنيًّا على آلاف القتلى من شبابها الذين سقطوا (فى حرب الغفران) بالمقبرة العسكرية الجديدة فى « كريات شاؤول » حيث ترقد الجثث بلا حراك . ويقف الإسرائيليون منكسى الرؤوس ينظرون طويلاً ويبكون . النساء تضرب صد ورهن بأيديهن ويجادلن القدر الذى أثكلهن . . هذه المرة لا احتفالات ولا زينات . . لا « فانتوم » ولا « سكاى هوك » ولا مدرعات ولا صواريخ . .

لقد بدأت صفحة جديدة فى التاريخ .

لن تكون . . كما كانت :

فى كتابه (الأيام المؤلمة فى إسرائيل) الذى عكس الكثير مما أحدثه طوفان أكتوبر فى إسرائيل ، يقول جان كلود جيبوه :

« ليس هناك اليوم من يعرف المستقبل الذى سوف تئول إليه إسرائيل وقد أصبحت تقف فجأة وحيدة فى عالم متغير ، على أن هناك شيئاً واحداً مؤكداً بما لا يقبل الشك وهو أنه لن تقوم بعد الآن ، وإلى الأبد ، إسرائيل كما كانت قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

إنهم معذورون فى قلقهم وخوفهم :

هذا المثال له شقان كلاهما يعكس آثار حرب أكتوبر ، ويتضح الشق الأول فى الموقف الذى اتخذته معظم دول العالم وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية من محاولات الحل السلمى التى سعت إليها جاهدة القيادة المصرية ، وكانت الاستهانة بهذه المحاولات وبالعالم العربى كله هى رد الفعل الوحيد تقريباً حتى إن وزير الخارجية الأمريكى هنرى كيسنجر قال لشخصية مصرية كبيرة (حافظ إسماعيل مستشار الرئيس لشئون الأمن القومى فى ذلك الوقت) قال له كيسنجر فى فبراير ١٩٧٣ – أى قبل الحرب بشهور – « إنكم تتحدثون على حل سلمى عادل من وجهة نظركم كما لو كنتم المنتصرين فى يونية ٦٧ فلتكونوا واقعيين وعمليين » إن إسرائيل هى التى انتصرت فى ٦٧ ، وأنتم بوضعكم الحالى لا يمكن لكم – منطقياً – مواجهتها مرة أخرى عسكرياً .

ولكن ما إن اندلعت شرارة حرب أكتوبر ، وهدد الطوفان إسرائيل حتى سارعت دول العالم – وعلى رأسها – تماماً – أمريكا – إلى البحث عن حل سياسى . وبدلاً من لهجة الاستهانة قام الوزير الأمريكى برحلات مكوكية متعددة بين أطراف النزاع للوصول إلى اتفاقيات تنتهى بالحل الشامل والعادل .

هذا هو الشق الأوسط كما عبر عنه البروفيسور الإسرائيلى شمعون شامير بقوله « لقد استطاع العرب تغيير سياسة أمريكا للمرة الأولى فى الصراع العربى الإسرائيلى » .

– أما الشق الثانى فيترجمه ما قاله الدكتور هنرى كيسنجر ، ومساعده سيسكو فى حديثهما مع الفريق حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية (وقائد القوات الجوية المصرية فى أثناء حرب أكتوبر) .

قال وزير الخارجية الأمريكى :

« إنكم – فى مصر – لا تقدرون ماذا فعلتم فى أكتوبر ، ولا تعرفون صداه الذى ما زال يتردد هناك على الناحية الأخرى (إسرائيل) . . إنهم معذورون فى القلق والخوف الذى يشعرون به ، لأن عندهم حالة خوف وفزع من الجيش المصرى ، وليس عندهم أدنى أمان من المصريين ، فإنهم يخشون أن يتكرر أكتوبر مرة أخرى فى سيناء ولذلك تراهم يدققون فى كل شىء ، ويختلفون على أى شىء » .

هذا ما قاله كيسنجر . . أما مساعده سيسكو فقد قال أكثر من مرة موجهاً كلامه لنائب رئيس الجمهورية المصرية فى بعض اللقاءات التى جمعت بينهما :

« اسمح لى أن أقول لك إن أحداً لا يخشى ما صنعتم فى أكتوبر وما جرى فى الحرب مثل ما يخشاه الإسرائيليون ، فقد تركت عندهم حالة من الشك والقلق . إنهم فى حالة خوف منكم ، ويقولون ماذا يضمن لنا ألا يفعلوها ويعيدوا الضربة وقت اللزوم . . وقد تجىء هذه المرة من أبو رديس أو الممرات » .

* * *

فارق شاسع ومثير بين الصورتين . . صورة إسرائيل ما قبل حرب ٧٣ وصورة إسرائيل بعد هذه الحرب بما بينهما من هوة زمنية ونفسية وعسكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية .

فارق شاسع وخطير بين الصورتين . . لا يمكن أن تحدثه حرب عادية إنه فقط وليس غيره « الطوفان » الذى ينتج عنه مثل هذا الفارق أو هذه الهوة الهائلة . . بل إنه الطوفان الذى يجتاح الصورة الأولى ويغرقها فى مياهه ودمائه . . ولا يبقى منها أى شىء – وفى الوقت نفسه يزيح الستار عن الصورة الثانية . . باعتبارها الصورة الحقيقية الخالية من مساحيق الدعاية الضخمة .

الفصل الثانى

فى البدء كان القرار

تقول حكمة صينية :

« إن من صفات الزعيم أنه يستطيع أن يدفع الناس إلى وضع ثقتهم فيه ولكن الزعيم العظيم هو ذلك الذى يستطيع أن يعيد للناس ثقتهم بأنفسهم » .

« . . إن أحداً لا يستطيع أن يقدر المعاناة التي يتعرض لها المسئول عن اتخاذ قرار الحرب . ولقد عشت حياتي كضابط يعيش الحرب أو يعد نفسه للحرب ، واتخذت – بعيداً عن الجيش – قرارات لعمليات وطنية تقوم على إطلاق النار . ولكن هذا كله لا يقاس بمسئولية اتخاذ قرار حرب تشمل الأمة كلها والجيش كله . إن كل فرد سأدفعه بيدى إلى خط النار ، وكل فرد قد يصبح شهيداً (كما أصبح أخى عاطف) . . ثم من يضمن نتيجة هذه الحرب . . لا أحد يستطيع أن يضمن نتيجة أى حرب . . إنه الله وحده !

وبرغم هذا فهناك دائماً الدافع الأقوى من كل شيء . . دافع الإحساس بمصر ، وما تريده مصر ، وإثبات وجود مصر .

مصر لا تزال تعيش ، ولا تزال قادرة على الحرب ، ولقد كنت وما أزال أثق ثقة كاملة فى قواتنا المسلحة ، وبعد تحليلى الدقيق لمعركة ١٩٦٧ بكل ما فيها من مرارة ، أصبحت أثق فى أن قواتنا المسلحة كانت ضحية من ضحايا الهزيمة ، وليست أبداً سبباً لها .

وكان هذا الدافع وحده هو ما يؤيد قرار الإعداد للحرب ، وهو الذى دفع رجالنا إلى الحرب ، وكأن كلا منهم قد اتخذ القرار بنفسه . كل منهم يحارب لأنه يريد الحرب (لهذاالهدف) لا لأنه ينفذ قراراً بالحرب .

وكان هذا هو ما حقق معجزة العبور .

« من مذكرات الرئيس محمد أنور السادات »

لم يتصور أحد حجم
المعاناة التى كان يمر
بها أثناء اتخاذ القرار .
بل أنهم أكدوا أنه لن
يدخل أية حرب مع
إسرائيل

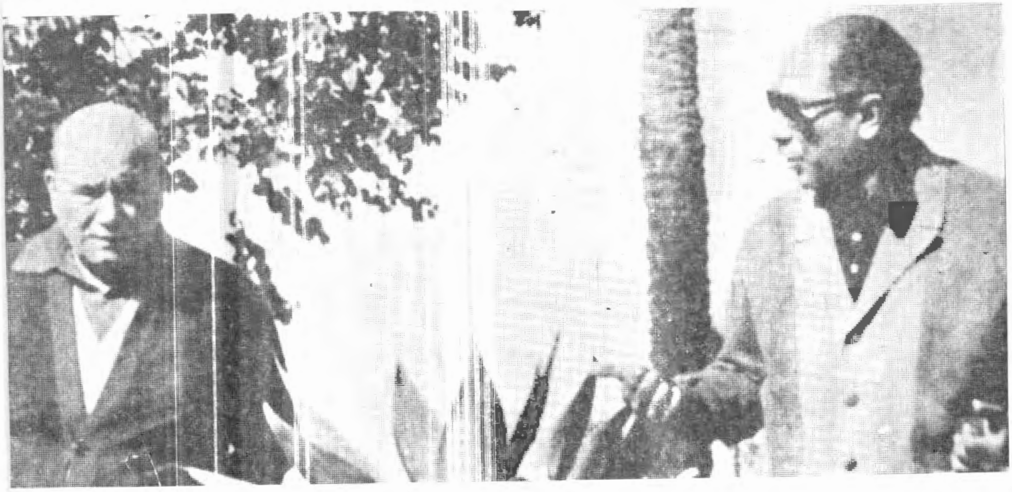

الرئيس السادات – فى حديقة منزله – مع أحمد إسماعيل على ،
أثناء تكليفه بمنصب وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة ،
تمهيداً للحرب

رسالة هامة من نيويورك من المستمعة العربية غادة أ . رشيد :

مع اندلاع شرارة الحرب ، وفقنى الله إلى أن أجد لنفسى دوراً (لا أزعم أنه يرقى إلى دور المقاتل الذى اقتحم أعتى المواقع . . وقدم أعظم ألوان التضحية والفداء) . . وقد تحدد دورى هذا بمجرد أن سارعت إلى إدارة الشئون المعنوية للقوات المسلحة ، ووضعت نفسى تحت تصرفها كمراسل حربى للإذاعة واستطعت أن أنقل للمستمعين صوراً حية من جبهة القتال من خلال برنامج « يوميات مراسل حربى » ثم أضفت إلى هذا البرنامج بعد فترة قصيرة برنامجى الثانى « صوت المعركة » وكانت وما زالت رسائل المستمعين تصل إلىّ تعليقاً على ما أقدمه فى (صوت المعركة) بالرغم من أن أصحاب هذه الرسائل لا تحركهم الرغبة فى إذاعة أسمائهم أو رسائلهم أو تعليقاتهم لأن طبيعة البرنامج لا تسمح بذلك ، ولعل هذا ما كان يجعل لهذه الرسائل قيمة ووزناً أكبر .

لكننى توقفت أمام رسالة وصلت إلىّ من المستمعة غادة أ . رشيد التى تعيش فى نيويورك . . فقد كان حجم الرسالة غير عادى . . ولحسن الحظ اتضح أن مضمونها أيضاً غير عادى .

لقد قالت السيدة غادة فى رسالتها الهامة : « إنها تعيش فى أمريكا منذ ثمانية أعوام وقد تجرعت مرارة نكسة ٦٧ . . وأحست بالمهانة والذل حتى إنها ظلت شهوراً بعدها لا تجرؤ على الخروج إلى الشارع ، حتى لا تلطم أسماعها تعليقات السخرية والشماتة . . ومع مرور الشهور والسنين سيطر عليها اليأس من أى حل عسكرى يعيد للإنسان العربى كرامته وأرضه فهى كلما قرأت صحيفة أو استمعت إلى إذاعة أو شاهدت تليفزيون لا تجد إلا ما يكرس هذا الإحساس اليائس بداخلها .

ظل هذا حالها (وحال العرب الذين يعيشون فى الخارج) ، إلى أن بدأت حرب أكتوبر . . وتوالت أخبارها بما تحمله من انتصارات للقوات العربية . . ومن خلال متابعة السيدة المستمعة لبرنامج « صوت المعركة » ، قررت أن تكتب إلى – بطريقة خاصة – فقد عادت إلى الصحف والمجلات الأمريكية التى صدرت قبل الحرب . وأقتطعت بعض صفحاتها ووضعتها فى رسالتها ودعتنى إلى قراءة هذه الصفحات لأرى كيف كان

العالم لا يتوقع أن يقوم العرب بقيادة مصر السادات بأى عمل عسكرى . . وكيف كانوا يسخرون تماماً من تصميمنا على استرداد الأرض المحتلة .

وكانت المقالات التى قرأتها – على الفور – تعطى بالفعل صورة قاتمة للوضع العربى المصرى بالذات . وما يهمنى هنا هو ذلك المقال الذى حاول فيه كاتبه أن يحلل شخصية الرئيس السادات . . والظروف التى تعيشها مصر .

وقد صدر المقال (بصورة كبيرة للرئيس السادات وقد جلس فى حديقة منزله وقد وضع على رأسه قبعة كبيرة ، وأخذ يداعب كلبه الخاص) وصورة أخرى على شاطئ البحر . . وبملابس السباحة . وعلق الكاتب على الصورتين بقوله إن هذا الرجل لا يمكن أن يصدر قراراً بالحرب . . وهو لا يعنيه سوى أن يستمتع بحياته وفترة رئاسته إلى أقصى حد . . ! ! ثم انطلق صاحب المقال فى إضافة استنتاجاته الأخرى التى تؤكد رأيه – وأضاف أن الوضع الداخلى فى مصر منهار . . ومتفسخ ، واستشهد بأحداث الطلبة ، وإحدى القصائد التى كتبها شاعر شاب . . معبراً فيها عن اليأس من المستقبل . . وعدم الثقة فى القيادة التى تتسم بالضعف والتردد !

وهكذا حلل الكاتب الأمريكى شخصية وموقف السادات . . وهكذا فعل غيره فى المقالات الأخرى التى تضمنتها رسالة المستمعة . . والطريف الذى لم تعلمه المستمعة حتى الآن . أن الصورة التى ألهمت ذلك الكاتب باستنتاجه القاطع – قد سربتها المخابرات المصرية عمداً إلى الخارج . . وابتلع الرجل وغيره الطعم الخبيث الذى كان جزءاً من خطة الخداع والتضليل التى أعدتها مصر أروع إعداد .

والأهم من ذلك أن الإسرائيليين أنفسهم وصلوا إلى قناعة كاملة بأن السادات ليس الرجل الذى يصدر قراراً بالحرب وأن الوضع العسكرى لقواته لا يشجع على ذلك .

وقد أعرب الإسرائيليون عن ذلك فى تصريحاتهم ،ومقالاتهم حتى إن رسام الكاريكاتير فى صحيفة هآرتس بتل أبيب ظل يسخر برسومه من صياح الرئيس المصرى وأحاديثه عن الإعداد للحرب والتصميم عليها ، كما أشرت من قبل .

بل إننى أتساءل : أى صبر يتحلى به هذا الرجل الذى يقرأ مثلاً فى جريدة الجارديان البريطانية (أعداد ٦، ٧، ٨ مارس سنة ١٩٧٣) مقالات لدافيد هيرست ، يقول فيها « إن السادات مهرج صغير يجب ألا ينظر أحد باعتبار إلى تصريحاته للحرب ضد إسرائيل » ؟ ! ! .

* * *

ترى لماذا آثرت أن أستهل هذا الفصل عن القرار بما جاء فى رسالة المستمعة من أمريكا وما قاله ورسمه الإسرائيليون وغيرهم عن شخصية الرئيس السادات ؟

لعلنى لست بحاجة إلى أن أقول إن تسجيل هذه النظرة لشخصية الرئيس السادات – قبل حرب أكتوبر – يشير إلى أمرين هامين .

أولاً : ليس من شك فى أن القدرة الفذة على إعطاء هذا الانطباع عن الرجل الذى سوف يتخذ القرار الخطير . . كانت عملا بالغ الخطورة والأهمية فى تحقيق عنصر المفاجأة .

ثانياً : أن يتحمل رئيس دولة وقائد أمة . . ألوان التجريح والاستهانة والسخرية من شخصه متذرعاً بالصّبر العظيم . . . من أجل الوصول إلى تحقيق هدف شعبه وأمته – بل أن يساعد هو ورجالهُ على تغذية هذه الحملة ضده – أمر يرتفع إلى مستوى القرار ذاته . . ومستوى البطولة فى تنفيذ القرار .

وقد عبر هو نفسه عن هذه الفترة فقال « أنا عانيت وشفت الأمرين لكن أحمد الله أنه ألهمنى الصمود والصلابة أمام المحن وأمام التحدى . . وأنا أعتقد أن هذه الصفات جزء من تكوين ابن القرية المصرية الأصيلة » .

* * *

السادات وسقنن رع – تاعا الثانى :

إذا كان الرئيس السادات قد تظاهر بهذه الصفات التى جعلت إسرائيل تطمئن تماماً إلى أنه (أضعف من أن يتخذ قراراً بالحرب . وبالتالى فإن شعبه مفكك وضعيف) ، فإنه هنا كان يقف على أرض صلبة من الأصالة والحضارة تمتد جذورها إلى سبعة آلاف عام بل إن هناك شبهاً كبيراً بين دوره هذا . . ودور قائد فرعونى تصدى للهكسوس الذين غزوا العالم العربى (١٥٩٠ ق . م .) وكان دور هذا القائد بداية لأندحار الهكسوس والقضاء عليهم فعندما بلغ الغرور بالملك الهكسوسى أبوفيس حد الأستهانة التامة بفرعون (سقنن رع – تاعا الثانى) أول ملوك طيبة (والد كامس وأحمس) وأرسل له رسولاً يطلب إليه أن يأمر بأن يهجر فرس البحر بحيرته التى فى ينبوع مدينة طيبة الجارى لأنه (أى فرس البحر) لا يسمح للنوم أن يغشاه (ملك الهكسوس) ليلاً أو نهاراً ، إذ أن أصواته مزعجة

فى أذنه ! ! استقبل (سقنن رع – تاعا الثانى) رسول ملك الهكسوس ، وتظاهر أمامه بالضعف والانهيار وقال له : « ارجع إلى الملك (أبو فيس) سيدك وأخبره بأن أى شيء يقوله سأفعله عندما تأتى إلى » . وعاد رسول ملك الهكسوس (أبو فيس) مسافراً إلى المكان الذى فيه سيده الملك ، وعندئذ أمر سقنن رع بإحضار ضباطه العظام وتناقش معهم فى الأمر . . وأكد لهم أنه مصمم على تخليص مصر من نير الحكم (الهكسوسى) .

وقد دلل ملك طيبة على أنه كان داهية بعيد النظر واسع الحيلة فقد كان يعلم أن المسافة بين طيبة و « أواريس » حيث يتمركز ملك الهكسوس حوالى ٥٠٠ ميل وبالتالى فإن الوقت الذى سيستغرقه الرسول فى الذهاب إليها ثم العودة إليه فى طيبة (حاملاً أوامر أبو فيس) سيكون كافياً لإعداد الأمر مع ضباطه العظام . وبالفعل ما إن عاد الرسول إليه حتى فاجأه بأن ظهر أمامه على حقيقته أسداً كاسراً وكأنه لم يكن الملك الضعيف المستعطف بالأمس فقط ، وعاد الرسول من طيبة ليقص على سيده هول ما رأى ، ولكنه قبل أن يصل إليه كان ملك طيبة يقود جنوده نحو الشمال ليصفى حسابه مع الهكسوس وكانت هذه المعركة بداية المعارك التى أنهت الغزو الهكسوسى لمصر وللمنطقة العربية (١).

هكذا تشابه دور الحاكمين المصريين برغم آلاف السنين التى فصلت بين عهديهما وهكذا كان السادات تجسيداً للأصالة والعراقة المصرية .

هل تريدون الذل والعار؟ :

فى أول خطاب له أمام الجماهير – بعد توليه رئاسة الجمهورية – وكان ذلك فى مدينة طنطا – خاطب الرئيس السادات الجموع المحتشدة . . متسائلاً :

« هل تريدون الذل والعار؟ أوتريدون الحرب ؟ »

وجاء رد الجماهير مدوياً . . ملتهباً . . الحرب . . الحرب يا سادات »

كان السؤال – للباحث المدقق – إشارة واضحة إلى رؤية السادات لقضية الحرب والتحرير . . فالبديل للحرب . . هو الذل والعار . . وإن كان هناك شخص واحد فى هذا العالم يقبل الذل والعار فالمؤكد أنه ليس الرجل الذى حمل حياته على كفيه . . وقاوم الاستعمار وتحدى القصر الملكى فتعرض للسجن والتشريد ، ثم شارك بعد ذلك

---

(١) من وثيقة « ساليه » وهى وثيقة من وثائق تاريخ مصر القديمة – ومن كتاب (مصر القديمة) تأليف سليم حسن ، وكتاب (تاريخ الثورات المصرية) تأليف عبد الواحد إسماعيل القاضى .

فى قيادة واحدة من أكبر الثورات فى هذا العصر . .

لكن الكثيرين لم يجهدوا أنفسهم فى الوقوف أمام هذا البعد الهام فى شخصية السادات . .

أما هو فقد نذر نفسه للقضية . . وبدأ خطواته التى كانت ضرورية للتمهيد للقرار . . . فاستعاد للقانون سيادته وأعاد الحريات للشعب (إدراكاً منه لأن الإنسان الحر الإرادة هو وحده القادر على تحرير أرضه) . ثم دخل بعد ذلك فى معركة تصفية مراكز القوى ، وبالرغم من أنه كان يواجه خصوماً يتملكون كل أسلحة وإمكانيات الفوز (كان من بينهم وزير الحربية وقائد القوات المسلحة) ووزير الداخلية ووزير الإعلام ومدير المخابرات وقادة التنظيم الطليعى) ، بالرغم من ذلك فإنه بروح وصلابة المقاتل ، وذكاء وقدرة المناور ، أنهى المعركة فى ساعات فسقطت مراكز القوى ، والتفت الجماهير حوله على الفور لأنها رأت فيما حدث مؤشراً لا يخطئ إلى مستقبل أفضل .

والواقع أن هذه الثورة التصحيحية التى قادها السادات فى ١٥ مايو سنة ١٩٧١ إلى جانب نتائجها الحاسمة فى إعادة بناء الدولة على أسس متينة – بدونها لا يمكن خوض حرب ضارية – كانت بالتأكيد موقفاً يجب ألا يغفله الخبراء والكتاب فى تقييمهم لشخصيته بدلاً من أن يقولوا إن ما حدث مجرد صراع على السلطة وأن سقوط على صبرى ورجاله معناه سقوط الصقور ليبقى جناح الحمائم ، ولكنه على أية حال أراد – وساعدته الظروف فى تحقيق إرادته بأن يبدو أمام العدو والصديق فى صورة العاجز أو العازف عن اتخاذ قرار خطير كقرار الحرب . وكان هذا كما قلت مدخلاً هاماً إلى النصر .

هل يتحد العرب ؟

بعد إعادة ترتيب « البيت » – انطلق السادات إلى تهيئة بقية الظروف الملائمة للحرب فكانت تحركاته الواعية المكثفة بين الدول العربية ، لا تعوقه حساسيات ولا يعبأ بحملات الهجوم التى يتعرض لها من هنا أو هناك .

وكانت بداية نجاحه فى هذه التحركات تتمثل فى إعلانه أكثر من مرة أنه لا يسعى لزعامة أو يشغله شيء سوى أن تضع الأمة العربية إمكانياتها الهائلة لخدمة المعركة فلا تتعطل هذه الإمكانيات نتيجة التفتت والتفسخ والإغراق فى الصراعات ما بين نظام رجعى ونظام تقدمى ، أو ما بين حزب حاكم هنا . . وحزب حاكم هناك .

وقد عبر هو عن منهجه فى حديث له أمام مجلس الشعب حين قال :

« **إن موقفنا من وحدة العمل العربى هو أننا نرحب بكل تعاون وتنسيق بين القوى العربية على امتداد مناطقها الجغرافية ، ومع تباين أنظمتها الإجتماعية ففى لحظات المصير العربى ، ينبغى أن نرتفع فوق كل الصراعات ، وفوق كل الخلافات لنذكر الخطر الواحد الذى يتهددنا جميعاً بغير تفرقة أو تمييز** » .

وقد أكد السادات على أنه لا يسعى إلى الزعامة – قولاً وعملاً – فأشرك كل القادة العرب فى التفكير معه . . طرح عليهم تصوراته المختلفة طالباً المشورة فى تقرير الأمور ، بل إنه لم يفعل ذلك وهو جالس فى مكتبه بالقاهرة بل تحرك بنفسه والتقى بهم فى دولهم حتى إنه جاء وقت كان فيه المتابع لرحلاته هو أو معاونوه يكاد يلهث وراءهم من عاصمة عربية إلى أخرى .

هذا ومن تحصيل الحاصل أن نقول إن الوحدة العربية التى كشفت عن نفسها قوية وهائلة فى حرب أكتوبر ، كانت واحدة من أعظم إنجازات السادات فى المجال السياسى ، بل إن النظرة الموضوعية تضع هذا الإنجاز السياسى الفذ . . فى مستوى الإنجاز العسكرى ، وحين ألتقى الإنجازان العظيمان . . أحدثا ما يشبه الصدمة الكهربية للعالم فأفاق على الحقيقة التى كانت قد توارت منذ فترة ليست بالقصيرة وهى أن الأمة العربية لديها الإمكانيات البشرية والمادية التى تجعلها القوة السادسة فى المجتمع الدولى . . .

وقد تحدث كتاب عالميون – بإفاضة واسعة – عن الوحدة العربية فى حرب أكتوبر ودور السادات فى تحقيقها ، وكيف أضاف الانتصار العسكرى مزيداً من عوامل بروزها وفعاليتها .

ومن هؤلاء الكتاب الصحفى البريطانى جون بلوك الذى يقول فى كتابه الضخم (الاعداد للحرب !)

« لقد كان خطأ يستعصى على الفهم أن العرب ظلوا سنوات طويلة يستنفدون معظم وقتهم فى الصراع والخلاف بين بعضهم دون أن يوجهوا هذه الطاقة إلى عدوهم » .

ثم ينتقل (جون بلوك) بعد ذلك إلى أستعراض مظاهر وآثار اتحاد العرب فى حرب أكتوبر . . ويقول عنه :

« إن الاستجابة العربية الجماعية لم تأت من قبيل الصدفة ، ولكنها كانت ثمرة لجهود السادات على مدى عدة أعوام » . .

. مع المغفور له جلالة الملك فيصل . ملك السعودية

ومع الرئيس الجزائرى بومدين

مع ياسر عرفات . . وخطوة نحو توحيد العرب للمعركة

توالت لقاءات السادات مع جميع القادة العرب

ويتناول الكاتب الكبير تفاصيل تحركات السادات . . ونحن إن كنا لن نسترجع معه هذه التفاصيل فإننا نتوقف أمام رؤيته لأهم جوانبها (دون أن يعنى ذلك تسليماً كاملاً بوجهة نظره) يقول جون بلوك . . « إن أعظم النتائج أهمية لتحركات السادات فى المجال العربى التى اتسمت بالصبر الشديد ، هى أنه استمال إلى جانبه اثنين من أبرز القادة العرب . . يمثل كل منهما إحدى الكتلتين الأساسيتين فى العالم العربى ، فالملك فيصل الذى كان القائد الذى لا ينازع لمجموعة الدول « المحافظة » كان قادراً على أن يضمن وقوف جميع الدول البترولية الغنية خلف مصر .

ومن جهة أخرى كان « بومدين » برصيده الثورى . . هو الرجل الذى يستطيع أن يضمن مشاركة الدول ذات الاتجاه التقدمى . . بألا تقف ضد هذا الأسلوب فى توحيد العمل العربى ، بل تقبل الدول البترولية من هذه الكتلة أن تلتزم بالخطوط التى تضعها المملكة العربية السعودية . حين تأزف ساعة المعركة ، ويتحتم استخدام سلاح البترول .

ولم تكن هذه الجهود الهائلة لتتم فى ظروف مواتية تماماً ، بل إن الصعاب كانت كثيرة ، وما يتجدد منها كان يهدد ما تم إنجازه بالفعل . ولذلك فإن الشهور الأولى من عام ١٩٧٣ شهدت نشاطاً أكثر تكثيفاً . ويقول (جان كلود جيبوه) عن هذه الفترة : « برزت مع مطلع عام ١٩٧٣ عقبة كأداء كان يتعين التغلب عليها ، وهى ظهور انقسامات داخلية فى العالم العربى وحتى يمكن النيل من إسرائيل كان يتعين على العرب أن يهاجموا وفى الوقت نفسه على جبهتين إن لم يكن على ثلاث غير أن سوريا المتشددة ما كانت لتقبل خطة للحرب وهدفاً لها . . سوى ما تتصوره هى ، وكان الملك حسين يملك أطول حدود مشتركة مع إسرائيل ولكنه أصبح – بعد صدامه مع المنظمات الفلسطينية ، مرفوضاً من العالم العربى ، بما فى ذلك مصر وسوريا اللتان قطعتا علاقاتهما الدبلوماسية معه . كما أنه فى الوقت نفسه لم يكن مستعداً لخوض غمار مخاطرة عسكرية جديدة بعد ١٩٦٧ .

ولكن السادات أخذ بتؤدة وصبر يمد الجسور بين المتطرفين فى دمشق وبين الرجل المنادى بالتهدئة فى عمان لقد كان السادات يلعب دور الحكيم المتزن .

خطوة أخرى إلى الأمام جدًّا :

فى بداية صيف ١٩٧٣ واصل السادات بدأب ومثابرة تحركه نحو الهدف ، وفى يوم ١٢ من يونية التقى بالرئيس حافظ الأسد ، واتفقا على خطة الحرب وهدفها ، وبعد ذلك نجحت جهوده فى استعادة ملك الأردن إلى الصف العربى – ولو بالحد الأدنى فى المشاركة – (وقد ساعد فى ذلك الملك فيصل) ، وشهد شهر أغسطس عدة لقاءات بين المبعوثين المصريين والسوريين والأردنيين ، وتمت خطوات حاسمة على طريق إزالة الرواسب القديمة ، بتوقف الهجوم الإعلامى – الفلسطينى السورى – على الأردن ، وأصدر الملك حسين بدوره قراراً بالعفو الشامل عن ٧٤٥ فدائياً فلسطينياً كانوا معتقلين فى سجون عمان منذ سبتمبر ١٩٧٠ . . وهكذا – وكما يقول مؤلف الأيام المؤلمة فى إسرائيل – أصبح الطريق منذ ١٢ سبتمبر ١٩٧٣ ممهداً أمام الرئيس السادات .

الضربة التى بدت وكأنها « طائشة » :

فى تهيئته الدءوب لكل الظروف الملائمة لاتخاذ القرار الكبير وتنفيذه أصدر الرئيس السادات قراراً فى ١٧ يولية ١٩٧٢ . . . تلقاه العالم أجمع والدهشة تسيطر عليه ! وتوالت التحليلات . . وتدفقت التعليقات . وكان الخيط الذى يربط بينها جميعاً هو سوء الفهم لشخصية السادات . . فقالت عواصم كثيرة « إنها ضربة طائشة ! ! وقال محللون وخبراء كثيرون « ألم نقل لكم إنه لن يحارب ؟ ما معنى هذه الخطوة إذن ؟ « وقال وزير الدفاع الإسرائيلى ، والفرحة تتراقص على وجهه : ليس هناك من هو أسعد منى فى إسرائيل كلها الآن » .

ولكن ما هذه الضربة التى طاشت كل تفسيراتها وتحليلاتها ؟

لكى تكون الإجابة شاملة ، نرجع مع الأحداث إلى فترة سابقة لهذا القرار الضربة « فبعد أسبوعين من وفاة جمال عبد الناصر ، وتولى أنور السادات لرئاسة الجمهورية بعد استفتاء ١٦ أكتوبر ١٩٧٠ كان عليه أن يواجه أكثر التحديات سخفاً (على حد تعبير كاتب فرنسى كبير) . كان عليه أن يؤكد حتمية المعركة وكان هو أول من يدرك أن أستكمال بناء القوات المسلحة يحتاج إلى المزيد من الأسلحة المناسبة ومنذ عام ١٩٧١

سادت لهجة التهكم حول وعود السادات بالحرب ، وارتفعت هذه اللهجة وزادت صخبا وعنفاً بعد خطابه فى ٢٠ نوفمبر من هذا العام حين أعلن فى ثالث أيام عيد الفطر « إن ساعة القتال قد حانت لأنه لم يعد هناك أمل فى إمكان إحراز أى حل سلمى ، إن قرارنا هو القتال ، وإلى أن يصدر الأمر بالعبور أطالبكم يا رجال القوات المسلحة بأن تجروا تدريبات مكثفة وقاسية .

وأن تتذكروا أن العبور سيكون دائماً فى أتجاه واحد وسنلتقى فى المرة القادمة فى سيناء بمشيئة الله » .

كان السادات يبنى حساباته على وصول الأسلحة المطلوبة من الاتحاد السوفييتى لكى يكتمل الاستعداد لدخول الحرب ، لكن عام ١٩٧١ مضى ، دون أن يتحقق فيه أى حسم ! ! وأقبل عام ١٩٧٢ وبدأت شهوره تتوالى دون أن يظهر فى الأفق ما يوحى بوصول الأسلحة الروسية . وبدأ الأمل يتلاشى . . فمع سياسة الوفاق الأمريكية السوفييتية أصبح واضحاً أن حالة اللا سلم واللا حرب تروق الدولتين الكبيرتين « كما قال هو فيما بعد » .

وقبل أن نصل إلى ١٧ يوليو ١٩٧٢ موعد الضربة التى طاشت فى تفسيرها كل التحليلات والدراسات . . نستعيد بعض المواقف التى توضح كيف مرعام الحسم دون حسم ، وكيف جاء العام الذى يليه دون أن يحمل فى طياته ما يحقّق إمكانية الحسم .

فى مايو ١٩٧١ تمت إقالة على صبرى . . واعتبر السوفييت هذه الخطوة عملاً غير ودى تصوراً أن السادات أقال رجلهم فى مصر . . وهكذا بدأ التوتر الشديد فى العلاقات ، الذى تصاعد بتصفية مجموعة على صبرى كلها فى نفس الشهر الذى حضر الرئيس السوفييتى بودجورنى فى أواخره وطلب عقد معاهدة بين مصر والأتحاد السوفييتى وألح فى طلبه مؤكداً أنها تضع العلاقات بين البلدين على أساس واضح سليم وقال له السادات إن المشكلة فى العلاقات بين البلدين هى « الثقة » ولذلك فإنه قد قبل توقيع المعاهدة لإزالة كل الشكوك التى تهز هذه الثقة – وفى اللقاء نفسه أثار مع بودجورنى موضوع قاذفات القنابل التى سبق أن طلبها ، وقال له الرئيس بودجورنى وهو يحرك أصابعه : « عد على أصابعك أربعة أيام ، وفى اليوم الخامس ستصل الطائرات وسيتدرب عليها الطيارون المصريون وبكل شروطك »

ولم تمر أيام فقط بل مرت ستة أشهر دون أن يصل شىء ! وسافر السادات إلى موسكو ،

وثارت مناقشات واسعة أنتهت بأن قال برجنيف «أسمع يا سيدى إن الأسلحة التى تتضمنها قائمتكم وقيمتها ٥٠٠ مليون روبل سوف تكون عندكم قبل نهاية العام (١٩٧١) » .

وأعاد السادات حديثه عن أهمية وصول هذه الأسلحة . . حتى يتم الحسم فعلاً فى هذا العام ، وأكد للمسئولين السوفييت على أن قرار الحرب هو قرار مصرى ، وأن مصر لا تريد جندياً سوفيتياً واحداً يحارب من أجلها ، وأنها لا تسعى إلى مواجهة بين روسيا وأمريكا .

وعاد السادات إلى مصر . . منتظراً وصول الأسلحة المتفق عليها لكن الشهور المتبقية من العام مرت كسابقاتها ، ووقعت حرب الهند وباكستان فى ٩ ديسمبر من العام نفسه ، وقال المسئولون السوفييت إنهم مشغولون حينما طلب السادات أن يسافر إليهم ، وحددوا له الرابع من فبراير من عام ١٩٧٢ موعداً للزيارة . وكان ذلك معناه إلغاء عام الحسم !

وتشبث أنور السادات بأهداب الصبر ، وتحمل ردود الفعل الساخرة داخلياً وخارجياً ، ثم سافر إلى موسكو فى الموعد الذى حددته القيادة السوفييتية ، وسافر مرة أخرى فى أبريل . . دون أن يحدث أى تطور فى الموقف السوفييتى .

وتم بعد ذلك بأيام لقاء نيكسون بالقادة السوفييت ، وأعلن عن سياسة الاسترخاء العسكرى فى منطقة الشرق الأوسط ، وطلب السادات تحليلاً من الزعماء السوفييت بعد زيارة نيكسون عن النتائج المتوقعة ، وأعرب عن إحساسه بخطورة مرور الوقت .

وبعد ١٥ مايو وصل التحليل السوفييتى ، وكان تحليلاً نظرياً غير محدد . ورد الرئيس السادات على الزعيم برجنيف برسالة حدد فيها خطة عمل تعبر عن رأى مصر فى سبع نقاط محددة ، وطلب الرئيس رداً سريعاً لأن الوقت يجرى .

ومرت ثلاثة أسابيع ولم يرد الزعماء السوفييت . .

واستدعى الدكتور عزيز صدقى رئيس الوزراء وقتئذ السفير السوفييتى وأعرب له عن ضيق مصر بالصمت السوفيتى واعتبارها لعدم الرد على طلبها إهانة غير مقبولة .

وجاء الرد – مع ذلك – فى ٨ يوليو – أى بعد شهر ونصف من رسالة السادات وطلب السفير السوفييتى مقابلة الرئيس وتم ذلك فى يوم السبت (واستمع الرئيس السادات إلى الرد السوفييتى (صفحتان ونصف صفحة) ، وكانت الصفحة الأولى شرحاً للجهود التى بذلها الزعماء السوفييت لإقناع نيكسون بأن يتضمن بيان موسكو إشارة إلى قرار مجلس الأمن ومهمة يارنج ، وأن الحكومة الأمريكية ستكون بعد انتخابات

الرياسة فى وضع تقدر فيه مصالحها . ثم تابعت الصفحة الثانية من الرسالة تفنيداً لما يقال من أن الأتحاد السوفييتى يرى فى مصلحته بقاء حالة اللاحرب واللاسلم وأن من ينشرون هذه الدعوة هم أعداء الأتحاد السوفييتى . وتضمنت هذه الصفحة سطوراً عن أن المعركة تحتاج إلى إعداد شعبي ونفسى وإلى تهيئة الروح المعنوية للحرب وإعداد الدولة لها .

ولم تشر الرسالة إلى موضوع الأسلحة المطلوبة إلا فى السطر الأخير منها . . . وكانت الإشارة كالتالى « بالنسبة لمطالبكم من الأسلحة فهى موضع دراسة »

هكذا كانت الرسالة التى بعث بها القادة السوفييت ! ! وقد أستمع إليها الرئيس السادات وهو يبذل جهداً كبيراً فى السيطرة على أعصابه بصبر بالغ حتى أنتهى من سماعها ، ثم أسند يده على عصاه ، ونظر إلى السفير السوفييتى بغضب وسأله :

– هل أنتهت الرسالة ؟

وأجاب السفير : نعم

فقال الرئيس : هل هذه هى كل الرسالة ؟

ورد السفير: نعم

فقال السادات : هذه الرسالة مرفوضة شكلاً وموضوعاً ، وأنا لا أقبل أن يجىء لى رد بعد شهر ونصف وبهذا المضمون وكفى . . إننى تجملت هذا الأسلوب عاماً ونصف عام .

لم ينفذ برجنيف وعده لى فى مارس ١٩٧١

لم ينفذ برجنيف وعده لى فى مايو ١٩٧١

لم ينفذ برجنيف وعده الثالث فى أكتوبر ١٩٧١

وغضبت جماهير الشعب المصرى وتحملت ، واتهمتكم الجماهير ، ودافعت أنا عن مواقفكم لأننى حريص على أستمرار الصداقة والتعاون ، ولكننى أطلب منك الآن أن تبلغ الزعماء السوفييت أننى لن أتحرك على مزاج الاتحاد السوفييتى . أنتم غير جادين معنا . . لقد اتفقتم مع الأمريكان على تجميد الموقف وعدم قيام المعركة ولكننى لن أقبل وصاية منكم ولا من أمريكا » .

. . . إذن لقد وصلت العلاقة مع الأتحاد السوفيتى إلى موقف يحتاج إلى مراجعة وهكذا تأكد للسادات أن قراره بالحرب يحتاج إلى تغيير فى الظروف القائمة المتصلة

بهذه العلاقة ثم إنه ربط هذا الموقف القديم الجديد . . بنظرته إلى وجود قوات سوفيتية (تتمثل فى الـ ٢٠ ألف خبير ومستشارسوفييتى) وكيف أن هذا الوجود سيكون عائقاً فعلياً عن المعركة وخاصة أن وسائل الإعلام الإسرائيلية كانت تركز على أن أية حرب قادمة معناها اشتراك جيش سوفييتى فيها .

وكان لابد من قرار . . وهذا ما تم فى ٨ يوليو ١٩٧٢ ، حين أملى السادات على مستشاره حافظ إسماعيل التعليمات التالية :

ابتداء من نفس الليلة (٨ يوليو ١٩٧٢) تعتبر كل طرق التعامل مع الاتحاد السوفييتى موقوفة :

١ – تنهى خدمات الخبراء السوفيت فى مصر.

٢ – المبانى العسكرية التى يعمل فيها هؤلاء الخبراء تصبح ملكاً لمصر .

٣ – الأسلحة الموجودة بهذه المواقع إما أن تباع لمصر صباح ١٧ يوليو أو تسحب ابتداء من هذا التاريخ الذى يعلن فيه القرار.

هكذا استمع العالم فى ١٧ يوليو ١٩٧٢ إلى قرار إنهاء وجود الخبراء السوفييت فى مصر . . وكانت ضربة مفاجئة للتفكير العادى الذى يتابع الموقف فى الشرق الأوسط . وطاشت كما قلت – التفسيرات والتحليلات .

وقيل إنها ضربة طائشة !

وأعرب موشيه ديان عن سعادته البالغة بنتائجها التى ستكون فى صالح إسرائيل تماماً . . وقال البعض أن الرجل أعرب عن نواياه الحقيقية فأثبتت هذه الخطوة التى قام بها أنه لن يحارب . فكيف له ذلك وقد جرد جيشه من مساعدة الخبراء السوفييت كما حرمه من مصدره الرئيسى للسلاح ؟

وقال البعض إنه يساوم أمريكا ويرتمى فى أحضانها بحثاً عن حل سلمى وقد قدم لها ما تريد (من إنهاء للوجود السوفييتى) على طبق من فضة . . وقال كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية إنه يتعجب من شخصية أنور السادات الذى لم يساومه على قرار إخراج الخبراء السوفييت قبل أن يتخذه !

وقال بعضهم الآخر إن القرار جاء نتيجة لرفض الاتحاد السوفييتى لطلب مصر بأن تحارب قوات سوفييتية بالنيابة عنها . .

ولعل الزاوية التى دارت حولها معظم التحليلات والتعليقات . . هى التأكيد على

أن مصر أصبحت بهذا القرار ضعيفة منهارة .

فمثـــلاً قال جيم هوجلاند مراسل الواشنطن بوست الأمريكيـــة وكان ذلك فى ٢٦ / ٧ / ٧٣ :

« علم فى القاهرة أنه فى نوفمبر ١٩٧٢ اقتربت طائرتان إسرائيليتان على مسافة ٥٠ كيلو متراً من القاهرة ذاتها دون أن ينجح المصريون فى إطلاق الصواريخ عليهما . وقد تم إطلاق صاروخ واحد وكان ذلك بعد أن أستدارت الطـائرتان الإسرائيليتان فى اتجاه سيناء . . لقد أصبحت الكفاءة القتالية للمصريين منذ رحيل السوفييت سيئة للغاية ، مما يجعل تجدد الحـــرب بمثابة انتحار للجيش المصرى ! ! ؟

وقال مراسل مجلة « الإكسبريس » الفرنسية – فى أبريل ١٩٧٣ « إن إسرائيل تختبر بصفة منتظمة النظام الدفاعى الجوى ، وتدل النتائج التى توصل إليها الخبراء العسكريون أن مصر أصبحت تشبه كيساً فارغاً ، فأجهزة الرادار فيها شبه عمياء ، كما تتسم ردود فعل أجهزة الدفاع الجوى عندها بالبطء والخمول » .

وبالنظرة نفسها . . قال مراسل الفيجارو الفرنسية (لا يترى وجاردان) فى ٨ فبراير ١٩٧٣ :

« إن الجيش المصرى لم يكن جريحاً فى أى وقت مثلما هو الآن . . فلم يعد لديه مستشارون سوفييت أو روح للقتال ! !

ويأتى بعد ذلك محرر مجلة الطيران وأبحاث الفضاء الأسبوعية الأمريكية فينهى كل جدل ، أومناقشة لنتائج قرار السادات فيقول : « لقد أغلقت مصر جميع قواعد الصواريخ الموجودة بها ، وذلك نتيجة لرحيل المستشارين السوفييت منها ، وكذلك بسبب نقص الخبرة المصرية اللازمة لتشغيلها » .

ثم سؤال وجواب :

وجه مذيع إسرائيلى سؤالاً لأهارون ياريف وكان رئيساً للمخابرات الإسرائيلية فى ذلك الوقت . . وكانت توصف قوته كرجل مخابرات « بأنه كان يخرج الأرانب من تحت قبعته » . . كان السؤال : ما آثار رحيل الخبراء السوفييت من مصر . .

وأجاب : إن رحيلهم سوف يضعف مصر عسكريًّا وخاصة فى مجال الدفاع الجوى . . ولن يستطيعوا دخول حرب قريبة . .

هكذا تدفقت التحليلات والدراسات . . ولكن أحداً لم يتوقف بالدراسة العميقة أمام مغزى القرار ، ويربطه بشخصية السادات نفسه . لم يذكر أحد أن هذا القرار يعنى أن السادات يريد أن يدخل الحرب دون أن تكون يداه مغلولتين وأنه يوفر الظروف الملائمة لتحرير إرادة القرار التاريخى قرار الحرب والتهيئة له . لم يتنبه أحد إلى أن السادات أراد بهذا القرار أيضاً أن يجعل القادة السوفييت يعيدون النظر فى أسلوب تعاملهم معه ، بما يضع العلاقة المصرية السوفييتية فى وضعها الصحيح . . وقد نجح هذا الهدف بالفعل ، وإن كانت المحاولة قد تعثرت بعد ذلك إلا أن الحد الأدنى منها قد تحقق فعلاً .

ولم يتنبه أكثر المحللين ذكاء إلى أن هذا القرار الخطير يحمل فى طياته معنى استعداد مصر لدخول الحرب دون أن يكون على أرضها خبير روسى واحد ، حتى لا يقال إن هناك من يحارب للمصريين وخاصة أن قادة إسرائيل وعلى رأسهم الجنرال موشيه ديان رددوا مثل هذه الادعاءات أثناء حرب الاستنزاف فكانوا يبررون سقوط طائراتهم الفانتوم أوتدمير المدفعية المصرية لمواقعهم وتجمعات مدرعاتهم بأن الخبراء الروس هم الذين يقومون بهذه الأعمال لأن المصريين لا يمكن أن يفهموا أو يستوعبوا الأسلحة الحديثة والتخطيط العلمى !

وأيضاً لم يتنبه أكثر المحللين عمقاً وذكاء إلى أن هذا القرار كان تعمية استراتيجية بعيدة المدى . فإذا كان الانطباع الأول يقول إن مصر بالاستغناء عن الخبراء السوفييت – قد فقدت السند الرئيسى لقواتها المسلحة وأنها بذلك أصبحت أضعف من أن تفكر مجرد التفكير فى الحرب – إذا كان هذا هو الانطباع الأول ، فإن المحلل الذكى ما كان يجب أن يتوقف أمامه ويظل محصوراً داخل دائرته ، فالبديهى أن رئيس دولة فى موقف خطير لا يقبل بأن يجرد نفسه من سلاح ما قبل أن يكون واثقاً من قوته واستعداده ! !

وخاض جولة أخرى من أجل القرار الأكبر :

يحمل السادات قدره على كتفيه ، ويتحرك فى مختلف الاتجاهات التى تقود إلى الطريق الملائم للقرار الأكبر « قرار الحرب » – فجنباً إلى جنب مع جهوده لتجميع الرأى والفعل العربى ، ومع تحرير الإرادة المصرية بما فى ذلك من لفت نظر القيادة السوفييتية إلى ضرورة تعديل أسلوب تعاملها مع مصر . . . ومع المحاولات المضنية لتوفير العتاد والسلاح من مصادر شرقية وغربية – جنباً إلى جنب مع ذلك كله كان

على السادات أن يواجه موقفاً جديداً له جذوره القديمة .

بعد أن تمت عملية إنهاء مهمة الخبراء السوفييت فى يوليو ١٩٧٢ ، استدعى الرئيس السادات الفريق أول محمد صادق (وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة) إلى الاجتماع به فى استراحته بالمعمورة فى منتصف أغسطس . . وفى هذا الاجتماع ، وضع الرئيس أمام القائد العام تصوره للموقف فى ضوء الظروف القائمة وهى :

١ – تجمد العلاقة المصرية مع الاتحاد السوفييتى فى أعقاب إنهاء مهمة المستشارين السوفييت .

٢ – انشغال الولايات المتحدة فى المعركة الانتخابية التى سيتم حسمها فى ٧ نوفمبر من ذلك العام . وبالتالى عدم قدرة الرئيس الأمريكى (نيكسون) على اتخاذ أى خطوة فيما يتعلق بتحريك القضية العربية تجاه السلام

٣ – مرحلة السكون التى أحاطت بالقضية ذاتها .

وفى ضوء هذا التحليل انتهى الرئيس السادات إلى تحديد استراتيجية جديدة تقوم على أساس استثمار الوقت الباقى من أغسطس إلى منتصف نوفمبر – بعد حسم المعركة الانتخابية فى أمريكا لإعداد القوات المسلحة لكسر وقف إطلاق النار ، وبالتالى كسر الجمود الذى أحاط القضية . . وحتى يتحقق هذا أمر الرئيس السادات الفريق صادق بأن يستدعى فوراً المجلس الأعلى للقوات المسلحة ، وأن يبلغهم رسالة القائد الأعلى ، وأن يبدأ معهم على الفور فى إعداد خطة وضع جميع القوات فى أعلى مراحل الاستعداد لشن هجوم شامل (ويكون هذا الاستعداد مكتملاً اعتبـاراً من ١٥ نوفمبر ١٩٧٢) .

وبعد يومين من هذا الاجتماع عاد الفريق صادق إلى الرئيس السادات وأبلغه أنه جمع المجلس الأعلى للقوات المسلحة وأبلغ أعضاءه رسالة وأمر القائد الأعلى ، وأنهم من فرط حماسهم قد طلبوا إلى صادق أن ينقل إلى الرئيس أن أوامره سوف تكون معدة للتنفيذ اعتباراً من أول نوفمبر وليس من ١٥ نوفمبر كما تضمنت رسالته .

واعترض السادات على هذا التحديد خشية أن يكون الحماس سبباً فى التسرع بما يحتويه من أخطار ، وطلب إلى صادق أن يعود إليهم ليفهمهم أن تحديد « ١٥ نوفمبر » مرتبط باستراتيجية وحسابات واضحة ، ومنها مثلاً أن الرئيس الأمريكى نيكسون سيعاد انتخابه فى ٧ نوفمبر ، وهو يريد أن يترك له فرصة ترتيب الأمور ومواجهة الأوضاع

العالمية المتغيرة ، ومن ثم كان تحديد يوم « ١٥ نوفمبر » لا لكى يبدأ المعركة الشاملة فى ذلك التاريخ ، وإنما لتكون القوات المسلحة كلها فى وضع استعداد كامل لتحريك القضية حين يقتضى الأمر .

وكان معنى استراتيجية السادات بالنسبة للقائد العام للقوات المسلحة هو انتقال القوات من الوضع الدفاعى الذى كانت فيه – أوالمفروض أن تكون فيه – حتى ذلك الوقت ، إلى وضع هجومى ، تكون قادرة على تحقيقه اعتباراً من منتصف نوفمبر ، وبحيث يترك للرئيس السادات باعتباره القائد الأعلى للقوات المسلحة . . اختيار الخطة التى سيتم تنفيذها من بين الخطط البديلة التى سيضعها صادق مع المجلس الأعلى للقوات المسلحة ، وأيضاً أختيار موعد تنفيذه المعركة .

. . التصرفات الغريبة ، وتزايد الشكوك :

فى أكثر من لقاء تم بين الرئيس السادات بعد ذلك وبين الفريق صادق ، كان سؤال الرئيس لصادق عن الخطط التى طلب إعدادها ، ولاحظ الرئيس أن وزير الحربية يتهرب باستمرار من عرض هذه الخطط ، فتزاحمت الشكوك فى نفسه ، وخاصة أنه كان يصله أولاً بأول ما يلقيه الفريق صادق من خطب فى القوات المسلحة ، وكان قد بدأ يتابع تصرفات الذين اختارهم صادق أعواناً له .

وكقائد أعلى للقوات المسلحة ، وكعادته فى حسم الأمور ، قرر الرئيس السادات أن يضع حدًّا لمحاولات صادق فى التهرب من عرض خطة الهجوم ، وخاصة أن الوقت الذى حدده لإنهاء هذه الخطة قد أوشك على الاقتراب ، ومن ثم قرر الرئيس دعوة المجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٧٢ ليطمئن معهم على التجهيزات التى تمت من أجل المعركة . .

. . وتوالت المفاجآت المذهلة ! !

عقد الرئيس السادات الاجتماع الهام وهو مطمئن إلى أن أعضاء المجلس الأعلى – وهم القادة الذين سيشاركون مسئولية الحرب قد أوشكوا على الانتهاء من تنفيذ أوامره ، ووضع الخطط الكفيلة بأن تكون القوات المسلحة جميعها – جوية وبحرية وبرية – جاهزة للهجوم اعتباراً من ١٥ نوفمبر – وكان هدف الرئيس أن يطمئن على مراجعة هذه

الخطط معهم ، بالإضافة إلى نتيجة فرعيـة تتمثل فى إزالة الشـكوك التى بـدأت تترسب لديه من تصرفات وزير الحربية . وحتى تكون الصورة واضحة تماماً أمام أعضاء المجلس فلقد بدأ الرئيس السادات اجتماعه معهم بسرد كل التفاصيل الخاصة بجهوده المضنية مع الاتحاد السوفييتى من أجل السلاح ، بما شملته هذه الجهود من أربع زيارات إلى موسكو ، ووعود متكررة ، ثم تطورات الموقف ، وإنهاء مهمة الخبراء السوفييت ، بحيث يبدأ من هذا التاريخ اعتماد القوات المسلحة على خبراتها وحدها ، والتجـهيز للمعركة بما لديها من السلاح .

وخلص الرئيس السادات من هذا السرد إلى إعادة التصور الذى سبق أن طرحه على الفريق صادق فى اجتماعه به فى منتصف أغسطس والذى انتهى بتحديد المهام الجديدة التى كان على أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة تنفيذها ، وفى ضوء الرسالة التى أرسلها إليهم مع القائد العام للقوات المسلحة الفريق محمد صادق .

المفاجأة الأولى :

لم يكد الرئيس السادات ينتهى من عرضه الشامل ، حتى رفع اللواء نوال سعيد – قائد الإمداد والتموين . يده ليسأل عن مضمون هذه الرسالة التى أشار إليها الرئيس ، ولم يكن هو لديه أى فكرة عنها ! !

مفاجأة مثيرة ! ! جعلت الرئيس يلتفت إلى الفريق صادق الذى كان جالساً إلى يمينه ، وسأله مندهشاً : كيف يستفسر عضو المجلس وقائد الإمداد والتموين عن مضمون الرسـالة التى من المفروض أنه تلقاها مع زملائه ؟ مع أن صادق نفسه أبلغه بعد يومين من اجتماعه به فى الإسكندرية أنه جمع المجلس كله ونقل إلى أعضائه رسالة الرئيس وأوامره بالإعداد للمعركة الشاملة اعتباراً من منتصف نوفمبر ؟ وقد تحمسوا جميعاً لدرجة أنهم – كما قال هو – طالبوا بأن يكون التجهيز للمعركة مكتملاً من أول نوفمبر وليس من « ١٥ نوفمبر » .

المفاجأة الثانية :

جاء رد الفريق صادق على تساؤل الرئيس المتعلق بالمفاجأة التى أظهرها استفسار قائد الإمداد والتموين ليكون مفاجأة ثانية ، فقد مال صادق على الرئيس ليقـول له فى همس – حتى لا يسمعه باقى أعضاء المجلس – إنه لم يبلغ جميع الأعضاء برسالة الرئيس وأوامره ، وأنه اكتفى بإبلاغها لقادة الجيوش حفاظاً على السرية .

كشفت هاتان المفاجأتان كل الأستار ، وتأكدت معهما كل الشكوك فها هوذا الرئيس السادات يكتشف أن وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة ، قد كذب عليه حين أبلغه بأنه نقل رسالته إلى أعضاء المجلس . ثم ها هوذا الوزير والقائد العام يكذب مرة أخرى فى محاولة لتبرير كذبته الأولى – فيدعى أنه لم يبلغ جميع أعضاء – المجلس برسالة الرئيس للحفاظ على سريتها . كذبة واضحة وعذر أقبح من ذنب ! !

وكان من الطبيعى أن يتساءل الرئيس : سرية على من ؟ على الأعضاء الذين سيفكرون معاً ، ويدبرون معاً لكل أبعاد المعركة ؟ على قائد الإمداد والتموين وهو الذى سيكون مسئولاً حين تبدأ المعركة عن توفير حاجة القوات المحاربة من غذاء ومياه وذخيرة ووقود ؟ كيف ذلك ؟ كيف يمكن تخيل جيش يحارب ويستعد لمعركة وهجوم شامل دون أن يعلم مدير الإمدادات والتموين وعضو المجلس الأعلى للقوات المسلحة . .

المفاجأة الثالثة :

لم يقتصر الأمر المثير على المفاجأتين السابقتين ، فقد استنتج الرئيس السادات اهتزاز الموقف الدفاعى لقواته وخاصة أن هناك خطة معدة فعلاً لذلك ، فلم يكن من المتصور أن تكون هناك رقابة مستمرة على صادق فى متابعة هذه الخطة الدفاعية وإنما على العكس كانت مسئوليته أن يراقب استمرارها لكن الذى حدث هو أن الفريق صادق ألغى جهود الدفاع وإلى درجة وضح فيها من حديث اللواء عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث ، أن الإسرائيليين استمروا فى تعلية الساتر الذى يقيمونه حتى وصل إلى ارتفاع سبعة عشر متراً ، مع أن قواتنا قد أوقفت عمليات التعلية لساترها ومن ثم غابت الجبهة الإسرائيلية تماماً عن بصر ونظر الجنود المصريين ، فى الوقت الذى تكشفت فيه أوضاع القوات المصرية لجنود العدو ، وكان من نتيجة ذلك أن سادت بإحساس الشىء المجهول قصص

مختلفة عما يخبئه الإسرائيليون وراء ساترهم من حصون وأسلحة إليكترونية . وكان الجنود المصريون لا يستطيعون تكذيب هذه القصص التى وصلت إلى حد الأساطير بل لعلهم كانوا يتناقلونها هم أنفسهم ، وسواء صحت هذه الحكايات أولم تصح فإن الشيء المؤكد أن القوات الإسرائيلية كانت تستطيع فى ذلك أن تقوم بأى تحركات فى مواقعها بالشرق دون أن يتم رصدها ، كما أنها كانت تستطيع أن تقوم بأى عمليات على الضفة الغربية وتعود دون التعرض لأى خسارة حقيقية ، بسبب انهيار الموقف الدفاعى للقوات المصرية عما كان عليه من قبل !

بهذه الصورة توالت المفاجآت المثيرة والمفجعة ، وكان على السادات أن يدرس ويستنتج ويصدر القرار بأسرع ما يمكن . . وبالفعل فوجئ العالم بقرار إقالة الفريق أول صادق . وكانت خلفية هذا القرار غير عادية وكانت كافية جداً لكى تكشف المزيد من أبعاد شخصية السادات ولعلى أحدد ملامح هذه الخلفية فى النقاط التالية :

١ – كان الفريق صادق قد حقق لنفسه نوعاً من الشعبية بين القوات المسلحة نتيجة للأضواء التى أحاطت به فى ثورة ١٥ مايو التصحيحية ونتيجة لاستثماره للثقة التى منحها له الرئيس السادات ، فأعطى بعض الميزات المادية للضباط ، وأكثر من لقاءاته وخطبه بين أفراد القوات المسلحة معطياً لنفسه صورة القائد الحريص على رجاله ، المحب لهم ، المشغول بتجنبهم أى حرب إلا إذا ضمن لهم النصر مائة فى المائة . وكان من الطبيعى أن تثمر هذه الخطوات والتحركات وخاصة أن رجاله كانوا يضيفون إلى صورته ما يحقق له هذه الشعبية .

٢ – كان الفريق صادق – من وجهة أخرى – قد وضع أصدقاءه فى مواقع حساسة فى الجيش . . فكان منهم الفريق عبد القادر حسن نائب وزير الحربية واللواء على عبد الخبير قائد المنطقة المركزية وآخرون . . وقد وصلت الثقة بهم فى أنفسهم إلى الحد الذى جعل – مثلا – عبد القادر حسن يتحدث إلى الرئيس بشكل غير لائق فى اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة .

٣ – كان هناك نوع من الحرج بالنسبة للرئيس السادات حين يجد نفسه مضطراً إلى اتخاذ قرار ضد الفريق صادق الذى كان له دور فى مواجهة مراكز القوى وتصفيتها .

٤ – كان اتخاذ مثل هذا القرار يفتح المجال ويعطى الذريعة لموجة جديدة من الهجوم عليه ، والتأثير على الجبهة الداخلية .

الرئيس السادات يتابع إحدى المناورات التى سبقت الحرب

الرئيس السادات مع المشير أحمد إسماعيل على فى جولة بين أبطال القوات المسلحة

بنفسه كان [illegible] ويناقش الضباط والجنود أثناء الاستعدادات

تلك كانت الظروف التى تشكل خلفية القرار ، ولعلها توضح إلى أى حد كان السادات سريعاً فى حسمه ، مفاجئاً فى توقيته ، جريئًا فى اتخاذ قراره – مصمماً على القرار الأكبر وهو قرار الحرب الذى عبر عنه فى نهاية اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة بقوله للأعضاء « أنا معروض على حل جزئى . بس مش أنا اللى أقبله وييجى حد غيرى يقبله . أنا بتكوينى وبطبيعتى ما اقبلش حل جزئى ولا زلت مؤمن بالجندى المصرى ، ومؤمن بأننا نقدر نعمل حاجة وأنه أشرف لنا أن احنا نموت واحنا واقفين ورأسنا فى سابع سماء من أننا نتخاذل ونقبل أى حاجة ! ! »

إذن أنهى السادات هذه الجولة هى الأخرى – لصالح القضية . لصالح القرار بالحرب لتحرير الأرض والكرامة – وكما كانت العادة معه – اختلفت وتباعدت التفسيرات التى جاءت على ألسنة وأقلام المراقبين والكتاب والأفراد العاديين .

– وقالوا إن السادات أقال الفريق صادق لأنه كان السبب فى خروج الخبراء السوفييت وأنه رغبة منه فى إصلاح الموقف مع روسيا جعل منه كبش فداء .

– وقالوا إنه أقاله لأنه كان يسعى إلى الحرب وغيره يسعى للسلام .

– وقالوا وكتبوا عن استراتيجية صادق التى تقوم على أساس الحرب الطويلة التى تهدف إلى تحرير كل سيناء مع أن السادات يريدها حرباً قصيرة خاطفة .

– وخرجوا من هذه التفسيرات التى يتناقض بعضها مع بعض كما تتناقض مع الواقع خرجوا منها إلى حكم عام بأن القرارات تصدر بدون دراسة وبطريقة عفوية عشوائية . وأن نظام الحكم لا يستند إلى منهج محدد أوعقيدة ثابتة .

خلط شديد . . وانزلاق مستمر إلى هوة عدم الفهم ، لكن السادات بصبره العظيم تحمل الهجمات الجديدة على شخصه وحكمه . طاوياً جوانح نفسه على الأسرار التى أدت إلى القرار ، لأن إعلانها فى ذلك الوقت كان يعنى تهديد أمن الدولة وتعريضها لمخاطر عديدة .

وبدأت عجلة الإعداد العسكرى تسير بقيادة الفريق أحمد إسماعيل على الذى حلّ مكان الفريق صادق وزيراً للحربية وقائداً عامًّا للقوات المسلحة ، وكان الرجل على مستوى المسئولية كما أثبتت الأحداث بعد ذلك .

الحلقة الأخيرة فى دائرة التمهيد والإعداد :

كانت مظاهر النجاح تعلن عن نفسها فى الخطوات التى تتم على طريق التمهيد والإعداد لقرار الحرب . . وكانت هذه الخطوات لا تكتمل بدون التحرك السياسى على المستوى العالمى حتى يهيأ الرأى العام الدولى لقبول خطوة الحرب حلاً للقضية المعلقة .

وخرجت من القاهرة رسائل عديدة إلى زعماء العالم تضعهم أمام مسئوليتهم وتشهدهم على أن مصر لم تترك باباً للحل السلمى دون أن تطرقه لكن إسرائيل هى التى ترفض الاتجاه نحو السلام . وقد أثمر هذا التحرك نتائج طيبة ، وعاد المبعوثون من معظم الدول وهم يؤكدون أن القادة الرؤساء الذين ذهبوا إليهم أصبحوا على قدر معقول من تفهم القضية . . بل التعاطف مع الموقف العربى . وقد تبلور ذلك فى المواقف التالية :

القارة السمراء تحتضن القضية العربية :

خلال ١٨ شهراً من العمل الدبلوماسى المصرى ، تم تضييق الخناق على إسرائيل ، وكشف مواقفها المتعنتة ، وتعرية أساليبها الاستعمارية داخل أفريقيا كلها . فقطعت ثمانية دول أفريقية علاقاتها مع إسرائيل بالإضافة إلى غينيا ، وبمجرد اندلاع الحرب قطعت زائير علاقاتها هى الأخرى مع إسرائيل . وقبل أن تتوقف الحرب لم يكن لإسرائيل علاقات دبلوماسية إلا مع أربع دول ليست كاملة الاستقلال ، وتخضع لنوع من التبعية لجنوب أفريقيا العنصرية .

والواقع أن هذا الموقف الأفريقى شكل خطورة حقيقية بالنسبة لإسرائيل ، إذ أنها كانت قد تغلغلت بشكل كبير فى معظم دول أفريقيا حتى إن اقتلاعها من هذه الدول كان مستبعداً تماماً . ولكى نتبين أهمية أفريقيا بالنسبة لإسرائيل نتوقف أمام هذه التصريحات لبعض القادة الإسرائيليين .

– قال بن جوريون فى المؤتمر الصهيونى الخامس والعشرين .

« إن المستقبل الاقتصادى لإسرائيل ، ووضعها الدولى يتوقفان على الروابط التى تقيمها مع أفريقيا وآسيا » .

– وقال أشكول رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق :

« إن مستقبل الأجيال المقبلة فى إسرائيل مرتبط إلى حد كبير بنشاطنا فى القارة الأفريقية » .

– وقال موشيه ديان بعد أن عاش تجربة الخروج الإسرائيلى من أفريقيا :
« إن الموقف الجديد الذى اتخذته أفريقيا حيا لنا لابد من أن يحسب حسابه !

وأوربا تخطو على طريق تفهم الحق العربى :

بشكل عام نستطيع أن نقول إن التحرك الدبلوماسى فى أوربا والذى تمثلت ذروته فى جولات حافظ إسماعيل مستشار الرئيس . ومحمد حسن الزيات إلى موسكو ولندن وواشنطن وبون وبكين ونيودلهى « هذا التحرك أوجد أرضاً خصبة للقبول بالحل العربى للقضية ، حتى إن عدداً من المسئولين أعربوا عن ضيقهم بالتعنت والتعسف الإسرائيلى . . وكان موقف فرنسا الديجولية يمثل قمة التفهم للحق العربى كما أن ثمة تغييراً ملموساً ظهر فى مواقف ألمانيا الغربية وإنجلترا وعدد غير قليل من دول العالم الغربى .

هكذا تم بصبر وذكاء وجهد هائل تهيئة المسرح المصرى والعربى والأفريقى والعالمى . . لصدور قرار الحرب .

* * *

وهكذا تمت « تعمية » إسرائيل ، وربما العالم معها – بالنسبة لقدرة القيادة المصرية على اتخاذ قرار الحرب .

ولعل المراقبين الذين لم يفهموا شخصية السادات ، وبالتالى استمرأوا نقده والسخرية منه ومن قدرته على الحسم ، لعلهم قد فوجئوا مع إسرائيل فى « ٦ أكتوبر ١٩٧٣ » أنهم قد خانهم ذكاؤهم تماماً . ولعلهم حين يعودون إلى دراستهم له . . سوف تستوقفهم المواقف العديدة التى ذكرتها فى هذا الفصل ، ويقولون لأنفسهم كيف لم نتوقع أن يصدر الرجل قراراً خطيراً كقرار الحرب .

إن كل الدلائل كانت تشير إلى أنه رجل قرار ورجل مفاجأة لا تنقصه الجرأة فى اتخاذ أخطر القرارات ، ولا تعوزه القدرة على استغلال عنصر المفاجأة ولا يؤخذ عليه أنه اتخذ قراراً غير مدروس أو لم تعد له الظروف الملائمة .

١ – فى مايو ١٩٧١ اتخذ قرار تصفية مراكز القوى ، وفاجأ به المراقبين فى الداخل والخارج ، وحقق الهدف من قراره بشكل متكامل .

٢ – فى يوليه ١٩٧٢ اتخذ قرار إنهاء مهمة الخبراء السوفييت وفاجأ به الاتحاد السوفييتى نفسه مثلما فاجأ به العالم كله وأثبتت الأيام أنه حقق الهدف من قراره .

٣ – فى أكتوبر ١٩٧٢ أصدر قرار إقالة وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة الفريق محمد صادق . وقد فاجأ العالم بهذا القرار ، وحقق الأهداف المنشودة منه .

. . هكذا كانت المؤشرات تدل على أن السادات لا بد أنه سيتخذ قراراً بالحرب لكنهم – كما قلت – لم يفهموا مؤشراً واحداً منها . ولعل السادات نفسه كان أكثر الناس سعادة بعدم الفهم الذى أحاط به ، حتى لو نتج عن ذلك أن تدمى قلبه ومشاعره سهام النقد والتجريح من العدو والصديق .

وهذا هو المعنى الذى اعترف به أكثر من كاتب وخبير عالمى حين قالوا « لقد كان السادات محظوظاً إلى حد كبير عندما لم يثق أحد فيما كان يقول » .

وإننى أسمح لنفسى بأن أقول إن مصر بل العالم العربى كله كان محظوظاً بوجود شخصية السادات فى هذه الفترة الحرجة إذ أنه من البديهى أن هذا الكم الهائل من عدم الفهم لشخصيته والشعور « الواثق ! ! » بأنه ليس القائد الذى يعطى الإشارة لبدء حرب ضارية – قد ساعد إلى أقصى حد فى تحقيق عنصر المفاجأة الذى كان له تأثيره ولاشك فى إحراز النصر العربى ليكون طوفانًا هائلاً يجتاح معه الكثير من دعائم إسرائيل . وليمحو فى الوقت نفسه الصورة المهينة الذليلة التى كادت ترتبط بالإنسان العربى منذ كانت نكسة ١٩٦٧ .

وكان . . القرار :

نصل الآن إلى القرار الأكبر . . قرار الحرب الذى سبقته هذه الخطوات الشاقة والخطيرة وليس ثمة شك فى أن قراراً بالحرب يحتاج لمثل هذه الخطوات والقرارات التمهيدية ، ثم يحتاج إلى جانب ذلك كله إلى تفكير لا يهدأ إلا ليبدأ من جديد ودراسة تحيط بكل الدقائق والتفاصيل ومقارنات لكل البدائل المطروحة واحتمالاتها ، ثم إنه يحتاج إلى استلهام لا يخطئ لأحاسيس ومشاعر الشعب الذى سيصبح طرفاً أو موضوعاً لهذا القرار .

وإذا كانت هذه هى المقدمات الطبيعية والضرورية لأى قرار بالحرب ، فإن اتخاذ قرار الحرب فى عام ١٩٧٣ وفى الظروف المتشابكة المعقدة محليًا وعالميًا ، وفى مواجهة تحديات وصعوبات بدت أحيـاناً وكأنها المستحيل يقف متمثلاً فى أشياء مجسدة كالمانع المائى وحصون خط بارليف والتفوق الجوى للعدو ، والخلفية النفسية التى تعطى

لجنوده جرعة عظيمة من الثقة ثم شبح النكسة الذى أقام حاجزاً من الخوف والرهبة أمام أى تحرك عسكرى عربى . . كل ذلك يؤكد أن القرار فى هذه الحالة – أعظم خطراً وأجل شأناً ، ومن هنا فإن مسئولية اتخاذه – التى تقع عادة على القائد وحده – مسئولية بالغة الخطورة فهو يعرف أنه يمسك فى لحظة تاريخية بمصير شعب أومصير أمة ، وأنه بناء على هذا القرار سيتحدد مصير هذا الشعب وهذه الأمة بل إنه قد يمتد بتأثيره إلى العالم كله . هو يعلم أيضاً أنه لا يمكنه أن يستعيد هذا القرار بمجرد اتخاذه انه كما يقول مؤلفا كتاب حرب الساعات الست كالمقذوف النارى الذى لا يمكن استرداده بأى حال من الأحوال وقد يكون من الممكن مواجهة الموقف بعد ذلك باتخاذ قرارات أخرى لاحقة ولكن القرار الأول يكون قد نفذ وسبق السيف العزل . وهذا ما يؤكده ويضيف إليه الرئيس السادات بنفسه حين يقول :

« لم يكن القرار سهلاً . كانت كل الحسابات والموازين فى غير صالح القرار ولم يكن ممكناً بكل مقاييس العصر لو أننا أدخلنا كل المعلومات والدراسات والورق فى كومبيوتر لكان الجواب دائماً : « لا » . . لقد كنا مهزومين من الداخل ، وكانوا هم مسيطرين على كل شيء ، وكانت روح الهزيمة متفشية بين العرب ، وحتى المثقفون الذين كان يجب أن يكونوا أكثر تفهماً أصيبوا باليأس – وهكذا لوكنا سألنا أى كومبيوتر لكان الجواب « لا » . . بل لعله كان يتهمنا بالجنون لمجرد التفكير فى الحرب ويستطرد الرئيس السادات فى حديثه – عن القرار – فيقول :

لقد واجهنا الهزيمة فى ١٩٦٧ كواقع ، ولكن كان هناك شيء فى أعماقنا يرفضها . كان عنصراً غير محسوب ، ومقياساً لم يكن أحد يدركه ، صادراً من داخلنا ومن أعماق أعماقنا . كان شيئاً من حضارتنا من أصالة سبعة آلاف عام ، من أرضنا أرض الخلود التى نرتبط بها منذ بدء الخليقة .

هذا العنصر غير المحسوب هو الحضارة والأصالة والتاريخ ، هو الإلهام والتصور الذى كان وراء القرار ! ! »

نظرة أخرى على القرار :

١ – أن يقودك قدرك إلى تحمل مسئولية اتخاذ قرار بالحرب أمر خطير ! !

٢ – أن يكون قدرك أقسى وأصعب فيضعك فى مواجهة مسئولية اتخاذ قرار بالحرب

فى منطقة حساسة ومضطربة كمنطقة الشرق الأوسط ، وفى ظل ظروف متشابكة وبالغة الدقة والتعقيد محلياً وعالمياً . أمر جد خطير ! !

٣ – أن يكون قدرك بالغ القسوة فيجعلك مسئولاً عن اتخاذ قرار الحرب فى مثل هذه المنطقة ومثل تلك الظروف – مضافاً إلى هذا وذلك أن كل الحسابات العملية والعلمية والمقاييس العصرية تكون ضد القرار بشكل حاد . . فهنا لا يكون الأمر خطيراً فقط ولكنه يصبح مخيفاً ومتحدياً لقدرة أى إنسان يقترب منه مجرد الاقتراب وليس اتخاذه بالعقل .

– لكن السادات فعلها .

– تحدى كل مخاطر ومخاوف القرار .

– ومن هنا لا تصبح العملية مجرد اتخاذ قرار بالحرب – وهذه مهمة صعبة فى حد ذاتها كما أوضحت السطور السابقة – ولكنها بالتأكيد تصبح ممارسة لأقصى مراحل البطولة .

– وهذا ما شهد به العالم حين فتح عينيه ظهر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ . . وظل يلهث مع أحداث الحرب إلى أن توقف إطلاق النار فإذا بالقرار (الذى تحدى كل الحسابات وكل المقاييس) يكشف عن جوهر البطولة الكامنة فيه ، وإذا بالرجال الذين حملوا القرار بين جوانحهم وانطلقوا إلى تنفيذه عندما حانت ساعة الصفر يثبتون أن العنصر غير المحسوب (وهو الحضارة والأصالة والتاريخ) . أقوى من كل العناصر التى تحمل توقيع « الكومبيوتر » قمة التقدم فى الفكر والاختراع البشرى ! !

أمر القتال :

« إلى القائد العام للقوات المسلحة المصرية الفريق أول أحمد إسماعيل على : . . يتعين عليك وعلى القوات المسلحة المصرية أن تزعزع نظرية الأمن الإسرائيلى من جذورها ، تلك النظرية التى روجوا لها فى العالم ، وأقاموا عليها حجمهم واستراتيجيتهم فى التوسع واحتلال الأرض العربية » .

هكذا حدد أمر القتال – الذى وجهه القائد الأعلى للقوات المسلحة الرئيس محمد أنور السادات إلى الفريق أحمد إسماعيل على وزير الحربية والقائد العام ، حدد أهداف القرار الإستراتيجية وهى تحدى نظرية الأمن الإسرائيلى وضربها وتدميرها ، وكان أول

عناصر هذه النظرية – كما هو معروف – قدرة جيش الدفاع وتفوقه المطلق بما يحقق له دائماً بالأسلحة المتفوقة كما ونوعاً إمكانية الردع المستمر ، وإرهاب العرب ، ومن هنا وحيث إن هدف القرار تحدد بتدمير نظرية الأمن ، فإن المهمة تحددت بتدمير القوات المسلحة الإسرائيلية عن طريق إيقاع أكبر الخسائر بها فى معركة تكون طويلة ما أمكن .

أخطر اجتماعات المجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية :

كان اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة فى ذلك اليوم « الأول من أكتوبر عام ١٩٧٣) أخطر اجتماعاته فقد أعطى فيه الفريق أحمد إسماعيل على تمام الحرب لرئيس الجمهورية بعد أن جلس قادة الأسلحة المختلفة ، كل واحد منهم يعرض مهمة قواته وخططها ثم نوقشت الخطة العامة بكل تفاصيلها وتبادل الرئيس السادات مع الفريق أول أحمد إسماعيل كلمتين قصيرتين توقف وسيتوقف أمامهما التاريخ طويلاً .

قال الرئيس السادات لأعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة :

« أحمد الله أننا وصلنا إلى هذه اللحظة ، لنضع اللمسات الأخيرة على العمل ، ونقول للعالم إننا أحياء ، ويسترد شعبنا ثقته فى نفسه وفيكم ، وأنا واثق أن كل فرد فى قواتنا المسلحة سيؤدى واجبه كاملاً لإحساسه بمسئولياته تجاه وطنه ، وسأتحمل معكم المسئولية كاملة تاريخيًّا ومعنويًّا وماديًّا ، وفى الوقت نفسه فإننى واثق ثقة كاملة فيكم ، وبأنكم سوف تتصرفون بكل ثقة واطمئنان وحرية » .

ورد الفريق أول أحمد إسماعيل على كلمة الرئيس التى سرى فى كل حروفها نبض التاريخ فقال له :

« باسم القادة ، وباسم القوات المسلحة نعاهدكم ، ونعاهد شعب مصر أن نبذل أقصى جهد يتحمله بشر لتحقيق النصر لبلدنا ، ولتثقوا فى أن القادة متفائلون ، وفى مقدورهم تحقيق مهامهم وأننا نشترك جميعاً معكم فى المسئولية » .

قالوا . . عن الرجل . . والقرار :

١ – واحد . . من أحكم وأذكى السياسيين فى هذا القرن :

« أثبت الرئيس أنور السادات ببعد نظره أنه واحد من أخطر وأذكى السياسيين فى هذا القرن ، فقد أدرك أن جعجعة الأصوات العالية لن تغير شيئاً ، وأن الانتظار الصابر لكى تأخذ القرارات العادلة للأمم المتحدة مجراها أولكى تتدخل الدول الكبرى لن يجدى شيئاً فالأصوات فى الأمم المتحدة لا قيمة لها ما لم يساندها قدر ولو قليل من الحديد والنار ، ومن ثم كانت الحاجة إلى عمل عسكرى ناجح ، أولاً : بما فيه الكفاية لكى يعيد إلى العرب ثقتهم بأنفسهم ، وثانياً : لكى يرغم الدول الكبرى على إخراج مشكلة الشرق الأوسط من ركودها الذى كانت قد انتهت إليه بسبب العجز العسكرى العربى السافر فى حرب يونية ١٩٦٧ » .

(توقيع)
مؤلفو الكتاب الصادر عن صحيفة الصنداى تايمز
بعنوان (بماذا كسب السادات)

٢ – القدرة على المفاجأة :

لقد استطاع الرئيس السادات تحريك قواته المسلحة فى مناورات عسكرية ضخمة إلى أن فاجأ إسرائيل بهجومه الناجح فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

(توقيع)
المحرر السياسى والعسكرى لمجلة شبيجل
الألمانية الغربية فى ٢٢ مايو ١٩٧٤

٣ – ليتنا صدّقنا السادات :

يقول الكاتب الإسرائيلى « هنرى كرمل » (فى فبراير ١٩٧٤) :

« . . كان قادتنا باستمرار يقولون لنا – قبل حرب يوم الغفران – إن الجيش الإسرائيلى

قادر على مجابهة كافة الجيوش العربية على كل الجبهات فى وقت واحد ، وأنه يستطيع فى سهولة ويسر — القيام بطردها وسحقها فى بضعة ساعات أوأيام قلائل . . .

وهكذا تلقينا فى إسرائيل التصريحات التى كان يلقيها الرئيس المصرى محمد أنور السادات عن الإعداد للحرب ، والتى لم نكن نصدقها بطبيعة الحال باستخفاف وسخرية . .

« . . فى يوم ٢٥ مارس ١٩٧٣ ، كان الرئيس المصرى يقدم حكومته الجديدة إلى الشعب المصرى قال : « إن دور هذه الحكومة ينحصر فى ضرورة الإعداد كى تخوض مصر الحرب القادمة »

ومنذ ذلك التاريخ ، لم يكد يمضى يوم إلا وتنشر الصحف فى جميع أنحاء العالم خبراً أوتحليلاً حول احتمالات قيام الحرب المقبلة بين مصر وإسرائيل ، ففى ٢٨ مارس ١٩٧٣ كتبت صحيفة « النهار البيروتية » مقالاً افتتاحياً جاء فيه : « إن القوات المصرية تنقل ليل نهار إلى منطقة القناة ، بينما أعلنت مصر حالة التأهب القصوى بين وحدات الجيش المصرى الذى ينتظر أفراده صدور قرار الحرب المتوقعة بين لحظة وأخرى » .

يضيف المعلق « هنرى كارمل » قائلاً :

« . . وكنا فى إسرائيل نتلقى هذه الأنباء على اعتبار أنها مجرد محاولات للضغط على حكومتنا ذلك أن الرئيس السادات لم يتوقف — منذ أن تولى الرئاسة — عن التهديد بالحرب ضدنا لتحرير أراضيه المحتلة ، وكان المسئولون عندنا يرفضون مجرد التفكير فى أن مصر تنوى حقيقة شن حرب شاملة . . وكانوا يقولون :

« هل يحاول المصريون — على أحسن الفروض — عبوراً فى قطاع صغير على القناة من نقطة واحدة لإقامة رأس جسر على الضفة الشرقية ؟ . . إن إعادتهم إلى رشدهم فى هذه الحالة ثم القيام بسحقهم لن تستدعى جهداً يذكر من قوات جيش الدفاع الإسرائيلى وفى ذات الفترة قام رئيس تحرير مجلة النيوزويك الأمريكية — أرنودى بجراف — بزيارة مصر ، ليكتب بعدها مقالاً افتتاحياً جاء فيه : إنه فى حالة قيام مصر بمحاولة عبور القناة ، فإن إسرائيل سوف تحقق نصراً ساحقاً ، بتلك الطريقة المتألقة التى نعرفها عنها ، وحينئذ سوف يصفق لها العالم إعجاباً كما فعل فى عام ١٩٦٧ . . »

ومضينا رويداً نحو« مصيدة الحمقى » ! :

يقول « هنرى كرمل » : « لقد كان الرئيس السادات يجرنا رويداً رويداً فى اتجاه مصيدة الحمق دون أن نشعر . . فلقد أجرى المصريون – عام ١٩٧٢ – مناورة ضخمة قرب القناة شملت عملية عبور كاملة بجميع تفاصيلها على مرآى من جنود الجيش الإسرائيلى فى تحصيناتهم شرق القناة وقد استأثرت هذه المناورة بمساحات واسعة من صفحات الجرائد المصرية كان خبراؤنا العسكريون فى تل أبيب والقدس ينظرون إليها بسخرية وعدم تصديق . . حتى إن صحيفة « على همشمار » الإسرائيلية نشرت على صدر صفحاتها الأولى تعليقاً ساخراً على هذه المناورة المصرية للعبور قالت فيه :

« . . يبدو أن تدريبات العبور التى أجراها المصريون خلال الآونة الأخيرة فى جزيرة البلاح بالقطاع الأوسط من قناة السويس ، لا تزيد عن استخدام أحد أساليب الحرب النفسية حيث إنها تنفذ على مرأى من جنودنا على الضفة الشرقية للقناة . لقد استخدمت القوات المصرية فى هذه المناورة الدبابات البرمائية إلى جانب مختلف وسائل إقامة الجسور ، والأمر الذى يدعو للسخرية أنهم يقومون بذلك فى منطقة القناة ، على الرغم من توفر الكثير من المناطق داخل مصر للقيام بمثل هذه التدريبات غير المجدية ، لقد نظر جنودنا وضباطنا باستهزاء إلى هذه المناورة ، لأن الجزيرة التى يقوم المصريون بالعبور إليها تقع فى نطاقهم ، ولا – تقابلهم فيها أية مقاومة ، هذا ويسود منطقة القناة حالة من الهدوء التام ، فالجنود المصريون – فى خلاف أيام المناورات – لا يبدون أية يقظة ، ويشاهد أغلبهم فى حالة استرخاء بالقرب من خط المياه ، ويقوم ضباطهم بدفعهم إلى القيام بأعمال التحصين والحفر . . » .

يضيف المعلق الإسرائيلى :

« . . لقد خلق المصريون الانطباع لدينا – بواسطة أنباء علنية للنشر ، بأن المناورة الأخيرة التى أطلقوا عليها اسم (صلاح الدين) لا تعدو كونها مجرد مناورة عبور أخرى وهكذا لم يوضع الجيش الإسرائيلى – للمرة الأولى والحاسمة – فى حالة تأهب عالية لمواجهة مناورة بهذه الضخامة » .

ويختتم (هنرى كرمل) تحليله قائلاً :

« . . ليتنا صدقنا السادات . . إننا لم نأخذ تهديداته بالحرب مأخذ الجد بل إنه كلما

كان يكثر من الحديث عن الحرب . . كنا فى إسرائيل نزداد إيماناً بابتعاد شبح الحرب وأخذ كلامه على محمل التهديد وامتصاص الغضب الشعبي على وقوع رقعة من الأراضى المصرية – شبه جزيرة سيناء – تحت الاحتلال الإسرائيلى ، وهكذا لم نفق على الحقيقة إلا فى يوم الغفران الأسود – هكذا يطلق عليه « كرمل » – لقد وقعنا جميعاً فى إسرائيل فى « مصيدة الحمق » التى أعدها لنا بذكاء شديد الرئيس السادات . . « تحت ستار اتباع أسلوب إجراء المناورات الكبرى » التى دأبت القيادة المصرية – اعتباراً من عام ١٩٧١ – على تنفيذها بين الحين والآخر بهدف تخدير قياداتنا وإدخال السكينة فى روع المؤسسة العسكرية لدينا . . . . » .

٤ – تفكيره الهادئ . . وثباته غير العادى :

إن الرئيس السادات قد حقق بالفعل أنتصاراً شخصياً فريداً . لقد غيرت تلك الساعات الأولى من يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ عندما عبر الجيش المصرى قناة السويس ، واقتحم خط بارليف – غيرت هذه الساعات مجرى التاريخ بالنسبة للقائد والبلد ، وعلى الأرجح بالنسبة للشرق الأوسط كله .

لقد استعاد الشعب المصرى أخيراً ثقته بنفسه ، واستعادت الأمة العربية دورها الرائد فى هذه المنطقة من العالم . فى خلال السنوات الثلاث التى انقضت منذ تولى السادات الحكم حتى ٦ أكتوبر ٧٣ ظل يؤكد باستمرار على نغمة الحرب من أجل استعادة سيناء .

ولابد أن الأمر تطلب تفكيراً هادئاً للغاية لكى يضع الرئيس السادات هذا الهدف نصب عينيه بثبات طوال هذه السنوات .

ولقد برهن السادات على أنه يتمتع بهذا القدر من الثبات بل أكبر منه . فإنه بالتفكير فى هذا الاتجاه دون أن يحيد عنه ظل يعمل فى صمت لتحقيق هدفه المحدد .

(توقيع)
هارولد سيف
مراسل الديلى تلجراف
١٩٧٣/١٠/٣٠

٥ – مهندسها . . ومصممها :

لقد غير الرئيس السادات (الذى ترجع جذوره إلى الريف) تاريخ الشرق الأوسط إن السادات هو مهندس ومصمم حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ مع إسرائيل . وهو المنظم الرئيسى للمقاومة العربية بالبترول .

وقد أتت الحرب والمقاطعة بثمار يانعة عندما بدأت القوات الإسرائيلية فى بداية عام ١٩٧٤ فى الانسحاب من الأراضى المصرية ، وكانت تلك أول مرة منذ أكثر من عشرين عاماً تتخلى فيها إسرائيل عن أرض احتلتها .

وفى المراحل الأولى للحرب أعطى السادات للعالم العربى أول مذاق للنصر بعد ٢٥ عاماً من الهوان العسكرى على أيدى الإسرائيليين ، فلأول مرة فى أربع حروب لم تتراجع القوات المصرية ، بل على العكس من ذلك فإن المشاة المصريين أغاروا بسرعة على التعزيزات الإسرائيلية على الضفة الشرقية للقناة وقضوا عليها وانتشروا بعشرات الآلاف فى مواقع داخل سيناء وإلى عمق ١٢ ميلا .

وفى هذه العمليات دمر المصريون الأسطورة الإسرائيلية بأن إسرائيل قوة لا تهزم ، وأزاحوا عن أنفسهم عقدة نقص عششت فى نفوس جيل بأكمله من العرب .

(توقيع)
دافيد ريد
فى مقال له بمجلة ريدرز دايجست

وتخليت عن اقتناعى باحتمال وقوع الحرب :

« حتى عام ١٩٧٢ كنت أشعر شخصيًّا أنه لا مفر من حرب جديدة بيننا وبين العرب ، ولكن فى عام ١٩٧٣ وبعد أن اتضح من السادات رفضه للحرب وكذلك بعد إخراج المستشارين الروس من مصر ، أصبت أنا أيضاً بروح التفاؤل التى هبت فى صفوف الجيش الإسرائيلى .

وبقى الأمر كذلك إلى أن صرح موشيه ديان وزير الدفاع ، فى صيف ١٩٧٣ بأنه

لا يتوقع قيام حرب واسعة بين إسرائيل والعرب خلال العشر سنوات « القادمة وأن حدود الدولة ستبقى كما هى » .

(توقيع)
زليف شيف
المحرر العسكرى لصحيفة هآرتس

٧ – يرون . . . ولا يبصرون :

« كانت إسرائيل قد كونت صورة معينة للرئيس السادات تقوم على أساس أنه يذهب فى استعدادته للحرب إلى آخر الحدود . . إلى حافة الهاوية . . وعندئذ يعود مرة أخرى أدراجه . . ولما كانت التعبئة تتكلف مبالغ طائلة ، فإنهم وبناء على هذه الفكرة الخاطئة عن شخصية السادات اعتقدوا أن الأمر سيمر مثل المحاولات السابقة ، . . واعتقدوا أنها مناورات أخرى تجريها القوات المصرية ، وسرعان ما تنتهى ، ثم مالوا إلى ابتلاع وسائل الخداع الأخرى التى ألقتها إليهم القيادة المصرية ، وأصبحوا بذلك يرون ولا يبصرون يرون بأعينهم ولا يصدقون ما يرونه . .

(توقيع)
الجنرال حاييم هيرتسوج
(فى كتابه حرب التكفير

٨ – رجل لا يعرف الخوف :

« إن الرئيس أنور السادات لم يتراجع وهو يسير فى طريقه المملوء بالصخور ، وظل متمسكاً بالاعتدال ، وإن معدن الرجال يظهر ، كما يحدث للبحارة عندما تهب الرياح ويرتفع الموج ، وقد أثبت الرئيس السادات أنه رجل دولة لا يعرف الخوف إلى قلبه سبيلا مما جعله يثير إعجاب الجميع . لقد شعرت مصر أنها استردت كبرياءها الوطنى بعد حرب أكتوبر » .

(توقيع)
الكاتب الأمريكى هنرى تيلور

٩ – هارى ترومان العرب :

« وبعقلية السياسى المحنك ، آثر السادات أن يخوض كثيراً من المواقف الصعبة قبل أن يرسل بقواته فى هجومها العاصف على الدفاعات الإسرائيلية لكى تسترد الثقة والكرامة العربية » .

إن حرب أكتوبر لها أبطالها ، لكن البطل الحقيقى هو الرجل الذى أعد المسرح لها ورتب كل شىء ، الرجل الذى قرر بهدوء شديد – ماذا يجب عمله ، ونفذ ما قرره فى وجه صعاب هائلة ومشاكل مريرة . . لقد تجاهل وتجاوز النقد الذى وجه إليه – حتى داخل مصر – بينما كان يتابع سياسته . وقد أظهر فى النهاية أنه قائد له قدرة على إعطاء القرار .

إن السادات هو هارى ترومان العرب ، الذى تحققت عظمته ، حين أعد لكل شىء عدته كأفضل ما يكون الإعداد » .

(توقيع)
جون بلوك
فى كتابه الإعداد للحرب

١٠ – حين أجاد السادات التنكر فى أزياء مختلفة :

إن الرئيس المصرى السادات أجاد التنكر فى أزياء مختلفة فأصم آذاننا . إنه خلق من الفوضى نظاماً وانتهز أنسب الأوقات ليرمينا بغضبته المصرية .

لقد دبر خطته فى صمت وهدوء . . وكانت تدعو بحق إلى الإعجاب . . وقد نفذها بطريقة إن وصفت بشىء فهى اللباقة والذكاء .

ولذلك فقد خاض الشعب اليهودى حرباً لم يعرف لها مثيلا فى شراستها وضراوتها وكان النجاح والتفوق حليف العرب .

(توقيع)
الكاتب الإسرائيلى المشهور
إفرائيم كيشون

١١ – هذا الرجل . . كاسحة ألغام :

إن أنور السادات كاسحة ألغام . . إنه يعرض نفسه لكل الخطورة ، ولكنه فى النهاية . يمهد الطريق أمام الجميع . تماماً مثل كاسحة الألغام التى تقتحم المياه التى زرعها العدو بالألغام ، لتمهد الطريق وتجعله آمناً أمام غيرها من البوارج والمدمرات وقوارب الطوربيد وغيرها .

إن هذا الرجل . . يتصف بالشجاعة والحكمة والبصيرة فى آن واحد » .

(توقيع)
وزير خارجية بريطانيا وقطب حزب العمال
جيمس كالاهان
أكتوبر ١٩٧٥

١٢ – هل كان السادات يتصور ؟

« هل كان الرئيس السادات يتصور – وهو يطلق فى ظهيرة السادس من أكتوبر قواته المسلحة لعبور القناة – انه إنما أطلق قوة عاتية رهيبة كان من شأنها تغيير هذا العالم ؟!

إن كل شيء ، من أوربا إلى أمريكا ، ومن أفريقيا إلى آسيا لم يبق على حالته التى كان عليها منذ حرب أكتوبر ، ومع التجاوز عن الأمور المتعلقة بالبترول والطاقة فإن شيئاً ما أكثر عمقاً قد انقلب رأساً على عقب فى تلك العلاقة التى كانت قائمة بين العالم الصناعى وإقطاعياته القديمة . . إلا أن هذا الانقلاب المروع قد اتخذ فيما يتعلق بإسرائيل ، شكل **الزلزال المدمر** ، ذلك أن الحرب التى عصفت بها كانت قاسية عليها فى ميادين القتال ، ثم كانت أشد من ذلك دماراً على النفوس . . وقد شهدت الأيام المؤلمة . . وهى الأيام التى تسبق عند اليهود يوم عيد الغفران مصرع حلم كبير تهاوى ورأت بعد ذلك صورة معينة لإسرائيل ، وهى تزول إلى الأبد » . ١

(توقيع)
جان كلود جيبوه
فى كتابه الأيام المؤلمة فى إسرائيل

الفصل الثالث

حرب العقول
التخطيط . . والإعداد

الحرب التى ظهرت نتيجتها قبل انتهاء يوم ٦ أكتوبر وانتصر فيها فريق العقول « المصرى » .

فى غرفة العمليات

القائد العام للقوات المسلحة الفريق أول أحمد إسماعيل على مع رئيس العمليات [قبل وأثناء الحرب] الفريق محمد عبد الغنى الجمسى

الفريق الجمسى مع الفريق حسنى مبارك قائد القوات الجوية ، والذى أصبح - بعد الحرب - نائباً لرئيس الجمهورية

هكذا دار الإعداد والتخطيط

كراسة الجمسى :

أستطيع أن أقول واثقاً إن التحديات التى كانت تقف فى وجه المخططين – المصريين لم يواجهها غيرهم منذ بدأ الصراع البشرى على الأرض .

أقول ذلك واثقاً من أننى لم أجنح لحظة واحدة نحو المبالغة ، إذ أن هناك من الخبراء العالميين من وصلوا إلى هذا الحكم ، كما أننا حين نلقى نظرة فاحصة على هذه التحديات الشرسة التى كان على المخططين المصريين مواجهتها ، سوف ترى كيف كانت مهمتهم قاسية لم يتعرض لها أحد من قبل .

كما أن الحقيقة التى تقول إن التخطيط مثله مثل القرار والتنفيذ كان مصرياً مائة فى المائة . . هذه الحقيقة تضيف بعداً آخر لحجم التحدى الذى حمله على عاتقهم المخططون المصريون ، فهم لم تساندهم عقول أخرى . أو خبرات من خارج الحدود ، ويكفى فى هذا الصدد أن نتذكر الوقفة اليائسة لواحد من أكبر الخبراء – السوفييت أمام الساتر الترابى الهائل الذى أقامه الإسرائيليون على الضفة الشرقية للقناة ، وقوله « إن الحل الوحيد لفتح ثغرات فى هذا الساتر هو استخدام القنبلة الذرية ، كما أن لنا أن نتذكر أيضاً دهشة القادة والخبراء السوفييت التى عبروا عنها حينما توالت أنباء العبور والاقتحام المصرى . حتى إن الخبير السوفييتى الذى التقى مع اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثانى قبل الحرب وقال له « إذا كان مشاتكم سيبقون ثلاث أو أربع ساعات على الضفة الشرقية وحدهم بدون مدرعات فإنهم سيقضى عليهم بالتأكيد . . إن قواتكم سوف تدمر لو حاولتم العبور » .

هذا الخبير نفسه جاء إلى مصر بعد الحرب . . والتقى مع اللواء سعد مأمون ، وعانقه قائلاً « لقد انتصرتم . . لقد حققتم المعجزة »

أعود إذن فأقول لقد كانت مهمة المخططين المصريين شاقة وفريدة فى نوعها وحجمها وتشعبها لقد كانت حرباً فى حد ذاتها . حرباً تخوضها العقول قبل أن تنطلق قذيفة واحدة فى ميدان القتال .

وبديهى أن الحربين (حرب العقول . . وحرب الرصاص) يكمل كل منهما الآخر بل لعل الفريق الذى ينتصر فى حرب العقول . . هو الذى يمهد لرجاله فى ميدان القتال فرص الانتصار والتفوق .

وقد أشار الرئيس السادات فى أحد أحاديثه إلى هذه الحرب ،

وقال إن هذه الخطة التى تضمنتها كراسة الفريق محمد عبد الغنى الجمسى الذى كان رئيساً لهيئة العمليات وقتها – كانت محصلة لجهد رائع ومذهل بذلته العقول المصرية .

– فماذا كان فى كراسة الجمسى ؟

– أو كيف كانت « الخطة » التى وضعتها القيادة المصرية لحرب أكتوبر ؟

لقد درست القيادة المصرية – من خلال تقدير الموقف – الموانع والصعوبات التى سوف يواجهها المقاتلون على أرض المعارك حين تعطى لهم إشارة البدء كما درست موقف العدو من كل جوانبه . بالإضافة إلى موقف قواتنا بالطبع . وإذا نحن بدأنا بعنصر (الأرض) متمثلاً فى الموانع سنجد التالى :

المانع الأول : أخطر مانع مائى فى التاريخ :

يذكر التاريخ العسكرى كيف اضطرت بعض الجيوش إلى عبور موانع مائية تقف بينها وبين هدفها ، لكن الصفحات الجديدة التى أضافها التاريخ إلى كتابه تقول إن تلك الموانع متمثلة فى الأنهار والقنوات لم تصل فى خطورتها إلى ما وصلت إليه قناة السويس التى كان يتحتم على القوات المصرية عبورها .. فقد تميزت هذه القناة عن غيرها من الموانع المائية بعدة صفات فريدة جعلتها تمثل تحدياً خطيرًا للمخطط والمنفذ معاً .

١ – جوانب القناة لا تنحدر بشكل تدريجى كما هو معروف بالنسبة للأنهار والقنوات العادية ، وإنما تقف جوانبها بشكل رأسى تقريباً ، وليت الأمر يتوقف عند هذا الحد ، بل إن هذه الجوانب أو الشواطئ مكسوة بالدبش والأسمنت علاوة على ألواح وشرائح من الصلب على جانبى القاع لتقويتها ولتحول دون انهيار الجانبين . وهى بهذا الشكل تمنع نزول وصعود المركبات البرمائية إلا بعد تجهيزات هندسية مسبقة تتطلب أعمالاً خاصة .

٢ – على حافتى القناة ينهض ساتران ترابيان هائلان يصل ارتفاعهما إلى ٢٠ متراً

الساتر الذى أقامته القوات المصرية على الضفة الغربية ، والذى يتحتم فتح ثغرات واسعة فيه قبل عبور القناة ، ثم الساتر الذى أقامه الإسرائيليون على الضفة الشرقية (والذى يتحتم فتح ثغرات واسعة فيه بعد عبور القناة) .

وحيث إن المرحلة الأولى ستبدأ قبل فتح هذه الثغرات ، فإن المقاتلين المشاة سيكون عليهم تسلق الساتر الشاهق الذى يشبه فى ارتفاعه عمارة مكونة من أكثر من ثمانية طوابق .

٣ – عرض القناة الذى يتراوح بين ١٨٠ ، ٢٢٠ متراً . . لا يسمح للقوات بالمناورة والانتشار أثناء العبور بل إنه يتسبب فى الازدحام والكثافة مما يجعل القوات هدفاً سهلاً لضربات العدو . . ويوضح خطورة هذه الصفة ما نعرفه عن الأنهار التى عبرتها جيوش محاربة من قبل ، وكيف كان عرضها يصل إلى ألفى متراً .

٤ – لا يوجد فى القناة مكان ضحل أو « مخاضة » كما يقول العسكريون ، وأهمية هذه المخاضة تتمثل فى احتمال أن يضطر المقاتلون إلى الخوض فى المياه على أقدامهم وهم يحملون أسلحتهم ومعداتهم . ليس هذا فقط بل إنها تعتبر من أعمق الموانع المائية إذ يصل عمقها إلى ١٨ متراً ، كما أن سطح الماء ينخفض عن مستوى حافة الشواطئ بحوالى أربعة أمتار الأمر الذى يحتم تكسير وتسوية حافة الشاطئين لكى يتيسر رسو وسائل العبور المختلفة .

٥ – لم يحدث أن أقيم على طول شواطئ مانع مائى تحصينات دفاعية متصلة مثلما كان الحال بالنسبة لقناة السويس التى أقام الإسرائيليون على شاطئها الشرقى خط بارليف ، بالإضافة إلى حقول الألغام الكثيفة جداً التى بثها العدو على الحافة مباشرة ، ثم كانت هناك مواسير النابالم التى أعدها الإسرائيليون لتتدفق منها النيران بكميات هائلة تكفى لتحويل القناة كلها إلى قطعة من الجحيم يحول من يقترب منها إلى رماد .

٦ – التيار المائى فى قناة السويس متغير السرعة من مكان لآخر بل من ساعة إلى أخرى – وهذا ما يضيف إلى مشكلة تثبيت رؤس كبارى العبور .

٧ – نظراً لأن القناة تصل بين البحر الأبيض والبحر الأحمر ، فإن المد والجزر فيها يمثلان مشكلة أخرى إذ يتغير مستوى مياه القناة ٤ مرات خلال اليوم الواحد ، ويبلغ فارق المنسوب بين أعلى مد وأدنى جذر حوالى ٦٠ – سنتيمتراً فى الشمال ويتزايد إلى مترين قرب السويس .

. . تلك هى أبرز الصفات التى تجعل من قناة السويس مانعاً مائيًّا فريداً فى صعوبته وقسوته . ويكفى أن نتوقف أمام قائد أمريكى بحرى هو الأدميرال« ماكولى » حين سأله ضابط مهندس مصرى قائلاً :

« لو كلف سلاح المهندسين الأمريكى بعبور القناة من الغرب إلى الشرق فكم من الزمن يستغرق ذلك العبور فى عملية حربية ؟

وأجاب الأدميرال الأمريكى على الفور وبلا تردد :

« إن ذلك يحتاج إلى ٤٨ ساعة على الأقل » .

* * *

المانع الثانى : الساتر المانع الترابى الذى يقف سدًّا شاهقاً :

أشرت فى الصفحات السابقة إلى الساتر المانع الترابى الذى أقامه الإسرائيليون على الضفة الشرقية للقناة ، وإذا كنت قد ربطته بالقناة نفسها كإضافة قياسية إلى صعوبتها كمانع مائى ، فإننى لابد أن أتوقف الآن أمامه باعتباره يمثل مانعاً مستقلاً .

١ – لقد أقام الإسرائيليون هذا الساتر المانع الترابى العملاق على طول الضفة الشرقية لقناة السويس ، وظلوا يزيدون من ارتفاعه حتى وصل إلى ٢٠ متراً .

٢ – لم يكتف الإسرائيليون بهذا الحجم الهائل للسد الترابى ارتفاعاً وعرضاً ، ولكنهم زرعوا جوانبه بحقول من الألغام بالغة الكثافة .

٣ – أنشئ فوق قمته المترامية الأطراف مرابض للدبابات والعربات المدرعة الإسرائيلية بفاصل يتراوح بين ١٠٠ إلى ٢٠٠ متر ، ومعنى ذلك أن كل كيلو متر واحد يشمل ٨ مرابض ، ولو قمنا بعملية حسابية بسيطة لوجدنا أن خط المواجهة الذى يصل إلى ١٧٠ كيلو مترًا يحتوى على ١٣٦٠ مربضاً للدبابات والمدرعات ، ولنا أن نتصور كمية النيران التى تنهال من هذه المرابض على القوات التى تستعد للعبور كما أن هذه المرابض تم إعدادها بحيث تقوم بإنتاج نيران جانبية مؤثرة توجه إلى القوات أثناء العبور .

٤ – حتى لو جردنا هذا الساتر الترابى من كل هذه التجهيزات الكفيلة بوأد عملية العبور فى مهدها . فإن مجرد تسلقه بارتفاعه الحاد يمثل مشكلة كبيرة أمام الأفراد المشاة الذين يحملون على ظهورهم معدات ثقيلة جدًّا فكيف يكون الحال إذا كان

عليهم أن يتسلقوه وسط جحيم النيران الذى يتربص لهم .

٥ - فى حالة نجاح المشاة فى اجتياز هذه المخاطر والصعوبات . . كيف تعبر المدرعات وهى القوات الرئيسية والأساسية فى العمليات القتالية ؟

كيف يمكن أن تعبر هذه المدرعات بعد فترة وجيزة من عبور المشاة الذين سيتصدون وحدهم لمدرعات العدو وحصونه ؟

إن الأمر يتطلب شق طريق أو فتح ثغرات داخل هذا الساتر من عدة أماكن بأسرع ما يمكن . . حتى تنطلق المدرعات إلى مهماتها . فكيف يتم ذلك وبهذه السرعة ؟

- كيف . . والقوات المصرية لا تملك عصاً سحرية . . وليس فى مخازنها قنابل ذرية ؟

- مهمة قاسية أخرى . . كان على المخططين المصريين مواجهتها بكل ما أوتوا من علم وثقافة وخبرة وابتكار ! !

« ملحوظة » أنشأ الإسرائيليون عدداً آخر من السواتر الترابية على عمق يتراوح بين واحد وثلاثة كيلومترات من الشاطئ الشرقى للقناة بنظام خاص ، وهذه السواتر تستخدم كخطوط ومرابض نيران إضافية للدبابات وهى تلعب دوراً مؤثراً فى تحقيق عنصر الدفاع المتحرك وهو تكبيد القوات المهاجمة أكبر خسائر ممكنة فى جيوب نيرانية قوية » .

المانع الثالث : سلاح إسرائيل السرى :

« كان تسهال (جيش الدفاع الإسرائيلى) يعتمد أيضاً - فى جعل أى محاولة مصرية للعبور ضرباً من الانتحار الجنونى - على سلاح سرى خطير فقد كان يخرج من كل نقطة حصينة من نقاط خط بارليف مواسير للمازوت تتجه إلى مجرى القناة ، وفى وسعها أن تقيم فى دقائق سدًّا من النيران واللهب أمام المهاجمين » .

هكذا وصف كاتب فرنسى كبير « المانع الثالث » الذى كان على العقول المصرية أن تخطط لمواجهته والتغلب عليه .

وإذا نحن استعرضنا صورة هذا المانع بشكل أكثر تفصيلاً نجد أن القوات الإسرائيلية أعدت أجهزة لضخ مواد ملتهبة على الشاطئ الشرقى للقناة ، وقد صممت هذه الأجهزه بحيث كانت قادرة على أن تضخ وتدفع على سطح المياه - بطول امتداد

القناة – مزيجاً من النابالم والزيوت سريعة الاشتعال وكميات من الكيروسين ، لتكوين طبقة من النيران فوق سطح المياه ، وبذلك تتحول القناة نفسها إلى حاجز من اللهب يستحيل اختراقه . وكانت هذه الأجهزة الرهيبة تتكون من عدد من المستودعات الضخمة المعبأة بالخليط السريع الالتهاب ، ولها صمامات تتحكم فيها طلمبات ضخ ماصة كابسة ، ويخرج منها خط من الأنابيب بقطر ٦ بوصات ، وتنتهى بفتحات تحت الماء على مسافات متقاربة ، وبشكل أكثر تركيزاً فى جميع الأماكن الصالحة للعبور .

كان كل مستودع قادراً على ضخ ٢٠٠ طن من هذه المواد النابالمية الزيتية الكيروسونية ، وكانت جميع المستودعات مدفونة تحت سطح الأرض حتى يستحيل ضربها بالمدفعية .

وحينما تمكن أحد رجال المخابرات المصرية من الحصول على عينة من هذة المواد الملتهبة ، تمت تجربتها بنفس النسب على مياه النيل وعندما قيست درجة حرارة المياه « فى السطح » بعد اشتعالها اتضح أنها وصلت إلى ما يقرب من سبعمائة درجة مئوية ؟ يعنى – وكما قال أحـد العسكريين المتخصصين – كانت هذه المواد الملتهبة التى ادخرها الإسرائيليون لقوات العبور المصرية كانت من القوة والبشاعة بحيث تحول القناة إلى قطعة من جهنم ، حتى أنها تشوى الأسماك مهما هربت إلى القاع ، وتلفح حرارتها أى شخص يبعد عنها بمسافة ٢٠٠ متر ! !

. . . .

والواقع أن إسرائيل لا تستطيع أن تزعم – كعادتها – أنها هى التى ابتكرت هذا المانع النارى ، إذ أن فكرة إشعال النار فوق الموانع المائية ترجع إلى عام ١٩٤٠ وكان صاحبها ضابطاً إنجليزياً يعمل فى المخابرات ويدعى جون بيكر هوايت حين لاحظ وجود أنابيب بها ثقوب متصلة بخزانات وقود عند خليج سانت مرجريت بالقرب من دوفر حيث تقف القوات الإنجليزية تأهباً لصد الغزو الألمانى . . فأخذ يفكر فى إمكانية استغلال هذه الأنابيب والخزانات لإشعال سطح القناة . ونظراً للإمكانيات المحدودة فى تلك السنة ، فإن العمل اقتصر على نموذج واحد تقريباً ، لاستغلاله فى حرب نفسية ضد الألمان . وقد نجحت هذه الحرب فعلا فى تحقيق هدفها .

. . . .

ونعود إلى قناة السويس . . حيث استخدم الإسرائيليون كل الإمكانيات فى إقامة أجهزة ضخ المواد الملتهبة . . لتصبح بالفعل مانعاً جديداً بالغ الخطورة ولعل هذا ما جعل

ديان يقول ذات يوم – بعد حرب الاستنزاف « إن القوات المصرية لو حاولت عبور القناة سوف تباد عن آخرها ، وتتحول إلى رماد » .

. . . .

وكان على فريق العقول المصرية أن يتصدى لهذا المانع . . ويخطط لمواجهته فكيف ؟ ؟

المانع الرابع : قبضة إسرائيل الحازمة

كان للإسرائيليين الحق – كل الحق – فى الاعتماد والثقة الكبيرة فى خط بارليف الذى أنشأوه على الضفة الشرقية لقناة السويس ، ليكون مانعاً آخر ، أو مانعاً أول ضد أى محاولة مصرية لدخول سيناء .

كان لهم الحق – كل الحق – فى أن يقولوا مثلا على لسان معشوقهم وإله حربهم موشيه ديان :

« إن عمليات العبور المصرية – إذا حدثت ! ! – لن تؤثر على قبضة إسرائيل الحازمة المتمثلة فى خط بارليف المنيع – وسوف يتلقى المصريون الرد الحاسم لأن التحصينات الإسرائيلية فى خط بارليف أكثر قوة وتنظيماً ويمكن القول بأنه خط منيع يستحيل اختراقه .

إننا أقوياء بدرجة تكفى للاحتفاظ إلى الأبد بخط بارليف الذى أنفقنا على إنشاء تحصيناته مبالغ طائلة » .

كان لهم الحق – كل الحق – فى أن يقولوا – مثلا على لسان جدتهم العجوز السيدة جولدا مائير رئيسة وزرائهم السابقة ، حين وقفت بين حصون خط بارليف ، وتلفتت هنا وهناك وقالت وقد ارتسمت على تجاعيد وجهها سعادة غامرة : « إن خط بارليف رمز للذكاء الإسرائيلى . . وإن أى محاولة للاقتراب منه . . ستكون إهانة لهذا الذكاء ! ! »

وكان لهم الحق – كل الحق – أن يقولوا أيضاً على لسان صاحب الخط شخصياً الجنرال حاييم بارليف :

« إننى متأكد أن مصر إذا استأنفت القتال فلن تتمكن من تحقيق أى عبور ، وذلك لاستحالة اجتياز خط الدفاعات الإسرائيلى المقام على امتداد الضفة الشرقية كما أن قواتها لن تتمكن على الإطلاق من عبور قناة السويس بسبب ما يشكله هذا الخط من خطر على القوات القائمة بالعبور .

كان لهم الحق – كل الحق – فى أن تتوالى تصريحاتهم عن مناعة وخطورة قبضتهم

الحازمة المسماة خط بارليف . وكان بعض الخبراء الأجانب معذورين فى قولهم « مساكين هؤلاء المصريون . . ماذا هم فاعلون وهذا الخط الحصين فى انتظار أى تحرك منهم ؟ » .

ولكن لماذا كان لهم الحق كاملا فى أن يثقوا فى خطهم البارليفى ؟

ولماذا كان للخبراء الأجانب العذر فى أن يشفقوا على القوات المصرية لو فكرت فى العبور ؟

لمـــــاذا ؟

إن التاريخ العسكرى قد عرف الخطوط الدفاعية الحصينة قبل أن ينضم إليها خط بارليف الإسرائيلى .

فقبيل نشوب الحرب العالمية الأولى أنشأت فرنسا خطًّا دفاعيًّا حصيناً أطلق عليه « فردون » ، وقد قهر الجيش الألمانى بقيادة الماريشال « فولكنهاين » – هذا الخط فى ٢١ فبراير ١٩١٦ معلناً أنه بذلك قد حطم الكبرياء الفرنسية ودمر معنويات الفرنسيين .

وبعد أقل من عشرة أعوام من الحرب العالمية الأولى أنشأت فرنسا خطها الدفاعى الثانى مستفيدة فى إنشائه من تجربة خط « فردون » ، وقد سمى هذا الخط باسم وزير الدفاع الفرنسى الذى أشرف بنفسه على بنائه ، وهو « اندريه ماجينو » وقد أجبرت مناعة خط « ماجينو » هذا الجيش الألمانى بقيادة الجنرال « جودريان » على تفادى اقتحامه وآثر أن يقوم بتطويقه فقط والالتفاف من « سيدان » والاندفاع بمدرعاته فى اتجاه نهر الميز .

عرف التاريخ إذن خط فردون وخط ماجينو وخط جينسوتا وخط سيجفريد وغيرها من الخطوط الدفاعية الحصينة . لكن خط بارليف الإسرائيلى جاء لتظهر كل تلك الخطوط أقزاماً بجانبه . فلقد استفاد الإسرائيليون من كل التجارب التى ارتبطت بتلك الخطوط الحصينة ، فنقلوا مزاياها وأضافوا إليها ، فى الوقت الذى تلافوا فيه سلبياتها وعيوبها . ليس هذا فقط بل إنهم استفادوا من تجربة حرب الاستنزاف التى تم فيها تدمير ثلثى الخط الأول ، فأعادوا بناءه ، ثم عادوا فأضافوا إليه المزيد والجديد وكأنهم بذلك قد بنوه وشيدوه على ثلاث مراحل كاملة . هى المرحلة منذ انتهاء حرب يونية ٦٧ ، ثم المرحلة التى بدأت مع حرب الاستنزاف – بعد أن وقع القصف المدفعى المصرى العنيف فى سنة ١٩٦٨ واستمرت هذه المرحلة حتى نهاية حرب الاستنزاف فى أغسطس ١٩٧٠ . وبدأت المرحلة الثالثة

بمجرد إعلان وقف إطلاق النار وتوقف حرب الاستنزاف – ويعترف الإسرائيليون بأن العمل فى هذه المرحلة كان سباقاً مع الزمن .

صورة عامة لقبضة إسرائيل الحازمة :

كنت ومازلت كلما أحاول أن أشرح لأحد الأصدقاء أو أسجل فى كتاباتى وبرامجى صورة لقبضة إسرائيل الحازمة (خط بارليف) ، أشعر بأن أى وصف لا يعطى الصورة الدقيقة (بالرغم من أننى شاهدت حصون هذا الخط أثناء وبعد الحرب ، وبالرغم من أننى قرأت عنها وتناقشت مع كبار الضباط حولها كثيراً) . ولم يكن هذا موقفى وحدى بل كان موقف الكثيرين . ولذلك فإننى آثرت أن أصف الصورة التى أحاول وضعها الآن بأنها صورة « عامة » لا تصل إلى الواقع الغريب .

وأبدأ هذه الصورة بأن أطرح سؤالا هاماً . . سأحاول أن أجيب عليه من خلال مشاهداتى . . وما كتب أيضاً .

السؤال هو : هل هو خط بارليف . . أم أنها خطوط بارليف ؟

إن المعروف – لغوياً على الأقل – أن خط التحصينات الدفاعية يتكون من حصون متصلة بالتجهيزات أو بتغطية النيران . . وتكون هذه التحصينات على طول المواجهة الواقعة أو المحتملة .

لكن حصون بارليف لم تكن تمثل خطاً واحداً . . فعلى امتداد الضفة الشرقية للقناة كان الخط الأول والرئيسى ، وبعده – على مسافة من « ٣ إلى ٥ » كيلومترات ، كان هناك الخط الثانى ويتكون هو الآخر من تجهيزات هندسية ومرابض للدبابات والمدفعية ثم يجىء بعد ذلك – وعلى مسافة من ١٠ – ١٢ كم الخط الثالث الموازى للخطين الأول والثانى ، وكان به تجهيزات هندسية أخرى ، وتحتله احتياطات من المدرعات ووحدات مدفعية ميكانيكية . وتضمن هذا الخط أيضاً مراكز اتصال وغرف عمليات ومستشفيات كاملة .

هل كان خطاً واحداً – إذن – أم أنه ثلاثة خطوط من التحصينات ؟

– قد يتفق معى بعضهم فى الوصف الثانى ، وقد يرى بعضهم – ولهم منطقهم أنه خط واحد بعمق كبير يتراوح بين (١٠ – ١٢ كيلو متراً) .

– وقد يقول القارئ الصديق ، لماذا نشغل أنفسنا بهذا السؤال عما إذا كان خط

باريليف خطًّا واحداً أم ثلاثة خطوط . ألا يكفى إعطاء صورة لهذه التحصينات الضخمة دون أن نتقيد بالعدد ؟ !

– وأقول أنا لعلنى أردت أن أجعلك أيها القارئ العزيز تستعد ذهنيًّا وتهيأ بخيالك لكى تتصور الحجم الهائل لتحصينات بارليف . . وحتى لا يتوقف التصور عند التحصينات الموازية للقناة فقط . .

والمهم الآن أن مساحة الصورة أمامنا . . أو المنطقة التى كانت تشغل حصون بارليف هى ١٧٠ كيلو متراً – طولا – ومن ١٠ – ١٢ كم عمقاً – وقد بلغ عدد – الحصون القوية ٣٦ حصناً و ١٥ برج مراقبة (كما يقول الإسرائيليون أنفسهم) ، وكان الخط يحتوى على ٢٠٦ ملجأ كبيراً وكذلك ٤٦٢ حصناً للأسلحة والدبابات ، ويحيط بكل نقطة حصينة ٧٣ نطاقاً من الألغام والأسلاك الشائكة .

– ويصف مؤلفو كتاب « التقصير » الإسرائيليون خط أو خطوط بارليف فيقولون :

– كانت شبكة التحصينات عبارة عن جزء من شبكة معقدة طورت من سنة إلى أخرى وقد استغرق بناؤها شهوراً كثيرة واستخدمت فى هذه العملية آلاف التراكتورات والجرافات والمعدات الثقيلة الأخرى ، وقد جلبت من شمالى البلد بواسطة آلاف من عربات النقل الكبيرة كتل من الأحجار وضعت فى شباك من الحديد سميت باسم (جفيونيم) لاستخدامها فى بناء (طبقات تفجير) فوق الدشم ، وكان الهدف من طبقات التفجير هذه – التى بلغ سمكها عدة.أمتار – هو الحيلولة دون نفاذ قذائف المدفعية الثقيلة إلى داخل الدشم ، وقد استخدم الجيش الإسرائيلى المدفعية السوفييتية الثقيلة التى غنمها فى حرب يونية ٦٧ ، فى تجاربه لامتحان قدرة طبقات التفجير هذه على الصمود .

قلاع القرون الوسطى :

يضيف المؤلفون الإسرائيليون لكتاب التقصير . . فى حديثهم عن حصون بارليف فيقولون :

ازدادت هذه التحصينات التى أنفق فى البداية على بنائها عشرات الآلاف من الليرات ازدادت تعقيداً ، وتحولت من الداخل إلى مساكن مجهزة بكل وسائل الراحة :

– أجهزة اتصال متطورة .

– مكيفات هواء (أجهزة تكييف) .

- مبردات (أجهزة تبريد) .
- مواسير مياه .
- مخازن تموين .
- آلة عرض سينمائية داخل صالة مكيفة .
- تليفون عام يمكن الجنود من الاتصال مباشرة وبسرعة مع أسرهم فى مدنهم .
- مقاصف (كانتينات) ومطابخ حديثة جداً .
- مكتبة .
- وكانت أماكن إقامة الجنود داخل الدشم المحصنة وكانوا ينامون على أسرة ذات طابقين كما فى قمرات السفن .
- وكانت هناك فى كثير من التحصينات نواد مجهزة بأدوات ومعدات رياضية مثل تنس الطاولة ، وكرة السلة .
- وكان الفنانون والمحاضرون يزورن الجنود فى تحصيناتهم كل أسبوع .

. . . .

ولقد بنيت التحصينات التى كانت تبدو من الخارج كقلاع العهود الوسطى ، بحيث كان كل حصن كدبابة عملاقة رهيبة الحجم قادرة على القتال بصورة مستقلة ، كان المقاتلون فى داخله مزودين بقوة نيران كبيرة يمكن تشغيلها بواسطة حفنة من الرجال ، ويؤمن لكل حصن اكتفاء ذاتى من الناحية القتالية بحيث يصمد فى وجه قوات (متفوقة) كان التقدير أنه بإمكان كل حصن من حصون بارليف الدفاع فى مواجهة كتيبة مدرعة كاملة للعدو لمدة أسبوع على الأقل .

- استكمالاً نهائياً لمناعة وقدرة هذا الخط قام اللواء أريك شارون (عندما) عين قائداً للجبهة الجنوبية « جبهة سيناء » بشق مئات الكيلو مترات من الطرق قرب القناة ، وخاصة الطرق المواجهة لها بصورة عمودية ، وقد أراد بذلك أن يقلل إلى الحد الأدنى من المقاطع التى تتحرك فيها قوات الجيش الإسرائيلى تحت رحمة النيران المصرية التى تنطلق من الجهة الأخرى للقناة ، كما قصد بالطرق التى شقت بمواجهة القناة تمكين المدرعات من التحرك السريع نحو المعاقل والقناة نفسها .

وقد أمر شارون أيضاً بتجديد وتقوية المعاقل مرة أخرى برغم أنها صمدت قبل ذلك أثناء حرب الاستنزاف للقصف المصرى المركز والكثيف على مدى ستة عشر شهراً .

وبدأت عملية بناء جديدة اعتبرت « أكبر عمليات البناء فى إسرائيل » (وقد أشرف عليها اللواء دان لنر ومساعده كالمان بيجين) . فأضيفت إلى طبقة قضبان السكك الحديدية طبقة جديدة مكونة من ألواح من الحجارة وضعت فى داخل شبكات من المعدن . وقد اشترك فى العمل آلاف العمال اليهود ، وآلاف العمال الدروز الذين أحضرتهم القوات الإسرائيلية من هضبة الجولان .

بعد ذلك أضاف شارون حوالى أربعمائة كيلومتراً من الطرق شقها بجانب القناة ومن بينها مائتان وخمسون كيلومتراً تم رصفها بالأسفلت ، وفى منطقة المستنقعات فى القطاع الشمالى شقت طريق وضع تحتها ستائر من البلاستيك حتى لا يتسرب الماء - إليها ويغطيها .

وقد أكثر شارون من شق طرق العرض ، وأعدت فى مفترقات الطرق ، طرق جانبية وعلى طول القناة شقت طرق أخرى طويلة سميت « طريق البطاريات » ، وذلك لكى تتحرك عليها بطاريات مدافع الجيش بسرعة هذا وقد أنفق على إنشاء حصون خط بارليف ما يزيد على مليارى ليرة . (ويضاف إلى هذا الرقم الذى يذكره الإسرائيليون ، أنهم استغلوا الرمال والصخور التى استخدمت فى التجهيزات من أرض سيناء ، كما أنهم سرقوا قضبان السكك الحديدية المصرية فى سيناء التى انتزعوها كلها واستخدموها أيضاً فى البناء ، بل إن هناك ما يؤكد أنهم استخدموا صخوراً من مرتفعات الجولان السورية فى إقامة هذه التحصينات البارليفية - ولو قدرت كل هذه الموارد بأسعار متوسطة لتضاعفت تكاليف إقامتها) .

وقفة أمام أحد حصون بارليف :

كما قلت من قبل فإننى شاهدت معظم حصون خط بارليف أثناء وبعد الحرب وكنت أقف مبهوراً أمام ثلاثة أمور :

١ - ضخامة ومناعة هذه الحصون .

٢ - عظمة وروعة الجنود المصريين الذين اقتحموا هذه الحصون ودقة التخطيط الذى قامت به القيادة المصرية .

٣ - ظهور الجندى والضابط الإسرائيلى على حقيقته، إذ أن مثل هذه الحصون لم تكن تحتاج إلى جنود لهم أسطورية « السوبرمان » كما كانوا يصفون الجندى الإسرائيلى بل

كان من الممكن جدًّا لأى عدد من الجنود العاديين أن – يقاوموا من خلالها أسابيع وشهوراً ويلحقوا بالقوات المهاجمة لهم أفدح الخسائر – وهذا ما لم يفعله جنود جيش الدفاع الإسرائيلى فقد استسلموا فى ساعات أو أيام قليلة جدًّا .

وأذكر هنا أن جنديًّا مصريًّا اصطحبنى فى جولة داخل هذه الحصون ليشرح لى – مبهوراً هو الآخر التجهيزات المتعددة ووسائل الأمان الهائلة . . وقال لى بتلقائية بسيطة « والله العظيم لو كنت – لوحدى – داخل هذا الحصن . . لما سمحت لأى قوة بالاقتراب منه ! ! ».

. . . .

ونلقى الآن نظرة سريعة على شكل أحد الحصون البارليفية لنرى جانباً آخر من جوانب ضخامة ومناعة هذه التحصينات .

المدخل الوحيد للموقع الحصين عبارة عن ثغرة لا يزيد عرضها عن خمسة أمتار فقط تسمح بمرور العربات والدبابات القادمة من ناحية الشرق ، بمعنى أنه لكى يدخل أحد الحصن لا بد أن يكون قادماً من اتجاه القوات الإسرائيلية فى سيناء . ويتم إغلاق هذا المدخل بحبل من الألغام المضادة للدبابات والأفراد ، وبواسطة بعض الجنود الذين يعرفون الممرات الآمنة خلال تلك « السدادة المكونة من الألغام – هذا وكان لكل حصن مدخل واحد فقط أو مدخلان فى حالات قليلة .

الحصن يقع على مساحة تزيد على أربعة آلاف متر مربع وقد تصل إلى خمسة آلاف متر .

يتكون الحصن من أربع دشم .

الدشمة الواحدة عبارة عن بناء من ثلاثة طوابق . الطابقان الأول والثانى ونصف الطابق الثالث تحت الأرض وبالتالى لا يظهر منها سوى النصف الآخر من الطابق الثالث والذى توجد فيه « المزاغل » وهى الفتحات المستطيلة التى تظهر منها فوهات المدافع باختلاف أحجامها .

الدشمة مبنية بالأسمنت المسلح (بكميات ضخمة) وتتكون أسقفها من قضبان السكك الحديدية ، وطبقات عديدة من الصخور والرمال (يصل ارتفاعها إلى عشرة أمتار) ثم شبكة من الفولاذ .

لكل دشمة ولكل طابق منها وأيضاً لكل غرفة باب من الفولاذ لا يمكن فتحه ولا

يتأثر بقذائف المدفعية ، ويتحكم فى إغلاقه وفتحه الجنود الموجودون بالداخل أوتوماتيكيًّا .

السقف الذى يصل بين كل طابق والآخر من طوابق الدشمة يصل سمكه إلى أكثر من مترين (من الأسمنت المسلح والقضبان والأحجار والرمال) .

نتيجة لذلك كله . . كانت الدشم تتحمل قصف المدفعية وقنابل الطائرات حتى القنابل زنة ألف رطل . .

تم تجهيز وتنسيق العمل بين الدشم المختلفة بحيث تلتقى النيران والقذائف التى تنطلق من إحدى الدشم مع القذائف التى تصدر من الدشمة المجاورة . فتكون المنطقة الموجودة بينهما مغطاة بالنيران تماماً – كما تم تجهيز كل نقطة بحيث يمكنها تحقيق الدفاع الدائرى ، كما قسمت إلى أجزاء يمكن لكل منها أن يقاوم ويدافع دفاعاً دائريًّا إذا ما سقط الجزء أو الأجزاء المجاورة له .

فى كل حصن عدة أنواع من الأسلحة المختلفة كمدافع الهاون ، والمدافع الذاتية الحركة والرشاشات التى تعمل ذاتيًّا بمجرد إحساس أجهزة إليكترونية متقدمة جدًّا بحرارة أى إنسان يقترب من الحصن . بالإضافة إلى الرشاشات المضادة للطائرات وأيضاً مواقع للصواريخ أرض – أرض .

حول كل دشمة ممر يأخذ شكل القوس ، وينتهى طرفاه بمربض للدبابات ، تصعد فوقه الدبابة لتضرب ثم تختفى بنزولها فى قاع القوس بعيداً عن القذائف المصرية . وكانت كل دشمة مدعمة بحوالى ثلاث دبابات .

• كان الإسرائيليون يستخدمون مصعداً كهربائيًّا للمراقبة ، ثم طوروه – بعد أن دمر القناصة المصريون الكثير منه أثناء حرب الاستنزاف – وأصبحت المراقبة عن طريق « بيريسكوب » إليكترونى يصعد أوتوماتيكيًّا من إحدى الثغرات ثم يختفى .

• هذا كله بالإضافة إلى خزانات النابالم والمازوت التى كانت معدة لتتدفق منها النيران عبر المواسير المثبتة تحت سطح مياه القناة .

لماذا أقام الإسرائيليون خط بارليف :

لم تكن الجهود المتواصلة والتكاليف الباهظة التى بذلتها وأنفقتها إسرائيل فى إقامة

تحصينات خط بارليف . من قبيل الرفاهية . . (هذا غير وارد بالطبع) إن إسرائيل استنزفت جهود مهندسيها وعمالها وجنودها على مدى سنوات . . وأنفقت ملايين من الليرات بل سخرت ما لديها من مواد حتى إنها استخدمت كل ما لديها من أسمنت ، فى بناء وتجهيز خط بارليف لكى تحقق الأهداف التالية :

١ - ترسيخ الوجود الإسرائيلى فى سيناء وعلى ضفة القناة الشرقية بوقاية جنودها المتمركزين فى خط المواجهة ضد التأثير النيرانى للمدفعية والطائرات المصرية مع تحقيق القدرة على الصمود ضد أى هجوم يرى من أى اتجاه . وفى الوقت نفسه يتيح تجهيزات الحصون إمكانية توجيه ضربات تدميرية تأديبية للقوات والمدن المصرية بين الحين والحين لإجهاض أى محاولة أو حتى فكرة للعبور وليس بخاف ما أحدثته مدفعية ودبابات مواقع لسان بور توفيق وعيون موسى وبور فؤاد فى مدن السويس وبور سعيد والإسماعيلية من تدمير وقتل استنكره المراقبون العالميون .

٢ - إعطاء إنذار مبكر ببدء العمليات من جانب القوات المصرية .

٣ - إعطاء معلومات دقيقة بوسائل الاستطلاع الموجودة فى المواقع الحصينة والمستفيدة من ارتفاع الساتر الترابى عن عمليات الإعداد وعمليات اقتحام القناة ، وخاصة فى المراحل الأولى .

٤ - السيطرة على المناطق الصالحة لعبور القناة والطرق الطولية التى تؤدى إلى عمق سيناء .

إدارة نيران المدفعية وتوجيه طيرانهم .

- « ترى هل تكفى هذه الوقفة لكى يتضح قدر معقول من ضخامة وأسطورية خط بارليف ؟ ؟ وبالتالى تتضح جسامة وصعوبة إحدى المهام الملقاة على عاتق المخططين المصريين ؟

- أعتقد - أو - أرجو ذلك . .

- وفى نفس الوقت أجدنى خاضعاً لإغراء الاستشهاد بأقوال أخرى أضمها لتلك الأقوال التى سجلتها فى بداية الحديث عن « قبضة إسرائيل الحازمة . . خط بارليف وأتحفظ فأقول إن خضوعى لهذا الإغراء بالاستشهاد بمزيد مما قيل يرتبط أساساً برغبتى فى تعميق الصورة ، وتحقيق الموضوعية الكاملة .

- فى ٦٩/٥/١٥ قال مناحم بيجن زعيم كتلة ليكود :

« إن المصريين لن يمروا عبر خط بارليف وهم لو فكروا فى ذلك فإنهم سيكون مصيرهم مثل مصير جيش فرعون » .

وتطالعنا أيضاً هذه السطور المثيرة :

– إن الاستحكامات التى أقامتها إسرائيل على الضفة الشرقية للقناة والمسماة بخط بارليف ، قد غيرت الموقف العسكرى كلية ونهائياً لصالح إسرائيل . لقد أصبح فى استطاعتنا أن نطلق النيران أو لا نطلقها وفقاً لمشيئتنا نحن ، ما دام جنودنا فى حماية تحصينات خط بارليف الذى برهن على فعاليته تحت وطأة نيران المدفعية المصرية فى حرب الاستنزاف .

(توقيع)
الجنرال أفراهام آدن
أحد القادة الإسرائيليين

« إنه من الواضح فى رأيى أننا سوف نظل مرابطين على خطوطنا الدفاعية بالضفة الشرقية للقناة . . تلك الخطوط التى تعتبر أكثر الخطوط الدفاعية ملاءمة لنا . والتى نستطيع أن نحافظ عليها بأقل التضحيات الممكنة . وهى كذلك تعتبر العقبة الرئيسية أمام عبور جيش تقليدى بطىء الحركة وثقيل كالجيش المصرى » .

(توقيع)
الجنرال شارون
فى حديث مع رئيس تحرير صحيفة لوموندا الفرنسية
بتاريخ ١٩/ ١٩٧٠/٧

« إنه فى الوقت الذى تناقش فيه الولايات المتحدة مسألة احتلال إسرائيل لصحراء سيناء المصرية ، فإن القوات الإسرائيلية قد أقامت لنفسها – بعد أكثر من خمس سنوات من الاحتلال – جذوراً عميقة ، فأقامت التحصينات والمعسكرات الدائمة ، حتى باتت سيناء تمثل معسكراً إسرائيلياً حصيناً للغاية . وعلى امتداد الضفة الشرقية للقناة ، فإن الجنود الإسرائيليين يعتبرون آمنين بنسبة ١٠٠ ٪ (مائة فى المائة) حيث تحميهم ملاجئ ودشم متينة مصنوعة من الأسمنت المسلح والحديد والقضبان الفولاذية . بينما تقوم الكاسحات والجرافات الإسرائيلية بالتمهيد للوجود الإسرائيلى الدائم بخط بارليف وذلك بتجهيز حفر الدبابات الثقيلة ومرابض المدفعية بعيدة المدى المنتشرة خلف الخط من مواقع منيعة متماسكة .

وأثناء مناقشتى مع أحد كبار القادة الإسرائيليين على جبهة السويس سألته عن احتمال اختراق المصريين بالقوة لخط التحصينات الإسرائيلى أو محاولة إقامة رأس جسر لهم على الضفة الشرقية للقناة ، فأجابنى فى ثقة :

« إن عبور حفنة من رجال الجيش المصرى – كقوة دورية مثلاً – إلى الضفة الشرقية بغرض بث الألغام والفرار بسرعة أمر ممكن . . أما إقامة المصريين لرأس جسر بقوة كبيرة فهذا أمر محال إنها خطوة ليس فى قدرة مصر تحقيقها أبداً . .

إن الجيش المصرى – على الرغم من آلاف القصفات من المدفعية الثقيلة والهاونات والصواريخ ، قد يفشل فى تدمير حصن واحد من حصون خط بارليف .

(توقيع)
توماس تشيتهام
(مراسل وكالة اليونيتدبرس)
وقد نشر هذا التحقيق فى عام ١٩٧٢ بعد أن دعته القيادة الإسرائيلية لزيارة تحصينات خط بارليف على القناة وفى سيناء

فى مواجهة هذه الموانع :

كيف حاربت العقول المصرية معركة الإعداد والتخطيط ؟

فى بداية حديثى عن الموانع كما كانت قائمة قبل حرب أكتوبر ، قلت لقد كان يحق لقادة إسرائيل أن يطمئنوا إلى مناعة موقفهم فى مواجهة الصعاب الهائلة التى تعترض أى تحرك مصرى .

كان يحق لهم أن يطمئنوا ما وسعهم الاطمئنان ، وكان يحق لهم أيضاً أن ترتفع لهجتهم المغرورة الواثقة .

ولكن كان للمصريين أيضاً الحق كل الحق فى أن يثقوا فى ذكائهم وقدراتهم وإمكانياتهم . كان يحق لهم أن يطمئنوا إلى أن حاضرهم العسكرى يدعمه تاريخ عريق يتعدى عمره سبعة آلاف سنة .

ومن هنا كانت المواجهة فى حرب العقول ساخنة ملتهبة ، متشعبة دروبها عميقة أبعادها ، دقيقة حساباتها .

وقبل أن نتطرق للحديث عن جولات وميادين هذه الحرب العقلية ، يجدر بنا أن نلقى نظرة على أهم الأسس التى وضعتها القيادة المصرية فى اعتبارها لقد تم تحديد الهدف العسكرى بالعمل على هزيمة قوات العدو الإسرائيلى وتكبيدها خسائر فادحة ، والاستيلاء على مناطق ذات أهمية استراتيجية تهيئ الظروف المناسبة لفرض الحل السياسى العادل للقضية وقد تم تحديد الهدف العسكرى بعد دراسة الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية بكل جوانبها وأسسها وقد حددها فريق العقول المصرية كالتالى :

١ – تقوم الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية على أساس نقل المعارك باستمرار خارج إسرائيل وإبعادها بأى وسيلة عن العمق الإسرائيلى .

٢ – عدم التنازل عن أى شبر من الأراضى التى احتلتها فى مراحل مختلفة ، لإيمانها بأن أى أرض يتم كسبها بالقوة تعتبر حقًّا تاريخيًّا وعمقاً إضافيًّا .

٣ – المحافظة على القوة البشرية وبالتالى تجنب الخسائر الكبيرة فى الأورواح – ومن ثم فإن الإعداد والتخطيط للتغلب على الموانع المختلفة كان يتضمن تحقيق ما يمكن تحقيقه من الهدف العسكرى للحرب . .

الجولة الأولى : كيف التغلب على المانع المائى :

– فى مرحلة الإعداد والتحضير ، قام الجيش المصرى بالعديد من تجارب العبور على موانع مائية تشبه قناة السويس إلى حد كبير جدًّا ، كما تمت عمليات عبور محدودة للقناة ذاتها (خاصة أثناء حرب الاستنزاف) وقد أفادت هذه العمليات فى تحقيق جميع الأهداف المحددة ، كما أنها كانت فى الوقت نفسه مصدراً للمعلومات والخبرات .

قام سلاح المهندسين المصرى بإعداد وتوفير معدات ومهمات العبور فتم تصنيع ٦٠ ٪ من الكبارى محلياً ، وتمت صناعة ٧٥ ٪ من قوارب الاقتحام التى وصل عددها إلى ٢٥٠٠ قارب وقد تم التدريب الشاق على إقامة الكبارى فى أسرع وقت (برغم بدائيتها) وعلى استخدام القوارب بشكل منظم للغاية .

– قام العلماء من رجال القوات المسلحة المصرية بدراسة بالغة الدقة لكل ما يتعلق بالقناة كمانع مائى . . وقد توصلوا من خلال هذه الدراسة إلى التخطيط التالى :

١ – تم تحديد أصلح الأماكن لإقامة المعبر ، ولم يكن هذا التحديد بالسهولة

التى تنطلق بها الكلمات عنه ، فقد كان ذلك نتيجة لدراسة عملية لنوع التربة ودرجات الميل والانحدار . .

٢ – توصلت القيادة إلى اختيار أصلح الأوقات (ليس فقط بالشهر أو – باليوم وإنما بتحديد الساعات التى تكون أكثر مناسبة لإقامة المعابر من حيث حركة المد والجزر ومنسوب المياه .

٣ – كذلك روعى فى تحديد ساعة عبور المشاة أن تكون فى الثانية وعشرين دقيقة ظهراً بعد أن توجه القوات الجوية المصرية ضربتها الشاملة ، وبعد التمهيد النيرانى بالمدفعية . . وكان ذلك يعنى أن الموجات الأولى من المشاة ستعبر قبل أن يستعيد الطيران الإسرائيلى توازنه ويتصدى لهذه الموجات ، وقد قدرت القيادة أنه بحلول الظلام بعد الساعات القليلة المتبقية بالنهار ستقل أو تنعدم فاعلية الطيران الإسرائيلى ، وبالتالى تقل الخسائر بين المشاة الذين يقومون بالعبور كما يتسنى إقامة المعابر ودخول المعدات الثقيلة كالمدرعات فى ظلام الليل الذى يحل فى شهر أكتوبر سريعاً ويمتد إلى ١٢ ساعة .

كذلك كان تحديد ساعة العبور مرتبطاً باتجاه الشمس للاستفادة منه بحيث تكون أشعة الشمس أثناء عبور القوات فى وجه العدو .

٤ – تم إعداد وتحديد الطرق والممرات اللازمة لإيصال العربات والمعدات المختلفة إلى أماكن العبور بشكل بالغ الدقة .

٥ – تمت تحضيرات ضخمة متنوعة ومتعددة لتنفيذ مخططات العبور بسرعة ودقة لا تسمح بالتجمع الكثيف قرب نقاط العبور خلال التنفيذ وذلك للتقليل من الخسائر المحتملة نتيجة للقصف المعادى ، ولضمان عدم حدوث اضطرابات وعرقلة لحركة القوات والمركبات والآليات المختلفة .

٦ – جرى إعداد خطة المساندة القوية بنيران المدفعية لتليين الدفاعات الإسرائيلية وتحطيم الأسلاك الشائكة الكثيفة الموضوعة على الضفة الشرقية والساتر الترابى ، وأيضاً للإسهام فى تفجير الألغام المزروعة بكثافة . كما تضمنت هذه الخطة توجيه ضربات قوية فى العمق التكتيكى للعدو ضد مجموعات الاحتياطى المتحرك من الدبابات والمشاة الميكانيكية والمدفعية ذاتية الحركة . . المعدة للقيام بهجمات معاكسة وتدعيم مواقع خط بارليف فى تصديها لعملية العبور . وكانت الخطة تقضى بطبيعة الحال بتجميد القوات الإسرائيلية فى هذا الخط وشل حركتهم داخل حصونهم .

٧ – تلتقى هذه الخطة للمساندة بنيران المدفعية مع خطة التمهيد والمساندة بالضربة الجوية التى توجهها الطائرات المصرية والتى تقوم بتجميد السلاح الجوى الإسرائيلى أطول وقت ممكن بضرب مطاراته – وكذلك تقوم بالمشاركة فى ضرب المواقع والمدرعات الإسرائيلية .

٨ – استكمالاً لنفس الخطة يتم إبرار وحدات من قوات الصاعقة المصرية داخل عمق العدو لتعطيل مدرعاته التى تنجو من قصف المدفعية وقذف الطائرات عن الانطلاق إلى مصاطبها المتقدمة والتصدى لعملية العبور .

٩ – إذا كانت الضربة الجوية ستعمل على تجميد الطيران الإسرائيلى بضع ساعات كما هو مخطط لها ، فإنه للتأمين الكامل والمستمر ضد دخوله المعركة بشكل سريع وفعال ، تم التخطيط لمواجهته بالدفاع الجوى القادر على إبطال فعاليته بالدرجة الكافية .

١٠ – ركزت الخطة على أن يعبر القادة مع الموجات الأولى من جنودهم ، للسيطرة المباشرة وإدارة المعركة من واقع متابعة الأحداث على أرض المعركة فالقائد الذى يرى – ولا يعتمد على ما يصل إليه من تقارير – هو الذى يستطيع أن يتخذ – القرار فوراً . واتخاذ القرار فى الوقت المناسب من أهم عوامل الانتصار . . ومن ناحية أخرى كانت الخطة تضع فى الاعتبار التأثير المعنوى العظيم حينما يرى الجنود قادتهم بينهم وأمامهم من اللحظات الأولى .

وهكذا قام فريق العقول المصرية بالإعداد والتخطيط العلمى الدقيق لمواجهة المانع المائى – وليس من شك أن هناك تفصيلات جانبية أخرى . . لم يكشف عنها الستار بعد وإن كانت الصورة النهائية تقول إن الإعداد والتخطيط لهذه الجولة كان يمثل انتصاراً ساحقاً لفريق العقول المصرية .

الجولة الثانية : هل تحترق بهم القناة ؟

وماذا كانت مهمة المهندس ألبرت رحميم وزملائه ؟

– فى يوم ٥ أكتوبر أرسلت القيادة الإسرائيلية ، المهندس « ألبرت رحميم » الذى يعمل فى سلاح الهندسة إلى الجنوب ، وانضم هو وزميل له إلى مهندس آخر – وذلك من أجل فحص منشآت المحروقات التى أعدت لإشعال النار فى القناة إذا ما حاول المصريون العبور .

– سجل ملف عمليات الجيش الإسرائيلى تلك السطور حول جانب من جوانب

استعدادهم لمواجهة الحرب الوشيكة الوقوع مع مصر وسوريا – وقد أيد هذه المعلومات الخبير والمعلق الإسرائيلى زئيف شيف فى دراسة حول « حرب تشرين » .

– لقد تجمعت لدى القيادة الإسرائيلية المعلومات التى تشير إلى احتمال نشوب الحرب بعد ساعات ، وبغض النظر عن حجم وأسلوب تحليل هذه المعلومات كما سنوقفه أمامه فى فصل قادم ، فإن ما يعنينا الآن أن قادة إسرائيل قد فركوا أيديهم نشوة وسعادة « فها هم أولاء العرب يسعون إلى مصيرهم بأنفسهم » وها هو ذا سلاح إسرائيل السرى – وهو سلاح واحد من أسلحتهم العديدة – سوف يحرق القناة بالجيش المصرى الذى سيحاول عبورها .

– « سوف يتحول الجنود المصريون إلى رماد » كما قال موشيه ديان. ستكون البداية المتلهبة على يد « السلاح السرى » فى « حل مشكلة الإسكان والمواصلات فى مصر بالقضاء على مليون جندى وضابط . . وبالتالى سيخفف الزحام على المواصلات ، وستتوفر الشقق الخالية لمن يريد السكن » (هذا أيضاً ما قالته جولدا مائير) .

– هذا ما تأهبت له إسرائيل . . وأرسلت من أجله المهندس ألبرت رحميم وزملائه

– وتلك هى الصورة التى توقعتها – بشكل مؤكد – بعد ساعات : القناة تحترق وجثث الجنود المصريين تتفحم . . حتى الذين يقفون على بعد يصل إلى مائتين من الأمتار سوف يشويهم لهيب النيران المتدفقة كالكلاب المسعورة من مخازن ومواسير المازوت والنابالم .

. . ولكن . . ماذا كان على الجانب الآخر ؟

. . كيف خططت القيادة المصرية لانتزاع أنياب كلاب النار المسعورة وتقييدها وحبسها فى مكانها ؟

. . كيف اطمأنت القيادة المصرية بتخطيطها والثقة فى أداء رجالها – إلى أن قواتها المسلحة لن تمسها نيران المواسير الممتدة من خزاناتها فى حصون بارليف إلى شاطئ القناة ؟

. . قبل أن أتحدث عن التخطيط المصرى لهذه الجولة « النارية » ، أدعوك صديق القارئ إلى قراءة أخرى لهذا الخبر الذى تناقلته وكالات الأنباء وتحدث عنه المراسلون الحربيون فى أيام القتال الأولى . أدعوك لقراءته لأنه يرتبط – تماماً – بمهمة المهندس الإسرائيلى ألبرت رحميم .

– (قال الخبر : كان من أوائل الأسرى الإسرائيليين الذين سقطوا فى أيدى القوات المصرية : مهندس من سلاح المهندسين الإسرائيليين . وقد أسره المصريون بجوار أجهزة إشعال النيران على الضفة الشرقية للقناة حينما كان يحاول تشغيلها) .

– هل قرأت يا صديقى القارئ الخبر الموجز جداً .

– حسناً أرجو أن تنتظر منى تفاصيله الآن . . فحكايته كلها ستعرفها فى الفصل الخاص بالعمليات القتالية . فقط أقول لك : إن ملف العمليات الإسرائيلية ودراسة الخبير والمعلق الإسرائيلى زئيف شيف التزمت الصمت الكامل ولم تشر بعد ذلك إلى السيد / ألبرت رحيم أو مهمته ! !

ونعود إلى ما خطط له فريق العقول المصرية لهذه الجولة :

فى البداية اتجه التفكير إلى إعداد وسائل إطفاء هذه النيران الملتهبة حين يدفعها العدو فوق سطح المياه – وتم عمل تجارب عملية على ذلك فى أماكن شبيهة بالقناة واتضح أن عملية الإطفاء تحتاج إلى مجهودات ضخمة وأن النيران تظل مشتعلة حوالى نصف ساعة إذا لم يتم تزويدها بكميات إضافية من المواد الملتهبة ، وكان من المؤكد أن الإسرائيليين لديهم فى الخزانات كميات هائلة ، ويستطيعون دفع كميات جديدة كلما ضعفت النيران .

. . . إذن كان لابد من التفكير والتخطيط لحل آخر . وتوصلت القيادة المصرية إلى ضرورة إبطال استخدام هذه المواد قبل العبور ، وإذا حدث أن أخفقت القوات المكلفة بهذه المهمة فى تعطيل جميع المصادر ، فإنه يلزم التخطيط لعملية منع العدو من تغذية الحريق بكميات إضافية من المواد الملتهبة وذلك لتقليل الفترة التى تتعرض فيها القوات للحريق إلى أقل وقت ممكن .

. . . وقد بدأ العمل على الفور ، فصدرت الأوامر بالبدء فى استطلاع تجهيزات العدو الخاصة بهذه المواد ، واتضح أنه يضعها (كما قلنا من قبل) فى خزانات كبيرة مدفونة تحت سطح الأرض حتى يصعب تدميرها بواسطة المدفعية ، وكانت هذه الخزانات متصلة بمواسير تحت سطح المياه لتندفع منها السوائل الملتهبة إلى سطح الماء .

. . . وبناء على هذه المعلومات الاستطلاعية الدقيقة وضعت القيادة خطتها كالتالى :

١ – تقوم مجموعتان من رجال الاستطلاع بالتسلل إلى الضفة الشرقية (قبل ساعة

الصفر بوقت كاف) وتتولى المجموعة الأولى سد هذه المواسير بتركيبة معينة من الأسمنت وبعض اللدائن سريعة التصلب ، وتقوم المجموعة التالية بقطع خراطيم الطلمبات الماصة الكابسة .

٢ – لو فشلت هذه المحاولة لسد المواسير وقطع الخراطيم تتولى مجموعة أخرى من رجال الصاعقة مهمة الاستيلاء بأسرع ما يمكن على هذه المستودعات ومنع استخدامها ضد قواتنا .

٣ – لم تتوقف العقول المصرية المخططة عند هذين الحلين ، بالأسلوب العلمى الدقيق والذكاء التخطيطى العميق ، استعدت للاحتمال الثالث ، فماذا لو فشل الحل الأول ولم يتم إغلاق مواسير اللهب ؟

وماذا لو فشل الحل الثانى أيضاً ولم يتم الاستيلاء على المستودعات ومنع استخدامها هنا يظل احتمال العبور تحت التهديد البشع لجحيم النيران التى أعدها الإسرائيليون ليحرقوا بها القناة ومن عليها ومن يقترب منها .

. . . طرح المخططون الفكرة الجديدة وتناولوها من كل جوانبها واستقروا عليها وكانت كالتالى :

– دراسة اتجاه التيار فى القناة طول ساعات اليوم .

– اختيار قطاعات الاختراق بحيث تعبر القوات فوق التيار ، وبذلك تتفادى النيران العائمة فوق سطح الماء .

هكذا خططت العقول المصرية للجولة الثانية . . وقد أثبت سير العمليات بعد ذلك – وكما ستكشفه فصول قادمة ، أن فريق العقول المصرية قد سحق الفريق المضاد فى هذه الجولة سحقاً تاماً .

« **ملحوظة تاريخية** : **للمقارنة** » كما سبق أن أشرت فى تحليلى لهذا المانع من اللهب واجه الألمان نفس المشكلة ولكن بحجم أقل بكثير جداً – فعندما ابتكر الإنجليز وسيلة إشعال سطح المياه ، ونشرت الأجهزة الخاصة بالحرب النفسية قصصاً كثيرة عن هذا المانع المبتكر والذى لابد أن يعبره الألمان فى هجومهم على إنجلترا .

عندئذ أجرى الألمان تجربتين فى فيكموند بنورماندى والأخرى فى إحدى البحيرات القريبة من بروسيا الشرقية . وصدرت الأوامر للخبراء الألمان بإجراء تجاربهم بمنتهى الدقة وبصورة واقعية إلى أقصى حد ، وفى محاولة التغلب على هذه المشكلة ، قام هؤلاء

الخبراء بتغطية أسطح قوارب العبور بأوراق الاسبستوس ، واستقلها الجنود فعلاً وتحركوا بها داخل منطقة حيث دفع الزيت على سطح مائها وتم إشعاله بالنار ، وكانت النتيجة أن احترقت القوارب واحترق الجنود وتحولوا إلى « رماد » .

والمعروف أن هتلر عندما وصلته هذه النتائج ، أصدر على الفور أوامره (فى (٩ / ١ / ٤١) بإيقاف الاستعداد لغزو إنجلترا .

الجولة الثالثة : فى مواجهة الساتر المانع الترابى :

انتقل فريق العقول المصرية إلى الجولة الثالثة من جولات حرب العقول ، وكان ميدان هذه الجولة هو الساتر أو المانع الترابى .

وقد حدد المخططون المصريون أسلوب تعاملهم مع هذا الساتر من خلال طرح عدة أسئلة كانت هى وأجوبتها كالتالى :

س : **هل يزال الساتر الترابى كلية ؟**

ج : إن زمن المعركة الذى يقاس بأجزاء من الثانية لا يمكن أن يسمح بذلك ، ثم إن حاجة القوات للعبور والانطلاق إلى سيناء لا تحتّم الإزالة الكلية للساتر .

س : إذا كان الحل المنطقى هو فتح ثغرات أو ممرات داخل الساتر . . فكم ممر يتم فتحه . . وما كمية الأتربة التى يلزم إزالتها ؟

ج : تحتاج عملية العبور إلى فتح ٦٠ ممرًّا فى الساتر على طول القناة وكل ممر يتطلب فتحة إزالة ما بين ١٥٠٠ متر مكعب و ٢٠٠٠ متر مكعب .
أى أنه لفتح ٦٠ ممرًّا تصل كمية الأتربة المطلوب إزالتها أكثر من ٩٠,٠٠٠ متر مكعب

س : كيف يتم فتح هذه الممرات ؟

ج : للإجابة على هذا السؤال احتاج الأمر من أجهزة الإعداد والتخطيط إلى جهد ووقت كبيرين . فقد طرحت فى البداية فكرة استخدام المفرقعات فاتضح أنها لن تحقق النتيجة المطلوبة لسببين :

١ – سوف تتناثر الأتربة . . هذا صحيح . . ولكنها ستتراكم فى مكانها أو بالقرب منه مرة أخرى . . .

٢ – لستخدام المفرقعات معناه أن دائرة تأثيرهاستمتد لتغطى مساحة تصل إلى مائتى متر، ولمواجهة ذلك لابد من إخلاء هذه المنطقة من الجنود . . فكيف ذلك وهم لابد أن يكونوا متأهبين للعبور فى أسرع وقت ؟ ثم إن هذه المفرقعات سوف تحدث ارتباكاً على طول خط المواجهة إذ أنه سيكون من الصعب تمييز أصوات هذه المفرقعات من أية تفجيرات أو ضربات يوجهها العدو

س : هل يمكن استخدام الصواريخ أرض – أرض – وقنابل الطائرات لفتح الممرات المطلوبة ؟

ج : جاءت الإجابة من خلال ثلاثين تجربة على ساتر مشابه تماماً وكانت النتيجة سلبية .

. . طرحت أجهزة التخطيط والإعداد كل هذه التساؤلات وأجوبتها وانحصر التفكير فى المفرقعات أو أسلوب التفجير الذى لم يكن له بديل لدى أى خبراء فى أى مكان فى العالم (إلا القنبلة الذرية) .

. . لكن العقل المصرى أثبت قدرة مذهلة على الابتكار . . لقد تقدم ضابط مهندس شاب إلى قائده (فى منتصف عام ١٩٧١) وقدم له اقتراحاً باستخدام أسلوب التجريف بدلاً من التفجير أى استخدام المياه المندفعة تحت ضغط عال جدًّا فى إزالة الأتربة (كما حدث بشكل أصغر فى بناء السد العالى) وتلقف المخططون فكرة الضابط الشاب ، وبدأوا على الفور فى تجربتها واستخدمت فى التجارب الأولى عدة أنواع من المضخات إلى أن استقر الرأى على استخدام النوع الألمانى (والطريف أن المسئولين فى ألمانيا الغربية عن المصانع المنتجة لهذه المضخات أبدوا دهشتهم لاهتمام مصر بوضع خطة كبيرة إلى هذا الحد لمواجهة الحرائق فى المدن والقرى ! ! .

هذا وقد أضاف العقل المصرى تعديلات إلى هذه المضخات النفاثة بحيث صارت قادرة على ضخ ٢٠٠ متر مكعب من المياه فى الساعة .

ومن خلال التجارب النهائية التى استمرت عامين تقريباً حدد فريق العقول المصرية خطته لقهر الساتر المانع الترابى . . وفتح الممرات العديدة داخله ، باستخدام هذه المضخات النفاثة مع المتفجرات المتتالية من أعلى إلى أسفل لاختصار الوقت بحيث يتم فتح الثغرة فى زمن يتراوح بين الثلاث والخمس ساعات .

. . . .

. . . .

ويبقى الآن السؤال الأخير أو المشكلة الأخيرة فى هذه الجولة ، ضد الساتر المانع الترابى .

إن من المستحيل أن تنتظر القوات ثلاث أو أربع أو خمس ساعات حتى يتم فتح الثغرات والممرات فى الساتر لكى تبدأ عبورها . . . إذ أن العدو سوف يتنبه وتكون أمامه الفرصة لتوجيه هجومه المضاد .

. . ثم إن عملية التجريف ذاتها واستكمالها بالتفجيرات وإعداد أماكن إقامة المعابر على الضفتين يحتاج إلى وجود أعداد من المقاتلين على الضفة الشرقية فى الوقت نفسه . .

يقول التفكير العسكرى البسيط ان الخطوة الأساسية الأولى هى عبور المشاة للقيام بالمهام التمهيدية وفى مقدمتها تأمين رؤوس الكبارى إلى أن تتدفق الدبابات والمعدات الثقيلة .

ولكن التفكير العسكرى نفسه سوف يطرح أكثر من سؤال :

١ – كيف يتسلق المشاة الساتر الشاهق بأسلحتهم ومعداتهم التى تزيد عن ٣٥ كيلوجراماً ؟

٢ – كيف يستطيع هؤلاء المشاة التصدى لدبابات ومدرعات العدو لفترة قد تصل إلى يوم كامل (٢٤ ساعة) وذلك إلى أن يتم فتح الممرات فى الساتر وإقامة الكبارى لعبور القوات المصرية المدرعة ؟

وقد توصل فريق العقول المصرية للإجابة على هذين السؤالين لكى يكتمل بذلك التخطيط لعبور هذا المانع الترابى .

إن التدريب الشاق يصل بالمقاتل المصرى المترجل إلى المستوى الذى يمكنه من مواجهة مدرعات العدو بالصاروخ « فهد » المضاد للدبابات أو بالآر – بى – جيه ، أو بالقنابل المضادة للدبابات وهو بمساندة المدفعية والدبابات التى ستعمل من فوق مصاطبها فى غرب القناة يستطيع أن يواجه ويعطل أو يدمر الهجمات المدرعة الإسرائيلية . . لفترة كافية . . ولكن مهما كانت طاقة المقاتل . ومهما كان مستواه فإن تصديه (مترجلاً وبأسلحة قصيرة المدى) لدبابات العدو ومدفعيته الثقيلة لمدة ٢٤ ساعة مهمة صعبة للغاية .

ولهذا خططت القيادة لكى تتم إقامة المعابر وفتح الثغرات فى الساتر الترابى فى مدى زمنى لا يزيد عن عشر ساعات لتتمكن القوات المدرعة من اللحاق بالمشاة فى أقصر وقت .

عبور أقسى
مانع مائى فى
التاريخ

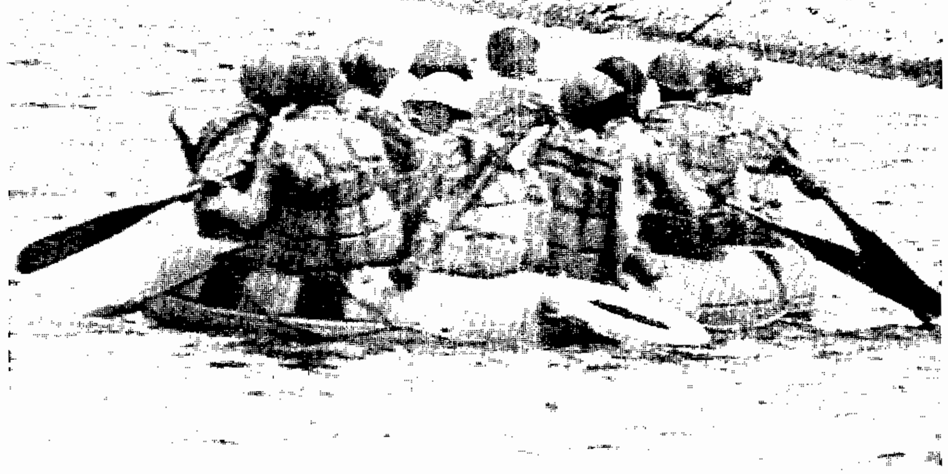

تسلق الساتر الرملى الشاهق ، ثم الاندفاع شرقاً ، واجتياح مواقع خط بارليف

بالنسبة لمشكلة تسلق المشاة للساتر ، ابتكرت العقول المصرية تنفيذاً للتخطيط أنواعاً من السلالم (من أحبال معينة) كما أنه بالنسبة للمعدات والمدافع التى لا يمكن حملها ، استفاد المخططون المصريون من تراثهم الحضارى العريق ، فبعثوا من جديد عربة رمسيس الفرعونية . . وهى عربة جر صغيرة يجرها الجنود بأيديهم أثناء تسلقهم للساتر .

وقد أضافت العقول المصرية الرتوش الأخيرة لعملية مواجهة الساتر بالتنظيم الدقيق والرائع لعبور المشاة فى القوارب المطاطية فكان كل جندى يعرف مكانه فى قاربه ومكان العبور ووقته وواجبه أثناء العبور وبعده .

كما أن القيادة أرجأت مهاجمة النقط الحصينة إلى ما بعد استكمال عملية العبور وبالتالى أصبحت مهمة المشاة التسلل خلال خط بارليف وتأمين إقامة رؤوس الكبارى.

. . . .

هكذا خطط فريق العقول المصرية للجولة الثالثة وإذا كان الحديث عن نتيجة هذا التخطيط سوف يأتى بعد ذلك – فإننى أستشهد على نجاح العقول المصرية فى هذه الجولة هى الأخرى نجاحاً مذهلاً بما قاله خبير عالمى فى دراسة كبيرة عن حرب أكتوبر.

لقد قال الرجل :

إن المصريين توصلوا إلى طريقة جهنمية لبعثرة الساتر الترابى مما أكسبهم نصف الوقت » .

ويصف الكاتب بعد ذلك المشهد الأول للعبور فيقول :

اندفع ثمانية آلاف جندى مصرى إلى الضفة الشرقية لقناة السويس وتسلقوا السد الترابى وتوغلوا إلى الداخل بين حصون خط بارليف وتعتبر عملية العبور هذه بمثابة مناورة كان الجنود المصريون قد قاموا بها أكثر من ٦٠٠ مرة وقد اتخذوا من موقع جنوب مصر مسرحاً لتدريباتهم يشبه قناة السويس تماماً بل إنهم قاموا ببعض هذه المناورات التدريبية على قطاع القناة الذى يتفرع إلى ذراعين وكان جنود الموجة الأولى من العابرين يحملون على ظهورهم أنابيب غريبة الشكل وحقائب صغيرة تحتوى على الصواريخ الجديدة المضادة للدبابات وطبقاً للخطة الدقيقة التى وضعتها القيادة لم يحاول هؤلاء الجنود الاستيلاء على حصون خط بارليف وبلا توقف تجاوز الجنود التحصينات الإسرائيلية

وهم مسرعون ليتقدموا بجرأة إلى مقابلة المدرعات والمدفعية وكان هدف هذه الخطة هو القيام بحصار وصد الهجمات اليهودية المضادة الأولى وذلك بضربتهم بالصواريخ والأسلحة الصغيرة . إلى أن يتم لجنود الصف الثانى تشييد الجسور لمرور المدرعات والعتاد الثقيل »

الجولة الرابعة :

هل تطلق « قبضة إسرائيل الحازمة » فى وجه الجيش المصرى
أو يضعها المصريون فى « الجبس » ثم يبترونها ؟

هذا هو السؤال :

* ولم يكن أمام فريق العقول المصرية فرصة للتردد والحيرة كما فعل « هاملت » (بطل شكسبير) حين واجهته مشكلة لابد من حسمها .

وكما حدث بالنسبة للأسئلة السابقة والتالية . فإن المخططين المصريين وضعوا هذا السؤال أمامهم وقاموا بتشريحه . . وفحص كل جزئياته لوضع العلاج المناسب » .

ولكن لماذا وضعت أنا السؤال فى هذه الصيغة وما حكاية الجبس والبتر » ؟ !

باختصار شديد أحكى لك أيها القارئ العزيز قصة هذا السؤال فأثناء حرب الصبر والصمت التى أعقبت حرب الاستنزاف وبالتحديد فى مايو ١٩٧٣ كنت أواصل زياراتى للجبهة لتسجيل لقاءات مع الجنود والضباط ، وذات زيارة التقيت بجندى من الجيش الثالث تصورت فى البداية أن حالة اللاسلم واللاحرب قد نالت منه أو أن الدعاية الإسرائيلية الصاخبة قد أثرت فى استعداده وروحه المعنوية ولذلك وجدتنى أبدأ لقائى معه بسؤال مباشر . . قلت له :

أنت زهقت يا بطل من الانتظار . . واللا كده أحسن » .

لم أكن أتصور أن سؤالى سوف يستفزه إلى هذا الحد كما لم أتوقع أن تكون إجابته محددة حاسمة بهذه الصورة لقد تدافعت كلماته كطلقات رشاش متعطش للانطلاق قائلاً لى :

أولاً : « أنا أرفض الجزء الثانى من السؤال . . فهل تتصور أننا نفضل البقاء هنا فى خنادقنا . . على مواجهة العدو ؟ هل تتخيل أننا مهما طال الانتظار . . سنفقد الرغبة الحارقة فى تحرير كرامتنا وأرضنا ؟

ثانياً : قد أقول لك إننى أشعر أحياناً بالملل والزهق لكن التدريبات المستمرة والتطلع الدائم للحظة الإشارة ببدء الحرب يجعلنى أعتبر هذا الشعور وقوداً إضافيًّا لطاقة الثأر والانتقام » .

. . . .

– هكذا أجابنى الجندى محمود . . وقدساد الصمت لحظات بعد انتهاء كلامه . . حتى اضطررت لإيقاف جهاز التسجيل لبضع دقائق ثم عدت أسأله أنا أشير إلى الضفة الشرقية للقناة حيث الساتر الترابى وخط بارليف .

– هل سمعت ما يقولونه عن خط بارليف ؟

فأجابنى على الفور :

تقصد « قبضة إسرائيل الحازمة » كما يصورونه ؟

قلت : نعم . .

* لمعت عيناه ببريق حاد . . وارتسمت ابتسامة رائعة على وجهه وقال لى : « ياسيدى . . إن شاء الله سنضع هذه القبضة الحاسمة فى الجبس . . كأى قبضة تتعرض للضرب بقطعة حديد ضخمة .

نعم . . سنضع قبضة إسرائيل الحازمة فى « الجبس » ثم « نبترها » بأسرع ما يمكن .

* ابتسمت للتشبيه الظريف والذكى . . وعدت إلى القاهرة مزوداً بأمل متجدد وأذكر أننى حينما أسمعت التسجيل لزملائى قبل إذاعته لمعت الابتسامة المتفائلة فى عيون البعض ، وعلقوا على ذكاء الإجابة بينما تمسك البعض الآخر بتشاؤمه وعدم ثقته فى استعدادنا لدخول حرب رابعة . . . حتى إنهم قالوا إن الإجابات (إجابات محمود) جاءت نتيجة تأثره بمحاضرات التوجيه المعنوى ليس أكثر .

. . . كان ذلك كما ذكرت فى مايو ١٩٧٣ . .

* ولم أكن أتخيل أن الحرب ستندلع بعد خمسة شهور . . وأن ما توقعه المقاتل محمود . قد حدث بالفعل . . فتم العبور والاقتحام وتراخت قبضة إسرائيل الحازمة تماماً تحت عنف الضغط المصرى ووضعها المقاتلون المصريون فى « الجبس » لمدة ساعات أو أيام محدودة . . ثم قاموا ببترها فعلاً .

وكانت واحدة من عمليات « التجبيس والبتر » التى تعرضت لها معظم أسلحة ومعدات وقواعد ونظريات إسرائيل .

• بارليف وخطه
الحصين جداً ! !

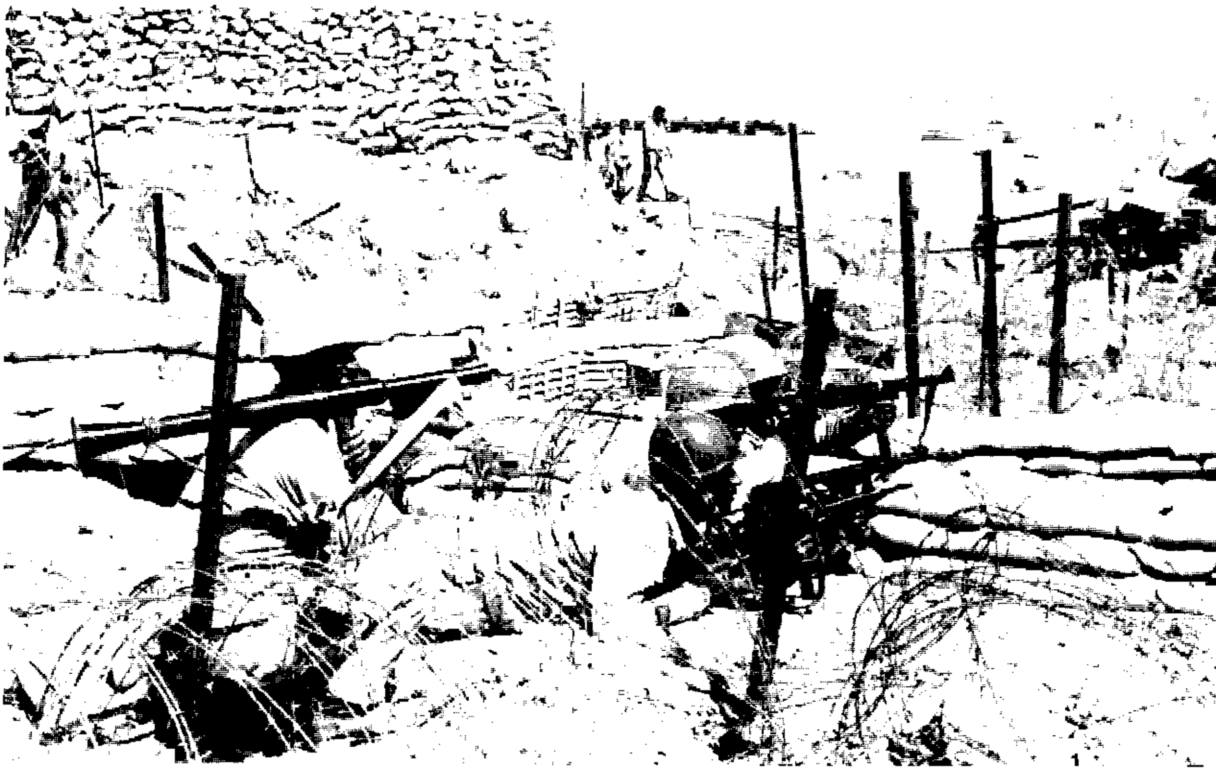

صديقى القارئ . . معذرة فقد استطردت قليلا . . وإن كنت أثق فى قبولك لهذا الاستطراد لأنه يشكل ملمحاً هاماً . . فى صورة هذه الجولة وغيرها من الجولات .

. . . .

وأدعوك الآن إلى زيارة سريعة لغرفة عمليات القوات المسلحة المصرية لنقرأ معاً كيف تم التخطيط لمواجهة خط بارليف . . قبضة إسرائيل الحازمة .

. . بنشاط متوقد عملت العقول المصرية فى التخطيط الدقيق لحرمان الجيش الإسرائيلى من أحد أركان نظريته الدفاعية . . بتعطيل خط بارليف أو قبضة إسرائيل الحازمة ، وقداستعرضت هيئة التخطيط جميع المعلومات التى أمرت بتجميعها وإعدادها .

١ – كانت القيادة قد عملت على مراقبة مراحل بناء النقط الحصينة طوال اليوم لا فرق بين ليل ونهار . وقد تم ذلك بالفعل ، وتم تصوير كل شيء عن الخط الحصين .

٢ – تم عمل سجل تاريخى تفصيلى لكل نقطة حصينة ، ويتضمن السجل جميع مراحل البناء والتكوين والقوة . . . إلخ

٣ – أعدت دراسة علمية عن قوة تحمل الدشم والملاجئ ، وأجريت الحسابات الدقيقة لكل شيء .

٤ – كأى خط دفاعي . . كان يتحتم أن تكون هناك نقاط ضعف فى التحصينات . . وقد تم رصد وتحديد ودراسة هذه النقاط .

٥ – توفر أيضاً أمام فريق العقول المصرية ما طلبه من معلومات محددة عن أوضاع وأحجام القوات الاحتياطية التى أعدها العدو فى الخط الثانى والثالث . وتم حساب الفترة الزمنية التى تستغرقها هذه الاحتياطيات المدرعة للانضمام والمساندة لقوات التحصينات والمعاقل .

* وضع المخططون المصريون أمامهم هذه المعلومات وغيرها مما لم يكشف عنه الستار بعد . . ومن واقع المناورات التدريبية العديدة التى قامت بها القوات على نماذج مطابقة لهذه التحصينات البارليفية ، تم عمل قياس دقيق لكفاءة الأداء ارتباطاً بعنصرى الوقت والحركة .

* كان أول سؤال طرحه فريق العقول المصرية أمامهم هو :

هل تم مهاجمة هذه التحصينات من الأمام أو من الخلف أو من الأجناب ،

وقد استعرضوا جميع الاحتمالات واستقر الرأى على أن يكون الهجوم من المواجهة وعلى طولها لتحقيق أكثر من هدف : تضليل وخداع العدو ، وتشتيت جهده وإرباكه وحرمانه من إمكانية التنسيق بين التحصينات بعضها البعض وبينها وبين القوات المساندة ، مع ما فى ذلك من تحقيق عنصر المفاجأة .

* ويسبق ويواكب هذا الهجوم دور خاص للمدفعية التى تم تخطيط أسلوب وحجم عملها بناء على :

١ – تحديد الأعيرة القادرة على التأثير فى هذه المعاقل الحصينة بناء على دراسات علمية دقيقة للغاية

٢ – تحديد استهلاك الذخيرة اللازمة لسحق كل حصن أو لإسكات أى سلاح بداخله

٣ – تحديد الطريقة المثلى للرمى ، وأنسب خط مرور وأنسب اتجاه للرمى . . . . إلخ .

* وكان الدور الملقى على عاتق المدفعية فى هذه الجولة يتمثل فى النقاط التالية :

(ا) فى المدة التى تسبق اقتحام وعبور القناة ، تنفذ قصفة نيران قوية على جميع الأهداف (النقط الحصينة – الاحتياطيات – مراكز القيادة والسيطرة – بطاريات المدفعية) يتم فيها شل هذه الأهداف ومنعها من التدخل ضد القوات وخاصة المفارز التى ستدفع مع بداية التمهيد النيرانى فى الساعة الثانية وخمس دقائق بهدف الاستيلاء على المواقع المجهزة على عمق من ١ – ٣ كيلو مترات شرق القنـــاة لستر باقى القوات أثنــاء الاقتحام .

(ب) فى المدة من لحظة اقتحام القوات الرئيسية للقناة (أى من الساعة الثانية ظهراً وعشرين دقيقة) تستمر المدفعية فى إسكات جميع الأهداف والقيام بتنفيذ مهمة تدمير أو تعطيل المنشآت الدفاعية الحصينة والقيام بفتح ثغرات موانع العدو على الضفة الشرقية من مواجهة النقط الحصينة ، مع استمرار توجيه الضربات لاحتياطيات العدو لضمان عدم تدخلها أو تحركها إلى التحصينات على ضفة القناة .

(ج) ضمان وصول القوات التى ستقتحم النقط الحصينة بالمواجهة أو من الأجناب والخلف (فى حالات طارئة ومحدودة) لتصل جميعها فى نفس الوقت الذى ترفع فيه المدفعية نيرانها من على هذه النقط بعد أن تكون قد نفذت مهمتها السابقة .

(د) الاستمرار فى قصف بطاريات مدفعية العدو لمنعها من إنتاج نيران مؤثرة على القوات المهاجمة . .

وتتضمن الخطة أيضاً ألا تضيّع القوات التى تمثل الموجات الأولى من الاقتحام جهدها ووقتها فى ضرب حصون بارليف بمجرد عبورها . وتحدد لمجموعات معينة من هذه القوات مهمة محاصرة هذه الحصون وشلها (أو إكمال شلها بعد ضربات المدفعية) ، بينما تندفع بقية القوات إلى الأمام لتدمير الاحتياطات المتأهبة فى العمق - فى الساعات الأولى وقبل أن تعبر المدرعات المصرية . وتشترك مع هذه القوات مجموعات الصاعقة التى يتم إبرارها فى توقيت معين .

* تلك كانت بعض التفاصيل التى تضمنتها الخطة التى وضعها فريق العقول المصرية لهذه الجولة التى كان ميدانها تحصينات خط بارليف أو قبضة إسرائيل الحازمة .

* وقبل أن ننتقل إلى جولة أخرى من جولات حرب العقول لنا أن نتساءل عن نتيجة هذه الجولة العنيفة التى توقفنا أمامها .

ولكى نرى كيف حقق فريق العقول المصرية نجاحاً فائقاً فى هذه الجولة أيضاً . نستشهد بما قاله واحد من أكبر الخبراء والمعلقين الإسرائيليين وهو زئيف شيف الذى قال فى وصفه لسقوط معاقل خط بارليف واحدًا بعد الآخر :

« لم يكن الناس داخل إسرائيل يعرفون حقيقة ما يدور على الجبهة فحتى يوم ٨ / ١٠ لم يكن المواطنون العاديون يعرفون أن خط بارليف لم يعد له وجود . .

إن معركة الصد لم يتحقق فيها أية نظرية من نظريات جيش الدفاع الإسرائيلى ، فالقوات التى كان يتعين عليها - حسب خطة بارليف - القيام بهجوم مضاد على الفور لم تتمكن من ذلك . . وهكذا أضاع جيش الدفاع الإسرائيلى قناة السويس » .

هكذا اعترف واحد من كبار المعلقين العسكريين الإسرائيليين بأن نتيجة الجولة الرابعة من حرب العقول . فى صالح المخطط المصرى . . وهناك الكثير والكثير من هذه الاعترافات والشهادات .

. . وهذا ما سنتحدث عنه فيما بعد . مع قصص الجنود الإسرائيليين الذين كانوا يشكلون مع تحصينات بارليف قبضة إسرائيل الحازمة التى تعرضت لضغط مصرى مخطط وعنيف فتراخت وتهاوت ثم وضعها المقاتلون المصريون فى « الجبس » و «بتروها » بعد أيام معدودات - كما توقع المقاتل محمود الذى أتمنى أن يكون من بين قراء هذه الصفحات .

« العدو » صورته : كيف يفكر ؟ ! كيف يخطط ؟ !

قبل أن نلتقى مع فريق العقول المصرى فى دراسته للعدو . . من حيث نوعية جنوده ، وتفكير وتخطيط قادته . . ما رأيك يا أخى القارئ لو توقفنا لحظات نتابع فيها بعض ما قاله قادة إسرائيل – لأنه بمثابة الشعاع الذى يلقى الضوء على منهج تفكيرهم وتخطيطهم . . خاصة وأن هذه الأقوال لم تكن غائبة عن أذهان المخططين المصريين !

. . . .

شعارنا : اهجم أولاً ، فالخسارة على أية حال ستكون أقل »

. . . .

. . . .

(توقيع)
القيادات المتعاقبة على جيش الدفاع الإسرائيلى

الجيش الثور :

« إن جيش الدفاع الإسرائيلى ليس كالقنفد الذى ما يكاد يرى الخطر حتى ينطوى على نفسه تحت ريشه وينتظر الضربة القادمة . ولكنه كالثور الذى ما إن يشعر باقتراب الخطر حتى يشحذ قرنيه استعداداً للهجوم إذ أنه لم يحدث قط أن وقف جيش إسرائيل فى وضع دفاع » .

(توقيع)
الجنرال موشيه ديان

علينا أن نهاجم دائماً :

دعونا نصر على ألا نقنع بالتكتيكات الدفاعية البحتة ، ولكن فى اللحظة المناسبة علينا أن نهاجم دائماً وعلى طول الخط ، ليس فقط داخل تخوم الدولة اليهودية أو حدود فلسطين ، بل إن علينا أن نسعى إلى سحق العدو أينما وجد » .

(توقيع)
دافيد بن جوريون

الرد الوحيد :

« إن اتباع سياسة دفاعية بحتة أمر من شأنه أن يسمح للخصم باختيار زمان ومكان وطريقة الهجوم على النحو الذى يريده ، وبالطريقة التى تناسبه وإن الرد الوحيد على ذلك إنما يكمن فى الأخذ بزمام المبادرة الشاملة من جانبنا ، أو بمعنى آخر ، القيام بهجوم مضاد توقعى إذا لزم الأمر وذلك بهدف تدمير القوات الضاربة الرئيسية للعدو » .

. . . .

. . . .

لا يوجد أحد :

« إن جيش إسرائيل لا مثيل له فى أصالته وعراقته وروحه المعنوية وقدسيته باعتباره يمثل صورة حية للبعث التاريخى والحروب المقدسة .

. . هل هناك جندى فى العالم يمكنه أن يضاهى الجندى الإسرائيلى ؟

بالتأكيد لا يوجد أحد . . »

(توقيع)
حاييم ليبرمان
رئيس تحرير جويش كورنيكل

كيف درس فريق « العقول » المصرى تفكير العدو وتخطيطه ؟

بعد أن استعرض فريق العقول المصرى طبيعة الأرض بموانعها ، انتقلوا إلى العنصر الثانى من عناصر تقدير الموقف وهو : « العدو » ومن خلال التقارير التى نجحت المخابرات المصرية فى إعدادها عن طبيعة وتفكير وخطط العدو ومن خلال الخبرات المكتسبة من الحروب السابقة مع الإسرائيليين – حدد المخططون صورة تفكير وتخطيط فى النقاط التالية :

(ا) تعتمد إسرائيل فى بناء قواتها المسلحة على تعبئة الاحتياطى ، إذ أن عدد أفراد الجيش العامل أقل بكثير من التعدادالعام للجيش ، والمعروف أن مستوى الجنود والضباط

الاحتياطيين لا يقل عن مستوى الأفراد النظاميين نتيجة لاستمرار التدريب على مدار العام حيث يستدعى هؤلاء على فترات متقاربة لأغراض التدريب واستيعاب الأسلحة الجديدة والتعرف على من ينضم لوحداتهم من ضباط وجنود جدد .

ولهذا النظام إيجابيات منها :

١ – الاستفادة من هؤلاء الجنود والضباط الاحتياطيين فى الإنتاج الصناعى والزراعى (بما يتمشى مع ظروف إسرائيل كبلد صغير) .
٢ – إحساس الجميع بأنهم يتساوون فى أداء نفس المهمة كأفراد فى جيش الدفاع .
٣ – نتيجة لذلك يكون الأفراد العاديون فى الجبهة الداخلية الذين لا يتم استدعاؤهم امتداداً للجبهة العسكرية .

أما السلبيات فهى :

إحساس الجندى الإسرائيلى الاحتياطى بانتمائه لحياته المدنية أكثر وهو بالتالى يتعلق بالحياة ، ويطلب من حكومته أن توفر له فى حالة استدعائه أشياء كثيرة باهظة التكاليف ابتداء من الجاكتة التى تقى من الرصاص إلى الدبابة سميكة الدروع ، إلى الموقع المحصن تماماً إلى الطائرة التى تغطى رأسه . . . وهو لذلك قد يكون جنديًّا ماهرًا حين تتوافر له هذه الظروف والشروط ، فإذا لم يتوافر له بعضها قلت بالتالى كفاءته .

ومن هنا خطط القادة المصريون لإرباك نظام التعبئة الإسرائيلى بالمفاجأة ثم حرمان جنود جيش الدفاع من بعض ما تعودوا عليه .

(ب) الجندى الإسرائيلى – بشكل عام – يجيد استثمار ارتباك عدوه وتفككه . . لكنه يهتز كثيراً حينما يواجه عدوًّا متماسكاً مصمماً .

(حـ) يتمتع الجندى الإسرائيلى بثقة كبيرة فى نفسه فهو (سوبرمان العصر . . والذى ينتمى إلى الجيش الذى لا يقهر) وقد جاءت هذه الثقة للجندى الإسرائيلى كنتيجة للحروب الثلاث التى دارت مع الجيوش العربية – وكسبها جيش الدفاع (وإن كان السبب فى ذلك – كل مرة – هو التقصير والأخطاء العربيـة) وقد برعت الدعاية الإسرائيلية فى ترسيخ هذه الثقة فى نفوس جنودهم الذين اطمأنوا تماماً لقدراتهم فى مواجهة الجندى العربى المتخلف الضعيف الجبان « المنسحب دائماً » . . . وقد اهتم

المخططون العرب بهذا الجانب فى الجندى الإسرائيلى بأن وضعوا خططهم لضرب ثقته فى نفسه وفى قادته بالعنف فى الصدام وتحقيق المفاجأة على أرض المعارك . . كما أنهم آثروا أن تظل فكرته عن الجندى المصرى كما رسمتها الحروب السابقة والدعايات الضخمة . . حتى تكون صدمته سبباً آخر فى فقدان ثقته بنفسه . إذ أنهم كانوا يعلمون جيداً أن الجندى المصرى – حين تتاح له الظروف المناسبة – سوف يكشف عن نوعيته الفذة التى لم يعرفها الجندى الإسرائيلى من قبل .

. . . .

. . . .

* هذا هو الجندى الإسرائيلى (السوبرمان . . الذى لا يقهر ! !)

* وهكذا خطط فريق العقول المصرى لوضع هذا الجندى فى حجمه الحقيقى وكشفه أمام نفسه وأمام العالم . ثم ضرب أحد جوانب نظرية الأمن الإسرائيلى . . بتدميره جسدياً أو نفسياً .

* وسوف يكشف سير العمليات كيف حقق التخطيط المصرى أهدافه .

* ولكننا كالعادة – ربما تشوقاً لمعرفة أى قدر من « النتيجة » ، نقرأ الآن على سبيل المثال – ما نشرته صحيفة هآرتس بقلم أكبر معلقيها :

الجنود الإسرائيليون نسوا أسماءهم :

قال المعلق الإسرائيلى الكبير : « لقد كانت حرب أكتوبر هى الحرب الأولى بالنسبة لجيش الدفاع الإسرائيلى التى يقوم فيها الأطباء بمعالجة عدد كبير جداً من الجنود الذين أصيبوا بصدمات نفسية فى المعارك . ولقد حدثت معظم هذه الصدمات منذ الأيام الأولى للحرب وبالذات فى مرحلة الصد عندما كان الجنود يفقدون الاتصال مع وحداتهم ، كما كان البعض يقاتل مع أطقم لا يعرفها إطلاقاً .

لقد كان بعضهم بحاجة إلى النوم والراحة .

وكان البعض الآخر بحاجة إلى علاج نفسى .

وكان هناك آخرون مما نسوا أسماءهم . . وكان يتحتم نقلهم إلى المستشفيات ،

. . وتكتمل هذه الصورة التى رسمها محرر الهآرتس الإسرائيلية ، لما جرى للجندى

الإسرائيلى بالتحليل الذى قدمه الخبير الأمريكى « ادجار أوبلانس » الذى يقول فى بحثه الشامل :

« لقد صدم الجندى الإسرائيلى عندما لم يعد يتقدم للأمام وهو واثق أن الجنود العرب سوف يقفون تلقائيًّا قبل أن يقترب منهم .

لقد وجد أمامه جنديًّا عربيًّا قويًّا قادراً على القتال والصراع العنيف ، قادراً على قتله أو أسره .

وسرعان ما أدرك الجندى الإسرائيلى أن الدفاع والاختفاء أصبح أمراً حيويًّا له إذا كان يريد البقاء على قيد الحياة .

ويضرب « ادجار اويلانس » مثالاً لهذا التحليل بالقوة الإسرائيلية التى تسللت إلى إلى الضفة الغربية من القنال ، وكيف كانت تعمل فى حذر وجبن مما كان يعتبر إلغاء لخفة حركة المدرعات » .

. . . .

. . . .

النظام العسكرى الإسرائيلى

– يقاتل الجيش الإسرائيلى وفقاً لأسلوب عسكرى معين ، حددته القيادة المصرية كالآتى :

١ – الاعتماد على الطيران الكثيف والمتفوق وذى المدى البعيد ، والقيام بعمليات قد لا تكون ذات قيمة عسكرية . . بقدر ما تكون استعراضاً للقوة بهدف الإرباك وهز الثقة فى النفس والسلاح . ولتحقيق عملية الردع إذا ماقررت إسرائيل إجهاض استعدادات العبور .

٢ – الاعتماد أيضاً على المدرعات إذ أنها تمثل نوعاً من الأمان لجنودهم وفى نفس الوقت تنتج وتقذف كميات كبيرة من النيران ضد أهدافها من أبعاد مختلفة ، بحيث يتم ذلك بسرعة الحركة والقدرة على المناورة والالتفاف والتطويق .

٣ – توجيه ضربات مركزة ومكثفة . . بحشود كبيرة ضد قوات محدودة لاستثمار النتائج إعلاميًّا ونفسيًّا .

٤ – إعداد قيادات عسكرية تجيد حرب الذعر والحرب الخاطفة : . . حرب الذعر لإرباك القوات المعادية . . وتنمية الثقة فى جنودهم ، وحرب خاطفة تتناسب مع ظروف إسرائيل التى لا تسمح مواردها البشرية أو الاقتصادية بحرب طويلة وكذلك لتحقيق أكبر النتائج فى أسرع وقت وقبل تدخل قوى خارجية ، أو دخول دول عربية أخرى فى المعارك (شعار إسرائيل : « اهجم أولاً . . فالخسارة على أية حال ستكون أقل »)

– وبدراسة هذه الأركان لنظرية النظام العسكرى ، وبتحديد نقاط الضعف فيه توصل فريق العقول المصرى إلى الأسلوب المضاد الذى يهدم هذه الأركان .

(ا) إن الحرب الخاطفة لا تتحقق إلا إذا كانت المبادأة فى يد إسرائيل وهذا مايتم التخطيط وإعداد المسرح السياسى والعسكرى لحرمانها منه .

(ب) اعتماد إسرائيل على تفوقها الجوى . . من الممكن ضربه بشكل مؤثر (وهذا ما سنتحدث عنه بالتفصيل فيما بعد) .

(حـ) نظرية الدفاع المتحرك الذى يعتمد على المدرعات التى تتحرك من العمق يمكن تعطيلها . . بكمائن المشاة المزودين بأسلحة مضادة للدبابات . . إلى أن تعبر الدبابات وتتولى بقية المهمة .

(د) بالاضافة إلى ضرب وتعطيل نظام التعبئة بعنصر المفاجأة . فإنه يبقى فى جعبة القوات المصرية إمكان ضرب القوات التى تعبئها إسرائيل وتدفعها إلى جبهة القناة . . حيث تمتد المسافة من داخل إسرائيل إلى القناة من ٢٠٠ إلى ٢٥٠ كم – ويتولى هذه المهمة ، الطيران ومجموعات من قوات الصاعقة وبديهى أن تحقيق المفاجأة يعنى خداع المخابرات الإسرائيلية وغيرها من المخابرات التى تنسق العمل معها .

(هـ) بالنسبة لاعتماد إسرائيل على مبدأ الحرب الخاطفة . . يتم التخطيط لإجبارها على دخول حرب طويلة بأخذ المبادأة والإعداد البشرى والعتادى والتكتيكى لجعلها حرباً طويلة ، وفى هذا استنزاف لطاقتها ومخزونها العسكرى (بشرياً ومادياً) وإرهاق لاقتصادها حيث ستتوقف معظم المصانع والمزارع نتيجة تعبئة الأيدى العاملة ، ثم لإعطاء الفرصة لدخول جميع الدول العربية إلى المعركة عسكرياً أو اقتصادياً – ولعل المخططين كانوا فى هذه النقطة بالذات يحققون تعليمات الرئيس السادات الذى اتفق مع الملك فيصل ملك السعودية على ذلك حتى يمكن استخدام سلاح البترول وسلاح الأرصدة فى المعركة .

وأيضاً يتحقق بالتخطيط لجعلها حرباً طويلة . الفرصة للمجتمع العالمى والدول الصديقة للتدخل . . والضغط من أجل إنهاء الحرب بالشروط العربية وهى الجلاء عن الأرض المحتلة . . وإعادة حقوق شعب فلسطين الشرعية .

. . . .

. . . .

تلك هى الخطوط العامة التى توضح ما توصل إليه فريق العقول المصرى فى تخطيطه لمواجهة العدو . . أفراداً . . ونظاماً . . وأسلحة وعتاداً . . .

. . . .

ويبقى الآن أن نتوقف بشكل أكثر تفصيلاً أمام الأسس الثلاثة الرئيسية لنظرية الردع الإسرائيلى ، باعتبار هذه النظرية بمثابة العمود الفقرى لتفكير وتخطيط قادة إسرائيل - خاصة وأن الإشارة الضمنية لهذه الأسس أو الأسلحة الرئيسية فى نظرية الردع الإسرائيلى ، لا تعطى الصورة الكاملة التى يظهر معها حجم الإعداد والتخطيط الذى قام به فريق العقول المصرى .

. . . .

. . . .

الذراع الطويلة . . الرادعة :

لاشك أن حرب يونية ١٩٦٧ كانت حرباً جوية فى المقام الأول ، فقد بدأها سلاح الجو الإسرائيلى ، وهو أيضاً الذى حسمها إذ قام بضربة جوية مسبقة ناجحة لقواعد الطيران المصرى . وأخرجه من المعركة ، ثم قام بتمهيد الطريق لمدرعاتهم للعمل ضد القوات المصرية المحرومة من الغطاء الجوى .

وبغض النظر عن دور التقصير المصرى العربى فى إتاحة الفرصة لسلاح الجو الإسرائيلى لكى يحقق هذه الإنجازات الضخمة.بغض النظر عن ذلك فإن الطيران الإسرائيلى حقق لنفسه مكانة خاصة ، ولم يتحرج أى خبير عسكرى عن الإشادة والانبهار بالسلاح الجوى الإسرائيلى .

وانطلاقاً من هذه الثقة واصل الإسرائيليون تدعيم طيرانهم بعد أن تأكد لهم دوره الخطير والحاسم فى الاستراتيجية التى تقوم عليها نظرية الأمن الإسرائيلى .

وقد دخل سلاحهم الجوى فى معارك الردع فى الفترة ما بين ٦٨ – ١٩٧٣ .

– فى يوم ٢١ / ٣ / ٦٨ شنت إسرائيل هجوماً جوياً وبرياً ضد قواعد الفدائيين الفلسطينيين « فى الكرامة » وهاجمت الطائرات الإسرائيلية قواعد الفدائيين فى غور الأردن ، ومواقع المدفعية الأردنية فى منطقة « السلط » .

– وفى حرب الاستنزاف التى اندلعت على الجبهة المصرية (من ١٩٦٩ – ١٩٧٠) دخل الطيران الإسرائيلى أعنف معاركه . وقد استعرض قوته بعدة غارات فى عمق مصر .

– ومنذ عام ١٩٧١ وحتى ١٩٧٣ قامت الطائرات الإسرائيلية بغارات متعددة عنيفة على قواعد الفدائيين ومواقع المدفعية والمعسكرات السورية ، وقواعد الفدائيين فى جنوب لبنان .

. . صحيح أن الدفاع الجوى المصرى أخذ ينمو بسرعة مذهلة ، وصحيح أن ذلك أثمر فى أواخر أيام حرب الاستنزاف ، بإسقاط عدد من الطائرات الفانتوم الإسرائيلية . . حتى وصف الإسرائيليون أنفسهم تلك الأيام بأسبوع تساقط الطائرات . . . . صحيح ذلك كله . .

ه لكن الصورة التى ارتبطت بالسلاح الجوى الإسرائيلى ظلت كما هى . . بل لعلها – بالدعاية الذكية والعمليات الاستعراضية والتدعيم المستمر زادت انبهاراً وأسطورية . . وأخذ قادة إسرائيل يتحدثون بالثقة الكاملة عن طيرانهم الذى وصفوه بذراع إسرائيل الطويلة التى تستطيع الوصول إلى أى بلد فى الوطن العربى الشاسع . . لتأديب العرب فى كل مكان . بمعنى أنه لم يعد هناك بلد عربى خارج متناول الطيران الإسرائيلى .

وهكذا كان على المخططين العرب أن يضعوا فى اعتبارهم هذه الحقائق :

١ – بعد تحول إسرائيل من الاعتماد على السلاح الفرنسى إلى السلاح الأمريكى أصبح لديها كميات كبيرة من طائرات « الفانتوم » و « سكاى هوك » والصواريخ الموجهة ، والتجهيزات والمعدات الإلكترونية الحديثة وأجهزة الردار – وبذلك أصبح الطيران الإسرائيلى متفوقاً بشكل أكبر ، كما أنه أصبح يمتلك الطائرات ذات المدى البعيد القادرة على حمل كميات كبيرة من القنابل والصواريخ باختلاف أنواعها وأشكالها .

٢ – بالإضافة إلى التفوق الكمى فى عدد الطائرات ، والتفوق النوعى للطائرات الإسرائيلية . كان هناك التفوق النوعى الآخر لبعض الطيارين والفنيين الإسرائيليين والذى

تحقق من خلال البرامج التدريبية المتواصلة ، وبفتح مجالات اكتساب الخبرة فى فيتنام بمساعدة أمريكا – يضاف إلى هذا التفوق النوعى تفوق فى الكم يتحقق من هجرة مستمرة لأعداد من اليهود الذين كانوا يعملون فى مجال الطيران فى الدول التى كانوا بها قبل هجرتهم إلى إسرائيل .

٣ – نتيجة لحرب ١٩٦٧ أصبحت القواعد الجوية الإسرائيلية بعيدة عن مدى الطائرات المصرية .

٤ – دعم الولايات المتحدة الأمريكية للسلاح الجوى الإسرائيلى ، واستعدادها لتعويضه عن كافة خسائره فى الطائرات والمعدات والأعتدة والقنابل والصواريخ . . وذلك كله بغير حدود .

. . . .

. . . .

. . **إذن** كان الطيران الإسرائيلى يمثل بالفعل مانعاً أو عقبة لا يمكن تجاهلها فإمكانياته قد تسمح له بضرب محاولات العبور والاقتحام وإحداث خسائر فى الأرواح والمعدات والمنشآت . . كما أنه – فى نفس الوقت – يستطيع تهيئة الظروف المناسبة للمدرعات الإسرائيلية دون أن يتعرض لخسائر رادعة . ولعل ما يلخص هذه الصورة للسلاح الجوى الإسرائيلى ما جاء فى التحليل الأخير للمعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية بلندن ، وما جاء على لسان حاييم هيرتسوج الرئيس السابق للمخابرات الإسرائيلية والمعلق العسكرى الذى يحتفظ بمكانة خاصة . ثم ما قاله وزير الخارجية الأمريكى هنرى كيسنجر عندما علم ببدء القتال .

١ – . . قال تحليل معهد الدراسات الاستراتيجية الدولى بلندن فى سبتمبر ١٩٧٣ : « إن التفوق الجوى الإسرائيلى قد تدعم بدرجة كبيرة ، ولقد تلقت إسرائيل بصفة خاصة فى عام ١٩٧٣ ، ٣٥ قاذفة مطاردة جديدة من طراز (مكدونيل دوجلاس ١ – ٤ فى سكاى هوك) و ٥ طائرات (ف ٤ – س فانتوم) وبذلك أصبح مجموع ما لدى إسرائيل الآن هو ٤٨٨ مقاتلة قاذفة يتفوق أغلبها على طائرات الميج .

وإن من دواعى فخر إسرائيل أن لديها أفضل الطيارين فى العالم . . »

. . . .

٢ – . . ومن ناحية أخرى علق حاييم هيرتسوج على المعركة التى دارت بين الطائرات

الإسرائيلية والطائرات السورية فى ١٣ سبتمبر من نفس العام والتى سقط فيها ١٣ طائرة سورية مقابل طائرة إسرائيلية واحدة مما جعل المعلقين يتحدثون فى إعجاب عن « السيادة الجوية المطلقة للطيران الإسرائيلى الذى ، يتلاعب بالأسلحة الجوية العربية » .

علق هيرتسوج على هذه المعركة بقوله :

« إن إسرائيل تحتفظ إذن بالتفوق الجوى ، وهو ما يعنى فى الشرق الأوسط التفوق العسكرى . وطالما ظل هذا التفوق باقياً فإن وقف إطلاق النار سيظل محترماً » .

. . . .

٣ - . . التقى وزير الخارجية الأمريكية هنرى كيسنجر بعد نشوب الحرب يوم ٦ أكتوبر مع وزير الخارجية المصرى وقتئذ الدكتور محمد حسن الزيات وقال له :

« ماذا نستطيع أن نفعل من أجلكم ؟ إن الطيران الإسرائيلى سوف يمزقكم إرباً إرباً فى غضون الأربع والعشرين ساعة الأولى من الحرب » .

* * *

تلك كانت صورة

ذراع إسرائيل الطويلة . . الرادعة . . فكيف قامت القيادة المصرية بالإعداد والتخطيط لمواجهتها ؟

لقد كان الإعداد والتخطيط لمواجهة ذراع إسرائيل الطويلة . فصلاً آخر فى ملحمة طوفان أكتوبر إعداداً وتخطيطاً وتنفيذاً .

ولقد درس فريق العقول المصرى كل شيء يتعلق بالسلاح الجوى الإسرائيلى حددوا نقاط القوة فيه . . وكشفوا نقاط ضعفه . ثم وضعوا خططهم الدقيقة للإعداد . . والتنفيذ . بهدف تقليص أو إلغاء نقاط القوة وتوسيع وتعميق نقاط الضعف لتكون المحصلة فى النهاية حرمان إسرائيل من أكبر أسلحة الردع عندها

وكانت الخطوط الرئيسية التى ركزت عليها الخطة كالتالى :

١ - مع الإعداد الهائل لزيادة فعالية الدفاع الجوى يمكن إقامة سد منيع ومنسق من الصواريخ المضادة للطائرات والأسلحة والمعدات الأخرى مع العمل فى نفس الوقت على حمايتها من التدمير ، وقد تم بالفعل إعداد شبكة الدفاع الجوى هذه وتعزيزها

بالعدد الكافى من الصواريخ الموجهة أرض – جو من نوع (سام ٢) للارتفاعات العالية « من ٢٥,٠٠٠ إلى ٦٠,٠٠٠ قدم » ، ونوع (سام ٣) للارتفاعات المتوسطة « من ١٠,٠٠٠ إلى ٢٠,٠٠٠ قدم » ، ونوع (سام ٦) للارتفاعات المنخفضة « من ١٠٠٠ إلى ١٥,٠٠٠ قدم ونوع (سام ٧) الذى يحمله المشاة ، هذا بالإضافة إلى تعزيز فعالية وقدرة أجهزة الردار ، ووسائل الدفاع الجوى الأرضية التقليدية ومدها بالعدد الكافى من المدافع المضادة للطائرات (١٠٠ مم ، ٨٥مم) للارتفاعات العالية من ١٥,٠٠٠ إلى ٣٠,٠٠٠ قدم ، ومدافع ٥٧ مم للارتفاعات المتوسطة (من ٥,٠٠٠ إلى ١٠,٠٠٠ قدم) و ٢٣ مم ، ١٤,٥ مم الرباعى للارتفاعات المنخفضة .

ويضاف إلى ذلك أيضاً مدافع مضادة للطائرات ذات الحركة موجهة بالرادار عيار ٢٣ مم رباعية وأخرى ثنائية عيار ٥٧ مم .

– وبالطبع لم يكن الإعداد والتخطيط لشبكة الدفاع الجوى مقصوراً على توفير الأسلحة والمعدات والتنسيق بينها ، لأن ذلك لا قيمة له لو لم يكن هناك المقاتل الذى يفهم ويستوعب وينفذ ، خاصة وأن هذه الأجهزة والمعدات تتسم بقدر كبير من التعقيد التكنولوجى ، وقد تكفل التدريب المتواصل بحل هذه المعادلة ، وكان رجال الدفاع الجوى المؤهلون علمياً قادرين ليس فقط على الاستيعاب بل أيضاً على الإضافة والابتكار والجسارة .

٢ – كان الشق الثانى من عملية الإعداد والتخطيط لهذه الجولة (مع ذراع إسرائيل الطويلة الرادعة) يتمثل فى إعداد الطيران والتخطيط لمهامه التى سيقوم بها وهى :

(ا) توجيه الضربة الجوية الأولى بكثافة كبيرة مستهدفة ضرب مطارات وقواعد ومراكز قيادة وتجمعات العدو فى سيناء لإحداث أكبر قدر من الشلل للعدو وتأخير دخول سلاحه الجوى سماء المعركة حتى تكون الموجات الأولى قد قامت بالاقتحام والعبور فعلاً .

(ب) مساندة قوات الدفاع الجوى فى حماية الأجواء المصرية من قواعد ومطارات ومنشآت . . وأيضاً لإفشال محاولات العدو الجوية لضرب المعابر والقوات المتقدمة . وقد وضعت خطة كاملة للتنسيق بين الطيران والدفاع الجوى بحيث يعزف السلاحان سيمفونية واحدة متجانسة .

(ج) مساندة القوات البرية فى تقدمها بضرب مدرعات وقواعد مدفعية العدو .

(د) مساندة القوات البحرية فى المهام التى تكلف بها .

. . . .

وإذا كان ما يعنينا الآن هو دور الطيران المصرى فى استكمال خطة الردع لسلاح الردع الإسرائيلى الأول ، فإننا يجدر بنا أن نتوقف أمام بعض ملامح الخطة التى وضعت من أجل قيام الطيران بمهامه :

١ - بذل جهود مضنية فى مجالات التدريب وإدخال التكتيكات الجديدة لرفع مستوى الكفاءة القتالية لرجال السلاح الجوى .

٢ - التأكيد المستمر للطيارين والفنيين على أهمية وخطورة دورهم فى الحرب المقبلة ، والواقع أنهم لم يكونوا بحاجة حقيقية لاستنفار طاقاتهم الحماسية والفنية ، إذ أنهم كانوا محاصرين دائماً منذ نكسة ١٩٦٧ بالإحساس بأن الضربة التى وجهت لسلاحهم ، وأخرجته من المعركة هى التى حققت لإسرائيل نصرها فى تلك الحرب ، وتسببت للأمة العربية فى نكستها المؤلمة ، ولعلنى أذكر هنا ما كان يقوله لى الطيارون فى زيارتى لقواعدهم أثناء وبعد الحرب عن إحساسهم بأن هذه الحرب فرصة لكى يأخذوا بثأرهم الشخصى والوطنى والقومى ، ويزيلوا ركام الغبار الذى لحق بسمعتهم ومكانتهم ، والذى أخفى فى سحبه السوداء ما قام به العدد القليل من الطيارين الذين تمكنوا من إنقاذ طائراتهم فى صبيحة ذلك اليوم ، ودخلوا معارك انتحارية مع طيران العدو .

٣ - إنشاء المزيد من المطارات الحربية فى مختلف أنحاء الجمهورية ، وإنشاء الدشم (الحظائر) الحصينة للطائرات وحمايتها بوسائل الدفاع الجوى الفعالة حتى لا يتمكن الطيران الإسرائيلى من تكرار الضربة التى قام بها فى ١٩٦٧ ، لكى تخلو له السماء فيمرح ويعربد فيها كيفما شاء .

٤ - وضع خطة دقيقة للعمليات ترتكز أساساً على سؤال واضح هو ماذا يستطيع الطيران أن يقوم به ؟ وماذا يكون خارج استطاعته ؟ كيف يكون ما يستطيعه فى موضعه تماماً وبأدق النتائج ، وكيف يمكن تجنب نتائج ما لا يستطيعه .

٥ - إضافة تحسينات معينة للطائرات ووسائل الدفاع الجوى المتاحة للقوات . . . هكذا خططت العقول المصرية لمواجهة ذراع إسرائيل الطويلة الرادعة ، وحيث إن نجاح هذا التخطيط سوف يظهر فيما بعد ، وحينما نتحدث عن العمليات القتالية فإننى أشير إلى هذا النجاح بشكل عام من خلال ما قاله الخبراء العالميون والقادة الإسرائيليون :

– فى اليوم الثانى من القتال –٧/١٠/١٩٧٣ . . قال موشيه ديان فى كآبة ويأس :
« لقد استطاع المصريون تحييد سلاحنا الجوى . وإننى آمل أن يرسل لنا الأمريكيون الطائرات التى طلبناها » .

– وفى نفس اليوم قال البريجادير أورى دان:
«كان شعورنا فى مقر القيادة شعوراً مصيريًّا مخيفاً. . .لقد قام المصريون بالاستيلاء على جميع نقط خط بارليف عدا نقطة أو اثنتين قاموا بحصارهما .
. . كان شعورنا فى تلك اللحظات أننا نزداد ضآلة بينما المصريون يزدادون ضخامة »

– أما الخبراء العالميون . فقد توالت شهاداتهم . . تحكى كلها قصة انتهاء أسطورة سلاح إسرائيل الجوى . والحقيقة أننى لو سجلت كل ما قاله هؤلاء الخبراء لما اتسعت صفحات الكتاب كلها لهم ،

ولذلك فإننى أختار على سبيل المثال ما قاله أربعة منهم :

(ا) قال الجنرال « أنتونى فاراروكلى » أستاذ التكتيك فى الجيش البريطانى :

« إن الطيارين المصريين أزالوا الدور الأسطورى للطيران الإسرائيلى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ وبالتالى تضاءل دور المدرعات الإسرائيلية فى تحقيق أى نجاح خلال معاركها التصادمية » .

(ب) قال الخبير الأمريكى روبرت هونز :

« إن الطيران ووسائل الدفاع الجوى المصرية والسورية استطاعت تخفيض القوات الجوية الإسرائيلية إلى النصف فى الفترة من ٦ إلى ١٠ أكتوبر سنة ١٩٧٣ وبنهاية هذه الفترة تضاءل نشاط الطيران الإسرائيلى إلى حد كبير وبعيد إلى أن بدأ الدعم الجوى الأمريكى بالطائرات والطيارين الأجانب » .

. . . .

. . . .

(جـ) ولعل ما يلخص « مأساة » ذراع إسرائيل الطويلة الرادعة – التى خطط لها بنجاح فريق العقول المصرية . . هو ما أدلى بها ضابط سويدى كان يعمل كواحد من مراقبى الأمم المتحدة ، لقد قال الرجل :

« إن كل تقاريرنا من جبهة السويس توضح أنه من كل خمس طائرات إسرائيلية يصاب منها ثلاث وتضطر الطائرتان الباقيتان إلى إلقاء حمولتها بطريقة عشوائية للفرار من سماء المعركة » .

. . . .

. . . .

(د) وأخيراً تستوقفنا هذه الصورة التى سجلها الكاتب الفرنسى جان كلود جيبوه والتى تترجم هى الأخرى ما حدث للطيران الإسرائيلى . . وكيف خطط المصريون لإيقاعه بين أنياب دفاعاتهم . .

يقول جيبوه :

« بعد ظهر يوم السبت ، بدأت طائرات الميراج والفانتوم والسكاى هوك محاولة قصف الجسور الممتدة على القناة ؛ وكانت المفاجأة تنتظرهم :

فإلى جانب الطرق المنحدرة حيث تم تثبيت الصواريخ سام (٢) وسام (٣) على طول خط قناة السويس والتى كان القادة الإسرائيليون يعلمون بوجودها ، استخدمت القوات المصرية صواريخ سام (٦) المحمولة على العربات وسام (٧) التى يستطيع الجندى أن يحملها على ظهره .

وقد اضطر الطيارون اليهود إلى محاولة الوصول إلى أهدافهم وسط غابة حقيقية من الصواريخ التى كان يطلقها المصريون بكميات هائلة ، وقد تحطمت عشرات الطائرات الإسرائيلية فوق هذه المظلة الحديدية الواقية للجيش المصرى »

* * *

هل حقًّا الفخر كل الفخر للمدرعات » ! ! سلاح الردع الإسرائيلى الثانى ؟

* فريق العقول المصرى يواصل الإعداد والتخطيط

* وهو يتوقف الآن أمام السلاح الآخر الذى تعتمد عليه إسرائيل فى نظرية الردع – (والتأديب) .

* ولابد أن هؤلاء المخططين المصريين قد استعادوا كل ما قيل دراسة أو دعاية عن المدرعات الإسرائيلية .

* ومن الطبيعى أنهم وضعوا أمامهم صور الاستعراضات العسكرية الإسرائيلية (وآخرها أقيم فى ١٥ مايو ١٩٧٣ وفيها تظهر فى ساحة العرض مدرعاتهم التى ترفع شعار « الفخر كل الفخر للمدرعات » .

* و . . . . تفتح الملفات وتفرد الخرائط . . وينهمك فريق العقول فى العمل – إعداداً وتخطيطاً – من أجل ردع هذا السلاح هو الآخر ، وتوجيه الضربات إليه . . بحيث لا يستطيع أن يقوم بمهمته . وللدرجة التى تجعلهم يعيدون النظر فى شعارهم بعد ذلك .

. . . .

. . . .

ويستعيد فريق العقول المصرى كل شيء عن سلاح المدرعات الإسرائيلى ويركزون على دراسة هذه الجوانب :

– لقد حققت المدرعات الإسرائيلية لنفسها تفوقاً ملحوظاً جعلها تحظى باهتمام وإعجاب الكثيرين من الخبراء العالميين ، وهذا التفوق وليد رعاية خاصة من قيادة المؤسسة العسكرية الإسرائيلية التى تؤمن إلى أقصى حد بدور المدرعات إلى جانب دور الطيران (حتى إن ضباط الأسلحة الأخرى كانوا يتندرون بتدليل وتلبية رغبات قادة المدرعات والطيران فى شراء المزيد من الأسلحة والمعدات والأجهزة كلما ظهر شيء جديد فى هذه المجالات) كما أن هذا التفوق جاء أيضاً نتيجة ما أحرزته المدرعات من انتصارات فى الحروب السابقة (مرة أخرى أتحفظ هنا بالنسبة لشكل تلك الحروب مؤكداً أن الإهمال والتفتت العربى هو الذى أعطى هذه الانتصارات للقوات الإسرائيلية بشكل عام) .

* لم يكن من قبيل الصدفة أن حاييم بارليف ودافيد أليعازر وآخرين من رؤساء الأركان الإسرائيليين كانوا أساساً من رجال المدرعات .

. . . وقد تحدثت دراسات عالمية عديدة عن المدرعات الإسرائيلية فقالت مجلة « أرمور » العسكرية الأمريكية :

« إن سلاح المدرعات الإسرائيلى من أقوى أسلحة المدرعات فى العالم » .

وفى تحليلها لهذه القوة العالمية للمدرعات الإسرائيلية ذكرت المجلة أرقام الدبابات والعربات والألوية المدرعة والميكانيكية التى يتكون منها سلاح المدرعات الإسرائيلى ، ووصلت فى النهاية إلى القول بأن ٧٨ ٪ من المدرعات الإسرائيلية متفوقة من حيث

القدرة على الحركة ومن حيث التسليح ، على الدبابات السوفييتية التى يستخدمها المصريون والسوريون .

.. ومن ناحية أخرى حددت تقارير عالمية (أمريكية) حجم المدرعات الإسرائيلية بهذه الأرقام :

١٠٠٠ ألف دبابة « ستوريون »

٨٠٠ ثمانمائة دبابة « باتون » وم – ٦٠ » .

٣٠٠ ثلثمائة دبابة « سوبر شيرمان »

٤٠٠ أربعمائة (تاى – ٦٧ ، « ت ٥٤ و ٥٥ معدلة »

.. وبذلك تصل مجموعات الدبابات إلى ٢٥٠٠ ألفين وخمسمائة . فضلاً عن ٥٠٠ خمسمائة مدفع ذاتى الحركة و ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف عربة مدرعة .

* وقد ذكر هذا التقرير أن عدد الألوية المدرعة الإسرائيلية كان « ٢٠ » لواء بالإضافة إلى « ١٠ » ألوية ميكانيكية ، وأن هذة الألوية شكلت « ٨ » فرق ذات قوة أكبر من العتاد .

* هذا وتوزع المدرعات الإسرائيلية عادة على ألوية مدرعة مستقلة (بكل لواء كتيبتا دبابات ، وكتيبة مشاة ميكانيكية ، وكتيبة مدفعية ذاتية الحركة ، ووحدة مدافع مضادة للطائرات ، ووحدة أخرى مضادة للدبابات مجهزة بصواريخ « ا س ا س – ١١ » ، وعربات جيب مجهزة بمدافع ١٠٦ مم عديمة الارتداد ، ووحدة استطلاع ، ووحدة هندسة ، ووحدة إشارة – هذا كله مضافاً إليه وحدات الإخلاء والصيانة) .

* وأحياناً يتم تجميع الألوية داخل مجموعات قتال متفاوتة الحجم وفقاً للمهمة القتالية المسندة إليها ، وتعرف هذه المجموعات باسم Ugdas ولها عادة قوة الفرقة ، وهى تضم ألوية مدرعة ، وألوية ميكانيكية ، وكتائب مدفعية ، وأحياناً ألوية مشاة محمولة .

. . . .

. . . .

ومن خلال ما تقوله الكتابات الأجنبية الغربية ، يتضح أن الدبابات الإسرائيلية المزودة بمدافع ١٠٥ مم تتمتع بميزة بعد مرمى مدافعها بالقياس لمرمى الدبابات العربية المزودة بمدافع ١٠٠ مم ، كما أنها تستخدم ذخيرة حارقة للدروع من نوع أفضل من تلك التى تستخدمها الدبابات العربية (باستثناء دبابات ت – ٦٢ التى تتميز طلقتها الخارقة

للدروع من نوع Apedos بأنها ذات قوة أشد فى خرق الدروع من مسافة كبيرة ، وأفضل من ذخيرة السنتوريون والباتون وم – ٦٠ .

كذلك تقول هذه الكتابات إن الدبابات الإسرائيلية مزودة بأجهزة تحديد مدى من نوع أفضل لا يعتمد أساساً على التقدير البصرى للقائد مثلما هو الحال فى الدبابات العربية ت ٥٤ و٥٥ و٦٢ ، مثلا يوجد فى الدبابة «الباتون» مقدرة مدى تجسيمى ، وفى «م – ٦٠» مقدرة مدى تطابقية ذات نظارة مفردة وفى «السنتوريون» رشاش متطابق المحور مع المدفع يطلق طلقات خطاطة .

* وتخلص هذه الدراسات إلى إثبات قدر ملحوظ من التفوق للدبابات الإسرائيلية على الدبابات المصرية والسورية .

* ويضاف إلى هذا التفوق فى نوعية وإمكانيات الدبابات الإسرائيلية ارتفاع مستوى تدريب أطقمها ، وقد حقق سلاح المدرعات الإسرائيلى خبرات تكتيكية فى العمليات الهجومية ، وخبرات فى إدارة العمليات المدرعة على نطاق واسع ، وما تتضمنه من حل مشكلات القيادة والتموين والصيانة وسرعة الحشد والحركة ، وذلك نتيجة للدروس العملية التى استقاها من حربى ١٩٥٦ و ١٩٦٧ . فضلا عما زرعته هذه الخبرات والانتصارات السابقة من شعور بالثقة فى نفوس جنود المدرعات سواء فى سلاحهم أو فى كفاءة قيادتهم .

– وقد اهتم فريق العقول المصرى بأبعاد هذه الثقة أو الغرور بشكل خاص ، كما ركز على أسلوب عمل المدرعات الإسرائيلية الذى تمسك فى حرب ١٩٥٦ وبداية حرب ١٩٦٧ باستخدام الدبابات ضمن إطار تكتيك ثنائى (الطائرة – الدبابة) وهو الإطار الذى يهدف إلى إحداث خرق مدرع مكثف خاطف فى نقطة ضعيفة من الخط الدفاعى المعادى ، مستخدمة تكتيك الاقتحام بالنيران والحركة تحت حماية ودعم الطائرات التى تقصف مواقع المدفعية والمشاة المعادة قصفاً قريباً يعقبه اختراق فى عمق أرض العمليات يستهدف تطويق مواقع القوات المدافعة ، وقطع خطوط مواصلاتها وتدمير مراكزها الإدارية والقيادية ، ومن ثم تحطيم معنوياتها وإشاعة الارتباك فى قيادتها ودفعها إلى الفرار أو الاستسلام .

وهذا التكتيك هو ما عرف بالحرب الخاطفة وقد طبقته إسرائيل فى حرب يونية ١٩٦٧ وحققت به نجاحاً كبيراً أعماها عن حقيقة الظروف الخاصة جدًّا والتى أتاحت لها

هذا النجاح ، وجعلها تتخلى عن أحد أسس عملها (وهو التحرك دون مساندة مستمرة من الطيران والمدفعية والمشاة معتمدة على أنها تستطيع أن تتلقى من الطيران دعماً مباشراً كلما واجهتها بعض المشاكل فى التقدم السريع فى عمق أرض العمليات) .

وهكذا أصبحت المدرعات الإسرائيلية تمارس أسلوباً قديماً لم تعد الظروف تسمح به حيث تقوم بمفردها بمهام الجيش الميكانيكى المتكامل (أى تقوم بمهام المشاة الميكانيكية والمدفعية ذاتية الحركة) .

إن هذا الاستخدام إحياء لدور الفرسان الخفيفة التى كانت تطارد عدوًّا مهزوما فى الحروب القديمة .

. . . .

. . . .

تلك كانت بعض ملامح الصورة الدقيقة التى وضعها فريق العقول المصرى أمامه للمدرعات الإسرائيلية . . وانهمك فى تحليلها . . واستخراج جوانب الضعف فيها وتحديد جوانب قوتها . . ثم كان الإعداد والتخطيط لهذه الجولة :

* * *

« إذا كانت المدرعات الإسرائيلية تتمتع بتلك المزايا التى جعلت خبيراً أمريكيًّا يقول إنها واحدة من أقوى المدرعات فى العالم ، فإن الفرصة ستكون سانحة لها تماماً فى الساعات الأولى من المعارك حيث إنها ستواجه المشاة العاديين . . الذين لا تحميهم دروع الدبابات والمصفحات ولا تتوافر لهم إمكانية إنتاج القدر الهائل من النيران . ستكون الفرصة سانحة لكى توجه المدرعات الإسرائيلية ضربة قوية تحقق بها أول مراحل مهمتها ، وتكسب فى نفس الوقت هالات جديدة من الدعاية ويتحقق لها الفخر كل الفخر » .

فكيف يحرم سلاح المدرعات الإسرائيلى من هذه الفرصة ؟ بل كيف يتحول هذا الموقف إلى ضربة توجه لهذا السلاح ، فتهز ثقته وتفقده بالتالى أحد مقوماته !

اطمأن المخططون المصريون إلى إمكانية تحقيق ذلك . . بتوفير الظروف التالية :

١ – المزيد من التدريب والإعداد للمشاة الذين سيشكلون الموجات الأولى من الاقتحام ، وبالتالى سيكون عليهم التصدى لمدرعات العدو . وبث الثقة فيهم بأن الدبابة ليست بالشبح الذى لا يمكن للفرد المسلح التغلب عليه بل إنها تصبح هدفاً سهلاً إذا ما استخدم الفرد سلاحه جيداً واحتفظ بهدوئه ورباطة جأشه . . وأجاد فى نفس الوقت

استخدام واختيار الأرض المناسبة !

٢ – تزويد هؤلاء المشاة بمختلف الأسلحة الحديثة المضادة للدبابات مثل صواريخ ساجر وسنابر بالإضافة إلى الأسلحة القديمة التي يعوض تخلفها مهارة الجندي وشجاعته .

٣ – مساندة المشاة بالمدفعية التي تعمل من الغرب (إلى أن تعبر بعد إقامة الكباري) .

٤ – أيضاً . . كان للدبابات التي أعدت لها القوات المصرية مصاطب فوق الساتر الذي أقامته على الضفة الغربية دور في التصدي للمدرعات الإسرائيلية التي تقترب من القناة .

٥ – في نفس الوقت كان يربض عدد من جنود المشاة فوق هذا الساتر الغربي بصواريخهم لتغطية العبور بالمشاركة في ضرب الدبابات الإسرائيلية القريبة.

٦ – ولكي يبدأ انتزاع الثقة مبكراً من نفوس أطقم المدرعات الإسرائيلية خططت القيادة المصرية لدفع كمائن من قوات الصاعقة التي يتم إبرارها في عمق سيناء لضرب المدرعات المندفعة من الخلف باتجاه القناة . في الوقت الذي تتولى فيه كمائن المشاة الذين يعبرون في اللحظات الأولى اصطياد المدرعات التي تربط في عمق خطوط بارليف (ابتداء من القناة إلى اثني عشر كيلو متراً شرقاً) .

٧ – اعتمدت العقول المصرية أيضاً في تخطيطها على حرمان المدرعات الإسرائيلية من الدعم الجوي الذي تطمئن إلى سرعة تلبيته ، ويتأتى ذلك كإحدى نتائج الضربة الجوية الأولى التي يقوم بها الطيران المصري لمطارات وقواعد العدو في سيناء .

٨ – ما دامت المدرعات الإسرائيلية قد وقعت في خطأ ممارسة دور الدبابات كفرسان خفيفة ، واعتباره أساس أسلوبها في حرب الحركة السريعة ، فإن التخطيط يستمر في حرمانها من الظروف الاستراتيجية التي تتيح لها ذلك ، بالمقاومة العنيدة والمنظمة كما اتضح في النقاط السابقة . وهي حين تحاول تغيير أسلوبها ستفقد الكثير من قوتها كما أن الاستمرار في ضرب وسائل التدعيم التي ستلجأ إليها كالمدفعية والطائرات . . يزيد من ارتباكها ليتحول الغرور الكبير إلى انهيار كامل .

. . هكذا كان مسار تفكير القيادة المصرية في إعدادها وتخطيطها لمواجهة المدرعات الإسرائيلية . . وإذا كانت الفصول الخاصة بسير العمليات ستوضح كيف نجح هذا

الإعداد والتخطيط المصرى . فإننى – مثلما حدث فى الأبواب السابقة – أشير على عجل إلى بعض ما قاله الإسرائيليون وغيرهم عما حدث لسلاح المدرعات الإسرائيلى .

. . . .

قال زئيف شيف الخبير الإسرائيلى :

كانت إصابات رجال المدرعات كبيرة ، وخلال القتال كان يظهر قادة صغار يحلون فى القيادة مكان القادة الذين قتلوا أو جرحوا ، وكان هناك رجال دبابات لم يغمض لهم جفن تقريباً منذ بداية الحرب .

. . وفى فرقة أبراهام آدن فقد طاقم إحدى الدبابات قائده الذى تدرب وعمل معه لمدة سنتين ، وبينما كان رجال الطاقم فى طريقهم بعد أن نقلوا جثة قائدهم إلى محطة التجميع ، صعد إلى الدبابة قائد جديد ، وقبل مرور ساعة قتل هو أيضاً ، وعادوا مرة أخرى ، ولم يصدق الرجال فى محطة التجميع ما رأوه عندما شاهدوا الدبابة تعود مرة أخرى وهى تحمل جثة القائد الثالث ، وقد رفض الطاقم المذهول العودة إلى دبابتهم بعد ذلك حتى جاء إليهم قائد الفرقة أبراهام آدن بنفسه » .

. . . .

. . . .

وقال قائد إحدى سرايا المدرعات . . الضابط باروخ شمير :

« نظرت حولى فشاهدت قذائف نارية مشتعلة ترقص فى الجو وهى فى طريقها إلى إلى دباباتنا القريبة منى : لم أفهم بعد ماذا يحدث .

ولكنى فهمت فى وقت لاحق أن هذه صواريخ ، وأن المشاة المصريين ، الواقفين ، أمامنا لا يقلون خطورة عن الدبابة . ، كان هذا بالنسبة لى مفاجأة تامة ، وطوال ذلك اليوم كنت أشاهد هذه القذائف النارية تتنزه فى الصحراء وهى تنطلق من قلب الرمال . . اشتعلت النار فى دبابتى هى الأخرى . . قفزنا منها . . كنا مذهولين ، بكى رجل المدفع . كنا لا نزال لا نفهم ماذا يحدث . . لم أكن أعرف أن هذا الصاروخ الغامض يولد موجة من الحرارة تزيد عن ١٠٠٠ درجة مئوية وأنه يدمر أجهزة الدبابة ويحرق كل من بداخلها .

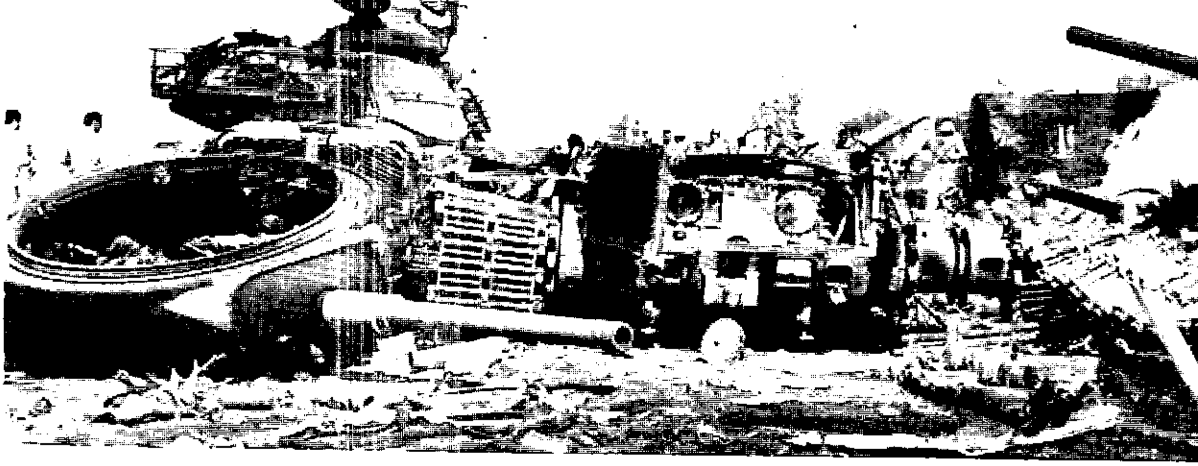

مدرعات إسرائيلية تم تدميرها فى كمائن نصبها المشاة
المصريون الذى يظهر بعضهم فى الصورة الثالثة

. . ولم يكن حظ الدبابات الأخرى فى السرية بأوفر من حظنا ، فعندما نظرنا من خلف التلال الرملية ، شاهدنا مشاعل محترقة . . كانت هذه – فيما مضى – دبابات السرية . .

. . وخلال ربع ساعة بدأ رجال المدرعات الذين قدر لهم النجاة بأنفسهم أن يسمعوا صفير رجال الكوماندوز المصريين الذين بدءوا يمرون أمامنا متجهين نحـــو الشمال الشرقى .

فحاولنا أن نهجر المكان ولم نستطع أن نحمل معنا الكثير من أشيائنا لأن أيدينا كلنا كانت محترقة . . .

. . . .

. . . .

. . ثم يستوقفنا الكاتب الأمريكى « كنث براور » الذى يقول :

« فى نهاية يوم ٧ أكتوبر لم يكن لدى إسرائيل سوى ٩٠ دبابة من أصل ٢٥٠ دبابة كانت لديها فى الخطوط الأمامية ، وكانت هذه الدبابات التسعون مصابة بشدة . . وكان رجالها منهكين » .

. . وأخيراً . ونظراً للتكامل والتنسيق بين سلاحى الردع الرئيسيين (لجيش الدفاع الإسرائيلى ، هذه صورة دقيقة تجمع بينهما « قبل » . . « وأثناء حرب أكتوبر . . يسجلها بقلمه الخبير العسكرى المعروف « ادجار أوبلانس » الذى يقول :

« فى إطار نظرية الهجوم كان الطيارون الاسرائيليون ، وقادة الدبابات قبل أكتوبر ١٩٧٣ يعدون أهم الرجال ، وينظر إليهم باعتبارهم الأبطال ذوى الأدوار الحربيــة المجيدة ، فكان الطيارون منذ حرب ١٩٦٧ يعتبرون الصفوة المختارة ، بينما اكتسب رجال المدرعات شهرة فرسان العصور الوسطى . .

. . وحدث فى الأيام الثلاثة الأولى لحرب أكتوبر ١٩٧٣ على الجبهة المصرية أن قام قادة الدبابات الإسرائيلية ، شأنهم شأن الفرسان المدرعين القدماء – بشن هجوم فائق السرعة على المشاة المصريين الذين عبروا القنال ، وذلك فى محاولة لإرهابهم وإجبارهم على الفرار إلى حيث جاءوا .

هاجم فرسان المدرعات الإسرائيليون بلا هوادة . هاجموا بمختلف التشكيلات

بالفصائل ، بالكتائب ، وبالألوية . .

ولكنهم كانوا يفشلون فى كل مرة ، ويصابون بخسائر جسيمة حتى إنه دمر لهم أكثر من ٢٥٠ دبابة على أيدى المشاة المصريين الذين صمدوا فى الصحراء المكشوفة ومعهم الصواريخ والقذائف المضادة للدبابات .

وعند ذلك أدرك الإسرائيليون – بعد أن تكبدوا هذه الخسائر – أن وضعهم الهجومى (المدرع) ليس إلا عملاً انتحارياً .

وبالنسبة للجو حل بالإسرائيليين نفس المصير ، إذ تمكنت وسائل الدفاع الجوى المصرية من إسقاط ما يقرب من ٤٠ طائرة فى أقل من ساعتين ، مما جعل سلاح الطيران الإسرائيلى يسارع بوقف كافة العمليات فترة من الوقت . ولم يعمل الطيارون الإسرائيليون من جديد إلا حينما وصلت إلى إسرائيل على وجه السرعة وسائل إلكترونية مضادة من أمريكا وقد تم نقلها على متن طائرات العال الإسرائيلية .

. . ومرة أخرى تبين للإسرائيليين أن الاستراتيجية الهجومية (من الجو) عمل انتحارى . .

. . وهكذا فشلت الاستراتيجية الهجومية الإسرائيلية براً وجواً .

* * *

– المخابرات الإسرائيلية (المدعمة) وتضاؤل فرص « المفاجأة » :

* ورثت إسرائيل – منذ ظهورها – جهازاً ضخماً للمخابرات ، يضم عدداً كبيراً من العملاء اليهود الذين كانوا يعملون لحساب أجهزة مخابرات الدول التى كانت وما زالت تأويهم أوضدها على حد سواء .

* والواقع أن أجهزة المخابرات الإسرائيلية قد بلغت – قبل حرب أكتوبر – أقصى درجات الإعداد والكفاءة ، وكانت القيادة الإسرائيلية حريصة دائماً على تطوير منظمات مخابراتها الخمس (أربع منها تعمل فى مختلف المجالات والخامسة تختص بالتقديرات الاستراتيجية ، والمعروف أن المخابرات العسكرية تأتى فى مقدمة هذه المنظمات الخمس) .

* ولو كان الأمر مقصوراً على مخابرات إسرائيل لكانت مهمة تحقيق عنصر المفاجأة بالمحافظة على سرية الإعداد والتوقيت للحرب ، نوعاً من التحدى غير المستحيل .

* لكن إسرائيل لم تكن تعتمد فقط على مخابراتها الخاصة . إن هناك نوعاً من التعاون يصل إلى حد التنسيق بينها وبين أجهزة المخابرات الأمريكية ومخابرات حلف الأطلنطى (وقد أكد ذلك أكثر من دليل قبل وأثناء وبعد حرب أكتوبر . . فقبل الحرب ظل الاتصال مستمراً بين المخابرات الإسرائيلية والمخابرات الأمريكية – التى لاحظت فى يوم ٢٤ سبتمبر ١٩٧٣ بفضل محطة التجسس الإلكترونية التى أقامتها فى إيران ما يشير إلى استعداد العرب للحرب) .

كان الاتصال . . يتمثل فى تبادل المعلومات . . وتبادل تقييم هذه المعلومات .

أما أثناء الحرب فقد ظهر هذا التنسيق حين اكتشفت القوات السورية فى موقع جبل الشيخ الإمكانيات الرهيبة للمرصد الإسرائيلى الموجود فيه والذى اتضح أنه يخدم حلف الأطلنطى ، كما ظهر هذا التنسيق واضحاً أشد الوضوح حينما قامت طائرتان استطلاعيتان أمريكيتان باختراق المجال الجوى المصرى . . والتقاط صور عديدة للمواقع المصرية قدمتها أمريكا (مع الصور التى التقطتها أقمار التجسس) إلى إسرائيل مع نصيحة مخلصة باستغلال ما كشفت عنه الصور لتحقيق الثغرة .

* يضاف إلى ذلك ، أن التقدم العلمى المذهل الذى وضعت أمريكا ثماره على مائدة الإسرائيليين . . يجعل عملية التمويه والإخفاء والخداع عملية مستحيلة فكما اتضح من المثال الذى ضربته مدللاً على التنسيق بين مخابرات إسرائيل ومخابرات أمريكا – وصلت وسائل الرصد والتجسس المتمثلة فى الأقمار الصناعية ومحطات التصنت الإلكترونية إلى حد الإعجاز حتى انه أصبح من المستطاع تصوير أصغر الأشياء حجماً على الأرض (علبة سجائر مثلا) وبشكل واضح جداً ، كما أصبح ميسوراً الاستماع وتحديد مكان أى صوت حتى إن قادة إسرائيل قالوا فى معرض حديثهم عن إمكانياتهم فى التصنت والرصد « إنهم يرصدون تحرك طائرة على أرض أبعد مطار فى عمق مصر – بل إنهم قالوا إنهم يسمعون دبيب النملة على الأرض المصرية » .

. . . .

سؤال :

ألا تشكل هذه الإمكانيات الموضوعة فى خدمة الجيش الإسرائيلى فى مجال المخابرات والاستطلاع – مانعاً يصعب تجاوزه .

إننى لا أبالغ إذا ما قلت إن مواجهة المخططين المصريين العرب لهذا المانع . وانتصارهم عليه (كما سيظهر بعد ذلك) كان وسيظل شاهداً على عبقرية التخطيط والإعداد التى لم يتصورها أحد .

. . . .

. . . .

. . . .

* **حرب العقول تصل إلى ذروتها . .**
* **أخطر وأكثر جولات الحرب العقلية إثارة وذكاء ! !**
* **المفاجأة . . هل تتحقق ؟ !**

فى مواجهة المخابرات الإسرائيلية بقوتها وإمكانياتها الضخمة التى تتصاعد عشرات المرات بالتنسيق بينها وبين المخابرات الأمريكية وغيرها من المخابرات الأوربية . . كما أوضحت فى الصفحات السابقة ، بدأت أخطر وأكثر جولات الحرب إثارة وذكاء .

وبادئ ذى بدء يهمنى أن أحذر من تركيز الكتابات الإسرائيلية على عنصر المفاجأة باعتباره سبب « الكارثة التى ألمت بإسرائيل » و« الطوفان الذى اجتاحها »

. . .فقد يكون فى هذه الكتابات اعتراف واضح وصريح للذكاء والدهاء المصرى . . . . وشهادة تاريخية للمخابرات المصرية . .

ولكن . . أن يعلق الإسرائيليون أسباب « نكبتهم » وهزيمتهم على مشجب « المفاجأة » وحدها . . فإن ذلك يحمل فى طياته تخطيطاً خبيثاً للتقليل من قيمة إنجازات وبطولات المقاتل المصرى . . ولتبرير انهيار الجيش الإسرائيلى الذى قالوا إنه لا يقهر .

إنها بالفعل مفاجأة . . لكنها – نتيجة للتقدم العلمى والتكنولوجى المذهل – لا يمكن أن تكون مفاجأة كاملة . . فهذا النوع من المفاجآت الكلية لم يعد له وجود فى هذا العصر .

* وبتحديد أكثر . . أقول . . إن توقيت الحرب لم يكن مفاجأة مائة فى المائة ، ويكفى للتدليل على ذلك ما نشرته صحيفة معاريف المسائية قبل الحرب بساعات « إن تسهال ترقب عن كثب كل ما يدور على الجانب المصرى من قناة السويس . .

ولقد اتخذت كافة الإجراءات لتفادى وقوع هجوم مفاجئ » .

– وأيضاً لم تكن الأسلحة والمعدات والتشكيلات . . مفاجأة بنسبة ٥٠ ٪ . .

. . بل إن الجندى المصرى لم « يكن » مفاجأة هذه الحرب « كما قال رئيس الأركان الإسرائيلى أليعازار وغيره من قادة إسرائيل ، وبعض الخبراء العالميين ، لأن هذا القول يدل على قصور فى الرؤية وعجز عن استقراء تاريخ الجندى المصرى . . – وكان أحرى بهم أن يقولوا إن هذا الجندى حينما أتيحت له الظروف الملائمة كشف عن قدراته وجرأته بعكس ما حدث له فى الحروب السابقة .

. . . .

أخيراً . . وقبل أن ننتقل إلى الجهود الهائلة المتشعبة التى قامت بها القيادة المصرية من أجل تحقيق المفاجأة – بأقصى حجم يسمح به العصر – أود أن أقول دون أن يكون فيما أقول تكرار أو إلحاح بمعنى واحد . .

– إذا كان من الصعب – الذى يصل إلى درجة المستحيل – أن تخفى دولة استعدادات جيشها الكبير . . فإنه يبقى أن تبذل هذه الدولة غاية جهدها لتقليل نسبة ما يظهر للعدو من هذه الاستعدادات .

– وإذا كان تأهب جيش ضخم لحرب وشيكة لابد أن تتنبه له عيون العدو . . فإن قمة النجاح تتأتى إذا جعلت هذه العيون ترى ما أمامها . . لكنها فى نفس الوقت لا تراه . . فلتكن لهم عيونهم ولكن . . عليك أن تجعلهم لا يبصرون ما يرون . .

عليك أن تجعلهم يشكون فى قدرتهم على الرؤية ، فيتهمون بعضهم البعض بأنهم « يرون الشيء شيئين » بمعنى أنهم يبالغون فى تقديراتهم ورؤيتهم للحشود والاستعدادات .

عليك ما دام من المستحيل أن تمنعهم من قراءة استعداداتك – عليك أن تجعلهم لا يستطيعون قراءة نواياك .

– فتكون النتيجة مثلا أن يقول وزير الخارجية الأمريكى هنرى كيسنجر :

« لا أحد ارتكب أية أخطاء تتعلق بالحقائق ولكن معرفة الحقائق كانت أيسر من معرفة النوايا » .

– وأيضاً يقول أحد كبار رجال المخابرات الأمريكية :

« بالرغم من وجود أدلة عديدة على التحركات العسكرية فإننا تعرضنا للتضليل ، لقد كانت لدينا العناصر الصحيحة ، ولكننا لم نزن أولوياتها بطريقة صحيحة ، إن

مخابرات البنتاجون – بعد تبادل المعلومات بينها وبين المخابرات الإسرائيلية ظلت تجادل فى الطبيعة التهديدية للاستعدادات المصرية » .

– وأيضاً يقول ضابط إسرائيلى كبير لأحد جنودهم الذى أبلغه بالاستعدادات السورية للهجوم يقول له : « هذه مجرد مناورة . . إنهم لن يفعلوا شيئاً » ونفس الوضع بالضبط يحدث على الجبهة المصرية فتقول القيادة الإسرائيلية فى سيناء لأحد جنود المراقبة إنك تبالغ فى تقديرك للحشود المصرية إنك – يا عزيزنا – ترى الشىء شيئين »

– **وأيضاً يقول كاتب إنجليزى كبير هو أندريه دويتش :**

« بينما كانت وكالات المخابرات الأمريكية منزعجة وقلقة فى اجتماع مجلس المخابرات فإن المخابرات الإسرائيلية كانت ما تزال مقتنعة بقراءتها للنوايا العربية ، وبصرف النظر عن التقدير المرتفع الذى تنظر به واشنطن إلى المخابرات الإسرائيلية ، فإن مجلس مخابرات الولايات المتحدة قرر فى اجتماعه أنه طالما أن الإسرائيليين هم فى النهاية الذين سيواجهون أقصى العقوبة فى حالة فشلهم فإن آراءهم لابد أن يكون لها وزن خاص » .

* * *

*** سير العمليات « العقلية » فى تحقيق المفاجأة :**

والدور الخاص والبارز الذى لعبه السادات :

هل كنت مبالغاً حين قلت فى الفصل الخاص بالقرار : « إن شخصية أنور السادات كان لها دور حاسم فى تحقيق المفاجأة ؟ ».

وهل أكون غير موضوعى لو قلت إن السادات بالذات هو الذى كان يستطيع أن يلعب هذا الدور الخاص والبارز فى حرب العقول من أجل تحقيق المفاجأة التى تتيحها ظروف العصر ؟

ليس دفاعاً عن نفسى – وإنما تأكيداً لهذه الحقيقة . . أقول إن « المبالغة » و « غير الموضوعية » أبعد ما تكون عما قلت .

. . وهذه هى حيثيات الحكم الذى توصلت إليه :

* **أول قائد فى التاريخ يكون سعيداً كلما زادت السخرية منه :**

* كما أوضح فصل « القرار » لم يكن جهد السادات محصوراً فى الإعداد الشاق للدولة والقوات المسلحة ، كما أن القرار ذاته لم يستمد حجمه الضخم من جرأته وحسمه فقط .

لقد كانت حيرة الإسرائيليين وغيرهم فى توقع الخطوة التالية للسادات عاملاً هاماً فى تحقيق المفاجأة – بل إن الأكثر خطراً من ذلك أنه جعلهم فى النهاية يركنون مطمئنين إلى الاعتقاد بأنه لن يحارب وهكذا فشلوا جميعاً فى « **قراءة نواياه** » .

إن هذا التمويه فى حد ذاته وكما أثبتته الوقائع التى تضمنها فصل القرار يؤكد ما وصلت إليه خطورة الدور الذى لعبه السادات فى تحقيق المفاجأة ، ولكن الرجل لم يقنع بما فعله فى هذا الصدد ، لم يكتف بالجهد العصبي العنيف الذى كان عليه أن يبذله لإخفاء نواياه فيتحمل بصبر عظيم ألوان النقد الجارح ، وأنواع السخرية القاسية ، بل لعله كان أول قائد فى التاريخ يشعر بالسعادة كلما انهالت عليه مشارط وخناجر النقد والسخرية هازئة (بضعفه وتردده ونواياه السلمية أو الاستسلامية) .

* لم يقنع السادات بهذا الدور المرهق .
* ولم يكتف بذلك الجهد العصبي الخارق .
* لكنه قاد عمليات تمويهية أخرى على المستوى الاستراتيجي والتعبوى ليضيف إلى جهود جهاز الإعداد والتخطيط فى القوات المسلحة جهوداً أخرى .

. . وقبل أن نتتبع هذه العمليات يجدر بنا أن نلقى نظرة على جانب هام فى شخصية وحياة السادات . فنحن إذا كنا قد توقفنا أمام أبرز صفاته التى كانت وراء القرار والمفاجأة وهى :

– الشجاعة التى لا تنال منها أخطر المواقف والظروف .
– الصبر والقدرة غير الطبيعية على تحمل كل أنواع المعاناة .
– المثابرة والجهد المنظم الواعى .
– الإصرار فى مواجهة كل التحديات .
– الحسم الذى لا يعرف التردد أو التراجع .

إذا كنا قد توقفنا أمام هذه الصفات فى الصفحات السابقة ، وفى فصل القرار ،

فإنه ما يزال هناك هذا الجانب فى تكوين وحياة السادات الذى ساعد كثيراً فى تحقيق « المفاجأة » فما هو ؟

– السادات والعمل السرى :

منذ صباه برزت وطنية السادات . . وبرزت معها صفات الجرأة والصبر والتحمل ، ومع تقدمه فى العمر ودخوله مرحلة الشباب . زادت وطنيته اشتعالاً واكتسب أو نمى لديه صفات أخرى هى القدرة على العمل السرى ، والتخطيط والتنفيذ الذى لم يهدأ حتى قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ التى شارك فى تخطيطها وتنفيذها .

ومن تحصيل الحاصل أن نقول إن هذه الحياة الخفية التى عاشها السادات مع متاعب الكفاح ضد الاحتلال الإنجليزى ، قد أكسبته صلابة ومقدرة غير عادية على تحمل الصعاب والصبر فى مواجهتها كذلك فإنها – بالتأكيد – قد صقلت موهبته الفطرية المتمثلة فى البراعة والدهاء والتكتم حتى إن أقرب المقربين إليه لا يستطيع الاطلاع على أفكاره الخاصة وبالتالى التنبؤ بخطوته المقبلة . فى الوقت الذى يبدو هو فيه وكأن أسهل الأشياء الدخول إلى عالمه حتى الأعماق .

ولماذا نذهب بعيداً . . أو لم تكن سلسلة قراراته ومواقفه منذ تولى رئاسة الجمهورية (وهذا ما وصفت صورة دقيقة له فى فصل القرار) دليلاً جديداً على قدرته على التخطيط والتكتم ثم المفاجأة .

إن المثير حقًّا أن المراقبين المحليين والدوليين مثلما لم يتنبهوا إلى قدرته على اتخاذ القرار واستمرءوا البحث عن أى تفسير آخر لا صلة له بهذا البعد من أبعاد شخصيته . هؤلاء المراقبون ، فشلوا أيضاً فى استكشاف قدرته على التخطيط والمفاجأة فى تلك السلسلة من المواقف والقرارات . وهم بالتأكيد لوسألتهم الآن تبريراً لسوء فهمهم لن يقولوا إنهم تصوروا أنها ضربة حظ كانت تساعده ، فالحظ لا يأتى أكثر من مرة ثم إنه لا يحالف إلا من يعمل ويخطط .

وقد كانت الفترة من نهاية ١٩٧٠ وحتى أكتوبر ٧٣ حافلة بأصعب واخطر المواقف التى ما كان يصلح معها إلا الرجل الذى يجمع فى داخله كل تلك الصفات (الشجاعة – الصبر – الهدوء – التكتم – المثابرة – الحسم . .)

. . . .

ونعود إلى شباب السادات حيث كان من الطبيعى أن تقع عليه عيون مخابرات قوات الاحتلال البريطانى فتبدأ فى تعقبه ومطاردته ، ولم يكن حظه أفضل مع مخابرات القصر الملكى .

وقد كانت خطورته بالنسبة لهذه الأجهزة – خاصة وأنه أصبح ضابطاً بالقوات المسلحة ، دافعاً إلى تضييق الخناق عليه أكثر فأكثر . وكان هذا بالتالى يضاعف من حاسة وقدرة العمل السرى لديه . وقد بلغ من إيمانه بضرورة إزعاج قوات الاستعمار والعمل على تحقيق الجلاء أنه رتب عدة عمليات ضد معسكرات وجنود الاحتلال ، واندفع إلى خطوة أكبر من ذلك حين وجد فى مساعدة أجهزة المخابرات الألمانية سبيلاً إلى إضعاف وربما تدمير الوجود الإنجليزى فى مصر ، وهكذا دخل إلى عالم أوسع وأكثر غموضاً وخطورة من العمل السرى .

وقد اعتقل السادات ، وقدم للمحاكمة أمام مجلس عسكرى برئاسة ضابط إنجليزى وهو الميجور جنكنز وعضوية ضابطين أحدهما إنجليزى والآخر مصرى . . وفى هذه التجربة سجل السادات لنفسه موقفين أو صفتين :

أولاهما حينما لم يضعف أمام السجن أو التعذيب ، واحتفظ برباطة جأشه والتزم الصمت فلم ينطق بكلمة واحدة يستفيد منها العدو ، ثم صاح محتجًّا بأنه يرفض – وهو الضابط المصرى – أن يحاكم أمام ضباط إنجليز .

وصدر قرار بطرده من الجيش فى أكتوبر ١٩٤٢ وما إن خلع الملابس العسكرية حتى قبضت عليه الشرطة المدنية ورحلته إلى معتقل المنيا .

وهنا ظهرت الصفة الثانية : لقد أظهر قدرة بارعة فى التخطيط لعملية الهروب من المعتقل فى نوفمبر ١٩٤٤ . ليبدأ بعد ذلك سلسلة من التخفى والمناورات حتى لا يقع فى أيدى الشرطة والمخابرات إلى أن ألغيت الأحكام العرفية فى عام ١٩٤٥ وبالطبع لم يكن هذا العام نهاية نشاطه السرى والعلنى .

. . . .

. . . .

بهذا الرصيد – غير المعلن – من الصفات والإمكانيات الذاتية ، قاد السادات عملية الإعداد والتخطيط وبشكل خاص فى مجال تحقيق المفاجأة . استراتيجيًّا وتعبويًّا . .

وكان من الطبيعى – وهذه هى صفاته وهذا هو إيمانه بالعمل فى هدوء وسرية –

أن يهتم بأجهزة المخابرات ، فأعطاها دفعة جديدة بعد تلك الدفعة التى أعطاها لها جمال عبد الناصر رحمه الله فى أعقاب نكسة يونية واكتشافه لأهمية تخليصها من السلبيات وتدعيمها بكل الوسائل .

وقد تبلور الاهتمام الخاص للسادات بدور المخابرات فى اختياره لوزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة ، ولمستشاره للأمن القومى ، ولرئيس هيئة العمليات الحربية من بين رجال المخابرات (أحمد اسماعيل على - حافظ اسماعيل - محمد عبد الغنى الجمسى) .

. . . .

. . . .

عمليات للخداع والتمويه قام بها السادات شخصياً :

إذا كان السادات كما أشرت وكما سيتضح فى الصفحات التالية قد شارك بل قاد التخطيط لمعظم عمليات الخداع والتمويه التى صنعت أكبر شرك وأكبر مصيدة فى التاريخ لمخابرات إسرائيل وحليفاتها . فإنه قد قام شخصياً بتخطيط وتنفيذ بعض هذه العمليات بالإضافة إلى قصته مع القرار والمحللين والكتاب المحليين والعالميين .

١ - ساتر السرية والإخفاء :

تابع السادات باهتمام شديد عملية بناء ساتر مرتفع على الضفة الغربية للقناة ، حتى يتم إخفاء تحركات واستعدادات القوات عن أعين الإسرائيليين الذين يستغلون الساتر الذى أقاموه على الضفة الشرقية للملاحظة والمراقبة (إلى جانب الأهداف الأخرى) .

ولعل هذا الاهتمام قد عبر عن نفسه ، بثورته العنيفة عندما اكتشف أنه قد حدث نوع من التراخى فى تعلية الساتر حتى أصبح الساتر الإسرائيلى مرتفعاً عنه بما يسمح بكشف المواقع والقوات ، وكان ذلك بالنسبة له أحد المؤشرات لعدم جدية قمة القيادة العسكرية - وقتئذ - فى الإعداد للحرب - فسارع بتغييرها (بعد التخطيط والتكتم وبالحسم - كالعادة . .)

. . وعلى الفور أشرف القائد الجديد الفريق أول أحمد إسماعيل على بنفسه على تعلية الساتر فى زمن قياسى ليحقق أهم الأغراض المترتبة عليه . وهو « الإخفاء » و« السرية » .

. . . .

٢ – الاستعداد . . للأكل . . لا للحرب :

كان العد التنازلى لساعة الصفر قد بدأ بالفعل . ولم يكن قد تبقى على اندلاع « الشرارة » إلا تسعة أيام فقط .

ولنا أن نتصور ما يدور داخل ذهن الرجل المسئول عن الأمة بأسرها فى هذه اللحظات المصيرية – ولنا أيضاً أن نتخيل الضغط العنيف الذى تتعرض له أعصابه مع كل تطور مفاجئ – وغير مفاجئ ، ومع اقتراب ساعة الصفر (التى سيتغير معها التاريخ والجغرافيا) إلى أحسن أو أسوأ .

ومع ذلك ها هو ذا الرجل نفسه بهدوء غريب يقف ليعلن « أن الحكومة التى يترأسها سوف تهتم بتوفير السلع الغذائية الرمضانية للجماهير بكميات وفيرة » .

ولعله استمع بعد ذلك وربما فى نفس اليوم إلى الموجة الجديدة من الانتقاد والسخرية التى وجهت إليه . فالمتربصون وفاقدو الثقة يصرخون قائلين :

إن الدولة تستعد للأكل – بدلاً من الاستعداد للحرب .

وقادة العدو يضحكون ملء أشداقهم ، وربما ينفعل أحدهم من كثرة الضحك كديان مثلاً فيخلع نظارته « النصفية » ويخبط جبهته بيده قائلاً لمن حوله :

ألم نقل بأنه ضعيف ، أليست هى القيادة الضعيفة التى تسعى إلى ملء بطون شعبها حتى يستغرق فى النوم وينسى حكاية الحرب ، مطبقة لمبدأ « الشعوب تمشى على بطونها ؟

أما الفريق الثالث . . فكان ينطوى على مشاعر مبهمة قائمة . . ويحاول أن يحل المعادلة الصعبة . . هل حقًّا سنحارب ؟

. . . .

. . . .

٣ – التحرك سياسيًّا . . « وكفى الله المؤمنين القتال » .

إلى واشنطن ، إلى لندن ، إلى موسكو ، إلى نيودلهى ، إلى بكين إلى معظم عواصم الدول على هذه الأرض . . طار عدد من المسئولين المصريين (حسين الشافعى – مراد غالب – محمد حسن الزيات – حافظ إسماعيل ، د . أشرف مروان . .) .

. . والصحف المصرية تتابع التحرك السياسى والديبلوماسى لاهثة منقطعة الأنفاس

ويتفاءل بعض المحررين أكثر من اللازم فيقول إن التحرك الديبلوماسى الذى يقوده الرئيس السادات . . سوف يثمر الكثير فى الدورة القادمة للأمم المتحدة .

. . إذن لقد حصرت مصر كل جهدها فى نطاق الحل السياسى أما القتال فقد كفى الله المؤمنين شره . . وليحاول المصريون أن ينسوا حكاية الأراضى المحتلة والحقوق الشرعية . . و . . و . .

. . . .

. . . .

٤ – اشتركت فى هذه « اللعبة » . . دون أن أدرى :

« مصر فى عصر الوفاق . . . الميثاق ووثائق الثورة » ، « كيف نخطط لمصر حتى سنة ٢٠٠٠ » . . « مستقبل العالم العربى » .

فجأة تصدرت هذه العناوين الصفحات الأولى للمجلات والصحف المختلفة . . وتحولت قاعات الاتحاد الاشتراكى إلى خلية نحل ، وتحرك مجلس الشعب هو الآخر ليقود المناقشات الخطيرة التى تلخصها العناوين السابقة .

ويسخر البعض قائلين « إنهم – القيادة – يشغلون الناس بلعبة جديدة » . ويقول فريق آخر منهم « لماذا لا يكونون صرحاء ويعترفون بأنهم قدتخلوا تماماً عن فكرة الحرب حتى يعرف الواحد منا رأسه من قدميه ؟ » .

ورد آخرون بحماس واضح . هل ترفضون الديمقراطية . . إن الرئيس يريد أن يخطط الشعب لبلده . . فكيف تحولون القضية إلى شيء آخر .

. . . .

والطريف أننى وجدت نفسى طرفاً فى هذه اللعبة الخبيثة التى بدأت واستمرت قبل الحرب بشهور قليلة جداً ، فقد سافرت إلى محافظتى « الغربية » لأشارك فى المناقشات التى تنظمها أمانة الاتحاد الاشتراكى بصفتى عضواً فى المؤتمر القومى وعضواً فى المجلس الشعبى للمحافظة .

وأعترف أننى لم أكن مقبلاً على هذه المناقشات التى نظمها وأدارها على مستوى الجمهورية كلها بعض نجوم العمل السياسى والشعبى وعلى رأسهم محمود أبو وافية رئيس لجنة الاقتراحات بمجلس الشعب ، لكننى ما إن دخلت القاعة وبدأ الدكتور جمال

العطيفى – وكيل مجلس الشعب – الندوة حتى أخذنى حماس المشتركين من القيادات السياسية والشعبية . . وثار الجـدل واحتد ، واشتعلت المناقشات حول الموضوعات المطروحة ، واحتججت أنا لأمين المحافظة لأننى طلبت الكلمة . . وتأخر دورى فى المناقشة .

واستغرقت الندوة ساعات . . ولم تنته إلا بالاتفاق على مواصلتها على مدى أيام طويلة حتى نضع أمام القيادة صورة دقيقة لأفكار الشعب عن مصر فى عصر الوفاق والتكنولوجيا و . و .

وإننى لا أستطيع أن أقاوم الابتسامة – التى تقفز إلى شفتى الآن ، وأنا أتذكر كيف صاح أحد الموجودين مطالباً باستمرار الندوة طوال اليوم حتى تكون المحافظة أولى المحافظات التى تقدم تصورها الشامل . . فتكون حافزاً لغيرها على سرعة العمل ! ! وحتى تبدأ القيادة دراستها بأسرع ما يمكن .

لقد كان الرجل يتصور أن القيادة العليا تجلس على أحر من الجمر انتظاراً لنتائج هذه المناقشات . ولو أنه ونحن معـه قـدر لنـا مثلاً أن ندخل القاعدة الجوية التى تقع على بعد كيلومترات من مكان اجتماعنا بطنطا . . لأحسسنا أن القيادة منهمكة فى شيء آخر . . أهم وأخطر . .

. . وبالرغم من أنه لا يسعد المرء أن يكتشف أنه كان طرفاً فى لعبة دون أن يدرى إلا أننى وغيرى . كنا ومازلنا سعداء بذلك . فلقد كنا أطرافاً فى واحدة من أكبر عمليات التمويه التى أعدها القائد . . تمهيداً للحرب المفاجئة . .

بل إن ما اتضح لى بعد ذلك كان أكثر إثارة ، فلقد قال الأستاذ محمود أبو وافية (الذى قاد هذا الحوار الواسع) إنه هو أيضاً برغم موقعه وقرابته للسيد الرئيس كان لا يدرى أنه يشارك أو يقود عملية تمويه كبيرة ، وضحك قائلاً « لقد كنت أنا أيضاً ممن موه عليهم » .

٥ – . . السادات . . بين السبت والاثنين وبين الظهر والمغرب

إذا اعتبرنا العمليات السابقة جزءاً من الخداع والتمويه الاستراتيجى فإن هذه العملية تعد أحد ملامح الخداع التعبوى .

لقد كان السادات هو شخصياً الذى اختار يوم السبت لتندلع فيه شرارة بدر لماذا ؟

لقد توصل الرئيس من دراساته النظرية وتجاربه العملية مع الفكر الإسرائيلى إلى أن آخر مراحل الاستعداد للاقتحام والعبور (حين يرفع الجنود شباك التمويه من فوق دباباتهم ، وتخرج معدات العبور من أماكن إخفائها) . . سوف تعطى للعدو الدليل القاطع على نية الهجوم – وهم سيقدرون لبداية هذا الهجوم أن تكون مع غروب الشمس .

وفى هذه الحالة تستطيع القوات المصرية حين تبدأ اقتحامها للقناة ظهراً . . أن تستثمر التقدير الخاطئ للقيادة الإسرائيلية ، وكان اختيار الرئيس ليوم السبت قائماً على فهمه لطبيعة الطوائف اليهودية المتزمتة التى ترفض العمل فى هذا اليوم ، كما أن إذاعتهم تكون متوقفة هى الأخرى فتتضاءل فرص التعبئة السريعة .

كما أنه توقع أن تسارع القيادة الإسرائيلية بأن تطلب من أمريكا التدخل لدى مصر ، انتظاراً للحل السلمى وهم بذلك يمارسون الخداع السياسى ، إذ أنه لو قبلت مصر الوساطة والوعد فستكون الفرصة سانحة للإسرائيليين لكى يشنوا هم الحرب يوم الاثنين .

أما لماذا توقع أن يختاروا هم يوم الاثنين ، فقد جاء ذلك نتيجة للمعرفة الجيدة بأن إسرائيل تفضل هذا اليوم . . إذ أن السبت بالنسبة لهم ليس يوماً مناسباً فى نظر المتدينين من طوائفهم ، ومن ثم تبدأ التعبئة فى أنسب يوم وهو الأحد حيث ستكون السفارات الأجنبية مغلقة وسيتعذر أو على الأقل يتأخر السفراء فى الاتصال بدولهم للإبلاغ عن حالة التعبئة للحرب . . إذ سيكون عليهم التوجه أولاً إلى سفاراتهم ثم اتخاذ الإجراءات اللازمة لتشغيل أجهزة اللاسلكى بل إن القيادة الإسرائيلية لا تتورع عن تعويق وصول عدد من هؤلاء السفراء إلى مكاتبهم . . وهكذا ما إن يأتى يوم الاثنين حتى تكون التعبئة قد اكتملت . . والقوات قد استعدت لتبدأ هجومها الإجهاضى .

هذا ويستطيع أى محلل أن يتثبت من صحة ودقة هذه الاستنتاجات لو عاد إلى اليوم الذى بدأت فيه إسرائيل حربها فى عام ١٩٥٦ وحربها فى عام ١٩٦٧ . وسيجد أن يوم ٢٩/١٠ / ٥٦ كان يوافق يوم الاثنين كما أن ٥ يونية ١٩٦٧ كان يوافق أيضاً يوم الاثنين .

وهكذا اقتنع السادات باختيار يوم السبت لتندلع فيه الشرارة وأقنع القيادة العسكرية بأهمية هذا اليوم .

. . . .

. . . .

٦ – غذاء رمضان :

ليس الأمر متعلقاً هذه المرة بسلع رمضان الغذائية كما قد يوحى العنوان المكرر ولكن السادات بتكوينه الدينى الروحى اختار أن تكون الحرب فى رمضان . . وبالذات فى العاشر منه لتحقيق التالى :

١ – لأن العدو لا يتوقع أن تحارب مصر فى هذا الشهر الذى يركن فيه المسلمون إلى الكسل والتراخى .

٢ – الحرب فى رمضان وبالذات فى ذكرى غزوة بدر . . ترفع معنويات المقاتلين فيحاربون مزودين بغذاء رمضان الروحى العظيم .

ومن الأهمية بمكان أن نوضح هنا أن اختيار يوم السبت العاشر من رمضان الذى وافق ٦ أكتوبر ، ووافق يوم عيد الغفران ، لم يكن استغلالاً للمناسبة الدينية فى إسرائيل . إذ أنه لو كان ذلك فى الحسبان حقًّا لكان الاختيار قد وقع على يوم عيد رأس السنة اليهودية أو عيد العرش إذ أن اليهود فى هذين العيدين يخرجون من بيوتهم فى رحلات مختلفة حيث يسهون ويحتفلون بالعيد بينما نجد أنهم فى عيد الغفران يلزمون بيوتهم أو معابدهم وفى هذه الحالة تكون عملية الاستدعاء والتعبئة العامة أمراً سهلاً للغاية .

ولعل الإسرائيليين أنفسهم قد اعترفوا بهذه الحقيقة حين قالوا فى فزع « ترى ماذا كان سيحدث لو اندلعت الحرب ونحن فى عيد رأس السنة اليهودية أو فى عيد العرش . . كيف كانت التعبئة ستتم ونحن جميعاً خارج بيوتنا ، إن عملية التعبئة كانت مرتبكة فى يوم الغفران برغم سهولة العثور على الجنود فى البيوت أو المعابد . . فأية كارثة كانت ستحدث لو اختار العرب يوم عيد رأس السنة أو عيد العرش حين لا يتيسر الاهتداء السريع إلى الجنود كما يعرقل ازدحام الناس وسياراتهم فى الشوارع حركة التعبئة ؟ .

شهادات للإعداد والتخطيط المصرى السورى

كنت متفائلاً مرتاح النفس :

لقد خططنا للمعركة تخطيطاً علمياً مدروساً بكل ما تقتضيه الخطة من تفصيلات ، وواجبات ومهام . كانت خريطة سيناء أمامى بكل معالمها . كل تفصيل على أرض سيناء كان موضوعاً فى الاعتبار ، وكل قائد وكل مقاتل كان يعرف واجباته ، ودرب عليها ، واستعد لها استعداداً هائلاً .

لهذا فقد كنت متفائلاً ومرتاح النفس .

أولادى فى القوات المسلحة كانوا على أعلى درجات التأهب والاستعداد ، وكنت فى نفس الوقت أعرف أولادى من أبناء شعبنا الطيب ، أصلاء ورجالاً وأبطالاً عند الشدة .

وكان فى اعتبارنا أيضاً أثناء التخطيط ، أن المعركة ستلهب مشاعر أبناء الأمة العربية جميعهم وستستأثر بكل ما يملكون من الحماسة والطاقات . ولذلك كان من ضمن تخطيطى للمعركة أن تستمر أطول وقت ممكن ، وقد التقى معى فى هذا التخطيط المغفور له جلالة الملك فيصل على أساس أن طول المعركة يسمح بتكوين رأى عام عربى .

وقد كانت كل هذه التفصيلات بالاتفاق أساساً مع الرئيس السورى حافظ الأسد .

(توقيع)
محمد أنور السادات

ما بين غمضة عين وانتباهتها . . حدث ما حدث :

ليس أمامنا مفر من أن نشهد لجهاز التخطيط المصرى بالبراعة !

لقد كانت خططهم دقيقة ، وكان تنفيذها أكثر دقة . لقد حاولنا بكل جهدنا إعاقة عملية العبور وردها بالقوة على أعقابها ، غير أننا ما كدنا نتمثل ما حدث إلا وكانت نتائجه قد تحققت لهم .

كأنما أغمضنا أعيننا ، وفتحناها ، فإذا هم قد انتقلوا تحت النار من غرب القناة إلى شرقها ، ليفاجئونا صباح ٧ أكتوبر بخمس فرق كاملة أمامنا على الضفة الشرقية من القناة .

(توقيع)
الجنرال الإسرائيلى « ناركيس »

« شهادة . . لها قيمتها »

« كان التخطيط المصرى لعمليات أكتوبر تخطيطاً بارعاً ودقيقاً ، فلقد قامت القيادة المصرية بدراسة نقط القوة والضعف فى عدوها ، وكان السؤال الرئيسى المطلوب الإجابة عنه هو :

« ما نوع العمليات الذى يحقق أهداف المعركة ، ويسبب لإسرائيل الخسائر المؤلمة ؟ » .

وقد توصلت القيادة المصرية فى دراستها إلى أن نقط القوة فى إسرائيل تتركز فى التالى :

١ – استماتتها فى البقاء

٢ – تفوقها التكنولوجى (حسب تصورها)

٣ – قدرتها على تدريب قوتها البشرية عسكريًّا .

٤ – كفاءة نظام التعبئة فيها .

٥ – الدعم الواسع اقتصاديًّا وعسكريًّا وتكنولوجيًّا (وخاصة من الولايات المتحدة الأمريكية) .

أما نقاط الضعف فى إسرائيل فقد حددتها القيادة المصرية كالتالى :

١ – الحدود الممتدة الواسعة مع الدول العربية والتى تصل إلى ٥٠٠ ميل .

٢ – صغر حجم سكانها (أقل من ٣ ملايين فى مقابل ٨٢ مليون عربى) .

٣ – اقتصادها المرهق بالمجهود الحربى .

٤ – الخيلاء الطائشة التى أصابت رؤوس قادتها بعد حرب ١٩٦٧ .

٥ – التأثير الخطير الذى ينجم عن التعبئة المستمرة فيها .

هكذا حددت القيادة المصرية نقط القوة والضعف فى عدوها وبنت عليها خطتها لحرب أكتوبر – وبالفعل تحت هذه الظروف – تحولت مصر إلى الهجوم ، واستولت على عنصرى المبادأة التكتيكية والاستراتيجية » .

(توقيع)
الميجور جنرال فارار هوكلى
فى بحث معهد الدراسات
الاستراتيجية بلندن

الاقتدار والحكمة :

« إن الجيش المصرى قد مزج بين الخطط المحكمة والشجاعة والبسالة ، مما جعله يبهر إسرائيل والعالم أجمع .

لقد قدر السادات وأحمد إسماعيل على - الذى عين قبل الحرب بقليل قائداً عاماً لقوات الاتحاد الثلاثى الذى يضم مصر وسوريا وليبيا - قدرا جوانب القوة والضعف فى العدو بصورة محكمة . وتم ذلك باقتدار وحكمة فريدين ».

(توقيع)
جان كلود جيبوه
(فى كتابه أيام إسرائيل الرهيبة)

ثلاث هزائم فى ثلاثة أيام :

فى أكتوبر ١٩٧٣ اقتحمت القوات المصرية قناة السويس بفضل كفاءة التخطيط والأداء . بحيث يمكن الجزم بأن عملية العبور لا يمكن لأى جيش آخر فى العالم أن يفعل أفضل منها .

إن العبور المصرى للقناة يعتبر فى الحقيقة أعظم إنجازات حرب أكتوبر ، وقد هزمت إسرائيل فى يوم ٦ أكتوبر وقبل انقضاء الليل وفقدت معظم دباباتها التى كانت مرابضة فى القلاع والحصون ، وفى اليوم التالى قامت إسرائيل بهجوم مضاد آخر ، وقد فقدت المزيد من دباباتها ومنيت بالهزيمة الثانية ، وفى اليوم الثالث للحرب وفى هجوم مضاد عام لقيت إسرائيل الهزيمة الثالثة وكان ذلك فى يوم الاثنين الذى أطلقوا عليه « يوم الاثنين الأسود » .

إن التخطيط المصرى الذى قاد إلى هذه النتائج ، قام على عدة أسس توصل إليها المصريون وهى :

١ - من المستحيل إحراز نصر عسكرى كامل لأى من الجانبين فهذا هو ما لن تسمح به القوتان العظميان .

٢ - يجب عمل كل ما هو ممكن للحد من فعالية التفوق الإسرائيلى فى القتال الجوى ، ومنع طيرانهم من دعم عملياتهم البرية .

٣ – يمكن التغلب على التفوق الإسرائيلى الفنى التكتيكى وبصفة خاصة فى سلاح المدرعات المتحركة باستخدام تكتيكات دقيقة وباستخدام الصواريخ المضادة للدبابات .

٤ – بالتدريب والنظام والتوعية يمكن بعث الثقة فى نفس الجندى المصرى وفى سلاحه ، كما يمكن أن تبث فيه روح الصمود فى القتال وخصوصاً فى القتال الدفاعى حيث يعتبر المصريون أنفسهم متفوقين على الإسرائيليين .

بالإضافة إلى هذه الأسس . . ظهر ذكاء المخطط المصرى حين ركز على نقاط الضعف الإسرائيلية والتى يجىء فى مقدمتها :

١ – حساسية إسرائيل تجاه الخسائر البشرية ، وأثر ذلك حين يتم إجبارها على الدخول فى حرب تكبدها خسائر فادحة فى الأرواح .

٢ – الغرور الإسرائيلى الزائد . . وكيفية استغلاله فى تحقيق المفاجأة .

« خبير عالمى »

الحب الذى وقعت فيه إسرائيل :

ليس هناك أى شك فى أن قرار مصر وسورية بشن الحرب ، نجم عن الشعور بأن إسرائيل وقعت فى حب « الوضع الراهن ، والجو العسكرى والسياسى » وأن الولايات المتحدة والدول الغربية ليست مستعدة لممارسة ضغوط ذات معنى على إسرائيل من أجل إعادة الأراضى .

لذلك جاءت الخطة التى بنى عليها القرار – مترابطة تماماً فى جوانبها العسكرية والسياسية والاقتصادية .

يجب علينا أن نعترف بأنها خطة عبقرية فى واقعيتها .

(توقيع)
كاتب إسرائيلى معروف كتب سلسلة
مقالات بعد عام واحد من حرب أكتوبر
تحت عنوان
« عام خيبة الأمل والاحتجاج »

« كان التخطيط المصرى دقيقاً إلى أقصى حد » .

(توقيع)
بريميا يوفيل
المراسل الحربى الإسرائيلى

« إن الواحد والعشرين شهراً التى مرت بعد ديسمبر ١٩٧١ فى هدوء قد أساء الإسرائيليون فهمها ، ذلك أنه ابتداء من ذلك التاريخ (ديسمبر ١٩٧١) كان الرئيس السادات قد أعد الشرك الذى نصبه بمناوراته الكبرى التى خدرت تماماً كل حذر لدى إسرائيل » .

« والحقيقة هى أنه كلما كان السادات يكثر من تهديدات الحرب – شخصياً أو عن طريق جهات أخرى كانت ترشدها وتوجهها أجهزته فى الجيش والإدارة – كان يضعف استعداد إسرائيل للنظر بجدية إلى أقواله ، وكان رد الفعل الإسرائيلى الدائم « هذا غير جاد . . لن يحدث أى شيء » .

إن رد الفعل هذا – أو بدقة أكثر – عدم وجود رد الفعل ، كان النتيجة المرجوة لخطة التضليل التى أعدها . وإن هذا هو أساس الكارثة التى حدثت فى هضبة الجولان وسيناء فى السادس من تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣ » .

(توقيع)
يشعيا هو بن – فورات – يهوناتان جيفن
أورى دان . . وبقية مؤلفى « المحدال »

« . . كنت أعلم نوع تفكير القادة الإسرائيليين ، وكنت أقرأ ما فى أذهانهم ، ولى بهم خبرة طويلة . .

لقد كان الإسرائيليون يتوقعون منا – مثلاً – أن نندفع بسرعة إلى داخل سيناء ، وفضلوا أن ينصبوا لنا الشرك وينتظروا لندخل الكمين الذى أعدوه ثم يرتدون علينا فى هجوم مضاد ليفتكوا بنا كما أرادوا .

كنا على بينة من أسلوبهم ، وكنا نقرأ أفكارهم ولم نمنحهم الفرصة ولم نندفع فى عمق سيناء .

وكان علينا أن نتنبه مرة أخرى لرد فعلهم لموقفنا من خططهم ، وأمكننا أن نقتنع بأن صبرهم سوف ينفذ ، فقد كنا نثق فى أن هذا المسلك من جانبنا سوف يحملهم مضطرين على مهاجمتنا . .

وهكذا تنبأنا بالهجوم وأعددنا له العدة . . وبالفعل حضروا إلينا ودمرناهم . . وكانت البداية قصة اللواء ١٩٠ المدرع الذى أفنى عن آخره وأسر قائده عساف ياجورى . .

. . . .

هكذا كنا نبنى تخطيطنا وتفكيرنا على أساس ما نعتقده ونتنبأ به من تفكير وتخطيط العدو » .

القائد الأعلى للقوات المسلحة
الرئيس محمد أنور السادات

وتوالت سلسلة العمليات العقلية من أجل المفاجأة

بعد أن رأينا كيف قام السادات بدور خاص وخطير فى تخطيط وتنفيذ بعض عمليات الخداع والتمويه ، نعود إلى فريق العقول المصرى الذى كان عليه أن يستكمل التخطيط الشامل مضيفاً سلسلة أخرى من العمليات الخداعية والتمويهية . ضماناً لتحقيق الهدف المتمثل فى الحيلولة بين العدو وبين اكتشاف المعلومات التالية :

١ – نية الهجوم المصرى
٢ – الاستعدادات والتجهيزات القائمة قبيل الهجوم
٣ – موعد الهجوم
٤ – بدء الهجوم (ساعة البدء)
٥ – اتجاه الهجوم
٦ – حجم الهجوم

وكانت الخطة الشاملة بطبيعة الحال تقوم على التنسيق بين الجبهتين المصرية والسورية كما راعت توفير التنسيق الكامل على مستوى الدولة بين عدة وزارات وعلى الأخص قطاعات القوات المسلحة ، والخارجية ، والإعلام ، حيث إنها تتصل بالمعركة اتصالاً مباشراً وإن اختلفت أو تفاوتت درجاته .

العالم بما فيه إسرائيل . . هدفاً للتمويه :

١ – على مدى عام كامل ظلت الإذاعة العبرية الموجهة من القاهرة إلى إسرائيل ، تعمل وفق الخطة المرسومة لها وهى إذاعة الموسيقى والأغانى الخفيفة ، مع نشرات الأخبار ثم التعليقات التى تدعو كلها إلى السلام . . وكان من الطبيعى أن يعتبر هذا الخط الإعلامى دليلاً قويًا على أن العرب قد استبعدوا الحل العسكرى ، ولم تعد لديهم نية الحرب .

٢ – اتسم التقرير الذى قدمه وزير الخارجية المصرى إلى مجلس الأمن « قبل الحرب » بالاعتدال ، والنزوع نحو البحث عن حل سياسى .

٣ – حين وجه وزير الخارجية الأمريكى الدعوة للوزراء العرب الموجودين فى نيويورك خلال دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة ، لتناول الغداء على مائدته ،

رفض بعض الوزراء تلبية الدعوة . وقد أظهرت مصر بشكل واضح وغير عادى ، عدم ارتياحها بالنسبة لهذا التصرف ، وكان الانطباع الفورى هو أن مصر تتشبث بتلابيب أى حل سياسى « لا تستطيع تحقيقه سوى الولايات المتحدة الأمريكية » .

٤ – قبل الحرب بأربع وعشرين ساعة فقط قابل وزير الخارجية المصرى وزير الخارجية الأمريكية ، فى فندق « والدورف استوريا » بنيويورك ودامت المقابلة ساعة كاملة ، أخذ الوزير المصرى يلوح فيها على أن تقوم أمريكا بدور فعال فى حل الأزمة سياسيًّا . وقد صرح بعد المقابلة بأن المحادثات كانت موضوعية وصريحة .

٥ – أشاعت مصر الانطباع بأنها تسعى إلى حل سلمى بموقف آخر هو الاتجاه نحو السعودية والكويت وإمارات الخليج العربى . . وكان تحليل ذلك هو أن مصر باقترابها الشديد من دول البترول المرتبطة بالغرب إنما تسعى فقط إلى استخدام البترول كوسيلة ضغط من أجل الحل السياسى ، وقد رسخت مصر هذا التحليل بتصريحات وأقوال مختلفة .

٦ – روجت مصر أخباراً وتحليلات عن ضعفها هى وسوريا للدرجة التى لا تسمح لهما بدخول أية حرب . وقد سربت الدولتان هذه الأخبار والتحليلات بطرق ذكية جدًّا . . حتى إنها وصلت للعالم من خلال كتاب ومعلقين لا يمكن أن يوصفوا بالانحياز لمصر وليس لإسرائيل . . والغالب أن هؤلاء الكتاب وقعوا فى الشرك لإغراء المادة الإعلامية التى كانت توضع فى متناولهم بطرق مثيرة .

– فمثلاً أذاعت وكالة يونيتدبرس فى ١١ ديسمبر ١٩٧٢ من بروكسل خبراً يقول : « إن ٤٠ ٪ فقط من الأسلحة المصرية ، ٦٠ ٪ من طيرانها هى التى تعمل . ويقولون فى الدوائر الدبلوماسية البلجيكية إن ذلك راجع بصفة رئيسية إلى سوء صيانة العتاد العسكرى وإلى نقص قطع الغيار المصنوعة فى الاتحاد السوفييتى .

وهناك تقرير سرى يكشف عن أنه فى خلال التدريبات التى قامت بها مصر منذ حرب الاستنزاف ، فقدت على الأقل خمسين طائرة من طائراتها المقاتلة » .

– ونشرت بعض الصحف الإسرائيلية – نقلاً عن مراسل صحيفة « الفاينا نشيال تايمز » البريطانية فى القاهرة :

« إن الجيش العربى ليس مستعداًّ على الإطلاق للقتال ، حتى وإن كان هذا الجيش يرغب فى خوض حرب ضد إسرائيل . فمنذ أن غادر الخبراء السوفييت مصر ،

أخذوا معهم جزءاً لا يستهان به من أسلحتهم الحديثة ، ففقد الجيش المصرى ليس فقط قدرته الهجومية ، بل أيضاً فقد قدرته على الدفاع » .

– كذلك خرج من القاهرة تقرير كتبه « إيجورمان » مراسل صحيفة « لاستامبا » الإيطالية يقول فيه :

« إن الفساد ينتشر فى مصر . . والجيش المصرى لم يعد لديه ذخائر تكفيه إلا لأسبوع واحد ! ! » .

– ولقد ظهرت هذه الأخبار والتعليقات فى صحف أخرى كثيرة ، ومنها على سبيل المثال : صحيفة (الفيجارو) الفرنسية ، وصحيفة (كوريرى دلاسيرا » وصحيفة (واشنطن بوست) ، ومجلة إكسبريس الفرنسية ، وصحيفة (لوموند) الفرنسية أيضاً . .

وقد اعتمدت كل تلك الصحف ووكالات الأنباء على خبراء أو مصادر موثوق بها ، لم تعلن عن نفسها ويبدو أنها لم تكن تريد أن يعرفها أحد سوى المخابرات والقيادة المصرية . .

٧ – وفى نفس الفترة التى بدأ فيها العد التنازلى للحرب أعلن فى بيان رسمى أن « وزير الدفاع الرومانى سيصل إلى القاهرة يوم الاثنين ٨ أكتوبر ، بدعوة من المشير أحمد إسماعيل على الذى سيكون شخصياً فى استقباله لدى وصوله إلى مطار القاهرة الدولى » .

٨ – كذلك أعلن بصفة رسمية عن رحلة الأميرة الإنجليزية مارجريت التى أبدت رغبتها فى زيارة مصر ، وأخطرت السلطات المصرية سفارة بريطانيا بأنها ترحب بالأميرة ، وبالفعل طارت الأميرة من لندن إلى روما ، وكان من المقرر أن تصل إلى مطار القاهرة الدولى صباح (٦) أكتوبر ، وكان قائد الجناح الجوى « بارينكوت » الملحق بالسفارة البريطانية يحضر اجتماعاً مع كبار ضباط المخابرات لرسم خطة سير الطائرة . وتأمين وصولها . ولم يكن أحد من المجتمعين يعلم أن مطار القاهرة الدولى أغلق بعد ذلك بساعة وخمس دقائق عندما نشبت الحرب .

٩ – فى أواخر شهر أغسطس زار «كورت فالدهايم » السكرتير العام للأمم المتحدة الشرق الأوسط وقد فوجئ الكثيرون باستعداد سوريا لاستقبال الدكتور فالدهايم والبحث معه فى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، ذلك القرار الذى عارضته دمشق بكل شدة ، ومن دمشق توجه فالدهايم إلى القاهرة ، وتحدثت مصر مع سكرتير الأمم المتحدة وسربت للصحف أنباء مفادها أن مصر تؤمن بالتوصل إلى تسوية فى الشرق الأوسط .

ملحوظة : أغلب الظن أنه فى نفس الوقت الذى كان فالدهايم يتحرك فيه بين القاهرة ودمشق ، كان هناك أشخاص آخرون من القوات المسلحة أو من المخابرات المصرية والسورية . . يتنقلون بين البلدين لوضع الرتوش الأخيرة لخطة الحرب .

١٠ - استغل جهاز التخطيط حادثة الاشتباك الجوى بين إسرائيل وسوريا ، وإسقاط ١٣ طائرة ميج سورية ، فسربت أنباء عن عدم رضا السلاح الجوى السورى عن الطائرات السورية وأن دمشق تطلب بشدة طائرات ميج ٢٥ لمواجهة الطيران الإسرائيلى .. وقيل تبريراً لاختفاء حركة الخبراء الروس فى سوريا ، إن دمشق حددت إقامتهم كنوع من الضغط على الاتحاد السوفييتى ، بل إن هذه الأخبار (المشجعة لإسرائيل) أضافت أنه من المحتمل أن تفعل سوريا مثلما فعلت مصر فتطرد هؤلاء الخبراء السوفييت وستكون النتيجة الحتمية هى مزيد من الضعف ، والشلل خاصة فى الدفاع الجوى .

١١ - أعلنت القاهرة - قبل بدء الحرب بأيام معدودات - أنه قد وقع الاختيار على مؤسسة « بكتل » الأمريكية من بين المؤسسات العالمية ، لتقوم هى بعملية خط أنابيب البترول بين السويس والبحر الأبيض .

وتحدثت الصحف المصرية عن هذا المشروع الضخم الذى تصل تكاليفه إلى ٣٤٥ مليون جنيه ، وكيف أن هذا الاتفاق يعد أضخم اتفاق اقتصادى بين مصر والولايات المتحدة منذ رفض دالاس تمويل مشروع السد العالى ، واتجهت مصر إلى روسيا التى قبلت تمويله .

١٢ - قبل الحرب بثمانية أيام فقط . . وفى الساعة العاشرة صباحاً كان اثنان من الفدائيين الفلسطينيين التابعين لمنظمة الصاعقة يقفان داخل محطة براتيسلافيا فى تشيكوسلوفاكيا ، وقد صعدا خلسة إلى قطار متجه إلى فيينا عاصمة النمسا ، حاملاً المهاجرين اليهود القادمين من الاتحاد السوفييتى ، وكان هؤلاء المهاجرون يتعين عليهم بعد سبعة أو ثمانية أيام من رحلتهم من روسيا ، أن يتوقفوا بعض الوقت فى فيينا ، قبل أن يمضوا فى طريقهم إلى إسرائيل ، وقد أعدت الوكالة اليهودية بالاتفاق مع مستشار النمسا قصراً ضخماً يحمل اسم (شوبناو) لكى يستقبل ويستضيف ويوزع مجموعات اليهود السوفييت الذين تسمح موسكو بهجرتهم .

وما إن غادر قطار براتيسلافيا - فيينا الحدود النمسوية حتى اقتحم الفدائيان الفلسطينيان العربة المخصصة لليهود المهاجرين ، واستولوا على ثلاثة منهم أحد موظفى الجمارك النمسويين،

ولما وصلوا إلى محطة فيينا أسرعوا إلى المطار ، وطلبوا طائرة تقلهم ومعهم رهائنهم إلى دولة عربية .

وكان على برونو كرايسكى مستشار النمسا أن ينقذ الموقف ، وتم الاتفاق على إغلاق قصر (سويناو) وإلغاء التسهيلات الممنوحة لمجموعات المهاجرين السوفييت . فى مقابل إطلاق سراح الرهائن .

– كانت ضربة مؤلمة لإسرائيل . . فأبسط نتائج العملية الفدائية الفلسطينية هى خوف اليهود السوفييت من الهجرة إلى إسرائيل بعد ذلك .

– واستشاطت إسرائيل غضباً . . وتوالت اجتماعات القيادة السياسية والعسكرية كما توالت اجتماعات أجهزة المخابرات .

– وسافرت جولدا مائير إلى النمسا .

– وعادت جولدا مائير من النمسا .

– وقال لها (كرايسكى) إن عقله النمساوى يرفض عواطف قلبه اليهودى .

– وراحت كل الدوائر فى إسرائيل تنادى بعمل أى شىء .

– ولم تتنبه أجهزة إسرائيل إلى أن النتيجة الحقيقية والخطيرة هى توجيه أنظار المخابرات الإسرائيلية إلى خارج منطقة الشرق الأوسط والمزيد من استنفاد طاقة وجهود هذه المخابرات فى تتبع وترقب الفدائيين الفلسطينيين .

ملحوظة رقم (١) :

الفدائيان اللذان قاما بالعملية تابعان لمنظمة الصاعقة الفلسطينية .

ملحوظة رقم (٢) :

منظمة الصاعقة الفلسطينية تعمل بالتنسيق مع القيادة السورية .

١٣ – يقول مؤلفو كتاب « عيد الغفران » :

طوال صيف عام ١٩٧٢ : كانت القوات المصرية تتدرب على عبور القناة تحت سمع وبصر الإسرائيليين ، فى مواجهة أجهزة تصوير الدولة اليهودية ، أعد المصريون شواطئ للنزول عليها ، وبنوا الجسور . ولقد عرضت الأفلام التى التقطت عن ذلك

فى التليفزيون الإسرائيلى ، وقد قام المصريون مرة واحدة - على الأقل - فى عام ١٩٧٣ بتمثيل عملية العبور بأقل تفاصيل ممكنة ، ونقلت الصحف المصرية - بتوسع - سير هذه العملية التى شهدها الجنود الإسرائيليون فى خنادقهم على الضفة الشرقية للممر المائى .

حقًّا أن إسرائيل قد أعلنت حالة الطوارئ إزاء تحركات القوات المصرية ولكن هذا التكرار لعملية (العبور) لم يثر سوى الضحك من جانب الخبراء العسكريين فى القدس وتل أبيب .

إن أكبر عمل تضليلى فى العملية ، هو أن عبور قوات السادات يوم ٦ أكتوبر لقناة السويس ، كان بالضبط نفس ما حدث قبل ذلك ، بكل تفاصيله الدقيقة ، وما كان يعتقد أنه تدريب يقع أمام عيون الإسرائيليين .

وفى أواخر شهر مايو ١٩٧٣ أجريت مناورات كبرى مرة أخرى ، وفجأة أصبح التوتر دراميًّا على الحدود مع مصر وسوريا ، إلى درجة أن الصحف الإسرائيلية خشيت أن يكون العرب قد اختاروا موعد الذكرى الخامسة والعشرين لقيام دولة إسرائيل للهجوم عليها . وقد أعلنت حالة التأهب القصوى فى جيش الدفاع . لكن شيئاً لم يحدث .

وبعد تلك المناورات الكبرى التى قامت بها مصر فى عام ١٩٧٢ ثم فى عام ١٩٧٣ ، عمد السادات إلى جعل قواته تقوم بالتدريب على تحركات جديدة ، وقد اعتبرت إسرائيل ومعها العالم بأسره أن مناورات « صلاح الدين » (وهو البطل العربى الذى هزم الصليبيين) مجرد مناورات تدريبية جديدة .

تعليق على ما لا يحتاج إلى تعليق !

هكذا لعبت خدعة تكرار المناورات التدريبية دوراً خطيراً فى تخدير الجيش والمخابرات الإسرائيلية .

وإذا كانت تصريحات الرئيس السادات الكثيرة عن استعداد مصر للحرب الحتمية (منذ عام ١٩٧١ وحتى سبتمبر ١٩٧٣) قد فسرها المراقبون ، بأنها كانت ، بعثاً عصرياً لقصة الراعى والذئب . فإن هذه المناورات المتكررة قد دعمت عناصر هذه القصـــة . . التى تحولت بالفعل إلى واقع حى . . عندما صرخت إسرائيل فى ٦ أكتوبر . من « عضة الذئب » .

١٤ – لاحظت المخابرات الإسرائيلية (التى لا تنام) أن قيادة القوات المسلحة المصرية قد وافقت فى شهر سبتمبر ١٩٧٣ على منح إجازات لمن يريد من الضباط والجنود أداء « العمرة » . «كانت صحيفة الأهرام قد نشرت خبراً واضحاً يقول إن تصاريح العمرة لضباط وجنود القوات المسلحة قد سمح بها هذا العام) .

١٥ – أبلغت مصر أعضاء السلك الديبلوماسى الأجنبي فى القاهرة أنها تستعد ضد ضربة إسرائيلية متوقعة انتقاماً لحادث (شويناو) .

وفصل آخر من خطة الخداع والتمويه والمفاجأة :

لماذا حددت ساعة الصفر بعد الثانية بخمس دقائق بالضبط ؟

بعمليات الرصد الدقيقة والجريئة ، قدمت المخابرات المصرية تقريرها عن موعد تحرك عربات الإجازات من حصون خط بارليف إلى الشرق وهو الثانية وخمس دقائق ظهراً .

واختار أساتذة علم النفس (من بين فريق العقول المصرى) أن يكون هذا الموعد هو بالضبط ساعة الصفر . . حتى تتحقق النتائج المؤكدة التالية ، بمجرد قيام الطائرات المصرية بقصف المواقع فى هذا التوقيت :

١ – سيشعر الجنود القائمون بإجازاتهم بالفزع داخل عرباتهم التى ستسرع بهم فى اتجاه الشرق بينما زملاؤهم يتعرضون للقصف ، وسوف يؤدى بهم هذا الفزع إلى المبالغة فى حجم وقوة قصف الطيران المصرى ليبرروا قرارهم ، وعدم عودتهم إلى مواقعهم .

٢ – بالنسبة للجنود الباقين فى المواقع فإنهم سوف يتساءلون : ألم يشاهد زملاؤنا الذين لم يبتعدوا أكثر من كيلومتر واحد . هذه الطائرات وهى تهاجمنا ؟ لماذا لم يحاولوا العودة إذن لاتخاذ أماكنهم ؟ ولا شك أن هذا السؤال سوف يؤدى إلى شعور متزايد بالقهر والخيبة ، كما أنهم لو استنتجوا أن زملاءهم قد قتلوا نتيجة القصف فإن ذلك سيجعلهم يشعرون بأن الموت فى الطريق إليهم .

٣ – بالنسبة للوحدات التى سوف تدفع من العمق لنجدة المواقع ، فإنها سوف تلتقى بعربات الإجازات المسرعة فى ذعر نحو الشرق والتى سوف ينقل من فيها صورة مرتبكة ومذعورة لما يحدث فى الخطوط الأمامية . وبذلك تتحقق عدوى الخوف والرعب .

تضليل جواسيس الجو :

ولعلها كانت مهمة بالغة الصعوبة تلك المهمة التى كان على فريق العقول المصرى القيام بها . وهى تضليل أخطر جواسيس الجو الذين يأخذون شكل « الأقمار الصناعية » .

وكان من رأى الفريق محمد عبد الغنى الجمسى (رئيس هيئة العمليات) أن القمر الصناعى ما هو إلا جاسوس أبكم يمكن رصده بسهولة وبالتالى التعامل معه بما يحقق أكبر قدر من تضليله أو تفادى عيونه الإلكترونية النفاذة حتى الأعماق .

وعلى الفور وضعت مجموعة البحث فى اعتبارها شبكة الطرق المؤدية إلى جبهة القتال ومواصفاتها ثم مدارات الأقمار الصناعية ومواقيت إطلاقها ، وبعد ذلك قامت المجموعة بوضع عدد من الجداول الزمنية المعقدة كل التعقيد ، وأوضحت هذه الجداول مواعيد تحرك القوات وأماكن توقفها ، ومدة التوقف بالدقيقة ، والثانية ، مع إصدار الأوامر المشددة باتباع هذه الجداول بمنتهى الدقة ، وعلى هذا الأساس كانت الطوابير تتحرك إلى الجبهة فى مجموعات صغيرة فوق طرق مختارة بعناية حتى ولو كانت طرقاً فرعية ، ثم تعود العربات الخالية بمجموعات كبيرة فى وقت مناسب لكى يمر من فوقها القمر الصناعى الباحث عن المعلومات ، وهكذا استقبلت مراكز دراسة الصور الجوية صوراً كثيرة ، ولكنها كانت تؤدى إلى استنتاج معاكس للحقيقة .

وتتوالى سلسلة عملية الإخفاء والتمويه :

١ – صنعت صناديق خاصة لنقل المعدات حتى لا يشعر أحد أن « اللوارى » الضخمة التى تحملها هى لوارى سلاح المهندسين ، ثم رتبت لهذه المعدات حفر مناسبة على جانب القناة نزلت إليها فور وصولها فى الليل .

٢ – قامت مصر بعملية تعبئة كاملة للقوات قبيل بدء الحرب ، ثم اتخذت قرارات بتسريح (جزء) ممن تم استدعاؤهم قبل الحرب بيومين فقط ومنحت إجازات لبعض الضباط والجنود العاملين – وقد روعى فى اختيار من ألغى استدعاؤهم ومن منحوا إجازات أن يكونوا من أبناء محافظة الشرقية والمحافظات القريبة من الجبهة حتى يكون واضحاً (للعيون المراقبة) أنه قد تم بالفعل إلغاء التعبئة ، ومنحت القوات الأساسية إجازاتها العادية .

٣ – تضمنت خطة الهجوم فى ذاتها خدعة كبيرة للعدو ، فقد تم الهجوم على طول الجبهة وفى أعماق سيناء . وشرق خليج السويس ، وعبر بحيرة التمساح . وذلك حتى يرتبك العدو ، ولا يكتشف مبكراً اتجاهات الهجوم الرئيسية .

٤ – لم يحدث أى تغيير فى سير الحياة اليومية الروتينية على طول الجبهة ، فصدرت الأومر للقوات بعدم لبس الخوذات حتى تبدأ المعركة .

٥ – اشترك العاملون فى الشركات المدنية التى كانت تتعاون مع القوات المسلحة فى عملية الخداع دون أن يدرى أحد منهم ، فظلوا يمارسون أعمالهم العادية على الضفة الغربية . . حتى بدأت الحرب .

٦ – قامت مجموعات من الجنود (سميت مجموعات الكسل) بالجلوس على شاطئ القناة . . وانهمك بعضهم فى مص القصب أو أكل البرتقال . . بل إن البعض خلعوا ملابسهم الخارجية ، ليستحموا فى القناة ، أو يصطادوا السمك .

٧ – صدرت الأوامر بعدم « نفخ » قوارب المطاط المعدة للعبور قبل بدء ضرب الطيران حتى لا يسمع صوت الجنود وهم ينفخون هواء الفم فى هذه القوارب .

٨ – صدرت الأوامر ببقاء الاستراحات العسكرية بكامل أثاثها ومهماتها دون نقلها إلى الخلف (للحفاظ عليها) . . حتى يطمئن العدو أكثر إلى استمرار الحياة العادية .

٩ – صدرت الأوامر بعدم إفطار الجنود الصائمين فى رمضان إلا مع بدء العمليات – لأن الإفطار المبكر وبشكل جماعى يعتبر مؤشراً إلى ما سيحدث .

* * *

هكذا خطط فريق العقول المصرى لتحقيق « المفاجأة » بالخداع والتمويه والإخفاء . .

وإننى إذا ما حاولت تقييم ما أعده وخطط له فريق العقول المصرى . . فى هذه الجولة الخطيرة . . فسأكون كمن يقول لمن حوله إن للإنسان عينين وفماً وأنفاً . .

ولذلك . . هأنذا أفسح مكانى لأقلام بعض الكتاب والخبراء الإسرائيليين والعالميين . . مؤكداً على أن ما سأكتفى بتسجيله مما كتبته هذه الأقلام ليس أكثر من شهادات تاريخية للعقول المصرية . . فى إحدى جولاتها الهامة . . .

الدهاء العربى يتغلب على الذكاء اليهودى :

لم تكن خطة الخديعة العربية لتنجح لو لم يبق سر موعد بدء المعركة طى الكتمان . وقد انحصر موعد المعركة فى عدد قليل جداً ، ولم يعرفه القادة فى الجبهة إلا قبل الهجوم بساعات قليلة وكان التحرك نحو الجبهة يتم ليلاً فقط كما لم يسمح للجنود الذين وصلوا حديثاً إلى الجبهة بدخول مدن القناة والقرى الواقعة حولها ، كما ألغيت الإجازات من ٢٨ سبتمبر .

وقبل نصف ساعة فقط من الهجوم فى منطقة قناة السويس ، شوهد الجنود المصريون وهم يسيرون على طول القناة بملابسهم الداخلية وبدون سلاح ، وذلك لإظهار أن هذا يوم هادئ . كما شوهد فى موقعين أطفال يلعبون على التلال الترابية فى الجانب المصرى للقناة .

إن خطة الخديعة العربية كانت كاملة ، وتم تنفيذها كما يجب . ومع أن إسرائيل قد شعرت منذ مرحلة معينة بما يجرى إلا أنها لم تصدق ما يجرى أمام أعينها . . وعندما بدأت الحرب . . وحتى قبل ذلك . . رأى الإسرائيليون كيف أن الدهاء العربى قد تغلب على الذكاء اليهودى .

(توقيع)
زئيف شيف
الخبير والمحرر العسكرى الإسرائيلى

« إن حرب أكتوبر لم تكن انتصاراً للعرب بقدر ما كانت هزيمة لنا نحن ، إذ أنها – هذه الحرب – سخرت من المخابرات الإسرائيلية وهزمتنا أمام أنفسنا . . لقد تأكدت لدى خبرائنا أن المصريين لن يحاربوا ، وأنهم إذا حاربوا فلن يكون فى أكتوبر ، وإذا كان فى أكتوبر فإنهم على أى حال لن يعبروا القناة ، وإذا عبروها فلن يكون ذلك إلا على جثث مائة ألف مصرى ، ولن يستمر عبورهم أكثر من بضع ساعات ، بعدها تدخل القوات الإسرائيلية إلى قلب مصر ، وتصفى حسابها النهائى مع المصريين » .

(توقيع)
رئيس وزراء إسرائيل قبل وأثناء
حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣

« إن التمويه والخداع كان متقناً ومحبوكاً فى تنسيق كامل ومنسجم بين القيادتين المصرية والسورية . وقد نفذت كل من البلدين برنامجاً محدداً لهذا الغرض إلى أن قامت الحرب » .

(توقيع)
المحرر العسكرى لجريدة التايمز

« إن الشعار الذى أطلقه الرئيس جمال عبد الناصر « ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة » لم ينته بموته ، بل تبناه حرفيًّا وريثه فى الحكم (أنور السادات) ، ولكن فى بعض الأحيـان ، لم يعمل بهذا الشعار ، للقيـام بعملية تضليل لم يسبق لها مثيل فى التاريخ ، فقد تم تليينه ، وتغييره ، وإعطاؤه تفسيرات جديدة ، حتى إنه ، فى لحظة معينة ، أخلى مكانه لإعلان السادات عن استعداده للتوصل إلى سلام مع إسرائيل » .

(توقيع)
يشعياهو بن – فورات
وبقية مؤلفى كتاب « المحدال »

« لقد فشلت المخابرات الأمريكية فى تحليل الموقف على الجبهتين المصرية والسورية فانقسم المحللون إلى حمائم وصقور ، ولكن رأيهم أوصل لنتيجة واحدة ، فبينما كان « الحمائم » يعتقدون أن القيادة السياسية فى مصر وسوريا لن تلجأ إلى الحرب كوسيلة لحل الأزمة ، فإن « الصقور » كانوا يعتقدون أن العرب يعرفون جيداً أنه ليس بمقدورهم هزيمة إسرائيل ومن ثم فإنهم لن يجرؤوا على بدء الحرب معها .

وهكذا اجتمع رأى الفريقين على استحالة قيام مصروسوريا بشن حرب على إسرائيل .

إن هذا الخطأ (فى فهم النوايا العربية) لم تقع فيه وكالة المخابرات المركزية وحدها ، وإنما شاركها فيه العديد من أجهزة المخابرات العالمية » .

(توقيع)
اللفتنانت جنرال دانيال جراهام
رئيس وكالة المخابرات العسكرية الأمريكية

رأوا الأشجار . . ولكنهم لم يروا الغابة ! !

إن الاستخبارات الإسرائيلية كانت تعرف الوقائعَ ، لكنها أخطأت فى التصورات والتحليلات . فلقد كان لديهم معلومات ضخمة ، ولكنهم أخطأوا خطأ جسيماً فى التقديرات النهائية .

لقد رأوا الأشجار . لكنهم لم يروا الغابة (كما يقول المثل اليهودى) .

لقد كان كبار رجال الاستخبارات (الإسرائيلية) – حتى قبل بداية الحرب بدقائق معدودة – لا يزالون متمسكين بتقديراتهم القائلة بأن احتمالات الحرب ضئيلة .

ومن خلال قناعتهم هذه ، أقنعوا أيضاً المخابرات الأمريكية بأنه ليس ثمة خطر من نشوب الحرب .

ولقد أصاب هذا الفشل سمعة الاستخبارات الإسرائيلية فى الصميم .

(توقيع)
هنرى كيسنجر
وزير الخارجية الأمريكى

كانت الطمأنينة تسود إسرائيل بأكملها شعباً وجيشاً ، وكانت التقديرات القائلة بأن مصر لن تجرؤ على شن حرب تتدعم كلما زاد السادات من وعوده بأنه سيحارب دون أن ينفذ هذه الوعود .

(توقيع)
زئيف شيف

« فى الخامس والسادس من أكتوبر **١٩٧٣** أرسل ألبرت ماندلر قائد سلاح المدرعات بأحد رجاله الأكفاء ، (ضابط شاب) ليرسل له بتقارير مباشرة من أحد مراكز المراقبة على ضفة قناة السويس .

وكانت أولى بلاغات هذا الضابط التى أرسلها من برج المراقبة :

« إننى لا أرى فى الخط أى شىء خاص ، ولكن هنالك حركة كبيرة فى العمق »

ولم يتمكن هذا الضابط من رؤية أجهزة العبور التى أخفيت بصورة جيدة . ولقد استمر فى إرسال تقاريره مباشرة إلى مركز قيادة ألبرت . . إلى أن حدث الانقضاض المصرى ، وقد أسر بعد أن جرح من الطلقات الأولى فى الحرب » .

(عن صحيفة هآرتس الإسرائيلية)

كانت الضربة التى تلقاها موشيه ديان (باعتباره رمزاً للجيش الإسرائيلى) فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، (عندما عبر جيشا مصر وسوريا خطوط وقف إطلاق النار بمساندة دول عربية أخرى) . كانت ضربة صاعقة .

فلقد كانت تشتمل على نقض تراجيدى وشامل لكل نظرة ديان ، ورؤيته للعالم فى ذلك الوقت .

فقد اندلعت الحرب بصورة غير متوقعة ، فى موعد غير متوقع ، وبأبعاد غير متوقعة .

« مؤلفو كتاب المحدال »
« يشعياهو – بن فورات »
« وزملاؤه الستة »

« إن فشل إسرائيل الذريع فى التنبؤ بحرب أكتوبر يرجع إلى ثلاثة أسباب رئيسية هى :

١ – خلال السنوات الأربع السابقة للحرب ، ركزت المخابرات الإسرائيلية على مكافحة العمل الفدائى ، وخاصة الأعمال الجريئة التى قام بها الفدائيون الفلسطينيون فى الخارج .

٢ – العجز التام عن إدراك أن العرب قد يشنون حرباً تقليدية حتى ان موشيه ديان ورؤساء الأركان المتعاقبين كرروا اعتقادهم بأن العرب لم يعد فى مقدورهم سوى القيام بعمليات إرهابية عشوائية وذلك على وجه التحديد لأنهم لا يجرءون على مواجهة إسرائيل .

٣ – حين اعتقدت إسرائيل أن العرب سيشنون حرباً شاملة فى مايو ١٩٧٣، لم يحدث شىء . . . (فعادت إلى قناعتها السابقة) . ذلك لأن العرب خاصة المصريين درجوا على تكرار المناورات الواسعة على القناة نفسها وأمام قوات إسرائيل فى حصون خط بارليف .

هذا وقد توصلت المخابرات الأمريكية فى ٢٤ سبتمبر ١٩٧٣ إلى أن المناورات التدريبية التى تقوم بها القوات المصرية تتم فى تشكيلات تصل فى ضخامتها إلى مستوى الفرقة الكاملة ، مع ملاحظة أنهم يقومون بتجميع إمدادات كبيرة ، إلا أنه بسؤال إسرائيل بشكل محدد « وعلى مستوى عال جداً قيل لرجال المخابرات الأمريكية ، إن الأمر لا يستدعى الخوف . فالمصريون لن يحاربوا » .

وهكذا استطاع العسكريون المصريون أن يلعبوا بالإسرائيليين .

(توقيع)

الكاتب الصحفى البريطانى « بينز برينجل »

« قبل ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، كانت هناك أمثلة تاريخية عديدة تتعلق بشن هجوم مباغت على العدو ، نذكر منها ما حدث من جانب فرنسا فى مايو ١٩٤٠ ، ومن جانب الاتحاد السوفييتى فى يونية ١٩٥٠ ، وتشيكوسلوفاكيا فى أغسطس ١٩٦٨ ، ولكن الاتجاه العام كان يعزى هذه الأحداث للماضى ، ويسلم بالفكرة القائلة إن المباغتة العسكرية أصبحت مستحيلة فى عصرنا الذى يتميز باستخدام أسلحة بالغة التعقيد من الناحية الفنية .

وفى الحالة الخاصة بمسرح العمليات العربية الإسرائيلية فى الشرق الأوسط فإن . كافة الخبراء العسكريين والمسئولين السياسيين واثقون من أن العرب لن ينجحوا أبداً فى مباغتة الجيش الإسرائيلى ، وكانت الأدلة المبررة لذلك وفيرة بل ومتنوعة .

فأولا كانت هناك ثقة بالغة فى أجهزة المخابرات الإسرائيلية التى كان يقال عنها إنها من أفضل أجهزة المخابرات فى العالم ، خاصة وأنه كان معلوماً للجميع أن الأجهزة الأمريكية الخاصة على صلة وثيقة بها .

ثم إن مناطق الاحتكاك الخطيرة ، والتى هى مراقبة باستمرار ، تتميز بأبعادها الصغيرة بسبب كونها عبارة عن مساحة ١٥٠ كيلو متراً طولا ، ٢٠ كم عرضاً على الجبهة المصرية ، و ٧٥ كم طولا ، ٣٠ كم عرضاً على الجبهة السورية ، يضاف إلى ذلك أنها مناطق تسهل مراقبتها بالعين المجردة ، وبالطبع بواسطة الوسائل الإلكترونية بسبب كونها مناطق منبسطة جرداء لا تكاد تكون مسكونة ، تسيطر عليها مرتفعات يحتلها الإسرائيليون وهى جبال سيناء وجبل الشيخ . فضلا عن ذلك ؛ فقد كان باستطاعة طائرات الاستطلاع والأقمار الصناعية الاستطلاعية الأمريكية أن تصور كل العمق فى المناطق العربية الخلفية .

ونادراً ما تجتمع مثل هذه الظروف الصالحة لمراقبة جبهات معادية ، ولهذا بدا عنصر المباغتة مستبعداً . خاصة وأن عائقاً صناعيًّا من الصعب اجتيازه (هو قناة السويس) يحمى الخط الإسرائيلى الأول ويتيح مقاومة سهلة وفعالة . . . ومن الناحية السياسية ، كانت الولايات المتحدة الأمريكية واثقة من أنها تستطيع السيطرة على مصر ، مستندة فى ذلك إلى حجج سياسية واقتصادية ونفسية .

وفى النهاية كان هناك اعتبار دينى يدعم مشاعر الاطمئنان التام . ألم يكن العالم الإسلامى يحتفل بشهر رمضان ، شهر الصوم الذى يقل فيه النشاط فى كافة المجالات ؟!

وبرغم كل هذا ، وأمام دهشة العالم كله ، كانت المفاجأة العربية فى الساعة الثانية من بعد ظهر يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ . لقد حدث ما كان غير متوقع ، على عكس التأكيدات المنافية من جانب كافة رجال السياسة والخبراء العسكريين والصحفيين والمتخصصين فى كافة البلاد .

(توقيع)
الخبير العالمى الجنرال أ . مرجلين

لقد أخذ العرب زمام المبادرة ، وأثبتوا أنهم قوة لا يستهان بها وقد فشلت المخابرات الإسرائيلية التى كثرت الدعاية حولها فى التقدير السليم لنوايا العدو » .

(توقيع)
ناحوم جولد مان

« تشير التصريحات الصحفية التى حصل عليها المراسلون الأجانب فى إسرائيل – والتى تشكل خلفية الأيام العشرة السابقة على الحرب – إلى العنصر الأساسى فى سوء تقدير الإسرائيليين للموقف ، وفى حسن استخدام العرب لعنصر المفاجأة . فقد أكد كبار الشخصيات الإسرائيلية فى تلك الأيام ، اعتقادهم بأن القادة العرب ليسوا مستعدين للحرب ، وأنهم إذا ما فعلوا ذلك فسوف يهزمون دون شك .

ولقد كان تقدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية مماثلاً تقريباً لتقدير إسرائيل فقد نظرت فى البداية إلى عملية الحشود باعتبارها تنذر بشؤم بالغ ولكن الثقة فيما يتصل بنوايا العرب كانت حاسمة وبددت تلك المخاوف .

إن حكمة وفطنة القيادة العربية حبكت التمويه ، وتم التغرير بالمخابرات الإسرائيلية والأمريكية ففشلت تحليلاتها . ويقول أحد رجال المخابرات الأمريكية فى واشنطن : « لقد بدا اهتمام العرب بالعمل الديبلوماسى من الضخامة بحيث تم تضليلنا بالرغم من وجود شواهد على تحركات عسكرية » .

ومن جهة أخرى فإن المخابرات الأمريكية والإسرائيلية لم تجد أن المناورات المصرية حاسمة بشكل مؤكد (ولو أن هذه المخابرات وتلك قد عرفت – مثلا – أن القيادة المصرية كانت تحرك لواء فى الصباح ، ثم تعيد منه فى نهاية اليوم كتيبة واحدة فقط أى ثلث القوة – لأدركت أنها مناورات حاسمة ! ! »

(توقيع)
الكاتب البريطانى جون بارى

أخيراً :

إذا كانت هذه النماذج من الشهادات الإسرائيلية والعالمية ، بالتفوق الكاسح لفريق العقول المصرى فى جولة الخداع والتمويه ثم المفاجأة ، كافية إلى حد كبير ، إلا أننى أود أن أختتم هذا الفصل المثير بالاعتراف الرسمى للقيادة الإسرائيلية بهزيمة عقولهم ومخابراتهم فى هذه الجولة (بالإضافة إلى جولات أخرى) .

ويأتى هذا الاعتراف الرسمى الموثق من خلال تقارير لجنة أجرانات وهى لجنة التحقيق التى شكلت برئاسة شمعون أجرانات القاضى فى المحكمة الإسرائيلية العليا ، وذلك فى أعقاب طوفان أكتوبر ١٩٧٣ ، وقد أصدرت اللجنة تقريرها الأول فى أول أبريل ١٩٧٤ ، ثم أصدرت تقريرها الثانى فى ١٠ يوليو ١٩٧٤ .

وأعتقد أنه من الأهمية بمكان أن تقرير أجرانات يشير إلى فشل آخر للمخابرات الإسرائيلية فى هذه الجولة – وهو فشلها فى « استخبارات الميدان » وهى تقارير المخابرات والاستطلاع عن سير العمليات وأوضاع وتحركات وأسلحة القوات المصرية . هذا وقد تعمدت ألا أشير إلى هذا الجانب فى الصفحات السابقة مكتفياً بما سأسجله الآن .

ماذا قالت لجنة أجرانات ؟
وبماذا أوصت من عقوبات ؟

قال تقرير لجنة أجرانات ما نصه :

« لقد فاجأ بدء مصر وسوريا الحرب يوم ١٩٧٣/١٠/٦ فى الساعة ١٤,٠٠ تقريباً الجيش الإسرائيلى ، لأن القيادة العليا ، السياسية والعسكرية ، لم تقدر حتى ساعات الصباح الباكر من ذلك اليوم أن حرباً شاملة ستبدأ . وحتى عندما أصبح واضحاً للقيادة العليا أن الحرب ستندلع ، افترضت خطأ ، أنها ستندلع فى الساعة ١٨,٠٠ (السادسة مساء) .

وينبغى إلقاء التبعة الرئيسية لهذه التقديرات الخاطئة ، على رئيس شعبة الاستخبارات فى الأركان العامة ، وعلى مساعده الرئيس المسئول عن قسم الأبحاث فى الاستخبارات العسكرية .

فقد أخفقا بإعطائهما الجيش الإسرائيلى إنذاراً غير كاف ، وفقط فى نحو الساعة ٤,٣٠ صباح السبت ٦ / ١٠ / ١٩٧٣ أعلن رئيس الاستخبارات ، اعتماداً على معلومات جديدة تلقاها ، أن العدو يزمع بدء الحرب فى الساعة ١٨,٠٠ تقريباً على الجبهتين ، ولم يمكن هذا الإنذار القصير المدى من تعبئة الاحتياط بصورة منظمة .

لقد كانت هناك ثلاثة أسباب لفشل الجهات المسئولة عن التقييم :

١ — تمسك هذه (الجهات) بالمفهوم الذى يقول بأن مصر لن تشن حرباً على إسرائيل إلا بعد أن تضمن لنفسها فى الدرجة الأولى ، القدرة الجوية لمهاجمة إسرائيل فى العمق ، وخصوصاً المطارات الإسرائيلية لشل سلاح الجو الإسرائيلى ، وكذلك الاعتقاد بأن سوريا لن تشن هجوماً شاملا على إسرائيل إلا فى وقت واحد مع مصر (دون بحث إمكانية تحقيق ذلك) .

٢ — وعد رئيس الاستخبارات الجيش الإسرائيلى بإعطاء إنذار مسبق حول نية العدو لبدء حرب شاملة . . ولم يكن هناك أساس لإعطاء هذا الوعد المطلق .

٣ — عللت هذه (الجهات) وجود حشود مصرية وسورية على طول الخطوط بأن ذلك يدل على استعدادات دفاعية فى سوريا ، وإجراء مناورة فى مصر على غرار المناورات السابقة .

وهكذا استطاع العدو تضليل الجيش الإسرائيلى ومفاجأته تحت قناع المناورة المزعومة . .

وفى صباح يوم الجمعة فقط (٥ أكتوبر ١٩٧٣) بدأت ثقة الاستخبارات العسكرية فى صحة تقويمها تتقوض ، وذلك نتيجة تلقى تقارير واضحة لا يمكن أن تتوافق مع افتراض الحشد الدفاعى و « المناورة » ، ولكن حتى ذلك الحين أيضاً لم يتم استخلاص الاستنتاج السليم » . .

ذلك هو نص تحليل لجنة « أجرانات » لفشل (الجهات) التى وقفت فى الطرف الآخر أمام فريق العقول المصرى فى جولة الخداع والتمويه والمفاجأة وقبل أن نصل إلى العقوبات والتوصيات التى أصدرتها اللجنة بالنسبة لقادة فريق العقول الإسرائيلى الذى فشل فى مواجهة فريق العقول المصرى ، أود أن أشير مرة أخرى – إلى أنه يتحتم الحذر فى قبول كل ما يصدر عن إسرائيل فى هذه الجزئية المتعلقة بالمفاجأة ، حتى لا نبتلع الطعم الذى تحاول إلقاءه والمتمثل فى أن تحقيق العرب للمفاجأة ، هو وحده الذى هيأ لهم النصر ، بل إننى أشير – من جديد – إلى أن ما يدحض هذا القول أو هذا الإيحاء . . ما نشر فى صحف إسرائيل فى أيام (٤ ، ٥ ، ٦ من أكتوبر عن الاستعدادات العربية . . ويقظة جيش الدفاع لها وتأهبه التام والكامل للرد السريع القاصم . .

كذلك فإنه إذا سلمنا جدلاً بالنتيجة الحاسمة كلية للمفاجأة فى الأيام الأولى . . فما تفسير فشل القوات الإسرائيلية فى المعارك التى دارت بعد انتهاء مفعول المفاجأة . . أعنى المعارك التى دارت منذ ثانى وثالث أيام القتال ؟

ونعود مرة أخرى إلى لجنة « أجرانات » لنقرأ معاً توصياتها باعتبارها الدرجة النهائية التى نالها البعض (فقط) من قادة وأعضاء فريق العقول الإسرائيلى فى جولة « الخداع والتمويه والمفاجأة » .

١ – أدلى اللواء إلياهو زعيرا رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية بشهادته أمامنا وبعد مناقشته فى الوقائع المختلفة . . رأينا أنه (اللواء إلياهو زعيرا) إزاء الفشل الذريع الذى منى به ، لا يستطيع البقاء فى منصبه كرئيس لشعبة الاستخبارات العسكرية .

٢ – تولى العميد (أرييه شاليف) ، مساعد رئيس الاستخبارات العسكرية للأبحاث موضوع الأبحاث والتقويم فى الاستخبارات العسكرية ، ذلك الموضوع الذى

فشلت فيه الاستخبارات العسكرية فشلاً ذريعاً ، وهو يتولى هذه المهمة منذ وقت طويل أى منذ سبتمبر ١٩٦٧ .

ويتضح من الوثائق التى أصدرها قسمه ، ومن الكلام الذى قاله فى المناقشات المختلفة أنه يتحمل أيضاً المسئولية عن الخطأ الفادح جيداً .

ولذلك فإنه لا يستطيع – فى رأينا – البقاء فى منصبه فى شعبة الاستخبارات العسكرية .

٣ – المقدم (يونا بندمان) : كان رئيس (فرع مصر) فى قسم الأبحاث التابع لشعبة الاستخبارات العسكرية ، وبالتالى كان مسئولاً عن أعمال الفرع الذى كان بؤرة الأخطاء المضللة للتقويمات وعدم التحذير من نوايا العدو المصرى .

وقد قال فى استجوابه : « لقد بقى فى تقديرى أنهم (المصريين) لا يعتبرون أنفسهم قادرين على الهجوم ، ولكنهم هاجموا بعد مضى أربع وعشرين ساعة من آخر تقدير لى . وهذه مسألة مختلفة » .

وفى رأينا أنه يجب التوقف عن إسناد الوظيفة المتعلقة بتقويم معلومات الاستخبارات إلى المقدم « بندمان » .

٤ – المقدم دافيد جيداليا : كان ضابطاً للاستخبارات فى أركان قيادة المنطقة الجنوبية منذ سنة ١٩٧١ ، ويتضح من الوثائق ومن المناقشة أنه ارتكب أخطاء خطيرة .

وفى رأينا أنه (المقدم دافيد جيداليا) لم يقم بواجبه كضابط استخبارات فى الجبهة الرئيسية ، خلال الأيام التى كان فيها للوقوف على نوايا العدو المصرى أهمية خاصة ، وبناء عليه يجب ألا تسند إليه بعد الآن مهمات استخبارية .

أخيراً :

ترى اللجنة أنه يبقى على صاحب الصلاحية فى القوات المسلحة إجراء التغييرات اللازمة فى الأشخاص الآخرين – غير الذين مثلوا أمامنا من أصحاب المناصب فى الاستخبارات العسكرية .

يقول التاريخ :

يقول التاريخ المصرى إن المصريين عرفوا وسائل خداع العدو والتجسس عليه منذ

أكثر من ١٥ قرناً قبل الميلاد . . مثلما حدث من سقنن رع مع ملك الهكسوس فى عام ١٥٩٠ ق . م[١] .

ومثلما فعل ابنه كاموس بعد ذلك عندما دفع أمام قواته عناصر من الفدائيين للاستطلاع وإرباك العدو وتدميره[٢] .

ولعل أبرز قصص الخداع فى التاريخ . . ما حدث فى عهد تحتمس الثالث (١٤٨٤ - ١٤٥٠ ق . م) الذى كان يؤمن بوحدة الدول العربية منذ ذلك التاريخ ، كما أنه كان أول قائد رآه تاريخ الحروب يقسم الجيش إلى قلب وجناحين[٣] .

ونعود لأشهر وأقدم قصص الخداع الذى ابتكره المصريون قبل غيرهم وهى باختصار - أن القائد تحوتى (أحد قواد تحتمس الثالث) وصل بجنوده إلى حصن (يوبا) وكان حصناً منيعاً ولم يتمكن من الاستيلاء عليه فعسكر بجنوده خارج المدينة وأرسل من جواسيسه من أوهم أمير (يوبا) بأنه (تحوتى) خان سيده فرعون مصر (تحتمس الثالث) وأنه تخلف مع بعض جنوده المتمردين على فرعون الذى غادر يوبا بعد ما يئس من الاستيلاء عليها وعاد بجيوشه إلى مصر ، ويريد تحوتى التعاون معه (مع أمير يوبا) كما أنه أحضر معه الكثير من الهدايا المصرية ومن نفائس فرعون وأسلحته السحرية وهو يود أن يقدمها إليه وإلى الأميرة بصفة جزية ثمنـاً لانضمامه إلى حاشيته ، كما أخبره (عن طريق جواسيسه أيضاً) أنه سرق صولجان تحتمس السحرى الذى ذكرت الأساطير أن ضربة منه تكفى لأن يفقد عدوه وعيه . وابتلع أمير « يوبا » الطعم وأقام تحوتى وليمة فى معسكره (لأمير يوبا) وحاشيته أسرفوا فيها فى شرب الخمور حتى فقدوا الوعى فقيدهم جميعاً بينما كانت أصوات الدفوف والطبول تلهى حرس الأمير وجنوده خارج الخيمة عما يدور بداخلها .

وأحضر (تحوتى) مائتى قدر كان قد أعدها خصيصاً ، ووضع فيها مائتى فارس من المحاربين الأشداء يحمل كل منهم قوسه وسهامه ومعداته الحربية ، وحمل كل اثنين منهم (داخل القدور) على حصان حربى ، ثم أرسل رسلاً من رجال الأمير ليخطروا الحراس بفتح أبواب القلعة ، والسماح لقافلة الهدايا المرسلة للأميرة بالدخول لتسليمها لها .

---

(١) سبقت الإشارة بالتفصيل إلى ذلك فى فصل « القرار » .

(٢) سترد الإشارة إلى ذلك فى فصل « إنهم يدخلون من كل مكان » .

(٣) استخدم القائد البريطانى لورد اللنبى فى حربه مع الجيش التركى نفس طريق وخطة تحتمس الثالث .

ورافق (تحوتى) القافلة بنفسه متخفياً فى زى سائس الخيل حتى إذا دخلت القافلة إلى ساحة القلعة خرج الجنود بأسلحتهم من القدور وهاجموا القلعة (من الداخل) واستولوا عليها بعد أن قيدوا قادتها بالسلاسل التى أحضروها معهم داخل القدور. وهكذا سقطت (يوبا) المنيعة فى أيدى جيش مصر *

وهذه القصة مسجلة على أوراق البردى فى شكل رسالة من القائد المصرى تحوتى إلى تحتمس الثالث يعلن له فيها سقوط يوبا وقلعتها ويشرح له الخدعة التى حبكها ونفذها . ومن المعروف أن قصة حصار طروادة بجوانبها الأسطورية والواقعية تدل على استفادة الإغريق من التاريخ المصرى ، كما أن امتداد هذه القصة فى التاريخ الحربى الحديث واضح وبارز . ولعلنى قد سجلتها الآن . . لأنه دليل آخر يؤكد عراقة الإنسان المصرى العربى فى فنون الحرب ابتداء من الخداع والمفاجأة . . ثم التنفيذ الشجاع . .

فدور المخابرات المصرية فى خداع العدو الإسرائيلى . . شهد به الكثيرون كما يظهر فى هذه الدراسة . كما أن وسائل تحقيق المفاجأة كنقل معدات العبور داخل صناديق على عربات لا توحى بأى صلة لها بالقوات المسلحة . . مثال آخر من بين الأمثلة العديدة .

* * *

كيف كان موقف القوات المصرية ؟

البعد الثالث أو العنصر الثالث من عناصر تقدير الموقف كأساس للتخطيط يرتبط بوضع القوات المصرية التى ستتكفل بتنفيذ ما يتم التخطيط له .

(١) ويبدأ التقدير عادة بالفرد المقاتل نفسه . فكيف كانت صورته ؟ .

كان مطلوباً وبشدة ، إعداد المقاتل المصرى لاجتياز مانع أو حاجز الخوف ، ولكى توضع الأمور فى مكانها الصحيح ، أسارع بأن أقول إن حاجز الخوف هذا ليس جزءاً من تكوين المقاتل المصرى العربى ، بل إن تاريخه يشهد له بأنه كان دائماً مثالاً للشجاعة وقدرة التحمل .

لكن الآثار النفسية لحرب يونية ١٩٦٧ تركت ظلالها على روح المقاتل المصرى ،

---

* من كتاب موكب الشمس — للدكتور أحمد بدوى .
ومن كتاب مصر القديمة — سليم حسن .

وطبيعى جداً أن أى إنسان يتعرض لمثل ظروف نكسة ٦٧ . . فيجد نفسه مجبراً على التخلى عن موقعه تنفيذاً لقرار بالانسحاب ، ثم يتعرض طوال انسحابه للطائرات المعادية التى امتلكت تماماً سماء المعركة . . ثم تطارده المدرعات التى انفسح أمامها المجال خصباً للتحرك والمناورة فيتعرض لأبشع أنواع التعذيب.أى إنسان يتعرض لهذه التجربة الرهيبة . . لا بد أن يعيش بداخله شبح الخوف الدائم – هذا كله بالإضافة إلى الحرب النفسية الإسرائيلية الضارية التى استهدفت الروح المعنوية – للمقاتل العربى – من خلال الدعاية المخططة والعمليات الانتقامية الاستعراضية ، ومن ثم فإن المخططين المصريين كان عليهم أولاً إعداد المقاتل لاجتياز هذا الحاجز . . ثم إتاحة الظروف الملائمة لتحقيق هذا الاجتياز .

وبديهى أن الإعداد يتمثل فى رفع الروح المعنوية ، وإذكاء الحماس ، واستنفار طاقة الغضب من أجل الكرامة الجريحة والأرض المحتلة .

وأقول – واثقاً – إن هذه المهمة كانت ميسورة إلى حد كبير ليس انتقاصاً من جهد الإعداد والتخطيط ، ولكن اعتماداً على هاتين الحقيقتين :

١ – أصالة الجندى المصرى . . ونوعيته الفريدة التى جعلت منه الاستثناء الوحيد من قاعدة الخوف المطلق أو الخوف الدائم أبداً نتيجة لتجربة مريرة ومخيفة كتجربة يونية ١٩٦٧ .

ولست الآن بصدد تحليل أبعاد نوعية الجندى المصرى فهى تحتاج إلى مجلدات . . وإن كان الإنسان العادى يعرف جيداً أن هذه النوعية الفريدة ترتبط بالإيمان العميق بالله والوطن ، وترتكز على سبعة آلاف عام من الحضارة ، وتستفيد من تعرضه فى تاريخه الطويل لمحاولات الغزو الأجنبى المتعددة مما رسخ فيه القدرة الهائلة على التحمل والجلد ، والاستعداد الدائم للتضحية والفداء .

٢ – الحقيقة الثانية تتصل بحرب الاستنزاف التى خاضها الجيش المصرى . . ودفعت فيها إسرائيل ثمناً غالياً ، بل إن قادتها اعترفوا أخيراً بها كحرب مستقلة كلفتهم الكثير .

ولقد كانت استفادة المقاتل المصرى من هذه الحرب الاستنزافية استفادة عظيمة . . فهو بعد أيام من النكسة المؤلمة . . شاهد بقايا سلاحه الجوى تقوم فى ١٤ ، ١٥ يولية ١٩٦٧ بهجوم سريع وشامل على القوات الإسرائيلية فتصيبها بالخسائر الكبيرة والذعر الكامل

حتى إن سيناء كانت مفتوحة أمام القوات البرية لكى تعبر إليها وتنطلق إلى أعماقها لولا أن الجيش لم يكن قد أعيد بناؤه أو حتى ترميمه بشكل معقول . . ثم جاءت بعد ذلك ضربة المدمرة إيلات ، وقبلها كانت معركة رأس العش التى تحدث فيها قوة مصرية محدودة كل أنواع الهجوم الإسرائيلى وتشبثت بموقعها على الضفة الشرقية للقناة ، إلى أن اتسع نطاق حرب الاستنزاف وأخذ شكل التراشق بالمدفعية ، والهجوم الإسرائيلى بالطيران ، والقيام بإغارات على المواقع الإسرائيلية فى سيناء .

استفاد المقاتل المصرى من هذه الحرب . . لأنه رأى الطائرة الإسرائيلية (التى كانت تمرح فى سماء المعركة أثناء حرب يونية ١٩٦٧) ، وهى تسقط على الأرض بضربها بوسائل الدفاع الجوى أو فى معارك جوية مع الطائرات المصرية . لقد كان سقوط طائرات إسرائيلية فى حرب الاستنزاف بداية لسقوط شبح الخوف من السلاح الجوى الإسرائيلى ، كما كانت عمليات الإغارة التى قامت بها وحدات من الصاعقة ثم وحدات من المشاة (وصلت إلى حجم كتيبة) عاملاً آخر فى كشف حقيقة الجندى الإسرائيلى الذى جعلته حرب ١٩٦٧ والدعايات الصهيونية . . صورة للسوبرمان أو جيمس بوند العصرى .

ولكن . . هل معنى تسجيلى لهاتين الحقيقتين المتعلقتين بالمقاتل المصرى . . أننى أنفى أساساً وجود حاجز الخوف ؟

ولو كان ذلك كذلك ، فلماذا إذن ذكرت هذا العامل واعتبرته مانعاً كان لا بد من اجتيازه ؟

١ – لست أعتقد أن هذا ما يتبادر إلى ذهنك أيها القارئ العزيز .: فإذا كنت قد توقفت أمام هاتين الحقيقتين ، فإننى فقط قمت بتسجيل ركيزتين أسس عليهما القادة المصريون بقية البناء المعنوى . وإلا لو كان الأمر منتهياً عندهما لكنا نهمل بشكل غير مقبول الفارق بين حرب استنزافية وحرب شاملة . . كما كنا نهمل العامل البشرى الذى يظل قائماً مهما كانت نوعية المقاتل . . لأن الاختلاف الوحيد يكون فى حجم هذا العامل . فإذا كان هناك إنسان يتملكه الخوف لدرجة أنه ينتزع من داخله كل استعداد لتجاوزه والخروج من حصاره . . فهناك الإنسان الذى لا تصل سيطرة الخوف عليه نتيجة للتجربة الصعبة – إلى هذا الحد . .

إذن يظل الإنسان بشراً يعرف الخوف ولا يفرق بين إنسان وآخر فى ظل هذه الظروف إلا « حجم » هذا الخوف ، واستمراره . . أو القدرة على تجاوزه .

٢ – الجانب الثانى المتعلق بالمقاتل المصرى . . هو ما كان متوقعاً من إصابته بمرض الخنادق ، الذى يعرفه العسكريون (والذى تحدث عنه المشير أحمد إسماعيل على القائد العام للقوات المسلحة) .

إن بقاء القوات لفترة طويلة تقاس بالسنوات داخل خنادقهم يعرض هذه القوات للإصابة بهذا المرض .

٣ – فى نفس الوقت كان على القيادة أن تكمل الجهد الهائل فى تحقيق استيعاب المقاتل لأعقد الأسلحة الإلكترونية الحديثة وبأسرع وقت ممكن . وقد كان تدعيم القوات المسلحة بالجنود المؤهلين علمياً ، مدخلاً منطقياً لتحقيق هذا « الاستيعاب » الذى تصور الإسرائيليون أنه حكر على جنودهم وضباطهم .

٤ – بدراسة كل السلبيات التى ظهرت فى حرب يونية ١٩٦٧ ، كان على القيادة أن تخطط أيضاً لتصحيح العلاقة بين الضابط والجندى ، إذ أن الرواسب القديمة التى تعود إلى الاستعمار الإنجليزى والحكم الملكى ، والتى كانت تظهر فى جعل الكليات العسكرية تكاد تكون مقصورة على أبناء الطبقة الأرستقراطية ، هذه الرواسب جعلت العلاقة بين الضابط والجندى . . أقرب ما تكون إلى العلاقة بين المالك والعامل الأجير – وصحيح أنه بقيام ثورة ١٩٥٢ ضاقت هذه الهوة بين الضابط والجندى إلا أنها ظلت تتحكم – جزئياً – فى هذه العلاقة بما فى ذلك من آثار سلبية خطيرة النتائج .

٥ – كان على القيادة أيضاً أن تنمى لدى الضباط قدرة وحرية اتخاذ القرار حسب ما تفرضه أحداث المعارك ، دون الانتظار الأبكم لتعليمات القيادة الأعلى حول كل صغيرة وكبيرة .

خططت القيادة المصرية لتحقيق ذلك كله بالنسبة للمقاتل المصرى ، وقد نجح التخطيط والإعداد بشكل مثير . مما جعل قادة إسرائيل أنفسهم يعترفون بأنه « إذا كانت لكل حرب مفاجآتها فإن مفاجأة هذه الحرب هى الجندى المصرى » .

وإذا نحن مثلاً توقفنا أمام الجانب المعنوى وهو « السلاح السرى » كما قال العدو أيضاً ، نجد أن كاتباً كبيراً مثل أندريه دويتش يقول فى كتابه (خفايا حرب الشرق الأوسط) :

« إن يوم السادس من أكتوبر . . كانت له جاذبية تاريخية لأنه يوافق يوم العاشر من رمضان . . وفى مثل هذا اليوم كان النبى محمد – صلى الله عليه وسلم – قد بدأ استعداداته

لمعركة (بدر) التى أدت بعدها بعشرة أيام إلى دخوله مكة مظفراً ، وبدأ فى نشر الإسلام . ومن هنا كان اختيار اسم (بدر) كاسم رمزى للعملية » .

هكذا أضافَ أيضاً اختيار يوم اندلاع شرارة بدر إلى أبعاده العسكرية . . بعداً آخر يتمثل فى الجانب الروحى والمعنوى للمقاتل المصرى العربى .

ولعل خير ما يصور موقف المقاتل المصرى . . قبل . . وأثناء نشوب حرب أكتوبر . . هو ما ذكره الخبير والمعلق الإسرائيلى زئيف شيف . . الذى يقول :

« مع نشوب الحرب أخذت الإذاعات المصرية توجه نداءات تشجيعية للجنود فى الجبهة ، وكانت هذه الإذاعات تكرر نداء مفاده « أن كرامة آبائنا ، وكرامة أبنائنا ، وكرامة الأمة العربية جميعها بأيديكم . . لذا اثبتوا . . واصمدوا . .

وكان هذا أيضاً هو الشعار الذى ورد فى الأوامر التنفيذية التى صدرت لطوابير الجنود المصريين قبل توجههم إلى الجبهة . .

. . وفى أوج القتال أصدر سعد الدين الشاذلى رئيس الأركان المصرى أمراً يومياًّ لجنوده قال فيه : « لقد أنقذت الحرب الكرامة العربية ، فحتى لو هزمنا الآن ، لن يستطيع أحد بعد ذلك أن يقول إن الجندى المصرى ليس مقاتلاً ممتازاً » .

كما أن أحمد إسماعيل على وزير الحربية المصرية قال هو الآخر : « إن مصر قد أعادت لنفسها عزتها الوطنية وكرامتها ، كما أن القوات المسلحة قد استعادت كرامتها لنفسها ولمصر» .

لقد أثارت مسألة الكرامة العربية جميع العرب من الخليج إلى المحيط ، وخاصة بعد نكسة حرب الأيام الستة . وفى إسرائيل لم يقدروا هذه المسألة بالشكل الصحيح ، ولم يقدروا تأثير اليأس والمرارة فى حث العرب على القتال ، وكان التقدير الرسمى فى إسرائيل هو أنه كلما زاد شعور العرب باليأس زاد استعدادهم لتقديم التنازلات .

صحيح أن الهزيمة فى حرب الأيام الستة قد أقنعت الكثيرين من العرب أنفسهم بأنهم لن يستطيعوا تسوية النزاع مع إسرائيل بالوسائل العسكرية ولكن هذه الهزيمة دفعتهم إلى العمل على استعادة كرامتهم بأى ثمن ، وكان الخوف من فشل جديد يعطل هذه المحاولة ، حتى وجد حاجز الخوف عندهم ، وفى عام ١٩٦٩ عند ما بدأ عبد الناصر حرب الاستنزاف قام بجهد لاقتحام هذا الحاجز لكن هذا الجهد لم يكتمل حين جلبت مصر آلاف المستشارين السوفييت من أجل تجنب الوقوع فى هزيمة جديدة .

وكان اليأس كبيراً لدرجة أنه قامت أصوات فى العالم العربى تقول إنه يجب على الأمم أحياناً أن تخاطر بعملية انتحارية من أجل إنقاذ كرامتها – وتحدث السادات عن استعداده لتقديم مليون مصرى على مذبح الحرب مع إسرائيل .

ولقد بدأ جيش الدفاع الإسرائيلى فى تغذية حاجز الخوف العربى منذ عام ١٩٥٣ (مع عملية قيبة) وأواخر عام ١٩٥٦ (حرب سيناء) ووصل هذا الخوف إلى ذروته بعد حرب الأيام الستة فى ١٩٦٧ كما تم تدعيم هذا الحاجز بغارات الطيران فى عام ١٩٧٠ على العمق المصرى .

ولاحظت إسرائيل كيف يعلو حاجز الخوف العربى ، وكلما طال أمد هذا الحاجز قوى اعتقاد قادة إسرائيل بأن العرب لن يجرءوا على شن الحرب . وبرغم أن قادة جيش الدفاع الإسرائيلى كانوا على علم بتعزيز القدرة العربية منذ حرب الأيام الستة ، فإنهم لم يصدقوا بسهولة أن العرب سيتجرءون على استخدام قوتهم العسكرية ، وفى السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣ اجتاز العرب حاجز الخوف هذا بسهولة شديدة .

وينتقل المعلق الإسرائيلى فى دراسته بعد ذلك إلى جانب آخر من موقف المقاتل المصرى العربى فيقول :

كان الجمهور الإسرائيلى يرى أن الجندى العربىّ لا يتمسك بأهدافه ، وأن متوسط ثقافته منخفض ، وأنه يجد صعوبة فى استخدام الأسلحة الحديثة ، كما أنـــه غير مستعد للمخاطرة كثيراً وقت المعركة ، ويميل إلى ترك زملائه الجرحى ، كما كان الجمهور الإسرائيلى يرى أن القادة فى الجيوش العربية كثيراً ما يبعثون بتقارير غير صحيحة ، وأن معاملتهم لمرءوسيهم سيئة .

وقد قال قادة عسكريون كبار : « إن الفارق النوعى الذى يحدد مستوى الجندى بين إسرائيل والدول العربية سيبقى لعدة أجيال » .

وهكذا ذهلت إسرائيل من نجاح العرب فى مفاجآتها فى حرب يوم الغفران ، وتحقيق إنجازات عسكرية .

وكان على إسرائيل أن تعيد من جديد تقدير المقاتل العربى . . ولقد كان التحسن البارز لدى المحارب العربى هو فى الحافز ، وفى استعداده للقتال فمن المؤكد أنه فى عام ١٩٧٣ ، أثبت الجنود المصريون والسوريون أن لديهم حافزاً للحرب أكبر بكثير مما كان عليه الأمر فى الحروب السابقة .

ويعود الكاتب الإسرائيلى إلى تاريخ المقاتل المصرى العربى فيعترف كما اعترف غيره بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ . . بأن الهزائم العامة فى حروب ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ هى التى طمست ما قام به المقاتل العربى ويضرب الأمثلة بالبطولات التى أظهرها المصريون فى ١٩٤٨ (فى الفالوجا وفى غزة وفى الشيخ زويد) ثم ما أبدوه من شجاعة فى أبو عجيلة عام ١٩٥٦ ، وهو يضرب أيضاً الأمثلة لبطولة المقاتل السورى والفلسطينى والأردنى عبر هذه الحروب .

* * *

واعترافات أخرى :

« إن هناك أمراً واحداً اتضح فى حرب أكتوبر وهو أن الجيش المصرى أثبت أنه جيش جيد لا يجوز التقليل من شأنه ، ولقد برز التحسن فى مستوى الجندى الفرد وفى مستوى القيادة » .

(توقيع)
(أورى بن آرى)
نائب القائد العام لجبهة سيناء

* * *

« لقد أثبت الجندى المصرى المشاة فى حرب الغفران أن له قدرة فائقة جداً . فلقد تمتع الجنود المصريون الذين وقفوا فى مواقع بطاريات الصواريخ وبجانب المدافع المضادة للطائرات ، بالجرأة المذهلة ، وحاربوا وجهاً لوجه ضد الطائرات الإسرائيلية المغيرة عليهم . كذلك قاتل الكوماندوز المصريون هم والكوماندوز السوريون بضراوة وصلابة .

(توقيع)
عمونئيل شيقد
كبير ضباط المظليين وسلاح المشاة الإسرائيلى

* * *

ثم شهادة لخبير أمريكى عالمى :

« بعد العمليات العسكرية الرائعة التى شهدتها الفتوحات الإسلامية والحروب الصليبية ، تضاءلت مكانة الجندى العربى فى نظر الغرب لأسباب لا دخل له فيها » .

وفى الحروب السابقة مع إسرائيل ظل الجندى الإسرائيلى طيلة قرن وربع قرن . صورة للجندى الذى لا يقهر . وأكثرت إسرائيل من دعايتها لتغذية هذا الفهم وترسيخ تلك الصورة . . إلى أن فوجئ العالم فى أكتوبر ١٩٧٣ بالجنود العرب يحطمون القيود ، ويقهرون الإسرائيليين ويأسرونهم بالمئات ، ويسقطون المئات من طائراتهم ويدمرون المئات من دباباتهم .

وخلاصة القول أن الجندى العربى قضى على أسطورة السوبرمان الإسرائيلى الذى لا يقهر .

(توقيع)

ادجار أوبلانس

(ب) الإمكانيات المتاحة للقوات المصرية :

يأتى بعد العنصر البشرى . . دور الإمكانيات . . ولعل المخططين المصريين حين وصلوا إلى هذه النقطة فى تقديرهم لموقف قواتهم . . قد توقفوا طويلاً أمامها . .

لقد كان هناك نقص فى بعض أنواع الأسلحة . . على سبيل المثال كان الطيران المصرى والسورى يفتقر إلى الطائرات القاذفة المقاتلة ذات المدى البعيد القادرة على حمل كميات ضخمة من القنابل والصواريخ من أجل مهاجمة العمق الإسرائيلى (العسكرى) وتقديم الدعم للقوات البرية العربية فى ساحة القتال .

حتى بالنسبة للطائرات الموجودة لدى القوات الجوية المصرية . . كانت إمكانياتها الفنية أقل من الإمكانيات الفنية لطائرات سلاح الجو الإسرائيلى ويكفى أن نعرف – مثلاً – أن طائرات الميج ١٧ توقف الاتحاد السوفييتى عن إنتاجها منذ سنوات طويلة : كما أن الطائرات المقاتلة الميج ٢١ ظهرت بعدها أنواع أكثر تقدماً ، بينما امتلكت إسرائيل أحدث طائرات الفانتوم والميراج .

كان على مصر أن تعتمد كلية على نفسها فى ابتكار وسيلة لشق الساتر الترابى . . إذ أنه لم يقدم لها من الوسائل ما يحل هذه المشكلة الكبيرة ، بل إنها لم تجد حتى الأفكار التى تساعد على البحث عن الوسائل . . لم تجد هذا أو ذاك وإنما استمعت إلى الآراء التى تثبط الهمم وتزرع اليأس فى النفوس .

لم تتوافر لمصر وسائل الاستطلاع الحديثة ، وكان عليها أن تعتمد على الاستطلاع

التقليدى بالطائرات المقاتلة أو بدفع عناصر من قواتها ، إلى عمق العدو بشكل مكثف .

لم يكن لدى مصر من قوارب العبور ما يسمح باقتحام القناة ، وكان لزاماً عليها أن تقوم بالتصنيع المحلى لثلاثة أرباع القوارب المطلوبة .

أيضاً لم يكن لديها من الكبارى ما يسمح بعبور القوات ، وكان عليها أن تستكمل ٦٠ ٪ من الكبارى المطلوبة .

كلمة أخيرة فى حرب العقول :

أو . . « معركة الإعداد والتخطيط » :

قد تغرينى الثقة بالنفس ، ويدفعنى الاطمئنان إلى الجهد الذى بذلته فى رصد وتسجيل هذه الجولة العقلية المعقدة ، إلى أن أقول إننى قد ألمحت – وبالتالى نقلت للقارئ العزيز – كل ما أعدت وخططت له القيادة المصرية والسورية .

ولكننى . . أكون فى هذه الحالة مغالطاً للواقع ، ومخادعاً لنفسى . . وهذا ما لا أرضاه أو أقبله . .

ومن ثم فإننى أرجو أن أسجل هذه الإضافات السريعة – على سبيل المثال –:

١ – إذا كانت – على سبيل المثال – بنود الخداع والتمويه التى ذكرتها والتى تفوق فى عددها وتفاصيلها ما ظهر فى الكتب والدراسات الأخرى – إذا كانت هذه البنود تبدو كأنها كل ما أخرجته جعبة فريق العقول المصرى فى هذه الجولة – لكثرتها وعمقها – إلا أن المؤكد أن هذا الفريق الذكى العلمى لم ولن يكشف كل أوراقه ، ولعل قدرته على الإخفاء والخداع تجعلنا نتأكد من هذا الاستنتاج الذى وصلت إليه ، وبالتالى نعلم علم اليقين أن ما تم كشفه هو مجرد عينات أو نماذج .

٢ – من تحصيل الحاصل أن نقول إن الإعداد والتخطيط لم يقتصر على القوات المسلحة ككل – ولكنه تدرج بنفس الدقة والحنكة بحيث إن كل سلاح وكل فرقة وكل لواء وكل كتيبة ، بل وكل سرية كان لها الإعداد والتخطيط الخاص بها والمرتبط بطبيعة عملها . .

كذلك فمن البديهى أن فريق العقول المصرى لم يضع هذا التخطيط ثم . . أعطيت الإشارة بالتنفيذ . فقد كان هناك تخطيط آخر سار فى نفس الخط وبنفس الجهد لمواجهة الاحتمالات المختلفة والتى منها – على سبيل المثال – ماذا يحدث لو اكتشف العدو الاستعداد والنية للحرب وقام بشن حرب وقائية قبل ساعة الصفر العربية ؟ !

تفاصيل الخطة العربية كما حددها خبير إسرائيلى :

ارتكزت الخطة العربية التى اكتمل إطارها فى (١٤ يناير – كانون الثانى ١٩٧٣) على النقاط التالية :

١ – تكون البداية عبارة عن هجوم شامل على الجبهتين المصرية والسورية تشترك فيه عدة مئات من الدبابات وعشرات الآلاف من المشاة ولو أدى ذلك إلى خسائر كبيرة ، ففى الهجوم الشامل فرصة معقولة للقضاء على الخطوط الإسرائيلية وللحصول على مكاسب بسرعة .

٢ – يكون كل من القصف المدفعى المسبق والقصف الجوى ، قصيراً ، ويتركز بصفة خاصة على الجبهة وبالقرب منها ، وبذلك يتم تأمين المفاجأة بالانقضاض الشامل . وعدم استنزاف القوات الجوية بعمليات داخل العمق الإسرائيلى ، وإبقاؤها ما أمكن للمرحلة الثانية من القتال .

٣ – مفاجأة القوات الإسرائيلية الموجودة فى الخطوط الأمامية ، لتحقيق الضربة الأولى قبل تجنيد الاحتياطى الإسرائيلى .

٤ – لا يشغل المهاجمون فى المرحلة الأولى بالمواقع الإسرائيلية ، ولكن عليهم أن يتوغلوا فى الداخل ، فيعبروا القناة ويفتحوا ثغرات بين المواقع الإسرائيلية (ونفس الخطة تتم مع الفارق على الجولان) . . وبعد ذلك يقوم هؤلاء المهاجمون بإقامة جسور العبور للمدرعات والمشاة الآخرين .

٥ – مع حلول الظلام ، يتم إنزال رجال الكوماندوز بالمظلات ، أو يتم إبرارهم بطائرات الهليوكبتر ، ويقوم هؤلاء بالاستيلاء على الممرات ومفارق الطرق ، وتكون مهمتهم هى إعاقة وصول الاحتياطى والنجدات للجيش الإسرائيلى وعرقلة النشاط الإسرائيلى فى الخطوط الداخلية للجبهة .

٦ – هدف المرحلة الأولى من القتال هو الاستيلاء على قناة السويس فى الجبهة المصرية وكذلك هضبة الجولان حتى الأردن فى الجبهة السورية .

* * *

* قالوا عن التخطيط العربى

أول حرب يخطط لها العرب بدقة

إن حرب يوم الغفران هى الحرب الأولى التى خطط لها العرب بصورة رئيسية محاولين ألا يتركوا أى أمر للصدف . وهذه المرة كانَ الاستراتيجيون العرب وراء المبادرة والمباغتة .

وقد استند تخطيطهم إلى عدة أمور منها تقديرهم بأن إسرائيل وجيشها مستعدان لحرب خاطفة فقط ، وأن إسرائيل غير مؤهلة اقتصادياً للاستمرار فى التجنيد الشامل لأكثر من عشرين يوماً . وأنها لا تستطيع أن تقاتل فى أكثر من جبهة واحدة . .

وفى محاولة من المصريين لتفهم الحالة النفسية للإسرائيليين ، توصلوا إلى أن الطريقة الأفضل فى جعل إسرائيل تنهار هى إيقاع خسائر كبيرة فى أرواح جنودها .

(توقيع)
زئيف شيف
الخبير والمعلق الإسرائيلى العسكرى

« إن كفاءة التخطيط والأداء التى تمت بها عملية الاقتحام المصرى ، والتمهيد لهذا الاقتحام بالضربة الجوية ، والمدفعية المصرية ، لا يمكن لأى جيش آخر فى العالم أن يفعل ما هو أفضل منه » .

(توقيع)
الكولونيل الأمريكى ت. ن ديبوى

الفصل الرابع

وقائع وصور من سير العمليات القتالية

* من أوراق جيش الدفاع الإسرائيلى
* من أوراق القوات المسلحة المصرية
* من أوراق القوات المسلحة السورية

(١)

من أوراق جيش الدفاع الإسرائيلى
فى حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣

من المصادر التى استقيت منها هذه (الأوراق)

١ – كتاب « حرب التكفير » للمتحدث العسكرى الإسرائيلى ورئيس المخابرات السابق ويمثل إسرائيل الآن فى الأمم المتحدة الجنرال حاييم هرتسوج وقد كان بحكم موقعه مطلعاً على جميع الوثائق والمعلومات التى تجمعت فى غرفة العمليات ورئاسة الأركان الإسرائيلية .

٢ – كتاب « زلزال فى أكتوبر » للخبير والمعلق العسكرى الإسرائيلى زئيف شيف – وهو أيضاً بما له من مكانة مرموقة بين معلقى إسرائيل . . لم يجد صعوبة فى الحصول على أدق وأوثق المعلومات من ملف جيش الدفاع الإسرائيلى .

٣ – كتاب « المحدال » الذى ألفه سبعة من كبار المراسلين الحربيين الإسرائيليين . . وهو يتضمن شهادات إسرائيلية حية . استقى المؤلفون معظم جوانبها من تجربتهم المباشرة ، حيث كانوا جميعاً فى جبهات القتال ، وبالتالى أمكنهم نقل هذه الشهادات أو الصور الواقعية للمعارك التى خاضها ضباط وجنود الجيش الإسرائيلى ، وقد دعموا بالطبع هذه الصور الواقعية ، بمعلومات موثقة وفرتها لهم اتصالاتهم ومصادرهم .

٤ – كتاب « حياتى » لجولدا مائير . ٥ – كتاب « قصة حياتى » لموشيه ديان .

بالإضافة إلى :

١ – جميع الصحف الإسرائيلية التى صدرت منذ ٢١ سبتمبر ١٩٧٣ وحتى تاريخ الانتهاء من هذه الدراسة .

٢ – المحاضر الكاملة لجلسات لجنة أجرانات التى تولت التحقيق فى نواحى القصور التى أدت إلى هزيمة إسرائيل .

٣ – تقارير الاستماع إلى الإذاعات الإسرائيلية وخاصة إذاعة الجيش الإسرائيلى .

٤ – المناقشات الواسعة خاصة بين الجنرالات الإسرائيلية التى دارت فى الندوة التى عقدت بالقدس فى أكتوبر ١٩٧٥ حول الحرب بكل أبعادها .

٥ – الكتب والدراسات التى ألفها ووضعها الكتاب والمراسلون من مختلف أنحاء العالم والتى اعتمد بعضها على لقاءات مباشرة مع القادة والضباط والجنود الإسرائيليين .

٦ – الاعترافات التفصيلية للأسرى الإسرائيليين .

٧ – مصادر أخرى .

ماذا كان يدور فى إسرائيل

من ٣ أكتوبر حتى ظهر ٦ أكتوبر ؟

** من المقال الافتتاحى لصحيفة جيروزاليم بوست الإسرائيلية الصادرة يوم ٣ أكتوبر ١٩٧٣ قال رئيس التحرير :

« إن رئاسة الأركان الإسرائيلية قد اتخذت الإجراءات المناسبة لاحتمال وقوع عمل عسكرى مفاجئ » .

** وفى صحيفة معاريف الإسرائيلية « المسائية » الصادرة ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ قال المحرر العسكرى :

« إن قوات تسهال (جيش الدفاع الإسرائيلى) ترقب عن كثب كل ما يدور على الجانب المصرى من قناة السويس . ولقد اتخذت كافة الإجراءات لتفادى وقوع هجوم مفاجىء » .

** وفى الساعة الرابعة من صباح ٦ أكتوبر رن جرس التليفون فى منزل الجنرال زعيرا قائد المخابرات الإسرائيلية والذى استمع إلى صوت محدثه ، ثم وضع السماعة ليتصل على الفور بالجنرال ديان ثم بالجنرال أليعازر ثم بالجنرال يسرائيل طال نائب رئيس الأركان . وخلال نصف ساعة كان الجميع فى مقر القيادة وقد أيقنوا أن الهجوم المصرى السورى سيتم فى الساعة السادسة من مساء هذا اليوم (٦ أكتوبر) .

** وفى الساعة الثانية وبضع دقائق ، وفى مبنى رئاسة الأركان الإسرائيلية المتعدد الطوابق وبالتحديد فى مكتب رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية التف المراسلون العسكريون حول اللواء (إيلى زعيرا) . . الذى أخذ يشرح لهم الموقف . . وفى اللحظة التى كان يقوله لهم فيها : « إن العرب إذا بدءوا بإطلاق النار . سوف يدعون بعد ذلك بأننا قد بدأنا الحرب » فى تلك اللحظة - دخل السكرتير الخاص لرئيس الاستخبارات ، ومد يده إليه بورقة صغيرة ، ونظر فيها (زعيرا) بعجلة ، ثم خرج من الغرفة ثم عاد ليأخذ قبعته وحقيبته الصغيرة وهو يرد على تساؤل أحد الصحفيين عما حدث بقوله : « سيكون كل شىء على ما يرام » .

* وكانت هـــذه الورقة تحتوى على الكلمات التالية « لقد بدأ المصريون بإطلاق النـــار » .

. . . .

« وفى طابق آخر من المبنى الضخم ، كان رئيس الأركان يستعد لبحث بعض الأمور الخاصة بحالة التأهب التى أعلنت منذ فترة ، مع اللواء إسحاق حوفى قائد الجبهة الشمالية ، وقد وصل لحضور هذه الجلسة كل من اللواء (يسرائيل طال) نائب رئيس الأركان : واللواء موردخاى هود القائد السابق لسلاح الجو الإسرائيلى .

وبينما كان المجتمعون يتناقشون فى آخر الخطوات التى انتهى تنفيذها فى مجال التعبئة العامة . أعلن المذياع الداخلى فى غرفة رئيس الأركان أن العرب قد بدءوا بإطلاق النار فى الجبهة السورية . وعلى القناة .

. . . .

وفى قاعة اجتماعات مجلس الوزراء ، جلست جولدا مائير مع عدد من وزرائها يترقبون التطورات إلى أن دخل سكرتيرها العسكرى مسرعاً ، وخيم الصمت على الجميع ، ومال السكرتير ليهمس فى أذن جولدا مائير ببضع كلمات فرفعت عينيها ، وقالت « لقد بدأ الهجوم السورى المصرى » .

. . . .

* « حلة اللحم » . « ذئب البحر » « سيدة جميلة » كرر المذيعون هذه العبارات الموجهة إلى بعض الوحدات ، وهى جزء من خطة التعبئة .

* **بيان من جيش الدفاع الإسرائيلى :**

« اعتباراً من الساعة الثانية بعد الظهر قامت القوات المصرية والسورية بالهجوم فى سيناء وفى هضبة الجولان ، فى الجو والبحر . وبعد سلسلة من الهجمات الجوية على مواقعنا ومعسكراتنا بدأت قوات المشاة بالهجوم البرى . وقامت القوات المصرية بالعبور من عدة مواقع ، وقامت القوات السورية بالهجوم مستخدمة المدرعات والمشاة على طول خطوط هضبة الجولان . هذا وتقوم القوات الإسرائيلية بالعمل ضد المهاجمين ، وتدور الآن معارك جوية وبرية على الجبهتين » .

. . . .

وبعد انتهاء هذا البيان انطلق المذيع الإسرائيلى يقول بصوت حاد : « إن المعركة ضد الجيوش العربية ستكون معركة ساعات هذه المرة وليست معركة أيام » .

. . . .

وفى شوارع تل أبيب رد الكثير من الإسرائيليين بلا مبالاة على التعليمات التى أخذت تتوالى من الإذاعة مطالبة بالإظلام الكامل . إن الجميع يتوقعون نصراً سهلاً .

. . . .

* وأعلن (ديان) فى مؤتمر صحفى عقده فى تل أبيب : « أن الجيش الإسرائيلى سوف يضرب المصريين فى سيناء ضربة قاسية . . وأن هذه الحرب لن تستغرق سوى ساعات . . إننا سوف نسحق كليتهم » .

. . . .

وقالت جولدا مائير :

« لقد كانت المخابرات الإسرائيلية تعلم منذ بضعة أيام أن الجيوش المصرية والسورية قد حشدت للقيام بالهجوم فى وقت واحد ، وقد اتخذت قواتنا الاستعدادات العسكرية اللازمة لمواجهة الخطر ونحن لا نشك أبداً فى أننا سننتصر» .

. . . .

. . . .

فى سيناء :

فى الساعة ١٢,١٥ ظهراً وصل تحذير جديد إلى قيادة مجموعات عمليات العميد إبراهام مندلر ، وصدرت الأوامر بالاستعداد والتأهب لاستيعاب القصف المدفعى . وقد اقترح عليه نائبه العميد المحلى (بينو) أن ينفذ خطة « برج الحمام » ، وأن يدفع كل قواته المدرعة إلى القناة ، ووافق إبراهام مندلر (الذى اشتهر باسم « ألبرت » على اقتراح (بينو) وأصدر أوامره إلى قواته .

. . . .

وفى الساعة ١,٤٥ ظهراً عاد الجنرال (جونين) إلى قيادته من اجتماع قيادة الأركان العامة فى تل أبيب ، وعلى الفور اتصل بألبرت وأبلغه بقرارات القيادة العامة . وفى نهاية

الاتصال التليفونى قال جونين لألبرت : « لقد حان الوقت لكى تدفع الألوية المدرعة إلى القناة » .

وهنا رد عليه ألبرت باختصار وتوتر مفاجئ :

« بالفعل لقد حان الوقت . فى هذه اللحظة بدأ المصريون يمطروننا بقنابلهم ! ! » .

. . . .

بدأ سيل التقارير ينهمر على القيادة من المواقع الحصينة فى خط بارليف . . ولقد كانت البداية مذهلة فقد أجمعت هذه التقارير على عنف القصف الجوى ثم شدة وعنف المدفعية الثقيلة المصرية وأبلغت التقارير عن عبور طلائع القوات المصرية وعن المعارك القاسية التى يدخلها – الجنود الموجودون فى تحصينات بارليف . . بينما تعرض رجال المدرعات الذين تقدموا صوب خط بارليف لمفاجأة قاسية حيث كان فى انتظارهم الجنود المشاة المصريون بقذائف آر–بى – جى ، والصواريخ المضادة .

وتعالت صيحات الاستغاثة الهستيرية من أجهزة اللاسلكى من الحصون :

« المصريون يهاجموننا . . أين طائراتنا ؟ ! . . أرسلوا تعزيزات المدرعات وجهوا المدافع نحوهم . . إنهم يهاجمون بأعداد كبيرة . . . » .

لم يستطع ألبرت أن يعرف أن المصريين يشنون هجوماً واسعاً على طول الجبهة إلا بعد ساعات من بدء الهجوم . ولم يعرف أيضاً أن هناك قوة برمائية مصرية قد عبرت القناة إلا بعد عبورها بمدة طويلة .

. . . .

* وصف الجنرال آمون مشهد الساعات الأولى من الحرب بقوله : « لقد اشتعلت سيناء كلها بالنيران » .

. . . .

* حاول جونين أن يقدر الموقف من خلال التقارير اللاسلكية التى تصل تباعاً إلى قيادته . . ولكنه فشل .

وبعد ذلك أدرك أن معدل العبور سريع فى القطاع الشمالى من القناة .

. . . .

. . . .

. . . .

• كان الهجوم المصرى قد بدأ فى ساعة الصفر بغارات جوية كثيفة قام بها حوالى ٢٤٠ طائرة . وقد وصل منها إلى شرم الشيخ ١٢ طائرة .

وقد اتضح أن الأهداف التى كلفت هذه الطائرات بضربها وتدميرها هى : ثلاثة مطارات فى سيناء – بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات (الصواريخ الهوك) – ثلاثة مواقع قيادة وسيطرة – محطات الرادار – مراكز تجمعات المدفعية – مراكز الشئون الإدارية .

وكذلك حصن « بودابست » الذى أقيم فوق رمال شاطئ البحر الأبيض المتوسط .

• وخلافاً للنظرية الحربية السوفييتية ، لم يقم المصريون بعملية قصف مدفعى طويلة ، بل جاء هجومهم سريعاً بعد حوالى ربع ساعة من القصف ، وكانوا يوجهون إلى المواقع الإسرائيلية نيران نحو ٢٠٠٠ مدفع من جميع الأنواع وفى اللحظات الأولى انهال على هذه المواقع الحصينة عشرة آلاف وخمسمائة قذيفة بمعدل مائة وخمسة وسبعين قذيفة فى الثانية . . وكانت الموجات الأولى من المهاجمين من المشاة ، وقد وصل هؤلاء إلى الجانب الآخر من القناة ، وتمركز كثيرون هناك . . وبدءوا بإقامة رءوس جسور فى عمق من ٢ – ٣ كم . وكان من بين هؤلاء صائدو الدبابات ووحدات كوماندوز .

• كان هجوماً ضخماً واشترك فى المرحلة الأولى حوالى عشرة آلاف مقاتل . ولإزالة الموانع الترابية الواقعة على ضفة القناة فى جانبنا ، استعمل المصريون رشاشات ماء قوية جداً تعمل بقوة ضغط هائلة وأحدثت تيارات الماء المندفعة بقوة فتحات فى المانع الترابى ، وقام المصريون بالعبور مستخدمين مئات القوارب من مختلف الأنواع : مطاطية وخشبية وقصديرية . وجرت هذه المحاولات على طول القناة . وقد سجلت فى سبعة أماكن على الأقل جهوداً مركزة . وعلى ما يبدو فقد توقع المصريون مقاومة شديدة ، لذلك فضلوا – أن يعبروا القناة فى أماكن عديدة من خلال افتراضهم بأنهم سينجحون فى بعضها .

وبعد عشرين دقيقة من بدء القصف شوهدت دبابات برمائية فى مياه البحيرة المرة قرب كبريت ، وكانت هذه الدبابات الخفيفة وكذلك حاملات الجنود المدرعة البرمائية أيضاً هى طليعة التوغل فى سيناء . وقد طوقت القوات الإسرائيلية فى هذه المنطقة وبدأت الاتصال بوحدات الصاعقة عند ممرات متلا والجدى كان هدف الموجة الأولى من الهجوم الاستيلاء على المانع الترابى الذى أقامه الجيش الإسرائيلى ، وكان على المهاجمين

التمركز أولاً فى الأماكن التى أراد رجال الهندسة المصريون إقامة جسور عليها ، وقام عدد من المهاجمين بإشغال المواقع الإسرائيلية فى خط بارليف . كما تسلقوا الموانع الترابية بواسطة سلالم وانتشروا كالجراد وعند وصول موجة جديدة من العابرين ، كانت الموجة الأولى تنزل وتتقدم إلى الأمام مسافة مائتى متر . وكانت النيران تعطل رجال الحصون الإسرائيلية عن عملية الاستكشاف ، بل إنهم بدءوا يتعرضون لهجوم المشاة .

كان المصريون يعملون ، وكأنهم يقومون بمناورة حربية بعد تمرينات كثيرة ، واستعانت الموجة الأولى برجال الضفادع . وكانت هناك شاحنات مصرية شوهدت وهى تقترب من القناة باتجاه معاكس وتلقى إلى الماء بقطع من الأخشاب ، وقطع من الجسور ، وتم تجميع هذه القطع . وخلال حوالى نصف ساعة أقيم جسر لسلاح المشاة . وتدفقت فى الجولة الثانية على هذه الجسور ثلاث فرق من سلاح المشاة وخلال ساعات قلائل نجح المصريون فى نقل أكثر من أربعين ألفاً من سلاح المشاة إلى سيناء . وفى نفس الوقت بدأ سلاح الهندسة بإقامة جسور لعبور المدرعات الأثقل .

. . . .

وكان المنظر الذى واجه رجال حصون خط بارليف يشبه الكابوس فلقد كانت كميات النيران المصرية ، وأعداد المهاجمين أموراً أذهلت الكثيرين ، وقد فتح بعض رجال المعاقل نيران أسلحتهم الخفيفة ومدافع الهاون . ولكن ذلك كان قطرة فى بحر ! !

ومن جهة أخرى كانت الطائرات الإسرائيلية قد تلقت تعليمات اللواء « بينى بيلد » قائد السلاح الجوى أمر الاستنفار لمهاجمة المصريين عند القناة . وكان الأمر هو ضرب كل هدف يتراءى لهم .

وقد كانت هناك مشكلة تواجه عمل الطيران الإسرائيلى ، فليس أمامهم مهلة سوى ساعتين فقط يحل بعدهما الظلام .

. . قامت الطائرات بغارات عديدة على القناة والعبادية والزعفرانة لكن بطاريات الصواريخ المصرية أخذت تتصدى لها بعنف وسقط فى أول غارة خمس طائرات سكاى هوك وطائرة فانتوم .

. . . .

هذا وقد واكب عملية العبور عملية أخرى أخطر وأهم ، فقد قامت طائرات الهليوكبتر المصرية بإبرار أعداد كبيرة من وحدات الكوماندوز المصريين على الخط الممتد من رأس سدر إلى طاسة إلى بالوظة كما كانت هناك وحدات أخرى شرقى هذا الخط بأعداد

وإمكانيات وفيرة . ولم تكن الهليوكبتر هى وسيلة الكوماندوز المصريين الوحيدة ، لقد تسللوا أيضاً من البحر والبر .

. . . .

حتى صبيحة اليوم الثانى (٧ أكتوبر ١٩٧٣) كانت القوات المصرية قد وسعت رءوس الجسور ، ووصلت حتى عمق ٦ – ٨ كم واستعدت لمواجهة الهجوم الإسرائيلى المضاد .

وكان من الواضح أن مراحل العبور قد تم التخطيط لها بأدق التفاصيل وقد أعدت الخطة بدقة ومهارة متناهيتين .

ولذلك فإنه بينما كان أكثر المتفائلين يقدرون أن عملية العبور ستكلف المصريين أكثر من ٣٠ ألف شهيد . لم تبلغ الخسائر الحقيقية التى تكبدوها فى عبورهم القناة والساتر الترابى سوى مائتى جندى .

. . . .

وقد تعرضت المعابر التى أقامها المصريون لغارات شديدة فى اليوم الثانى من الحرب ، لكن تصميم المعابر ونظام تركيبها ، وجرأة الجنود مكنتهم من استبدال الأجزاء المصابة بسرعة شديدة . كما كانوا يغيرون أماكن هذه المعابر .

. . . .

حتى منتصف ليلة ٧ أكتوبر كانت الفرقة السابعة مشاة المصرية قد استكملت نقل قواتها إلى سيناء وعبر معها اللواء ٢٥ المدرع . . وتم إبرار كتائب جديدة من الكوماندوز المصريين . . بينما امتدت عشرة معابر على القناة .

. . . .

كان ألبرت قد وجه مدرعاته إلى حصون بارليف لمساندتها وإيقاف العبور . وكان قد تكهن بأن الهجوم المصرى الرئيسى سيكون من الشمال ، ولذلك أمر لواء « جابى » المدرع بالتحرك إلى هناك ، وكلف العقيد « أمنون » بقيادة القطاع الأوسط مع لوائه ، وكلف العقيد « دان » بالتحرك غرباً فى الجنوب عن طريق مضيق الجدى ، والاستعداد فى جنوب البحيرات المرة . وقد وزع الدبابات الثلثمائة بالتساوى على ألويته الثلاث ، وكان يظن أن قواته المدرعة قد وصلت جميعها إلى الحصون ، ما عدا الحصن الواقع على لسان بور توفيق .

. . . .

حاول بينو (نائب ألبرت) أن يستوضح صورة المعارك ، ولكنه لم ينجح لغموض التقارير التى وصلت إلى القيادة ، ولتناقضها أيضاً . وقد استقل طائرة هليوكبتر وحلق بها فوق الطرق والمحاور حتى ممرى متلا والجدى وقد أنهى هذه الجولة بسرعة بعد أن تعرض للإسقاط عدة مرات . وحتى ذلك الوقت لم يكن ألبرت وجونين يشعران بضرورة إخلاء الحصون .

وتم اتصال من القيادة العامة . . أبلغ فيه جونين بضرورة إخلاء الحصون التى لا تستطيع الصمود .

وفى منتصف الليل نقل جونين قيادته إلى أعماق سيناء .

. . . .

وكانت نتائج الهجوم المضاد الذى بدأ منذ صباح الأحد مزعجة للغاية . واستأنف المصريون هجومهم . وبدأت القيادة الإسرائيلية تشعر بنتائج القتال الليلى . وكان موقف القوات كالتالى :

موقف اللواء المدرع قيادة العقيد أمنون :

– بالنسبة للواء أمنون بمجرد أن تحركت كتائبه إلى الأمام فى اتجاه المواقع المحددة من قبل . . فوجئت بأن المشاة المصريين قد احتلوا هذه المواقع ، وأمطروا الدبابات المتقدمة نحوهم بوابل من قذائف البازوكا وفى نفس الوقت انطلقت الصواريخ المصرية من على السواتر الرملية الموجودة على ضفة القناة الغربية .

« لقد تحولت شبه الجزيرة كلها إلى شعلة من النيران ، ونزلت بدباباتنا خسائر فادحة دون أن تتمكن من إيقاف تدفق موجات المشاة المصريين » (هذا ما ذكره العميد أمنون فى تقريره عن سير العمليات) وكانت كتائب لوائه تعمل فى القطاع الأوسط – وقد أرسل فى البداية سرية دبابات فى اتجاه المعبر المواجه للإسماعيلية ، وسرية أخرى فى اتجاه كوبرى الفردان حيث كان الوضع فى حصن الفردان المسمى « حيزايون » خطيراً إلى أقصى حد . إذ سقط من قواته العديد ما بين قتلى وجرحى . . بذلت الدبابات جهوداً يائسة . . ولم تنجح إطلاقاً فى الاتصال بهذا الحصن .

وأرسل أمنون قوة استطلاع كبيرة ، نحو الشمال من قطاعه ، ولكن سرعان ما انقطع الاتصال مع هذه القوة ، لأنها وقعت فى كمين للمشاة المصريين بالقرب من مزرعة

التجارب الصينية ، وأصيب الرائد يعقوف يعقيتس نائب قائد الكتيبة بجراح شديدة مات متأثراً بها ، كما جرح قائد السرية .

. . . **ما تحقق من المهمة:** لم تنجح مهمة الاستطلاع نهائيًا .

موقف القوة التى كلفت بالمهمة : سقط أكثر من ٩٠ ٪ من أفراد القوة ما بين قتلى وجرحى وربما يكون المصريون قد أسروا بعضهم . .

. . . .

موقف السرية التى تحركت نحو معبر الإسماعيلية :

دمرت السرية فيما عدا دبابتين فقط .

ما تحقق من المهمة :

فشلت المهمة تماماً .

. . **السرية التى تحركت إلى حصن الفردان (حزايون) :**

فى الثامنة مساء أصيب الملازم « زئيف بريل » وفقد بصره ، ثم قتل المدفعجى وعامل الإشارة ، وعندوصول السائق بدبابته إلى حصن حزايون ، أصيبت الدبابة مرة أخرى ، ودار السائق للخلف ، وناور واتجه شمالاً حتى وصل بالقرب من جزيرة البلاح . . وهناك سقطت الدبابة فى مستنقع من الملاحات .

* كانت هذه هى الدبابة الأولى فى السرية .
* الموقف العام للسرية : دمر المصريون جميع دبابات السرية ولم تنج منها دبابة واحدة .

. . . .

محاولة أخرى :

دفع أمنون بوحدات أخرى فى محاولة لتحقيق المهام المحدودة ، وتولى المقدم « عميرام » قيادة القوة التى كلفت بمساعدة حصن (حزايون) ، وعند اقتراب مدرعاته من القناة ، وقعت فى كمين للمشاة المصريين المسلحين بالبازوكا وأل آر . بى . جى . وانفجرت معظم الدبابات واضطرت الفلول المتبقية إلى الانسحاب فى اتجاه محور الفردان شرقاً .

وفى نفس الوقت كانت القوة التى اتجهت إلى معبر الإسماعيلية تعانى من نفس المصير .

. . . .

وهكذا طوال اليوم الثانى من القتال ، أخذت الدبابات تتساقط ، وتحترق ورأى (أمنون) كيف أن لواءه المدرع على وشك الفناء . . فلم يبق من كل اللواء سوى عشرين دبابة !

موقف لواء العقيد دان :

حتى الساعة الثامنة من مساء السادس من أكتوبر ، كانت قوات العقيد دان على اتصال بأغلب حصون خط بارليف (الواقعة فى القطاع الجنوبى) وذلك باستثناء حصن بورتوفيق . الذى استحال مجرد الاقتراب منه ، لأن المصريين حاصروه من جميع الجهات .

وتوالت استغاثات قوات الحصون ، وطلب (دان) التصديق على القيام بمحاولة إنقاذ هذه القوات ، ولم توافق القيادة ، واتصل « دان » بألبرت ، وقال له :

« إما أن ندافع عن الحصون ، أو نصد الهجوم المصرى . فلا يمكن أن نقوم بالعمليتين معاً » .

ورد عليه ألبرت بقوله : « لا خيار أمامنا إلا القيام بالعمليتين معاً ، فليس فى سلطتى إصدار أوامر بإخلاء الحصون والانسحاب منها .

. . . .

ظلت قوات « دان » تتحرك طوال الليل هنا وهناك فى محاولات يائسة للاتصال بالحصون ، وكانت كل حركة فى اتجاه الحصون مرتبطة بالاشتباك مع كمائن المشاة المصريين بأسلحتهم المضادة للدبابات .

ازدادت الخسائر بين قوات دان التى كانت تضم فى الساعة الرابعة من بعد ظهر اليوم نحو مائة دبابة .

الموقف النهائى للواء دان المدرع : دمر المصريون معظم دبابات اللواء فلم يتبق منها – حتى الساعة الثامنة من صباح ٧ أكتوبر سوى ثلاث وعشرين دبابة فقط .

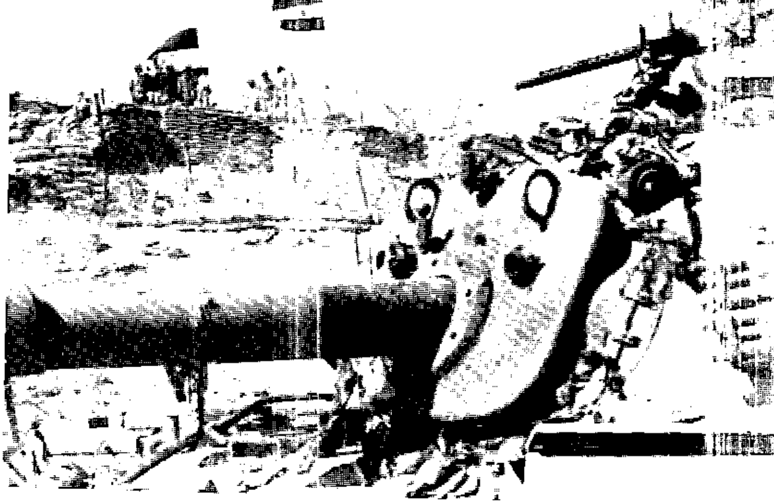

تكبدت المدرعات الإسرائيلية خسائر فادحة على أيدى المشاة المصريين وفى المعارك التى واجهت فيها المدرعات والطائرات المصرية .

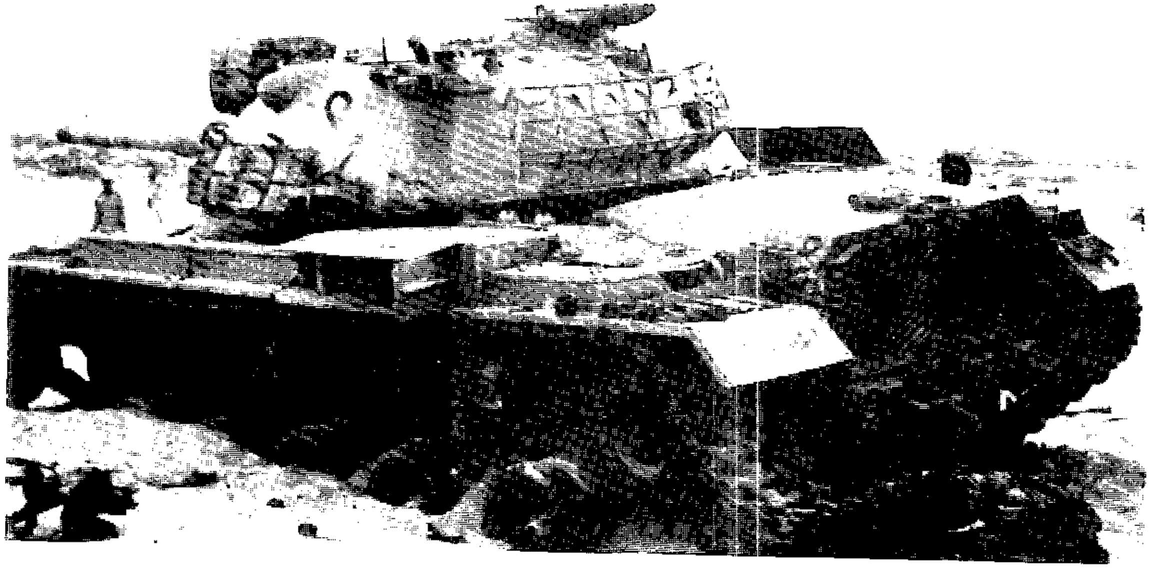

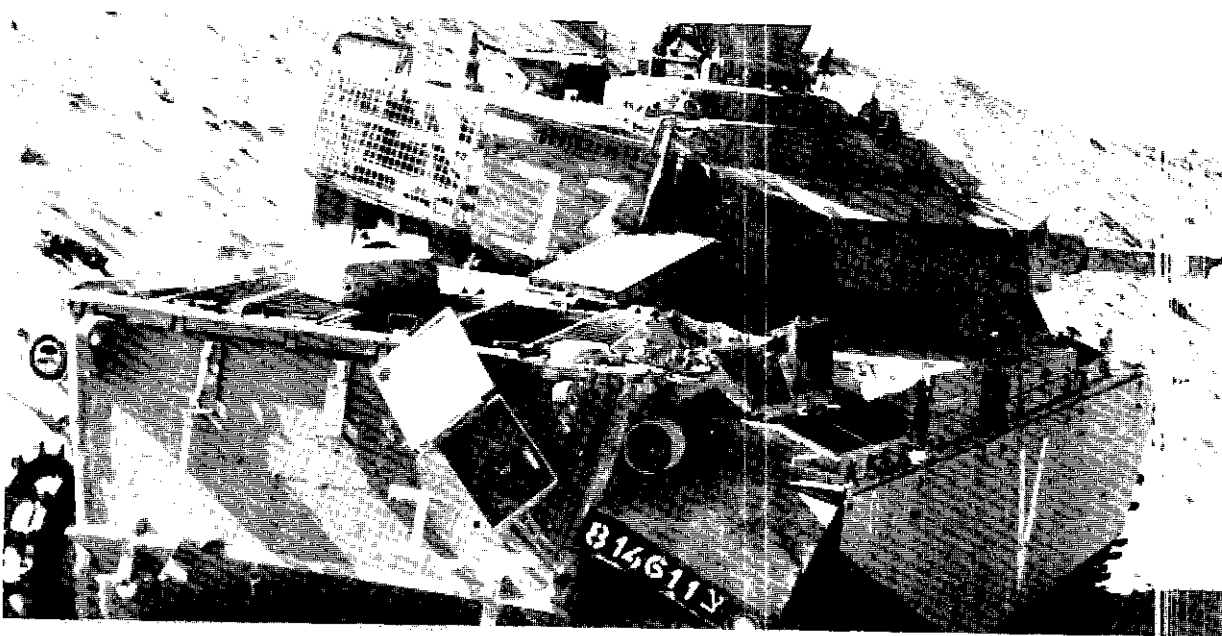

ما تحقق من المهمة :

فشل اللواء فى تحقيق مهمته كلية . وسقط حصن « ليتوف » وحصن « يوتر » .

* **تطور جديد:** فى التاسعة من صباح ٧ أكتوبر عبرت الوحدات الأولى من المدرعات المصرية إلى الشرق .

موقف لواء العقيد جابى :

كان لواء (جابى) طوال الأسبوع الأول من أكتوبر فى حالة تأهب وفى يوم الجمعة – فى الساعة العاشرة صباحاً – وصلت إليه الأوامر برفع حالة التأهب إلى الدرجة القصوى . وكان جابى يوزع قواته بأن يبقى أغلب مدرعاته ومركباته فى المؤخرة ، ويترك طواقم خاصة لحراستها ، فى حين يحرك قوات محدودة إلى المقدمة .

ومع أول ضوء من يوم السادس من أكتوبر ، خرج جابى مع قواد الكتائب فى لوائه للاستطلاع وتحديد مناطق التحرك فى إطار خطة « برج الحمام » . . . وقد كان جزء من اللواء فى وضع الحركة عند ما بدأ الهجوم المصرى فى الساعة الثانية ظهراً ، وصدرت الأوامر إليه بالتحرك فوراً إلى « طاسة » ثم إلى « بالوظة » .

واستطاع « جابى » أن يضع صورة للموقف من خلال الاستماع إلى شبكات اللاسلكى وكانت هذه الصورة قاتمة للغاية .

لقد سمع المقدم « يومتوف » الذى كان يقاتل بكتيبته فى القطاع الشمالى يصرخ فى اللاسلكى قائلاً فى توتر وانزعاج « لقد دمرت الكتيبة كلها تقريباً . . وإن فلولها القليلة فى حاجة إلى العون والمساعدة » .

. . . . . . واتجه (جابى) شمالاً إلى حصن « مفريكيت » واتصل بيومتوف الذى كانت حكايته التفصيلية عن الموقف أسوأ مما سمع فى البداية بكثير .

. . . .

محاولات أخرى :

وكان العميد « كلمان ماجن » يستعد لاستلام قيادة مجموعة عمليات سيناء وقد كلف « جابى » بقيادة القطاع الواقع شمال القنطرة ، وأمره بتوزيع القوة المتبقية معه ،

وكان قوامها كتيبة واحدة على قسمين :

الأول : سريتان تواصلان التحرك إلى حصن (مفريكيت) .

الثانى : سرية مدعمة تتجه إلى شرق القنطرة لمحاولة الاتصال بميلانو .

وقد عين « جابى » المقدم إيمير مسئولاً عن السريتين اللتين اتجهتا إلى (مفريكيت) وتولى هو قيادة المجموعة الثانية التى انضمت إليه فلول كتيبة (يومتوف) .

. . . .

وعندما وصل المقدم « ايمير » إلى مفريكيت ، وزع قواته على جنوب الحصن بنحو كيلومتر واحد ، وعلى شمال الحصن بنحوكيلومترين ، والباقى فى المناطق المحيطة بالحصن .

وما إن أخذت مدرعات ايمير أماكنها حتى انهمرت عليها قذائف الـ « آر . بى . جى » المصرية ، والصواريخ المضادة للدبابات التى أطلقت من فوق السواتر الرملية ، التى على الضفة الغربية للقناة . ووقعت خسائر أربكت القوات حتى إن دبابة المقدم « إيمير » نفسه دخلت فى حقول الألغام التى زرعتها طلائع العبور المصرى ، ووقعت صيداً لقوات المشاة المصريين ، لكنه كان قد قفز منها . . قبل أن تنفجر .

*** وانسحبت الدبابات وفوقها جثث الجنود :**

فى فجر يوم الأحد ، أصدر العميد « ماجن » أوامره لجابى بسحب هذه القوة التى تزايدت الإصابات فيها ، حتى وصلت قوتها إلى ثلث ما كانت عليه قبل الهجوم ، أما اللواء كله فلم يتبق منه سوى ٢٠ دبابة . وانسحب إيمير وقد ربط جثث قتلاه الكثيرة فوق الدبابات الباقية ، وقد زاد عدد القتلى حين تعرضت الدبابات فى انسحابها أيضاً لنيران مخيفة .

جميع قادة الدبابات من قوات جابى قتلوا أو أصيبوا ! !

فى نفس الوقت كانت بقية اللواء بقيادة (جابى) تتحرك نحو القنطرة وبمجرد الاقتراب من مدينة رفائيم أطلقت عليهم نيران قوية ، وأصيبت عدة دبابات فى الطريق .

واقتربت القوة من المنطقة السكنية ، وازداد إطلاق النار ، وسارت الدبابات فى طابورين ، وأسرعت السير عندما انهالت عليها القذائف المصرية من النوافذ .

. . . تعثرت القوة المدرعة .

. . . أصيب أو قتل جميع القادة الذين كانوا يقفون فى أبراج الدبابات من نيران الرشاشات والأسلحة الخفيفة . وعين جابى قواداً بدلاً منهم . .

. . . تعطلت شبكة اللاسلكى .

. . . زادت الخسائر . . دمر المصريون أكثر من ثلثى الدبابات والمصفحات كان اتجاه القوة الآن إلى حصن ميلانو .

. . أصيبت دبابة يومتوف ، وقتل ضابط عمليات اللواء قبل القنطرة . . جمع المقدم « إيمير » فلول كتيبته (عشرة دبابات فقط وبعضها مصاب) جمعها على الطريق المتاخم للمستنقعات فى الجنوب . اشتبك المصريون مع هذه القوة المتبقية . . حاولت دبابتان الفرار فسقطتا فى المستنقعات .

خسائر . . خسائر :

خلال ساعات الصباح (فى يوم ٧ أكتوبر) صدرت الأوامر إلى جابى بالانسحاب إلى الجنوب لحشد من تبقى من فلول لوائه على الطريق الرئيسى شرق حصن (مفريكيت) ، وانسحب جابى ، والتقى هناك بفلول كتيبة « إيمير » .

حصر جابى خسائره الإجمالية . . واتضح له أنه فقد أكثر من ثلاثة أرباع اللواء دون أن تتحقق المهمة .

*** مفاجأة مذهلة فى البحر الأحمر :**

فى نفس هذا اليوم ٧ – ١٠ – ٧٣ ، كان الخبر المفاجئ البالغ الأهمية هو ذلك الخبر الذى وصل من جنوب البحر الأحمر ، فمن على ظهر ناقلة بترول كاملة الحمولة (كانت تحمل علماً أجنبياً ، وتشق طريقها إلى ميناء إيلات) – لاحظ الضابط الأول ذيل قذيفة طوربيد تنطلق بالقرب من سفينته . ثم انطلق طوربيد آخر .

ولم يعد هناك شك فى أن مصدر هذه الطوربيدات كان غواصة مصرية .

* كان معنى هذا الهجوم أن البحرية المصرية قد فرضت حصاراً بحرياً على إسرائيل أى أن الطريق البحرى الجنوبى أصبح مغلقاً أمام الحركة الملاحية الإسرائيلية .

. . . . ولقد كان إغلاق مضايق شرم الشيخ فى عام ١٩٦٧ ، إحدى مقدمات حرب يونية ١٩٦٧ . والآن قام المصريون بفرض الحصار فى الثغر الجنوبى للبحر الأحمر

عند مضيق باب المندب . وأصبح محتماً توقف السفن التجارية خاصة وأن الأسطول الحربى الإسرائيلى فى هذه الساحة لا يستطيع فك هذا الحصار .

وهكذا أغلق طريق النفط المؤدى إلى إيلات ، وليس من المناسب الآن أيضاً المخاطرة فى نقل المحروقات إلى إيلات من آبار أبو رديس فى سيناء . . . وأصبح على إسرائيل أن تعتمد على خزانات الطوارئ الموجودة لديها ، وأن تأمر فى أثناء ذلك الناقلات القادمة من الشرق بالدوران حول رأس الرجاء الصالح متجهة إلى جبل طارق ، ومن هناك إلى البحر الأبيض المتوسط .

وقد أمر وزير الدفاع بعدم السماح بنشر أنباء الحصار فى باب المندب بشكل قاطع .

. . . .

ومن جهة أخرى كان الموقف فى سيناء مقلقاً إلى حد كبير . وقد أبلغ « ألبرت » قيادة الأركان بأنه دخل معارك اليوم الأول بنحو ٣٠٠ دبابة تبق منها ربعها فقط فى اليوم التالى وهذه الدبابات الباقية مبعثرة كلها على طول الجبهة .

. . . .

* ازداد الضغط المصرى فى القطاع الجنوبى وبدأ الجنود فى هذا القطاع يتساقطون تحت الضغط المصرى .

. . . .

* طلب ألبرت من جونين مساعدة جوية بأسرع ما يمكن ، وأبلغه جونين بأنها ستصل بعد ٢٠ دقيقة .

ورد عليه ألبرت : « لم يبق أمامى عشرون دقيقة ! ! » .

. . . .

* جاء الرد على جونين بأن خطورة الموقف على الجبهة السورية لا تسمح بإرسال كل المساعدات الجوية التى طلبها .

وصرح جونين قائلاً : « إن لم تحضروا فلن أستطيع صد الهجوم » .

وتم التصديق على إخلاء الحصون والانسحاب منها .

. . . .

فى ثالث أيام القتال حدث تعديل فى القيادات ، وعين العميد إبراهام آدان

الشهير باسم (برن) قائداً للقطاع الشمالى ، وعين العميد أرئيل شارون (الشهير باريك) قائداً للقطاع الأوسط ، وظـل القطاع الجنوبى تحت إشراف (ألبرت) .

– قتلى وجرحى وتشنجات عصبية :

صدرت الأوامر من القيادة بالانسحاب من الحصون ، بعد أن سقط عدد كبير منها ، وبعد أن راحت حالة الباقى تسوء لحظة بعد لحظة وبمجرد صدور الأمر سارع رجال حصن « دروة » الواقع جنوب حصن « لحصنايت » بالفرار .

أما حصن «كتوفا » فقد قتل قائده ، وسقط ستة من أفراده جرحى ، اثنان منهم كانتُ إصاباتهما خطيرة ، ومع استحالة الهروب من الحصن ، لاستمرار القتال ازدادت الخسائر ، وأصيب بعض جنود الحصن بتشنجات عصبية دفعت اثنين منهم إلى سرقة إحدى العربات المجنزرة والهروب بها قبل الفلول الباقية من رفاقهم فى الحصن .

. . . .

١ – حصن أوركل « رجال أبو ديرهم يرتعدون » :

كان حصن « أوركل » الواقع فى الطرف الشمالى لشاطئ القناة يتكون من ثلاث مجموعات دفاعية وهى أوركل « ١ » ، وأوركل « ٢ » وأوركل « ٣ » وكان قائد قوات الموقع هو « سوميخ » وكان يعاونه الملازم أول دافيد أبو ديرهم والملازم أودسيبرج »

* قتل (سوميخ) فى المعارك الأولى ، وحل محله « أبو ديرهم » الذى أمر الرجال بالنزول إلى المخابئ بمجرد بدء القصف المدفعى ، وغارات طائرات الميج ١٧ . . وبعد هدوء القصف أمر أبو ديرهم رجاله بالصعود إلى مواقعهم ولكنهم كانوا خائفين ويرتعدون من هول الموقف . ورفضوا الخروج من مخابئهم ونزل إليهم بنفسه ، وبدأ يسحبهم بالقوة واحداً بعد الآخر .

٢ – الهروب . . وحالة الهستيريا :

لم يصمد الجنود للقتال الذى تجدد ، وازدادت حالة الحصن خطورة ، فتركوا مواقعهم وجروا إلى إحدى الدشم ، وتجمعوا فيها ، وهم فى حالة هستيريا عنيفة . حتى إن

أبو ديرهم قال فى اتصال لاسلكى إن حالة قواته فى الحصن تجعلهم لا يصلحون حتى لكى يكونوا خفراً . .

٣ – **الميراج تتهاوى :**

أطل أبو ديرهم من الدشمة حينما أبلغ بأن سلاح الجو الإسرائيلى جاء لنجدة الحصن ، ولكنه أصيب بصدمة أخرى لقد شاهد طائرات الميراج وهى تتهاوى منفجرة فى المستنقعات المجاورة بمجرد أن انطلقت نحوها الصواريخ المصرية .

٤ – **العلم الأبيض . . والوقوع فى الأسر :**

رأى أبو ديرهم الموقع المجاور (أوركل ٣) وقد رفع رجاله علماً أبيض ، طالبين تسليم أنفسهم ، وحاول هو الفـــرار ومن تبق معه من رجاله الذين زادت حالتهم سوءاً – وقد حدد خطة الفرار بالاندفاع شرقاً أو اللجوء إلى حصن « لحصنايت » . . ولكنه وجد نفسه مضطرًّا أن يسلم نفسه هو وفلول قوته . . للجنود المصريين الذين ساقوهم فى طابور طويل مع أسرى آخرين من قواتنا .

* **حصن بودابست : (إننى متنازل عن المساعدة الجوية ! !) :**

اتصل قائد حصن بودابست الذى يقع على بعد ١٢ كم شرق بور فؤاد بقيادة الجبهة وقال لضابط العمليات : « إننى متنازل عن المساعدة الجوية . . إن طائراتنا الفانتوم والميراج التى جاءت لنجدة الحصن تتساقط أمامنا فوق بورسعيد وبورفؤاد . . إنها تتساقط كالعصافير . إننا جميعاً نرتجف هنا . إننى متنازل عن المساعدة الجوية فالخسائر فى الطائرات فادحة . . إن جميع الطائرات التى تصل تسقط بالصواريخ المصرية . . تسقط كلها . . كلها . . » .

. . . .

وحين عادت محاولة نجدة الحصن بالمدرعات تكسرت جميع الهجمات المضادة دون أن تكسر حصار المصريين للحصن الكبير . وتشتت المدرعات أمام صلابة المقاتلين المصريين .

حصن لسان بور توفيق :

. . سقط هذا الحصن هو الآخر . لكن سقوطه كان مدوياً . فلقد أحضر المصريون رجال الصحافة والتليفزيون والإذاعة المصريين والأجانب ليشهدوا استسلام الحصن . . وركزت الكاميرات على شلومو أردينيست قائد الموقع الذى حل محل القائد الأصلى بعد مقتله – وهو ينزل بيده العلم الإسرائيلى ويطبقه ويسلمه لقائد القوة المصرية ثم يؤدى التحية العسكرية للعلم المصرى الذى ارتفع فوق الحصن .

حصن بوركان :

سقط هذا الحصن أيضاً وقد كان يقع أمام الإسماعيلية مباشرة .

حصن ميلانو : هربوا من رصاص المصريين . . فقتلهم رصاص رفاقهم :

كان ضباط وجنود هذا الحصن ، قد انسحبوا منذ بداية المعركة وحينما اكتشفوا وجود كمائن من المشاة المصريين فى طريقهم اختبأوا بين الأعشاب البرية فى منطقة المستنقعات المالحة .

وبينما كانت كتيبة مدرعات إسرائيلية تحاول أن تهرب من كمين مصرى ، قامت بحصد هذه المنطقة العشبية بالنيران على افتراض وجود كمين آخر من قوات الكوماندوز المصريين .

. . وهكذا فإن هذه القوة التى كانت قد نجحت فى الفرار من جهنم المصرية وقعت فى جهنم إسرائيلية .

. . . .

خلافات بين الجنرالات :

تفجرت يوم ٧ أكتوبر ١٩٧٣ خلافات حادة بين قادة الجبهة الجنوبية ، فاصطدم شارون بجونين ، حين اقترح شارون القيام بهجوم مضاد شامل مساء اليوم .

ورفض جونين لأن القوات المتبقية لديه لا تسمح بذلك . . وكانت هذه بداية الصدامات بينهما .

. . . .

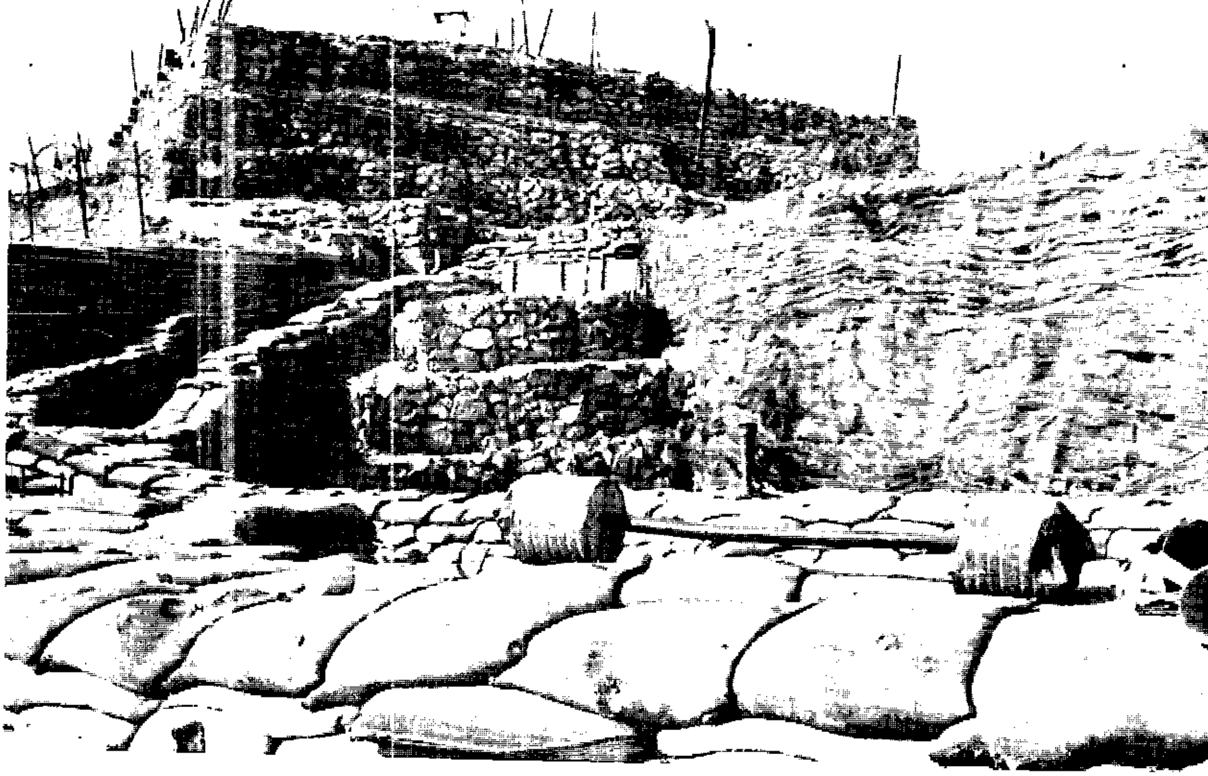

كانت المواقع الحصينة لخط بارليف مسرحاً لمعارك ضخمة وبرغم
مناعة وقوة هذه المواقع فقد أسقطها المصريون فى ساعات

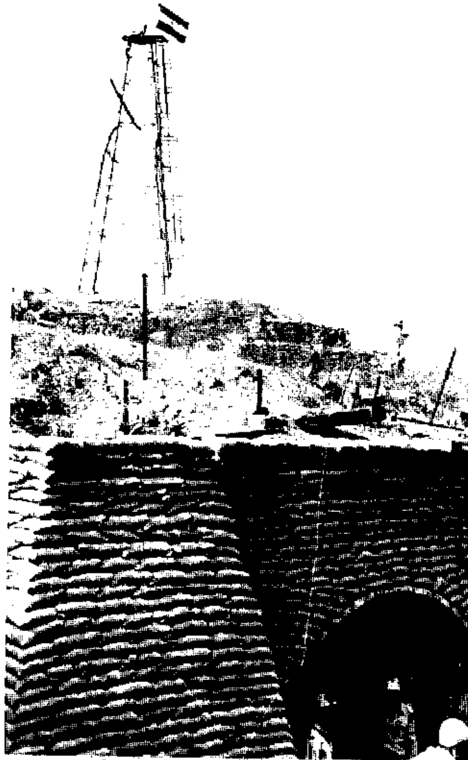

ديان ينهار :

وصل ديان فى الحادية عشرة وأربعين دقيقة من صباح يوم ١٩٧٣/١٠/٩ إلى موقع القيادة الجنوبية ، وطلب تقريراً عن الوضع ، وبمجرد أن اطلع عليه ، قال لمن حوله « . . هذه حرب عنيفة . . يجب أن ننسحب إلى الجبال » ، ثم أشار على الخريطة إلى خط بارليف ، وقال ردًّا على سؤال أحد الضباط : « اتركوا الحصون . . إن كل من يستطيع أن ينقذ نفسه عليه الهرب . . أما الجرحى فليقعوا فى الأسر . »

كان ديان مهتزًا لدرجة الانهيار وحين عاد من سيناء إلى القيادة العامة اختلف مع أليعازر ، وقام الأخير بالاتجاه إلى سيناء ومعه إسحاق رابين ليدرس هو الموقف على الطبيعة ، ويتخذ القرارات التى يراها مناسبة .

* * *

. . تلك صورة لسير العمليات القتالية كما سجلتها غرفة العمليات الإسرائيلية وكما نقلها وأوضح تفاصيلها أكثر من معلق وخبير إسرائيلى « مطلع » ووثيق الصلة بالقيادة الإسرائيلية . . .

وحيث إن أوراق دافيد أليعازر التالية بعد عدة صفحات تكمل بقية أيام الحرب ، كما أنها قد سجلت أيام ما قبل الحرب فإن عملية السرد للوقائع التى جرت فى العمليات القتالية على الجبهة المصرية تكون بهذه الصورة مكتملة تماماً . كما أننا سوف نستعرض ورقة من مذكرات جولدا مائير وورقة من أجندة موشيه ديان ثم بعض الصور الحية من المعارك . . كما جاءت على ألسنة الضباط والجنود الإسرائيليين وكما سجلها الكتاب الإسرائيليون .

ورقة من مذكرات جولدا مائير :

لا شىء أقسى على نفسى من كتابة ما حدث فى أكتوبر ، فلم يكن ذلك حدثاً عسكريًّا رهيباً فقط ، وإنما كان مأساة عاشت وسوف تعيش معى حتى الموت . فلقد وجدت نفسى فجأة أمام أعظم تهديد تعرضت له إسرائيل منذ إنشائها .

ولم تكن الصدمة فقط فى الطريقة التى كانوا يحاربوننا بها . . ولكن أيضاً لأن عدداً من المعتقدات الأساسية التى آمنا بها قد انهارت أمامنا . فقد آمنا باستحالة

وقوع حرب فى شهر أكتوبر . . وآمنا بأننا سوف نتلقى إنذاراً مبكراً لكل تحركات المصريين والسوريين قبل نشوب الحرب ، ثم إيماننا المطلق بقدرتنا التامة على منع المصريين من عبور قناة السويس . . إننى أستعيد الآن هذه الأيام . . إنه شيء لا يمكن وصفه . . يكفى أن أقول إننى لم أستطع البكاء ، وكنت أمشى معظم الوقت فى مكتبى وأحياناً أذهب إلى غرفة العمليات . . وكانت هناك اجتماعات متواصلة وتليفونات من أمريكا وأخبار مروعة من الجبهة . . وخسائرنا تمزق قلبى .

وأذكر أنه فى يوم الأحد عاد ديان من الجبهة المصرية ، وطلب مقابلتى على الفور وأخبرنى أن الموقف سيئ جداً وأنه لا بد من اتخاذ موقف الدفاع وأن تنسحب القوات الإسرائيلية إلى خط دفاع جديد واستمعت إليه فى فزع .

لقد كان المصريون قد عبروا القناة كما أن السوريين تعمقوا فى الجولان وخسائرنا مروعة .

وتساءلت : هل من الضرورى أن أطلع الشعب اليهودى على ما حدث ويحدث فى كل مكان ؟ ! ثم قررت أن أتريث ، وبعد لحظات عاد ديان وأقفل الباب وراءه وقال لى :

« هل تريدين منى أن أستقيل ؟ إننى على استعداد لأن أفعل ذلك فوراً . . وما لم تكن لك ثقةبى فإننى سوف أكون عاجزاً عن فعل أى شيء !

وقلت له : « يجب أن تبقى فى منصبك » ، ثم أرسلت بارليف إلى الجولان ، وقمت بالاتصال على الفور بأمريكا لأطلب المساعدة » .

* * *

وريقات من أجندة موشيه ديان :

« أقول بوضوح إننا لا نملك الآن إمكانية رد المصريين إلى ما وراء القناة . . لقد أضعف الهجوم المصرى قواتنا بصورة متزايدة . . وينبغى علينا أن نخوض الحرب ضد الجندى المصرى والسلاح الذى يملكه . .

إن أخطر ما نواجهه الآن فى سيناء هم المشاة المصريون . . إنهم مزودون بصواريخ صغيرة يختفون بها عن الأنظار ، فإذا ما تقدمت الدبابات الإسرائيلية أطلقوا عليها صواريخهم فيصيبونها وتصبح عاجزة تماماً .

وثمة مشكلة أخرى تواجه طيراننا فهو عاجز عن اختراق شبكات الصواريخ ، المضادة فى مصر وسوريا دون أن يصاب بخسائر فادحة .

لقد أخلينا كافة التحصينات على طول القناة ، وتم ذلك بنظام فى بعض الأحيان ، وفى أحيان أخرى كان الإخلاء بغير نظام .

وفى الجولان لست أعرف ما إذا كنا سنستطيع تحييد سوريا أم لا . . إن ذلك – يكلفنا ثمناً باهظاً . . فتدمير دبابة ليس كسحق زهرة .

. . . .

ولقد استخدم السوريون خلال الأيام الثلاثة الماضية صواريخ أرض أرض من طراز « فروج » وأطلقوا منها ٦ صواريخ استهدفت العمق الإسرائيلى فى الجليل وطبرية . إن هذه الصواريخ ذات مدى يبلغ (٧٠) كيلومتراً ، ولهذا فهى خطيرة جداً لأنها قادرة على إصابة الناصرة ، ومجدل هايك وكريات شمونة وطبرية .

إن نجاح السوريين فى اجتياح الجولان سيضع شمال إسرائيل تحت رحمة صواريخهم ومدافعهم . . ولهذا لا بد من قصف دمشق والمدن الساحلية والأهداف الصناعية فى سوريا . . وسنفعل كل ما فى وسعنا لنتفرغ للجبهة المصرية إذ أن الوضع فيها خطير .

. . وثمة دلالتان هامتان يمكن استيضاحهما من سير القتال فى الأيام الماضية :

أولاً : أدرك العالم كله أننا لسنا بأكثر قوة من العرب ، وأن الهالة التى كانت تقول إنه إذا قام العرب بأى هجوم فإن الإسرائيليين سوف يحطمونهم . . لم يعد لها وجود . . وسوف يتحتم أن نقول الحقيقة للشعب . . سيتحتم أن نعترف بالحقيقة .

وإذا تعذر علينا دفع المصريين إلى الخلف فإنهم سوف يواصلون حشد القوات ، وإننى لأخشى ، إذا ما انتقلوا إلى الهجوم أن نضطر إلى الانسحاب .

إننى لا أستطيع أن أضمن ما سوف يحدث . . ومن المحتمل كثيراً أن نفكر فى الانسحاب إلى خطوط أخرى . . .

إننا لا نستطيع أن نصد المصريين أو نقهرهم فى الوقت الراهن .

ثانياً : إننا ندفع كل يوم الضريبة فى صورة معدات وقوات وطائرات ودبابات . . لقد دمرت المئات من مدرعاتنا فى المعركة . ويوجد منها أعداد لا يمكن الوصول إليها لإصلاحها لأنها بين خطوط العدو . ولسوف نحتاج إلى طائرات جديدة وإلى دبابات وطيارين ومشاة ، وعلينا ألا نعبئ فقط الاحتياطى . . ولكن ربما المتقدمين فى السن

الذين أعفوا من الخدمة فى الاحتياطى !! إننا محتاجون للجميع .

إن أملى ألا يدخل الأردنيون والعراقيون إلى المعركة . . أرجو ألا تفتح الجبهة الشرقية .

إننى أعتقد أن العالم العربى قد استيقظ على هذا المشهد وهو أننا غير قادرين على دفع المصريين والسوريين إلى الخلف » .

« من حديث موشيه ديان فى المؤتمر الصحفى الذى عقده للمراسلين الإسرائيليين فى ٩/١٠/١٩٧٣ – ومنعت الرقابة نشره حتى مارس ١٩٧٤ بعد أن حذفت منه أجزاء تكشف انهياره وخسائر جيش الدفاع الإسرائيلى . »

الورقة التى وضعها طوفان أكتوبر فى ملف ديان :

يقول مؤلفو كتاب « المحدال » :

استمر ديان فى التخبط ، حتى إنه لم يستطع – مثلاً أن يصل إلى قرار حاسم عندما ثار السؤال : ما العمل بالنسبة إلى تحصين « رصيف الميناء » (موقع لسان بور توفيق) جنوبى القناة . لقد كان فى هذا التحصين عدد كبير من جنود جيش الدفاع الجرحى والمعرضين للخطر – ولكن ديان ترك القرار لتقدير قائد التحصين الملازم شلومو أردينست البالغ من العمر ٢٣ عاماً . والذى اختار الاستسلام مع رجاله .

وقد علق أحد المقاتلين على ذلك « **أى وزير دفاع هذا الذى يترك قراراً مصيرياً إلى هذا الحد بين يدى قائد صغير عمره ٢٣ عاماً وذلك حتى لا يتحمل هو مسئولية ما سيحدث ؟**

لقد شكلت حرب الغفران منذ أيامها الأولى صدمة عميقة لوزير الدفاع ، ويبدو أنه لم ينجح حتى نهايتها فى التغلب على الصدمة التى أصابته فى بدايتها ، وقد لوحظ هذا الأمر فى كل المناسبات التى ظهر فيها خلال أيام الحرب فى مقابلاته مع وزراء وأعضاء كنيست ، وصحفيين ، وبصورة أوضح مع قادة الجيش .

لقد كان هذا ديان جديداً لم يعرفه الجنود أبداً من قبل ، ولم يكن هذا هو قائد الأيام الخوالى الشهيرة الذى كان قدومه إليهم يشع حوله جواً من الشجاعة والكبرياء ، والثقة بالنفس .

لقد عاد ديان فى حرب يوم الغفران إلى صورة الإنسان الفانى العادى ، واصطدم الرجل الذى كانت له شعبية فى الشرق الأوسط بأكمله ، بعد الحرب بالظاهرة المذهلة المتمثلة فى فقدانه المطلق لمكانته . لقد تبخرت الأسطورة ! !

لقد كانت استطلاعات الرأى العام التى أجريت فى يونية ١٩٧٠ تدل على أن ديان هو القائد الأكثر شعبية فى نظر ٩١ ٪ من سكان إسرائيل – وفى يناير ١٩٧٢ ارتفعت نسبة شعبيته إلى ٩٥ ٪ – وفى مايو ١٩٧٣ حصل على المركز الأول بين المرشحين لرئاسة الحكومة بعد جولدا مائير .

أما بعد الحرب . فى نوفمبر ١٩٧٣ فإنه لم يحصل إلا على ٢ ٪ من الأصوات فى استقصاء أجرى عن الشخصية التى تصلح لمنصب رئيس الحكومة (هكذا من ٩٥ ٪ إلى ٢ ٪) . . ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد . . بل إن الصحف والجماهير أخذت تطالب باستقالته من منصب وزير الدفاع . وقد حدث ذلك بالفعل .

وهكذا وضعت حرب أكتوبر مستقبل ديان السياسى أمام علامة استفهام كبيرة .

* * *

من أوراق داڤيد أليعازر
رئيس هيئة الأركان لجيش الدفاع الإسرائيلى

« أراهما يقتربان من بعيد بين كثبان الرمال . .
جنرالان صغيران يدخلان خيمة كبيرة
وحرس شرف أزرق يحييهما
وهما يبتسمان . .
. . . .
وأنا أشفق على « أليعازر »
أشفق عليه
عندما أرى أن عظام « الجمسى » سليمة
وإن لم أخطئ فهو أيضاً يبدو مرفوع الرأس
وهو أيضاً يبدو أحسن هنداماً
من ضابطنا أليعازر الذى يبدو منهكاً
. . يبدو مطأطئ الرأس
. . . .
وأنا أصلى لكى لا يتوقفا ، ولكى يدخلا الخيمة المزدحمة
وحتى لا أصاب بخيبة أمل فى آخر لحظة
. . . .
ولكن ما باله – بحق الشيطان – ما باله أليعازر لا يخطو زاهياً
ما باله لا يتبختر – كما قال موليير – كالملوك على المسرح » .

* * *

من قصيدة للكاتب والشاعر الإسرائيلى يهوناتان جيفن . . حين انفعل بمحادثات فصل القوات فى خيمة الأمم المتحدة ، وتصور هذه الخيمة كالآلة التى يدخل الجنرالات من أحد طرفيها فيخرج « سلام » من الطرف الآخر ، ولكن – كما تقول القصيدة –

يبدو أن انفعال الشاعر الإسرائيلى بصورة رئيس أركان جيش الدفاع دافيد أليعازر وهو منهك مطأطئ الرأس وقد فقد خطواته المتبخترة الزاهية - كان الانفعال الأقوى والأكثر عمقاً .

* * *

أشرت إلى أن الفصل الخاص بأوراق جيش الدفاع الإسرائيلى يتضمن جزءاً من أوراق دافيد أليعازر رئيس أركان الجيش الإسرائيلى بعد « أوراق » قد تبدو متناثرة لأنها تأتى على ألسنة عدد كبير من قادة وضباط وجنود وكتاب إسرائيليين وإن كانت فى الحقيقة متصلة فيما بينها إذ يربطها وينتظمها جميعاً تطور سير العمليات القتالية . . وخاصة تلك العمليات التى تعتبر الملامح الأساسية البارزة لحرب أو طوفان أكتوبر ١٩٧٣ .

ولعل اختيارى لأوراق دافيد أليعازر بالذات - حسب ما سجله هو ، وما ذكره أقرب المقربين إليه - يرجع إلى أن موقفه كرئيس للأركان يجعل من أوراقه ملفًّا خاصًّا لجيش الدفاع الإسرائيلى بشكل عام . ومن ثم فإن القسمين اللذين يتكون منهما الفصل الأساسى - أوراق جيش الدفاع الإسرائيلى - يكمل كل منهما الآخر لتكون الصورة - فى النهاية - دقيقة ومفصلة وواضحة من وجهة النظر الإسرائيلية .

وإننى حين أقول إن (أوراق دافيد أليعازر) تكاد تكون أوراق الجيش الإسرائيلى فإننى أقول أيضاً . . إنها تعتبر فى نفس الوقت أوراق موشيه ديان ، وحاييم بارليف ، ورفائيل إيتان ويتسحاق حوفى ، وإلياهو زاعيرا وإسرائيل طال وإريك شارون وشموئيل جونين ، وبنيامين بيليد . . بل إنها أوراق جميع الجنرالات الإسرائيليين - « المذهبين » . . كما أنها أوراق جولدا مائير ووزرائها .

ولعل المغزى الهام لاختيار أوراق واحد من ألمع وأكبر جنرالات إسرائيل يرتبط بواحدة من أهم نتائج حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ . وهى سقوط الهالة التى أحاطت بهؤلاء الجنرالات . . وكشف زيف الصفات الأسطورية التى رسمتها الدعاية الصهيونية لهم . . فإذا بهم يسيرون « منهكين مطأطئى الرءوس . . لا تتبختر خطواتهم كملوك المسرح . . فقدوا لمعانهم وزهوهم » . بينما - على الطرف الآخر - يقف جنرالات مصر . . « مرفوعى الرءوس . . ثابتى الخطوات ، سليمة عظامهم » (يعنى لم تتحطم عظامهم أو تدق لحومهم كما وعد أليعازر نفسه فى ثالث أيام الحرب . .) .

لقد كان سقوط هؤلاء القادة والجنرالات الإسرائيليين رمزاً صارخاً لسقوط أسطورة

الجيش الإسرائيلى الذى قيل إنه لا يقهر .

تماماً . . . تماماً مثلما كان سقوط خط بارليف . يعنى سقوط رمز عالمى لقوة إسرائيل ومنعتها كما قال أكثر من كاتب إسرائيلى .

. . . .

وحتى يتضح الحجم الهائل لسقوط جنرالات إسرائيل بما له من دلالة تاريخية يكفى أن نلقى نظرة سريعة على صورتهم السابقة (قبل تلك الصورة التى رسمها شاعرهم « يهوناتان جيفن » لدافيد أليعازر رمزاً لهم جميعاً) .

يقول مؤلفو كتاب المحدال :

(كان كبار قادة الجيش الإسرائيلى – بعد عام ١٩٦٧ – يتنقلون من موكب نصر إلى آخر ومن مأدبة نصر إلى أخرى ، وتم تخليدهم جميعاً بمئات ألبومات النصر التى غمرت العالم كله .

ونزل كبار القادة والجنرالات من الصحافة وشاشات التليفزيون إلى صفحات الألبومات ، فقد أصبحت ظاهرة الألبومات مثلاً يحتذى به . لقد أصدرها الناشرون الخصوصيون فى الأسواق ، وتخاطفها الجميع كالكعك الطازج ، أما القيادات والوحدات فقد أصدرت ألبومات خاصة بها ، ونشرت فى أحد هذه الألبومات صورة أحد القادة لا أقل من ٢٠ مرة .

وقد درج قول على أحد القادة أنه (مسفوع من وميض أضواء آلات التصوير المتوهجة) . وقالوا عن آخر « إنه لا ينبس ببنت شفة إلا إذا وضعوا أمامه ميكرفون » .

. . . تلك كانت صورة قادة وجنرالات إسرائيل . . داخل إسرائيل وخارجها ، بل إنهم فى الخارج قالوا إن على الأكاديميات العسكرية العالمية أن تدرس نظريات وأساليب هؤلاء الجنرالات العظام فى إسرائيل .

وتشدنى المفارقة الهائلة . لأجد نفسى وأنا أشير مرة أخرى إلى الصورة التى رسمها الشاعر الإسرائيلى لرئيس هيئة أركان جيش الدفاع وهو منهك ، مطأطئ الرأس ، فقدت خطواته تبخترها وزهوها . .

بل إننى أشير على عجل إلى السقوط المدوى لمعشوق إسرائيل الجنرال موشيه ديان الذى اشترك ابنه فى مظاهرات ضده تصيح فى وجهه « أنت وزير العار» . وطار بعد ذلك كرسى الوزارة من تحته بعد أن كان يحلم قبل أيام من حرب أكتوبر بكرسى رئاسة

الوزارة نفسها . وتتابع من بعده سقوط معظم الجنرالات الذهبيين .

. . ترى هل أوضحت هدفى من تخصيص قسم مستقل من ملفات جيش الدفاع الإسرائيلى لأوراق واحد من كبار الجنرالات الإسرائيليين . . دافيد أليعازر .

أرجو ذلك . .

ثم أدعوك (أخى القارئ) إلى وقفة سريعة نتعرف من خلالها على صاحب الأوراق القادمة . . منذ هاجر إلى إسرائيل من يوغوسلافيا . . إلى أن تقلد أخطر منصب فى جيش الدفاع الإسرائيلى .

من هو دافيد أليعازر ؟

يقول مؤلفو كتاب (يوم كيبور) من محررى الصنداى تايمز إن حياة دافيد أليعازر تكاد تغطى قصة الجيش الإسرائيلى .

فما هى أبرز العلامات فى حياة رئيس الأركان الإسرائيلى السابق ؟

الاسم : دافيد أليعازر

اسم الشهرة : دادو

تاريخ الميلاد : عام ١٩٢٥

جهة الميلاد : مدينة سيرايفوبيوغوسلافيا . حيث كان أبوه ضابطاً فى الجيش اليوغوسلافى ، وما زال يعيش هناك .

« دادو » فى إسرائيل :

فى عام ١٩٤٠ وقبل أن يتخطى عامه الخامس عشر هاجر دادو (دافيد أليعازر) إلى فلسطين حيث لحق بصديق الطفولة « حاييم بارليف » الذى وصل من يوغوسلافيا إلى فلسطين فى العام السابق فقط .

وقد ذهب دادو إلى إحدى الكيبوتسات حيث التقى بعد ذلك بزوجة المستقبل . لكن خط حياته العملية تحدد فى عام ١٩٤٦ ، عند ما التحق بمنظمة « البالماخ » وهى القوة الضاربة للمليشيا اليهودية غير الشرعية : « الهاجاناه » التى أعلنت ثورتها ضد الحكم البريطانى ، وقادت حرباً وحشية مرعبة ضد العرب الفلسطينيين .

وبمجرد انسحاب القوات البريطانية . . وفى المعركة الشاملة التى أعقبت ذلك الانسحاب أصبحت البالماخ بعد أن تم تنظيمها « الذراع الإرهابية للقوات اليهودية » . وفى محاولة لتخليص المدافعين عن الجزء اليهودى من القدس والذين تعرضوا للقصف الشديد فى عام ١٩٤٨ وجهت البالماخ فصيلتين من رجالها . وقد استرعى أليعازر اهتمام رؤسائه فى هذه العملية حتى إنه عين قائداً لإحدى هاتين الفصيلتين .

ولقد أجبرت البالماخ على الانسحاب بعد مجهود ضخم برز فيه أليعازر الذى أخذ نجمه يرتفع بسرعة .

وحيث إن إسرائيل ظلت تعتمد على المشاة حتى عام ١٩٥٦ ، فقد كان أليعازر مديراً لمدرسة المشاة فى ذلك العام (١٩٥٦) وقد قاد فرقة مشاة فى حرب ١٩٥٦ القصيرة – وكانت مهمة فرقته الاستيلاء على قطاع غزة .

ولما كان من الدروس التى استوعبتها إسرائيل من حرب ١٩٥٦ ضرورة الاهتمام بسلاح المدرعات ، فقد تولى حايم بارليف مسئولية إنشاء فرق مدرعة ، وقد انضم إليه أليعازر فى فرق الدبابات . (وكان رفاقهما يبدون ضيقهم وتبرمهم حينما كان الاثنان « بارليف » و « أليعازر» بحكم صداقة الطفولة والصبا ، ينسيان أحياناً ويتحدثان بلغة بلدهما الأصلية) . . وقد خلف أليعازر بعد ذلك رفيقه بارليف فى منصب قائد المدرعات الإسرائيلية (ولقد ظل أليعازر يرتدى دائماً بيريه رجال المدرعات الأسود .

وفى عام ١٩٦٧ تولى (دادو) قيادة الجبهة الشمالية وقاد الهجوم على مرتفعات الجولان ، ومنذ ذلك الحين اكتسب شعبيته وشهرته الواسعة ثم أصبح نائب رئيس هيئة الأركان فى عام ١٩٦٨ (وكان رئيس الأركان هو بارليف) وقد نجح بارليف فى تعيين أليعازر فى هذا المنصب برغم أن ديان سعى إلى أن يعين فيه « يشعياهو جافيتش » . ولما كان بارليف قد وجه معظم اهتمامه أثناء حرب الاستنزاف (١٩٦٩ – ١٩٧٠) إلى بناء خط التحصينات الذى حمل اسمه فقد كان على مساعده أليعازر أن يتولى هو أمر المدرعات التى أكدت مكانتها فى حرب ١٩٦٧ وأصبحت حجر الزاوية فى الفكر التكتيكى الإسرائيلى . . ثم خلف أليعازر صديقه بارليف مرة أخرى فى منصبه فأصبح رئيساً لهيئة الأركان لجيش الدفاع الإسرائيلى فى « ١ يناير ١٩٧٢ » واختار اللواء إسرائيل طال نائباً له .

وقد كان اختيار أليعازر رئيساً للأركان . . حلاً مرضياً ، وقد وصف أحد الصحفيين

أسلوبه التكتيكى بقوله « إن أليعازر يستخدم تكتيك الكلب الضخم الذى يقضم قطعة كبيرة ثم يتشبث بها » .

وقد كان لأليعازر شعبية واسعة . .

وهو الآن فى الخمسين . . ممتلئ الجسم فى رشاقة . .

وفى استفتاء أجرته – قبل الحرب بأيام – « مجلة المرأة » اختارته المشتركات فى هذا الاستفتاء ليكون (زوجهن المثالى) .

ولم تمض أيام حتى كان أليعازر يواجه أضخم مسئولية عسكرية فى تاريخ إسرائيل وهى مواجهة الجيشين المصرى والسورى . . فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

هذا هو رئيس هيئة الأركان الإسرائيلى الجنرال دافيد أليعازر وتلك هى أبرز معالم حياته الشخصية والعسكرية . وقد توقفنا عند المنعطف الخطير فى حياته . حين وجد نفسه فجأة مسئولاً عن جيش الدفاع الإسرائيلى . . فى مواجهة الطوفان المصرى السورى ابتداء من الثانية وخمس دقائق من ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ . . أقول كان هو المسئول الفعلى عن الدخول بالجيش الذى لا يقهر فى أول مواجهة حقيقية مع الجيش المصرى والسورى . لأن وزير الدفاع انهار فى الأيام الأولى من الحرب . وإذا كان أليعازر قد انهار فعلاً هو الآخر كما انهار قائد الجبهة الجنوبية (جونين) إلا أن أليعازر ظل ممسكاً بالخيوط فى يده – مضطرًّا – حين أبعد ديان عن نفسه معظم المسئوليات وإن كانت هناك رواية لا أرفضها تماماً – تقول إن مائير وديان قد سارعا باستدعاء الجنرالات القدامى أمثال بارليف وموردخاى هود ، ورحيعام زئيفى وغيرهم . . ليشاركوا فى إدارة العمليات بدلاً من عزل ديان وأليعازر خوفاً من تأثير ذلك على الروح المعنوية للقوات والشعب . .

لكن الثابت والذى لا يحتاج إلى مناقشة لتأكيده هو أن دافيد أليعازر . . ظل رئيساً لهيئة الأركان حتى عام ١٩٧٤ . كما أن الآراء اختلفت حوله – بغض النظر عن الرأى الرسمى للجنة أجرانات . .

وأخيراً وقبل أن ننتقل إلى « أوراقه » نقرأ هذه السطور التى قد تكون بمثابة مؤشر إلى فكره العسكرى .

فقد قال أليعازر فى نوفمبر ١٩٧٢ :

« إن الأسلوب الدفاعى لا يؤدى إلى كسب الحرب ولهذا فسوف يكون صراعنا ضد العرب دائماً هجومياً ، ولسوف نحتفظ فى أيدينا بزمام المبادرة التى نستطيع بفضلها أن

نفرض الإيقاع الذى نعتزم فرضه على هذا الصراع .

إن الأسلوب الإسرائيلى موضوع على أساس تحطيم الروح المعنوية للمصريين بوجه خاص ، وإعطائهم الإحساس الدائم بعدم الأمان وإقناعهم بأنهم لن يتمكنوا أبداً من القيام بحشد قواتهم أوحتى مجرد إعدادها للقتال » .

* * *

من محتويات أوراق رئيس الأركان الإسرائيلى . . دافيد أليعازر :

- شيء ما فى الأفق .
- أكبر مفاجأة بالنسبة ليتسحاق حوفى
- ماذا كان سؤال . . المسئول الكبير فى المخابرات الأمريكية ؟
- ما العمل إذا كانت هذه المرة . . حقيقة ؟
- مؤتمر صحفى فى منشأة بحرية
- ماذا دار فى اجتماع وزارة الحرب يوم ٣ أكتوبر ١٩٧٣ ؟
- التطورات الخطيرة
- حسناً فعلت يا دادو
- حين دق جرس التليفون فى منزل أليعازر فى الساعة ٣,٥٥ صباحاً
- جولدا تقول إن العالم لا يهمنى
- ماذا قال ألبرت لجونين رداً على تعليماته بدفع المدرعات إلى الأمام ؟
- وظهرت مفاجآت كثيرة
- إنهم يهجمون فى جماعات وراء جماعات كالصينيين
- ديان تنتابه أزمة انهيار وتشاؤم
- ليس أمامنا خيار
- وقال ديان لجولدا فى استسلام كامل . . . . . .
- هل نعزل شارون ؟
- ذراع المشاة المصريين أطول من مدافع الدبابات الإسرائيلية
- النجدة الأمريكية
- الرقص إلى الأمام . . وإلى الخلف

- مأساة قوات آدن
- ماذا فى الجولان ؟
- لماذا صرخ الصحفى الإسرائيلى فى وجه ديان
- اليوم الأسود . . واليوم الأكثر سواداً
- وكان ألبرت من أفضل رجال مدرعاتنا
- ساحة القتال الدامية
- معركة المزرعة الصينية
- عملية الثغرة بالتفصيل
- الحبل السرى
- هل نلغى العملية ؟
- أقول لك . إنها حرب رهيبة
- ونجوت بأعجوبة
- ومأساة أخرى فى « ميسورى »
- السويس يجب ألا تكون ستالينجراد أخرى
- رأى أليعازر فى ثغرة شارون
- النص الكامل لتقرير لجنة أجرانات عن دافيد أليعازر

* * *

الأوراق

شيء ما فى الأفق :

اليوم ٢٦ سبتمبر ١٩٧٣ تبدأ احتفالات رأس السنة العبرية . لكن يبدو أننا نحن العسكريين ليس لنا حظ مع هذه المناسبات والاحتفالات .

اتجه اليوم موشيه ديان إلى الجولان وقام بجولة على خط وقف إطلاق النار مع السوريين ، فى طائرة هليوكبتر . وقد آثرت ألا أصحبه فى هذه الجولة لعدة اعتبارات .

منذ يومين (فى ٢٤ سبتمبر) قام وزير الحربية المصرى أحمد إسماعيل بجولة خلف

خط وقف إطلاق النار ، وقد نشرت الصحف المصرية هذا الخبر وقالت إنه قام بزيارة خط الجبهة للجيوش التى تقوم بمناورات واسعة .

استعرضت أنا وديان تقارير المخابرات . ثمة إجماع على أن المناورات هى جزء من المناورات الموسمية المعتادة . ولكننى أشعر بالقلق ، ويشاركنى ديان فى هذا الشعور . وإن كان الرد الإجماعى لنا على الاتصال الذى تم اليوم بين المخابرات الأمريكية وبيننا – على أعلى المستويات – أن ما لاحظته المخابرات المركزية لا يدعو للقلق فالعرب لن يحاربوا . إن ثمة اقتناعاً لدينا فى القيادة العامة بأن السوريين سيحاولون الانتقام لطائراتهم الثلاثة عشرة التى أسقطها طيارونا فى ١٣ سبتمبر (حين حلق أحد أسرابنا فوق البحر الأبيض ، فى اتجاه الميناء السورى طرطوس الذى يبعد عن إسرائيل أكثر من ٢٠٠ كيلومتر ، وحاولت الطائرات السورية اعتراض طائراتنا (قالوا هم إن طيراننا دخل عمقهم للاستطلاع والتصوير) . المهم أنه نشبت معركة جوية لمدة خمس دقائق بين ١٦ طائرة ميج سورية و ١٢ طائرة من سلاحنا (فانتوم وميراج) وقد تم إسقاط ٩ طائرات سورية ، وأصيبت لنا طائرة نجح قائدها فى الهبوط بمظلته فى البحر ، وعند ما قامت طائراتنا بحماية الطيار الهابط إلى أن وصلت طائرة هليوكبتر لإنقاذه . حاولت أربع طائرات ميج ٢١ عرقلة العملية فتم إسقاطها جميعها ، وبذلك بلغ مجموع ما أسقطناه لهم من طائرات ثلاثة عشرة طائرة) .

لقد أثبت طيارونا تفوقهم الساحق ، وكانت فرصة ليعرف العرب حدودهم تماماً . . لكن السوريين سيحاولون عمل أى شىء ، وقد يكتفون بضربة واحدة تستغرق عدة ساعات .

ناقشنا أيضاً احتمال قيام المدرعات السورية بالدخول إلى هضبة الجولان واحتلال إحدى المستوطنات ولو لعدة ساعات فقط كعملية نفسية لا أكثر .

هذا وقد قام السوريون بنقل بعض قواتهم من حدود الأردن إلى جبهتنا فى يوم ١٤ سبتمبر . والتفسير المنطقى لهذه الخطوة هو أن سوريا تظهر للأردن حسن نواياها بعد أن استأنفت الدولتان علاقاتهما الدبلوماسية .

مع ذلك فقد اتفقت مع ديان على نقل بطاريتى مدفعية من سيناء إلى الهضبة فنحن مطمئنون إلى الجبهة المصرية التى لا تدعو إلى القلق . كذلك نقلنا ألوية مدرعة من الجنوب إلى الشمال .

من جهة أخرى وصلت أخبار من سوريا طيبة للغاية ، لقد انفجرت الخلافات بين حكومة دمشق من جهة والخبراء الروس من جهة أخرى . على أثر المعركة الجوية . إذ أن سلاح الجو السورى أبدى عدم الرضا عن الطائرات الروسية الميج ٢١ ، وأخذت دمشق تطالب الروس بإلحاح بأن يزودوها بطائرات ميج ٢٥ حتى يستطيعوا مواجهة طيراننا – وأنا شخصياً إذا كنت أعتبر أن الميج ٢٥ طائرة خطيرة إلا أن المشكلة ليست فى الطائرات بقدر ما هى فى مستوى الطيارين العرب بشكل عام المهم أن سوريا بدأت بالفعل ضغطها على الروس وقد تم تحديد تحركات الخبراء الروس داخل سوريا – ومن الممكن أن تنتهى هذه التطورات بطرد هؤلاء الخبراء من سوريا كما فعل السادات فى مصر ، . . وإذا ما حدثت هذه الخطوة فإن الجبهة السورية لن تقل أماناً عن الجبهة المصرية .

اقترح ديان أن أتوجه إلى هضبة الجولان لمقابلة ممثلى المستوطنات .

ومن جهة أخرى مارس ديان هوايته فبعد أن صرح بأن السوريين أقاموا شبكة صواريخ ضد الطائرات لا تكاد تقل عن الشبكة المصرية . . قال ديان للصحفيين المرافقين . والكلام للسوريين بالطبع :

« فلتعلم دمشق بأن جيش الدفاع الإسرائيلى سيرد بشدة وقسوة على التحرشات السورية » .

فى نفس الوقت اتفق ديان فى لقائه مع اللواء يتسحاق حوفى قائد الجبهة الشمالية بأنه لن يمنع حركة المتنزهين من الإسرائيليين والسواح فى هضبة الجولان فى رأس السنة .

وقد قال لنا (يتسحاق حوفى) إن الحدود مع سوريا أكثر خطراً ، وطالب بأن نوجه إليها اهتماماً أكبر ، إذ أن خط وقف إطلاق النار بين إسرائيل وسوريا لا يوجد فيه عائق مائى طبيعى كقناة السويس ، ومن السهل أن تتحرك المدرعات والوحدات الآلية السورية من حالة الدفاع إلى الهجوم .

وقد أعرب حوفى عن مخاوف كثيرة ، وأخذ يردد بأن مهمته كقائد للجبهة الشمالية . تبدو للبعض بأنها سهلة ميسورة بالمقارنة بمهمة جونين على الجبهة المصرية على أساس أن الجيش المصرى هو أكبر الجيوش العربية ، ولكن هؤلاء يغفلون حقيقة أن صحراء سيناء تفصل بين الجيش المصرى والتجمعات السكانية فى إسرائيل ، بعكس الوضع فى الجبهة السورية حيث يستطيع السوريون – لو قاموا بزحزحة جيش الدفاع الإسرائيلى عن هضبة

الجولان أن ينقلوا المعركة إلى قلب إسرائيل . . وأشار (حوفى) – فى قلق – إلى الأنباء التى تواترت عن تزويد الاتحاد السوفييتى للسوريين بصواريخ أرض – أرض من نوع « فروج » التى يصل مداها إلى حوالى ٩٠ كيلومتراً .

وقد اتفقنا على تخصيص مبلغ إضافى من المال لاستكمال إنشاء قناة ألون المضادة للدبابات .

ولقد كان الشعور السائد فى إسرائيل كلها أن شيئاً ما لن يقع ، فالعرب يعرفون جيداً استعدادنا لردعهم بأقصى سرعة ، وهم لن ينسوا ما جرى لهم فى ١٩٦٧ . بل إن اللواء (حوفى) نفسه برغم القلق الذى أبداه لنا فى ذلك اليوم اعترف لى ولكاتب عسكرى مشهور بقوله : (كانت أكبر مفاجأة بالنسبة لى فى هذه الحرب هى كونها نشبت ، فبرغم أننى كنت أخشى أن الأمر سيحدث فإننى لم أكن أؤمن بذلك » .

ما بين القلق الشديد . . والاطمئنان البالغ :

فى ذلك اليوم (٣٠ سبتمبر ١٩٧٣) قابل مسئول كبير جدًّا فى المخابرات المركزية الأمريكية شخصية هامة فى مخابراتنا ، وسأله – مرة أخرى – بماذا تفسرون هذه الحشود المتزايدة للقوات المصرية والسورية ؟ إن وسائل استطلاعنا تؤكد ضخامة هذه الحشود ؟

وقد جاءه الرد هذه المرة أيضاً بأن اطمئناننا لعدم إقدام العرب على الحرب قائم على فهم جيد جدًّا لهم ولقياداتهم فى مصر وسوريا . وأشار إلى ضعف حكومة السادات وسخرية المصريين أنفسهم من حديثه عن الحرب .

وقبل مسئول المخابرات الأمريكية هذا التفسير وقال : « إنهم هناك – فى أمريكا – يثقون إلى حد كبير فى مخابراتكم النشطة الممتازة » .

ومع ذلك فإننى شخصيًّا كان يتنازعنى القلق والاطمئنان ، فبينما كنت لا أستطيع أن أطمئن تماماً لما يجرى من استعدادات على الجبهتين المصرية والسورية كنت فى نفس الوقت لا أجد ما يبرر القلق الشديد .

هذا وقد تم اليوم اجتماع مصغر لمجموعة القمة فى جيش الدفاع ، اشترك معى فيه نائبى ورئيس قسم القيادة العامة اللواء (إسرائيل طال) ورئيس « الموساد » اللواء زيفى زامير ، ورئيس الاستخبارات العسكرية إيلى زعيرا .

وكان « زامير » أكثرنا قلقاً ، وقد تحدث عن حصول بعض رجال « الموساد » على ما يفيد بوجود خطة للفريق أحمد إسماعيل على لشن الحرب .

وثار سؤال حول مدى صحة هذه المعلومة . وإذا كانت صحيحة فعلاً فمتى يحتمل أن يشن المصريون الحرب ؟

لكن « زاعيرا » كان واثقاً ومطمئناً ، وأبدى ثقته فى أن المخابرات العسكرية سوف تحصل على ما يؤكد الحرب قبل اندلاعها بثمان وأربعين ساعة عل الأقل . ثم كرر قوله بأن التحليلات العسكرية . تؤكد أن ما يجرى الآن ليس أكثر من مناورات تدريبية على الجبهتين ولا صلة بينهما .

ثم انتقلنا بعد ذلك إلى الحديث عن وضع قواتنا ، فالجيش فى حالة تأهب على أى حال ، والتعزيزات فى طريقها إلى الجولان .

وكان اللواء (طال) قلقاً بالنسبة لجبهة الجولان بصفة خاصة ، وقال إنه يرى أن نعلن التعبئة الجزئية .

وهنا أشرت أنا إلى الإنذارات الثلاثة المخطئة فى الشهور التسعة الماضية ، وخاصة ما حدث فى مايو من تعبئة القوات وما تكلفته خزينة الدولة . وقلت لهم : إننى أبداً لا أستطيع أن أنسى كيف صممت على إعلان التعبئة فى ذلك الوقت .

وسألنى اللواء طال « ولكن ما العمل إذا كانت هذه المرة حقيقة ؟ » ولكنه على أى حال لم يلح على رغبته فى إعلان التعبئة متخوفاً هو الآخر من استنزاف جديد للميزانية بدون مبرر .

. . وهكذا انتهى الاجتماع دون أن يتحدد شيء نبنى عليه مانحتاج إليه من خطوات . .

. . . .

مؤتمر صحفى فى منشأة بحرية :

التقيت اليوم (١٩٧٣/١٠/٣) بمجموعة من محررى الصحف الإسرائيلية الذين استضافهم سلاح البحرية لمشاهدة سفينة الصواريخ الجديدة ، وكما توقعت سألنى أحدهم عن الموقف فى الجبهة الشمالية ، وقلت له : « إن هناك استعدادات . . والسوريون يقومون بتركيز قواتهم ، ولكن ذلك تأهب دفاعى ، فهم على الأرجح يفكرون فى عملية انتقامية محدودة ، ولكنهم يخشون رد فعلنا القاسى – ثم انتقلت بعد هذا اللقاء مع

الصحفيين فى المنشأة البحرية إلى قرية (مقبيه) حيث حضرت جزءاً من الاحتفال بيوم المظليين . وأذكر أننى قلت فى هذا الاحتفال : « إن على أعدائنا أن يعرفوا أن إسرائيل تستطيع أن تصل بمظلييها إلى أبعد الأهداف فى عمق أى بلد عربى » ومن البديهى أننى قلت هذه الكلمات وعينى على الحشود التى تزايدت على الحدود .

. . . .

فى نفس هذا اليوم (٣ أكتوبر ١٩٧٣) عقدت جولدا مائير اجتماعاً على مستوى عال لما عرف بعد ذلك باسم « وزارة الحرب » ، وقد اشترك فى هذا الاجتماع بالإضافة إلى رئيسة الحكومة ، موشيه ديان وزير الدفاع ، وإيجال آلون نائب رئيسة الحكومة ، ويسرائيل جاليلى الوزير بلا وزارة ، وأنا ، والجنرال إلياهو زعيرا رئيس شعبة الاستخبارات ومساعده آريبه شاليف .

وقد اتفق الرأى على أن الحشود المصرية السورية « معززة » ، ولكنها لا تتخطى الاستعدادات التى تتبع عادة فى المناورات . كما حدث أحياناً فى الماضى ، وبالتالى فإن احتمالات الحرب ضيئلة وحينما تحدثت عن أهمية استدعاء الاحتياط . . اتفق الجميع على أنه لا لزوم لهذه الخطوة ، وقد قبلت وجهة نظرهم ، خاصة حينما تعهد إلياهو زعيرا بأن شعبة الاستخبارات العسكرية سيكون بإمكانها فى أى حال أن تعمم إنذاراً قبل ٤٨ ساعة من الحرب إذا كانت ستندلع حقًّا .

وقد قال وزير – لن أذكر اسمه – « إننى أقترح على شعبة الاستخبارات العسكرية أن تفكر مليًّا فى احتمال أن بعض الخطوات التى اتخذها المصريون ، والتى عرضت أمامنا فى هذه الجلسة ، لا تهدف إلى تحويل الأنظار فقط ، بل إنهم ينوون فى الحقيقة القيام بشىء جاد » .

. . . .

وقد دعت رئيسة الحكومة – فى مساء اليوم – الوزراء إلى جلسة خاصة لمناقشة نتائج مباحثاتها مع مستشار النمسا « كرايسكى » ولم يخرج هذا الاجتماع عن تلك المباحثات ، وكانت جولدا تقاوم مشاعر الضيق لأن هذا الرجل اليهودى قد تأثر بالضغط العربى ، ولم يتراجع عن تعهداته للإرهابيين الفلسطينيين بإغلاق قصر شويناو ، وإلغاء التسهيلات التى كانت تقدمها حكومة النمسا للمهاجرين اليهود السوفييت .

ولعل اقتصار هذه الجلسة على أزمة « شويناو » . . يرجع إلى نتائج الجلسة السابقة التى أكدت أن احتمالات الحرب ضئيلة للغاية .

تحول خطير :

عرضت على اليوم ١٠/٤ الصور الجوية ، التى التقطتها طائرات الاستطلاع وكان واضحاً أن القوات المصرية تأخذ استعداداتها أوضاعاً هجومية . وقد سألت « إيلى » عن مغزى ذلك ، وقلت له : إنكم تقولون بأنه ليس هناك دليل على أن الحرب سوف تنشب . فهل لديكم معلومات إيجابية بأنه لن تقع الحرب ؟

. . أمسك « آرييه شاليف » بالصور الجوية . وقال لى : « نعم إن هناك خبراً فى هذا الموضوع » وأخذ يشرح استنتاجاته بأن المصريين – بضعفهم – لن يشنوا الحرب – وعاد يكرر أنها مجرد مناورات لامتصاص غضب وضيق الجيش المصرى ، وأيضاً للاستهلاك المحلى بالنسبة للجبهة الداخلية .

مع ذلك كان لا بد من اتخاذ قرار . وقد أصدرت قراراً بالاستعداد لفرض حالة التأهب ج . وعلى الفور ألغيت جميع الإجازات . . وكانت المعلومات تتواتر من مصادر مختلفة عن رحيل الرعايا السوفييت من سوريا ومصر ، وفى ذلك دلالة أخرى يجب أن توضع فى الاعتبار .

٥/١٠/١٩٧٣ :

دار نقاش واسع (فى رئاسة الأركان) حول المناورة التى يقوم بها الجيش المصرى ، واشترك فى هذا النقاش وزير الدفاع موشيه ديان . ما زالت مخابراتنا متمسكة برأيها بأن احتمالات الحرب ضعيفة ، وقد بررت قيادة المخابرات مسألة رحيل عائلات المستشارين السوفييت بأنه من الجائز أن تكون قد نشبت أزمة فى العلاقات بين سوريا والاتحاد السوفييتى . وقد دعم هذا الاستنتاج أن من بين الروس الذين تم ترحيلهم مستشارين لا يعتقد أن سوريا تستغنى عنهم لو كانت تفكر فعلاً فى دخول حرب .

. . مع ذلك كان علينا أن ندرس أخبار تعديل أوضاع القوات السورية والمصرية . التى استدعت احتياطياتها . .

. . فعلى الجبهة السورية . . أصبح واضحاً أن القوات تتأهب لتأخذ وضعاً هجوميًّا . حيث تم تقديم المدفعية المتوسطة كما تم نقل كميات كبيرة من المدرعات الملحقة بفرقة المشاة إلى الخط الأمامى ، وأيضاً تم نقل طائرات قاذفة من أماكن وجودها فى المغارات

الداخلية إلى المغارات الأمامية .

وعلى الجبهة المصرية . . تحدث تطورات مماثلة ، فالمدفعية تتدفق على الجبهة ، وقوات كبيرة تعسكر فى العادة حول القاهرة تم نقلها إلى الجبهة – وقد شوهد عند قطاع المثلث والفردان ما يمكن أن يكون أجهزة للعبور .

أصدرت الأوامر لإذاعة الجيش بأن تكون على أتم استعداد لاستئناف البث حيث أن الإذاعة الرسمية ستتوقف غداً بمناسبة يوم الغفران . . وأحيطت أجهزة الشرطة بضرورة إعداد سيارات تحمل مكبرات صوت للمشاركة فى عملية التعبئة .

استكمالاً للاستعدادات تم إرسال عدد من المهندسين إلى الجنوب لفحص منشآت النيران المجهزة لإشعال القناة إذا ما حاول المصريون العبور .

دعت رئيسة الحكومة مجدداً « وزارة الحرب » إلى الاجتماع اليوم ، واشترك هذه المرة إلى جانب مائير والوزيرين جاليلى وديان « حاييم بارليف (وزير التجارة والصناعة) والوزيران بيريز وحزانى ، وكذلك وصل شلومو هيلل وزير الشرطة الذى كان فى ذلك الوقت موجوداً فى كيبوته (جينوسار) فى شمالى البلاد ، لتمضية العيد هناك . وقد حضرت هذا الاجتماع الذى بدأ بتقرير الاستخبارات العسكرية ، الذى أعطىٰ اليوم دلالة أكثر أهمية . ولكن لم يكن قد برز فيه التوتر الكبير الذى ميز الأنباء الأخيرة التى وصلت من مصادر أخرى .

واقترحت – من جهتى – إعلان حالة التأهب (ج) وهى أقصى درجات التأهب التى لم تعلن منذ انتهاء حرب الاستنزاف « . وأعلنت لرئيسة الحكومة وأعضاء المجلس أننى أصدرت تعليماتى بإلغاء إجازات الجنود فى كلا الجبهتين » .

ونظر ديان ناحيتى وقال بإيجاز غير عادى « حسناً فعلت يادادو . . افعل المزيد » ولكنه لم يقترح دعوة الاحتياط .

وقد أصدرت أنا فى نطاق « التأهب ج » تعليمات بنقل إنذار خاص إلى قادة الفرق المدرعة ، وبناء على هذه التعليمات وضع سلاح الجو فى حالة تأهب عليا استعداداً لهجوم محتمل .

وقد أجاب بارليف على سؤال حول رأيه فى الوضع القائم فقال : « إننا مستعدون بما لدينا من دبابات فى سيناء أن نوقف الدبابات المصرية . » ثم رددت أنا على تساؤل حول احتمال الحرب (وجه إلىَّ فى نهاية الجلسة) ، وقلت للمجتمعين « إننى لا أستطيع أن أضمن عدم وقوع الحرب وإن كنت لا أستطيع فى نفس الوقت أن أجزم بأنها ستقع

« . واتجه جاليلى بالسؤال إلى « بيريز » قائلاً له:« ما رأيك فيما قاله دادو ؟ » فأجاب بيريز الذى كان على عتبة الباب : « لا أدرى . . وأخشى أن تقع الحرب فعلاً » . وقد نبهت جولدا على سكرتير الحكومة بالاستعلام عن أماكن وجود جميع الوزراء ليتيسر دعوتهم إلى اجتماع عاجل يوم السبت .

وقد وصلت بقية اللواء المدرع الذى بدأ تحريكه يوم ٢٧ / ٩ إلى مواقعها فى الجولان – كما أرسل لواء مدرع آخر إلى سيناء .

حالة التأهب كاملة فى جميع الأسلحة :

لم أغادر مكتبى برئاسة الأركان إلى منزلى إلا بعد منتصف الليل ، وكنت أشعر بالقلق والحيرة ، فمازلت أذكر تلك الفترة من شهر مايو ١٩٧٣ حينما وصلت أنباء عن حشود عسكرية على طول الحدود ، وانتهت تحليلات المخابرات إلى أن الحرب سوف تنشب بل إنها حددت تواريخ نشوبها متناقضة مع رأيها الذى سجلته أيضاً فى نفس التحليل – بأن من غير المنطقى أو المتوقع أن يقدم المصريون على الحرب .

وقد تصرفت أنا على أساس الجزء الأول من التحليل والذى يؤكد احتمال وقع الحرب ، وأصدرت أمراً بحالة التأهب ، واتخذت عدة أعمال استعداداً لهذه الحرب لكن المصريين والسوريين لم يتحركوا . . ولم يحدث – بالتالى – أى شيء وكانت النتيجة أننى – كما قال صحفى سخيف – كلفت الدولة أكثر من ٦١ مليون ليرة بقرار غير متريث .

ترى هل يحدث نفس الشيء هذه المرة أيضاً ، وأكون قد كلفت الدولة أعباء أخرى بدون مناسبة ؟ لقد كان هذا أخشى ما أخشاه . .

النبأ الخطير :

لم أنم ساعتين فقط . لقد دق جرس التليفون فى منزلى فى الساعة الثالثة وخمسين دقيقة صباحاً .

ولم أكن أنا وحدى الذى دق جرس تليفونه فى هذا الوقت لقد حدث نفس الشيء. عند رئيسة الوزراء وموشيه ديان ، وإيلى زعيرا رئيس شعبة الاستخبارات برئاسة الأركان .

وكان النبأ الذى حملته هذه الاتصالات هو أن مصر وسوريا سيبدآن الحرب اليوم (٦ / ١٠ / ١٩٧٣) فى الساعة السادسة مساء وكان مصدر النبأ موثوقاً به للغاية .

وبينما كنت أرتدى ملابسى العسكرية على عجل اتصلت بقائد السلاح الجوى وسألته : متى يكون السلاح الجوى مستعداً للهجوم ؟ وأجابنى (بيلد) قائلا : « كما اتفقنا أمس فى الساعة ١٣,٠٠ الواحدة (ظهراً) فإذا ما صدر الأمر سنكون على أتم الاستعداد صباح الغد » وأنهيت محادثتى معه بأن يصدر أمره فوراً لقواته بأن تكون على أتم الاستعداد للهجوم فى أى وقت .

ثم اتجهت إلى رئاسة الأركان وعقدت فى الخامسة (صباحاً) اجتماعاً عاجلاً انضم إليه بعد فترة قادة المناطق الثلاث (الشمالية والوسطى والجنوبية) وقلت للأعضاء فى بداية الاجتماع :

لقد وصلنا نبأ محدد عن تأهب المصريين والسوريين لشن الحرب اليوم فى السادسة مساء . ونحن لا نستطيع أن نشكك فى هذا النبأ . وقد أصدرت أوامرى للسلاح الجوى بالاستعداد للهجوم ، كما أصدرت الأوامر باستدعاء الاحتياطى الجوى ، ومجموعة من رجال الاحتياطى التابعين لرئاسة الأركان . . . » .

وكما هى العادة كان أول المتحدثين بعدى من ألوية الأركان ، هو رئيس شعبة الاستخبارات ، وقد عرض (زعيرا) حالة التأهب فى الجيوش العربية ، وتحدث عن النوايا العربية ، وقد تراجع عن رأيه السابق وقال إن الأنباء الجديدة قد زادت من احتمالات الحرب .

وقد أنهيت هذا الاجتماع الذى استغرق ساعة بأن عدت إلى التأكيد بأن العرب سيبدءون الحرب هذا المساء ، وقلت لهم إننى سأطلب إعلان التعبئة الشاملة ، وأملى كبير فى أن يتم التصديق على طلبى » .

ولم يكد ينتهى الاجتماع حتى كنت أنا واللواء طال نقطع الممر الطويل الذى يفصل بين مكتبى ومكتب وزير الدفاع ، وخلال دقائق بدأ اجتماع آخر مع ديان الذى وصل لتوه إلى مكتبه ، وكان التوتر كبيراً .

واقتناعاً منه (من ديان) بأن ما سيحدث لن يزيد عن اشتباك كبير على الجولان بدأ حديثه قائلا : « هيا نتحدث أولا عن الجزئيات الصغيرة .

يجب أن نعمل فوراً على إخلاء الأطفال والنساء من مستوطنات هضبة الجولان » .

واقترحت أنا القيام بتوجيه ضربة وقائية رادعة ومسبقة ، لكنه (ديان) عارض بشدة

وأبديت أنا عدم رضائى عن معارضته ، وانتقلت إلى اقتراحى الثانى بتعبئة جميع احتياطى الجيش ، أى إعلان التعبئة العامة – ولكنه عارض هذا الاقتراح أيضاً وقال : « يجب أن نكتفى بتجنيد كتيبة مدرعة من الاحتياطى وإرسالها إلى هضبة الجولان ، وكتيبة أخرى نرسلها إلى سيناء » .

وثار جدل عنيف . أيدنى فيه اللواء طال ، وقد عدل ديان من رأيه وقال : « إننى مستعد بأن أوصى أمام (جولدا) بتجنيد لواء مدرعات لكل جبهة من الجبهات » .

فى الساعة الثامنة وصلنا – ديان وأنا – إلى منزل رئيسة الحكومة ، واشترك فى النقاش كل من الوزراء إيجال آلون ، ويسرائيل جاليلى الذى استدعته مائير بمجرد وصولنا ، كما انضم أخيراً حاييم بارليف . . وأعدت أنا إثارة اقتراحى بإنزال ضربة وقائية بالعرب ، وقلت لها إن سلاحنا الجوى على أهبة الاستعداد لتوجيه هذه الضربة ولكن جولدا عارضت – ولقد كنت مدركاً أن هذه الضربة الوقائية التى أقترحها لن تمنع الحرب الآن ، ولكنها يمكن أن تعرقل الهجوم العربى .

والحقيقة أننى كنت مندهشاً فالذين يتزعمون معارضة اقتراحى (جولدا وديان) كانا وراء التخطيط للضربة الوقائية التى حدثت فى ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ كما أن إيجال آلون (الذى كان يجلس على مقربة منهما والذى تحدث فى أحد كتبه عن الهجوم الوقائى . المسبق وكيف أنه مبرر أخلاقى وسياسى) لم يتحدث أو يؤيد وجهة نظرى .

ويبدو أن جهود مصر فى العمل الدبلوماسى بما أثمرته من عزلة سياسية لإسرائيل قد تركت تأثيرها على قرار هؤلاء الوزراء .

وانتقلنا بعد ذلك إلى طلبى التعبئة العامة والشاملة لجميع الأسلحة بدأ ديان النقاش وقال :

« سوف يتهمنا العرب بالعدوان ، وسيقول العالم إن الحرب قد بدأت بسبب التعبئة فى إسرائيل . » .

وعقبت جولدا على كلامه قائلة .

« إن العالم لا يهمنى الآن » .

ثم توجهت بحديثها إلىّ وسألتنى :

كم لواء مدرعاً يوجد عندنا ؟

وأخذت أشرح لها الموقف وتحدثت بالتفصيل عن استعداد الطيران منذ الأمس ثم قلت لها إن الأمر يستلزم تعبئة مائة ألف رجل على الأقل .

ووافقت جولدا على طلبي ، وتم الاتصال فوراً باللواء طال لتنفيذ القرار . وكان ذلك في الساعة ٩,٢٥ بالتحديد .

وكان ديان مازال معتزًا برأيه ، حتى أنه قال – مبتسماً – لجولدا مائير : « إنني لن أستقيل حتى ولو كان قرارك بزيادة التعبئة . . فأنا أعتقد أنه يكفي تعبئة حوالى ٣٠ ألف رجل فقط » .

وقد غادرت أنا الاجتماع بعد أن بدأ اجتماع آخر مع كينيث كيتنج سفير أمريكا الذى كان ينتظر في غرفة الانتظار .

واجتمعنا نحن في رئاسة الأركان وكان (شموئيل جونين) قائد الجبهة الجنوبية قد وصل منذ أقل من ساعة وعرضت أنا الخطط المقترحة والتى تحقق إمكانية قيام جيش الدفاع (اليوم السبت وغداً الأحد) بعملية ردع كبيرة – وأن يستعد الجيش لعبـور القناة وفقاً للخطط المعدة من قبل .

وقام اللواء (طال) بعرض خطط التعبئة ، في الوقت الذى وصل فيه ديان (قبل انتهاء الجلسة) وكان مهتماً جداً بما يجرى في هضبة الجولان ، وسألني مرة أخرى عما تم بشأن إخلاء مستوطنات الهضبة .

هذا وقد عقدت الحكومة اجتماعاً آخر في الساعة الثانية عشرة ، ثم استمر اجتماع مجلس الحرب بينما كان الجنرال إيلى زعيرا يعقد مؤتمراً لجميع المراسلين الحربيين للصحف الإسرائيلية ليقول لهم إن حرباً قد تندلع في أية لحظة .

في نفس الوقت توالت التعليمات الخاصة بتحرك القوات في الجبهة ، ولكن بينما كان جونين يتصل لاسلكيًّا بالجنرال ألبرت – وكان ذلك في الساعة الثانية ظهراً – وفي اللحظة كان يقول له فيها : « يجب أن تدفع بالألوية المدرعة إلى الخطوط ، لأنهم عندما يصلون سيكون الليل قد جاء » .

في نفس تلك اللحظة رد عليه ألبرت قائلاً في توتر مفاجئ : « نعم . . ولكن المصريين بدءوا الحرب فعلاً . . إنهم يقصفون الآن « رافيديم » .

لقد بدأت الحرب وقد كنت أنا واللواء طال واللواء مردخاى هود واللواءيتسحاق حوفى في طابق آخر . . حين جاء النبأ فقفزت أنا واللواء طال وحوفى من مقاعدنا وأسرعنا إلى غرفة العمليات ، وطلبنا على الفور مشاهدة الخرائط مشاراً عليها بواسطة الأسهم إلى تحركات العدو ومحاور اقتحامه . وقد ساد التوتر لدرجة أن أحداً لم يستطع رسم هذه الأسهم . .

توالت الأحداث بسرعة مخيفة وصورة الوضع مازالت غامضة وبالرغم من صرخات الاستغاثة المنبعثة من أجهزة اللاسلكى (المصريون يطلقون علينا الصواريخ وقذائف البازوكا . . السوريون يفتحون علينا النيران من كل جانب) بالرغم من هذه الصيحات إلا أننا كنا نشعر أن مدرعاتنا سوف تسحق مشاتهم ، كما أن سلاحنا الجوى سيتكفل بالضربة الكبرى .

ظهرت مفاجآت كثيرة :

– لقد بدأ المصريون والسوريون هجومهم فى وقت واحد وبتنسيق واضح .

– إن المصريين يقتحمون القناة بطول المواجهة . ليست هناك منطقة واحدة يركزون عليها ، حتى نكثف نحن بدورنا هجومنا عليهم كما أن معظم مطاراتنا قد تعطلت نتيجة للهجوم الجوى المصرى والأخطر من ذلك أن الطيران المصرى وجه ضربات عنيفة لقواعدنا فى أم خشيب وأم مرجم .

مرت أربعون دقيقة ومازال طيراننا غير قادر على دخول المعركة – ليس أمام قواتنا الجوية بعد ذلك وقت كاف فسوف يحل الظلام بعد ساعات قليلة جدًا .

مفاجأة أخرى : إن المشاة المصريين يتصدون بنجاح غريب لمدرعاتنا ، وصواريخهم الصغيرة أثبتت فعالية رهيبة فى ضرب المدرعات .

التقارير تصل متتالية . . والأخبار غير مطمئنة .

مع حلول الظلام تحسن الوضع قليلا . . إذ أنه بدأ يحمى دباباتنا من صواريخ المشاة المصريين .

انتقلت إلى قيادة الجبهة وقدم لى جونين تقريراً مفصلاً عن الوضع ، وكان قد وصل منذ لحظات تقرير آخر يشير إلى أن عدداً كبيراً من الدبابات التى عملت فى الجبهة قد أصبح غير صالح للعمل نتيجة للصواريخ وقذائف البازوكا المصرية . فى نفس الوقت أصبح موقف قواتنا فى خط التحصينات (خط بارليف) حرجاً . . ومنذراً بنتائج وخيمة . . ولقد سقط عدد من المعاقل بالفعل فى أيدى المصريين دون أن تنجح محاولات إنقاذ من فيها .

تمكن المصريون من إقامة عدد من الجسور . . وقد عبرت بعض مدرعاتهم بالفعل .

اليوم الثانى (٧ تشرين – أكتوبر ١٩٧٣)

يتضح ساعة بعد أخرى أن العرب ينفذون تخطيطاً دقيقاً للغاية .

صدرت الأوامر بعدم السماح بنشر أى أخبار عن الحصار الذى ضربه المصريون على باب المندب (وقد كان ذلك مفاجأة مذهلة لنا) . . كذلك تم حظر نشر أخبار سقوط موقع جبل الشيخ فى أيدى السوريين بعد ذلك .

فى اللحظات الأولى من فجر هذا اليوم اتصلت باللواء جونين : وقلت له إن الموقف فى الجولان يتسم بالخطورة ، وإن السوريين قد وصلوا فى عدة أماكن إلى سفوح الجولان وبالتالى يتطلب الموقف نقل معظم الطائرات إلى الشمال .

ولقد كان جونين مقدراً للموقف ، إذ قال لى : إنه من الواضح لديه أنه إذا اقتحم السوريون الجبهة الشمالية فسيصلون إلى المستعمرات الإسرائيلية . أما المصريون فسيتوغلون فى الصحراء الشاسعة . . وحينما سألته عن موقف مواقع التحصينات . . لم يضف سوى أن معظمها محاصر . .

وقد أقام المصريون جسوراً جديدة . . عبرت عليها مركبات ومدرعات جديدة فى حماية الصواريخ والمدفعية ورجال المشاة . .

والواقع أن خسائر طيراتنا – فى الهجوم على الجسور المصرية – تتزايد هى الأخرى بينما لا تتحقق أهداف الغارات بشكل حاسم . . إن شبكة الصواريخ المصرية تعمل بصورة قاتلة ، كما أن المصريين يضيفون إلى صعوبة مهمة طيارينا بتلك الستائر الدخانية التى يطلقونها حول الجسور فتضعف الرؤية ، ويصعب التمييز بين الجسور الحقيقية والجسور الوهمية .

أبلغ بعض الطيارين عن سقوط زملاء لهم بصواريخ يطلقها المشاة المصريون من الكتف . . وهذا عنصر آخر يجب أن يدخل فى حساباتنا بالقدر الكافى من الاهتمام .

أصبحت الجهود المصرية الرئيسية واضحة لنا وقد تركز الجهد الكبير جنوبى البحيرة المرة الكبرى حيث يعمل الجيش الثالث بقيادة الجنرال عبد المنعم واصل ، الذى كانت قواته تتسلل إلى الطرق المؤدية إلى محاور متلا والجدى . .

كما أنه كان هناك جهد كبير فى القطاع الأوسط بين الإسماعيلية والطريق المؤدية إلى (رافيـديم) وقد توغلت قوات الجيش الثانى العاملة فى هذا القطاع وحققوا بعض

المكاسب فى القنطرة .

وقد أحرز المصريون فى هذه المنطقة مكاسب فورية بأن أغلقوا بقواتهم الطريق إلى طول القناة واستولوا على القطاع الشمالى من القنطرة حتى بورسعيد .

تقرير مزعج للغاية :

المصريون – وخاصة المشاة – يسحقون قوات « ألبرت » المدرعة . ولم تعد مدرعاتنا قادرة على كبح الطوفان المصرى إذ واصل مشاتهم الهجوم جماعات كالصينيين . « إنهم يهجمون جماعات كالصينيين » تكررت هذه الجملة مئات المرات فى أجهزة اللاسلكى

من الناحية العسكرية البحتة اتضح أمامنا أن المصريين قد استولوا بالفعل على القناة (بالرغم من استمرار مقاومة بعض الحصون) فلقد نجحت عملية العبور المصرية ، وتعرضت قواتنا الرئيسية لضربات فادحة .

فى نفس الوقت يواصل الكوماندوز المصريون أعمالهم الإزعاجية خلف الخطوط – وقد اصطدمت بمجموعة منهم اليوم فى المحور الشمالى قوات (نتكه) الواقعة تحت إمرة (دان) . ودخلوا معها فى معركة طويلة . وقد أصيبت بعض الدبابات بفعل قذائف البازوكا والصواريخ ومدافع المورتار .

من ناحية أخرى لم يتحسن الموقف فى الجولان . وقد وصل ديان فى الفجر – إلى قيادة المنطقة الشمالية ، وتشاور هناك مع « يتسحاق حوفى » و « مردخاى هود » – وكنت قد أصدرت الأوامر بتوجيه المزيد من الطلعات الجوية ضد القوات السورية لعرقلة تقدمها .

قتل ظهر اليوم « إسحاق بن شوهم » (قائد أحد الألوية المدرعة) كما قتل أيضاً مساعده « دافيد يسرائيلى » وقتل ضابط عمليات نفس اللواء (بينى كيشين) .

الموقف بشكل عام . . غير سار .

لم ينج إلا عدد قليل جداً (يعد على أصابع اليد) من قواتنا المتمركزة فى موقع جبل الشيخ . وقد طلب قائد لواء الجولان التصديق على القيام بهجوم مضاد لإنقاذ بعض الأفراد المحاصرين داخل الموقع لكن (حوفى) أخبره بأن ينتظر حتى تظهر نتائج الحملة الشاملة .

هذا وقد استغل الروس نجاح الكوماندوز السوريين فى الاستيلاء على موقع جبل الشيخ ، ونقل بعض مستشاريهم المعدات الإلكترونية الكثيرة التى كانت فى الموقع .

انتابت ديان أزمة تشاؤم بالغة ظلت مسيطرة عليه طوال وجوده فى الجبهة الشمالية ، وانتقلت معه إلى جبهة سيناء حيث كانت طائرته الهليوكبتر معرضة للإسقاط من قبل رجال الكوماندوز المصريين المنتشرين فى المنطقة . وفى اللحظة التى كنت أتصل فيها باللواء جونين ، كان هو يقول له :

« إن هذه الحرب قاسية يا جونين . . إنها ليست مجرد اشتباك عادى . . لذلك يجب علينا الانسحاب إلى الخط الثانى . . إلى الجبال من أجل التحصن هناك » .

قطعت مكالمتى حديث ديان مع جونين وضباط قيادته وأمسك هو بالتليفون وسألنى فى قلق متوتر :

« اسمع يا (دادو) . . ماذا تستطيع أن تقدم لجونين ؟

كان ديان يقصد بالطبع ما الذى أستطيع تقديمه لقواتنا فى سيناء من دعم جوى وكنت مضطرًّا إلى أن أقول له : ليست هناك إمكانية تقريباً لزيادة الدعم الجوى للجبهة الجنوبية . . وقد كنت أنت منذ ساعات فى الجبهة الشمالية ، ورأيت كيف أن أى دعم جوى إضافى يجب أن يوجه إلى هناك . فلقد اقتحم السوريون الخطوط كلها .

وقد عرفت فيما بعد أن ديان التفت إلى جونين ومساعديه قائلا : من الواضح أن الأولوية ستعطى إلى طبرية وغور الأردن وكيبوتسات دجانيا ، فإن سيناء ليست على نفس الدرجة من الأهمية » .

ولذلك فإن عليكم أن تنتظروا دعماً جويًّا أكثر من صباح الغد وليس اليوم » .

ثم أضاف ديان قائلا لجونين ومساعديه : « هذه حرب عنيفة يجب ترك خط الماء ، والانسحاب إلى الجبال . ويجب ضرب العدو باستخدام المدرعات الموجودة والمدرعات التى يتوالى وصولها .

وبالنسبة لمعاقل التحصينات فإنها لن تفيد الآن ، وليس منطقيًّا أن نحاول شق الطريق إليها خاصة وأن ذلك لن يغير من الأمر شيئاً » .

وقد سأله أحد الضباط :

وماذا عن الجرحى فى هذه الحصون ؟

وأجابه هو فى توتر متفجر :

بالنسبة للأصحاء فإن عليهم أن يحاولوا اجتياز الخطوط . أما الجرحى فليس أمامنا خيار سوى أن يقعوا فى الأسر » .

وقد خيم على الغرفة صمت ثقيل الوطأة –كما وصفها لى أحد مساعدى جونين فيما بعد – وأضاف ديان قوله : (إن ما ذكرته هو نصيحة على المستوى الوزارى ، ومن الواضح أنه يجب تنسيق الأمور مع دافيد »..

وقد حضر ديان بعد هذا اللقاء اليائس إلى مقر قيادة الأركان وكانت ملامحه كئيبة منهارة ، وهو يقول لى : « إن هذه حرب على البيت الثالث وليست على سيناء ، ويجب التراجع إلى شرم الشيخ ونترك خليج السويس كله فإن المهم هو أن نبقى فى هذه المنطقة . إن علينا أن نعد أنفسنا من جديد فى خط ثان بالممرات وبالنسبة للجولان علينا الانسحاب إلى المرتفعات التى تطل على نهر الأردن وإعداد خط ثان على هذا النهر » .

وهنا وجدتنى أسأله :

« حتى إذا كان علينا أن نعد أنفسنا من جديد فى خط ثان فلماذا يتوجب إخلاء الخليج » ؟ »

وأجابنى ديان : « ربما لن يكون هناك إخلاء . ولكن يجب إدارة معركة إعاقة هناك » .

كان تشاؤمه كبيراً ومعدياً ، لكننى حاولت أن أتماسك ، وقد لاحظت أنه لم يعد يصدر أوامره –كعادته – بل إنه أخذ يكتفى بالأقوال وبتقديم الاقتراحات .

وقد غادر هو مقر القيادة ، متجهاً إلى رئاسة الحكومة حيث التقى مع جولدا مائير وإيجال آلون ويسرائيل جاليلى ، وقال لهم : إن الوضع على الجبهات خطير ، ففى هضبة الجولان لن يكون هناك مفر من الانسحاب إلى السفوح السفلى للهضبة » . سيطر الذهول القاتل على الجميع حتى إن سكرتير جولدا (يسرائيل ليئور) ترك الغرفة ، وخرج ، وتم استدعائى على الفور إلى هناك ، وقد حاولت أن أوجد بعض التوازن وألا أكون متشائماً جداً .

قلت لهم : إن الوضع سيئ ولكن ذلك لا يوجب الانسحاب كما يقول ديان ، وإننى أقترح أن يقوم حاييم بارليف بالتوجه إلى الجبهة الشمالية للوقوف على حقيقة الأمر ، وسأتوجه أنا إلى الجبهة الجنوبية لأتأكد عن قرب فيما إذا كان الوضع قد وصل إلى هذه الدرجة من الخطورة ولم يكن مفاجئاً أن يقبل ديان هذا الوضع الذى ينتقص من دوره وسلطاته بل لقد ظهرت على ملامحه سعادة مفاجئة وهو يرى أن عبء نقل الأخبار السيئة سوف يوزع على آخرين .

المهم أنه قد تم على الفور إبلاغ يتسحاق حوفى بأن بارليف (الذى ارتدى الملابس

العسكرية) سيصل إليه (ليس كقائد له وإنما للقيام بجولة استطلاعية) وبالفعل وصل بارليف فى مساء نفس اليوم ، وقد اتصل من هناك بجولدا مائير وقال لها : إن الوضع صعب وربما صعب جداً . . ولكنه لا يدعو لليأس تماماً . . ولقد تم إيقاف الانسحاب إلى السفوح السفلى » .

وفى الوقت الذى كنت أشرع فيه للتوجه ومعى إسحق رابين (الذى لم يكن قد استدعى للخدمة وجاء معى بملابسه المدنية) قبل أن نشرع فى التوجه إلى سيناء ، قال ديان لجولدا مائير فى استسلام كامل :

« أقول لك بصراحة يا جولدا . إذا كنت تعتقدين أن هنالك شخصاً أفضل منى باستطاعته القيام بوظيفة وزير الدفاع فكلفيه بالمهمة » .

وتوقف عن الحديث لحظة ثم أردف قائلا .

« لو كنت أنا رئيس الحكومة واعتقدت أنه يجب تغيير وزير الدفاع لما ترددت لحظة ، وأنها ستكون غلطة من جانبك إذا لم تفعلى بما تعتقدين أنه الصواب » .

وساد السكون لحظات . . ونظرت إليه جولدا مليًّا ثم قالت وثمة اختلاجة تظهر على وجهها : « معاذ الله . . معاذ الله » .

. . . .

وصلنا – إسحق رابين وأنا – بالطائرة العمودية إلى مركز قيادة سيناء ، واجتمعنا مع جونين وعدد من قادة قوات الجبهة ، وكانت الفوضى والخسائر التى لحقت بقواتنا منذ نشوب القتال قد أثرت على جونين الذى قال لى فى توتر « « إننى آسف لأن الأمور سارت هكذا وكان « أريك شارون » لم يتمكن من الوصول فى بداية الجلسة .

وقد حدثنى جونين عن متاعب شارون معه وكان قد اتصل به طالباً بإلحاح تنفيذ خطة لإنقاذ من تبقى من رجالنا فى حصون خط بارليف . وقال له إنه وضع الخطة بالفعل ، وحدثه عن قائد أحد المواقع الذى قتله المصريون أثناء اتصاله به وحل مكانه ضابط آخر ، وألح شارون على جونين أن تبدأ عملية الإنقاذ الليلة ، لكن جونين قال له :

« لا يمكن أن نحسم هذا الأمر من خلال التليفون وأنا أقترح أن تأتى إلى هنا لفحص الخطة فى اجتماع مشترك مع جميع قادة القوات ، وسنرسل لك طائرة هليوكبتر لإحضارك » .

وأخبرنى جونين أن شارون صاح فى التليفون بطريقته الانفعالية « إنك يا جونين تضيع بذلك ليلة كاملة » .

وقد بدأنا نحن الاجتماع قبل أن يصل شارون واقترح (آدن) أن يتم العمل بحذر من المصريين إلى أن يعاد تركيز المدفعية ، كما تحدث جونين عن الحاجة إلى عبور القناة في الغد ، لكنني أخذت أكبح جماحه مؤكداً أنه من الخطير جدًّا أن نلقى بجميع قواتنا مرة واحدة في الهجوم المضاد الذى من المقرر أن يبدأ فى صباح الغد (٨ / ١٠ / ٧٣) وأشرت عليه بأن يكون الهجوم تدريجيًا ، على أن تقوم أولا قوات آدن بالهجوم من شمال إلى الجنوب فى منطقة الجيش المصرى الثانى ، وينتظر أريك شارون فى الجنوب كقوة احتياطية ، فإذا لم ينجح هجوم آدن يقوم شارون بمساعدته ، أما إذا نجح فسيتم أيضاً تشغيل قوات شارون الاحتياطية بأن تتوجه إلى الجنوب . وتبدأ بالهجوم فى منطقة الجيش الثالث المصرى مع توجيه جهودها باتجاه مدينة السويس ، وعند ذلك تستخدم القوة التابعة لألبرت كقوة احتياطية لشارون .

ولم أوافق على خطة العبور ، وإن كنت لم أرفضها نهائيًا وقلت لهم :

« علينا أولاً أن نصل إلى الجسور ثم نقرر بعد ذلك الخطوة التالية ، وأنا أرفض أن تعبر كل القوات على جسر واحد لأن ذلك معناه سهولة ضربها من المصريين ، أما إذا سيطرنا على عدة جسور فسوف يمكننا نقل عدة مجموعات من الدبابات . »

وقد لاحظت أن جونين لم يظهر عليه الاقتناع الكامل بوجهة نظرى ، ولذلك فإننى قلت فى نهاية كلامى بلهجة قاطعة :

« على أى حال فإن عبور القناة يجب ألا يتم إلا بأمر منى شخصياً » . . . .

قبل أن أتجه إلى الطائرة الهليوكبتر لتعود بى وإسحق رابين إلى رئاسة الأركان قابلنى شارون الذى كان قد وصل فى نفس اللحظة ، وشرحت له البنود الرئيسية فى خطة الغد ، وقال لى :

« إننى أريد أن أعبر القناة غداً صباحاً » .

وقلت له : « لابد أولاً أن نضرب رءوس الجسور ونعيد تنظيم قواتنا » لكنه عاد يلح على وركز على ضرورة إنقاذ الرجال المتبقين الذين حشروا فى معاقل بارليف ، فقلت له هل تريد أن نخسر دبابات ورجالاً بالإضافة إلى ما خسرناه حتى الآن . . إن أول محاولة ستكلفنا على الأقل خمسين دبابة أخرى .

ولم أترك له الفرصة لمزيد من المناقشة فأنا أعرف طباعه جيدًّا ولا أرتاح لتفكيره أو أسلوبه ، قلت له « عليك تسوية الأمر مع جونين » وكنت أعلم أن جونين لن يغير

الجنرال دايفيد اليعازر
رئيس الأركان الإسرائيلي

من اليسار إلى اليمين ، الجنرال آدن (برن) ، والجنرال اليعازر ، والجنرال ماجن الذى مات فى الأيام الأخيرة للحرب

مقر قيادة الجبهة الجنوبية (بسيناء) يظهر الجنرال اليعازر « الثانى من ين » وإلى يساره الجنرال جونين ، وعن يمينه الجنرالات آدن (برن) ، بن آرى ، رابين » بينما يقف الجنرال ماندلر فى أقصى اليسار بجوار إحدى الخرائط

الخطة التى اتفقنا عليها ، خاصة وأنه نفسه حدثنى عن الخسائر التى وقعت فى مدرعاتنا منذ بدأت محاولات مساندة حصون بارليف . . . وتركته . . واتجهت إلى الطائرة .

وقد اتصل ديان بعد ذلك وفى ساعة متأخرة من الليل بغرفة العمليات فى قيادة الجبهة وطلب التحدث مع جونين وسأله عن الوضع ، فقال له : « إننى أخطط لعملية هجوم مضاد فى الغد ، وأريد أن أتمركز فى الجانب الآخر » . واكتفى ديان برد قصير « عال » . . « عال » ولم يتدخل أو حتى يسأل عن تفاصيل الخطة العملية .

لقد أصبح واضحاً أنه حدد نفسه بتقديم الإرشادات العامة .

. . . .

طلبنا اليوم من الولايات المتحدة سرعة تزويدنا بالأسلحة . إن جيشنا يقف فى موقف لا يحسد عليه . حيث بلغت نسبة تدمير المعدات حدًّا كبيراً وسريعاً جدًّا ، بحيث أصبح واضحاً أنه إذا استمرت الحرب بهذا المعدل فسوف تفرغ المخازن وتدمر معظم المعدات .

لقد خسرنا خلال يومين فقط « ٢٥٠ » دبابة ، كما فقدنا عشرات الطائرات . وقد سألت اليوم عن رد الولايات المتحدة لكن سفيرنا سيمحا دينتز لم يكن قد تحدث بعد .

ذراع المشاة المصريين أطول من مدافع دباباتنا :

اتضح عمليًّا ضعف مدفعيتنا بالنسبة للمدفعية المصرية التى بدأت تهدر منذ الدقائق الأولى للحرب .

تقدمت بعض المصفحات المصرية حتى عشرين كيلو مترا داخل سيناء .

مدرعاتنا فى الخطوط الأولى لا تفعل شيئاً حقيقيًّا سوى الدفاع عن وجودها .

المشاة المصريون مفاجأة رهيبة لنا . كل التقارير تقول بأن ضرباتهم لمدرعاتنا وحصوننا بالغة الدقة والجسارة . لقد اتضح أن ذراع هؤلاء المشاة المصريين أطول من مدافع الدبابات . بل إن بعضهم كان يلقى بنفسه فوق الدبابات ليفجرها .

لقد أثارت أعمالهم الانتحارية ارتباك رجال مدرعاتنا وانهيار من تبقى من قواتنا فى خط بارليف .

تأكدت استحالة إنقاذ بقية المعاقل الحصينة فقد أحكم المصريون حصارها . . وتحولت إلى منطقة استدراج قاتلة لدباباتنا التى تتحرك لإنقاذها .

والواقع أن هذه المشكلة (تخليص الرجال الذين انقطعوا خلف خطوط العدو

الجديدة داخل تحصينات خط بارليف) أثارت جدلا وقلقاً واسعين ، ففى جميع حروب إسرائيل لم تقلق هذه المشكلة أحداً من القادة كما حدث فى هذه الحرب . فعلى مر السنين وجد تقليد يقضى بعدم ترك الجرحى والقتلى فى ساحة المعركة . أما الآن فعلينا أن نقرر الثمن الإضافى الذى سندفعه فى سبيل تخليص الرجال من موقع حوصر أو من دبابة أصيبت وقد بادر بعض القادة فلم يلتفتوا تقريباً إلى الخسائر ، ودفعوا ثمناً غالياً فى سبيل تخليص رجال قلائل بل إن معظم محاولاتهم تعثرت . ومنذ عام ١٩٤٨ كانت هذه المرة الأولى التى ينسحب فيها جيش الدفاع الإسرائيلى مخلفاً وراءه جرحى فى ساحة المعركة ، وكان هذا أحد أسباب ازدياد عدد المفقودين فى هذه الحرب .

إن فتح العرب لجبهتين فى وقت واحد ، وطول الخطوط فى الجبهة المصرية . . أمر يلقى بظله الكئيب على إدارة الحرب ، وهذا ما عانينا منه بشكل ملموس .

اليوم الأسود :

حققت قواتنا نجاحات نسبية على جبهة الجولان وإن كانت لم تحسم شيئاً حقيقيًّا ، لكن مشكلة استنفاد أسلحتنا ومعداتنا تفاقمت وأصبحت على درجة كبيرة من الخطورة ، وانتقل القلق بيننا فى القيادة . وعاودت جولدا الاتصالات – بسمحا دينتز – سفيرنا فى واشنطن . واتصلت بملحقنا العسكرى هناك (موردخاى جور) لابد من سرعة إرسال الأسلحة . يجب أن يعلم الرئيس نيكسون وهنرى كيسنجر أن موقفنا يتدهور ، فليحلوا مشكلة نقل الأسلحة والمعدات التى يتحدث عنها شليزنجر بأى طريقة .

إن الأسلحة التى تنقلها طائرات العال حتى الآن لا يمكن أن تفى بمتطلباتنا الكثيرة .

وقد ذهل الأمريكيون حينما قرءوا قائمة الكميات المطلوبة من الأسلحة . وقال أحدهم ماذا تريد إسرائيل بكل هذه الأسلحة إلا إذا كان جيشها قد انتهى تماماً فى صحراء سيناء .

ومن جهة أخرى أعرب سيمحا دينتز لكيسنجر عن قلقه وقلق الحكومة لعدم إقامة الجسر الجوى الذى لن ينقذ إسرائيل سواه ، وقد علمنا أن ثمة خلافاً حاداً وقع بين كيسنجر ووزير الدفاع شليزنجر ، وقد هدده كيسنجر بأنه يتقاعس فى تنفيذ أوامر الرئيس ، وقال له إنه يخاطبه ليس فقط بصفته وزير الخارجية وإنما بصفته مستشار الرئيس للأمن القومى ، وقد اتصل كيسنجر بعد ذلك وأبلغ نيكسون بموقف شليزنجر ، فوبخه نيكسون بالتليفون وقال له تصرف بأى طريقة فى وسائل نقل الأسلحة إلى إسرائيل . . ولا تتقيد بأى شىء . .

وبدأت الاستعدادات بالفعل للإنقاذ .

فى نفس الوقت نشطت سفاراتنا فى مختلف دول العالم فى تجميع وإرسال عدد من اليهود (من جنود وضباط سابقين فى جيوش دولهم) وقد وصل عدد كبير منهم واشتركوا فعلا فى المعارك – وكان تركيز سفاراتنا على الطيارين والأطباء ورجال المدرعات .

ومع وصول الطائرات التى تحمل هؤلاء المتطوعين إلى مطار اللد ، كان قسم منهم (كرجال المدرعات) يرسلون فوراً إلى ساحة القتال ، وقد سقط كثيرون منهم فى المعارك بدون أن تعرف عائلاتهم شيئاً عن وصولهم إلى إسرائيل .

تقارير الجبهة السورية لا تحمل أخباراً سارة ومع أنه تم صد جزء كبير من المدرعات السورية ، ولم تمكنها قواتنا من الوصول إلى نهر الأردن فإن المعركة لم تحسم بعد .

وبالنسبة لطائراتنا الذى يدير معاركها موردخاى هود (قائد الطيران السابق) فإنها تعانى خسائر كثيرة من الصواريخ السورية .

وقد بدأ اليوم هجوم سورى ضخم قرب القنيطرة ، وكان بمثابة موجة الانقضاض الثانية على هضبة الجولان ، وقد ألقى السوريون فى المعركة بفرقتهم الثالثة وهى القوة المدرعة الاحتياطية . وبدأ الهجوم فى الساعة الرابعة من بعد الظهر – وقد اشتركت أيضاً مع المدرعات عدة كتائب من رجال الكوماندوز السوريين ، وكانت كثافة الهجوم المركز فى قطاع ضيق كبيرة جداً ، وباستثناء الهجوم الذى وقع فى الليلة الأولى فلقد كانت هذه هى أصعب الساعات على جنودنا من جيش الدفاع فى هضبة الجولان . وكان القلق فى قيادة الجبهة شديداً . فبعد أن تم صد السوريين فى القطاعين الأوسط والجنوبى فإنهم يقومون الآن بإلقاء كامل قوتهم فى القطاع الشمالى وأمامهم يقف جنودنا الذين لم يذوقوا النوم منذ بداية الحرب .

وقد وصل إلى قيادة الجبهة إيجال آلون فى أثناء الهجوم الشديد ، وقام باستطلاع الخرائط والوجوه المعلقة ، وسمع النداءات بأجهزة اللاسلكى وقد انفرد آلون بيتسحاق حوفى فى أحد أركان الغرفة وهمس فى أذنه قائلا :

« ما رأيك لو قام طيراننا بغارات ثقيلة على الأهداف الاستراتيجية داخل العمق السورى . ألا يخفف ذلك عنك فى الجبهة ؟ ؟ »

ورد عليه حوفى : « إن هذا سيساعد كثيراً ومن المؤكد أنه سيثقل عليهم الأمر » .

وبتبادل الاتصالات بين « آلون » من الجولان و « جولدا » فى تل أبيب ، ومقر

القيادة العامة حيث رئاسة الأركان استقر الرأى على الإغارة على العمق السورى .

وكان هجوم القوات السورية قد استمر سبع ساعات متواصلة ، وألقيت فى ساحة المعركة فى مواجهة هذه القوات عدة كتائب متتالية تكبدت خسائر كبيرة

كان الوضع مزعجاً ، وكان يتسحاق حوفى أكثر قلقاً « حتى عن الليلة الأولى للحرب » خاصة حينما اتصل بقائد اللواء الذى كان مشتبكاً فى ذلك الوقت وسأله عن الموقف . فقال له « الوضع صعب جدًّا » لقد كانت هذه الجملة حسب الاتفاق المسبق تعنى أن الموقف خطير . . وقد اتصلت به فى الساعة العاشرة مساء ، وسألته عن التطورات فى المعركة الدائرة وأحسست أنه « يبلعْ ريقه وهو يقول بصوت مبحوح :

« إننى غير واثق من أننا سنصمد : »

والتهبت الأعصاب . واستمر الاتصال بالجبهة الشمالية وكان رفائيل إيتان المسئول الآن عن معركة الصد ينادى بالميكروفون « لن تتراجعوا » قاوموا خمس دقائق فقط . . خمس دقائق فقط » . . وحينما فتح جهاز اللاسلكى الموجود فى عربته المجنزرة وأخذ ينادى على قائد اللواء ليشجعه ويطلب منه التماسك لم يرد عليه . وعرف أنه قتل .

ولحسن الحظ . . ساعد التوقف المفاجئ للهجوم السورى ، مع التدعيم الكثيف لقوات الصد على عدم تدهور الموقف . وحينما اتصلت فى صبيحة اليوم التالى . قال « إيتان » وهو قليل الكلام بطبعه : « لقد كانت هذه ليلة مريعة » .

الرقص للأمام والخلف :

فى جبهة السويس كانت التطورات لا تحمل هى الأخرى أنباء سارة ، وكان على جونين أن يقول لضباطه : إن الجيش المصرى الآن ليس هو ذلك الجيش الذى كان فى عام ١٩٦٧ ، وأن الأمر لن يكون كما كان فى ذلك العام .

وفى الصباح استلم جونين الصور الجوية التى التقطت مع أول خيوط الفجر . ورأى كيف أن معظم الجسور التى قال الطيارون إنهم دمروها أثناء الليل ما زالت قائمة كما هى . فإما أنهم لم يدمروها أساساً أو أن المصريين يعيدون بناءها فى سرعة غريبة .

المهم أن معنى الصور التى كانت بين يديه أن المصريين سيستأنفون إرسال طوابيرهم المدرعة إلى سيناء .

وقد قرر جونين أن يستخدم تكتيكاً جديداً أمام الجيش المصرى الذى تغير بهذا

الشكل . وكان هذا التكتيك هو لا انسحاب ولا هجوم مضاد ، إنه يريد كسب الوقت بأى طريقة ، ولكنه أيضاً لا يريد أن يخسر الأرض ، لذا أصدر أوامره لقواته بالعمل بأسلوب يشبه خطوات الرقص للأمام والخلف أى الانسحاب قليلا ثم الهجوم والعودة إلى نفس التلال التى تم الانسحاب منها قبل ذلك .

كذلك أصبح واضحاً أن المصريين يتبعون أيضاً أسلوب الحفاظ على قواتهم ولكن فى مجال سلاح الجو ، فإذا كانوا يقومون بإرسال مشاتهم للهجوم عدة مرات وعلى شكل موجات وراء موجات فإنهم كانوا يدخرون سلاحهم الجوى (بعد أول يوم) للمرحلة الثانية من الحرب . وبعد ذلك جرب المصريون أسلوباً جديداً فى الهجوم وهو الهجوم الواسع من الجو فاشتركت أكثر من مائة وعشرة طائرة فى الهجوم على أهداف مختلفة فى سيناء . وقد أسقطت بعض هذه الطائرات .

هجوم « جيش الدفاع » المضاد :

مع الصباح بدأ « إبراهام آدن » هجوماً مضاداً مستخدماً عدة ألوية فى نفس الوقت – وقد حدد جونين لآدن مهمة السيطرة على ثلاثة جسور قرب الفردان ، والاستعداد لنقل وحدات من الدبابات إلى غربى القناة على هذه الجسور . وقد دارت بين جونين وآدن (أثناء تحركه) هذه المكالمة عبر جهاز اللاسلكى :

جونين : اسمع يا آدن . . أريد – قبل العبور – إبادة جميع القوات المصرية التى دخلت سيناء ، وأنا أعنى بذلك إبادة جميع قوات العدو فى القطاع الممتد من القنطرة جنوباً وحتى (متسمد) وبعد أن تقضى على جميع هذه القوات ، تعبر فى أحد المواقع .

آدن : فهمت . . انتظر .

جونين : ومن المهم جداً أن تستمر الحركة إلى الجنوب كالتيار بدون توقف حتى تصل إلى « متسمد » .

آدن : سيكون كل شىء على ما يرام ، وأنا أنوى الاستيلاء على المناطق الواقعة فى منطقة (متسمد) هل تريد منى أن أتصل بموقع (حزايون) .

جونين : موافق . وإذا كان بالإمكان العبور إلى حزايون فمن الأفضل أن تعبر مع وحدة صغيرة لتبقى على الضفة الثانية .

وقد تساءل « آدن » بعد انتهاء المكالمة ما سر هذه الثقة التى يتحدث بها جونين هل يكون ذلك لأننى أخبرته بأن المرحلة الأولى من تحركنا لم تواجه مقاومة تذكر من المصريين أو ماذا ؟

ثم التفت إلى من معه فى المصفحة وقال لهم : إن هذا الأمر يدل على تفاؤل كبير . وعلى ما يبدو فإن هناك أخباراً سارة جديدة لا نعرفها .

كان تفاؤل جونين نابعاً من إخطار آدن له بأنه لم يواجه مقاومة حقيقة فى أولى مراحل هجومه المضاد . وقد وصل به التفاؤل إلى التفكير فى سرعة التحرك العام للصد والاختراق والعبور إلى ضفة القناة الغربية . فقد اتصل بى وطلب منى الإذن بتحريك قوات شارون هى الأخرى وفى نفس الوقت تقريباً . وقد آثرت أن نتمهل قليلا فأعطيته رداً سلبياً ، لكنه عاد إلى الاتصال بى ، وقال لى إن قوات آدن أرسلت فى تقاريرها أنها وصلت فعلا إلى أحد الجسور ، وسألنى مرة أخرى أن أصدق على تحريك قوات شارون كسباً للوقت .

وأمام هذه الأخبار وافقت على طلبه – وكان طلب جونين وموافقتى عليه تعنى تغيير مهمة شارون حيث إنه كان مكلفاً فى الخطة الأساسية بالهجوم من الشمال وليس من الجهة الجنوبية الشرقية . وعلى أية حال فإنه (شارون) لم يكد يتحرك حتى أرسلنا فى استدعائه للعودة إلى مواقع تمركزه فلقد وصلت الأنباء المزعجة عن تورط مدرعات (آدن) فى معركة صعبة وقاسية .

لقد كان الخبر الأول الذى نقله إلىَّ جونين عن وصول قوات آدن إلى ضفة القناة باعثاً على التفاؤل خاصة وأننا جميعاً فى القيادة كنا فى انتظار متلهف لأخبار سارة من الجبهة وقد انتشر ذلك الخبر عن اقتراب آدن من الخط المائى ومن الجسور التى أقيمت قرب الفردان كشرارة كهربائية وانتقل بسرعة البرق إلى تل أبيب . حتى أن صحفياً فرنسياً نشره فى صحيفة « لوفيجارو » كما أن اللواء (جور) الملحق العسكرى الإسرائيلى فى واشنطن قام بإبلاغه إلى عدة أشخاص .

وساد اجتماع مجلس الوزراء الذى كنت مشتركاً فيه جو من الثقة والتفاؤل ولكن عندما خرجت من الجلسة اكتشفت أنه ليس فقط أن (آدن) لم يعبر القناة ولكنه أيضاً قد تلقى ضربات قاسية فبينما كانت طلائع دباباته تقترب من القناة . صرخ أحد قادة الدبابات (إن المصريين يطلقون علينا صواريخ ساجر) ولم يكد ينتهى من صراخه حتى كانت ثمانى دبابات قد اشتعلت ، وخلال بضع دقائق انفجرت عشر دبابات أخرى . ودبت فوضى

شديدة بين مدرعات (آدن) ، بينما واصل المصريون توجيه صواريخهم مع قصف المدافع المركز الكثيف . وهكذا انسحبت بقية المدرعات تاركة الدبابات المدمرة فى ساحة القتال وبداخلها الجرحى لا يجدون من يسعفهم .

وكانت الضربات المصرية شديدة وطلب « آدن » مساعدة جوية سريعة ، ووصلت تشكيلة من عدة طائرات ألقت قذائفها بصورة خاطفة واختفت ، فى الوقت الذى دفع فيه المصريون بعض مدرعاتهم وأعداداً من مشاتهم من غرب القناة إلى أرض المعركة مستخدمين الجسور . وتشتتت قوات آدن .

لقد واجهنا فى رئاسة الأركان صعوبة بالغة فى تكوين صورة عن التغيير الفجائى السريع فى ساحة المعركة . هذا التغيير الذى حدث نحو الأسوأ بشكل حاد .

وقد علمت فيما بعد أن آدن كاد يدفع حياته – بعد ذلك – ثمناً لهذا الهجوم الفاشل فقد سقطت قرب مركز قيادته عدة قذائف فسارع بالهروب إلى مكان آخر . كذلك فإن قواته أخذت تخالف الأوامر ولا تلتزم بالاتجاهات المحددة لها .

قتلى وجرحى وأسرى من رتب عالية :

لم تتوقف القوات المصرية ، فهاجمت قوات (نتكه) ولم ينج رجاله أيضاً من المصير الذى لقيه رجال القوة الأخرى ، وأصيبت فى اللحظات الأولى عشر دبابات تابعة له واشتعلت فيها النيران . . . وقد أصيبت أيضاً دبابة الكولونيل عساف ياجورى الذى انقض عليه عشرات الجنود المصريين وقاموا بأسره .

واستمر المصريون فى ضغطهم وسقطت عدة قذائف أخرى فى وسط قيادة آدن ، وتوالت شكاوى قواته الأمامية عن نقص الذخيرة والوقود . وكشفت التقارير عن حدوث فوضى بين القوات وبقى لكل واحد من اللواءين الموجودين فى الأمام دبابات معدودة ، واستغل المصريون الموقف فانقضوا بمجموعات كبيرة من الدبابات والمشاة على قوات (آدن) المنهكة وكان ذلك قبل مغيب الشمس .

وطلب اثنان من القادة الإذن بالانسحاب ، وفى أثناء بحث الطلب أعلن أحدهما أن الدبابات المصرية تهاجمه . . ومع الليل توقفت هذه المعارك . واجتمع القادة فى غرفة عمليات الجبهة ولخص جونين الموقف الصعب بقوله :

« علينا بالانتظار . ولن نعبر القناة ولن نصل إلى الحصون ، المحاصرة ، بل لن نقترب من القناة وسنتوقف على طريق البطاريات الذى يبعد تسعة كيلومترات عنها » .

لقد كان هذا اليوم لصالح المصريين . وكان يوماً سيئاً لنا . وقد تحول وضع حصون بارليف إلى ماهو أسوأ بصفة كاملة .

وقد تم تقسيم الجبهة بعد ذلك إلى أربعة قطاعات :

وكان قائد القوات المتواجدة فى أقصى الشمال هو (كالمان ميجن) وعلى مقربة منه فى مقابل الفردان والقنطرة قوات (إبراهام آدن) ، وإلى الجنوب منها (أريك شارون بقواته ، ثم فى أقصى الجنوب قوات (ألبرت مندلر) .

من جهة أخرى زاد موقف قواتنا المتبقية فى معاقل بارليف سوءاً وتعقيداً وتأكد من المحاولات التى بذلت لإنقاذهم أنها تكلفنا ضحايا أكثر فقد أخذ عدد القتلى يتزيد بشكل واضح وبصورة كبيرة . ولذلك فقد أصبح أى عمل بهذا الهدف ميئوساً منه .

. . . .

بلغت نسبة المصابين والقتلى فى قواتنا حدًّا كبيراً فقد تجاوزت النسبة العددية للقتلى والجرحى فى هذا اليوم القتالى كل ما عرفه جيشنا فى الحروب السابقة .

ماذا أقول لهم ؟

دعيت هذا المساء لعقد مؤتمر صحفى ضخم يحضره أكثر من ٣٠٠ صحفى وتنقله شاشة التليفزيون وقد وصلت إلى مكان المؤتمر عقب انتهاء جلسة الوزارة — وكان موشيه ديان قد سبقنى إلى الحديث بالأمس وقال كلاماً كثيراً . . قال إن المصريين سينالون ضربة قاسية . . وقال إنه لم يكن ليتمنى أن يرى نفسه مصريًّا فى نهاية هذه المعركة .

هذا بعض ما قاله . . ولو رآه اليوم الذين رأوه بالأمس . . لكان قد هالهم تغير وجهه .

ولكن ماذا أقول أنا ؟ إن العميد بينييه لاهف (الناطق باسم الجيش) يطلب منى أن أبدو متفائلا ولكن المعلومات التى توافرت فى غرفة العمليات قاسية ومؤلمة . ولكن هل أعبر عن هذا الواقع . . متجاهلا الحالة المعنوية لجنودنا فى الجبهة وما سيصيبها من جراء ذلك ؟ ثم ماذا يقول الجمهور الذى تعود أن يسمع انتصارات جيش الدفاع المتتالية ؟ ثم إن أحداً لا يعرف حتى الآن ما جرى لنا فوق الجولان . . أو ما حدث من انهيار وضياع

لخط بارليف و . . و . . ؟

. . . .

بدأ المؤتمر على أى حال . . ووجدتنى أقول وأنا أدق المنضدة بيدى :

« إن قوات جيش الدفاع قد شنت فى الجبهتين هجوماً مضاداً ناجحاً . لقد بلغت قواتنا قناة السويس فى عدة نقاط ، وإنها فى سبيلها إلى بلوغ خطوط وقف إطلاق النار فى الجولان .

إن قواتنا قاتلت بشجاعة نادرة ، ولقد أثبت هذا الجيل العسكرى أنه يتفوق على الجيل الذى حقق النصر فى عام ١٩٦٧ .

لقد انتهت منذ صباح اليوم المرحلة الأولى من الحرب ، وهى المرحلة التى تشتمل على احتواء العدو إلى أن تصل التعزيزات . إننا نصد العدو ونواصل تقدمنا على طول الجبهة .

وإننى أؤكد لكم أننا – فى سيناء – نوشك على تدمير الجيش المصرى ، وقد قامت قواتنا الجوية بضرب القوات المعادية ، ويتم اليوم إسقاط العشرات من طائرات العدو فى سيناء .

إننا سوف نسحق عظامهم ، وندق لحمهم ، وسيستغرق ذلك من الوقت ما يستغرقه ، وسوف نلاحقهم حتى التدمير الشامل لقواتهم ومعداتهم .

وهنا سألنى أحد الصحفيين عن الأماكن التى لا تزال القوات السورية موجودة فيها ، فقلت له : إننى لا أستطيع توضيح ذلك على الخرائط . . لأن ذلك بالنسبة لكم لن يكون واضحاً بالقدر الكافى . ولكننى أقول لكم إنهم اقتحموا العمق فى ثلاثة قطاعات هى شمال القنيطرة وبالقرب من كوشينه وفى قطاع رابيد . . وفى جميع هذه القطاعات تم تدمير القوات السورية أو صدها . ولا توجد قوات سورية حتى الساعة التى أتحدث إليكم فيها الآن ، إلا فى قطاع رابيد على بعد بضع مئات من الأمتار داخل الأراضى التى كنا نسيطر عليها قبل هجومهم فى ٦ أكتوبر .

واتجه صحفى آخر بسؤال وجهه إلى عن الجبهة المصرية فقلت له : « إن المصريين نجحوا فى إقامة ثلاثة رءوس للجسور ، أحدها فى قطاع القنطرة شمالا ، والثانى فى الإسماعيلية فى الوسط ، والثالث فى مدينة السويس . وانطلاقاً من هذه الجسور دفع المصريون قوات إلى مسافة أكبر داخل سيناء . ونجحنا نحن خلال هجومنا المضاد اليوم فى صد هذه

القوات ، وتحديد مساحة رءوس الجسور التى أقامها المصريون إلى حد كبير ، وأقول لكم إن دباباتنا تحاصر رءوس الجسور هذه حاليًّا .

. . . .

واختتمت حديثى إلى مئات الصحفيين بقولى :

« إن جنودنا المحاربين أثبتوا أنهم أعظم الجنود . لقد استطعنا بفضلهم أن نوقف تقدم العدو ، وقد استمرت المرحلة الأولى من السبت ، وتم تجنيد الاحتياط فى يوم الأحد ، وقمنا أمس بتهيئة أنفسنا للمعركة ، ونفذنا الهجوم المضاد صباح اليوم .

وبالنسبة لسلاحنا الجوى فإنه قدم عوناً كبيراً فى معارك جو – جو ، ولم تستطع طائرات العدو فى جميع المعارك أن تسقط طائراتنا ، وقد سقطت طائرات سورية ومصرية فقط .

يوم أكثر سواداً . .
وديان ينهار تماماً

كان هذا اليوم (٩ أكتوبر ١٩٧٣) وهو رابع أيام الحرب ، من أصعب أيامنا بشكل عام ، وأشدها صعوبة بالنسبة لديان بشكل خاص لقد تضاعفت أزمته التشاؤمية بعد فشل عمليات الأمس فى الجبهة المصرية وكثرة الخسائر التى تكبدناها . . . وقد دخل علينا اليوم فى غرفة العمليات ممتقع الوجه تلمع حبات العرق فى جفن عينه ، وأعاد علينا ما قاله فى ثانى أيام الحرب حول ضرورة الانسحاب إلى الخط الثانى فى سيناء ، وأهمية تعزيز هذا الخط . وكان ينقل يده المهتزة على خريطة العمليات مشيراً إلى المناطق التى يتحتم الانسحاب إليها ، وكان واضحاً لنا أنه يقصد الانسحاب العميق إلى ما وراء ممر متلا وحتى الجبال الواقعة فى المثلث الشرقى لشبه جزيرة سيناء قرب جبل (مراره) .

ولم نناقشه نحن طويلا . حول هذا الانسحاب ، كما أننى لم أصدر الأوامر بذلك .
ثم حدث أن طلب ديان عقد مؤتمر صحفى فى نفس اليوم وطلب من قائد السلاح الجوى (بينى بيلد) الانضمام إليه فى هذا المؤتمر الخطير

وكم كان ميسوراً بالنسبة للصحفيين أن يستنتجوا التطورات الخطيرة التى ستعلن لهم . . فقد بدا وجه ديان أكثر عصبية وانفعالا كما كان وجه (بيلد) مكفهراً (خاصة وأنه علم منذ قليل أن ابنه البكر – وهو طيار فانتوم – قد أسقط المصريون طائرته بالقرب

من القناة وشوهد وهو يهبط فى أرض العدو) .

ومع ذلك فوجئ الصحفيون الإسرائيليون حينما بدأ ديان حديثه قائلا : « فلتعلموا جيداً أنه لم تعد لدينا الآن القوة لطرد المصريين إلى ما وراء القناة بدون أن نستنزف قواتنا بصورة كلية تقريباً ، وإذا ما نحن فعلنا ذلك ، فسنخسر قوتنا تماماً ، وسنبقى فى دولة إسرائيل بلا قوة .

إن ما يجب علينا عمله الآن هو أن ننظم قواتنا فى الخطوط الخلفية ، وفى القسم الجنوبى من سيناء ، فالطريق مفتوحة هنا أمام المصريين للوصول إلى أبورديس . وأنا أشك فى مقدرة قواتنا على إغلاق الخط ، وعلينا أن نقوم بتعزيز خط فى مكان ما بين القناة وسلسلة الجبال ، بحيث لا يستطيع العدو اختراقه ، ولن يتمكن العدو من اجتياز هذا الخط ، إذا ما أعددنا أنفسنا بصورة جيدة . .

واستمر ديان فى حديثه . . والصحفيون يتبادلون فيما بينهم نظرات التساؤل والقلق واليأس ، إلى أن أضاف موشيه قائلا :

إننى سأقوم بإعلام الشعب الإسرائيلى بذلك . نعم لابد أن يعرفوا ما يجرى الآن إننى سأذيع بياناً فى التليفزيون فى التاسعة مساء .

زاد ذهول الصحفيين ، واندفع (جرشوم شوكن) أحد محررى الهآرتس قائلا :

« إنك إذا قلت للشعب ما قلته لنا الآن ، فإن ذلك سيعنى زلزالا ، فى وجدان الشعب الإسرائيلى . وسيكون تأثيره بالنسبة للعرب خطيراً علينا » .

وساد صمت ثقيل . ولم تمر دقائق على انتهاء المؤتمر حتى وصل إلى جولدا مائير تقرير تفصيلى بما ذكره ديان – ثم اتصل بها أحد الصحفيين وقال لها منزعجاً : « يجب أن تمنع إذاعة خطاب الجنرال ديان . فلتتصرفى بأسرع ما يمكن . . إن الأمر خطير للغاية . . »

وقد تم بالفعل الاتصال بالمسئولين فى الإذاعة – وكان ذلك فى الثامنة مساء وأبلغوا بالغاء خطاب ديان . وبدلا منه قام (أهارون ياريف) بتوجيه كلمة موجزه قال فيها« إن الوضع ليس سهلاً ، وإن الحرب ستطول » . وكانت هذه هى المرة الأولى التى يعرف فيها الشعب بعض جوانب الحقيقة ، وكانت الصدمة شديدة .

أما ديان فقد استمر فى تردده وتهربه من اتخاذ أى قرار مكتفياً بتلك الجملة التى يشفع بها كل رأى له (إنها مجرد مشورة وزارية) حتى أنه لم يشارك فعليًّا فى اجتماعات مجلس الحرب الذى تقلص بسفر بنحاس سابير إلى الخارج لجمع الأموال ، ووجود

أباإيبان فى الولايات المتحدة ومرض(حاييم جباتى). وبذلك لم يبق مع جولدا سوى إيجال آلون ويسرائيل جاليلى . أما هو ديان فكان لا يحضر الجلسات إلا قليلاً خاصة إذا كان هناك قرار يجب اتخاذه ولا يريد هو تحمل مسئوليته وإننى أذكر الآن كيف تصرف أثناء حرب ١٩٦٧ حين طلب منى (قبل نهاية الحرب بقليل) أن أقود عملية اقتحام الجولان – بدون استشارة رئيس الحكومة .

. . . .

لا مفر من التركيز – الآن – على جبهة واحدة :

وافق مجلس الحرب – بعد تردد – على قرارى بنقل مركز الثقل إلى الجبهة السورية ، وكان النقاش حول قرارى هذا قد بدأ منذ يومين عندما اقترحت توجيه قوات احتياطية أخرى إلى هذه الجبهة – وكان من المعارضين لاقتراحى اللواء « طال » الذى أصبح يخشى التطورات الجديدة وقال : إن من الضرورى أن نحتفظ بهذه القوة تحسبا للأمور غير المتوقعة . لكننى صممت على قرارى – فى ذلك الوقت – ووصلت هذه القوات بالفعل إلى الجولان . . وكان وصولها فى اللحظات العصيبة من الانقضاض السورى .

هذا وقد بنيت قرارى الجديد بنقل مركز الثقل إلى الجولان على عدة عوامل منها فشل الهجوم المضاد الذى جرى بالأمس على الجبهة المصرية ، وصعوبة تحقيق شيء نساوم به فى هذه الجبهة فى مقابل سهولة ذلك – نسبيًّا – على الجولان كما أن أى تطورات جديدة لصالح السوريين ستكون تهديداً مباشراً وسريعاً للبلاد .

بالإضافة إلى خشية استثمار الأردن للإنجازات العربية ، وفتحه للجبهة الشرقية . كما أنه وصلت للتو أنباء عن تحـــرك قوة عراقية قوامها حوالى ستة عشر ألف رجل ومعهم مائتا دبابة إلى الجبهة السورية للعمل منها إلى جانب قوات سوريا .

وبدأ تنفيذ الخطة الجديدة بتوجيه ضربة جوية فى الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق إلى دمشق نفسها ، فأصابت قذائف الفانتــوم وزارة الدفاع وقيادة السلاح الجوى ومبنى محطة الإذاعة كما أصيب حى أبو رمانة الراقى بما فيه من سفارات كثيرة إصابات شديدة ، وضربت طائراتنا أيضاً محطة الكهرباء وخزان الوقود فى مدينة حمص ، ثم ضربت محطة الرادار اللبنانية فى الباروك لأنها كانت تنقل المعلومات بصورة مستمرة لسلاح الجو السورى .

ولم يكن الأمر سهلا بالنسبة لطيارينا فلقد تعرضت الموجات المتتالية لنيران الصواريخ السورية . وسقط لنا بالفعل عدد من طائرات الفانتوم والميراج .

ومن ناحية أخرى دارت معارك المدرعات ، وكانت أقسى هذه المعارك مادار فى منطقة حسينية ، فقد شهدت هذه المنطقة المعركة الرئيسية حيث حدث تداخل بين قواتنا والقوات السورية مما عطل طيراننا عن العمل فترة طويلة كما أن القطاع الشمالى شهد أيضاً معارك متعددة .

الجبهة المصرية تحتم إجراء تعديلات فى القيادة :

تأكدت أهمية إجراء تعديلات فى جبهة سيناء وقد اقترحت على حاييم بارليف ، (صديق الذى عملت فترة طويلة تحت رئاسته) أن يكون مسئولا عن قائد الجبهة الجنوبية « شموئيل جونين » وقد شرحت له سوء الوضع فى الجبهة . . والخلافات الحادة بين جونين وشارون وقد وافق على اقتراحى لكنه اشترط أن يتلقى موافقة موشيه ديان وجولدا مائير . وبينما كان هو فى طريقه إلى منزله للاستعداد للتوجه إلى الجبهة ، أخبرت ديان ورئيسة الحكومة باقتراحى .

وما كاد بارليف يصل إلى منزله حتى اتصل به ديان تليفونيًا وسأله : هل أنت مستعد فعلا للتوجه إلى الجنوب واستلام القيادة ؟ وأجاب بارليف بالإيجاب .

فقال له ديان : « أعتقد أنه ليس هناك فهم واضح لما يجرى فى الجنوب ، وليس واضحاً بالنسبة لى ما يجرى هناك ، ولا أعتقد أن ذلك واضح لأليعازر أو غيره » .

وبعد هذه الكلمات بدقيقتين اتصلت به جولدا مائير وأعربت عن تأييدها للقرار وقالت له إنها سوف تبلغ ذلك للوزارة فى جلسة الليلة .

ومن جهة أخرى تم الاتفاق مع موردخـاى هود على التوجه مع بارليف إلى سيناء وقدتقبل جونين وصول بارليف كمندوب لى وقائد أعلى للجبهة بضيق واضح لكنه ما كان يملك سوى القبول والتنفيذ .

. . . .

. . . .

هذا بينما وحدات الكوماندوز المصريين تواصل أعمالها خاصة فى منطقة رأس سدر والخليج ، تتركز القوات المصرية على طول القناة بسرعة ، وكانوا قد نقلوا حوالى سبعمائة

دبابة إلى سيناء ، وتم إصلاح الجسور التى أصيبت ونقلت عليها كميات كبيرة من المواد التموينية ، كما تم مد خطوط المياه والمحروقات وأجهزة الاتصال تحت سطح مياه القناة .

ومن ناحيتنا تم تعزيز الشبكة التموينية ، ولكن المشكلة الرئيسية التى واجهتنا كانت فى المدرعات إذ أن أعداداً كبيرة من دباباتنا لم تعد صالحة للعمل . وقد ألحق المشاة المصريون كثيراً من الخسائر بسلاحنا العتيد ، ولم يكن هؤلاء المشاة هم المفاجأة الوحيدة لنا ، إذ أن تقارير مخابراتنا لم تكشف شيئاً عن ذلك النوع من الصواريخ الذى استخدمته الطائرات المصرية (صواريخ قلط جو – أرض) وقد دمر به الطيارون المصريون عدداً من الأهداف وكان من أهمها شبكة الرادار الرئيسية فى سيناء .

وكانت المفاجأة الأخرى هى المدافع ذات القطر ١٨٠ مم ، والتى يصل مداها إلى حوالى أربعة وأربعين كيلومتراً .

اليوم طلب منى جونين عزل شارون لعدم انضباطه وقيامه بهجوم دون أوامر خسر فيه عشرين دبابة واهتمامه بأفكاره الخاصة ولم يكن الموقف يسمح بتنفيذ طلب جونين ورجوته محاولة التفاهم معه .

١٠ أكتوبر ١٩٧٣ :

وصلت مساء أمس الطائرات التى أرسلتها الولايات المتحدة تعويضاً عن جميع الطائرات التى سقطت لنا حتى الآن – وقد وصلت هذه الطائرات من القواعد الأمريكية فى أوربا . وقد طبعت عليها إشارة سلاحنا الجوى ، وبالتالى فإنها دخلت المعارك بعد لحظات معدودة .

لقد كانت نسبة التدمير فى أسلحتنا كبيرة ، ونهاية الحرب لم تظهر بعد ولم تكن واشنطن ترغب حتى الآن فى الإعلان عن مساعداتها العسكرية لنا ، ولذلك لم يكن ما يصل إلينا حتى الآن كافياً لاحتياجاتنا ومع ذلك فقد قال أكثر من مسئول أمريكى كبير لرجالنا هناك . من المهم جداً أن تلقنوا العرب درساً قاسياً » .

وقد حددنا فى القائمة الكبيرة التى طلبناها على وجه السرعة أصنافاً معينه من الأسلحة بالإضافة إلى الطائرات والمدرعات . طلبنا صواريخ (تاو) المضادة للدبابات – وبالرغم من أن الوحدات الأمريكية نفسها لم يكن لديها هذه الصواريخ بصورة كافية . . فإننا أبلغنا

سفيرنا وملحقنا العسكرى بالإصرار على أن تتضمن شحنات الجسر الجوى كميات كبيرة من هذه الصواريخ ، وأيضاً من البندقية الحديثة (ام ١٦) .

وكان مكتب الملحق العسكرى الأمريكى فى تل أبيب يتلقى تقارير مفصلة عن كل التطورات وعن الخسائر التى تقع فى الأسلحة والمعدات والأفراد ، وكان يبلغها بدوره إلى مجموعة العمل الخاصة بمنطقتنا والتى كانت تضم كيسنجر وشيلزنجر وقادة الأسلحة والمخابرات .

كما أن جولدا مائير عاودت الاتصال من خلال التليفون المباشر بالرئيس الأمريكى نيكسون . . وأخذت توضح له خطورة الموقف والحاجة الماسة والعاجلة لكميات كبيرة من الأسلحة والمعدات والأجهزة الإلكترونية .

وقد أخذ نيكسون يهدئ من روعها . . ووعدها من جديد بأن الولايات المتحدة لن تتخلى عن إسرائيل فى هذه الظروف الحرجة وقال لها إنه سيحسم على الفور مشكلة وسيلة نقل الأسلحة المطلوبة .

تم استدعاء عدد من كبار الجنرالات للخدمة فوراً . . وعاد بالفعل رحبعام زئيفى ، وأهارون ياريف ، ويشعياهو جافيش . .

وقد وصل صباح اليوم حاييم بارليف إلى غرفة العمليات بجبهة سيناء . وقال لجونين بمجرد أن التقى به :

« إننى ليس لى أى مصلحة فى المساس بمنصبك ، ولا يزعجنى أن يكون دافيد إليعازر قائدى الآن وهو الذى كان تحت إمرتى فى السابق كما تعلم ، فأرجو ألا يزعجك كونى قائدك » .

وقد وقع بارليف فى تناقض واضح عندما تحدث بعد ذلك بقليل إلى رجال القيادة وقال لهم :

« أنا لست قائد الجبهة ، فصلاحيات قائد الجبهة مازالت فى يد جونين وأنا هنا القائد الأعلى فى الجبهة مع كامل الصلاحيات » .

هذا وقد كانت الجبهة هادئة إلى حد ما . لكن المعارك الثابتة لم تقلل من عدد المصابين ، وكان المصريون يسبقون كل هجوم مهما كان صغيراً بقصف مدفعى شديد وثقيل ، وكانوا يكثرون من دفع ضباط استكشاف يتسللون عبر خطوطنا ، ويقومون بتوجيه نيران مدافعهم . وكانت إصابات رجال مدرعاتنا كثيرة متزايدة ، وكان الباقون منهم يعملون ليل نهار

دون أن يغمض لهم جفن .

ولقد كانت هذه هى الحرب الأولى بالنسبة لجيشنا التى يقوم فيها الأطباء بمعالجة عدد كبير جداً من الجنود الذين أصيبوا بالصدمات النفسية والعصبية .

اتضح اليوم مصير عدد من رجال المدرعات ورجال تحصينات خط بارليف . فقد نشر المصريون فى صحفهم صور العديد منهم بعد أن وقعوا فى الأسر .

فى الجبهة السورية حققت قواتنا - برغم الخسائر الكبيرة - قدراً كبيراً من حسم المعركة بصد الهجمات المضادة وللمرة الأولى أصبح لدى القادة والجنود وقت لمراجعة حساباتهم .

اليوم السادس للحرب (١١ / ١٠ / ١٩٧٣) :

اتجهت اليوم إلى جبهة الجولان ، والتقيت بعدد من قادة الألوية وقد جرت المقابلة فى خط الجبهة شمالى معسكر « نافع » ، والتف حولى القادة داخل مصفحة (رفائيل ابتان) . . . كانت عيونهم منهكة وذقونهم مستطيلة لم تحلق منذ نشوب القتال .

كان يبدو عليهم الإحساس بأن مهمتهم بصد السوريين عن الجولان قد انتهت ولكن فى نفس الوقت الذى كان يسقط فيه المزيد من مئات القتلى . كان على أن أحدد لهم المهمة الجديدة وهى اقتحام تجمعات السوريين . وكم كنت أتمنى لو كلفت بهذه المهمة ضباطاً وجنوداً غيرهم . لكن ما الحيلة وقد أخذ مخزون الطاقة البشرية فى الجيش يهبط بشكل واضح ؟

أخذت أشرح لهم الأمر بكل الطرق وبكل مالدى من قدرة شرحت لهم فى البداية الوضع على الجبهة المصرية (وكانوا لا يعرفون الكثير عنها) . قلت لهم : (إن فرصة الحسم تعنى القضاء على الجيش السورى . إننا مضطرون للقيام بذلك لأن فيه أهمية كبرى . .)

وفى الوقت الذى كنت أتحدث فيه إليهم كانت طائراتنا تندفع بالعشرات نحو المواقع السورية للقيام بالمهام التمهيدية للخطة التى وضعتها وقد تعلقت الأبصار بإحدى هذه الطائرات وهى تعود مترنحة يتصاعد الدخان من ذيلها ثم تسقط فى موقع قريب بعد أن ظهرت مظلة الطيار فى السماء .

هذا وقد كان ديان أحد القلائل الذين وقفوا إلى جانبى ضد الكثيرين فى القيادة الذين لم يوافقوا على خطتى فى البداية وقد تحددت الخطة بأن يجرى الاقتحام فى محورين بحيث

تقوم فرقة « دان لنر » بشق طريقها على الطريق الرئيسية القنيطرة – دمشق ، بحيث تتمكن من اقتحام تجمع القوات السورية قرب خان أرنبه . وفى الوقت نفسه تقوم قوات رفائيل بالتغلغل فى المنطقة الجبلية فى القطاع الشمالى لهضبة الجولان لتؤمن الجانب الأيسر .

ومع خطوات التنفيذ أبدت المفارز السورية الأمامية مقاومة جريئة تسببت فى إيقاع خسائر جديدة فى قوات (دان لنر) . . وكان السوريون يطلقون من بيوت قرية أرنبه نيراناً غزيرة دمرت العديد من المصفحات وأتت على أطقمها . حتى أنه لم يسلم من القوة التى بدأت الاقتحام سوى ثلاث دبابات فقط . وفقدت القوة الأخرى عشرين دبابة لكن قوات رفائيل وصلت فى المساء إلى مسافة ٤٠ كم من دمشق . . ولأول مرة تظهر دلائل الانتعاش على وجه ديان وخاصة أن أخبار بدء الجسر الجوى الأمريكى قد أصبحت مؤكدة .

فى الجبهة المصرية دارت معارك ليلية اتضح فيها أن المصريين قد تدربوا أيضاً على القتال الليلى بشكل جيد . .

ولم تكن المعارك التى دارت اليوم نهاراً أو ليلا بمثل عنف المعارك فى الأيام السابقة . وقد اهتمت القوات المصرية بتدعيم مواقعها الجديدة ورؤوس الكبارى ، وأخذت قواتنا تعيد تنظيم صفوفها .

١٢ أكتوبر ١٩٧٣ :

تحت ضغط شارون بذلت محاولة أخيرة لإنقاذ قواتنا فى موقع لسان بور توفيق وألقيت المهمة على عاتق وحدة من الكوماندوز البحريين ، وكان الهدف هو القدوم فى قوارب عن طريق البحر لإخلاء الرجال من الموقع الحصين . وبعد أن قامت القوة بدراسة الخرائط ، خرجت إلى مهمتها ، لكنها لم تكد تقترب من هدفها حتى شق سكون الليل قصف مصرى ثقيل كان مصدر معظمه مدفع ١٣٠ ملليمتراً وتوالت الانفجارات وأصيبت القوارب وأغرقت بمن فيها .

وصل حايم بارليف من سيناء وتباحث معى فى خطة عبور قواتنا إلى غرب القناة وطلبت أنا منه الانتظار حتى يحضر ديان ونعرض عليه الخطة هو الآخر ، ثم قمت بالاتصال بيسرائيل ليئور السكرتير العسكرى لجولدا مائير وطلبت عقد اجتماع لمجلس وزراء الحرب من أجل بحث اقتراح عبور قناة السويس .

وجاء ديان وبدأ اللقاء الذى اشترك فيه أيضاً سكرتيره العسكرى (يشعيا هو ربيب) .

وقد سأل ديان « ما هو هدف العبور ؟ » وكان يقصد بذلك على ما يبدو ، الاستيضاح عن الاتجاه الذى ستسلكه القوات غربى القناة لو تمكنت من العبور ، واعتقد بارليف للحظه أن وزير الدفاع يشك فى قائد العملية كلها فقال له (إن هذه هى الحركة الوحيدة التى يمكن أن تشكل ضغطاً على المصريين لأنه ليس هناك حتى الآن أى ضغط عليهم ، ولا حتى ضغط سياسى » .)

وقال ديان : « اتركوا المسألة السياسية جانباً وابحثوا الأمر من الناحية العسكرية وعليكم أن تقرروا فيما إذا كان بالإمكان تنفيذ الخطة من هذه الناحية فقط » . .

قال ديان هذه الكلمات . ثم غادر الغرفة بدون أن يحدد موقفاً وكان الاضطراب بادياً على بارليف وعلى أنا أيضاً . . وقد شعرت بالحيرة فهل سأعرض الاقتراح على مجلس وزراء الحرب وأنا لا أعلم إذا كان وزير الدفاع سيؤيده أم يعترض عليه ؟

. . . عدت إلى الاتصال بسكرتير ديان وشرحت له الأمر وقلت « إننى لن أذهب إلى جولدا بدون وزير الدفاع ، وإذا كان معترضاً عليها فليس هناك مجال لبحثها . . وعلى الجنرال أن يحدد موقفاً) .

وبعد دقائق معدودة اتصل بى (ربيب) وأخبرنى بأن ديان سيشترك فى الجلسة مع جولدا عند عرض الخطة .

وذهبت أنا وبارليف إلى الاجتماع الذى اشترك فيه مع رئيسة الحكومة كل من ديان وآلون وإسرائيل جاليلى ، وتحدث بارليف عن وضع القوات على الجبهة وعن فرص العبور ، وأيدته أنا كما أيده (بينى بيلد) قائد الطيران والحقيقة أننى كنت أرغب فى عملية عبور مبكرة لكن آلون اعترض على العملية . . وبدأ الرأى يميل إلى الانتظار حتى يتضح موقف القوات المصرية وهل ستطور هجومها وبالتالى تتغير أوضاعها أم لا ؟ . . وأثناء انعقاد الجلسة وصلت صور جوية (. .) وضحت أن المصريين بدأوا ينقلون على الجسور باتجاه سيناء فرقتيهما المدرعتين الثقيلتين « الرابعة ، والحادية والعشرين » ، بالإضافة إلى فرقة آلية . وكان معنى ذلك أن المصريين فى نيتهم فعلا استئناف الهجوم وهكذا سيتركز حوالى ١٢٠٠ دبابة فى الحزام الضيق الذى تشكله رؤوس الجسور فى سيناء كما ستكون المنطقة الواقعة غربى القناة خالية إلى حد كبير .

وهكذا فإنه رؤى تأجيل اقتراح العبور . . حتى وقت آخر انتظاراً لتبلور موقف القوات المصرية ولأشياء أخرى .

من ناحية أخرى تعرضت قوات (دان لنر) لهجوم مفاجئ من القوات العراقية التى وصلت إلى الجبهة السورية ، كما تعرضت قوات رفائيل إيتان لهجوم من قوة مغربية مدرعة تعمل مع السوريين منذ بدء القتال .

وقد احتاج الأمر إلى بعض الوقت لإعادة تنظيم قوات (دان لنر) وقوات (رفائيل) والخروج من الكمائن التى تظهر فجأة .

هبطت اليوم فى أحد المغارات أولى طائرات الجسر الجوى الأمريكى وكانت تحمل ذخيرة وقطع غيار وأجهزة إلكترونية .

١٣ أكتوبر ١٩٧٣

دخلت معظم الدول العربية إلى المعركة مع مصر وسوريا ، بشكل أو بآخر ، فقد وقف اللواء المدرع الأردنى والذى يضم ثمانين دبابة باتون على مسافة حوالى خمسة عشر كيلومتراً من قواتنا فوق الجولان ، وفى الوقت نفسه كان يتم نقل عربات مصفحة سعودية من إنتاج فرنسى على الطرق الأردنية باتجاه سوريا وبدأت ليبيا بتحميل السفن بدبابات من اللواء المدرع الذى سيتوجه إلى مصر ، وكان المغاربة سيرسلون هذه المرة وحدة إلى مصر ، كما أن الكويت قررت إرسال لواء مدرع مصغر إلى الجبهة المصرية .

والمعروف عسكرياً أن هذه القوات لا تشكل خطراً حقيقياً علينا وخاصة أنها تصل إلى جبهات القتال دون تنسيق أو تدريب مشترك سابق لكنها دليل على اقتراب العرب بعضهم من بعض كجبهة واحدة . .

استمرت اليوم عملية نيكل جراس وهى عملية الجسر الجوى الأمريكى بقيادة وإشراف الميجور جنرال « مارتشى كيسى » أحد كبار المسئولين فى وزارة الدفاع الأمريكية وقد انطلقت الطائرات الأمريكية الضخمة من طراز جلاكسى سى ٥ و سى ١٤ من القواعد العسكرية حيث تم تحميلها بالمعدات والأسلحة .

وعلاوة على عملية النقل هذه ، قام البنتاجون بإعدادات لنقل طائرات حربية إلى إسرائيل ، وصدر الأمر إلى قائد سلاح الجو فى ولاية كارولينا الجنوبية لإعداد سرب من طائرات الفانتوم لرحلة طويلة ، وطلب منه إزالة العلامات المميزة لسلاح الجو الأمريكى عن هذه الطائرات قبل توجهها إلى إسرائيل . وقد تم ترتيب تزويد هذه الطائرات بالوقود فى المحيط الأطلسى سواء فى الجو أو على حاملات الطائرات التابعة للأسطول الأمريكى . وفى الوقت

نفسه صدر أمر إلى قاعدة (بييز) الجوية فى (نيوهامشاير) لإرسال ثلاث طائرات تزويد وقود من طراز كمية سى ١٣٥ إلى ثلاثة أمكنه فوق المحيط الأطلسى .

هذا وقد امتنعت دول حلف الأطلنطى عن تزويد هذه الطائرات خوفاً من قطع النفط العربى عنها .

المهم . أنه بعد فشل عمليات الإمداد السابقة عن طريق طائرات العال وبعض السفن . . أصبح هذا الجسر الجوى الأمل الوحيد لنا حتى نتماسك ونستعيذ أنفاسنا . .

من جهة أخرى قامت طائرة التجسس الأمريكية إس . ار . ٧١ باختراق المجال الجوى للدول المتحاربة الثلاث . وقد التقطت صوراً جوية غاية فى الأهمية .

الموقف بالنسبة لقواتنا على الجولان غير مقلق .

فى الجبهة المصرية لم يبدأ بعد هجومهم المدرع المتوقع على ما يبدو فإنهم لم ينقلوا بعد جميع فرقهم المدرعة إلى سيناء ولذا كانوا يكتفون بالقصف الثقيل وبمعارك مدرعة محلية . .

بالنسبة لقواتنا فهى تواصل تنظيم صفوفها . وقد استعوضت الألوية خسائرها بالمدرعات والمعدات الجديدة لكن المشكلة مازالت متمثلة فى تعويض الرجال الذين ماتوا أو فقدوا أو أسروا .

وقد قامت طائراتنا اليوم بغارات عديدة على بورسعيد وبرغم الخسائر التى تعرضت لها فإن عدداً من قواعد الصواريخ المصرية أمكن تدميره أو تعطيله .

ولم تكتشف الطائرات مواقع صواريخ سكود (الأرض - أرض) والتى يبلغ مداها ثلثمائة كيلو متر .

نهاية مؤلمة :

ثار اليوم جدل حول موقف قواتنا فى حصن لسان بور إبراهيم (بور توفيق) وطلبهم الاستسلام للقوات المصرية التى تواصل حصارهم والضغط عليهم ، وقال موشيه ديان رداً على اقتراحى « يجب ألا تطلب من جنود جيش الدفاع الاستسلام ، بل إن عليهم أن يقرروا ذلك بأنفسهم » ومن خلال الاتصال اللاسلكى المشترك بين مركز القيادة العليا وقيادة الجبهة وقائد الحصن . . قال شلومو (قائد الحصن) إنه ليس بإمكانهم الصمود وإنهم يريدون الاستسلام ، وقد تم الاتصال بالصليب الأحمر لترتيب عملية الاستسلام التى دعت مصر إلى مشاهدتها مراسلى وكالات الأنباء والصحف العالمية . . لتستغلها هى الأخرى إعلامياً [لقد انتهى خط بارليف] .

صدمة أخرى:

انتقلت إلى جبهة سيناء لعقد اجتماع لقادة الفرق فى منطقة طاسة ، وكان معى فى الطائرة الهليوكبتر حاييم بارليف ، ولحق بنا فى طائرة أخرى جونين ، وجور ، ووايزمن .

وبمجرد وصول طائرتهم . . قرأنا فى وجوههم حزناً شديداً . . وقال لنا جونين « إنه اتصل لاسلكياً من طائرته بالبرت ماندلر الذى كان قد عاد منذ دقائق من جولة بين قواته ، وكان يتحدث من داخل إحدى المصفحات حين انقطع صوته فجأة . . وعندئذ أحسست أن شيئاً خطيراً قد وقع ، وقلت لوايزمان (لابد وأن أمراً ما قد حدث لألبرت) ، وبالفعل اتضح أن قذيفة مصرية دمرت العربة المصفحة التى كان يستقلها وأدت إلى مقتل أربعة آخرين غيره وكان من بينهم « رافى أونجر » المراسل الحربى لإذاعة إسرائيل » وقد أثار قلقنا تحديد المصريين لمكان ألبرت بسرعة بالغة ثم دقة استخدامهم للمدفعية .

لقد كان ألبرت من أفضل قواد مدرعاتنا وقد عمل تحت قيادتى فى حرب ١٩٥٦ .

. . . .

« إنها صدمة أخرى »

. . . .

أصدرت قراراً بتعيين كالمان ماجن مكانه . . وكان قد تسلم منذ نشوب الحرب قيادة قوة فى القطاع الشمالى من القناة .

١٤ أكتوبر ١٩٧٣:

قبل أن يطلع فجر هذا اليوم كنت ومعى مساعدى اللواء (طال) فى غرفة العمليات الخاصة بالجبهة الجنوبية وعلى الفور بدأت اجتماعات متتالية .

كنا جميعاً مشدودين مثل زنبرك هائل . فقد كان واضحاً أمامنا أن الهجوم المصرى بات وشيكاً .

وكان (يسرائيل طال) أكثرنا قلقاً . . فلم تهدأ حركته وظل يمشى فى الغرفة الطويلة يقطعها ذهاباً وإياباً .

ولعل أهم أسباب توقعنا للهجوم المصرى الجديد هو اتصال دمشق بالقاهرة . وطلبها أن تضغط القوات المصرية على جيش الدفاع حتى يخفف بالتالى الضغط على القوات السورية .

لم يدم انتظارنا طويلا . . فقد بدأ الهجوم المصرى فى السادسة صباحاً بقصف مدفعى ثقيل استمر يدوى ثلاثة أرباع الساعة ، كما قامت الطائرات المصرية بهجوم سريع وقد تعرضت بعض قواعد دفاعنا الجوى للتدمير من جراء هذا الهجوم وسقط عدد من الجنود قتلى وجرحى .

ثم قام المصريون بالهجوم على طول الجبهة مستخدمين ما بين ثمانمائة إلى ألفى دبابة دفعة واحدة .

لقد بدأت أضخم معركة مدرعات بعد الحرب العالمية الثانية .

. . . .

هدأ الهجوم فى الثانية عشر ظهراً . .

. . . اتصل بارليف بجولدا مائير فى المساء طالباً الموافقة على العبور ، وقد قبلت الحكومة اقتراح رئاسة الأركان .

جولدا تقبل الطيارين الأمريكيين :

وصلت جولدا مائير اليوم إلى مطار (. . .) ، وقامت بمعانقة وتقبيل اثنين من الطيارين الذين قدموا أمامها . وسئل الطياران اللذان فوجئا فيما يبدو ، عما إذا كانا يريدان أى شيء فى الساعات القليلة التى سيقضيانها فى إسرائيل ، فقال أحدهما إنه ليسعده القيام بجولة فى القدس . . وقالت جولدا لمرافقيها (جهزوا لهما سيارة . . ونفذوا كل ما يطلبانه) .

. . . وكان قسم من المعدات التى وصلت فى الطائرات الأمريكية لازماً جداً وبصورة ماسة لقواتنا فى الجبهة ، فلقد استهلك جيش الدفاع الإسرائيلى كمية من الذخيرة تفوق الكمية التى تصورها المخططون ، كما تناقص بصورة مقلقة مخزون قذائف المدافع . . خاصة قذائف المدافع (الأمريكية) بعيدة المدى من عيار ١٧٥ مليمتراً ، وكانت هذه الذخائر والمعدات تنقل من الطائرات رأساً إلى الجبهة .

ولقد كنا فى رئاسة الأركان نشعر بقلق شديد بالنسبة لمخزون الذخيرة اللازم لاستمرار الحرب ، فأصبح هذا الموضوع واحداً من الموضوعات الهامة التى لا بد من بحثها وحلها . وخاصة أنه ليس هناك أى دليل على اقتراب وقف إطلاق النار ، فالعرب لم يتحدثوا عن ذلك إطلاقاً ، ولم يتحرك أحد فى الأمم المتحدة لإثارة اقتراح بإصدار الأمر بإيقاف النار ، وقد عبر عن ذلك موشيه ديان حين قال فى قيادة الجبهة الجنوبية :

« إن العائلة الدولية لا تريد أن تربك العرب باقتراح لوقف النار ، وذلك خشية أن تكون الدول العربية غير مستعدة بعد ذلك . »

. . . .

ومن جهة أخرى فإن عدداً من (المسئولين) الأمريكيين ، قد اتصلوا بجولدا وديان أكثر من مرة مطالبين بالإسراع فى عملياتنا ضد القوات العربية ، وقال أحدهم لجولدا غاضباً :

(ماذا تنتظرون ؟ لقد أجبنا كل طلباتكم . . لماذا لا تسارعون بإنجاز أى شىء قبل أن يصدر قرار وقف إطلاق النار ؟

١٥ أكتوبر ١٩٧٣ :

بدأ صباح هذا اليوم دون أن يقوم المصريون بالهجوم كما لم يتراجعوا عن محاولتهم باختراق الجبهة فى هجوم مدرع شامل . وقد تخلوا عن فكرة شق الطريق إلى خليج السويس فى أثناء الليل للوصول إلى حقول النفط . بعد أن تدخل سلاحنا البحرى فى محاولتهم .

كمين . . وخسائر :

تلقى جيش الدفاع ضربة أخرى حين قامت مجموعة من رجال الكوماندوز المصريين بالتمركز فى المرتفع الرملى المجاور للطريق المؤدى لحصن بور فؤاد – وهو الحصن الذى لم يسقط حتى الآن – وقد أعد هؤلاء الكوماندوز كميناً لقافلة مدرعة إدارية إسرائيلية كانت فى طريقها إلى الحصن ، وقد انهالوا عليها بقذائف آر . بى . جيه والصواريخ المضادة للدبابات وكانوا يطلقونها من مسافة قريبة جداً . مما أوقع بقواتنا خسائر كبيرة تصل إلى مائة قتيل وجريح . ولم يكن من الممكن إنقاذ بقية الأفراد والمدرعات إلا بدفع قوات نجده سريعة من دبابات ومظليين وقد استمرت المعركة خمس ساعات كاملة . . وتعرضت مجموعة الكوماندوز المصريين لعدة خسائر .

العبور المضاد :

تمت هذا المساء مراجعة الاستعدادات لعبور القناة إلى الغرب ، وقد ألقى على فرقة شارون أصعب مهمة وهى إقامة رأس جسر ، حيث انه أقدم قائد فرقة والأكثر خبرة واستعداداً

لهذه العملية بالذات .

. . . وقد كان متفائلا أكثر من اللازم حتى انه قال لى : « إننا سوف نقيم جسرين خلال الليلة الأولى من العملية ، وقلت أنا له « إذا أمكن إقامة جسر واحد فسيكون ذلك أمراً حسناً) .

فى الخامسة بعد الظهر بدأ التحرك الشامل . فتحركت وحدات العبور التى تحمل الجسور على المحاور الموصلة إلى طاسة ، وتحركت الوحدات الخلفية التابعة لشارون على الطرق الواقعة فى القطاع الأوسط ومن الجنوب كان يصعد المظليون حتى يلتقوا فى الطريق مع رجال الهندسة كى يتلقوا منهم قوارب المطاط التى يستخدمونها فى عبور القناة . . . حدث ارتباك شديد فى التحركات . . وانطلقت النيران المصرية بكثافة . . حتى ان معظم الآراء التقت حول ضرورة تأجيل العملية . . لكن شارون آثر أن يستمر برغم كل ما يحدث .

ويبدو أن المصريين – فى أهم القطاعات بالنسبة للعملية – قد تصوروا فى البداية أنهم بالفعل أمام قوات مصرية . . إذ أن قواتنا استخدمت دبابات روسية من التى غنمتها فى حرب ٦٧ ، وقد ظلوا فى تصورهم إلى أن انطلقت نحوهم نيران قواتنا . . فأثرت فيهم المفاجأة . .

وبالرغم من نجاح بعض المظليين فى الوصول إلى الضفة الغربية فإن النيران المصرية اشتدت مع منتصف الليل بصورة رهيبة . كما أن الكتيبة المدرعة التى كانت تسعى إلى توسيع رأس الجسر إلى الشمال قليلا باتجاه المزرعة الصينية واجهت مقاومة عنيفة للغاية فلقد أدخل المصريون فى العملية دبابات كثيرة ومفارز من المشاة حاملى الصواريخ المضادة للدبابات .

. . . وقعت خسائر كبيرة جداً فى الكتيبة المدرعة . استدعيت سرية « رافى باروليف » لنجدتها . . وبمجرد أن انضمت لبقايا الكتيبة فتحت عليها نيران الدبابات من الخلف ، وتلقت الضربة الأولى مصفحة (عامى فريدمان) التى تقدمت فرقة شارون ، واشتعلت فيها النيران ولم ينج منها سوى اثنين فقط بينهما (عامى) الذى أصيب مع زميله بحروق شديدة .

وفى الطرف الآخر من سيناء كانت المنطقة كلها عبارة عن ساحة قتال دامية . واستماتت المصريون فى محاولة سد الطرق فى وجه قواتنا التى تحاول الدخول إلى غربى القناة .

وسقط قائد الوحدة الاستطلاعية (يو آب بروم) قتيلا (وكان قد حل مكان قائدها السابق الذى قتل فى الأيام الأولى للحرب) . . وأيضاً سقط (رافى باريف) قتيلا ، عندما اخترقت قذيفة آر . بى . جيه برج دباباته . . فقتل هو ومن معه .

. . . صدر الأمر لبقايا كتيبة الدبابات وبقايا سرية الاستطلاع بالانسحاب من هذه المنطقة ومحاولة إخلاء الجرحى الكثيرين بمساعدة مصفحات تم دفعها نحوهم ، وإن كانت قد تعرضت هى الأخرى للضرب الشديد حتى ان قائد المصفحة الأولى التى كانت تقل (عامى) انحرفت لتقع فى كمين مصرى يقضى عليها وعلى كل من فيها ، بينما سقطت المصفحة الثانية فى القناة القريبة .

. . . .

١٦ أكتوبر ١٩٧٣ :

لم نتمكن من دفع أول دبابة إلى غرب القناة حيث كان المظليون الذين عبروا وحدهم إلا صباح اليوم .

ولم يكن المصريون غرب القناة يقومون بمقاومة حقيقية باستثناء القصف المدفعى القصير والشديد – أما بالنسبة للمحورين الرئيسيين المؤديين من شرقى رأس الجسر إلى الشمال باتجاه المزرعة الصينية . . فهذان الطريقان كانا فى الواقع مسدودين تماماً بالمقاومة المصرية الشديدة . لقد تكبد المصريون فى معارك الليلة الماضية خسائر كبيرة – مثلما تكبدت قواتنا أيضاً – لكنهم نجحوا فى إغلاق هذين الطريقين . ولقد كشف صباح هذا اليوم عن بشاعة معارك الدبابات التى دارت طوال الليل ، حتى ان الدبابات المصرية والإسرائيلية المصابة كان يقف بعضها أمام بعض لا يفصل بينها سوى أمتار قليلة جداً .

. . . .

لقد تكبدت قوات الاختراق خسائر كبيرة ، ولم يبق منها سوى بضع عشرات قليلة كما قتل العديد من أفرادها . وكانت الدبابات المتبقية تفتقر إلى الذخيرة الكافية .

وبينما كان الاتصال اللاسلكى يدور مع شارون . قام المصريون بغارة عنيفة للغاية . . وقد نقلت أجهزة الاتصال أصوات الانفجارات الشديدة التى وقعت بالقرب من قيادة شارون ولم يعد ممكناً سماع صوته .

. . . .

تقرر إعفاء قوات شارون (المتبقية) من مهمة القيام بهجوم على مفرق الطرق كما تقرر انسحاب هذه القوات قليلا إلى شاطئ البحيرة المرة باتجاه حصن (لقفان) لكى تستعيد تنظيمها . . وأصبح على قوات آدن أن تقوم بالسيطرة على القطاع الواقع شمال الجسر.

وقد أرسل تقريراً عاجلا يقول فيه (من جهتى فأنا لا أعتبر هذا رأس جسر على الإطلاق) .

الحبل السرى :

كان رأس الجسر بالفعل متداعياً وهزيلاً . . ولم يتمكن شارون من نقل أكثر من عشرين دبابة إلى الغرب ، وتعرضت بقية المدرعات لخسائر متلاحقة . وكان المصريون ينتشرون بين قوات (آدن) . . . وكانت معدات إقامة الجسر محشورة فى الخلف ، واستحال مرورها فى المحاور التى تغطيها نيران المصريين . . كما كسر الجسر فى أحد أجزائه .

. . . .

وساد بيننا الشعور بأن العبور أصبح مشكوكاً فيه ، فبعد ثمانى عشرة ساعة من بدء العملية لم يتم إقامة أى جسر حقيقى على القناة (كنت محقاً حين سخرت من شارون وقلت له إنه لو استطاع إقامة جسر واحد - بدلاً من الجسرين اللذين وعد بهما - لكان عملاً طيباً) .

كما أنه « شارون » لم ينجح إطلاقاً فى تعزيز المظليين والدبابات العشرين التى انحشرت هى الأخرى غرب القناة ، وكان الحبل السرى الذى يمد هذه القوة دقيقاً وضعيفاً للغاية بحيث كان معرضاً للقطع بسهولة فى أية لحظة .

. . . .

كنا نتابع العملية فى قلق واكتئاب . وكان أكثرنا توتراً موشيه ديان ، أما إيجال آلون الذى كان قد جاء مع ديان إلى مركز القيادة الجنوبية فإنه بمجرد أن جاءت الإشارة الأولى عن عبور المظليين إلى الجانب الثانى من القناة . . أبدى رغبته فى النوم معتذراً بأنه مرهق من التوتر ، ولكن يبدو أنه لم يكن يرغب فى متابعة التطورات التى تلاحقت فى شكل مزعج ، وقد لاحظت أنه حين أراد أن ينام على أحد السريرين الخاليين فى الغرفة (غرفة جونين قائد المنطقة) ، تجاهل أحد الجنود طلبه ، وقال للحاضرين باستخفاف فيه استعراض غريب :

« اقترح أن ينصرف من ليس له عمل هنا » .

وقد فرش آلون لينام فى إحدى الحافلات خارج غرفة العمليات ، وبقى ديان مكانه ، وجلس متقوقعاً على نفسه فى الركن وقد زادت حالته المعنوية اكتئاباً .

وكان معنا فى الغرفة أيضاً بالإضافة إلى جونين ، الجنرال حاييم بارليف (قائد الجبهة) والجنرال (عاموس حوريب) ، والجنرال (أورى - بن - آرى) .

. . . وفى الساعة الثانية بعد منتصف الليل تقريباً وصلتنا تقارير متتالية عن قواتنا التى كانت موجودة على المحور وحوله .

. . . .

هل نلغى العملية :

. . وبعد دراسة ما وصل إليه موقف قواتنا فى عملية العبور من واقع هذه التقارير ، تحرك ديان فى جلسته وقال فى يأس : (أنا أقترح إعادة القوة بمافيها المظليون والدبابات) .

وساد صمت ثقيل . . لكن الصيغة التى عبر بها ديان عن رأيه فتحت كعادته فى هذه الأيام مجالاً للمناقشة والرفض : وكنت أول من أبدوا اعتراضهم على كلامه ، واستمع الجميع إلىَّ ، ثم قال (جونين) « إن على قوات شارون وآدن أن تقتحم المعابر . . مهما حدث » .

وانضم بارليف إلى رأيى أنا وجونين قائلاً :

« إن المصريين لن يذبحوهم وإذا لم تسر الأمور بشكل أفضل فسنعيد القوات بنفس الطريقة التى عبرت بها . وبذلك نكون قد خسرنا عدة عشرات من الدبابات المحترقة » .

وقال ديان :

« موافق . . ولكن يجب تحديد خط أحمر أى الوقت الذى ستعاد فيه القوات من الضفة الأخرى إذا لم يقم الجسر حتى ذلك الوقت » .

. . تقرر إسناد مهمة فتح المحاور إلى لواء من المظليين بدلاً من المدرعات التى تعرضت لخسائر كبيرة وخاصة أن المشاة المصريين ما زالوا ينتشرون بأسلحتهم الفعالة .

ومع المساء وعند وصول المظليين تحدث بارليف فى اللاسلكى مع قائدهم وقال له :

« إن فتح المحور يعتبر أمراً حيويًا وخطيراً حيث ان النجاح كله معلق به . وبدون هذا النجاح لا أعرف كيف ستنتهى الحرب » .

« وقام » قائد المظليين بنقل ما قاله بارليف إلى أركانه .

وبدأوا مهمتهم على الفور فتقدمت كتيبة . وخلفها قيادة اللواء .

قطع المظليون ثلث مسافة الطريق بمعارك قاسية ، ثم أصبحوا فى وضع لا يستطيعون معه التحرك خطوة واحدة . فلقد وجهت كمائن المصريين نيران عشرة مدافع (جوريونوب) نحوهم وغطت الطريق تماماً . وتبعثرت سرايا المظليين ، وتناثرت جثث الكثيرين منهم حتى ان كل متر من الطريق كان عليه جثث لهم اخترقتها نيران المصريين .

مع طلوع الفجر . . كانت الخسائر رهيبة . وقتل خمسة ضباط من قادة السرايا . . وسقطت بعض القذائف وسط جماعة القيادة فقتل عدد آخر منهم .

أصبحت المشكلة الآن هى إيجاد مخرج من هذه النيران المصرية وكان هناك قناة واسعة قرب الطريق (استعملت قبل سنوات من قبل القائمين على المزرعة الصينية) ، وكان فى طرفها قوة مصرية ، لكنها ما إن تحركت إلى مكان آخر حتى اندفع إليه من تبقى من المظليين ووجدوا فيها مأوى يحميهم من النيران ذات المسار المسطح .

ولكن سرعان ما اكتشف المصريون أن المظليين قد دخلوا فى هذه القناة فقاموا بصب نيران مدفعيتهم عليها ، وكانت تنهمر بدقة لم يسبق لها مثيل .

هكذا بقى المظليون محشورين فى القناة الطويلة ، وبدلاً من أن يقوموا بفتح المحور ، وقعوا فى كمين مخيف ، فسقط منهم الكثيرون ونفدت الذخيرة لدى معظمهم ، ولم يكن ممكناً إمدادهم بأى شىء .

١٧ أكتوبر ١٩٧٣ :

مع طلوع فجر هذا اليوم زادت صعوبة وخطورة موقف الذين نجوا من المظليين واختبأوا فى القناة الطويلة ، فقد كان أسهل على المصريين تسديد نيران مدافعهم فى ضوء النهار – وإذا كانوا قد فعلوا ذلك بدقة بالغة ليلاً . . فإن العمل نهاراً سيكون أثقل وأخطر على المظليين .

وكان الوضع أقل خطورة على ضفة القناة . لكن المظليين لم يكونوا يعرفون شيئاً ، وكان كل همهم هو الخلاص من المأزق الذى وقعوا فيه .

وقد صدر الأمر بدفع عدة مصفحات لإنقاذهم بعد أن تعذر انسحابهم تماماً ،

وجرى بالفعل إخراجهم فى مجموعات صغيرة ومفرزة أثر مفرزة وكان آخر من تبقى منهم فى المنطقة ١٨ مظلياً .

ثم إحلال الدبابات محل المظليين . . فى محاولة أخرى ، وقد صمم رجال المدرعات على أن تدعم دباباتهم بعناصر مشاة من الكوماندوز ليواجهوا معا المشاة المصريين وحتى يتمكنوا من توسيع رأس الجسر ، لذا تم تجميع سرايا من المظليين من كلّ جهة ودفعوا مع المدرعات .

وقد قاوم المصريون بصلابة شديدة فى المحاور المؤدية إلى شمالى البحيرة المرة ، وتقدمت دبابات (آدن) ببطء خلال معارك قاسية للغاية ، وفى الساعة السادسة وخمس وعشرين دقيقة هبطت العوامة الأولى فى قناة السويس . . ووصلت العوامة الأخيرة إلى الساحة فى الساعة العاشرة .

وكان القصف المصرى كقطرات ثابتة من القذائف ، لكنه تحول الآن إلى ما يشبه الأمطار الاستوائية من قذائف المدفعية وقنابل المدافع والكاتيوشا من عيارات مختلفة . وتلقت إحدى العوامات إصابة مباشرة أحدثت فتحة ضخمة فى مركزها وقتل عدد من أفراد سلاح الهندسة وجرح قائد المعديات فخلفه قائد آخر ، وبعد ذلك جرح قائد إحدى وحدات العوامات .

ثم أصابت قذيفة ثقيلة إحدى المعديات الأخرى وكانت إصابة مباشرة ، فمالت وغطست بسرعة وكان عليها دبابتان ، ولم تفلح أية محاولة لإنقاذهما فلقد غاصتا بسرعة مع طاقميهما إلى قاع القناة ولم ينج أحد .

وأدت شراسة النيران المصرية إلى خسائر جديدة ، وتعويق خطير لعملية إقامة الجسر العائم .

إعادة التفكير :

كان لابد من عقد اجتماع سريع لبحث الأمر وقد تم ذلك فى الساعة الواحدة ظهراً – فى قيادة آدن .

وضم الاجتماع موشيه ديان وبارليف وشارون وأنا .

اقترح بارليف تمكين شارون من عبور القناة مع جزء من قواته لمجرد إقامة الجسر على أن يبقى نائب شارون بجانب رأس الجسر ويبدأ شارون نفسه فى توسيع الهجوم خلف

القناة مستغلا الدبابات الروسية التى غنمها جيش الدفاع فى حرب الأيام الستة .

اعترضت على اقتراح شارون وتمسكت بالاستمرار فى الخطة كما تحددت فى البداية ، بأن يظل شارون مسئولاً عن السيطرة على رأس الجسر وأن يكون مسئولاً عن الجانب الشرقى للجسر أيضاً .

ويكون على آدن العبور أولاً ، أما كالمان ماجن فيتأهب استعداداً للتحرك بقواته .

لم تتوقف المعارك أثناء الاجتماع ، وقام سلاحنا الجوى بالمساعدة بجهد كبير خاصة ضد المشاة المصريين قرب المزرعة الصينية وشمالها .

تقرر أن يتصدى (آدن) للواء المدرع المصرى الذى ورد نبأ عن صعوده من الجنوب وعلى طول البحيرة لدعم الجيش الثانى الذى يحاول قطع رأس الجسر . . . ونظراً لضيق الرقعة التى كان يتحرك فيها اللواء المصرى ، استطاعت قوات آدن تدمير العديد من دباباته وتعطيله .

قام سلاح الجو المصرى بمحاولة ثانية للنفاذ إلى عمق الأراضى الإسرائيلية وفى الوقت نفسه أغارت الطائرات الميج على القوة التى كانت تقوم بوصل العوامة الأخيرة فى الجسر ، والتى كان يقودها الرئيس (يهودا حوده) . وكان هذا أكبر هجوم مركز على الجسر ، وأصاب أحد الصواريخ العوامة الأخيرة وفتح فيها ثغرة كبيرة مما جعلها غير صالحة كما أن عملية فكها تحتاج إلى وقت طويل . . وكان الحل هو استخدام دبابة من حاملات الجسور . وتم ذلك فى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر ، لكن قوات آدن لم تكن مستعدة للعبور ، وأثار شارون من جديد اقتراحه بأن تقوم قواته بالعبور أولا ، وكانت الساعة الرابعة وخمسين دقيقة .

وقد تحدثت أنا إليه من غرفة عمليات الجبهة . . ودار الحوار كالتالى :

أنا – أنا لست موافقاً على خطتك يا « أريك » ، وعليك الاحتفاظ برأس الجسر وتمكين آدن من العبور .

شارون – إن هذا لخطأ تاريخى وإضاعة للوقت .

أنا– أنا لا أشتغل بالتاريخ ، وعليك أن تستمر فى عملك وأن تنفذ ما يطلب منك ، وأن تقدم تقريراً عن ذلك .

وكما توقعت لم يتوقف شارون عن ثرثرته ، فقد عاود الاتصال بى بعد خمس دقائق مكرراً طلبه ، وكنت مضطرًا إلى الرد عليه من جديد وبلهجة محددة وقاطعة فقلت له :

« عليك أولاً القيام بالمحافظة على رأس الجسر ، وبعد ذلك نرى » .

بلغت الساعة الثامنة إلا ربعاً . . و « آدن » ما زال يقول إنه يحتاج إلى وقت آخر ، لكن جونين صاح فيه قائلاً « عليك أن تعبر فوراً وألا تؤجل الأمور » .

وما كادت الدبابة الأولى تندفع فوق الجسر حتى انحرفت إلى اليمين وهدمت حاجزه الأيسر . واحتاج الأمر إلى تأخير العبور حتى الساعة العاشرة ليلا . وقد تعرضت قيادة آدن لقصف ثقيل ومركز فاق فى عنفه كل ما تعرضوا له منذ بداية الحرب ، ووقعت القذائف أيضاً قرب الجسور وقتلت عدداً من رجال الكبارى وكان منهم الرئيس (يهودا حوده)

مع الفجر كانت قوات (آدن) قد تواجدت غربى القناة ، وكان عليها أن تواجه التجمع المصرى الذى تم دفعه بسرعة إلى المنطقة . ولكن ضرب عدد من قواعد الدفاع المصرى أتاح الفرصة لمساندة سلاحنا الجوى لقواتنا البرية بشكل جيد .

كذلك قام سلاح الجو المصرى بجهد خاص ، وكان هذا الجهد موجهاً فى معظمه ضد الجسر شمالى البحيرة ، فكانت الطلعات لا تتوقف برغم تعرضها للخسائر ، وكانت أخطر هذه الغارات تلك التى حدثت فى المساء حيث أحدثت أضراراً أكبر فى الجسر .

هذا ولم يتوقف القصف على منطقة الجسر وكانت معظم النيران تأتى من الشرق شمال وجنوب الجسر .

وقد سقط قتلى آخرون كان منهم قائد المهندسين فى فرقة شارون ، ويدعى (يهودا ده ليئون) كما قتل عدد آخر من سلاح المهندسين حين وقعوا فى كمين للكوماندوز المصريين عند عبارة ماء مسقوفة .

تم تعديل التعديل الذى حدده بارليف ، فكلفت قوات كالمان ماجن بشق طريقها إلى السويس بدلاً من قوات شارون أما شارون فسيعمل فى توسيع رأس الجسر والتوجه إلى الشمال نحو الإسماعيلية .

١٩ أكتوبر ٧٣ :

استدعى كيسنجر اليوم (سيمحا دينتس) سفيرنا فى واشنطن، وسأله بلهجة عصبية : ما زلتم تطلبون مهلة أخرى ؟ « لقد طلب الروس إجراء بحث عاجل هنا فى واشنطن وهذا يعنى أن وقف إطلاق النار سيدخل حيز التنفيذ غداً . ولقد قلت لهم إن البحث سيجرى

عندهم حتى نكسب مهلة يوم آخر لكم لذا أرجو إبلاغ رئيسة حكومتك بأن علىّ التوجه إلى موسكو . وعليكم التصرف بأسرع ما يمكن . . والواقع أن الجسر الجوى الأمريكى قد أعاد لقواتنا كل ما فقدته وأكثر بل إن الأمريكيين لم يبخلوا بأحدث المعدات الأليكترونية الحديثة التى وصل معها خبراء أمريكيون .

أقول لك . . إنها حرب رهيبة :

التقيت اليوم بشارون وقبل أن أسأله عن صورة الموقف ، وخطواته القادمة قال لى فى عصبية « إن هذه حرب رهيبة . . أقول لك إنها حرب رهيبة لم نواجه مثلها أبداً . لقد كانت حرب يونية ١٩٦٧ بالنسبة لهذه الحرب مجرد معركة واحدة ! ! »

هذا وكان موقع قيادة شارون قد تعرض فى نفس هذا اليوم لغارة من طائرات الميج المصرية . . أحدثت بعض الخسائر .

المهم أننا تشاورنا فى الموقف ، ولم يؤثر على لقائنا ما حدث منذ أربعة أشهر حين عينت جونين بدلاً منه كقائد للجبهة الجنوبية دون أن أعرض عليه منصباً آخر .

ونجوت بأعجوبة :

بعد انتهاء اجتماعى مع شارون ، أقلعت بى الطائرة العمودية للعودة إلى غرفة العمليات ، ومرت الطائرة بالقرب من المجال الجوى للجيش المصرى الثالث فى سيناء ، وفجأة ظهر جنود مصريون قاموا بتوجيه النيران الأوتوماتيكية صوب الطائرة .

اهتزت أعصاب الطيار . وحاول الإفلات من النيران المتدفقة . . أصيبت الطائرة . ولكن الطيار نجح فى الإفلات بها والوصول إلى القاعدة . فى الوقت الذى سقطت فيه الطائرة الثانية التى سلكت الطريق نفسه .

لقد رأيت الموت بعينى . . ولا أدرى حتى الآن . . كيف نجوت .

٢٠ أكتوبر ١٩٧٣ :

التقى كيسنجر فى موسكو مع بريجنيف وعجلة الوصول إلى قرار وقف إطلاق النار تدور بسرعة . الأمريكيون يخطروننا بالمباحثات أولاً بأول .

وصلت سفينة الشحن رقم ١١٥ ، وقد تعرضت لبعض المتاعب فى الطريق إلى الميناء

من إحدى الغواصات المصرية ، لكنها وصلت بما تحمله من شحنات ضخمة من أسلحة ومعدات .

قواتنا غربي القناة وخاصة قوات شارون تواجه صعوبات عديدة حيث نسف المصريون قناة المياه الحلوة جنوبي الإسماعيلية فأغرقت المياه المتدفقة منطقة واسعة وملأتها بالطين الذى تسبب فى إغراق الدبابات حتى أبراجها . وفى الوقت نفسه أدى انتشار الكوماندوز المصريون إلى إحداث خسائر كبيرة فى المدرعات التى حاولت التقدم باتجاه الإسماعيلية دون جدوى .

٢١ أكتوبر ١٩٧٣ :

اتصلت صباح اليوم بجونين لأبلغه أننا سنقبل اقتراح وقف إطلاق النار . ثم اتجهت بنفسى إلى غرفة عمليات الجبهة حيث عقد اجتماع سريع حضره ديان وبارليف وجونين وعدد من قادة الفرق ، وقد أثرت أهمية الاتجاه نحو الجنوب حيث الفرصة أفضل (خاصة بعد التعثر الشديد لقوات شارون فى اتجاهها شمالاً نحو الإسماعيلية) .

وقد همس أحدهم قائلاً ، إننى أفضل الإنجازات البسيطة ما دامت مضمونة ، وقد أيدنى جونين فى التركيز على محاولة تطويق الجيش الثالث .

لكن موشيه ديان كان هو الوحيد تقريباً المؤيد للتوجه شمالاً أيضاً نحو الإسماعيلية .

ثم جرى الحديث حول منطقة (ميسورى) التى تقع فى الشرق شمالى رأس الجسر ، والتى تعتبر جناح الجيش المصرى الثانى فى داخل سيناء ، وقد نفذت قواتنا من جنوبه فى نقطة الوصول الواقعة بين الجيشين حتى القناة ويبلغ طول تجمع ميسورى (حيث توجد وحدة مشاة مصرية) حوالى ثمانية كيلومترات وعرضه حوالى أربعة كيلومترات وقسمه الشمالى فى الخط الموازى لبحيرة التمساح ومن الجنوب المزرعة الصينية .

وكان الحديث قد جرى حول ضرورة الاستيلاء على ميسورى منذ اللحظة التى بدأ فيها التخطيط لعبور القناة شمالى البحيرة المرة ، وكان يخشى من وصول وحدة المشاة المصرية الموجودة فيها ، جنوباً إلى المحاور التى كانت ستمر عليها قواتنا فى طريقها إلى رأس الجسر ، وكان قد تحدد أن تقوم قوات شارون فى الليلة الأولى بالسيطرة على قسم من ميسورى وإبعاد المصريين حوالى أربعة كيلومترات شمالى رأس الجسر . لكن هذا لم يتم بعد أن وجه الجهد الرئيسى إلى رأس الجسر ، وبعد أن فشل المظليون فى هجومهم على المزرعة الصينية .

وقد كنت أضغط شخصيًا – كل يوم – على بارليف وجونين من أجل السيطرة على هذه المنطقة (ميسورى) .

وكانت قواتنا الجوية ابتداء من ١٧ أكتوبر تقوم بغارات متتالية على الوحدة المصرية الموجودة فى ميسورى حتى ان حجم القنابل التى ألقيت عليها يفوق ما ألقى على أى تجمع آخر ولدرجة أن شارون استنتج أن المصريين – من نجا منهم – قد انسحبوا وبالتالى – ركز عمله فى غرب القناة باتجاه الإسماعيلية .

. . . لكن الواقع أثبت أن المصريين لم ينسحبوا أو يتخلوا عن المكان . ولذلك تلقى شارون فى الساعة (٩,٤٨) من صباح اليوم أمراً بإيقاف العمل غرب القناة والتوجه إلى ميسورى . وقد اتصل به جونين قائلاً :

« عليك توجيه الجهد الرئيسى إلى ميسورى ، وأنقل إلى هناك من الغرب « أ » (تشكيل اختراق) وأيضاً قسماً من الوحدة « ح » أو بالعكس .

« المهم أن يتم الاستيلاء على ميسورى . وعليك التوجه إلى هناك بعد أن يؤدى سلاح الجو مهماته بالإغارة على المنطقة كلها مرة أخرى تمهيداً لهجوم قواتك » .

هل كان شارون يتوقع ذلك ؟

مرت ساعات . . دون أن يبدأ شارون هجومه على ميسورى وقد أثار ذلك جونين مرة أخرى فهذه حلقة من سلسلة خلافاتهما الطويلة منذ نشبت الحرب .

واتصل جونين فى الساعة ١٢,١٧ ظهراً بشارون من جديد ودارت المكالمة كالتالى وكما سجلتها تقارير العمليات :

أريك : اسمعنى يا جونين بدلاً من بذل الجهد فى ميسورى يجب التقدم إلى الأمام لقطع طرق تموينهم ، وأنا أفضل التوجه شمالاً بدلاً من التوجه شرقاً .

جونين : اسمع يا شارون . نحن نريد ميسورى ونحن نعرف لماذا يجب أن تكون الأولوية لميسورى . ويكفى أنها تلقت حتى الآن أكبر غارات جوية فى الحرب كلها .

أريك : قد يكون كلامك صحيحاً ولكنى أعتقد أن التوجه للاستيلاء على ميسورى يعتبر خطأ . . . ومن الممكن التوجه إلى الشمال وقطع الإسماعيلية والمحاور المؤدية لها ، وليس التوجه شرقاً .

جونين : اسمع يا شارون إن الأمر هو التوجه إلى ميسورى وليس التوجه شمالاً .

أريك : انظر . إننا نفذنا الأوامر . ومع أن هذا الأمر ليس منطقياً ولكننا سننفذه .
جونين : إذا كنت تريد الاعتراض . . فإن حاييم بارليف سيكون بطرفك خلال نصف ساعة .

انتهت المكالمة . ولم يتدخل ديان الذى كان موجوداً أثناءها ، وغادر المكان دون أن ينطق بكلمة واحدة . ونجح شارون فى إقناع بارليف بوجهة نظره . ولكن الأخير قال له : « إننا نقترب من وقف إطلاق النار . . ورأس جسر كهذا لا ينفعنا » .

. . . .

أخيراً . . . وفى الساعة الثالثة بعد الظهر بدأ شارون الهجوم على ميسورى وسار الهجوم فى البداية على ما يرام . وبدا للقوات المتقدمة أن الغارات العنيفة للطيران قد أخمدت أنفاس كل شيء . ولكن سرعان ما صعدت بعض الدبابات فوق ألغام بثها المصريون فتوقفت ثلاث دبابات ، ثم انطلقت صواريخ المصريين وقذائفهم الـ « آر . بى . جيه » .

لم تستطع القوة إتمام مهمتها فقد قام المشاة المصريون بهجوم مضاد عنيف . توقفت القوة الإسرائيلية تماماً وخمد هجومها ولم تستطع أن تتحرك وبقيت فى الساحة أربع عشرة دبابة دون أن يتمكن من بقوا فيها أحياء من الخروج منها . كما أنه لم يكن من الممكن تخليصهم .

كان نبأ الفشل الكامل للقوات فى هجومها على ميسورى مذهلا ومفجعاً لكن قيادة الجبهة ظلت مقتنعة بضرورة الهجوم مرة أخرى . . لتخليص بقايا القوة السابقة وتنفيذ المهمة الأصلية . .

واتصل جونين من جديد بشارون . وأخذ يحدثه عن الاحتمال الكبير بأن يكون المصريون فى ميسورى يواجهون الآن مشكلة نقص الذخيرة . . وبالتالى فإن مقاومتهم لن تكون بنفس العنف السابق .

وأخيراً طلب منه أن تتجه قوة جديدة لتنفيذ المهمة .

ثم انتظرت القيادة بدء الهجوم الثانى . . لكنه تأخر بشكل ملحوظ وحاول جونين الاتصال مرة أخرى بشارون . . ولكن عبثاً ، فقد أخذ يتهرب من الرد عليه إلى أن كانت الساعة ١١,٥٩ مساء أى قبل منتصف الليل بدقيقة واحدة . وتم الاتصال الذى سجلته التقارير كالتالى :

جونين : مساء الخير .

شارون : مساء الخير .

جونين : هل تنوى دعم الوحدة التى هاجمت ميسورى واستئناف الهجوم مرة أخرى .

شارون : لا . . ليس لى ما أقدمه .

جونين : وماذا عن الوحدة المحاصرة هناك ؟

شارون : بأى حال من الأحوال لن أهاجم مرة أخرى .

جونين : إذن فأنا آمرك بتقديم الدعم والهجوم .

شارون : لن أفعل ذلك بأى حال من الأحوال .

جونين : ليكن معلوماً لديك أن هذا يشكل عدم تنفيذ الأوامر ؟

شارون : وماذا يعنى ؟

جونين : إن هذا يعتبر امتناعاً عن تنفيذ الأوامر .

شارون : بالله اتركنى من أقوالك هذه .

جونين : إذن . . فليكن معلوماً لديك أننى آمرك مرة أخرى بتنفيذ المهمة .

شارون : ليس لدى ما أقدمه لهذه المهمة .

جونين : حسناً . . طابت ليلتك .

شارون : طابت ليلتك . .

. . . .

انتهى الاتصال العاصف . . وتلفت شارون لمن حوله قائلاً : « لقد عضنى الندم لأننى قمت بتنفيذ أوامرهم . . فلقد تصلبت وتصلبت فى رأيى . . ولكننى تراجعت وقمت بتنفيذ الأوامر . . وكانت النتيجة أننا أصبنا بخسائر كبيرة . .

وفى الوقت نفسه كان جونين يقول لمن حوله :

« إن الأمر لن ينتهى بهذه الصورة » .

ثم توجه بحديثه إلى بارليف وقال له :

« أنت ممثل رئيس الأركان هنا وأنا أطلب منك أن تنقل له ذلك . إن هذه ليست مسألة اعتبار شخصى ولكنها وصلت إلى عدم تنفيذ للأوامر .» .

وتحدث بارليف إلى شارون ، وأعلن له شارون أنه سينفذ الأوامر وسيدفع مرة قوة مدرعة أخرى إلى ميسورى . ولكنه لم ينفذ شيئاً ، وبدلاً من ذلك اتصل بموشيه ديان – وكان ذلك فى الرابعة صباحاً – وطلب منه أن يلغى الأمر . واتصل بى (ديان وأبلغنى بأنه يرى

عدم التمسك بتنفيذ هذه المهمة . وتحدثت مع اللواء (طال) وقلت له : « يبدو أن لا أمل فى هذه المعركة . . وعلى أى حال فإن احتلال كيلومتر من التجمع المصرى فى ميسورى لن يغير من الأمر كثيراً » وبإمكانك الاتصال بجونين وإبلاغه بإيقاف الهجوم على هذه المنطقة » .

واتصل اللواء طال باللواء جونين وأبلغه الأمر – باعتباره صادراً من وزير الدفاع وقال له : « إن محاولة السيطرة على ميسورى نوع من الانتحار » .

وأسقط فى يد (جونين) ، لكنه لم يستطع أن يقاوم مشاعره الشخصية ولما كان لا يعلم أننى قد وافقت على القرار بدورى – فإنه اتصل بى . وكرر طلبه بعزل شارون ، ودعمه هذه المرة بأن بارليف يؤيده فى طلبه .

ماذا فى الجولان :

بالرغم من النجاح بشكل عام فى صد السوريين فإن تواجدهم فوق جبل الشيخ . وبالذات فى مركز الأرصاد الذى أطلق عليه اسم « عين إسرائيل » كان مشكلة عسكرية إعلامية . فمواقع جبل الشيخ – عسكرياً – لها خطورتها ، ومن الناحية الاعلامية لم يكن ممكناً إصدار بيان عن صد القوات السورية دون الإشارة إلى سقوط مركز جبل الشيخ فى أيديهم وهذا ما تجنبت جميع البيانات السابقة الإشارة إليه بأى صورة من الصور .

لذلك كله . . تقرر استعادة هذا المركز والمواقع الأخرى فوق جبل الشيخ بأى طريقة . . وتم توزيع المهمة على لواء جولانى وقوات المظليين .

وقد استطاع المظليون تحقيق مهامهم بعد إسقاطهم خلف القوات السورية المتمركزة فى مواقعها ، وقد دارت معارك عنيفة حتى نجح المظليون فى السيطرة على هذه المراكز ، أما لواء جولانى الذى قام بنفس المحاولة فى اليوم الثالث للحرب – فقد تكبد خسائر هائلة قبل إتمام مهمته وكانت الجثث مكوماً بعضها فوق بعض . إذ كلما حاولت مجموعة إنقاذ بعض الجرحى . . وقعت هى الأخرى بنيران الكوماندوز السوريين .

٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ :

فى الوقت الذى جاء فيه بارليف لمقابلة رئيس الحكومة وزيارة رئاسة الأركان ، كان ديان يتجه منذ الصباح إلى قيادة الجبهة الجنوبية . وتحدث إلى كبار الضباط قائلاً :

« لقد طلبتم من شارون الاستيلاء على ميسورى . . واعلموا أن هذه فضيحة . . فمحاولة الاستيلاء على ميسورى مرة أخرى كانت بمثابة الانتحار » .

وأدرك جونين أن ديان يقصده هو بهذه الكلمات ، فرد عليه قائلاً :

« إن شارون يدير حرباً خاصة به » .

ولكن ديان – الذى تبنى أفكار شارون – قال لجونين ومن معه : « إننى أفضل حصار الإسماعيلية عن حصار الجيش الثالث ، ومن المهم قطع الجيش الثانى كما أن الإسماعيلية مهمة من الناحية السياسية » .

. . . .

ثم استطلع ديان خريطة العمليات ، وأشار بإصبعه إلى داخل سيناء ، ثم وضع أصبعه على تجمع مصرى مقابل البحيرة المرة الصغرى يدعى (عفرة) وقال موجهاً كلامه لجونين :

« يجب الاستيلاء على هذا التجمع . وعلى القوة (ج) أن تقوم بذلك ، حيث إنها لم تفعل شيئاً له قيمة طوال الحرب . . اطلبوا منها أن تحتل هذا التجمع » .

ودار نقاش فنى حول هذا (الأمر) ، وعارض (جونين) مكتفياً بشرح الأسباب العسكرية . ولم يقتنع ديان بتعليلاته وحاول جونين تأجيل القرار . فقال لوزير الدفاع :

« سأحاول إقناع رئيس الأركان بعدم لزوم هذا الأمر » .

وهنا غضب ديان وغادر غرفة العمليات الحربية ، وبقى الجو متوتراً ، وكانت هذه آخر مرة يزور فيها ديان قيادة الجبهة الجنوبية قبل عزل جونين من منصبه واستبداله بيسارئيل طال .

اتصل جونين بى ، وبعد محادثة قصيرة ، أصدرت أوامرى بالاستمرار فى المهمات كما تم تحديدها من قبل وبدون تغيير أى شىء .

وقد كنت أعلم أننى بذلك ألغى أوامر ديان ولكننى لم أعبأ كثيراً .

. . . .

ومن جهة أخرى. .دخلت قوات آدن فى معارك قاسية . . ولم تستطع أن تكمل حتى الآن حصار الجيش المصرى الثالث . وقد أصيب قائد لواء مدرع وحل مكانه مساعد كالمان ماجن كما قتل وأصيب عدد من القوات المهاجمة .

وكان المصريون – وخاصة رجال الكوماندوز – يقاومون بجرأة كبيرة مستغلين الأشجار

المنتشرة بجانب القناة .

. . . .

أما قوات شارون فما كادت تكرر محاولة تقدمها إلى الإسماعيلية حتى وقعت فى كمين ضخم قامت به كتيبتان من رجال الكوماندوز المصريين ، ودارت معركة شديدة سقط فيها الكثير من القتلى والجرحى .

. . . .

بدء تنفيذ قرار وقف إطلاق النار :

حل الظلام . . وبلغت الساعة السابعة موعد تنفيذ قرار وقف إطلاق النار . وكانت المعركة قرب الإسماعيلية على أشدها . وتكررت محاولات شارون لتخليص الجرحى من ساحة المعركة . وفشلت كل هذه المحاولات – فطلب دعماً جوياً لمساعدته . لكن هبوط الليل والظلام كان حائلاً دون قيام الطائرات بهذه المهمة .

وبالتالى كان على المظليين من رجال شارون أن يخلصوا أنفسهم بأنفسهم وبمساعدة المدفعية الثقيلة .

وفى الساعة ١٩,٣٣ تلقى شارون تقريراً بأن بقية الفرق قد أوقفت القتال ، بعد أن دخل وقف إطلاق النار حيز التنفيذ . وكان على شارون ألا يبادر إلى القيام بعمليات جديدة وأن عليه أن يكتفى بتخليص الجرحى . وقد استمرت عمليات إخلاء أرض المعركة من القتلى والجرحى حتى منتصف الليل . ومع طلوع الصباح تبين لقوات شارون أن رجال الكوماندوز المصريين قد احتلوا مواقع على بعد عشرين متراً فقط منهم .

٢٣ أكتوبر ١٩٧٣ :

بعد الظهر قام آدن بهجوم كبير ، فقد قامت وحدتان من فرقته بهجوم على شكل قوس واسع ، وأدت إلى ضرب التجمع المصرى فى الطريق إلى مدينة السويس . واندفع تشكيل من المدرعات (وهو تشكيل جديد حيث ان الأطقم السابقة قد قتل معظمها فى سيناء فى الأيام الأولى للحرب) . اندفع هذا التشكيل إلى ميناء الأدبية فى خليج السويس واستولى عليه . كما وصلت قوات آدن إلى مداخل السويس .

وحيث ان بعض أفراد الكوماندوز المصريين كانوا قد خرقوا وقف إطلاق النار بدخولهم

إلى الأماكن التى تعسكر فيها المدرعات الإسرائيلية ودمروا عدداً من الدبابات بقذائف آر . بى . جيه – فإن انتهاك قوات (آدن) للقرار استمر ، وتقرر أن يحتل مدينة السويس .

السويس يجب ألا تكون ستالينجراد أخرى !

فى الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل اتصل (أورى بن آرى) مساعد جونين باللواء « آدن » ونقل إليه تعليماتنا . . قائلا : « إننا نريد أن تستولوا على مدينة السويس ولكن بشرط ألا تكون ستالينجراد أخرى » .

وقبل « آدن » الأمر الجديد ، وطلب أن يؤجل تنفيذ العملية حتى يطلع النهار .

٢٤ أكتوبر ١٩٧٣ :

صدر عن جيش الدفاع – فجر اليوم – بيـــان عـن حصار قواتنا للجيش الثالث المصرى ، وعن دخولها ميناء الأدبية .

ويبدو أننا قد أخطأنا . . فقد استغل الروس هذا البيان ، واعتبروه دليلاً على أن حصار الجيش الثالث قد حصل بعد الموعد الذى حدده مجلس الأمن لوقف النار .

وقد زادت هذه اللهجة السوفيتية والإنذار بالتدخل العسكرى . كما سجلت أقمار التجسس الأمريكية صوراً لبطاريات صواريخ أرض – أرض من طراز سكود منتشرة شرقى القاهرة .

لكننا جعلنا من السويس ستالينجراد أخرى بالفعل :

مثلما حدث للواء المظلـيين الذين كلفوا بفتح المحور الرئيسى لرأس الجسر . . فوقعوا فى عدة كمائن مصرية . وسقط منهم الكثيرون ثم تحول الموقف إلى محاولة تخليصهم – بدلا من فتح المحور . . . حدث الشيء نفسه فى السويس . . حين خدع الهدوء الذى ساد المدينة قوات آدن . . فاندفعت إلى داخلها . . لتنهال نيران المصريين . . وتشتعل الدبابات . . ويسقط القتلى والجرحى بالعشرات .

وتحولت غرفة العمليات فى رئاسة الأركان وقيادة سيناء للعمل المتواصل من أجل تأمين انسحاب القوات المتبقية إلى خارج السويس وإخلاء القتلى والجرحى » .

٢٥ أكتوبر ١٩٧٣ :

هل صحيح انتهت الحرب ؟ لا أكاد أصدق ومع ذلك فالكوماندوز المصريون يواصلون إزعاج قواتنا فى غرب القناة بشكل خاص .

٢٨ أكتوبر ١٩٧٣ :

إننى لا أملك إلا أن أقول إن الجيشين (المصرى والسورى) قاما باختراق خطوطنا فى هذه الحرب بمهارة وكثافة هائلة وتفوق نوعى ملحوظ .

لقد كان المصريون والسوريون يتمتعون بروح معنوية عالية . ولقد قاتل الجيشان بتصميم وعناد . إن العرب فى مركز عسكرى مثالى . . بينما لن نتمكن نحن من تعويض خسائرنا بسهولة . .

سألنى اليوم أحد الصحفيين : لقد بدأت الصحف تطلق على هذه الحرب اسم حرب يوم الغفران فما رأيك ؟ وقد وجدتنى أرد عليه بقولى : بل هى حرب يوم الحساب » .

١٢ نوفمبر ١٩٧٣ :

إننى كرجل عسكرى أعرف تماماً أن لكل حرب مفاجآتها . وهناك أشياء لا بد أن نتعلمها وأن نصحح معلوماتنا بشأنها .

وأكبر مفاجآت هذه الحرب (أكتوبر ١٩٧٣) هى الجندى المصرى وكذلك الجندى السورى . لقد أظهروا قدراً من الكفاءة القتالية والتضحية بالنفس وقوة الدافع يفوق كثيراً ما كنا نتوقعه .

وبالنسبة لنا فى إسرائيل فإننى أقول إن قرار عدم استدعاء الاحتياطى على الرغم من التقارير التى كانت لدينا عن ضخامة الحشود المصرية والسورية ، على جبهات الجولان والسويس ، هذا القرار تم اتخاذه على أعلى مستوى سياسى وعسكرى مشترك وذلك لأن جميع التفسيرات ذهبت إلى أن تلك الحشود العربية لن تؤدى إلى قيام الحرب .

٣ ديسمبر ١٩٧٣ :

مازال شارون يواصل تصريحاته غير المسئولة للصحفيين محاولا أن ينتقص من جميع

القادة ليظهر هو فى صورة البطل الوحيد ، هذا بالرغم من أنه يعلم جيداً أن عبورنا إلى الجانب الغربى من القناة قد كلفنا خسائر فادحة ، ومع ذلك فإننا لم نستطع طوال عشرة أيام من القتال أن نخضع أى جيش من الجيوش المصرية .

فالجيش الثانى صمد ومنعنا نهائيًّا من الوصول إلى مدينة الإسماعلية (وقد كان شارون هو المكلف بتحقيق ذلك) .

وبالنسبة للجيش الثالث فإنه – برغم حصارنا له – فـإنـه قاوم بل تقدم واحتل بالفعل رقعة أوسع من الأراضى شرقاً ، ومن ثم فإننا لا نستطيع أن نقول إننا هزمناه . . أو أخضعناه . .

هذا وقد اضطررت لإصدار بيان أوجه فيه اللوم لشارون استنكارًا لإعطائه أحاديث صحفية ومقابلات خاصة من أجل الحصول على مكاسب شخصية برغم أن موشيه ديان أصدر أمراً بعدم السماح للجنرالات بإعطاء أحاديث للصحفيين .

٢ فبراير ١٩٧٥ :

منذ يومين فقط (فى ٣٠ يناير ١٩٧٥) قدمت (لجنة إجرابات للتحقيق فى تقصيرات حرب أكتوبر ٧٣) تقريرها الثالث والأخير إلى كل من الحكومة ولجنة الخارجية والأمن فى الكنيست . وقد اقتصر هذا التقرير السرى على :

١ – النظام والانضباط .

٢ – وحدات مخازن الطوارئ .

٣ – معارك الصد مقدمة .

٤ – معارك الصد فى الجنوب – أحداث يوم ٨ أكتوبر .

٥ – معارك الصد فى الشمال يومى ٦ ، ٧ أكتوبر حتى الظهر .

٦ – مساعدة الاستخبارات العسكرية أيام الحرب .

٧ – الأسر .

٨ – السيطرة .

بالإضافة إلى فصل عن موضوع التدريب وآخر عن الردع والحسم كتبه اللواء احتياط حايم لاسكوف .

وقد قرأت معظم ما جاء فى هذا التقرير وزاد تصميمى على أن أقدم للحكومة مذكرة

مفصلة وموضحة تتضمن جميع اعتراضاتى على تقارير لجنة إجرانات . التى ألقت قدرًا كبيرًا من مسئولية الهزيمة على شخصى ، وأوصت بناء على ذلك بإبعادى عن منصبى كرئيس لهيئة الأركان . لألقى نفس مصير الياهو زعيرا واريه شاليف وجونين وغيرهم . .

إن اللجنة تقول – مثلا – إننى أتحمل مسئولية شخصية عما حدث عشية الحرب سواء بالنسبة إلى تقدير الوضع أم بالنسبة إلى تأهب الجيش وإنه كان على أن أوصى بتعبئة جزئية للاحتياط منذ أول أكتوبر ، وقد تجاهلت اللجنة بذلك أن قرار استدعاء الاحتياطى تم اتخاذه على أعلى مستوى سياسى – عسكرى مشترك . وإننى تلقيت شخصيًّا تأكيدات من رئيس الاستخبارات بقدرته على إعطائى إنذاراً قبل الحرب بوقف كاف . . . !

. . إننى – كما قلت للكثيرين بعد أن نشرت اللجنة تقريرها الجزئى ، أعتقد أن فى تقرير اللجنة أموراً ليست صحيحة وليست دقيقة . وإنه يجب بحسب رأيى أن تقدم إلى الحكومة اعتراضات إضافية ، لكى تبدى هى رأيها وتستخلص الاستنتاجات الصحيحة .

إن التقرير كان شاملا جدًّا إلا أنه لم يشمل مسار الحرب بأكمله وإنما مرحلة الصد فقط تمشياً مع نص تفويض اللجنة .

إننى أرى أن اللجنة تصرفت بانتقائية فى مواضيع كثيرة من معارك الصد ، خصوصاً فيما يتعلق بالقرارات الحاسمة فى العمليات الكبيرة للجيش ، وبالقرارات الحاسمة على الصعيد الاستراتيجى – السياسى وحصرت نفسها فى الظواهر السلبية التى كانت فى الحرب .

إننى متأكد أننى قد غبنت وظلمت شخصياً . لأن انتقادات اللجنة لم تكن متزنة ، ولم تكشف أخطاء آخرين كانت لهم مسئولياتهم الكبيرة .

إننا جميعاً نشارك فى أخطاء أساسية . فلقد خدعنا المصريون ولم نتصور أنهم سوف يعبرون . . ولم يخطر على البال أن الجندى المصرى المنهزم (فى يونيه ١٩٦٧) سوف يحارب بهذا الاقتدار كما أن أكبر مفاجأة لنا كانت فى هذا التخطيط البالغ الدقة الذى وضعوه للحرب .

* * *

الورقة الأخيرة فى حياة اليعازر العسكرية : [الحكم عليه]

« لقد توصلنا إلى اتفاق بأن اللواء دافيد العازر رئيس هيئة الأركان يتحمل مسئولية شخصية عما حدث عشية الحرب ، سواء بالنسبة إلى تقدير الوضع أم بالنسبة إلى تأهب الجيش الإسرائيلى .

ولقد أخذنا بالحسبان بصورة خاصة ، الأمور التالية ، ونؤكد أننا لم نتوصل إلى الاستنتاج الذى توصلنا إليه بناء على كل واحد منها على انفراد ، بل إن وزنها المتراكم هو الذى دفعنا إلى ذلك : بالنسبة إلى المعلومات كان لرئيس هيئة الأركان تقدير خاص به أشد خطورة من تقدير شعبة الاستخبارات العسكرية ، خلال فترة التوتر السابقة فى آيار (مايو) ١٩٧٣ ، بيد أن انتصار شعبة الاستخبارات العسكرية عندما انقضى هذا التوتر بسلام كما قدرت أضعف كما يبدو – يقظة رئيس هيئة الأركان خلال الأيام التى سبقت حرب يوم الغفران ، فلم يبذل أى جهد فعلى للتوصل إلى تقدير خاص به كقائد ، حتى إنه لم ينتقل خلال فترة التوتر من الأسبوع الأخير الذى سبق الحرب إلى الجبهات ، كى يطلع بنفسه على ما يجرى هناك ويكون انطباعات مباشرة من الدلائل الإنذارية .

ونذكر مرة أخرى لمصلحة رئيس هيئة الأركان أنه طلب تعبئة قوات الاحتياط بأسرها صباح يوم السبت ولكن كان عليه ، فى الظروف التى قامت أن يوصى بتعبئة جزئية للاحتياط منذ الأول من أكتوبر ، عندما بدأت « المناورة » فى مصر ، ولم نقبل تفسيره بأنه فعل فى ذلك اليوم (٥ أكتوبر ٧٣) أكثر مما ينبغى بإعلانه أقصى درجة من حالة التأهب فى الجيش النظامى ، بما فى ذلك سلاح الجو (إلغاء الإجازات ومناوبة الضباط فى القيادات . . إلخ) ووضع قوات الاحتياط فى حالة تأهب ، ووجدنا أيضا أنه لم تكن للجيش الإسرائيلى خطة مفصلة معدة فى حالة هجوم شامل مفاجئ للعدو على أساس تقدير واقعى لقواته ، وتأهبه ، ونواياه فى مواجهة قوات الجيش الإسرائيلى وخططه .

لقد وثق رئيس هيئة الأركان بصورة مبالغ فيها بأنه سيحصل دائماً على إنذار لتعبئة الاحتياط خلال وقت كاف حتى لو كان أقصر من المخطط له .

وأضيف إلى هذه الافتراضات ثقة مبالغ فيها بقدرة الجيش الإسرائيلى على أن يصد ، فى كل الظروف هجوماً شاملا للعدو . .

وفى ضوء ما قيل أعلاه ، نرى من واجبنا التوصية بإنهاء تولى اللواء دافيد اليعازر منصب رئيس هيئة الأركان :

(توقيع)

شمعون إجرانات – رئيس اللجنة
موشيه لانداو – عضو اللجنة
يتسحاق نفنتسال – عضو اللجنة
بيجئال يادين – عضو اللجنة
حاييم لاسكوف – عضو اللجنة

كلمة أخيرة :

كانت هذه النهاية المأساوية للجنرال دافيد اليعازر ، صورة لنهاية الكثيرين من جنرالات إسرائيل الذين طردوا أو قتلوا أو أسروا أو فروا مع من قتل وأسر وفر من ضباط وجنود جيش الدفاع الإسرائيلي . في ميادين القتال .

وكان انهيار هذه المثل العليا للشباب الإسرائيلي ، مع انهيار نظرية الأمن الإسرائيلية . . . . مع الخسائر الفادحة في الأرواح والمعدات والأسلحة وتصدع الاقتصاد الإسرائيلي .

كان ذلك كله . وغيره من آثار طوفان أكتوبر . . سبباً في حالة التمزق والضياع والسخرية من النفس التي انتابت المجتمع الإسرائيلي ، والتي صدرها العرب إلى إسرائيل بعد أن عانوا من هذه الحالة طوال السنوات التي بدأت من يونيه ١٩٦٧ إلى أن اندلعت حرب أكتوبر ١٩٧٣ وهذا هو ما عبر عنه الرئيس السادات في أكثر من خطبة وحديث صحفي .

. . . .

وإذا كانت هذه الحالة من التمزق والضياع والسخرية من النفس ، قد عبرت عن نفسها في الكثير من المواقف والكتابات الإسرائيلية ، التي سوف تخصص لها عدة صفحات في الفصول القادمة ، فـــإن هناك نكتة معينة من بين مئات النكت التي يرددها الإسرائيليون الآن ساخرين من قادتهم وأنفسهم أسجلها الآن لأنها تتصل اتصالا وثيقاً بالجنرال (دافيد العازر) ورفيقه الجنرال (حاييم بارليف) اللذين هاجرا معا – في وقت متقارب – من بلدهما الأصلي « يوغسلافيا » إلى فلسطين ، ثم تدرجا في مناصب جيش الدفاع الإسرائيلي في خط متقارب .

النكتة الإسرائيلية :

زار الرئيس المصري أنور السادات يوغسلافيا وبمجرد أن قابل الرئيس تيتو قال له : « لقد جئت لأشكرك على الجنرالين اللذين أرسلتهما إليّ ، وكانا من أسباب انتصارنا في أكتوبر .

وقال تيتو مندهشاً : لكنني لم أرسل إليك أي جنرال ؟ فرد السادات ضاحكاً : بل أرسلت حاييم بارليف ودافيد اليعازر . أليس كذلك ؟

صور ومواقف إسرائيلية متناثرة

وكان مقتل الرجل الحديدى . . رمزاً محزناً لإسرائيل :

ولد « إبراهام ماندلر » بمدينة لينتس بالنمسا فى عام ١٩٢٩ . وهاجر إلى فلسطين فى عام ١٩٤٠ ، وبعد خمس سنوات من « هجرته » انضم لوحدات الجدناع ثم التحق فى عام ١٩٤٧ بالخدمة فى الجيش الذى سعى بن جوريون إلى تكوينه من العصابات الإسرائيلية المسلحة مثل الهاجاناه والجدناع ، واشترك إبراهام (ألبرت) ماندلر فى حرب فلسطين قائداً لإحدى السرايا ، وفى عام ١٩٥٢ عمل فى عدة وظائف عملية وتدريبية . وقيادية ، إلى أن كان عام ١٩٥٦ حين اشترك فى عمليات سيناء تحت قيادة دافيد إليعازر ، ثم التحق فى عام ١٩٥٩ بكلية القيادة والأركان الإسرائيلية ، وفى عام ١٩٦٤ درس التاريخ العام بجامعة تل أبيب ، وبعد ذلك بعام واحد عين قائداً لأحد الألوية المدرعة ثم اشترك فى حرب يونيه ١٩٦٧ ، قائداً للواء مدرع كان يعمل على هضبة الجولان السورية .

وعين فى عام ١٩٦٨ قائداً ثانياً لسلاح المدرعات بعد أن رقى إلى رتبة « تات ألوف » ، وفى عام ١٩٧٢ – بالتحديد فى ٢٩ سبتمبر ١٩٧٢ عين ألبرت قائداً لمدرعات سيناء ورقى لرتبة ألوف » .

وكان يوم الأحد « ٧ أكتوبر ١٩٧٣ » محدداً لتركه منصبه كقائد عام للقوات المدرعة التابعة للجيش الإسرائيلى فى سيناء ، تمهيداً لاحتلاله منصباً أكبر . وهو قائد عام سلاح المدرعات الإسرائيلى خلفا للجنرال « آدان »

. . . .

تلك هى قصة حياة الرجل الحديدى الجنرال إبراهام (البرت) ماندلر الذى كان طويل القامة ، قرمزى الوجه ، ذا عينين مخمليتين زرقاوين ، وكان من أبرز صفاته – كما أشرنا من قبل أنه هادئ لدرجة البرود حتى إن مؤلفى كتاب « المجدال » الإسرائيليين يقولون عنه « أنه ظل هادئاً ومهدئاً حتى فى ساعات اليأس التى شهدتها جبهة سيناء فكان صوته موزونا وهادئاً كصوت الطبيب خلال العملية الجراحية » .

. . . .

ونتابع الرجل فى أيامه الأخيرة التى بدأت مع بداية حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ويستوقفنا

هذا الحوار الذى دار بينه وبين مراسل عسكرى قبل اندلاع الحرب ، حين سأله المراسل :
« ماذا يحدث لو عبر المصريون القناة غداً صباحاً ؟
وأجاب هو بثقة « حديدية » : [إذا حدث ذلك ستصدهم قواتنا فى خط المياه ، وخلال مدة لا تذكر تكون الحرب قد دارت فى الجانب الثانى ! !]
ثم أضاف ألبرت عن توقعاته قائلا : إذا جرى هنا صباح الأحد (٧ – أكتوبر) حفل استبدال القادة ، سأكون مطمئناً ، أما إذا لم يجر هذا الحفل فليكن بعلمك أن الوضع خطير »

ملحوظة : « الحفل الذى كان ألبرت يتحدث عنه هو الحفل الذى كان من المفروض إقامته بمناسبة وداعه لقواته فى سيناء – وتسلم القائد الجديد مكانه . وبالطبع لم يتم هذا الحفل لأن يوم الأحد ٧ أكتوبر ١٩٧٣ . . دخل التاريخ فجأة باعتباره ثانى أيام حرب رمضان ! !

والواقع أن إحساس الجنرال إبراهام (ألبرت) ماندلر باحتمال قيام الحرب كان قوياً حتى إن ضابطاً إسرائيلياً كبيراً يقول :
« منذ بداية الأسبوع الذى سبق الحرب ، كنا فى حالة تأهب قصوى ، حيث وضعنا الجنرال (ألبرت) ماندلر قائد القوات المدرعة الإسرائيلية فى حالة التأهب هذه بمبادرته الشخصية ، وبلغنا مستوى من التأهب يستطيع فيه الرجال (رجال المدرعات) التحرك خلال بضع دقائق من الإنذار ، وكانوا ينامون بملابسهم وأحذيتهم بعد أن يعملوا من الصباح حتى المساء فى تشحيم دباباتهم . »

والمعروف أن خطة المدرعات الإسرائيلية فى سيناء التى سميت بخطة « برج الحمام » كانت تتضمن اندفاع هذه المدرعات إلى القناة بمجرد التأكد من احتمال عبور المصريين ، وقد وصل إلى قيادة مجموعات عمليات (ألبرت) ماندلر تحذير جديد فى الساعة ١٢,١٥ ظهر يوم السبت ٦ – أكتوبر – ١٩٧٣ ، واقترح العميد المحلى (بينو) وكان نائباً لألبرت أن يبدأ تنفيذ الخطة على الفور . وأصدر الرجل « الحديدى » أوامره بالفعل إلى قواته .

وفى الساعة الثانية اتصل جونين قائد جبهة سيناء بألبرت ماندلر قائلا له : لقد حان الوقت لكى تدفع الألوية المدرعة إلى القناة .
وهنا رد عليه « ألبرت » باختصار وتوتر مفاجئ :

« بالفعل لقد حان الوقت ، فالآن – وفى هذه اللحظة – بدأ المصريون يمطروننا بقنابلهم »
والواقع أن ألبرت – بالرغم من كلماته إلى جونين – لم يستطع أن يعرف أن القوات المصرية تشن هجوماً واسعاً على طول الجبهة إلا بعد ساعات من بدء الهجوم ، ولم يعرف أيضاً أن [illegible] قوة برمائية مصرية قد عبرت القناة إلا بعد فترة ليست بالقصيرة !

وقد وجه (الرجل الحديدى) مدرعاته إلى حصون خط بارليف لمساندتها ، ولإيقاف عبور المصريين ، وكان قد تكهن بأن الهجوم المصرى الرئيسى سيكون من الشمال ، ولذلك أمر لواء « جابى » المدرع بالتحرك إلى هناك ، وكلف العقيد « أمنون » بقيادة القطاع الأوسط مع لوائه وكلف العقيد « دان » بالتحرك غرباً فى الجنوب عن طريق مضيق الجدى .

. . . وقد تصور ألبرت أن قواته المدرعة هذه قد وصلت جميعها إلى حصون بارليف ما عدا الحصن الواقع على لسان بور توفيق ،

. . وحينما ساد الغموض موقف هذه القوات ، حاول نائبه « بينو » أن يستوضح صورة المعارك فاستقل طائرة هليوكبتر لكى يحلق بها فوق الطرق والمحاور التى تتحرك عليها مدرعاتهم لكنه لم يكمل هذه المحاولة وأنهى الجولة بسرعة بالغة عندما تعرضت طائرته للإسقاط .

وعلى أية حال فإن يوم الأحد السابع من أكتوبر [الذى كان محدداً للاحتفال بتوديع الرجل الحديدى (ألبرت) ماندلر لانتقاله من قيادة مدرعات سيناء] حمل هذا اليوم أخباراً مزعجة للقيادة الإسرائيلية كلها ولألبرت بشكل خاص : لقد فوجئوا بأن المشاة المصريين قد انتشروا فى المواقع المختلفة وبالذات المواقع التى كانت المدرعات الإسرائيلية تتحرك للتمركز فيها ، وقد أمطر هؤلاء الأفراد من المشاة المصريين الدبابات والمدرعات الإسرائيلية بوابل من قذائف البازوكا والصواريخ والقنابل المضادة للمدرعات ، حتى تحولت سيناء كلها إلى شعلة من النيران .

وأخذ « الرجل الحديدى » يتلقى أخبار قواته المدرعة التى بلغت خسائرها حداً رهيباً . . واتصل بقيادة الأركان وأبلغها « بأنه دخل معارك اليوم الأول بنحو ثلاثمائة دبابة لم يبق منها (فى اليوم التالى) سوى ربعها وهذه الدبابات القليلة المتبقية مبعثرة كلها على طول الجبهة » .
وحين ازداد الضغط المصرى فى القطاع الجنوبى ، وبدأ الجنود المصريون يجتاحون معظم مواقع هذا القطاع التى استسلم ، وقتل أفرادها من الجنود والضباط الإسرائيليين ، طلب الرجل الصوت (ألبرت) من جونين [قائد جبهة سيناء] مساعدة جوية بأسرع ما يمكن ،

وأبلغه جونين بأنها ستصله بعد ٢٠ دقيقة .

وهنا رد عليه ألبرت قائلا : « لم يبق أمامى عشرون دقيقة ! ! »

. . . .

ومع ذلك فإن هذه المساعدة الجوية قد تعذر تقديمها – على الأقل بالصورة المطلوبة – نتيجة لتعرض الطائرات الإسرائيلية هى الأخرى . لضربات قوات الدفاع الجوى المصرية والسورية ، مما أدى إلى إسقاط أعداد غير قليلة من هذه الطائرات ، وحرمانها من حرية الحركة التى طالما تمتعت بها فى سماء المنطقة كلها .

. . . .

وفى يوم الاثنين ٨ – أكتوبر – ١٩٧٣ حدث تعديل فى القيادات الإسرائيلية فى جبهة سيناء أصبح الرجل الحديدى بمقتضاه مشرفاً على القطاع الجنوبى ، على حين تولى الجنرال « آدن » الشهير باسم (برن) قيادة القطاع الشمالى ، وعين الجنرال شارون قائداً للقطاع الأوسط .

ولم يكن ذلك التعديل فى القيادات الإسرائيلية هو التعديل الوحيد الذى تم فى أثناء سير العمليات ، فقد تبعته تعديلات أخرى منها وصول حاييم بارليف ليتولى – بشكل غير مباشر – قيادة العمليات فى جبهة سيناء ، لكن الرجل الحديدى – على أية حال – ظل فى موقعه الجديد كقائد للقطاع الجنوبى حتى يوم الخميس (١١ – أكتوبر – ١٩٧٣) حين كان يقوم بجولة فى قطاع أحد ألويته المدرعة ، وتم اتصال لاسلكى بينه وبين جونين قائد الجبهة الذى كان يتحرك بطائرة هيلوكبتر بالقرب من ذلك القطاع ، وسأله جونين عن مكانه حتى يتصل به بعد ذلك ليدعوه إلى اجتماع بمقر القيادة ، وفى اللحظة التى حدد فيها الرجل الصوت (ألبرت) مكانه ، سكت اللاسلكى فى مصفحة قيادة ألبرت ، وحاول اللاسلكى الموجود فى طائرة جونين الاتصال به مرة أخرى ، ولكنه لم يستطع ، وقال الجنرال جونين لمرافقيه وكان بينهم الجنرال « وايزمان » : (لابد أن أمراً ما قد وقع لألبرت)

وبالفعل اتضح أن قذيفة مصرية مباشرة ، دمرت العربة المصفحة التى كان يستقلها ألبرت (الرجل الحديدى) وأدى الانفجار إلى مقتله ومقتل أربعة آخرين كانوا معه ، ومن بينهم « رافى أونجر » المراسل الحربى لإذاعة إسرائيل .

وقد صدمت القيادة الإسرائيلية بمقتل الجنرال إبراهام (ألبرت ماندلر) صدمتين : أولاهما لمكانة الرجل وقيمته ، وثانيتهما ما أثبتته الضربة من قدرة القوات المصرية على تحديد

« الرجل الحديدى » الجنرال ماندلر (ألبرت) ، وقد وقف فى أقصى اليسار بجوار إحدى الخرائط ليعطى صورة للموقف فى (٧ - أكتوبر » ويجلس – من اليسار إلى اليمين الجنرالات : جونين ، أليعازر ، آدن (برن) ، بن آرى ، رابين

فى الأيام الأولى للحرب.، قال ماندلر إنه لا يعرف كيف سيواجه أمر القتلى والجرحى من رجال مدرعاته . لكن القدر أعفاه من هذه المهمة الشاقة حين انضم هو – أيضاً – إلى قائمة القتلى

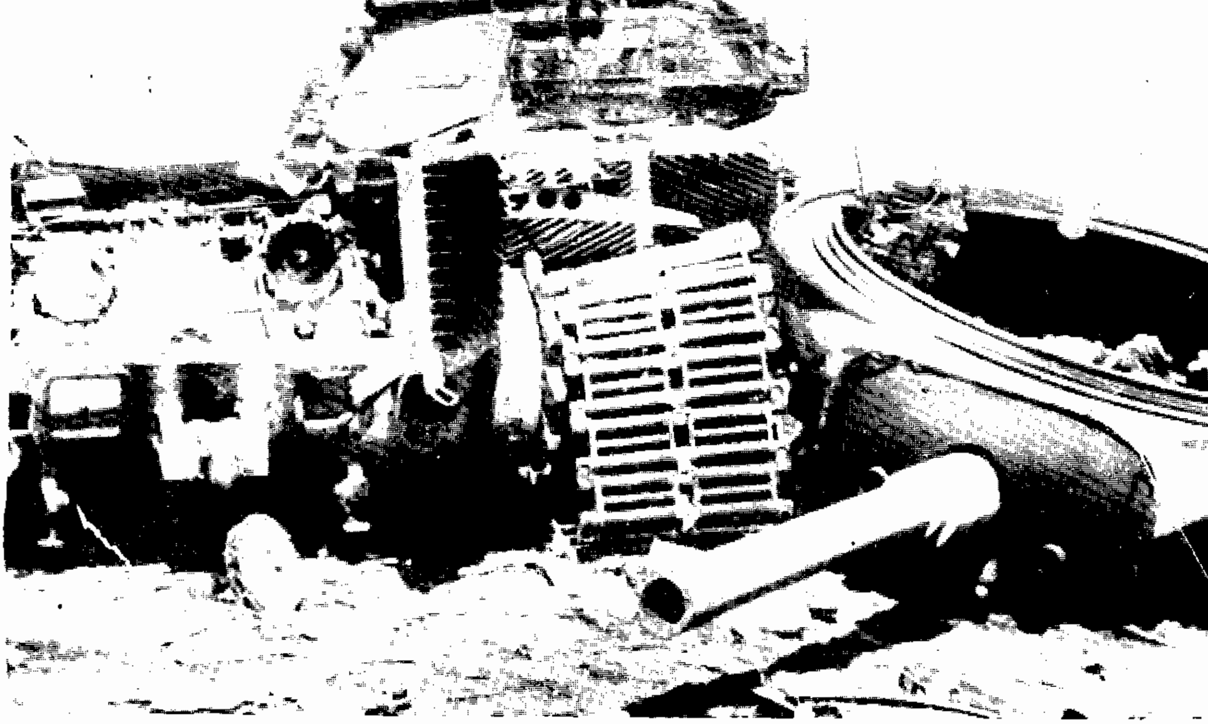

مكانه بسرعة بالغة ثم دقة استخدامها للمدفعية .

. . . .

ذلك هو المشهد الأخير فى قصة القائد الإسرائيلى إبراهام ماندلر الشهير بألبرت والرجل الحديدى والرجل الصوت ، والذى كان متوقعاً أن يعين فى يوم قريب فى منصب رئيس هيئة الأركان لجيش الدفاع الإسرائيلى ، لو لم تعاجله القذيفة المصرية ، وليكون موته « ضربة معنوية قاسية لجند الجيش الإسرائيلى » على حد قول مراسل حربى إسرائيلى .

ولكى يصبح فى الوقت ذاته أحد الرموز المحزنة لحرب أكتوبر بالنسبة لإسرائيل .

والمثير أنه أدلى بحديثه الأخير للصحفيين قبل موته بثلاثة أيام فقط حين قال لهم :

لقد غيرت هذه الحرب فى نظرى قيماً كثيرة . لقد اشتهرت بأننى ضابط متعنت ومحترف ، ولكننى – فى الأساس – ليبرالى . . والآن وبعد الهجوم المفاجئ الذى قام به المصريون ، يبدو لى أننا لن نستطيع بعد ذلك أبداً أن نسمح لأنفسنا بركوب مخاطرات من هذا النوع . .

ثم أضاف ألبرت قائلا :

« سيكون أصعب جزء فى هذه الحرب ، بالنسبة لى ، هو الذهاب إلى عائلات جنودى وضباطى الذين قتلوا »

. . . .

ونحن لو استعدنا تصريح « ماندلر » الذى أدلى به قبل الحرب بساعات – وكان نابضاً بالثقة والغرور ، ووضعناه فى مواجهة تصريحه الأخير هذا – لوضعنا أيدينا على مقارنة أخرى توضح حجم انتصارنا فى حربنا الرمضانية – الأوكتوبرية المجيدة . فبعد التأكيد على قدرتهم «المذهلة» على إيقاف العبور المصرى ونقل المعركة فى ثانى يوم إلى داخل مصر ، ها هو ذا الرجل يعترف بأنهم فى إسرائيل لن يجرؤوا على ركوب « مخاطرات » من هذا النوع مرة أخرى وهو فى الوقت نفسه يعترف بكثرة القتلى الذين سقطوا من قواته ، حتى إنه كان يشعر بالعبء الثقيل الذى سيتحمله عندما يذهب إلى أسرهم « بعد الحرب » . وإن كان القدر (كما يقول كاتب إسرائيلى) « قد وفر عليه هذه المهمة المحزنة لأنه أصبح هو نفسه بعد ثلاثة أيام من ذلك الحديث أحد هؤلاء القتلى ! !

. . . .

أخيراً أعود إلى ما بدأت به قصة « الرجل الحديدى » إبراهام (ألبرت) ماندلر ،

وهو أنه ليس الرمز المحزن الوحيد لحرب أكتوبر بالنسبة لإسرائيل ، لأن رموزها المحزنة كثيرة ومتعددة ، ولا يمكن حصرها وتحليلها فى صفحات محدودة .

. . . .

. . . .

من أوراق قائد لواء إسرائيلى مدرع :

مضى اليوم الثانى من الحرب ، ومازال لدى المصريين سيطرة شبه تامة على قوات العبور الكبيرة التابعة لهم ، فقد عبر المشاة المترجلون أولا ، ثم قوات مشاة بالمصفحات تدعمها الدبابات ، وبعد ذلك تم عبور فرق الدروع . كل ذلك تحت غطاء من المدفعية الثقيلة .

ولقد استطاعوا سحق خطنا الدفاعى الأول (خط بارليف) ، وأبادوا فى المعارك الأولى جميع الوحدات المدرعة التى حاولت الاقتراب من خطوط تمركزهم . وفى هذه المرحلة كنت ألاحظ مثل غيرى من قادة الألوية والتشكيلات كيف أن قيادتنا العامة قد ارتبكت . . وأخذت ترتكب أخطاء مصيرية .

وقد كنت أحد الذين تسلموا صباح الاثنين ٨ – ١٠ / ١٩٧٣ أمراً بالقيام بالهجوم المضاد على قوة مصرية من منطقة جسر الفردان . وشقت قواتى طريقا لها فى محور رمانة ، وتمركزت بعد أن تخلصت من وحدة كوماندوز للعدو نصبت لها كميناً على هذا المحور .

وبدأنا الهجوم المضاد كما حدده لى قائد الفرقة الجنرال (بيرن) ، وكان المقصود كما أوضح لنا هو : « السيطرة على الجسور التى أقامها المصريون ونقل قواتنا المدرعة إلى الضفة الغربية للقناة . » وقد قال لى بيرن باللاسلكى « احتلوا الجسر أريد مرتكزاً » وكنت أشعر أنه متفائل إلى أن دخل على الخط فى أثناء محادثتنا قائد لواء أخر هو (. . . . .) وكان يقاتل فى ذلك القطاع وسمعته وقد انفجر صوته فى جهاز اللاسلكى صارخاً « إذا لم تصل الطائرات . . لن تبقى لى دبابة واحدة ! !

هذا وقد حذرنا (بيرن) جميعاً من الاقتراب من المشاة المصريين المزودين بصواريخ مضادة للدبابات ، ويبدو أن هذه كانت الإشارة الأولى التى تلقيناها بشأن ماسيحدث لنا بعد ذلك .

احضروا لى عينين . . ! !

بدأ هجومنا . كان المصريون يركضون نحو دباباتنا . ويتسلقونها . وكانوا يندفعون فى موجات لا نهاية لها . وشعرت فى مرحلة معينة بأن وضعنا آخذ فى الانهيار . فصرخت فى اللاسلكى .

« إذا كانوا يريدون القتال . . فهيا نريهم الحرب ! »

ثم وجدتنى أصرخ بعد ذلك « احضروا لى عينين . . أريد أن أراهم على ظهر دبابة قبل أن يفجروها ويختفوا ! !

. . كان القتل حولنا مخيفاً جداً . حتى أننى لم أستطع السيطرة على زلة اللسان هذه ، ولكننى اعتقدت أنه سيكون بإمكان هذا النداء – وكل شيء يحترق من حولى – تحريك رجال الدبابات الذين سمرهم الذهول أمام هجمات المشاة المصريين علينا . لقد رأينا أمامنا كتائب عصرية من مئات وآلاف الجنود المصريين الذين يتراكضون فى المنطقة كالصينيين . لقد اسودت التلال الرملية من كثرة البشر . . ولم تتوقف موجاتهم أبداً .

(توقيع)
الجنرال نتكا
قائد لواء إسرائيلى مدرع

من ينقذ طيار الفانتوم :

فى ليلة ٨ أكتوبر كانت أغلبية حصون خط بارليف قد سقطت ، وقتل وجرح وأسر معظم الضباط والجنود من قواتها . وخلال الليل تحركت مجموعات مشردة (من الفلول الباقية) متجهة شرقا ، وفجأة سمع جنديان كانا قد اختبآ داخل حفرة صغيرة على جانب طريق المستنقعات ، على بعد عشرات الأمتار من مجموعة من الكوماندوز المصريين ، سمعا صوت خبطة قوية ، وحين اتجهت أنظارهما إلى مصدرها ، اكتشفا أن طياراً إسرائيلياً أسقطت طائرته بواسطة صاروخ قد هبط بالقرب منهما تماما على أرض المستنقع ، وعندما زحفا إليه وجداه جريحا ، فحاولا سحبه إلى داخل حفرتهم لكنه صرخ من شدة الألم قائلا « اتركونى . . اتركونى . . إننى لم أعد قادراً . . » وحين حاولا أن يغطياه بمظلته ، ارتفع صراخه من جديد ، فخشيا أن يفضحهما صوته فتركاه . . واتجه كل منهما فى اتجاه تاركين وراءهما الطيار الجريح . وقد شقت قوة إنقاذ من المظليين طريقها إلى تلك النقطة

بحثاً عنه . وقد تعرضت لنيران المصريين فسقط ضابط وعدد من الجنود قتلى وجرحى خلال هذه المحاولة التى فشلت تماماً .

وقد عرف فيما بعد أن هذا الطيار الجريح قد وقع أسيراً فى يد المصريين .

. . . .

حكاية المقدم رؤبين :

فى الساعة ١١,٣٠ من صباح السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ استدعى المقدم رؤبين (وهو الضابط المسئول عن الحصون الواقعة فى الشمال) ، استدعى إلى قيادة اللواء ، لحضور اجتماع للقادة ، وقد أبلغ رؤبين فى هذا الاجتماع بأن الحرب على وشك النشوب ، وأن الموعد الذى حددته المخابرات الإسرائيلية لبدء الهجوم المصرى هو السادسة من نفس اليوم ، وأن على قوات الحصون أن ترفع حالة التأهب إلى الدرجة القصوى .

وعلى الفور أدرك (رؤبين) أن مثل هذه التطورات ستصيب جنوده بحالات عصبية رهيبة ، وقرر على الفور الذهاب إليهم ، ومر بالفعل على بعض المواقع ، وتحدث مع كل الأفراد ، وكان فى نيته أن يستكمل جولته لولا أنه أدرك أن مثل هذه الجولة تحتاج إلى ساعات طويلة، فاكتفى (رؤبين) بالاتصال التليفونى مع الحصون ، وتحدث مع قادتها .

. . . ويقول رؤبين إنه كان من الصعب عليه أن يقنع رجال الحصون بأن يصدقوا تعليمات القيادة بأن الحرب وشيكة جداً ، وقد دعاه بعضهم إلى إلقاء نظرة على الضفة العربية للقناة ، وأشاروا إلى منظر الريف المصرى الذى لم يتغير منه شىء إطلاقاً . فقد كان الفلاحون يعملون فى حقولهم مثل كل يوم ، وكان الجنود المصريون يسيرون هنا وهناك بدون « شدة » وبلا خوذات على رؤسهم ، بل إن بعضهم كان قد جلسوا على الشاطئ وألقوا بسناراتهم فى المياه لصيد السمك وكانوا مندمجين تماماً فى عملية الصيد ! !

. . . .

فى الساعة ١,٣٠ بعد الظهر أصدر قائد اللواء أوامره بزيادة التأهب والاستعداد لتنفيذ خطة برج الحمام التى تقضى بأن تقوم المدرعات الإسرائيلية بالتمركز على مقربة من الحصون وفى المسافات الخالية بينها .

بعد ٣٥ دقيقة ظهرت الطائرات المصرية فى سماء سيناء . . وانقضت على أهداف ومواقع كثيرة . ثم بدأ القصف المدفعى العنيف .

وبعد ١٥ دقيقة أفيد أن المصريين يعبرون .

أدرك رؤبين من خلال سماعه للتقارير عبر أجهزة اللاسلكى ، أن الوضع سيىء للغاية . فبعض الحصون قد سقطت . . وتعرضت المدرعات التى تقدمت لتنفيذ خطة برج الحمام لضربات عنيفة ، فعلى طول خط الجبهة ، ربضت الدبابات المصرية على السواتر الترابية الموجودة غربى القناة ، وقامت بالاشتراك مع جنود المشاة حاملى الصواريخ المضادة للدبابات ، بحصد الدبابات الإسرائيلية التى كانت تحاول الاقتراب ، وكان المشاة المصريون قد احتلوا المصاطب التى أعدت لكى تصل إليها المدرعات الإسرائيلية ، وتضرب منها .

وسرعان ما اتضح أن أغلب الدبابات (فى الخط الأول) قد أصيبت بقذائف البازوكا أو الآر . بى . جى .

. . . .

أخذ رجال الحصون يطلبون النجدة ، ويستغيثون لأن موجات أخرى من المشاة المصريين بدأت تهاجم حصونهم ، فى حين بدأت مئات زوارق الإنزال والأطواف تعبر القناة .

. . . .

انتقل رؤبين « بقيادته » إلى مقربة من المستنقعات المالحة ، وأخذ يتحدث باللاسلكى مع بقية الحصون ، ثم يتحدث مع القيادة طالبا تعزيزات ، وقد أخذ يهلل عندما علم أن لواء (جابى) فى الطريق إليه .

. . . .

لم تدم فرحة رؤبين طويلا . . فمع مرور الوقت علم أن لواء « جابى » هو الآخر يتعرض للنيران المصرية العنيفة ، وأن دباباته أخذت تحترق وتنفجر وتتساقط . »

« كان الجنود المصريون يندفعون بأعداد كبيرة على دفعات لا تنقطع حتى شعرنا وقتها أننا نقاتل « الصينيين » وعندما ظهرت الدبابات المصرية كانت تفوقنا عدداً وعدة . واضطررنا فى أثناء الاشتبكات إلى التزود بالوقود ثلاث مرات .

إن كل ما تبقّى معنا فى كل الجبهة هو (٩٠) دبابة كان علينا أن نقف بها بين المصريين والتقدم إلى قلب بلادنا . . »

(توقيع)
البريجادير عمون رشيف
قائد اللواء ١٤ مدرع الإسرائيلى

واقتنص المصريون الليل من جيش الدفاع :

كان القتال فى معظمه يتم فى ساعات النهار فقط ، ومع حلول الظلام كان يبدو وكأن قواتنا المدرعة سعيدة وفرحة باستعدادها لمبيت الليل فى مواقعها ، وقد برز هذا الوضع فى البيانات الصباحية للناطق باسم جيش الدفاع الإسرائيلى فلقد أكد فى مالا يقل عن تسعة بيانات « أن الليلة مرت على قواتنا بهدوء « أو ساد الهدوء طيلة الليلة » .

ولكن لماذا كان هناك هدوء فى الليل ؟ ولماذا كان هناك قبول وترحيب بهذا الهدوء ؟ لقد كان ممكناً استغلال جيش الدفاع الإسرائيلى لإحدى مزاياه الهامة وهى (قتال الليل) وإذا كان وقت جيش الدفاع فى هذه الحرب محدوداً حقًّا فلماذا لم تستغل بصورة أكبر ساعات الظلام للقيام بعمليات كبيرة ؟

الحقيقة أنه لم يعد الليل تحت تصرف الجيش الإسرائيلى وحده ، فلقد استعد العرب أيضاً للقتال الليلى ، وأفضل برهان على ذلك ، تلك الأجهزة الكثيرة للرؤية فى الليل التى زود بها العرب قواتهم . فلقد ثبتوا على بنادق الكلاشنكوف مناظير خاصة ثمن كل واحد منها حوالى ألف دولار ، كما أنهم أقاموا الجسور على القناة فى الليل ، وقاموا بإنزال رجال الكوماندوز ونقلوا مدرعات كثيرة للهجمات الليلية .

(توقيع)
المحرر العسكرى الإسرائيلى
زئيف شيف

رافى بارليف . . لا يرد :

بدأت القوات المكلفة بالعبور إلى غرب القناة تحركها ، وكان يتقدمها أفراد الوحدة الاستطلاعية ، وتبعتهم سرية رافى بارليف (ابن شقيق حاييم بارليف) وقام « رافى » بجمع رجاله قبل التحرك ، وأصدر لهم توجيهاته الأخيرة ، وعاد القادة ودرسوا الطريق التى سيمرون عليها إلى البحيرة المرة الكبرى ، وأنهى رافى توجيهاته بقوله :

« إننى آمل أن نلتقى » وقام عامى فريدمان بقيادة المصفحة الأولى التى بدأت فى الواقع حملة عبور القناة ، وكانت الحركة بطيئة ، وحاول رجال الاستطلاع تجنب القنوات القريبة من البحيرات المرة ، واضطروا إلى التأخر هنا وهناك .

مرت ساعة قبل أن يعلن « فريدمان » أنه قد عبر الكثبان الرملية ، ووصل إلى

الطريق الممتدة على طول البحيرات المرة . وهذه هى الطريق المسماه (قاموس) .

. . كانت الساعة آنذاك هى التاسعة تقريباً ، ومن هنا توجهوا شمالاً إلى طرف البحيرة ، حيث الحركة أسهل ، وتحرك « رافى » على رأس الرتل ، وخلفه فصيلة من الدبابات ، كما تحركت خلف رجال الاستطلاع كتيبة مدرعات من تشكيلة الاختراق ووراءها كتائب من المظليين . ولم يطلق المصريون حتى تلك اللحظة طلقة واحدة .

. . كانت سرية رافى تتحرك إلى الشمال من موقع العبور ، وكان عليها البدء فى تطهير المنطقة ، وظهر له ولرجاله أن الجزء الشمالى يزخر بالمصريين وثمة عربات كبيرة بداخل حفر عميقة ، بالإضافة إلى مراكز للمدافع والدبابات .

وفى اللحظة التى كانت سرية رافى تشعر فيها بنوع من الاطمئنان ، انطلقت قذائف المصريين . وكان أول المصابين عامى فريدمان الذى أصيب فى عينه ، كما أصيب أحد أفراد مصفحته .

. . ومع انتصاف الليل اشتدت النيران المصرية ، وواجهت الكتيبة المدرعة مقاومة شديدة ، وظهر المشاة حاملو الصواريخ المضادة للدبابات ، وغطت النيران المصرية محورى (العنكبوت – الطنين) الممتدين من الشرق إلى البحيرة المرة .

. . . تحركت سرية (رافى) لمساعدة كتيبة المدرعات التى كانت تواجه موقفاً صعباً جنوبى المزرعة الصينية ، وفى الساعة الثالثة كانت السرية الاستطلاعية تقاتل إلى جانب كتيبة المدرعات ، وفجاة فتحت عليها نيران الدبابات المصرية من الخلف ، وتلقت الضربة الأولى مصفحة عامى فريدمان التى كانت تتقدم قوات شارون إلى غربى القناة ، فاشتعلت فيها النيران ، ونجح اثنان فقط فى القفز إلى خارجها وهما (عامى) وجندى آخر ، وبقى داخل المصفحة ستة قتلى من بينهم المضمد الذى عالج عين عامى الجريحة وانطلق (إسحق أجام) من عربته لمساعدة المصابين ، وفى اللحظة نفسها انفجرت المصفحة ، وكان (عامى) والجندى مستلقيين على الأرض فى مكان قريب وقد أصيبا بحروق شديدة .

. . . .

وفى الطرف الآخر ، كانت المنطقة كلها عبارة عن ساحة قتال ، وقام المصريون بمحاولة لسد الطرق فى وجه القوات التى كانت تحاول الدخول إلى غربى القناة ، وفجأة سمع (إسحق أجام) فى جهاز الاتصال صوت ضابط عمليات الكتيبة الذى كان

ينادى على (رافى) ، فإلى الجنوب قليلاً ، وقرب المعقل الخالى الواقع قرب القناة ، أصيبت دبابة قائد القوة الاستطلاعية ، وقتل (يوآب بروم) الذى كان قد تلقى قيادة القوة بعد مقتل قائدها السابق فى الآيام الأولى للحرب . وقام ضابط العمليات ، بالبحث عن (رافى) لينقل إليه القيادة ، ولكن رافى لم يرد على هذه النداءات .

وقال إسحق أجام للجندى الذى كان بجانبه (إن رافى لا يرد) ، فأشار الجندى إلى دبابة تشتعل فيها النيران على مسافة عشرات الأمتار ، وقال تلك هى دبابة (رافى) ، فبينما كان ضابط العمليات يبحث عن (رافى) لكى ينقل إليه القيادة ، اخترقت قذيفة من النوع الخارق للمدرعات برج الدبابة فقتل رافى وبقية أفراد طاقم الدبابة باستثناء سائقها الذى كان مذهولاً ومضطرباً .

. . . . وبعده مباشرة . . وقعت مصفحة (عامى) فى كمين وقتل هو الآخر . . وتوالى سقوط القتلى ، واشتعال الدبابات .

. . . .

إضافة :

« فى غرفة العمليات التابعة للجبهة كان حاييم بارليف (عم رافى) ، يصغى إلى جهاز اللاسلكى ، وكان يستمع إلى أوامر المعركة الصادرة لتشكيل الاختراق ، وقد سمع لتوه نبأ مصرع قائد القوة الاستطلاعية وعن قرار نقل القيادة إلى ابن أخيه (رافى) ، ولم يكن يعلم بأن (رافى) قد قتل أيضاً فى هذه اللحظة »

* * *

وتخبطت . كالحيوان المطارد ! !

كان الجنرال أورى آى القائد العام المساعد للقوات الإسرائيلية فى جبهة سيناء حاضراً ذلك اللقاء الذى بدأ بوصول موشيه ديان إلى مقر القيادة فى ثانى أيام القتال ، واستمع فيه ديان من جونين (قائد الجبهة) إلى التقارير وشاهد خرائط المنطقة وما وضحته عن سقوط عدد من مواقعنا . . وسيطرت عليه حالة الاكتئاب واهتزت على شفتيه ابتسامة عصبية .

. . وقد وصف الجنرال أورى الموقف قائلاً :

« كان الشعور المسيطر علينا ساعتئذ هو أننا نعيش أحداثاً حاسمة ومروعة يتوقف

عليها مصيرنا ، فكل هزيمة تفتح فجوة جديدة فى الطريق إلى تل أبيب .

وعند ما عاد موشيه ديان من هذه الجولة فى الجبهة الجنوبية ، كان بادى القلق ، وقد اجتمع على الفور مع جولدا مائير ، التى كانت قد أبلغت بالخسائر التى أصابتنا فى اليوم السابق وهو أول يوم فى الحرب ، وكانت هذه الخسائر خمسمائة قتيل ، وألفين من الجرحى وعشرات من الأسرى ، ولإدراك أبعاد الكارثة ، يكفى مقارنة هذه الأرقام بأرقام الحروب السابقة . فى عام ١٩٥٦ وقع فى صفوف الجيش الإسرائيلى خلال القتال جميعها مائة وثمانون قتيلاً وأسيران فقط . . وخلال حرب الأيام الستة (يونية ١٩٦٧) كانت خسائرنا الإجمالية ٨٥٠ قتيلاً ، ١٤ أسيراً .

وفى هذا اليوم من أكتوبر ١٩٧٣ – وفى ٢٤ ساعة فقط من القتال – إذ بإسرائيل التى كانت تعتبر حتى ذلك الوقت قوة عسكرية ، إسرائيل التى غدت بسالتها مضرب الأمثال لكل جيوش العالم ، إسرائيل التى حققت منذ ستة أعوام أعظم انتصاراتها وأكثرها مدعاة للذهول فى تاريخ الحروب الحديثة . إذ بإسرائيل هذه تتخبط كالحيوان المطارد من أجل بقائها نفسه بعد أن أصبحت مهددة بالدمار الكامل .

لقد كان انقلاباً كاملاً شاملاً فى فترة قصيرة من الزمن .

(من كتاب كيبور لمؤلفيه الإسرائيليين السبعة)

* * *

« إن انتشار الدبابات المصرية فى سيناء صنع أمامنا جداراً سميكاً من الصلب ، وكان المشاة الميكانيكيون فى مواقعهم يصبون على دباباتنا صواريخهم . التى تطلق من الكتف ، كما أن كثافة النيران المصرية قد وضعت الطيران الإسرائيلى فى موقف بالغ الصعوبة ، وهذا كله مع الإصرار الفائق الذى قاتل به المصريون

لقد كانت هذه الحرب تجربة مروعة بالنسبة لى . كان لدينا الإحساس بأننا نواجه هجوماً من أمواج لا تنتهى من النمل المتماسك الملتصق ببعضه البعض المصمم على دحرنا .

كان هذا هو حالنا أمام الجيش المصرى عند قناة السويس . . حيث كانت أمواج متلاحقة من المدرعات والدبابات والعربات تقذف علينا القنابل والقذائف والصواريخ » .

« من حديث لجندى إسرائيلى مع الكاتب الصحفى الفرنسى « إيريك رولو »

السويس . . فوهة الأسد

. . هذه هى حكاية « السويس » . . هجوماً ودفاعاً وقصصاً بالغة الأثارة . .

. . هذه هى حكاية السويس . . كما سجلها واحد من أكبر المحررين العسكريين الإسرائيليين فى أحدث دراسة عن طوفان أو زلزال أكتوبر ١٩٧٣ .

. . وهى فصل مستقل بذاته من قصة الطوفان الأكتوبرى . بل هى الفصل الأخير فى القصة .

. . فصل مستقل بذاته . . له دلالاته الهامة وفيه تجسيد لكل خلفيات الحرب ووقائعها .

. . وقبل أن أترك الصفحات التالية لقلم الكاتب والخبير الإسرائيلى الكبير زئيف شيف ليروى بنفسه حكاية السويس بتفاصيلها التى جمعها من كبار القادة ومن الضباط والجنود الذين أشتركوا فى محاولة الأحتلال . .

أستأذنك صديقى القارئ فى أن أضع هذه النقاط كمدخل ضرورى للرواية الإسرائيلية لحكاية « السويس »

١ – ليس هناك أدنى شك فى أن زئيف شيف بمكانته الكبيرة فى إسرائيل كمحرر وخبير عسكرى قد حصل على كل الوثائق والمعلومات التى تحكى قصة محاولة دخول السويس ، كما أنه باتصالاته الشخصية الواسعة جمع تفاصيل كثيرة من لقاءاته مع كبار القادة والضباط والجنود الذين اشتركوا فى المحاولة .

٢ – ليس هناك أدنى شك – أيضاً – فى أنه يحاول قدر جهده وبما أوتى من ذكاء وخبث دعائيين ، أن يقلل من حجم الصدمة التى تلقتها القوات الإسرائيلية فيبحث عن مبررات كثيرة لفشلهم محاولاً أن يجعل صلابة وشراسة المقاومة التى أبداها شعب السويس مجرد سبب من أسباب كثيرة كنقص المعلومات مثلاً لدى القوات المهاجمة ، فهو فى هذه الحالة يدين بالفعل مخابراتهم واستطلاعهم لكنه – فى النهاية – يحاول أن يبرر انهيار هذه القوات أمام عنف المقاومة .

٣ – حسب وثائق وأوراق القيادة الإسرائيلية ، يتضح لنا أن مساعد جونين القائد الإسرائيلى لجبهة سيناء ، وهو « أورى بن آرى » أبلغ « آدن » قائد إحدى الفرق المدرعة

التى تمكنت من عبور القناة إلى الضفة الغربية بضرورة الاستيلاء على السويس – بعد أن فشل شـــارون فى الوصول بقواته إلى الإسماعيلية . وكان هذا الأمر الذى نقله « أورى ابن آرى » إلى « آدن » يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٧٣ – أى بعد صدور قرار وقف إطلاق النار بأربع وعشرين ساعة – وهم حاولوا بالطبع تبرير انتهاكهم الفورى للقرار الدولى بأن قالوا إن الكوماندوز المصريين أطلقوا قذائفهم على بعض الدبابات الإسرائيلية ؟

٤ – تقول تلك الوثائق والأوراق الإسرائيلية إن مساعد القائد العام لجبهة سيناء . . حين أبلغ آدن بأوامر الاستيلاء على السويس قال له بالحرف الواحد :

« إننا نريد أن تستولوا على مدينة السويس ، ولكن بشرط ألا تكون هذه ستالينجراد أخرى »

فماذا حدث بعد ذلك . . وكيف أصبحت السويس برغمهم ستالينجراد أخرى ؟ ! هذا ما سنقرأ تفاصيله .

٥ – تقول الدعاية الإسرائيلية إن جيش الدفاع كان يشعر بأن الحرب قد انتهت قبل أوانها ، وأن الانتصار الكامل قد سرق منها .

حسناً . . ها هى ذى فرصة أخرى لكى ينهوا هم الحرب كما يشاءون ، ويستردوا الانتصار المسروق ، وهى ليست مجرد فرصة أخرى ، إنها فرصة سانحة تماماً . فقرار المجتمع الدولى بوقف إطلاق النار قد أصبح سارى المفعول منذ ٢٤ ساعة . والقوات المصرية احترمت القرار فورسريانه . وقوات إسرائيل هى التى انتهكته منذ أول لحظة بحجة تخليص قواتهم التى وقعت فى كمين للكوماندوز المصريين على طريق الإسماعيلية حينما حاولت دخول المدينة فتصدت لها مجموعات الصاعقة . . فى معركة عنيفة . . انسحبت منها القوات الإسرائيلية لكنها لم تستطع تخليص مجموعة كبيرة من حصار المصريين .

ثم إن السويس هدف مدنى . . وليست موقعاً عسكرياً حصيناً مجهزاً . . وبالتالى فإن المهمة أسهل بكثير أمام قوات جيش الدفاع الإسرائيلى .

. . . .

و . . لنقرأ القصة الآن ، كما يرويها الكاتب الإسرائيلى . محتفظين بهذه النقاط أمام عيوننا وفى أذهاننا ، دون أن تغيب عنا لحظة واحدة .

أهى مدينة مهجورة . . أم فوهة أسد ؟

دخلت قوات جيش الدفاع الإسرائيلى فى فوهة الأسد بدون أن تشعر أن أنيابه قد تطبق عليها . فجنود الاستطلاع الذين تحولوا فى الصباح حول المواقع المصرية قدموا تقارير مفادها أن هذه مدينة أشباح مهجورة ، أوأن القوة الموجودة بداخلها صغيرة وغير منظمة . ومع أنهم لاحظوا وجود مواقع للمدافع المضادة للدبابات إلا أن هذه المواقع لم ترد على النيران التى أطلقتها الدبابات الإسرائيلية نحوها .

. . كان فى مدينة السويس بضعة آلاف من الجنود المصريين ، وكان بينهم على الأقل وحدة واحدة منظمة كما ينبغى . وكان القادة الإسرائيليون مقتنعين بأن سكان المدينة ، والعدد القليل من الجنود ، يريدون الاستسلام . وكانت شبكة التليفونات ما تزال تعمل فى المدينة ، وقام القائد الإسرائيلى بالاتصال بالمحافظ الذى كان مستعداً للاستسلام لكنه قال له إنه لا معنى لأستسلامه بدون موافقة القائد العسكرى المصرى ، ووعد بالمثول مع هذا القائد ولكنه لم يعد إلى الاتصال مرة أخرى .

وتمكن الإسرائيليون من الاتصال تليفونيًّا بالقائد المصرى للمركز الكائن بجانب ميناء الأدبية وقال الرجل إنه مستعد للاستسلام مع رجاله ، وأنهم سيلقون سلاحهم بمجرد وصول قوات جيش الدفاع الإسرائيلى إليهم . وهكذا كان كل شيء يبدو سهلاً ومضموناً ، وعليه تقرر دخول المدينة .

ملحوظة سريعة :

أجدنى مضطرًّا للتدخل هنا فى سياق رواية الكاتب الإسرائيلى لأقول إنه حتى إذا صحت واقعة الاتصال التليفونى مع المحافظ وقائد ذلك المركز – فإن المعنى الوحيد لرد كل منهما هو أنهما آثرا أن يخدرا أعصاب القائد الإسرائيلى ويعطيا إيحاء بأن المدينة أضعف من أن تفكر فى غير الاستسلام وهذه نقطة تحسب بالتأكيد للإنسان المصرى)

. . . .

ويواصل زئيف شيف روايته لقصة السويس فيقول :

. . فى الساعة العاشرة والنصف بدأت القوات الإسرائيلية التحرك نحو المدينة وتقدمت باتجاهين . رتل من الشمال ، وآخر من الغرب على أن يلتقوا عند الميناء .

وكان يتقدم هذه الأرتال كتيبة دبابات ، تتبعها عربات نصف مجنزرة ومصفحات بداخلها مظليون وأفراد وحدة أستطلاعية .

ولم يكن يتقدم هذه الأرتال قوات مشاة تكون مهمتها التأكد من خلو الطريق من الكمائن ، وتقدمت الأرتال فى شوارع ضيقة ، بين أبنية مرتفعة من الجانبين ، وقد تم الدخول بهدوء ، وبدون إزعاج .

وفجأة فتحت النيران الشديدة على القوة المتقدمة من كل صوب ، وقام المصريون بإلقاء آلاف القنابل اليدوية من نوافذ المنازل ، ومن الأسطح ، وكانوا يوجهون قنابلهم إلى داخل العربات نصف المجنزرة المفتوحة . كما أخذوا يطلقون الصواريخ المضادة للدبابات من خلف الجدران والشرفات .

وخلال فترة قصيرة كان الكثير من الدبابات والعربات قد أصيبت « من بين الـ ٢٤ دبابة التى تقدمت الهجوم ، استطاع المصريون اقتناص قادة ٢٢ دبابة » وتبعثرت الأرتال الإسرائيلية فى منطقة واسعة ، ولم تكن هناك طريقة للخلاص من النيران ومن الكمائن إلا بالانسحاب . وقد أصيب عند مشارف السويس اثنان من قادة الكتائب منهم الكولونيل (يوسى) الذى قاد العملية بأكملها . وقد تولى القيادة بعد ذلك أحد قادة السرايا . توجهت الدبابات إلى الخلف محاولة أن تنجو بنفسها ، أما المظليون فكانوا مكشوفين أكثر ، وقفز الكثيرون منهم من عرباتهم المصابة ، والتجأوا إلى بيوت مجاورة ، وقاموا بالدفاع عن أنفسهم من خلالها .

وكما حدث فى المزرعة الصينية ، وكما حدث بالقرب من الإسماعيلية ، فقد كانت المشكلة هنا هى كيفية إخراج المظليين من معركة لم يعرفوا قدرة العدو فيها .

وأصبح الجهد كله الآن موجهاً لتخليص الرجال وإخلاء المصابين ، وأسرعت إلى الداخل عربة الأستخبارات نصف المجنزرة التابعة للواء ، ولكنها أصيبت وقفز أفرادها إلى أحد الجدران القريبة ، وقد شوهد أفراد الأستخبارات التسعة هنا للمرة الأخيرة .

بعد ذلك أرسلت سرايا من الدبابات إلى الداخل بقصد الاتصال بالمظليين الذين حاولوا الانسحاب فى مجموعات ، فأصيبت هذه الدبابات بمجرد دخولها . وبذلك زاد عدد المصابين .

. . ومحاولة إنقاذ بالطائرات . . لعل وعسى ! !

قامت طائرات عمودية بالهبوط قرب المدينة ، من أجل إخلاء المصابين بسرعة ، كما أقلعت طائرة عمودية ضخمة فى طريقها إلى السويس أيضاً وكان من بين الذين تحملهم هذه الطائرة الدكتور (أورى فرند) الذى جمع ثلاثة من المضمدين ، وقرر التوجه بنفسه لإخلاء المصابين ، . . وبينما كانت هذه الطائرة فى طريقها إلى موقع الهبوط قرب مدينة السويس ، أصيبت بصاروخ من طراز (ستريللا) الذى يطلقه الجندى من فوق كتفه !

وتحطمت الطائرة . . وقتل من فيها . .

. . . .

جرى تخليص مجموعات جديدة من المظليين . . من المدينة التى أغرقها المصريون بالنيران ، وقد قتل حوالى ثمانية من هؤلاء المظليين ورجال المدرعات ، ولكن كان لا يزال هناك ثلاث مجموعات محشورة داخل المدينة ، رجال الأستخبارات الذين قطع الأتصال معهم ، ومجموعة من المظليين وعلى رأسهم (ح) ، ومجموعة أكبر كانت تتحصن فى داخل إحدى العمارات . وكان يوجد فى هذه المجموعة قائد كتيبة مصاب بجراح خطرة ، وقد حل مكانه قائد إحدى السرايا . ومع حلول الظلام قررت المجموعة التى يرأسها (ح) الخروج سيراً على الأقدام ، وحملت معها جرحاها وقد نجحت هذه المجموعة فى تخليص نفسها والخروج من المدينة .

أما المجموعة الثانية الأكبر ، فقد وقعت فى مشكلة أخطر ، وقام المصريون بتركيز قوات كبيرة حولها . وكان يبدو أنها محاصرة . من كل جانب ، وقد قتل فى إحدى محاولات التخليص مساعد قائد لواء المظليين . وفشلت جميع المحاولات التى قامت بها الدبابات لتخليص هذه المجموعة . وقد تمكنت خمس دبابات واثنتان من العربات نصف المجنزرة ، من الوصول إلى مسافة حوالى مائة متر من المكان الذى تحصنت فيه المجموعة . وكان المصريون قد أقاموا على الطريق متراساً كبيراً ، وزرعوا ألغاماً كثيرة ،

وقاموا بتوجيه الصواريخ المضادة للمدرعات على الدبابات والعربات المتقدمة فاضطرت هذه إلى الانسحاب .

وفى حوالى منتصف الليل جرت مشاورات حول ما إذا كانوا سيقترحون على قائد القوة المحاصرة الخروج مشياً مع جرحاه ، أو الانتظار حتى طلوع النهار حتى تساعد الطائرات والمدفعية

وطلب جونين التحدث مع قائد القوة المحاصرة . وكان ذلك قبل منتصف الليل بعشر دقائق . واستمرت المحادثة اللاسلكية حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل أى أنها استغرقت أربع ساعات ، ظل فيها قائد القوة متردداً وخائفاً وتبين أن هذه القوة موجودة فى مبنى مركز شرطة مدينة السويس ، وتم تحديد موقع هذا المبنى ، وبعد دراسة الطرق التى يمكن أن تسلكها القوة فى طريقها إلى خـارج المدينة أشرف جونين على توجيه المدفعية فيما يشبه صندوق النيران المحيط بطريق الانسحاب ، وصدر الأمر لقائد القوة بالخروج فوراً بدون الانتظار حتى مطلع الصباح ، وأعطيت له تعليمات لسلوك طريق محددة للوصول إلى نقطة خارج المدينة ، حيث كانت تنتظره هناك سيارات الإسعاف لإخلاء المصابين من أفراد القوة .

. . . وبهذا انتهت المعركة الكبيرة والأخيرة من حرب يوم الغفران التى كانت خطأ جسيماً كلف جيش الدفاع الإسرائيلى خسائر كبيرة فى الأرواح ، وقد بقيت جثث كثيرة فى ساحة القتال حيث قام المصريون بتسليمها بعد وقف إطلاق النار .

. . . .

هكذا سجل قلم الكاتب الإسرائيلى الكبير قصة السويس . . كيف هاجمتها القوات الإسرائيلية (بعد سريان مفعول وقف إطلاق النار) وكيف خدع المصريون قادة الحملة الإسرائيلية ، فأوحوا إليهم – بشكل مباشر وغير مباشر – أن المدينة تفتح أبوابها لهم ، ثم فجأة اندلعت المقاومة الشاملة العنيفة .

وبدلاً من أن تكون مهمة القوة الإسرائيلية الضخمة – المكونة من مدرعاتهم ومظلييهم ومخابراتهم – هى احتلال السويس بأسرع وقت – أصبحت مهمة هذه القوة العمل على تخليص أنفسهم من (أيدى) المصريين .

وذلك بعد أن فشلت محاولات دفع قوات جديدة إلى الداخل للقيام بعملية الإنقاذ – ولم ينتج عنها إلا إضافة أعداد جديدة من القتلى والجرحى والمدرعات والطائرات المدمرة .

والمثير للاهتمام أن هذا الموقف الذى عاشته القوة الإسرائيلية الكبيرة (فى السويس) - تكرر قبل ذلك على طريق الإسماعيلية ، وفى ساحة المزرعة الصينية . وكالعادة يحاول الإسرائيليون التقليل من حجم خسائرهم فى الأفراد والمدرعات والمعدات والطائرات .

. . . .

وإذا كنا قد قرأنا معاً قصة معارك السويس كما سجلها الكاتب الإسرائيلى المشهور (محتفظين أمام أعيننا وفى أذهاننا ، بالنقاط التى آثرت أن أسجلها قبل بداية القصة) - فإننا سنكون بالتأكيد قد استخلصنا الصورة الحقيقية لهزيمة كبرى من الهزائم التى منيت بها القوات الإسرائيلية ، ولنصر رائع حققه شعب السويس بمساعدة قــوة عسكرية محدودة .

. . . .

. . . .

من أوراق القوات الإسرائيلية فى الجولان

بدأ السوريون هجومهم بثلاث فرق ، وبلغ مجموع الدبابات التى اشتركت فى الجولة الأولى من الهجوم حوالى ٨٠٠ دبابة ، وكان على الفرق الآلية اختراق الجبهة والوصول إلى عمق عدة كيلو مترات على الأقل ، وفتح طريق أمام فرقتين مدرعتين . وقد اقتحم السوريون الجبهة فى قطاعين ، ففى الشمال قرب القنيطرة قام حوالى ٢٠٠ دبابة بعملية الانقضاض الأولى ، وفى القطاع الأوسط ، قرب رفيد ، جرى الاقتحام بواسطة ذراعين . الذراع الأولى كانت وجهتها معسكر نافح وجسر بنات يعقوب ، والذراع الأخرى توجهت جنوباً باتجاه هضبة « مغشيميم » « والعال » ، ومن هناك إلى مصب الأردن ، وإلى جسر « أريك » القائم على نهر الأردن .

ومع أن القوات الإسرائيلية فى الجولان قد تم تعزيزها بلواء مدرع عشية الحرب إلا أن مهمتها كانت صعبة فى مواجهة الهجوم السورى الذى تم بسرعة شديدة لدرجة أنه أصبح من الصعب على سلاح الجو الإسرائيلى تقديم المساعدة فى اليوم الأول لأن الدبابات السورية كانت قريبة جداً من الدبابات الإسرائيلية ، ومن الصعب على الطيارين التمييز فى هذه المنطقة الجبلية بين الدبابات السورية والإسرائيلية ، كذلك فقد كانت بطاريات الصواريخ « أرض — جو » السورية تزيد من صعوبة العمل بالنسبة للطيارين الإسرائيليين .

ومع حلول الظلام ، استمر السوريون فى الهجوم ، واستعان قادة الدبابات السورية بمناظير خاصة لذلك . أما تشكيلات الدبابات الإسرائيلية فى هضبة الجولان فقد تحطمت دبابة إثر دبابة . وكان عليها أن تقف فى مواجهة الهجوم السورى الرئيسى ، ولسوء حظها تم تشتيتها بسرعة ، وخلافاً لتشكيل الدبابات الذى كان يعمل فى مواجهة القنيطرة بتركيز أكبر ، كانت هذه تعمل فى مجموعات أصغر .

توغلت الدبابات السورية ببطء باتجاه مركز القيادة فى معسكر (نافح) ، وبعد منتصف الليل كانت على بعد عدة كيلو مترات من نافح الواقعة على الطريق الرئيسى بين جسر بنات يعقوب والقنيطرة .

وفى الساعة الثانية بعد منتصف الليل – اقترح (مردخاى هود) على قائد الجبهة الشمالية ترك المكان . . وقال له : « إذا كنت تريد الاستمرار فى إدارة المعركة فعليك الخروج من هنا بأسرع ما يمكن ، لأن أجهزة الأتصال سوف تصاب وتتوقف عن العمل خلال فترة قصيرة » . وقد وافق اللواء (يتسحاق حوفى) على هذا الاقتراح وقبل مغادرة المكان سلم إلى اللواء (رفائيل إيتان) المسئولية عن هضبة الجولان ، وتوجه يتسحاق حوفى ومردخاى هود إلى موقع القيادة .

فى الساعة السادسة والنصف من صباح الأحد (٧ – ١٠ – ١٩٧٣) تلقى (رفائيل إيتان) الذى كان ما زال فى موقع القيادة فى معسكر نافخ – تقريراً عاجلاً بأن الدبابات السورية تحاصر المكان . فاحتار بعض الوقت ، ثم أصدر أمرا بإخلاء (نافخ) والتوجه نحو جسر بنات يعقوب الموجود فى منحدر الطريق على بعد عدة كيلو مترات .

وانتظر (رفائيل) وقيادته فى مكان قريب من الجسر ، وعندما مرت ساعة ولم تصل من معسكر « نافخ » أية أخبار عن اقتحام السوريين له ، أصدر أوامره بالعودة إلى المعسكر ، فأجهزة الاتصال الموجودة فى الموقع أفضل بكثير ، ومن هناك يمكن الاتصال بسهولة ، وبقى فى المعسكر جنود قلائل ، ولم يكن رفائيل يعلم أنه لن تمر ساعة حتى يكون عليه أن يفر من المكان مرة أخرى . وفى هذه المرة كانت قذائف الدبابات السورية تطارده .

كان (الأستحكام) مكتظاً وخانقاً ، وعلى ما يبدو فقد أصابت قذيفة أجهزة التهوية ، وخرج « دانى » (وهو ضابط أركان) لاستنشاق الهواء الطلق ، وأصابته الدهشة عندما اكتشف على بعد عشرات الأمتار بالقرب من جدار المعسكر دبابتين سوريتين ، ومن خلفهما دبابتان أخريان تقتربان . وتجمد دانى مكانه لمرأى الدبابات السورية (فهو لم يمر بهذا الوضع منذ كان فى البالماخ) ثم عاد مسرعاً إلى الاستحكام وبصوت خافت جداً توجه إلى رفائيل إيتان قائلاً :

« إن الساعة هى الثانية عشرة إلا دقيقة ، ويجب علينا الخروج من هنا فوراً لأن الدبابات السورية وصلت إلى حدود المعسكر » .

وأجابه رفائيل إيتان قائلا : « حسب ما تقول فإن الساعة هى الثانية عشرة ودقيقة » . . . وفى نفس هذه اللحظة دخل جنديان (مدرعات) يحملان زميلا لهما وقد أصيب فى بطنه

إصابة خطيرة ، وكان هذا الجندى بداخل دبابته حين اكتشف فجأة هو ورفاقه وجود دبابات سورية ، وقد أصابوا واحدة منها ، لكن قذيفة انطلقت نحو دبابتهم وفجرتها .

أصدر رفائيل إيتان أمره لرجال قيادته بالخروج ، وهرول الرجال إلى مركباتهم ، وكان معظمها مصفحات ، وتوجه رفائيل ودانى إلى سيارة الجيب وفى أثناء الخروج أصيبت إحدى العربات نصف المجنزرة إصابة مباشرة ، وكان مردخاى موجوداً فى المنطقة الشمالية إلى جانب اللواءيتسحاق حوفى ، وكانت المدرعات - السورية قد توغلت فى القطاع الأوسط وجنوب هضبة الجولان وفى أثناء الليل تم سحق معظم القوة الإسرائيلية فى هضبة الجولان .

. . . .

. . . .

وصل موشيه ديان مع الفجر إلى قيادة المنطقة الشمالية ، وتشاور مع يتسحاق حوفى ومورد خاى هود . وكان الثلاثة يعلمون أنه لم يعد هناك فى الواقع بجنوب الهضبة دبابات إسرائيلية كافية لإيقاف تقدم المدرعات السورية . فمن هناك سينزل السوريون إلى غور جينوسار ، ثم إلى كيبوتس دجانيا .

وطلب مردخاى هود طائرات إضافية .

وبعد مغادرة ديان لمقر القيادة بساعة واحدة ، تلقى حوفى وهود تقريراً بأن الطائرات الإضافية قد أمرت بالتوجه لصد السوريين فى جنوب الهضبة .

. . . .

حتى الساعة الثالثة بعد الظهر ، ومع تصدى الطائرات للدبابات السورية فإن طلائع هذه الدبابات وصلت إلى بعد كيلو مترات من مصب نهر الأردن فى بحيرة طبريا .

. . . .

وفى نفس الوقت قتل فى مركز الهضبة - قرب معسكر نافح - قائد أحد الألوية وقتل مساعده ، وقتل ضابط العمليات . وأخذت دبابات هذا اللواء تتحطم ساعة بعد ساعة .

وفى جبل الشيخ أحرز السوريون نجاحاً بارزاً فقد استولى رجال الكوماندوز السوريون على موقع جبل الشيخ من الخارج وأخذوا يقذفون قنابل الدخان إلى داخل الحصن فاضطر عدد من جنود جيش الدفاع الإسرائيلى إلى الخروج بسبب الدخان الكثيف . وقاموا بتسليم أنفسهم للسوريين . بينما وقعت القوات التى تسللت من الحصن فى كمائن سورية متعددة .

... فى ثالث أيام القتال لم تصل أخبار مطمئنة من الجبهة السورية ومع أنه تم تقريباً إيقاف

المدرعات السورية ولم تصل إلى نهر الأردن فإن المعركة لم تحسم بعد . فمن بداية المعركة ضرب السوريون المواقع الإسرائيلية بآلاف القذائف والمتفجرات وبعد ذلك اقتربت دباباتهم منها وحاولت تحطيمها بمدافعها . وقد سقطت أعداد من رجال هذه المواقع بسبب النيران السورية الكثيفة ، كما مسحت موجات المدرعات السورية خط المواقع التى بقيت محاصرة من الخلف ومقطوعة تماماً .

. . . .

بعد أن كان يتسحاق حوفى قائد الجبهة الشمالية قد رفض اقتراح إعادة احتلال موقع جبل الشيخ بعد المحاولة الأولى الفاشلة . وخوفاً من المزيد من الخسائر . فإنه وافق (بعد يومين) على القيام بمحاولة أخرى ، وذلك بعد أن وافق أحد مساعديه على اقتراح قائد لواء الجولان بهذه المحاولة .

توجه جنود لواء جولانى إلى الموقع مستخدمين طريقين . طريقاً رئيسيًّا للدبابات والعربات نصف المجنزرة ، وطريقاً جبليًّا ، أما وحدة المظليين فقد انتظرت على التل قرب « مسعدة » لتقديم المساعدة عند الحاجة .

وما كاد جنود لواء الجولانى يقتربون من موقع جبل الشيخ ، حتى خرج الكوماندوز السوريون لملاقاتهم . لم ينتظروهم داخل الموقع ، وإنما انتشروا على التلال المؤدية إليه ، وكان هذا إجراء تكتيكيًّا سليماً من ناحيتهم ، ويدل على معرفة جيدة بالأرض ، وتحليل سليم لإمكانات الهجوم .

ولذلك فإنه بالرغم من دعم الطائرات والمدفعية لجنود جولانى فإنهم لم ينجحوا فى الوصول إلى الموقع وسقط منهم قتلى وجرحى كثيرون ، ولم يتمكنوا من سحب ثمانية منهم من على أرض المعركة .

. . . .

لم يفقد الهجوم السورى شيئاً من نشاطه ، وفى حين كانت هناك قوات احتياطية جديدة من الجيش الإسرائيلى تتدفق على الجبهة ، كانت القوات التابعة لدان ما تزال تسيطر على محور « يهوديه » حيث أصيب « دان » ، وتم إخلاؤه ، ثم تسلم مساعده القيادة . . ونحو الظهر وصف الوضع فى محور يهوديه بأنه خطير ، واقترح قائد القوة الرئيسية « دان لنر » على مساعده النزول إلى مواقع المعركة .

. . . .

كانت الطريق مزروعة بالدبابات السورية ، وفى أحد المقاطع لوحظت حوالى أربع عشرة دبابة تقف أمامه موجهة نيرانها على عربته نصف المجنزرة ، بينما كان قد تم تدمير حوالى عشرين دبابة تابعة للواء وأصبحت غير صالحة للاستعمال ، وكانت دبابة أخرى مقلوبة على جانبها ، وكان هناك جرحى مبعثرون فى عدة أماكن .

. . . .

تم استدعاء مساعد اللواء ، وتم حديث فى اللاسلكى ، وفى أثناء المساعدة اختفى صوت قائد اللواء ، وساد الصمت جهاز اللاسلكى ، وبعد ذلك سمع صوت آخر يعلن أن قائد اللواء قد سقط قتيلا .

. . . .

تسلم « جيورا » ضابط العمليات قيادة اللواء . وكانت الذخيرة فى الدبابات آخذة فى النفاد وإن كانت هناك إمكانية لنقل الذخيرة من الدبابات المصابة .

. . . .

بعد الظهر قام « جيورا » مستعيناً بالطائرات والمدفعية بهجوم على الدبابات السورية ودمر منها سبع دبابات ، واستمرت المعركة يوماً كاملا ، إلا أن قوات اللواء لم تحرز أى تقدم . وكان يوماً صعباً للطائرات التى كانت تساعد الدبابات فى صد السوريين .

. . . .

أحضر السوريون فى الليل بطاريات جديدة من بينها بطاريات (سام ٦) التى تتحرك بسهولة من موقع لآخر ، وبالتالى فإنها تصبح هدفاً يصعب ضربه . كما أن هذه الصواريخ لا تترك خلفها ذيلا أبيض من الدخان يمكن استخدامه كدليل تحذير .

. . . .

فى الساعة الرابعة من بعد الظهر بدأ هجوم سورى ضخم قرب القنيطرة ، وكان بمثابة موجة الانقضاض الثانية على هضبة الجولان ، وقد ألقى السوريون فى المعركة بفرقتهم الثالثة وهى القوة المدرعة الاحتياطية والأخيرة لديهم . واشتركت فى الهجوم عدة كتائب من رجال الكوماندوز السوريين .

كانت كثافة الهجوم المركز فى قطاع ضيق كبيرة جدًّا . وباستثناء الهجوم – الذى وقع فى الليلة الأولى ، فلقد كانت هذه هى أصعب الساعات على الجنود الإسرائيليين فى هضبة الجولان . وكان القلق فى قيادة الجبهة شديداً ، فبعد أن تم صد السوريين فى

القطاع الأوسط والجنوبى ، هاهم يقومون الآن بإلقاء كامل قوتهم فى القطاع الشمالى وأمامهم تقف قوات لم تعرف النوم منذ يومين .

. . . .

. . . .

وصل إلى قيادة الجبهة إيجال آلون بينما كان الهجوم على أشده ، وقام على الفور باستطلاع الخرائط والوجوه المغلقة ، وسمع النداءات بجهاز اللاسلكى وتم الاتفاق على توجيه الطائرات فى غارات ثقيلة على أهداف استراتيجية فى العمق السورى للتخفيف عن القوات البرية فوق الجولان . وقد وافقت جولدا مائير على ذلك .

. . . .

استمر الهجوم السورى سبع ساعات متواصلة ، وألقى فى المعركة كتيبة إثر كتيبة . وكان موقف القوات الإسرائيلية بالغ الحرج ، حتى إن رفائيل إيتان اتصل بقائد اللواء المشتبك طالباً منه أن يصمدوا خمس دقائق فقط (ولكن قائد اللواء لم يرد عليه) .

وفى الوقت الذى زاد فيه حرج موقف القوات الإسرائيلية ، وصلت تقارير من الجنود الإسرائيليين الموجودين فى أحد المراكز بأنهم شاهدوا شاحنات سورية متجهة إلى الشرق . وكان ذلك دليلاً أوليًا على توقف الهجوم السورى . وبعد ذلك بدأت النيران تخبو ، وأخذت المدرعات السورية تتراجع .

فى يوم « ٩ – ١٠ – ٧٣ » وبينما كان القلق سائداً خوفاً من فتح جبهة ثالثة (الجبهة الشرقية) وصلت أنباء عن أن قوة عراقية قوامها حوالى ستة عشر ألف رجل ومعهم حوالى مائتى دبابة تتحرك – ولكن إلى سوريا .. وكانت هذه التطورات من أسباب القرار بنقل مركز الثقل إلى الجبهة السورية .

شنت الطائرات الإسرائيلية اليوم غارات واسعة منذ الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق على دمشق ، وأصابت حى « أبو رمانة » الراقى ، كما أصابت وزارة الدفاع وقيادة السلاح الجوى ومبنى محطة الإذاعة ، وأصابت أيضاً محطة كهرباء المدينة ، وخزان وقود قرب مدينة حمص ، وكذلك قصفت محطة الرادار اللبنانية فى الباروك (فى منتصف الطريق بين دمشق وبيروت) ومن جهة أخرى قصفت الطائرات منطقة الحسينية ، وركز الطيران جهوداً ضخمة فى محاولة ضرب بطاريات الصواريخ . برغم سقوط عدد من الطائرات ومقتل وأسر طياريها .

نجحت الغارات فى تشتيت وإضعاف القوات السورية وعاد الجيش الإسرائيلى إلى الخط البنفسجى (وهو خط وقف إطلاق النار السابق مع سوريا).

ولم يكن ذلك يعنى انتهاء الحرب على هذه الجبهة ، ولكنه انتهاء لمرحلة من مراحلها .

وفى يوم ١١ - ١٢ - ١٩٧٣ وضعت خطة جرى تنفيذها للاقتراب من دمشق وبينما كانت فرقة دان لنر تتحرك فى القطاع الأوسط فوجئت بوجود قوات آلية . . وكانت هى القوات العراقية . . فانسحبت على الفور لتنظيم صفوفها . وقد استمرت المعركة بعد ذلك مع القوات العراقية حتى ظهر اليوم التالى .

وقد عادت بعض القوات السورية إلى الاشتباك مع القوات الإسرائيلية فى معارك متقطعة .

. . . .

وفى يوم ١٣ أكتوبر ١٩٧٣ طلبت دمشق من القاهرة القيام فوراً بهجوم مكثف فى سيناء لتخفيف الضغط على الجبهة السورية . وقد بدأ الهجوم المصرى فعلا فى الساعة السادسة من صباح ١٤/١٠/١٩٧٣ .

. . . .

دخلت القوات الأردنية المعركة على الجبهة السورية لأول مرة - يوم ١٥/١٠/٧٣ وكانت هذه القوات عبارة عن لواء مدرع ، قام بالهجوم من الجنوب ، وكانت دباباتهم من طراز باتون هى التى قامت بهذا الهجوم . ولكن المنطقة التى كانوا يعملون منها ساعدت القوات الإسرائيلية فى صد هذا الهجوم وتدمير عدد من الدبابات الأردنية .

. . . .

مع طلوع فجر يوم ١٠/١٤ كانت القوات الإسرائيلية العاملة على محور الجهد الرئيسى على الطريق المؤدى إلى (سعسع) قد بدأت هجوماً جديداً بهدف اقتحام بعض النقاط المتقدمة من المواقع السورية ، لكن القوات السورية فى هذه المواقع قاومت بعنف وصدت الهجوم .

. . . .

بعد ذلك بساعات قليلة جداً شنت القوات السورية والعراقية والأردنية (تدعمها وحدات سعودية ومغربية وكويتية) هجوماً مضاداً بهدف الاستيلاء على بعض المواقع التى احتلتها

القوات الإسرائيلية ولتضييق الخناق على القوات التى تغلغلت فى الحدود السورية ولم تتخل القوات الإسرائيلية إلا عن مواقع محدودة .

. . . .

صور من الجبهة السورية :

يوم ١٩٧٣/١٠/٩ كانت وحدة (عرن زموره) التى خسرت خمسة وعشرين من رجالها ، معسكرة قرب « بقعاتا » . وحتى الآن لم تشترك الوحدة الاستطلاعية التابعة للواء السابع فى معركة كبيرة . وقد اشتركت فى معركة عن طريق الصدفة تقريباً . حين اصطدم جنود لواء « جولانى » بكمين بالقرب من القرية . وكانت خسائرهم فيه كثيرة ، فطلبوا المساعدة عن طريق اللاسلكى ، ولذلك خرجت إحدى عشرة مصفحة من الوحدة الاستطلاعية لمساعدتهم ، وكان عشرات الجرحى على مدخل القرية ، ولم يكن هناك سوى طبيب واحد ، يساعده ممرض فى معالجتهم . وأشار جنود لواء جولانى إلى المنطقة التى يختفى فيها السوريون ، وقد اكتشف (عرن زموره) وجودهم فى أثناء خروج المصفحة من القرية .

وكان السوريون متقدمين فى المنطقة المزروعة ، وكان الكثيرون منهم فى خنادقهم ، فتحركت المصفحات نحوهم ، واستمر الهجوم فترة ثم توقف تحت ضغط نيران المدفعية الكثيفة .

وعادت الوحدة الاستطلاعية إلى الطريق الرئيسية ، وكان جرحى لواء جولانى مايزالون فى مدخل القرية ، وكان الطبيب يجد صعوبة فى معالجة الكثير منهم .

لقد أطلق السوريون على المصفحات المتقدمة قذائف آر . بى — جى — وخرجت مصفحتان — إحداهما مصفحة قائد السرية — عن الطريق لتطهير المنطقة التى أطلقت منها هذه القذائف . ولم يكن رجال هاتين المصفحتين يعرفون ما ينتظرهم من وراء كروم العنب ، فبعد قليل سمعت أصوات استغاثة . وكان مصدرها هذه المرة رجال المصفحتين ، ثم سمع صوت أحد الجنود فى جهاز الاتصال وهو يعلن عن مقتل قائد السرية ويطلب التعجيل فى تخليصه هو وباقى زملائه .

وعاد رتل المصفحات ، ولم يكن الرجال يعرفون بالضبط ما حدث لقائد السرية وللمصفحتين اللتين كانتا معه . ولم يكد الرتل ينزل عن الطريق حتى وقع فى كمين سورى آخر . فلقد كان هناك عشرات من رجال الكوماندوز السوريين المتواجدين فى خنادق تم

تجهيزها بحيث كانت على شكل حدوة الحصان .

وما إن دخلت المصفحات الإسرائيلية إلى المنطقة حتى أصيبت إحداها من الخلف بقذيفة بازوكا ، أصابتها بعنف حتى أن أحد جنودها قذف به خارجها .

استمرت المعركة دقائق معدودة . وكانت المشكلة هي كيفية التخلص من هذا الكمين وإخراج الجرحى الكثيرين .

وفى مصفحة (عرن زموره) قتل قائد المجموعة من إصابة بطلقة مباشرة .

وانطلقت إحدى المصفحات وهى تعدو بصورة عكسية والنيران مشتعلة فيها . وقد قفز منها الرجال ببعض الجرحى قبل أن تنفجر بثوان معدودة .

وبعد ذلك بدأت مشكلة تخليص مصفحة أخرى من هذا الكمين . وكان فى هذه المصفحة « عرن زموره » وبقية الطاقم .

موشيك . . ما عاد يغنى :

كان موشيك فاكس قائداً لسرية مدرعات انطلقت إلى مواقع جديدة لها على الجولان فى ١٩٧٣/١٠/٧ ، لمساندة القوات المدرعة التى أخذت تتهاوى أمام زحف المدرعات السورية .

وكان (موشيك) معروفاً بين رفاقه (معظمهم من حيفا) بأنه يهوى الغناء . . وبمجرد أن اقتربت السرية من أرض المعركة ، تعرضت لنيران الدبابات السورية التى تدفقت بغزارة هائلة . وانتقلت إلى موشيك عدوى الفزع الذى سيطر على رجاله (خاصة وأنهم يعرفون ما جرى للكتيبة التى جاءوا لنجدتها) .

وفى محاولة للتغلب على الخوف ، ولتشجيع رجاله ، أخذ (موشيك) يغنى فى ميكرفون ميدانى موجهاً الكلام لهم .

(أيها الأصدقاء اذكروا أننا نحارب هنا من أجل بيتنا . تأكدوا أننا بتراجعنا سوف نسمح للسوريين بالوصول إلى حيفا ») .

ولم يكمل « موشيك » نشيده . . لأن الدبابات السورية اندفعت تجاه سريته . . ولم تمض دقائق حتى كانت دبابته قد انفجرت . ومات هو وطاقمها كله .

« إيال » لا يرد :

كان إيال شاحم « قائداً لسرية مدرعات إسرائيلية ، تقاتل فى الجنوب من هضبة الجولان ، وكان يحافظ على الاتصال المستمر مع قائد الموقع الذى أقامته قوة من لواء (جولانى) خاصة وأن هذا القائد كان يشاهد من فوق أحد التلال تحركات الدبابات السورية فى المنطقة .

ولكن السوريين اكتشفوا سرية إيال فصبوا نيران مدفعيتهم عليها ، وأصيبت دبابة إيال . . فأسرع إلى دبابة أخرى يحتمى بداخلها ، لكن قذيفة من موقع مورتار سقطت على هذه الدبابة . . فانفجرت ، وقتل إيال وقتل معه عمرام ترجمان ، ودافيد جولان ، أما الجندى سائق الدبابة « موشيه نيلى » فإنه نجا من الموت . . ولكنه أصيب بصدمة عصبية .

وقال قائد الموقع . « لقد كان ذلك فى الساعة الواحدة وعشر دقائق بالضبط من يوم الأحد (١٩٧٣/١٠/٧) وكنت أتحدث مع « إيال » ، وفى هذه اللحظة تماماً انقطع صوته . ولقد كانت هذه لطمة بالنسبة لنا ، فلقد كان إيال يحمينا بسريته من الخلف فى أصعب ساعات الحرب .

هذا وقد كانت إصابات السرية فادحة حتى أنه لم يتبق منها سوى ثمانية جنود فقط .

« لقد واجهت القوات الإسرائيلية صعوبات غير عادية ، فلأول مرة فى تاريخها تواجه جنوداً عرباً يقاتلون بهذا المستوى وهذه القدرة القتالية العالية . لقد أظهر الجنود العرب . على الجبهتين – كفاءة عالية فى استخدام الأسلحة الحديثة وفن الحرب الحديثة . واتبعوا تكتيكات رائعة . . وهو شيء لم يحدث فى الحروب السابقة .

لقد أدار المصريون والسوريون حربهم على أساس إنزال أكبر الخسائر فى الجيش الإسرائيلى . وهم يعلمون جيداً حرص القيادة الإسرائيلية على حياة الجندى لأن الجيش الإسرائيلى لا يحتمل مثل هذه الخسائر البشرية .

(توقيع)

المراسل الحربى لصحيفة « بمحانيه » الإسرائيلية

أكبر عملية نقل دم مسلح فى التاريخ

« **أنقذوا إسرائيل** » :

« نص رسالة الاستغاثة العاجلة
التى تلقتها وزارة الخارجية الأمريكية فى ٩/١٠/٧٣ »

« ولما جاء اليوم الرابع من الحرب . . كانت إسرائيل قد هزمت تماماً وبشكل مروع ولذلك فإن الجسر الجوى والبحرى الأمريكى لم ينقل لإسرائيل الأسلحة والمعدات بقدر ما كان يقوم بعملية نقل دم هائلة لشرايين إسرائيل التى نزفت كل دمائها ! ! »

(توقيع)
التاريخ الحديث

« إن وصول طائرات النقل الأمريكية الضخمة (س — ٥) ناقلة الأعتدة والسلاح بصورة مستمرة أنقذ إسرائيل مما لم يكن تحمد عقباه . وإننى أذكر أنه عندما اتصلت يوم ٧ أكتوبر بسفيرنا فى الولايات المتحدة مرة أخرى قال لى إننا فى الساعة الثالثة صباحاً ولا أستطيع أن أوقظ أحداً من المسئولين الأمريكيين الآن ، فقلت له لا يهمنى كم تكون الساعة الآن . **إن الموت يأكل جنودنا** . وإن كل ساعة تأخير تكلفنا الكثير جداً . أيقظهم جميعاً . اتصل بالدكتور كيسنجر فوراً . . وقد رد كيسنجر بأن الطائرات العملاقة من طراز (س ١٥٠ جالاكسى) قد تلقت أمر الرئيس بنقل كل ما تطلبه . »

(توقيع)
رئيسة وزراء إسرائيل
جولدا مائير
« **فى كتابها قصة حياتى** »

« لقد تعرضنا لنقص فى الوسائل التى تكفل استمرار القتال ، وكان الجسر الجوى الذى أقامته الولايات المتحدة لنقل الأسلحة إلى إسرائيل أضخم جسر من نوعه فى التاريخ ، وأكبر حتى من عملية الإنقاذ التى تمت بالنسبة لبرلين . . **والمؤكد أنه بدون هذا الجسر لم يكن باستطاعتنا أن نستمر فى القتال** . »

(توقيع)
إسحق رابين
رئيس وزراء إسرائيل الذى خلف جولدا مائير

« إن قواتنا تتآكل . . والأمل الآن فى أن يرسل إلينا الأمريكيون إمدادات عاجلة من الأسلحة » .

(توقيع)
موشيه ديان
٩ - ١٠ - ١٩٧٣

« ماذا كان سيحدث لنا لو لم تلق حكومة الولايات المتحدة بكل ثقلها فى كفة الميزان عندما أرسلت إلينا على الفور الإمدادات والمعدات ، وأعلنت حالة التأهب فى جيوشها ؟! »

(توقيع)
المؤرخ الإسرائيلى
يعقوب تلمون

« بعد يومين من بدء القتال ، كانت إسرائيل على حافة هزيمة مروعة لا تقل عن أية هزيمة ألحقتها بالعرب من قبل ، فلم يكن قد تبقى لديها سوى ٩٠ دبابة منهكة وأطقم خائرة تقف بين جيش مصرى منتصر وبين تل أبيب » .

(توقيع)
المحرر العسكرى لصحيفة
صنداى تايمز

« لقد ثبت لنا فى يوم ١٩٧٣/١٠/١٤ أن القوات الإسرائيلية لم يكن أمامها إلا ٢٤ ساعة فقط ينتهى بعدها كل مخزونها من الذخائر الخاصة بالطائرات والمدرعات والمدفعية وبطاريات الدفاع الجوى التى تعتمد على صواريخ هوك » .

(توقيع)
الجنرال دانييل جراهام
رئيس وكالة مخابرات وزارة الدفاع
الأمريكية

« كان معدل الخسائر الإسرائيلية عالياً جداً .

وكانت عمليات إعادة تسليح إسرائيل من خلال الجسر الجوى الأمريكى تسير بمعدلات لم يسبق لها مثيل لتعويض هذه الخسائر الرهيبة إذ كانت إسرائيل تخسر دبابة كل ربع ساعة وطائرة كل ساعة تقريباً خلال الأيام الأولى للحرب » .

(توقيع)
رئيس معهد الدراسات العسكرية
فى السويد

« وتقدم الرئيس الأمريكى نيكسون بطلب إلى الكونجرس بالموافقة على إمداد إسرائيل بمساعدة عسكرية عاجلة تزيد قيمتها على بليونين من الدولارات وذلك حتى تستطيع أن تلتقط أنفاسها .

ولقد كان هذا الطلب مجرد عمل رسمى ، لأن أمريكا كانت قد بدأت بالفعل ليس فى تعويض إسرائيل عما فقدته ولكنه كان بمثابة إعادة تسليحها .

(توقيع)

الكاتب البريطانى : مايكل آدمز
الكتاب الذى ألفه مع المفكر والوزير
البريطانى السابق « كريستوفر مايهيو »
بعنوان « ليس للنشر »

« إن موقفنا خلال الأسبوع الأول من الحرب . كان يائساً حيث لم نكن نملك قذائف كافية إلى أن جاءتنا الإمدادات الأمريكية » .

(توقيع)

وزير الدفاع الإسرائيلى
موشيه ديان

« لقد واجهت إسرائيل فى حرب أكتوبر تهديداً حقيقياً وخطيراً حتى أن الأمر تطلب قراراً على أعلى مستوى فى الولايات المتحدة لكى لا تتعرض إسرائيل للغرق » .

(توقيع)

آبا إيبان
وزير الخارجية الإسرائيلية أثناء الحرب

« إن إسرائيل بقيت قائمة كدولة ، لأننا لم نخنها . فبدون الأسلحة والنفاثات الأمريكية كان محتوماً أن تفنى إسرائيل » .

(توقيع)

الجنرال الأمريكى إيفيل بانجر
فى حديث لمراسل اليونايتدبرس – لوس أنجلوس

« لو لم نمد الجسر الجوى إلى إسرائيل لما كان فى مقدورها الصمود أكثر من ٤٨ ساعة أخرى .

(توقيع)

الرئيس الأمريكى (السابق) ريتشارد نيكسون فى
حديث له من مقره بسا ن كليمنت « كاليفورنيا »
إلى محرر صحيفة « بديعوت أحرونوت الإسرائيلية »

« قصة الإنقاذ . . بالتفصيل »

لو كانت الحروب تخضع للنظم التى تخضع لها المباريات الرياضية ، كمباريات الملاكمة مثلا . . وبالتالى لو أنه كان هناك « حكم » لحرب أكتوبر مهما كانت جنسيته واحتمالات تحيزه . . لكان قد أطلق صفارته فى اليوم الثالث أو اليوم الرابع من القتال على أكثر تقدير منهياً « مباراة النار والدم » بفوز القوات العربية على القوات الإسرائيلية بالضربة القاضية – ولعله « إذا كان متحيزاً بشكل فاقع » فربما كان يعتبر الهزيمة الإسرائيلية بالضربة القاضية الفنية !

وعفواً ليس هذا التشبيه الذى تصورته نوعاً من التسطيح الفكرى أو الترف الذهنى فهذا مالا يخطر لى على بال. ولكننى لم أجد بالفعل ما يصور نتائج الجولات المتتالية منذ انطلقت قذيفة البدء وحتى اليوم الرابع ، سوى هذا التشبيه ، ولعل ما ينفى تهمة التسطيح أو الترف أن الحروب فى تطورها التاريخى منذ بدء الخليقة كانت ومازالت شكلا من أشكال الصراع التى حاول الإنسان تطويرها تفادياً لآثارها الدامية . فكانت الرياضة والمباريات الساخنة ! !

وعلى أية حال فقد سبقنى إلى هذا التشبيه من يستحيل اتهامه بالتسطيح والترف . . . فهو مقاتل مصرى اقتحم المواقع المائية والترابية والبارليفية وتصدى بفدائية مذهلة للمدرعات الإسرائيلية . هذا المقاتل سجل فى ثالث أيام القتال خواطره على الباب الفولاذى لأحد حصون خط بارليف فكتب (بخط جميل ومنسق) « انتهى الشوط الأول من المباراة الدموية بفوز الفريق المصرى على الفريق الإسرائيلى بخمسة أهداف للا شىء . . . ، وسينتهى الشوط الثانى بعد قليل دون أن يسجل الفريق الإسرائيلى هدفاً واحداً فى مرمى الفريق المصرى » .

وقد توقفت أنا وعدد من المراسلين الحربيين أمام هذه العبارة ، وقمت بترجمتها للمراسلين الأجانب . ولم يظهر على أحدهم أنه يختلف على النتيجة النهائية بالفعل .

وليس من قبيل الاستطراد أن أضيف الآن أنه من المنطقى تماماً أن نعتبر أصحاب الاعترافات والشهادات التى سجلتها فى بداية هذاالفصل بمثابة « الحكام » الذين أطلقوا صفاراتهم معلنين النتيجة الحقيقية قبل عملية نقل الدم الهائلة التى حقنت بها أمريكا جسد الجيش الإسرائيلى المنهار .

عن الجسر الجوى والبحرى الأمريكى ، أو عملية نقل الدم لجيش إسرائيل تقول الدراسات والوثائق الإسرائيلية والأمريكية والفرنسية والإنجليزية ما يلى :

١ – فى مساء يوم الأحد ٧ أكتوبر ١٩٧٣ زار مردخاى شليف الوزير المفوض الإسرائيلى وزارة الخارجية الأمريكية واجتمع هناك بجوزيف سيسكو نائب وزير الخارجية وأوضح له بصورة لا تقبل التأويل أن إسرائيل بحاجة إلى إمدادات متواصلة من المعدات والأسلحة فى أقرب وقت .

٢ – فى نفس اليوم « الأحد » ، وبعد هذا الاتصال بساعات قليلة اتجه السفير الإسرائيلى سمحا دينتس الذى قدم توًّا من إسرائيل ، إلى مكتب وزير الخارجية الأمريكى . وتحدث مع كيسنجر عن ضرورة تزويد إسرائيل بالمعدات والأسلحة بكميات ضخمة ، وأبلغ دنيتس كيسنجر أن الجيش الإسرائيلى فى موقف لا يحسد عليه ، حيث أن تدمير المعدات كبير جدًّا وسريع ، وإذا استمرت الحرب على هذا المعدل ستفرغ المخازن وستدمر معظم المعدات ، فخلال أقل من يومين أصبح حوالى المائتين وخمسين دبابة فى الجبهتين مدمرة أو غير صالحة ، كما فقدت عشرات الطائرات .

٣ – فى يوم الاثنين ١٩٧٣/١٠/٨ ، عادت طائرات العال الإسرائيلية بعدة شحنات من الذخيرة والأجهزة والأسلحة وكانت هذه الطائرات قد تم إعدادها لاستيعاب أكبر قدر من الشحنات ، فانتزعت مقاعد الركاب من أماكنها وتحول داخل الطائرة إلى مخزن واسع وكانت الصناديق توضع فيها حتى تصل إلى السقف ولكن هذه الكميات التى آثرت أمريكا أن ترسلها سرًّا حتى الآن . لم تسد الاحتياجات المتزايدة لإسرائيل .

٤ – فى مساء نفس اليوم ١٩٧٣/١٠/٨ اجتمع فريق العمل الأمريكى الذى يترأسه كيسنجر ، وكانت التقارير التى وصلت من ساحة القتال هذه المرة (من الجانب الإسرائيلى طبعاً) مقلقة ومكدرة ، وقد أمر كيسنجر فريق العمل (وهو من عناصر المخابرات الأمريكية) بتقييم الموقف بأسرع ما يمكن .

٥ – فى صباح ٧٣/١٠/٩ توجه السفير الإسرائيلى مرة أخرى بطلب إلى كيسنجر لكى تسارع أمريكا بتزويد إسرائيل بالأسلحة والإمدادات العسكرية، وقد أبدى بعض أعضاء فريق العمل الأمريكى دهشتهم من ضخامة الكميات التى ضمتها قائمة الأسلحة المطلوبة .

وقد أخذ كيسنجر يطمئن دينتس ، وقال له إنه تحدث فى المشكلة مع الرئيس نيكسون الذى أصدر تعليمات إلى البنتاجون لتنظيم شحنات فورية من المعدات والأسلحة إلى إسرائيل .

وسارع الملحق العسكرى (جور) إلى البنتاجون (وكان يذهب إليه يومياً) ، وقد علم هناك أنهم يجدون صعوبة فى إخراج المعدات من مخازن الجيش ، ويواجهون نقصاً فى وسائل النقل .

وعاد سيمحا دينيتس إلى كيسنجر وأخذ يلح فى ضرورة الإسراع بالإنقاذ .

فى ظهر نفس اليوم الثلاثاء ٧٣/١٠/٩ وصلت برقية مذعورة من إسرائيل إلى سفارتها فى واشنطن ، وكانت جولدا مائير تطلب فى هذه البرقية من آبا إيبان (وزير الخارجية) وسيمحا دينيتس العمل على وقف القتال فوراً دون أية شروط من إسرائيل ، وقد ساد الذهول فى السفارة الإسرائيلية . خاصة وأن برقية مذعورة أخرى وصلت بعد ذلك بوقت قصير تطلب من السفارة العمل بصورة عاجلة للحصول على إمدادات فورية من الأسلحة والمعدات .

تعثرت محاولة وقف إطلاق النار ، ربما لتعهد أمريكا بالإنقاذ الفورى – بالأسلحة والمعدات ، وقد عقد فريق العمل اجتماعاً آخر برئاسة كيسنجر وقد وضعت أمام أعضاء الفريق قائمة بخسائر إسرائيل البشرية وخسائرها فى الطائرات والدبابات . كانت الصورة قاتمة ومكدرة ، وقد أبدى أحد الأعضاء ملاحظة قال فيها « تحطمت أسطورة إسرائيل التى لا تقهر » وقال آخر « من المؤسف أن يحدث ذلك » واتصل كيسنجر بدينيتس تليفونيًّا وسأله « هل حصلتم على جميع الأسلحة والمعدات التى تحتاجون إليها ، لقد أصدر الرئيس تعلياته بتزويدكم بكل ما تريدون » .

٦ – فى مساء ١٠ أكتوبر وصلت الطائرات التى أرسلتها أمريكا تعويضاً عن جميع الطائرات التى سقطت ، وقد جاءت هذه الطائرات من القواعد الأمريكية فى أوربا . وقد طبعت عليها إشارة سلاح الجو الإسرائيلى . وبالتالى فإنها دخلت المعارك فوراً .

وقد قال مسئول أمريكى كبير للملحق العسكرى الإسرائيلى « من المهم جدًّا أن تلقنوا العرب درساً قاسياً » .

لكن إسرائيل لم تقنع بهذه الشحنات . . . وأرسلت تطلب تنفيذ القائمة الكبيرة التى طلبتها .

– اتصلت جولدا مائير بالرئيس الأمريكى ، وأوضحت له خطورة الموقف والحاجة الماسة لكميات ضخمة من الأسلحة والمعدات والأجهزة الإلكترونية . وقد أخذ نيكسون يهدئ من روعها وقال لها إن الولايات المتحدة لن تتخلى عن إسرائيل ، وإنه سيحسم على الفور مشكلة وسائل النقل الكبيرة .

– فى يوم الخميس ١١/١٠/١٩٧٣ ثار خلاف جديد بين كيسنجر ووزير الدفاع الأمريكى شليزنجر ، الذى اتهمه كيسنجر بالتباطؤ فى تنفيذ الإمداد الأمريكى لإسرائيل متذرعاً بعدم وجود وسائل نقل (غير أمريكية) والخوف من مقاطعة الدول العربية البترولية .

وقد استعان كيسنجر مرة أخرى بالرئيس نيكسون الذى أصدر أمراً صريحاً وحاسماً بمد الجسر الجوى « والبحرى » بطائرات وسفن أمريكية على الفور وبشكل علنى ! !

– فى يوم الجمعة ١٢ / ١٠ / ١٩٧٣ وصلت أولى طائرات الجسر الجوى الضخم إلى إسرائيل وقد هبط فى اليوم الأول فقط (٢٥) طائرة عملاقة تحمل شحنات ضخمة من الأسلحة والأجهزة والمعدات .

وكان أول القادمين من الضباط الأمريكيين المشرفين على نقل هذه الأسلحة والمعدات الكولونيل (دوفلر ستروبار) الذى كان يقود طاقماً يتألف من « ٣٠ » شخصاً .

جولدا مائير تقبل الطيارين الأمريكيين ثم تبكى :

تقول وثيقة إسرائيلية إن جولدا مائير ، ذهبت متلهفة إلى المطار الذى أخذت تهبط فيه الطائرات الأمريكية بشحناتها الضخمة ، وقد قامت بمعانقة وتقبيل اثنين من الطيارين كانا أول من وقع عليهما بصرها ، ثم تساقطت دموعها .

والمجندات الإسرائيليات يستقبلن الطيارين الأمريكيين بالزهور :

تقول نفس الوثيقة إن القيادة الإسرائيلية جعلت بعض المجندات يقمن بتقديم الزهور لأطقم كل طائرة تصل إلى المطار (من الجسر الجوى الأمريكى) – إعراباً عن الشكر والعرفان بالجميل .

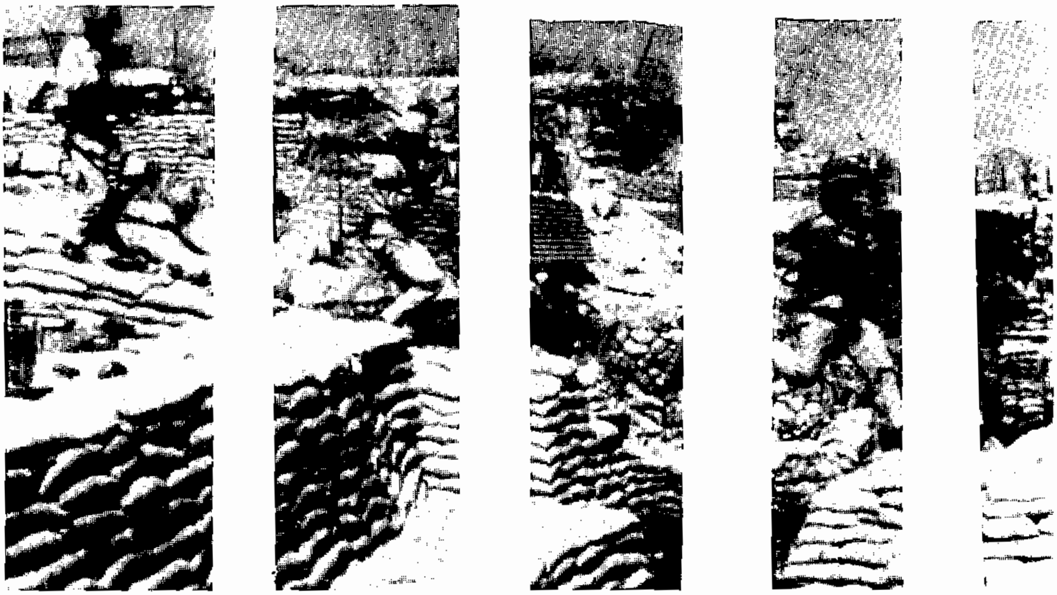

مع اجتياح خط بارليف دارت معارك عنيفة خسرت فيها إسرائيل الكثير من أسلحتها ومعداتها ورجالها فاستغاثت قادتها بأمريكا التي أسرعت بمد أضخم جسر جوى نقلت من خلاله إلى إسرائيل أحدث الطائرات والدبابات والصواريخ والمعدات والفنيين . وكانت أكبر عملية نقل دم مسلح فى التاريخ

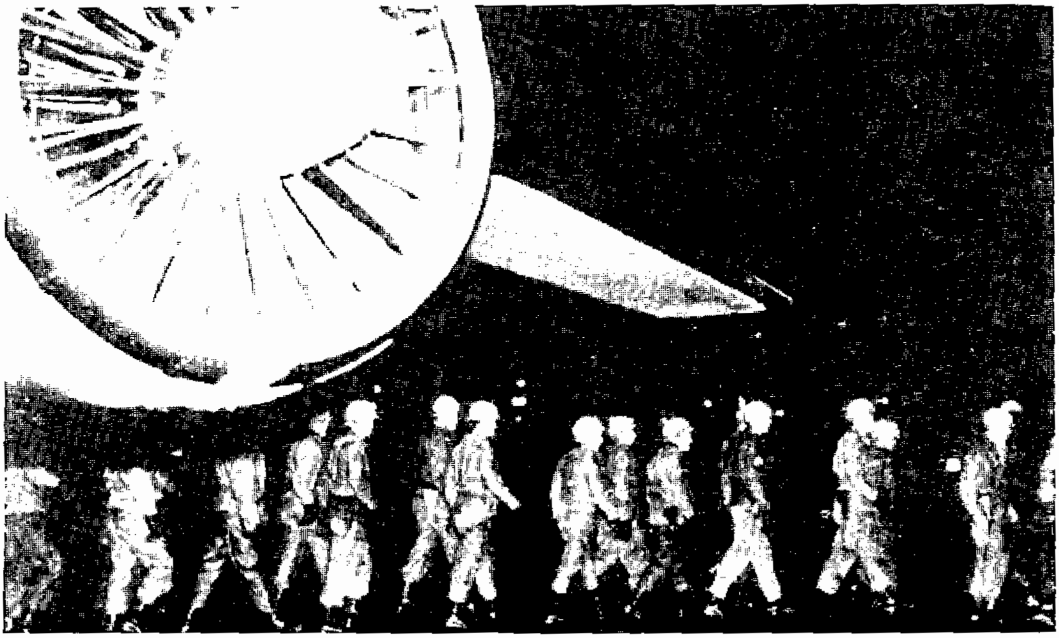

«كيف كان الجسر الجوى الأمريكى»

أعلنت أمريكا رسمياً فى ١٠/١٣ بصورة علنية ورسمية أنه بدأ شحن مواد أولية ومعدات حربية وأسلحة بمعدل كبير إلى إسرائيل عبر جسر جوى من قواعد أمريكية فى الولايات المتحدة وألمانيا الغربية .

وتوالى وصول الطائرات العملاقة من نوع (جلاكسى س – ٥) و(ستار لفترسى – ١٤١) و(هيركيوليزس – ١٣٠) . ولا يدخل ضمن شحنات هذه الطائرات الضخمة ما وصل إلى إسرائيل من طائرات الفانتوم وطائرات سكاى هوك التى كان يجرى تحويلها إلى إسرائيل رأساً من قواعدها فى الولايات المتحدة وأماكن أخرى .

هذا وقد شحنت الطائرات الأمريكية الأسلحة والمعدات إلى إسرائيل عبر الممرات الجوية التالية . وقد انقسمت هذه الطائرات إلى فئتين :

(أ) طائرات الفئة الأولى:وهى الطائرات الاعتراضية والقاذفة التى تستطيع الطيران إلى إسرائيل ، وقد اشتملت هذه على طائرات « الفانتوم » و« سكاى هوك » .

١ – أقلعت طائرات الفانتوم من القاعدة الأمريكية (أوشينا) Oceana التابعة للبحرية الأمريكية القريبة من مدينة (نورفولك) – ولاية أمريكا الشمالية – رأساً إلى إسرائيل ، وكانت تتزود بالوقود أربع مرات أثناء تحليقها فى الجو فوق المحيط الأطلسى والبحر الأبيض من طائرات الصهاريج الجوية الأمريكية طراز (بوينج ك س – ١٣٥) التى كانت تحلق فى الجو بصورة مستمرة فوق هذه المناطق .

٢ – أقلعت طائرات (سكاى هوك) من القاعدة نفسها ، وكانت – نظراً لقصر مدة طيرانها ، قياساً بطائرات الفانتوم – تهبط وهى فى طريقها إلى إسرائيل على ظهر حاملة الطائرات الأمريكية (جون كنيدى) التى أمرت بالمرابطة فى شرق المحيط الأطلسى قريباً من جزر « الأزور » ، ثم تحلق من جديد لتهبط مرة أخرى على إحدى حاملتى الطائرات الأمريكية من طراز « انديبنداس » U.S. Independence و« فرانكلين روزفلت U.S. Fr. Rossevelt اللتين رابطتا فى عرض البحر الأبيض المتوسط ، وكانت بعد ذلك تتجه رأساً إلى إسرائيل . وقد تم شحن الدفعات الأخيرة من هذه الطائرات بعد ذلك بواسطة السفن .

٣ – أقلعت فى مراحل الحرب الأولى عدة مجموعات من هذين النوعين (لم يعرف عددها) من القواعد الجوية الأمريكية فى تركيا وألمانيا الغربية ، لكن ذلك أوقف بعد ذلك بناء على طلب الحكومتين التركية والألمانية الغربية .

(ب) طائرات الفئة الثانية : وهى طائرات النقل العملاقة من نوع (جلاكسى س – ٥) و (ستار لفترس – ١٣٠) التى أوكل إليها مهمة نقل الأسلحة والمعدات الثقيلة إلى إسرائيل وقد سلكت الطرق التالية :

١ – هبط بعضها فى جزر (الأزور) التابعة للبرتغال ، فى القاعدة الجوية الأمريكية « لاجيز » ، حيث كانت تتوجه بعد ذلك إلى إسرائيل .

٢ – هبط البعض الآخر فى ألمانيا الغربية فى قاعدة (رامشتاين) الجوية الأمريكية ثم أقلع إلى إسرائيل ، ولكن حكومة ألمانيا الغربية عادت ومنعت هبوط هذه الطائرات فى أراضيها ، وعليه اضطرت طائرات الجسر الجوى للهبوط فى جزر (الأزور) فقط .

ماذا نقلت أمريكا إلى إسرائيل فى طائرات النقل العملاقة ؟

اشتملت المواد التى أخذت تنقلها طائرات النقل الأمريكية على الآتى :

(ا) دبابات (م – ٦٠) ، وناقلات جنود مجنزرة (م – ١١٣) ، وكانت الطائرات المحملة بهذه المعدات والأسلحة تهبط مباشرة فى قاعدة العريش فى سيناء ليتمكن الجيش الإسرائيلى من استخدامها فى القتال بأسرع ما يمكن

(ب) أسلحة موجهة من الجو إلى الأرض ، وتضمنت الأنواع التالية .

١ – « وول – آى » (Wall eye) : وهى قنبلة معقدة يتم توجيهها تليفزيونيًّا ، وزنتها (١٠٠٠) رطل ، ومداها (٢٥) ميلاً ، وتستخدم بطائرات سكاى هوك والفانتوم ، ضد قواعد الصواريخ والمدفعية والأهداف – المحمية والمدفونة عميقاً فى الأرض .

٢ – صواريخ « شرايك » (Shrike) : وهى صواريخ موجهة ضد أجهزة الرادار ، وتوجه إلى الهدف بواسطة الموجات التى تصدرها أجهزة الرادار نفسها ، وتستخدم هذه الصواريخ فى طائرات سكاى هوك والفانتوم التى تطلقها على الهدف من مسافة ١٢ – ١٦ ميلاً . .

٣ – صواريخ « روك – آى » Rockeye »

صواريخ ضد الدبابات ، وتستخدم لأول مرة ، وهى تحتوى على مجموعة قنابل صغيرة ، تطلقها الطائرة فوق مجموعة من الدبابات ، وعند اقتراب الصاروخ من الهدف ينفجر لتنطلق منه القنابل الصغيرة حيث تتوجه كل منها إلى دبابة أو آلية ، وبهذا يمكن إصابة عدد من الدبابات أو تعطيل قاذفة آليات حربية بضربة واحدة .

٤ – صواريخ « مافريك Mavrick »

وهذا النوع من الصواريخ يوجه تليفزيونيًّا من الجو إلى الأرض ، ويوجهه الطيار نحو الهدف ، ويستعمل ضد الدبابات والأهداف التكتيكية الهامة .

٥ – « روكويل Rockwell »

قنبلة موجهة راداريًّا ، أو بواسطة الأشعة فوق الحمراء ، وتزن كل قنبلة منها (٢٠٠٠) رطل وتستخدم ضد الدبابات والأهداف المخفاه والمموهة .

٦ – جهاز تيسيو « Tissue »

جهاز معقد ودقيق للغاية ، تستخدمه الطائرات لكشف الأهداف المتحركة المحلقة فى الجو والمتحركة على الأرض ، وبإمكان هذا الجهاز معرفة هوية الطائرات المحلقة فى الجو وتصنيفها « إما صديقة أو عدوة » من مسافة (٣٦) ميل ، كما أن بإمكانه أيضاً تمييز الأهداف الأرضية من مسافات كبيرة لا تدركها العين المجردة .

٧ – أجهزة (أ . ل . اى – ٢٩ – ALE – 29) وتستخدمها طائرات سكاى هوك وهى خاصة بطائرات الفانتوم ، وهذه الأجهزة عبارة عن أوعية تحتوى على كميات كبيرة من مادتى الزجاج المعدن ونفايات الألمنيوم ، تستخدم ضد الصواريخ الموجهة أرض – جو وتطلقها الطائرات عندما تكون فوق قواعد الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات ، وتعمل كحاجز واق بين الطائرة والصاروخ ، ينجم عنه التشويش على جهاز الرادار الموجه للصاروخ ، وبهذا يفقد الصاروخ الأثر ويحيد عن الطائرة . (وقد تسلمت إسرائيل (٥٠٠,٠٠٠) جهاز من هذا النوع فى يوم ١٠/١٢ ، واستهلكت فى المرحلة الثانية من الحرب كمية أكبر من ذلك .)

(ج) صواريخ موجهة ضد الدبابات والتحصينات والأهداف الهامة . وتشتمل على الأنواع التالية :

١ – صاروخ (تاو – Tow) الموجه المضاد للدبابات والتحصينات الهامة ويوجه هذا الصاروخ ويعمل على تتبع الأثر بواسطة السلك ، وقد شحنت الولايات المتحدة (٢٠٠٠) صاروخ من هذا النوع إلى إسرائيل .

٢ – قذيفة صاروخية (لو – Law) وهى قذيفة مضادة للدبابات ، وتطلق بواسطة أنبوب على طريقة إطلاق قذيفة البازوكا لكنها دقيقة فى إصابة الهدف وزنتها خمسة أرطال ، ويمكن استخدامها أيضاً ضد التحصينات .

(د) ذخيرة وقنابل وصواريخ للدبابات والطائرات والمدفعية ، وقد كانت نسبة استهلاكها عالية جداً

(هـ) طائرات استطلاع بدون طيار من طراز تليد اين ريان ١٢٤ – ١ »
Teledyne Ryan 124 – 1 Reconnaissane Drone

(و) ضمن هذه الشحنات أيضاً عدد ١٢ طائرة من طراز « هيركوليزسى ١٣٠ » التى تتسع الواحدة منها لنقل مائة جندى على الأقل ، وذلك من أجل إسعاف إسرائيل بتعزيز قدرتها على النقل السريع لجنودها . (وقد قيل إن هذه الطائرات قدمتها أمريكا على سبيل الإعارة ! !) .

* هذا كله بالإضافة إلى معدات وأجهزة إلكترونية دقيقة لم يعلن عنها ولكنها وصلت بكميات وفيرة إلى إسرائيل .

الجسر البحرى

فى نفس الوقت الذى امتد فيه الجسر الجوى الأمريكى الهائل إلى إسرائيل ، أقامت أمريكا جسراً بحرياً آخر (لم تسلط عليه الأضواء بما فيه الكفاية) ففى ١٩٧٣/١٠/١٠ رست فى ميناء (نورفولك Norfolk) بولاية كارولينا الشمالية بالولايات المتحدة ، سفن شحن إسرائيلية ، وقامت بشحن أسلحة ومواد حربية بصورة سرية ، وقد اشتملت التجهيزات التى شحنت بواسطة هذه السفن وبواسطة سفن أمريكية أخرى على ٦٠٠ دبابة (ام – ٦٠) ، (ام – ٤٨) ، وطائرات سكاى هوك ، وطائرات هليوكبتر من

مختلف الأنواع الأمريكية المستخدمة فى السلاح الجوى الإسرائيلى كما اشتملت على مدافع (م ١٠٩) عيار ١٧٥ ملم ذاتى الحركة وقنابل وصواريخ وذخيرة مختلفة الأنواع والأحجام .

إلى هذا الحد كانت إسرائيل تطلب الإنقاذ :

١ - تكشف نوعيات وكميات الأسلحة والمعدات والأجهزة التى تدفقت على إسرائيل من خلال الجسرين الأمريكيين الجوى والبحرى . . . كيف كانت إسرائيل تقترب فعلاً من حافة الهاوية تحت ضغط القوات المصرية والسورية .

٢ - ثمة دليل آخر على ضخامة هذه الإمدادات الأمريكية يجىء على لسان شخصية أمريكية كبيرة . . صرخت قائلة : « إن مخزون الجيش الأمريكى معرض للنفاد نتيجة لنقل كل هذه الأسلحة والمعدات إلى إسرائيل » .

٣ - لم تستطع المصانع والمخازن الأمريكية تغذية الجسر الجوى والبحرى السريع والضخم فتم سحب دبابات وأسلحة مختلفة من بعض قوات الجيش الأمريكى العاملة وقد أحدث ذلك رد فعل ملموس فى الولايات المتحدة . وخاصة فى وزارة الدفاع .

وبرغم ذلك كله . . لم تكن هذه فقط هى عملية إنقاذ إسرائيل :

كان انهيار إسرائيل - بشهادة قادتها - منذ الأيام الأولى للحرب أكبر من أن تستعيد بعض توازنها - بعده - بسهولة . وبرغم عملية « نقل الدم » المسلح الهائلة التى قام بها الجسران الجوى والبحرى الأمريكيان - فإنها ظلت تطلب المزيد ولعلنى أستطيع أن أضيف - مطمئنًّا - هذه العمليات الإنقاذية الأخرى التى شاركت فى دفع دماء الحياة والتماسك فى شرايين إسرائيل دولة وجيشاً :

١ - تلقت إسرائيل طائرات وأسلحة أخرى من التى فى حوزة قوات جنوب أفريقيا

٢ - استعانت إسرائيل بطيارين من أوربا وأمريكا وجنوب أفريقيا وبعضهم من ذوى الجنسية المزدوجة » .

٣ - استعانت إسرائيل أيضاً بمتطوعين من الخارج من رجال المدرعات ، كما أنها استعانت بخبراء أمريكيين للعمل على الأجهزة الحديثة التى وصلت مع الجسرين الجوى والبحرى .

٤ – أطلقت أمريكا قمرين صناعيين من طراز (بيج بيرد Big Bird) فى مدار حول الأرض لالتقاط صور الحرب الدائرة بما فيها صور القوات العربية وأوضاعها . وقد قامت أمريكا بتمرير هذه الصور إلى إسرائيل لتستفيد منها (وقد نشرت هذه الحقيقة مجلة « تايم » الأمريكية فى عددها الصادر فى ١٩٧٣/١٠/٢٩) .

٥ – بعد وصول الدعم الأمريكى ، وبالإصرار الأمريكى الإسرائيلى على القيام بأى عمل يخفف من وقع الهزيمة على إسرائيل ، ويكون بمثابة ورقة ، مهما كانت قيمتها – لتلعب بها إسرائيل على مائدة الحل السلمى – لم تكتف أمريكا بتجسس أقمارها الصناعية وإنما دفعت طائرتى تجسس من طراز (اس – آر – ١٧) لتقوما باختراق المجال الجوى لمصر وسوريا (علناً) ولتقدم بعد ذلك إلى إسرائيل صوراً إضافية عن وضع القوات المصرية شرق وغرب القناة – ومن المعروف أن القوات الإسرائيلية استغلت هذه الصور التى حددت لها منطقة الفاصل بين الجيشين المصريين الثانى والثالث ، وكذلك الوضع العسكرى على الضفة الغربية للقناة .

٦ – منذ البداية المبكرة لاندلاع نار القتال استنفرت الولايات المتحدة قطعاً من أسطولها السادس العاملة فى البحر الأبيض . وأمرت سفناً حربية وغواصات تابعة للأسطول السابع العاملة فى المحيط الهندى بالتحرك فوراً للمرابطة فى بحر العرب .

ويكفى جداً الأثر النفسى لهذا التحرك البحرى بالنسبة للقوات الإسرائيلية التى تشعر أن الولايات المتحدة على استعداد لمؤازرتها ولو بشكل مباشر .

٧ – حتى بعد كل هذا الدعم لإنقاذ إسرائيل ، وبعد نجاحها المحدود فى الوصول إلى منطقة ضيقة غرب القناة . ثم حينما استغلت قرار وقف إطلاق النار فى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، ووسعت هذه المنطقة . . ، وحين قررت مصر تصفية هذه الثغرة تحركت أمريكا بأسرع ما يمكن ، ووصل وزير الخارجية هنرى كيسنجر إلى مصر وقال للرئيس السادات « إن أمريكا لن تسمح بتصفية القوات الإسرائيلية فى الثغرة وإنها ستتدخل ضد القوات المصرية بشكل مباشر لو فعلت ذلك . . »

شهادات أخرى

« أيام وساعات انتظرنا هنا على فترات متقطعة لرؤية أضخم طائرات نقل فى العالم تهبط للمرة الأولى فى إسرائيل . جميع الشعب يقف بانفعال عظيم حول المنطقة التى تهبط بها الطائرات . . إنهم يقفون على الأسطح وعلى الأشجار والكل منفعل جداً . .

إن طائرة (ت . اى . والاس . س .) عبارة عن برج شالوم طائر وهى أكبر من طائرة (الجامبو) مرتين ، ولها ذيل بارتفاع ٣٥ متراً ، ولها ٢٤ أو ٢٨ عجلة .

وتستطيع أن تحمل ٨٠٠ جندى أو ١٢٠ طناً [والتوتر والشوق لهذا الجمل الطائر عظيمان جداً . . والجميع هنا متوترون وينتظرون قدوم كل طائر بفارغ الصبر] ! !

(توقيع)
المراسل الحربى الإسرائيلى
شلومو أهرنون

. . . .

« إن طائرات النقل الأمريكية قامت بخمس وسبعين رحلة إلى إسرائيل، كما تم حتى الآن وصول ٢٠ طائرة فانتوم و ٢٠٠ دبابة . كما أن السفن الإسرائيلية تأتى من ميناء نورفلوك فى فرجينيا محملة بطائرات سكاى هوك .

إن رئيس الدولة ، ورئيسة الحكومة ، والسفير الأمريكى فى إسرائيل قد قاموا فى أوقات مختلفة بزيارة لمطار عسكرى فى مكان ما من البلاد لمشاهدة عملية تفريغ الطائرات الأمريكية العملاقة التى أحضرت شحنات الأسلحة إلى إسرائيل . . » .

« إذاعة إسرائيل العبرية »
١٢ / ١٠ / ١٩٧٣

. . . .

خسائر إسرائيل

- في الأسلحة والمعدات
- القتلى والجرحى
- الأسرى .

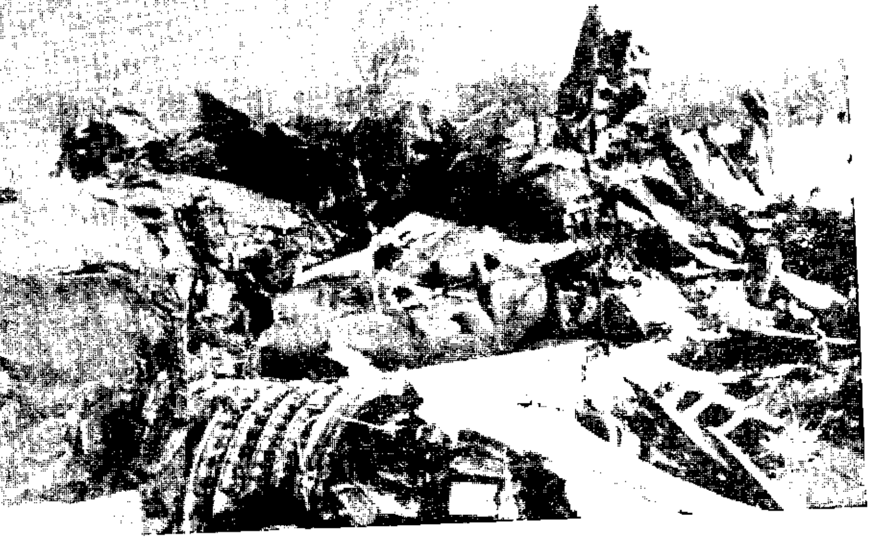

أرض المعارك تشهد بخسائر إسرائيل الفادحة .

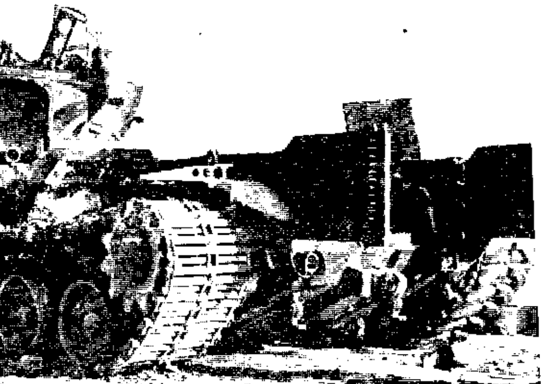

اختلفت التقديرات التى حاولت تحديد حجم ما خسرته إسرائيل فى الأفراد والمعدات والأسلحة (إذ أنه من البديهى أن الخسائر الأضخم والأعمق لا يمكن تحديد حجمها أو إخضاعها للأرقام الحسابية . وأعنى بذلك الخسائر النفسية والاجتماعية والسياسية) . ولكن بقدر ما اختلفت تقديرات الخسائر المادية التى تكبدتها إسرائيل ، بقدر ما اتفق الرأى على أن هذه الخسائر تفوق احتمال دولة كإسرائيل ، فهى بالتناسب تزيد على خسائر أمريكا فى فيتنام .

ونحن سنعتمد فى تحديد هذه الخسائر على مصدر غير محايد . مصدر منحاز لإسرائيل نفسها ، وبالتالى فإننا نستطيع أن نعتبر الأرقام والإحصائيات التالية قابلة للزيادة دون أن تكون قابلة أبداً للنقصان . فمصدرنا أمريكى ، بالتحديد هو الجنرال دانييل جراهام رئيس مخابرات وزارة الدفاع الأمريكية حتى وقت قريب ، وقد قدم تقريراً عن حرب أكتوبر إلى مجلس الأمن القومى الذى يرأسه هنرى كيسنجر وكان مع هذا التقرير ملحق سرى يمثل حصيلة دراسات قام بها أكثر من مائة ضابط أمريكى من الرتب الكبيرة ، بالاضافة إلى عشرات الخبراء والعلماء ، وثلاثة عقول إلكترونية تعتبر فى حد ذاتها أخطر أسرار الترسانة العسكرية الأمريكية .

وقد أنشئت هذه اللجنة العسكرية السرية منذ يوم ٧ أكتوبر ١٩٧٣ بقرار من مجلس الأمن القومى الذى يرأسه هنرى كيسنجر .

تقول الدراسة الأمريكية السرية :

١ - لم يكن أمامها إلا ٢٤ ساعة :

على الرغم من رفض المصـــادر العسكرية الإسرائيلية إعطاء اللجنة أرقاماً محددة تحديداً دقيقاً عن خسائر إسرائيل فى الرجال والسلاح ، وتقديم هذه المصادر طلبات إمدادات من الأسلحة شملت كل أنواع الأسلحة الأمريكية بما فيها الطائرات والمدرعات وكافة أنواع الذخائر وثلاث قطع بحرية ، فإن اللجنة قد ثبت لها أن القوات الإسرائيلية لم يكن أمامها إلا (٢٤ ساعة) ينتهى بعدها كل مخزونها من الذخائر الخاصة بالطائرات

والمدرعات والمدفعية وبطاريات الدفاع الجوى المجهزة بصواريخ هوك – وذلك يوم ١٤ أكتوبر . .

٢ – خسائر إسرائيل بالأرقام

(ا) **سلاح الطيران** : خسر فى الأسبوع الأول من حرب أكتوبر على الجبهتين المصرية والسورية (١٤٩) طائرة ، وفى الأسبوع الثانى من الحرب وحتى وقف إطلاق النار الأول (٦٩) طائرة ، وبين وقف إطلاق النار الأول والثانى خسر سلاح الطيران الإسرائيلى ١١ طائرة .

ويكون مجموع الطائرات التى أسقطت هو **٢٢٩** طائرة ، **وقد فقدت إسرائيل ٣٠٢** طياراً ما بين قتيل ومفقود وأسير ! !

(ب) **خسائر المدرعات** : فقدت إسرائيل ثلث قواتها المدرعة من دبابات وعربات نصف مجنزرة ، ومدفعية محمولة وذلك فى الأسبوع الأول فقط . . . ومجموع خسارة إسرائيل فى المدرعات طوال الحرب وحتى وقف إطلاق النار الأول « يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ **يزيد على ١٢٥٠ مدرعة** .

وبين وقف إطلاق النار « الأول ، والثانى » فقدت إسرائيل ٨٨ مدرعة فى جبهة السويس وسيناء .

وبين وقف إطلاق النار « الثانى » وتوقيع اتفاقية فصل القوات بين مصر وإسرائيل فقدت إسرائيل ٤٧ مدرعة .

وبذلك يكون مجموع ما فقدته إسرائيل من مدرعاتها أكثر من (١٣٨٥) مدرعة .

ملحوظة : لم يشر التقرير إلى خسائر إسرائيل من المدرعات على الجبهة السورية بعد وقف إطلاق النار فى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ برغم استمرار الاشتباكات على هذه الجبهة لفترة طويلة .

(ج) **السلاح البحرى** : نتيجة للمعارك البحرية التى صحبت معارك حرب أكتوبر ، فقدت إسرائيل ثلث سلاحها البحرى ، ومما فقدته غواصة اختفت فى منطقة بحرية بالقرب من بورسعيد . .

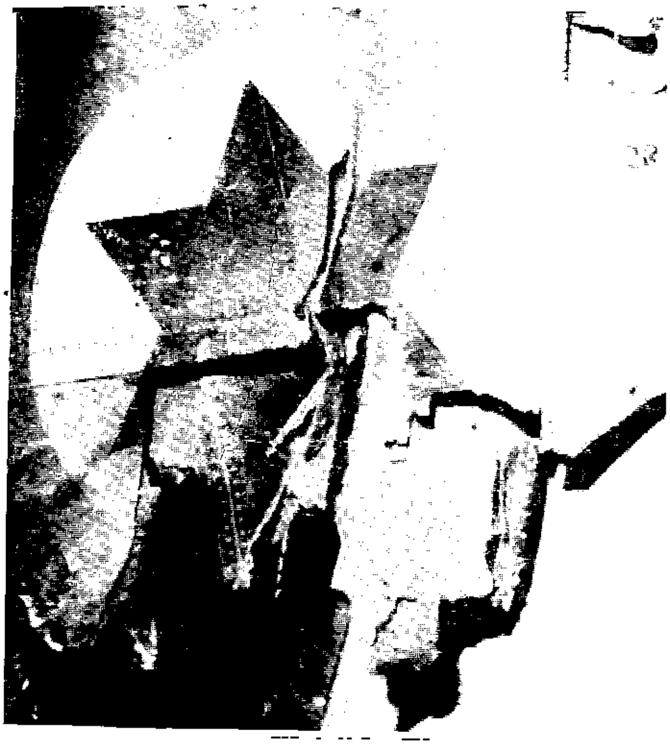

حطام الطائرات الإسرائيلية . . الذى
شاهده المراسلون الأجانب فى مختلف
مواقع جبهة القتال .

ملحوظة : أخفت إسرائيل كل شيء عن خسائر سلاحها البحرى ، محاولة أن تنسب إليه النجاح الوحيد من بين أسلحتها الأخرى التى كانت خسائرها مدوية وواضحة .

(د) **الخسائر البشرية** : يقول تقرير اللجنة الأمريكية ، إن الأرقام الدولية التى أذاعتها إسرائيل عن خسائرها فى الأرواح ، لا تعبر عن الحقيقة التى تحاول السلطات الإسرائيلية إخفاءها حتى الآن وبعد مرور أكثر من عامين على حرب .

بل إن التناقض الغريب يظهر فى الكتيب الخاص بقتلى هذه الحرب الذى ذكرت فيه إسرائيل أرقاماً عن قتلاها أقل من الأرقام التى أعلنتها هى نفسها أثناء الحرب عن خسائرها فى الأسبوع الأول فقط .

ومما يؤكد ضخامة هذه الأرقام واستماتة القيادة الإسرائيلية فى إخفائها أنها مازالت تسعى فى سرية بالغة لدى وزارة الخارجية الأمريكية لكى تطلب إلى مصر الموافقة على البحث عن مئات الجثث الإسرائيلية فى ضفتى القناة (وهذه الاتصالات ظلت دائرة حتى آخر مايو ١٩٧٦ ! !) .

هذا وقد تبين للجنة الأمريكية بعد أبحاث استمرت طوال ثمانية عشر شهراً أن إسرائيل قد خسرت ١٢ ألف قتيل وجريح فى حرب أكتوبر .

ملحوظة : ترى مصادر أخرى – غير أمريكية – أن خسائر إسرائيل البشرية تصل إلى ١٨ ألف قتيل وجريح .

ضابط إسرائيلى جريح . تقول نظرت
زوجته جالسه خلفه كل شيء !

جثة طيار إسرائيلى يبدو أنه كان مقيداً داخل طائرته حتى لا يتركها ويهبط بالمظلة قبل دخوله فى مجال الصواريخ المصرية مثلما فعل كثير من زملائه

جنود إسرائيليون يحملون جثة [illegible] زملائهم

وظهرت جثث إسرائيلية جديدة بعد أن أعلن قادتها أنهم سلموا كل الجثث لأصحابها ولم يعد هناك جندى واحد مفقود ! !

الأسرى الإسرائيليون

« أكاد أتصور كل شيء يمكن أن يحدث . . ! !

أكاد أتصور أنك تستطيع أن تضع نهر الأردن أو حتى نهر المسيسبي فى آنية زهور .

أكاد أتصور أن تمد يدك إلى أعلى وتقطف من السماء نجمة .

أتصور أنك تستطيع أن تشترى قبر شيكسبير بمليون برميل من النفط . . . ولكننى لا يمكن أن أتصور أبداً أن جندياً إسرائيلياً يمكن أن يقع فى الأسر . . . أبداً لا أتصور أن جندياً إسرائيلياً يمكن أن يرفع يديه إلى أعلى مستسلماً ! ! » .

(توقيع)
الكاتبة الإسرائيلية يائيل موشيه ديان
فى كتابها مذكرات جندى الذى ألفته بعد حرب ١٩٦٧

« إننى أتصور أنه لم يعد يوجد فى العالم إنسان شجاع إلا الجندى اليهودى » ! !

من رواية نجمة فى الريح
للكاتب الصهيونى روبرت ناتان

« وعندما دخل العربى عيادة إجراء التلقيح ، لم تمر لحظات بعد دخوله غرفة العمليات حتى سمع الحاضرون أصواتاً غاضبة ، وصرخة تكاد تكون غير بشرية ، وكانت صرخة العربى الذى لم يتحمل العلاج ، وبعده مباشرة دخل طفل يهودى عمره سبع سنوات ، ولم تصدر عنه صرخة واحدة . وقال له الطبيب بصوت مسموع للجميع « إنك أشجع بكثير من العربى الذى كان هنا ! ! » .

من رواية « الإغراء العظيم »
للكاتب الصهيونى جوريف فرليل

ضباط وجنود إسرائيل . . يرفعون
أيديهم إلى أعلى أثناء الاستسلام ،
وتنطق ملامحهم بالانهيار والذعر
الكاملين .

« إنه لم يحارب شعب فى أى مكان مثلما حارب الشعب اليهودى . . إننى أحب الجنود اليهود . . فالمحارب اليهودى هو الأفضل . . إذا خرج عربى من قهوته وأطلق طلقة طائشة على كيبوتس على بعد آلاف الياردات فإنه يعتقد على الفور بأنه رجل شجاع . (لقد آن الأوان لنختبر أولئك الجبناء الجهلة » .)

من رواية الخروج » للمؤلف الصهيونى
« ليون أوريبس »

. . . .

. . . .

قد يبدو أن تخصيص باب أو عدة صفحات للحديث عن الأسرى من قوات جيش الدفاع الإسرائيلى نوع من الإغراق فى التفاصيل أو تضخيم جزئيات صغيرة لا تستحق أكثر من إشارة سريعة . فلكل حرب أسراها ولولا أن « الأسر » جزء لا يتجزأ من الحروب كالموت والإصابة لما اهتم المجتمع الدولى بتنظيم قانون لحماية الأسرى .

إذن . . لماذا هذا الباب أو هذه الصفحات ! ؟

إن هناك عدة أسباب ومبررات . . . أستطيع أن أجملها فى النقاط التالية :

١ – تساءل الكثيرون عن العدد الحقيقى للأسرى الإسرائيليين حيث أن بيانات وتصريحات الناطق العسكرى المصرى تحدثت عن أعداد كبيرة من الأسرى بينما كان العدد الرسمى والذى تم إخطار الصليب الأحمر به ثم أعيد إلى إسرائيل أقل بشكل ملحوظ من تلك الأرقام .

٢ – لقد أحيط الجندى الإسرائيلى بهالة ضخمة وأصبح مألوفاً أن يوصف بأنه (سوبرمان) . . فوق مستوى البشر . . وأنه يبز « جيمس بوند » الذى استهوت مغامراته المثيرة هواة مشاهدة الأفلام السينمائية . .

ومن ثم فإن مثل هذا الجندى (الخارق للعادة ! !) لابد أن ينتصر على طول الخط . . وبغض النظر عن النتيجة النهائية التى قد تكون مفاجئة كما حدث فى أكتوبر فإنه إما أن يهزم عدوه . أو يحرمه من ذلك – إصابة أو مقتل . . لكن الاستسلام . . ورفع الأيدى إلى أعلى . . هو ما لا يصدقه عقل . . (فأنت تستطيع أن تضع نهر الأردن أو نهر المسيسبى فى آنية زهور . . لكنك لا تستطيع أن تتصور جندياً إسرائيلياً يرفع

يديه إلى أعلى مستسلماً للأسر ! !).

٣ – فى الجانب المقابل رسخت الدعاية الصهيونية الصورة التى تقول إن الجنود العرب فقط هم الذين يستسلمون للأسر على أيدى الإسرائيليين . . وإن الأحذية الملقاة فى صحراء سيناء . . . تعنى أن أصحابها من الجنود المصريين قد ساروا فى طوابير الأسر الإسرائيلى حفاة منهكين خائفين .

٤ – تأسيساً على السببين الأول والثانى . . . تستطيع أن تقول إنه إذا كانت حرب أكتوبر قد حققت ضمن ما حققت انهيار أسطورة الجندى الإسرائيلى بهزيمته فى معظم المعارك التى دارت فى جبهات القتال مما جعل قادته السياسيين والعسكريين يصرخون طالبين النجدة من أمريكا . فإن مشاهد الأسر التى تكررت تعتبر بالتالى ذروة هذا الانهيار لتلك الأسطورة . خاصة وأن استسلام الجنود فى معارك يائسة قد يكون أمراً مقبولاً ومرتبطاً بمحاولة الحفاظ على الحياة . . ولكن أن يحدث الاستسلام فى معارك متكافئة . . . بل وأحياناً بمجرد ظهور الجندى المصرى . . فهنا يتجسد تماماً انهيار الأسطورة . . أو سقوط الهالة الدعائية وتكشف حقيقته .

. . . .

أولا . . لماذا تناقص عدد الأسرى الإسرائيليين ؟

أجمع المراسلون الحربيون الأجانب على صدق البيانات العسكرية المصرية العربية . . وبالتالى يبرز التساؤل حول العدد الحقيقى للأسرى « حيث أن ما تم تسليمهم كانوا أقل بكثير من العدد الذى أعلن عنه فى البيانات المتتالية » .

تقول رواية موثوق بها : مع بدء القتال ، توالت بلاغات الوحدات الصغرى من القوات المصرية عن سقوط أعداد كبيرة من الأسرى فى قبضتها . ورأت القيادة أن الحكمة تستوجب تجميع هؤلاء الأسرى فى الجانب الشرقى من القناة ، بدلاً من السماح لكل وحدة بإعادة أسراها إلى النقطة المواجهة لها على الضفة الغربية ، إذ أن هؤلاء الأسرى سيعودون حتماً – وطبقاً لتقاليد الجيوش وقرارات المجتمع الدولى – إلى إسرائيل كما أن تناثرهم على الضفة الغربية يتعارض مع أمن التحركات العسكرية وأيضاً يفرض عبئاً مضاعفاً فى حراستهم .

وفى صباح ثانى أيام القتال ، تم تجميع الأسرى بأعدادهم الكبيرة فى نقطة سهلية أمام المحور الأوسط ، وأمر الجنود بالوقوف على هيئة طابور ، بينما أمر الضباط بالوقوف بعيداً دون أن تقيد أيديهم ، وصدرت الأوامر بحلاقة شعر بعض الجنود الذين كانت رؤوسهم متسخة ومشعثة وذلك خوفاً من انتشار الأوبئة .

وفى الساعة السابعة والنصف وصل إلى المكان مصورو الجيش لالتقاط بعض الصور لهم ، بينما انهمك الكتبة العسكريون فى تسجيل البيانات بحماس وفى نفس الوقت وصلت إلى المنطقة قافلة مكونة من سبع وعشرين عربة نقل انتظرت إلى جوار بعضها خلف تبة رملية .

وبينما كان أحد جنود الشرطة العسكرية يتحقق من شخصية ضابط إسرائيلى أسير اندس بين الجنود ليخفى رتبته الحقيقية ، ظهرت الطائرات الإسرائيلية فى السماء . . وبسرعة خاطفة – لعلها كانت نتيجة الخوف من ظهور الصواريخ المصرية المضادة – ألقت هذه الطائرات بقنابلها المختلفة بهدف ضرب وتدمير طابور العربات . . لكنها لسوء حظ الأسرى وقعت فوقهم فسقط المئات قتلى خاصة وأن أغلبهم كانت أيديهم مقيدة خلف ظهورهم مما عوق حركتهم . . .ولم يتمكن من النجاة سوى من كانوا بالقرب من العربات المصرية .

وقد تجلت سخرية القدر هنا مرتين . . أولاهما أن يموت معظم الأسرى بقنابل طائراتهم . . وثانيهما أن ينجو أولئك الذين كانوا بالقرب من العربات العسكرية المصرية التى كانت الهدف الأساسى للطائرات الإسرائيلية .

نماذج من الأسرى الإسرائيليين . . وأقوالهم :

١ – رفعوا أيديهم إلى أعلى وفيها خرائط الحرب :

فى هجوم مضاد قام به اللواء الإسرائيلى المدرع (٦٠٠) وكتيبة دبابات اللواء ٤٦٠ ضد الفرقة (١٦) المشاة . . دمرت كتيبة المقاتل طنطاوى أربع دبابات وارتدت السريتان اللتان تصدى لهما بكتيبته ، وقد شاهد طنطاوى ثلاثة جرحى إسرائيليين يشيرون إلى دبابة لهما منسحبة حتى تحملهم ، لكنها لم تتوقف وتركتهم وهربت فى اتجاه الشرق ، وبالتالى وقع الجنود الثلاثة فى الأسر وكانت حالتهم خطيرة .

وفى الساعة الواحدة ظهراً من نفس اليوم (١٩٧٣/١٠/٨) قام الإسرائيليون

• الجنود الإسرائيليون . . رفعوا أيديهم وخفضوا رءوسهم . . مستسلمين فى إنهيار كامل .
• وانتهت أسطورة الجندى السوبرمان !

بهجوم مضاد على كتيبة المقاتل (علم) ثلاث مرات ، ونجحوا فى اختراق القطاع لكن الكتيبة المصرية حاصرت الدبابات المتقدمة ودمرتها بالأسلحة القصيرة والقنابل اليدوية المضادة للدروع ، وقد أسرت فى هذه المعركة دبابتين رفع جنودها الإسرائيليون أيديهم إلى أعلى وفيها أعلام بيضاء للاستسلام وعندما تم أسرهم اتضح أنهم لم يكونوا يرفعون أعلاماً ولكنها خرائطهم الحربية التى جعلوا منها أعلاماً للاستسلام وقد كانت هذه الخرائط غنيمة رائعة حيث كشفت جزءاً من خطط العدو . أما الجنود فقد تم نقلهم على الفور إلى مركز تجميع الأسرى فى الخلف بالقرب من الضفة الشرقية للقناة .

٢ – جمعونا كالثمار المعطوبة :

الملازم الإسرائيلى مفتال كان واحداً من الأسرى الذين وقعوا فى أيدى القوات المصرية وقد حكى قصة سريته لقائد كتيبة مصرى سجل بنفسه ما قاله الملازم الإسرائيلى . . وأنقل الآن عن شريط التسجيل ما قاله (مفتـال) حرفيًّا . « كنا نتقدم بدباباتنا متجهين بسرعة نحو الفردان وفجأة وقبل أن نصل بثلاثة كيلومترات . . رأيت بقعاً تقفز من الحفر ومن وراء التلال . كانوا رجالاً يتحركون وبعضهم كانوا يحملون أشياء تشبه الصناديق السوداء . . ولم أعرف فى البداية ماذا يعنى هذا ! !

وأمرت بتوجيه الرشاش ضدهم . . برغم علمى بأن ذلك ليس أمراً واقعيًّا فقد كانوا يتواثبون فى خفة القطط ويرتمون على الرمال ويختفون خلف تلة أو تبة .

ولكننا فعلنا ذلك . . وأطلقنا رشاشاتنا . . .

يا إلهى . . إن أحداً لم يقل لنا بأننا سنحارب جنود مشاة ، لأننى أدركت بعد ذلك ماذا يحمل هؤلاء الرجال معهم . . لقد شاهدت صاروخ (ساجر) ينطلق من ناحيتهم فى اتجاه دبابة على يسارى .

وعندما صرخت يبدو أن أحداً لم يسمعنى لأن صوتى كان مبحوحا . . كنت أصرخ قائلاً « نار» « نار» ، ورأيت حديد الدبابة ينصهر ، وتنفجر من داخلها بفعل الذخيرة الموجودة فيها .

وجهت مدفع دبابتى إلى الرجال الذين مازالوا يطلقون علينا صواريخهم ، إنفجرت القذيفة . . اختفوا عن أعيننا فترة . . لكن مرة أخرى رأيت صاروخاً جديداً فى اتجاهى . وشعرت بخبطة عنيفة . . لقد أصاب الصاروخ برج الدبابة . أصيب حامل

اللاسلكى ، واستطعت أن أصدر تعليمات ، بالصراخ المبحوح وبالرفس فى جنودى . . . ثم رأيت الدماء تسيل من ذراعى . . وبعد لحظات كنا جميعاً خارج الدبابة وجرينا فى اتجاه دبابة أخرى من دباباتنا لتحملنا لكنها لم تتوقف ، ولاحقتنا طلقات رصاص من أسلحة خفيفة .

التفت خلفى والدماء تنزف منى . وجدت قائد السرية يزحف على ركبتيه والدماء تنزف من كتفه هو الآخر . لقد انفجرت دبابته أيضاً . وعندما اقتربت منه قال لى : « أعط هذه الدبلة لزوجتى » وخلعها من معصمه . وبكيت من الحزن والقهر . .

ثم فوجئنا بالمصريين بيننا يجمعوننا من الأرض (جرحى وأصحاء) كما لو كانوا يجمعون ثماراً معطوبة سقطت من الأشجار .

ووضعونا فى منخفض بين تلين بينما انحنى أحدهم يضمد جراحى أنا وقائد السرية ، وقيدوا غير المصابين من أيديهم ، فقد كانوا مضطرين لتركنا لمواجهة أية دبابات جديدة من دباباتنا تظهر فى القطاع ، واكتفوا من حين لآخر بواحد من جنودهم يأتى ليلقى نظرة عابرة علينا من قرب .

ولم تكن هناك وسيلة لتقلنا إلى حافة القناة . . فلم تكن هناك مركبة مصرية واحدة قد عبرت حتى تلك الساعة ! !

٣ – الطيار الذى مات بعد دقيقة من أسره :

لم أصدق حكاية هذا الطيار إلا عندما رواها لى ضابط المشاة المصرى الذى كان طرفاً ثالثاً فيها . . وقد بدأت (الحكاية) عندما انطلق هذا الطيار ضمن سرب من طائرات الفانتوم لمحاولة الإغارة على أحد الجسور المصرية وكانت شبكة الصواريخ قد أحدثت خسائر كبيرة فى الطيران الإسرائيلى فى اليومين السابقين وبمجرد دخول التشكيل المغير فى مدى هذه الصواريخ انطلقت نحوه فسقطت طائرتان وفرت بقية الطائرات مذعورة . وكان هذا الطيار الوحيد الذى استطاع الهبوط بمظلته . وعندما اقترب منه الضابط المصرى ليسأله عن اسمه ورتبته والطائرة التى كان يقودها . . نظر الطيار الإسرائيلى حوله فى رعب بالغ . . . .

وقال له « أنا شفت صاروخ . . أنا « مت » . .

والمثير أنه سكت بعد ذلك فجأة ، فانحنى عليه الضابط المصرى ليقوده أمامه إلى مركز تجميع الأسرى . . . ولكنه اكتشف أنه مات بالفعل .

٤ – كنت أسعد حظاً عندما أسرني المصريون !

. . . فى حديث مسجل . . يقول الأسير الإسرائيلى الجاويش زيفى . (وكان واحداً من طاقم إحدى الدبابات التى وقعت فى كمين مجموعة من رجال الصاعقة المصريين).

« لقد أذهلني – وأنا الذى اشتركت فى حرب ١٩٦٧ – أن أرى الدبابات الإسرائيلية تتراجع إلى الوراء . . . كانت هذه هى الحرب الأولى التى يحدث فيها شيء كهذا . . بل لقد بقيت بعض دباباتنا فى أرض العدو (يقصد الأرض التى استعادتها القوات المصرية) بقيت مدمرة ومصابة وفى داخلها قتلى وجرحى دون أن يكون بالإمكان إنقاذهم . . والذين قفزوا من داخل دباباتهم إما أدركهم رصاص المصريين أو كانوا أسعد حظاً مثلى فتم أسرهم » .

٥ – من مذكرات عساف ياجورى « أشهر أسير إسرائيلى »

الأحد ٧ أكتوبر ١٩٧٣

منذ وصول الجنرال آدن فى الساعة ٨٠٠ صباح اليوم واستلامه قيادة النطاق الشمالى من جبهة قناة السويس – وأنا أخوض مع قواتى معارك متصلة فى محاولات مستمرة لإيقاف تقدم المصريين وضرب قواتهم التى عبرت القناة وطوقت بعضها حصون خط بارليف .

لم تهدأ هذه المعارك لحظة واحدة . . وقد تركت بصماتها على قواتى وقد فقدت خلالها الكثيرين من زملائى . . . وبسبب عنف هذه المعارك لم نجد وقتاً للحزن على هؤلاء الزملاء الذين سقطوا قتلى .

الا ثنين ٨ أكتوبر ١٩٧٣

الاثنين الأسود (يوم الدم . . وخيبة الأمل . . والألم العظيم)

– الساعة ١٤٠٠ (الثانية ظهراً)

– أرابط مع قواتى داخل المنطقة التى حددها لى الجنرال آدن شرق الفردان

– وصلت إلينا الآن أوامر الجنرال (آدن) بالهجوم فى اتجاه الفردان تنفيذاً

لأوامر الجنرال جونين بشن الهجوم المضاد العام على جبهة سيناء . كلفت الألوية المدرعة الثلاثة التابعة للجنرال آدن بمهمة تطهير النطاق الواقع بين طريق حيتام العرضى (وهو الطريق العرضى رقم ٢ الموازى للقناة والذى يبعد عنها بحوالى ٣٠ كيلو متراً) وضفة القناة وذلك فى حركة مروحية من الشمال الشرقى فى اتجاه الجنوب الغربى – وتحدد لنا أيضاً – ضمن مهمتنا – محاولة إنقاذ من بقى حياً فى حصون بارليف التى انهارت تحت وطأة الهجوم المصرى .

– انتشرت الألوية الثلاثة على الطريق العرضى بين بالوظة شمالاً ، والطاسة على الطريق الأوسط جنوباً لتنفيذ مهمة الهجوم والوصـــول إلى القناه فيما بين القنطرة والفردان ، ثم احتلال المعابر الثلاثة التى أقامها المصريون فى شمال البلاح والفردان وجنوب الإسماعيلية ، وكان نصيب لوائى هو قطاع الفردان حيث تحددت مهمتى بالوصول إلى كوبرى الفردان والاستيلاء عليه (وقد كنا نسميه « حزايون » إحياء لاسم الحصن المجاور له والذى فقدناه فى أول أيام الحرب) .

– الدنيا تنقلب رأساً على عقب :

فى الساعة ١٤٣٠ بدأت ألويتنا الثلاثة فى التقدم . أعطيت أوامرى بأن تنطلق دبابات ومصفحات لوائى بأقصى سرعة لإثارة سحب من الغبار تحجب عن العدو حجم قواتى ، ولإحداث الارتباك فى صفوفهم – فأنا أعلم جيداً طبيعة هؤلاء المصريين وضعف تماسكهم وانهيارهم السريع .

– ظل تقدم اللواء على مساحة عرضها ثلاثة كيلو مترات . وبنفس السرعة العالية وفقاً لتقارير عناصر الاستطلاع . . ستكون الفرقة المصرية المواجهة لى والمكونة من المشاة صيداً سهلاً لدباباتى . . المنطلقة بعنف . . والتى توجه الآن كميات هائلة من النيران تغطى بها المنطقة كلها .

– اخترقنا النطاق المحدد . . ولا توجد مقاومة تذكر للعدو . .

– فتحت الاتصال اللاسلكى بالجنرال آدن . بادرنى بالسؤال – فى قلق – عن موقف لوائى . قلت له ضاحكاً . إن كل شيء على ما يرام ودباباتى تدوس الجنود المصريين الذين أربكهم الهجوم ولم تظهر حتى الآن محاولة لصدنا .

– لم أكد أنتهى من اتصالى بآدن . . حتى أبلغتنى الدبابات الثلاث الأولى بوصولها

إلى مقربة من ضفة القناة .

– فى نفس هذه اللحظة . . حدث ما لم يكن فى الحسبان إطلاقاً . لقد انقلبت الدنيا رأساً على عقب . إن المصريين قد أوقعونا فى كمين محكم . . كيف ضبطوا أعصابهم ونيرانهم طوال هذا الوقت ؟

لا أدرى ! ! لقد انصبت مدافعهم علينا بنيران مذهلة الكثافة والدقة فى التحكيم كما لو كان ضابط مدفعية مصرى يقف فوق دبابتى لضبط وتوجيه نيران مدافعهم . وقفز الجنود المشاة من حفرهم التى اختبأوا فيها واندفعوا نحو دباباتنا بصواريخهم القاتلة .

الدبابات تنفجر . . والجنود والضباط يقفزون منها . . . يصرخون . . . . . ويبحثون عن مكان يهربون فيه . . . رشاشات المصريين تسكت هذه الصرخات

اكتملت حلقة الكمين باشتباك عدد من دباباتهم فى ضرب إحدى كتائب اللواء التى لم تكن قد تعرضت لمثل الضرب العنيف الذى تعرضت له الكتيبتان الأخريان وكانت الدبابات المصرية تحارب بكفاءة عالية وكان قتالها متفوقاً وباسلاً

– أعصابى خانتنى تماماً .

– لم يف الجنرال آدن بوعده لى بأن يرسل لنا طائرات سلاحنا الجوى حتى المدفعية الثقيلة التى كلفت بمعاونتنا لا صوت لها ! !

هل وصل إليها المصريون هى الأخرى ؟ ! لا أدرى شيئاً وقد فقدت الاتصال ببقية وحداتى المدرعة

– معظم دباباتنا تنفجر أمامى .

– حاولت الارتداد إلى الخلف بأقصى سرعة . .

– سقطت دبابتى والثلاث دبابات الأخرى فى كمين آخر وجه قذائفه لتخترق دباباتنا الأربع .

– قفزت من الدبابة . . وأسرعت إلى الاختفاء خلف تل صغير من الرمال ومعى أربعة جنود . .

– فوجئنا بعربتين مصفحتين مصريتين . . تمشطان المنطقة بحثاً عنا . .

– حاول بعض جنودى الذين أختفوا خلف مرتفع آخر . . الفرار . . وأطلقوا نيرانهم على الجنود المصريين الذين كانوا يقفون مكشوفين فوق العربتين . . وأعتقد أن أحدهم أصيب . . ولعله قتل . .

– اندفع الجنود المصريون خارج المصفحتين . وأنطلقوا نحو هذه المجموعة – من جنودى – وهجموا عليهم فى شراسة بالغة . . . وسكتت بعد دقائق مقاومتهم تماماً . ماتوا بالطبع . . .

– اتجه المصريون بعد ذلك ناحيتنا – « لا مفر من الاستسلام . »

– رفعت يدى إلى أعلى وأخذت أصيح فى وجوههم وأنا أرى الموت يتقدم نحوى « إننى جنرال . . . أنا جنرال . . لا تقتلونى . . أريد مقابلة قائدكم . »

– فوجئت بهم بتوقفون عن الضرب . . جندى واحد فقط اضطر قائده إلى أن يأمره بصوت حاد بعدم إطلاق النار .

– سرت بينهم مقيداً .

– لا أستطيع أن أقاوم البكاء . . هذا هو أشد الأيام كآبة وأكثرها إحباطاً على الجبهة المصرية .

– نظراتهم صارمة حادة لكنهم لم يفعلوا شيئاً . . كنت أتوقع أنهم سوف يقتلوننى ومن معى . . فى أية لحظة .

– قادونى إلى مقر قيادة الفرقة التى كنت مكلفاً باختراقها . هالنى هدوء وبرود قائدها . قلت له إننى أملك فى الحياة المدنية فندقاً فى تل أبيب ، وشرحت له كيف كانت خطته محكمة وكيف أن الجنود المصريين يقفزون على دباباتنا دون أن يبالوا بأى شىء حتى لو كان الموت . تحدث هو إلىّ بصوته الهادئ أكد لى أنهم يحترمون قرارات جنيف وأننى سأعامل فى الأسر معاملة طيبة . وألمح هو إلى بعض ما جرى للمصريين فى حرب ١٩٦٧ . وقال : « مع ذلك لن نعاملكم بالمثل . . وستلقون معاملة إنسانية . . »

– قادونى بعد ذلك إلى القاهرة . . وتم استجوابى من جديد ، وكانت الأسئلة تتناول أموراً كثيرة فلم تقتصر على النواحى العسكرية وإنما أمتدت إلى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وبعض الشخصيات العامة . . أعتقد أنه كان من بين المستجوبين أستاذ علم نفس بالجامعة على الأقل .

– وفى نفس اليوم أخذونى إلى مكان يبدو أنه مبنى التليفزيون . وعندما رفعوا العصابة عن عينى ليبدأ المذيع حواره معى . . لم أستطع أن أفتحهما فى البداية لشدة أضواء الكشافات فى الاستوديو . بعد ذلك ألقيت نظرة على بعض الوجوه المحيطة بى . كانوا ينظرون إلى بفخر وحب استطلاع . وكان شاب صغير من بينهم يدخن فى عصبية

ويرمقنى بنظرات حادة ثم يتحدث إلى من معه .

– بعد انتهاء التسجيل معى للتليفزيون والتسجيل لإذاعة القاهرة الناطقة بالعبرية . . قادونى إلى مقر الأسر . وقد نظموا لى طوال فترة وجودى فيه عدة رحلات إلى الأهرام وفندق هيلتون كما التقيت ببعض اليهود الذين لازالوا يعيشون فى مصر ، وذلك بناء على طلبى .

– أثناء فترة أسرى . . . كنت أقول لنفسى ترى ماذا جرى لبقية زملائى . . ترى هل وجدوا طريقهم إلى النجاة ؟

– بعد عودتى من الأسر فوجئت – بل أذهلنى – حجم الخسائر التى وقعت فى صفوفنا . مع ذلك لم تعلن حتى الآن الأرقام الحقيقية لخسائرنا .

– حائر أنا . . حيرتى بالغة . . كيف حدث ذلك لجيشنا الذى لا يقهر وصاحب اليد الطولى والتجربة العريضة ؟ كيف وجدنا أنفسنا فى هذا الموقف المخجل ؟ أين ضاعت سرعة حركة جيشنا وتأهبه الدائم ؟

– استدعيت لأدلى بأقوالى أمام لجنة أجرانات .

– علمت أن اللواءين الآخرين من فرقة آدن . . ظل أحدهما مقيداً بنيران المدفعية المصرية حتى أن قائده ادعى لتبرير ذلك بأنه لم يتلق أمراً ببدء الهجوم . فى حين شغل اللواء الثانى نفسه بأعمال ثانوية فى نفس المكان الذى كان يتمركز فيه مؤثراً هو الآخر عدم مواجهة المصريين .

– منذ عودتى إلى تل أبيب وأنا أشعر أنهم يهددوننى . لقد حدث شيء لم يسبق له مثيل . انكشفت ثغرات واسعة فى قاعدة حياتنا والمصيبة أن المسئولين يبذلون أقصى جهودهم لإخفاء هذه الثغرات بدلاً من الاهتمام بعلاج أسبابها .

– لقد كان هناك من يشعر بالأمل فى وقت من الأوقات . . على أساس أنه سوف تظهر الحقائق وتعالج الأخطاء . . وقد كنت واحداً من هؤلاء حتى وقت قريب .

– ولكننى اليوم أنتمى إلى من خابت آمالهم ! !

(توقيع)
عساف ياجورى

« أيها الناس . إننى أتكلم إليكم جميعاً ، وأجعلكم تعرفون الإنعامات التى نلتها وكيف أنى قد كوفئت بالذهب سبع مرات أمام الأرض قاطبة وكيف أن اسم الرجل الشجاع يمكث فى الشيء الذى فعله ، وأن اسمى لن يغمر فى هذه الأرض أبداً .

فعندما بدأت الحرب على الماء فى القناة « يزدكوأواريس » أسرت من الأعداء أسيراً وأحضرت يداً ، وقد أعلن ذلك لحاجب الفرعون ومن أجل هذا أعطيت « ذهب الشجاعة » .

وقد عاد القتال فى هذا المكان ، وقمت بأسر آخر ، وأحضرت يداً ، فأعطيت –ذهب الشجاعة ثانية ، وعندما حاربوا فى مصر فى الجزء الجنوبى من هذا البلد – (أواريس) – أحضرت أسيراً حيًّا وقد ذهبت به إلى الماء لأنه كان قد أسر فى الجبهة التى فيها المدينة ، وحملته معى بعد أن أسرته وعبرت الماء إلى الجهة الاخرى وقد أعلن حاجب الملك بذلك ! وتأمل لقد كوفئت بذهب الشجاعة من جديد وعندما ساروا (الأعداء) بعد ذلك لنهب « أواريس » أحضرت من هناك (من بينهم) أسلاباً : رجلاً واحداً وثلاث نساء . أى مجموع أربعة رءوس ، وقد أعطانيهم جلالته عبيداً ، وفى حصارهم لبلدة (شروهن) أحضرت من هناك امرأتين ويداً . وقد أعطيت من جديد ذهب الشجاعة .

وفى (معركة) مع بدو بلاد النوبة . . أحضرت من هناك أسيرين وثلاثة أيد ، وكوفئت بالذهب من جديد .

وبعد ذلك (وفى معارك أخرى) أحضرت محاربين أسيرين من سفينة «آتا» ، ثم عندما أتى ذلك الخاسيء المسمى (تيتى عن) وقد جمع العصاة معه . (دارت معركة) وذبحه جلالته وقضى على بحارته ، وأحضرت أنا ثلاثة رؤوس . . . .)

[من وثيقة فرعونية كتبها « أحمس بن أبانا » أحد الضباط فى عهد الملك أحمس ويرجع تاريخها إلى أكثر من ١٥٠٠ عام قبل الميلاد .

ومن تحصيل الحاصل أن نقول إنها إلى جانب غيرها من وثائق التاريخ الفرعونى تدل على شجاعة وأصالة المقاتل المصرى العربى الذى استسلم له الأعداء منذ قديم الأزل] .

(٢)

من أوراق القوات المسلحة المصرية

الرجل الذى أدار الحرب

« من الأمور الجديرة بالاهتمام حقًّا ، الطريقة التى أدار بها أنور السادات الحرب على الصعيد السياسى والعسكرى ، فلقد حدد الرئيس المصرى هدفاً واضحاً ومعلناً للحرب . وهو : على المستوى الاستراتيجى تحرير العرب لأراضيهم المحتلة . وقد أكسبه هذا التحديد الواضح تأييداً دوليًّا واسع النطاق ، فلا أحد أصبح فى وسعه أن يتهم العرب بالعدوان على أرض هى أصلاً ملك لهم ، أو أن يلومهم على التحرك لتحرير أراضيهم ، من احتلال أجنبي بالوسيلة الوحيدة التى أصبحت متروكة لهم بعد أن جربوا كل الوسائل الأخرى دون جدوى .

ولم يكن تحديد الهدف هو الحسنة الوحيدة ، فلقد تصرف الرئيس السادات بإحساس عميق بالمسئولية ، ولم يتجاوز فى أية لحظة قضيته أو هدفه ، فلقد قصد بحربه أن تكون حرباً محدودة فى الأساس ، وليست حرباً شاملة لآخر رجل ، وكان يسعى من ورائها لتحقيق أقصى النتائج السياسية والاقتصادية والاستراتيجية بأقل قدر من الدماء . وهو هدف نجح فى تحقيقه بما تجاوز كل التقديرات .

وبرغم التأييد والدعم العربى الواسع الذى تلقته مصر فى الحرب فإن السادات لم يتحدث بحرف واحد عن محو إسرائيل ، ولكنه حدد هدفه فقط فى تحرير الأرض العربية ، واستعادة حقوق الشعب الفلسطيني . كما أن الأسرى الإسرائيليين عوملوا معاملة إنسانية طبقاً لاتفاقية جنيف .

وكان لذلك كله أكبر الأثر فى إضعاف مركز إسرائيل سياسيًّا وأدبيًّا . . . . إن الحرب هى ممارسة الديبلوماسية ، ولكن بوسيلة أخرى ، وقد أثبتت حرب أكتوبر ١٩٧٣ أكثر من أى حرب أخرى صحة هذه النظرية ، وقد أسفرت حكمة الرئيس السادات التى أدار بها دفة الحرب عن دخول البترول العربى كسلاح مؤثر فى المعركة ، وأضحت الوحدة العربية حقيقة ، وحصلت القضية العربية على أكبر تأييد دولى . »

(توقيع)

الخبير العسكرى الهندى . ب . نارايان

. . . .

. . . .

المشير أحمد إسماعيل علي، واللواء سعد مأمون
[قائد الجيش الثانى — فى أهم أيام الحرب —
وبعض الضباط والقادة]

اللواء أحمد بدوى الذى عين
قائداً للجيش الثالث أثناء
المعارك

اللواء فؤاد عزيز غالى ، قائد
الفرقة ١٨ مشاه ثم قائد الجيش
الثانى بعد ذلك

العقيد عادل يسرى . . أطلقوا عليه
اسم روميل المصرى

اللواء حسن أبو سعدة قائد
الفرقة الثانية مشاه
التى أثارت إعجاب الخبراء بتدمير
مدرعات عساف ياجورى وأسره فى
زمن قياسى

فى البداية :

أود أن أشير إلى أننى سألتزم الإيجاز فى سرد العمليات القتالية من جانب القوات المسلحة المصرية لأسباب ثلاثة :

١ – فى الفصل الخاص بالتخطيط والإعداد قدمت الكثير من أوراق القوات المصرية .

٢ – فى الفصل الخاص بأوراق جيش الدفاع الإسرائيلى سرد شبه تفصيلى لسير العمليات وصحيح أنه من وجهة النظر الإسرائيلية ، إلا أن التفصيل فى شرح العمليات القتالية بالكامل من جانب القوات المسلحة المصرية قد يحمل نوعاً من التكرار .

٣ – ستكون المواقف والصور التى تكمل هذا الفصل بمثابة استكمال لما قد يحتاج للتفصيل مما يتم سرده من العمليات .

. . . . . .

. . . . . .

الحرب من الجانب المصرى :

. . معارك الجو والبر والبحر . . يوماً بيوم

يوم الجمعة ٥ أكتوبر :

إذا كانت الحرب « الفعلية » قد بدأت فى ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ إلا أن التسجيل الأمين لعمليات القوات المسلحة المصرية يجب أن يبدأ من يوم الجمعة ٥ أكتوبر ١٩٧٣ . فلقد تمت بالفعل عمليات فى هذا اليوم ، وهى وإن كانت قد تمت فى صمت فلم تعلن عنها انفجارات القنابل أو دوى الرصاص ، إلا أنها كانت جزءاً لا يتجزأ من الحرب الشاملة .

ولكن ما هذه العمليات العسكرية التى قامت بها القوات المسلحة المصرية فى هذا اليوم والتى لم يتوقف أمامها الكثيرون من المؤلفين والمحللين ؟

لقد دفعت القيادة المصرية فى هذا اليوم بدوريات عديدة عبرت القناة فى هدوء تام ثم تسلقت الساتر المانع الترابى ، وتسللت بين حصون خط بارليف . . **وكانت المهام**

المكلفة بها هذه المجموعات هي :

١ – استطلاع أخير للموقف الذى كانت عليه قوات العدو ، أو هى نظرة استكشاف أخيرة على نقاط خط بارليف الحصينة والطرق المؤدية لها من الشرق ثم ما كان يجرى خلف هذا الخط وفى أعماق متفاوتة لقوات ومواقع العدو .

٢ – القيام بتعطيل المانع (النارى) المتمثل فى تلك المستودعات الضخمة بما فيها من مواد ملتهبة ، والخراطيم التى ستحمل هذه المواد ، والمواسير التى ستحملها أيضاً وتلقيها فى القناة لكى تشتعل بالنيران وتتحول إلى قطعة من جهنم تلتهم القوات المصرية بمجرد الإحساس ببدء عبورها .

. . . .

تلك كانت العمليات الصامتة التى تمت – من جانب القوات المسلحة المصرية يوم الجمعة ٥ / ١٠ / ١٩٧٣ . وقد نجحت هذه العمليات نجاحاً كاملاً .

. . . .

. . . .

. . . .

يوم السبت ٦ / ١٠ / ١٩٧٣ :

فى تمام الساعة ١٤,٠٥ (الثانية وخمس دقائق ظهراً) بدأت – القوات المصرية هجوماً مركزاً وشاملاً على طول خط المواجهة فانطلقت الطائرات المصرية القاذفة والمقاتلة فى طلعة واحدة وبعدد يزيد على ٢٢٠ طائرة إلى أعماق سيناء ، وهاجمت أهدافاً محددة ، فقامت القاذفات من طراز تى – يو – ١٦ ، وسوخوى بمهاجمة القواعد الجوية الإسرائيلية فى العريش وبير جفجافة وتمادا بينما قامت الطائرات المقاتلة الاعتراضية من طراز ميج ٢١ بتقديم الحماية الجوية للقاذفات الثقيلة ، وفى نفس الوقت اندفعت القاذفات المقاتلة من طراز سوخوى وميج ١٧ لتضرب مركز أم مرجم (وهو المركز الرئيسى للسيطرة الخاص بالقيادة الإسرائيلية) ، ثم مقر القيادة نفسه ، ومركز أم خشيب ، ومركز التشويش ، ومواقع الدفاع الجوى ، والرادارات .

. . **وقد نجحت هذه الضربة الجوية المركزة فى تحقيق التالى :**

١ – تدمير أو تعطيل الأهداف التى حددت من قبل .

٢ – إرباك القوات الإسرائيلية وشلها عن العمل والتفكير .

٣ – إنزال الخسائر فى صفوف ومعدات القوات الإسرائيلية وبالتالى التأثير على معنويات الجنود الإسرائيليين .

. . . .

وفى نفس الوقت الذى قامت فيه تلك الطائرات المصرية بغاراتها الشاملة على سيناء ، قامت عدة طائرات من طراز ميج ٢١ بعمل مظلة جوية بصفة دائمة ، تأهباً لاعتراض الطائرات الإسرائيلية بمجرد دخولها العمليات والتصدى مع الدفاع الجوى لمحاولات التسلل من طائرات العدو إلى الأعماق المصرية ، وأيضاً لتقديم الحماية والمساندة الجوية للقوات البرية المتقدمة باتجاه الشرق بالقوارب وفوق الجسور التى جرت إقامتها على القناة .

. . . .

. . . .

وكذلك – وفى الوقت ذاته – انطلقت إلى أعماق سيناء طائرات الهليوكبتر الكبيرة من طراز (مى ٦) ، (مى ٧) وهى محملة بجنود الصاعقة لإنزالهم فى الأماكن التى حددتها الخطة العامة بامتداد الجبهة من شرم الشيخ حتى شمالى سيناء .

. . . .

. . . .

هذا وقد استمرت الطائرات المصرية فى أداء دورها الحاسم والفعال منذ الساعة ١٤,٠٥ وحتى الغروب .

أما الطائرات الإسرائيلية ، فبرغم أنها كانت فى أقصى حالات التأهب منذ عشية يوم ٥ / ١٠ / ١٩٧٣ ، **فإن رد فعلها بدأ بعد أربعين دقيقة كاملة من بدء الهجوم المصرى .** وقذفت إسرائيل بأعداد كبيرة من طائراتها فى محاولة لمنع تدفق القوات المصرية إلى سيناء وإنقاذ قواتها فى حصون خط بارليف . إلا أن السلاح الجوى الإسرائيلى فشل فى تحقيق مهامه للأسباب التالية :

١ – نجاح السلاح الجوى المصرى فى تدمير وتعطيل المطارات الإسرائيلية فى سيناء .

٢ – نجاح السلاح الجوى المصرى فى ضرب مراكز السيطرة والقيادة .

٣ – النجاح الكبير لقوات الدفاع الجوى المصرى . . التى تصدت على الفور بالتنسيق مع الطائرات الاعتراضية ، لطائرات العدو . . التى أخذت تتساقط أو تهرب من سماء المعركة .

٤ – حلول المساء وبالتالى ضيق الفترة المتاحة لعمل الطائرات الإسرائيلية (حتى برغم فشلها) . وقد كان هذا العامل فى اعتبار القيادة المصرية (حسب ما جاء فى فصل التخطيط والإعداد) .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

ومن جهة أخرى . . وفى نفس اللحظات ، ومع ، وبعد ، القصف المدفعى العنيف الذى قام به أكثر من ألفى مدفع ، كان حوالى ٨٠٠٠ جندى يعبرون القناة سباحة أو بقوارب مطاطية ، ، واجتاز هؤلاء الجنود كل المواقع والصعاب (التى سبق الحديث عنها تفصيليا) واندفعت مجموعات منهم لقطع الطرق أمام المدرعات الإسرائيلية التى ستندفع من مواقعها فى الشرق إلى ضفة القناة لضرب عملية العبور ، بينما قامت مجموعات أخرى بحصار « وإشغال » قوات نقاط خط بارليف الحصينة .

. . وفى الوقت نفسه بدأ سلاح المهندسين فى بناء الجسور والكبارى ، وقد تم ذلك فى سرعة قياسية حطمت كل التوقعات (كان موشيه ديان مثلا وجهاز القيادة العسكرية الإسرائيلية يقدرون لهذه العملية مدة تتراوح بين ٢٤ ، ٤٨ ساعة) . . ولكن سلاح المهندسين المصرى أقام عشرة جسور فى أقل من ست ساعات ، بالإضافة إلى أكثر من ٥٠ معدية (عبر عليها فى أول يوم خمس فرق مشاة وعدد من الدبابات) .

وكان التنفيذ للخطة الموضوعة بالغ الدقة والسرعة ، وقد فوجئ العدو – ضمن المفاجآت العديدة – باستخدام القوات المصرية لمضخات المياه لفتح الثغرات فى الساتر الترابى ، وقد تمكنت من فتح (٦٠) ثغرة فى خلال ست ساعات . كما استخدم المهاجمون أيضاً السلالم الخشبية والمطاطية المصنوعة من الحبال أثناء تسلقهم الساتر الترابى (قبل فتح الثغرات فيه) .

وكان القطاع الذى يعمل فيه الجيش الميدانى الثانى بقيادة اللواء سعد مأمون هو المواجه للمساحة ما بين بور سعيد فى الشمال وقليلا إلى الجنوب من مدينة الإسماعيلية ، بينما يعمل الجيش الثالث الميدانى فى مواجهة القطاع الجنوبى والجزء الجنوبى من أراضى القطاع الأوسط ما بين مدينة السويس فى الجنوب ، والإسماعيلية جنوباً . وقد تمكنت قوات هذين الجيشين بعد قتال عنيف من الاستيلاء على الأجزاء الرئيسية من خط بارليف (علماً بأن الجيش الثالث واجه مشكلة أخرت عبور مدرعاته بعض الوقت حيث أن طبيعة التراب الرملى الذى تكون منه الساتر فى قطاع الجيش الثالث كانت مختلفة إلى حد ما (طينية) واستغرق فتح الثغرات فى هذا القطاع وقتاً أطول .

. . . .

هذا وقد تمت عملية العبور لقناة السويس واقتحام الساتر الترابى وخط بارليف . فى فترة زمنية قياسية أثبتت قدرة المشاة وكفاءة سلاح المهندسين والتنظيم الدقيق والجيد للعبور .

وقد وصف وزير الدفاع الأمريكى هذه العملية بقوله :

« إن عبور القوات المصرية لقناة السويس ، واقتحامها لخط بارليف هو علامة بارزة فى الحرب الحديثة سوف تغير الاستراتيجية العسكرية »

. . . .

. . . .

وفى البحر :

منذ اللحظات الأولى كان للبحرية المصرية دورها ، فقامت القطع البحرية العاملة فى البحر المتوسط بمهمة مساندة عملية عبور القوات البرية العاملة فى القطاع الشمالى ، وذلك بقصف الأهداف الإسرائيلية البعيدة عن مدى نيران مدفعية الميدان ، كلما شاركت القطع البحرية المتمركزة فى البحر الأحمر بقصف الأهداف الإسرائيلية المنتشرة فى مواجهة مدينة السويس وعلى الشريط الساحلى الجنوبى لشبه جزيرة سيناء . وشاركت فى القصف أيضاً مدفعية السواحل البعيدة المدى الراسية على مدخل القناة فى بور سعيد . . وقد اشتركت فى هذه العمليات (٥٠) قطعة بحرية من مدمرات ، وغواصات وزوارق حربية .

وقد كانت المهمة الأساسية للقوات البحرية المصرية هى الدفاع عن السواحل المصرية

وتأمين الموانئ وخطوط المواصلات وتأمين وصول الإمداد والمواد الاستراتيجية .

أما الشق الهجومى للمهمة فكان يتمثل فى قطع خطوط المواصلات البحرية الإسرائيلية ومنع وصول الإمداد الاستراتيجى إلى موانئها سواء فى البحر الأبيض المتوسط (حيفا - أشدود - يافا) أو فى البحر الأحمر (ميناء إيلات وشرم الشيخ) وجميع مراسى خليج السويس .

كذلك قامت بعض القطع البحرية المصرية بخطوة استراتيجية هامة وهى إغلاق مضيق باب المندب فى وجه الملاحة الإسرائيلية والسيطرة على منافذه بالتعاون مع الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

ومن جهة أخرى قامت الغواصات ببث الألغام على طول امتداد الساحل الغربى لسيناء لمنع الإسرائيليين من نقل بترول أبو رديس والاستفادة منه فى المجهود الحربى . وقد أجمع الخبراء على أن استخدام الألغام البحرية كانت مفاجأة وأسلوباً جديداً فى الحرب بين مصر وإسرائيل .

اليوم الثانى ٧ / ١٠ / ١٩٧٣ .

استثمرت القوات المصرية نجاحها الهائل فى اقتحام قناة السويس والساتر الترابى والسيطرة على معظم حصون خط بارليف ، فاندفعت مع صباح اليوم ٧ / ١٠ القوات المدرعة والآلية عبر الجسور التى نجح سلاح المهندسين فى إقامتها على قناة السويس لتقيم رؤوس جسور فى الضفة الشرقية .

مع انقضاء هذا اليوم وصل عدد القوات التى أتمت عبورها إلى الشرق (٨٠) ألف جندى (خمس فرق ومعهم ٥٠٠ دبابة) وكان لسرعة ودقة العبور أثر كبير فى إفشال محاولة الصد الإسرائيلية ، كما أن المشاة من صائدى الدبابات ورجال الصاعقة الذين انتشروا بسرعة البرق منذ ظهر الأمس فوق الرمال وأقاموا الحفر ، قد كبدوا بأسلحتهم المضادة المدرعات الإسرائيلية التى تقدمت لمنع العبور وفك الحصار عن نقط خط بارليف الحصينة خسائر فادحة وصلت إلى ١٥٠ دبابة . .

استمر تدفق القوات المصرية عبر الجسور . . وواصلت طائرات الهليوكبتر نقل رجال الصاعقة وإنزالهم خلف الخطوط الإسرائيلية فى أعماق سيناء مستهدفة الطرق الرئيسية والنقاط العسكرية الاستراتيجية لمنع تدفق التعزيزات والإمدادات للقوات

الإسرائيلية المشتبكة فى القتال .

وفى الوقت نفسه واصلت القوات المصرية الرئيسية ضغطها على الإسرائيليين لمنعهم من إعادة تنظيم صفوفهم ، وشل قدرتهم على شن هجمات مضادة واسعة ولإعطاء القوات العابرة على الجسور فرصة الالتحاق بوحداتها .

وكان للمدفعية المصرية دور بارز فى تقديم الغطاء للقوات المتدفقة عبر الجسور ، وفى منع الإسرائيليين من الهجوم المضاد عليها .

وقد بذلت القوات المصرية جهوداً جبارة وتمكنت من دحر المدرعات الإسرائيلية بعد أن نجحت فى إقامة رءوس الجسور ممهدة بذلك الطريق لعبور المزيد من القوات إلى الضفة الشرقية .

وأثناء عملية العبور كانت خسائر القوات المصرية قليلة إلى حد مذهل وكانت نسبة الإصابات بين الضباط تصل إلى ١٠ ٪ من المصابين والشهداء وهذا دليل على أن الضباط كانوا دائماً فى طليعة جنودهم وليس خلفهم .

. . . .

وبالنسبة **للطيران** فقد قامت الطائرات المصرية الاعتراضية بالتنسيق مع الدفاع الجوى بالتصدى للطائرات الإسرائيلية ، كما قامت الطائرات المقاتلة والقاذفة بمساندة القوات البرية التى عبرت إلى الشرق ، وبقصف الأهداف العسكرية والمنشآت الحيوية فى أعماق سيناء .

وقد دارت معارك جوية كبيرة مع الطيران الإسرائيلى أثبت فيها الطيارون المصريون مهارة وشجاعة كبيرتين .

. . . .

وفى البحر دارت معارك محدودة مع الزوارق الإسرائيلية فى منطقة شمالى سيناء وفى خليج السويس ، وواصلت قطع الأسطول المصرى زرع شواطئ سيناء الغربية بالألغام وخاصة فى المنطقة المحيطة بآبار النفط فى « أبو رديس » لمنع الإسرائيليين من الاستفادة بنفط هذه الآبار .

كما قامت وحدات الأسطول المرابطة فى البحر الأبيض بقصف المواقع والأهداف الإسرائيلية على الساحل الشمالى لسيناء ، وتقديم الدعم للقوات المصرية العاملة فى القطاع الشمالى .

اليوم الثالث ٨ / ١٠ / ١٩٧٣ (يوم مجيد للقوات المصرية)

زاد الطيران الإسرائيلى من حجم غاراته على الجسور المقامة عبر القناة ، كما ركزت المدفعية الإسرائيلية قصفها الكثيف على الجسور للتأثير على استمرار عملية العبور ولتفتيت تماسك القوات التى تمركزت على الضفة الشرقية . وفى نفس الوقت دفعت القيادة الإسرائيلية بلواءين مدرعين يزيد عدد دباباتهما على مائتى دبابة للقيام بهجوم مضاد واسع بهدف إرغام القوات المصرية على إيقاف زحفها والتراجع عن مواقعها فى الشرق . وبذلك تصل المدرعات الإسرائيلية بأى ثمن إلى القناة .

أما القوات المصرية فقد استخدمت مدرعاتها استخداماً ذكيًّا وجزئيًّا ، وكان التنسيق بين المدرعات والمشاة من صائدى الدبابات كاملا ودقيقاً فأطبقت القذائف والصواريخ على المدرعات الإسرائيلية الضخمة . . ودارت معركة طويلة وعنيفة .. خسرت فيها إسرائيل ١١٢ دبابة وفرت بقية دباباتها إلى الشرق .

وبذلك استكملت القوات المصرية فرض سيطرتها الكاملة والقوية على خط المواجهة شرق القناة من بورسعيد شمالا إلى بور توفيق جنوباً .

. . . .

وقد انتهت اليوم أيضاً معركة تحرير مدينة القنطرة شرق ، فأكملت القوات المصرية من المشاة والصاعقة استرداد المدينة (التى ظلت تحت السيطرة الإسرائيلية ست سنوات وبضعة شهور) وقد تكبدت القوات الإسرائيلية فى هذه المعركة التى دمرت فيها تماماً خسائر ضخمة للغاية .

. . . .

. . . .

وفى نفس هذا اليوم دخلت قوات الصاعقة التى تم إبرارها خلف خطوط العدو فى معارك عديدة خاصة فى شرم الشيخ وأبو رديس ، وبالرغم من عدم التكافؤ الكمى والنوعى ، حيث كان الصاعقة المصريون يحاربون مترجلين ودون مساعدة جوية أو مدرعة بينما كانت القوات الإسرائيلية التى تشتبك معهم تستخدم الدبابات وطائرات الهليوكبتر والطائرات القاذفة المقاتلة . فإن هؤلاء الرجال – برغم وقوع خسائر بينهم – قد حققوا الكثير من مهامهم وبثوا الخوف بين القوات الإسرائيلية . . حتى فى مقر قيادة الجبهة

ذاتها كان القادة يجلسون متوجسين من ظهور الصاعقة المصريين فى أى وقت .

بل إن جونين قائد الجبهة الإسرائيلية نصح ديان الذى حضر بطائرته الهليوكبتر للاجتماع بقادة القوات فى سيناء ، نصحه بعدم النزول بالقرب من مقر القيادة . . خوفاً من رجال الصاعقة المصريين . .

. . . .

وفى الجو دارت معارك أخرى عنيفة وطويلة فوق منطقة القناة وفوق منطقة الدلتا ، وقد لعبت الصواريخ المصرية دوراً بارزاً مع الطائرات الاعتراضية فى منع الطيران الإسرائيلى من تحقيق أهدافه ، وانسحابه من المعركة وقد تكبد خسائر كبيرة .

. . . .

وفى البحر حاولت زوارق الصواريخ الإسرائيلية مهاجمة الأهداف الحيوية على الساحل المصرى بين « دمياط » « والبرلس » وتصدت لها القطع البحرية المصرية . . وبالرغم من أن الزوارق الإسرائيلية لم تكن تعمل وحدها حيث كانت تساندها ست طائرات هليوكبتر مسلحة بالصواريخ الموجهة جو – سطح مما لم يتح للقطع المصرية فرصة المناورة ، وأعطى فى نفس الوقت حماية للزوارق الإسرائيلية ، فإن المعركة الرهيبة انتهت دون أن تحقق البحرية الإسرائيلية هدفها .

هذا وتعتبر هذه المعركة هى الأولى من نوعها فى العالم حيث استخدم فيها الفريقان المشتبكان الصواريخ الموجهة سطح – سطح بهذا الحجم والتكتيك .

. . . .

اليوم الرابع ٩ / ١٠ / ١٩٧٣ (يوم آخر من الأيام المجيدة للقوات المصرية)

لم تتوقف معركة الجسور . والمشاة من صائدى الدبابات يواصلون تدمير الدبابات الإسرائيلية .

تابعت القوات المصرية التدفق عبر القناة بأعداد كبيرة .

دارت معارك طاحنة بين المدرعات المصرية والمدرعات الإسرائيلية .

ركزت القيادة المصرية هجماتها للسيطرة على الطرق المؤدية إلى قلب سيناء ففى القطاع الشمالى وجه الجيش الثانى جهده إلى محورين :

١ – طريق القنطرة شرق – العريش .

٢ – طريق الإسماعيلية – جفجافة .

وفى القطاع الجنوبى وجه الجيش الثالث جهده فى محورين أيضاً هما :
١ – طريق السويس – صدر الحيطان – نخل مع ما يتفرغ منه من محاورثانوية.
٢ – الطريق المؤدى إلى أبو رديس – الطور – شرم الشيخ .

فى نفس الوقت ركزت القوات الإسرائيلية جهدها فى محاولة صد القوات المصرية واستعادة سيطرتها على الضفة الشرقية للقناة ، وإعادة محاولة الاختراق والوصول إلى غرب القناة . وكان لشدة تركيز القوات الإسرائيلية على هذه الأهداف ،أنها استخدمت فى هجومها ثلاثة ألوية مدرعة ، وثلاث كتائب دبابات بالإضافة إلى عشرات الدبابات المتبقية من القوات التى قامت بهجمات فى الأيام الأولى ، وانسحبت بعد فشلها .

نجحت قوات الفرقة الثانية مشاة بقيادة العميد حسن أبو سعدة بالتعاون مع قوة مدرعات وبعض قوات الفرقة ١٨ مشاة ، فى صد وتدمير جميع هجمات المدرعات الإسرائيلية التى قام بها لواءان مدرعان كاملان وقد تم تدمير لواء بأكمله هو اللواء ١٩٠ ، كما تم أسر العقيد عساف يا جورى . أما اللواء الآخر فقد تكبد أيضاً خسائر فادحة فى المدرعات والأفراد ، وسارعت بقاياه بالفرار شرقاً .

– وفى القطاع الجنوبى استولت قوات الجيش الثالث على نقطة هامة فى منطقة عيون موسى ، كما أسرت أعداداً من القوات الإسرائيلية واستولت على بطاريتى مدفعية عيار ١٥٥ مم سليمتين تماماً تركهما أطقمهما وقوات الحراسة فى محاولة للهروب .

– وقد واصلت القوات المصرية هجماتها وتمكنت من الاندفاع شرقاً والتوغل إلى عمق يتراوح ما بين ١٠ – ١٢ كم شرق القناة . . وكان تشكيل القوات كالتالى :

١ – **رأس جسر الجيش الميدانى الثانى** : يتكون من الفرقة المشاة (١٦) بقيادة العميد عبد رب النبى حافظ ، والفرقة المشاة (٢) بقيادة العميد حسن أبو سعدة والفرقة المشاة (١٨) بقيادة العميد فؤا عزيز غالى .

٢ – **رأس جسر الجيش الميدانى الثالث** : يتكون من فرقة المشاة (١٩) بقيادة العميد يوسف عفيفى ، وفرقة المشاة (٧) بقيادة العميد أحمد بدوى .

– وذلك بالإضافة إلى الفرقة الخامسة مشاة التى تقوم بالسيطرة على طرق الاقتراب إلى رءوس الجسور .

. . . .

. . . .

فى نفس الوقت . . أحكمت قوات الصاعقة الحصار على حصون ومواقع خط بارليف التى لم تسقط بعد ، وواصلت ضرب محاولات المدرعات الإسرائيلية للوصول إلى هذه الحصون لنجدتها .

وفى نفس الوقت أيضاً نشطت وحدات الصاعقة خلف خطوط العدو خاصة فى مناطق شرم الشيخ وبلاعيم وأبو رديس ورأس سدر والمناطق المحيطة بالممرات الاستراتيجية ، وكان لكثرة وعنف تحركات هذه القوات أثر فى مضاعفة قلق القوات الإسرائيلية حتى أنها استنفدت طاقة وجهد أعداد من طائراتها المقاتلة والقاذفة والهليوكبتر وأيضاً مدرعاتها ، ومظلييها فى محاولة تعقب هذه الوحدات ، والتصدى لها .

. . . .

وفى الجو . .

حاولت إسرائيل تعويض فشلها (فى البر) فوجهت أعداداً كبيرة من طائراتها فى هجمات جوية فى عمق الأراضى المصرية ، عززتها بأعمال بحرية ليلية . . ولم تفلح هذه الهجمات فى تدمير أهم الأهداف المحددة وهى مطار المنصورة ومطار القطامية . . بينماتكبدتالطائرات الإسرائيلية خسائر كبيرة نتيجة لتصدى الطائرات الاعتراضية المصرية ، وبطاريات الصواريخ سام .

. . . .

وفى البحر . .

تصدت قطع الأسطول لزوارق الصواريخ الإسرائيلية عند المنطقة من دمياط إلى البرلس ، وتم صد هذه الزوارق وإغراق بعضها . وفى نفس الوقت هاجمت الزوارق المصرية آبار النفط فى بلاعيم وأبو رديس.

. . . .

. . . .

اليوم الخامس : ١٠ / ١٠ / ١٩٧٣

قضت القوات المدرعة الإسرائيلية ليلة الأمس تلعق جراحها وتلملم صفوفها ، ثم تم دعمها بقوات جديدة من احتياطى الجيش . . ومع بزوغ الفجر كررت هذه القوات

محاولتها لدفع القوات المصرية خاصة العاملة فى مواجهة البحيرات المرة وبحيرة التمساح إلى الخلف . .

ولكن القوات المصرية تصدت لها ، بل جعلتها تنسحب من مواقعها الأصلية عدة كيلومترات باتجاه الممرات .

. . . .

هذا وقد فشلت الطائرات الإسرائيلية فى تحقيق أهدافها من الغارات الكثيفة على منطقة الدلتا ، وتم إصلاح الإصابات البسيطة التى تعرض لها أحد المطارات . . ، وقد دفعت إسرائيل ثمن هذه الغارات فادحاً ، من طائراتها وطياريها .

. . . .

وفى نفس الوقت واصلت القوات المصرية تدفقها إلى الضفة الشرقية وإقامة التحصينات الضرورية لصد المدرعات الإسرائيلية ، كما واصلت توسيع المنطقة التى سيطرت عليها . فتقدمت القوات الضاربة شرقاً على الطرق الرئيسية الثلاثة فى سيناء ، ووصلت فى بعض المناطق إلى مسافة عمقها ١٥ كيلو متراً .

. . **وقد حققت الطائرات المصرية** نجاحاً جديداً فى تحقيق مهامها وصد الطائرات الإسرائيلية بالتنسيق مع بطاريات الصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات .

. . **وفى البحر** نشبت معركة بحرية كبيرة فى خليج السويس وقد تم تدمير وإغراق عدد من الزوارق الصاروخية الإسرائيلية ، ووقعت بعض الخسائر فى القطع البحرية المصرية .

. . . .

. . . .

تم أسر المزيد من الضباط والجنود الإسرائيليين ، وقد أجريت مقابلات تليفزيونية مع بعضهم ، وكان ظهورهم على شاشة التليفزيون المصرى ضربة قاصمة للإعلام والمعنويات فى إسرائيل

. . . .

. . . .

ضربة أخرى تلقتها إسرائيل اليوم . . فقد تمكنت القوات المصرية من تدمير بعض المصفحات والدبابات ، ونجحت فى ضرب مصفحة قيادة ، كان بها الجنرال إبراهام مندلر قائد القوات المدرعة الإسرائيلية فى سيناء . . وقد قتل هو ومن معه فى المصفحة .

اليوم السادس : ١١ / ١٠ / ١٩٧٣

قامت القوات المصرية العاملة فى القطاع الشمالى بصد هجوم إسرائيلى حاولت قوته الالتفاف حول الوحدات المصرية التى كانت تحاصر حصناً فى شمال مدينة القنطرة ، فتراجعت القوة المصرية فى خطوة تكتيكية ثم اندفعت فى ملاحقة القوة الإسرائيلية التى حاولت الانسحاب إلى الخلف .

وفى نفس الوقت واصلت القوات المصرية الرئيسية فى هذا القطاع ضغطها على القوات الإسرائيلية ودفعها شرقاً .

أما فى القطاع الأوسط فقد دارت معارك كبيرة بين الدبابات المصرية والإسرائيلية وفشلت المدرعات الإسرائيلية فى الوصول إلى القناة . . وتكبدت خسائر كبيرة فى المعدات والأفراد .

وقد ظلت القوات المصرية المدرعة فى اقترابها الشديد من المدرعات الإسرائيلية مما حرم هذه المدرعات من حرية المناورة ومنعها من لم شمل قواتها المتراجعة باتجاه الممرات ، كما أن ذلك أتاح الفرصة للقوات المصرية لكى توجه ضربات متلاحقة للقوات الإسرائيلية المنسحبة لمنعها من التقاط أنفاسها أو اتخاذ مواقع دفاعية سريعة تكون بديلة للمواقع التى انسحبت منها .

وكذلك نجحت هذه الخطة فى تحييد الطيران الإسرائيلى الذى استحال عليه توجيه ضرباته للقوات المصرية نظراً لاقترابها الشديد بل وتداخلها مع قواتهم المدرعة .

ومن جهة أخرى تقدمت قوات الجيش الثالث شرقاً باتجاه ممر متلا وجنوباً باتجاه رأس سدر ، وقد حققت جزءاً من أهدافها ، نظراً لمقاومة المدرعات والطائرات الإسرائيلية .

. . . .

. . . .

وفى الجو . .

هاجمت الطائرات المصرية ميج ١٧ وسوخوى ٧ تجمعات المدرعات والمدفعية الإسرائيلية فى سيناء وكبدتها خسائر جسيمة ، وللمرة الثانية قامت الطائرات المصرية بمهاجمة آبار أبو رديس وقد أصيبت المبانى وقتل وأصيب عدد من الإسرائيليين . وفى

نفس الوقت قامت القاذفات الثقيلة بضرب القوات الإسرائيلية على ساحل البحر الأبيض ، وبالذات فى بالوظة .

اليوم السابع ١٢ / ١٠ / ١٩٧٣

حققت القوات المصرية العاملة فى القطاع الأوسط نجاحاً ملحوظاً بهجومها العنيف على القوات المدرعة الإسرائيلية التى كانت فى هذا القطاع والتى تعد أفضل التشكيلات القتالية الإسرائيلية . وقد تمكنت القوات المصرية من دفع القوات المعادية إلى الخلف وإجبارها على الانسحاب من نقطة المثلثات رقم (١٠٠) التى تبعد ١٤ كيلو متراً شرق القناة ، وتعتبر من أكبر وأهم المواقع الإسرائيلية الدفاعية الموجودة فى هذا القطاع إذ كانت ترابط فيها قوات مدرعة ، ومشاة ميكانيكية ، ومدفعية ذاتية الحركة ومدفعية مضادة للطائرات . وبعد معركة عنيفة اشتركت فيها أعداد كبيرة من المدرعات . . تقهقرت القوات الإسرائيلية . . واحتلت القوات المصرية هذه النقطة الهامة جدًّا ، وعندما قام الإسرائيليون بهجوم مضاد لاستردادها مستخدمين الطائرات والمدرعات ، تكفلت المدافع المضادة للطائرات بإجبار الطائرات الإسرائيلية على الخروج من المعركة ، وتكفلت الألغام وصواريخ الأفراد المشاة وبعض الدبابات من تدمير وقهر المدرعات الإسرائيلية ولم تفلح القوات المعادية فى استعادة الموقع ، أو حتى إخلاء الجرحى الذين استسلموا للأسر بعد ذلك .

. . وقد استخدمت القوات المصرية فى هذه المعركة عدة تكتيكات بارعة فى قتال الدبابات فى الصحراء ، حيث استخدمت أسلوب الدفاع الهجومى ، واستدراج الدبابات الإسرائيلية إلى كمائن متعددة ومتنوعة اشترك فيها الأفراد المشاة (صائدو الدبابات) ، كما اشتركت فيها المدرعات أيضاً .

وفى القطاع الشمالى حيث كفة الجيش الثانى هى الراجحة منذ بداية الحرب قامت القوات بضرب المدرعات الإسرائيلية التى عاودت محاولة فك الحصار المضروب حول أحد الحصون شمال القنطرة ، وقد بدأت القوات العاملة فى هذا القطاع الإعداد لهجوم واسع بهدف تحرير المزيد من الأرض .

– أما قوات الجيش الثالث ، فقد نجحت فى الضغط على القوات الإسرائيلية المواجهة لها ، وقامت بتوسيع رقعة الأرض التى احتلتها .

. . . .

– استسلمت اليوم القوة الإسرائيلية التى كانت متمركزة فى حصن لسان بور توفيق بعد ضغط الحصار المصرى عليها وفشل جميع محاولات الإنقاذ براً وجواً وبحراً وقد حضر مندوب الصليب الأحمر وعدد من المراسلين العرب والأجانب عملية استسلام هذه القوة التى بلغ عددها ٣٦ فرداً وقد ظهروا على شاشة التليفزيون المصرى ، وأرسلت نسخ من الفيلم الذى سجل مشهد استسلامهم إلى مختلف تليفزيونات العالم .

. . . .

– **وفى الجو** . . دارت معارك جوية فى سماء بور سعيد والمنطقة المحيطة بها ، وقد أجبرت الطائرات الإسرائيلية على الانسحاب دون تحقيق مهامها بعد أن اشتبكت معها الطائرات المصرية فى معارك عنيفة ، كما أن الطائرات المصرية ساعدت القوات البرية بتوجيه غارات متلاحقة على القوات الإسرائيلية المدرعة .

– **وفى البحر** تصدت القطع البحرية المصرية للزوارق الإسرائيلية المسلحة التى حاولت مهاجمة منشآت ميناء الزعفرانة ، وقد دمرت لها زورقاً وأصابت آخر . وفقدت البحرية المصرية زورقاً أصيب وتم انتشال أفراده .

. . . .

وفى أعماق العدو وخلف خطوطه ، وجهت وحدات الصاعقة عدة ضربات لمواقع ومدرعات العدو . . وقد اشتركت جميع أسلحة العدو فى البحث عن أفراد هذه الوحدات التى تسبب إزعاجاً دائماً لمؤخرة العدو .

. . . .

. . . .

. . . .

اليوم الثامن ١٣/ ١٠ / ١٩٧٣

شنت وحدات من الفرقة (٢١) التى انتقلت من الضفة الغربية إلى سيناء هجوماً قوياً تساندها فيه فرقة مشاة ميكانيكية . وقد دارت المعركة مع قوات شارون فى القطاع الأوسط وكان الهدف هو السيطرة على الطريق الرئيسى المؤدى إلى ممر الجدى . وبرغم ظهور الأسلحة والمعدات الأمريكية الجديدة التى تدفقت على إسرائيل ، فإن القوات المصرية دفعت القوات الإسرائيلية المدرعة إلى الخلف بضعة كيلو مترات ، ولكن المعركة

كانت من أعنف وأشرس المعارك وتكبد فيها الطرفان خسائر كبيرة ، وقد قال الجنرال شارون بعد هذه المعركة « لقد حضرت معارك كثيرة لكننى لم أشهد فى حياتى أعنف من هذه المعركة . . »

. . . .

وبالنسبة للقطاعين الشمالى والجنوبى ظل الوضع على حاله باستثناء بعض الهجمات المحددة التى قام بها الجيش الثالث لتوسيع رقعة أرضه ، والتراشق بالمدفعية بين قوات الجيش الثانى والقوات الإسرائيلية المواجهة لها .

. . . .

وفى الجو . . .

تكبد السلاح الجوى الإسرائيلى المزيد من الخسائر برغم هجومه المكثف لمساعدة القوات البرية إلا أن بطاريات الصواريخ والمدفعية المصرية المضادة ، بالتنسيق مع الطائرات الاعتراضية قد أفشلت هذا الهجوم .

. . . .

وفى البحر . .

تصدت الزوارق المصرية والبطاريات الساحلية المدفعية والصاروخية لهجوم الزوارق الإسرائيلية المسلحة على المواقع العسكرية الواقعة على الشاطئ بالقرب من دمياط ، وقد انسحبت هذه الزوارق دون أن تتمكن من تنفيذ مهامها .

وقد تم إغراق عدد من هذه الزوارق .

. . . .

. . . .

تغيير فى القيادات :

تولى اليوم اللواء عبد المنعم خليل قيادة الجيش الثانى الميدانى بدلا من اللواء سعد مأمون الذى أصيب بمرض مفاجئ .

. . . .

عمل أمريكى خطير :

قامت ظهر هذا اليوم طائرتا تجسس أمريكيتان من طراز إ س . آر . ٧١ – باختراق المجال الجوى المصرى – بسرعة تزيد على ثلاثة أضعاف سرعة الصوت – وقد التقطت هاتان الطائرتان الاستطلاعيتان الحديثتان جداً صوراً لمواقعنا غرب القناة وشرقها . والمؤكد أنها ستقدمها إلى إسرائيل .

اليوم التاسع : ١٤/١٠/١٩٧٣

شنت القوات المصرية اليوم هجوماً كبيراً للغاية ، فتقدمت وحدات الجيش الثانى باتجاه الشرق على الطريق الاستراتيجى الشمالى ، وطاردت بعض مدرعات ودبابات العدو التى حاولت الوصول مرة أخرى إلى منطقة المثلث لاستعادتها . ثم بدأت وحدات الجيش هجومها على الواجهة المقابلة لمدينة الإسماعيلية حيث دارت معارك ضخمة بالدبابات ، وقد فشلت القوات الإسرائيلية فى صد هذا الهجوم ، وأجبرت على التراجع .

. . ومن جهة أخرى قامت وحدات الجيش الثالث بهجوم واسع على محورين رئيسيين :

الأول : باتجاه الشرق .

والثانى : باتجاه الجنوب .

وقد بدأ الهجوم بقصف مدفعى عنيف للمواقع والدبابات الإسرائيلية مع طلوع الفجر .

هذا وقد اكتفت وحدات الجيش بتقدم محدود على المحورين ، وتوقفت فى عملية إعادة تنظيم

. . . .

وفى الجو : شاركت الطائرات المصرية القاذفة المقاتلة فى ضرب حشود المدرعات الإسرائيلية وخطوط المواصلات والمواقع الاستراتيجية فى العمق ، بالإضافة إلى الأهداف العسكرية الأخرى .

. . . .

. . وقد قامت الطائرات بهجوم جديد على مطار يقع فى شرق ممر الجدى ونجح الهجوم

فى تدمير أجهزة الاتصال الهامة ، مما سبب ارتباكاً ملحوظاً بين الوحدات الإسرائيلية .

. . ومن جهة أخرى كان العدو قد نقل معظم جهوده إلى الجبهة المصرية ، فخفف الضغط على الجبهة السورية إلى حد كبير جداً وركز هو نشاط سلاحه الجوى ضد وحدات الجيش الثانى والثالث فى هجومها على المدرعات الإسرائيلية ، كما حاول ضرب الجسور وطرق المواصلات ، والمطارات (خاصة مطارات « الصالحية والمنصورة وطنطا ») وقد دارت معركة جوية كبيرة فوق شمال الدلتا ، تم فيها إسقاط عدد من الطائرات المهاجمة ، كما دارت معركة أخرى فوق بور سعيد التى قذفتها الطائرات الإسرائيلية فقتلت وأصابت أكثر من ٥٠٠ مدنى ودمرت عدداً من المنازل . . وسقط من هذه الطائرات المهاجمة عدد كبير ، وسارع الباقى بالفرار شرقاً .

هذا وقد لوحظ مرة أخرى أن الطائرات الإسرائيلية قد زودت بتجهيزات جديدة ، واعترف بعض الطيارين الأسرى بالإمدادات الأمريكية الضخمة ، وبوجود خبراء أمريكيين .

كما أنه – فى البر – تم أسر بعض الدبابات (م ٦٠) التى أشارت عداداتها الأمريكية إلى أنها جديدة تماماً ولم تقطع مسافة أكثر من العريش (حيث تنزل الإمدادات الأمريكية) إلى خطوط القتال فى الجبهة .

. . . .

اليوم العاشر : ١٩٧٣/١٠/١٥

بعد أن حقق هجوم الأمس على طول خط الجبهة بعض أهدافه المحددة ، واصلت القوات المصرية تعزيز مواقعها وإقامة الاستحكامات ، وفى نفس الوقت دارت معارك متفرقة فى مختلف القطاعات .

وفى هذا اليوم قامت قوة من الصاعقة بعمل كمين كبير لقوة من مدرعات العدو كانت تحاول الوصول إلى حصن محاصر يقع على الساحل الغربى لسيناء ، وقد نجح الكمين بصورة أزعجت العدو تماماً وكبدته خسائر فادحة ، جعلته يستنجد بطائراته وبقوات مدرعة جديدة ، لكن قوة الصاعقة انتقلت بمجرد تنفيذ مهمتها الأساسية إلى موقع آخر لتبدأ منه انطلاقة أخرى .

. . وقد هاجمت الطائرات المصرية رتل دبابات إسرائيلية كان يتقدم على الطريق

الرئيسى فى القطاع الشمالى من سيناء ، وأنزلت فى صفوفه خسائر كبيرة فى المعدات والأرواح .

وتصدت الطائرات والصواريخ المصرية لغارات الطائرات الإسرائيلية التى استهدفت مطارى (طنطا والقطنية) وبعض المواقع العسكرية على ضفتى القناة .

. . وفى الساعة الخامسة تصدت القوات العاملة فى القطاع الشمالى للواء مدرع إسرائيلى (كان بداية لهجوم واسع) ، وبعد معركة عنيفة انسحبت الدبابات الإسرائيلية تاركة وراءها دبابات محترقة وأفراداً قتلى ومصابين .

. . وقد تصدت القوات العاملة فى القطاع الأوسط – فى نفس الوقت – للواءين مدرعين إسرائيليين مدعمين بكتائب مدفعية ومشاة ميكانيكية وقوات مظلية ، وقد تعرض اللواء الذى تحرك شمال هذا القطاع لهجوم من وحدة مصرية مدرعة كانت تأخذ مواقعها فى قرية الجلاء أو المزرعة الصينية كما أطلق عليها الإسرائيليون وهى المنطقة الواقعة إلى الشمال قليلاً من البحيرات المرة ، وتكبد هذا اللواء خسائر كبيرة فى الدبابات والأفراد ، واستنجد قائده بقيادة المجموعة القتالية التابع لها لتعزيزه بدبابات جديدة ،وبالطائرات أيضاً .

وقد تحركت إلى جانب هذه القوات الإسرائيلية ، مجموعة أخرى مؤلفة من لواء مدرع ولواء مظليين مع كتائب من سلاح المهندسين وكان يقود هذه القوة الجنرال (آدن) الذى استغاث بقيادته طالباً الدعم الجوى ، والإمداد بالمدرعات والمظليين ، حين تصدت له قوة مصرية فى معركة استغرقت أكثر من يومين (بالتحديد (٤٠) ساعة) وكبدته هذه القوة خسائر فادحة تشتت على أثرها مدرعاته . . وحاولت فلول لواء المظليين الهروب إلى أى مكان لكن الكمائن المصرية ظلت تلاحقها وتكبدها الخسائر المتتالية .

اليوم الحادى عشر : ١٩٧٣/١٠/١٦

تمكنت بضع دبابات إسرائيلية من العبور إلى غرب القناة ، وواصلت القوات المصرية ضرب المدرعات الإسرائيلية التى تحاول إقامة رأس جسر فى الضفة الشرقية منذ أكثر من يومين .

ومنذ الفجر قامت الطائرات المصرية – بجميع أنواعها – بغارات كثيفة وبالغة العنف ضد قوات الثغرة على الضفتين ، ودمرت الجسور والمعابر التى تحاول إقامتها شمالى البحيرات .

وقد تمكنت القوات المصرية من إيقاف القوات الإسرائيلية فى الشرق عن تدعيم القوة التى تسللت إلى الغرب ، وطلب قائد تلك القوات « الجنرال آدن » تدعيماً جديداً

فدفعت إليه قيادته بلواء آخر من المدرعات . . وظل القتال شرساً وضارياً .

ومن جهة أخرى بدأت قوات الصاعقة فى مقاومة القوة الإسرائيلية فى غرب القناة وألحقت بها خسائر عديدة .

. . ولكن نظراً للإمدادات الأمريكية الضخمة والمتواصلة بمختلف الأسلحة والمعدات واستخدام إسرائيل لأعداد كبيرة من المرتزقة والمتطوعين ونظراً لبعض أخطاء لقيادات مصرية محلية صغيرة تمثلت فى تأخر الإبلاغ عن حجم التسلل للقيادة العامة . . مضافاً إلى ذلك عمليات الاستطلاع الأمريكية بالطائرات وأقمار التجسس (بيج بيرد Big Bird) التى أعطت لإسرائيل صوراً دقيقة للفاصل بين الجيش الثالث والثانى ولخلو تلك المنطقة فى غرب القناة بعد تحرك الفرقة ٢١ المدرعة والفرقة ٤ مدرعة إلى الشرق . .

. . لذلك كله استطاعت إسرائيل تدعيم قواتها فى الغرب إلا أن القوات المصرية واصلت شن هجماتها العنيفة براً وجواً على هذه القوات وعلى رأس الجسر فى الضفة الشرقية ، وأفادت التقارير الموثوق بها أن حجم الخسائر الإسرائيلية قد بلغ حداً كبيراً جداً اهتزت معه قيادة جيش الدفاع .

حتى أنه تم التقاط اتصال لاسلكى بين القيادة ، والجنرال شارون قائد الثغرة تطلب إليه العودة إلى الشرق وإنهاء العملية لفداحة الخسائر وضآلة احتمالات تحقيقها لأهدافها ، وبالرغم من اعتراف شارون بالمصاعب الرهيبة التى تلقاها قواته فإنه لم يستقر الأمر بشكل محدد على الانسحاب شرقاً .

. . . .

اليوم الثانى عشر : ١٩٧٣/١٠/١٧

واصلت الطائرات المصرية بمختلف أنواعها الغارات على قوات الثغرة الإسرائيلية وقد شنت القاذفات الاستراتيجية الثقيلة (تى يو – ١٦) طول ليلة أمس وحتى صباح اليوم سلسلة من الهجمات العنيفة على الجسور وأماكن تواجد هذه القوات الإسرائيلية ، كما واصلت القاذفات المقاتلة طوال اليوم غاراتها بكثافة وتركيز هائلين على الوحدات والمدرعات التى تمكنت من إقامة رأس الجسر فى الضفة الغربية ، وفى نفس الوقت تصدت الطائرات المقاتلة للطائرات الإسرائيلية فى معارك طويلة وعنيفة لتمنعها من شن هجماتها على قواعد الصواريخ .

وقد اضطر شارون نتيجة لتزايد الخسائر إلى وقف تقدمه ، والإسراع بتعزيز مواقع قواته .

هذا وقد قامت المدفعية المصرية بدور هام ومؤثر فى قصف الجسور وقوات الثغرة وتحديد حركتها وتكبيدها خسائر متزايدة ، كما أن رجال الصاعقة ظلوا يطاردون المدرعات الإسرائيلية ويحولون بينها وبين الانتشار جنوباً أو شمالاً . وقد بلغ من عنف الضربات التى وجهتها القوات المصرية إلى قوات الثغرة أن القيادة الإسرائيلية أجلت عبور القوات المدرعة التى يقودها الجنرال (آدن) حتى يتضح الموقف .

اليوم الثالث عشر : ١٩٧٣/١٠/١٨

لم تنجح قوات الثغرة – برغم التعزيزات الليلية –فى الامتداد شمالاً وواصلت القوات المصرية قصف الجسور والقوات المتسللة جوًّا وبرًّا ، كما أن وحدات الصاعقة جعلتها فى وضع يصعب معه تثبيت أقدامها .

. . وعلى الضفة الشرقية دارت معارك بالدبابات لم تصل إلى عنفها أية معارك سابقة منذ الحرب العالمية الثانية . وقد كانت القوات المصرية على وشك إغلاق الثغرة فى الشرق وبالتالى إكمال الحصار وتضييق الخناق على القوة الموجودة غرب القناة (لم يعد يفصل بين قوات الجيش الثانى والثالث سوى أربعة كيلومترات فقط) ولم يخف الضغط المصرى على المدرعات الإسرائيلية فى الشرق إلا بعد دخول الطائرات الإسرائيلية وبأعداد كثيفة للغاية ، وكان المرتزقة والمتطوعون الأجانب من الطيارين يشكلون نسبة كبيرة فى هذه الغارات .

اليوم الرابع عشر : ١٩٧٣/١٠/١٩

قامت القوات المصرية اليوم بضغط عنيف على قوات الثغرة الإسرائيلية وكبدتها خسائر كبيرة ، حتى أنها طلبت تعزيزات جديدة وبالتالى وصل حجم القوة إلى ١٥,٠٠٠ جندى ، وأربعمائة دبابة ، وقد أعطى هذا التكثيف فى حجم القوة الإسرائيلية إمكانية تركيز الضربات الموجهة إليها .

وقد قامت الطائرات المصرية بغارات كثيفة عليها وبدون انقطاع واشتبكت مجموعات منها مع الطائرات الإسرائيلية فى معركة طويلة فوق منطقة « البحيرات المرة » و « الدفرسوار »

ووقع اشتباك جوى آخر فوق نفس المنطقة بعد الظهر .

. . . .

وفى الضفة الشرقية وجهت المدرعات المصرية ضربات عنيفة للقوات الإسرائيلية فى رأس الجسر ، وكان أعنف الاشتباكات تلك التى وقعت فى منطقة قرية الجلاء على الضفة الشرقية للقناة إلى الشمال من البحيرات المرة .

. . . .

وفى البحر . . دارت معركتان مع الزوارق والوحدات البحرية الإسرائيلية عند رأس غارب والغردقة ، ووقعت معارك أخرى عند دمياط . . وقد اتسمت هذه المعارك كلها بالعنف الشديد وتم تدمير وإصابة عدد من وحدات العدو ، وكانت خسائر البحرية المصرية طفيفة بالمقارنة بخسائر العدو .

. . . .

. . . .

اليوم الخامس عشر : ١٩٧٣/١٠/٢٠

زادت حدة وعنف حرب الدبابات الدائرة فى القطاع الأوسط من سيناء ، وبلغ عدد الدبابات المشتركة فى المعارك من الطرفين أكثر من ألف دبابة .

وقد استمرت هذه الحرب الشرسة منذ الصباح ، وتغيرت بدايات مراحلها المتواصلة ، فمنذ الفجر شنت القوات المصرية هجمات عنيفة من الشمال باتجاه البحيرات المرة فى محاولة لإغلاق الثغرة وقد بلغ من عنف هذه الهجمات أن الدبابات المصرية والإسرائيلية اقتربت من بعضها البعض وكأنها على وشك الالتحام بدروعها وحتى أنها كانت تقف وجهاً لوجه ولا يفصل بينها إلا مسافة قصيرة تكاد تقل أحياناً عن مترين أو ثلاثة أمتار . .

وقد زاد من خسائر المدرعات الإسرائيلية فى هذه المعارك بصورة مذهلة أن رجال الصاعقة المصريين اندفعوا مع الدبابات المصرية وبمجرد اشتعال أرض المعركة انتشروا هم فى سرعة وجرأة انتحارية بين الدبابات الإسرائيلية ودمروا الكثير منها بالقنابل المضادة للدبابات أو بالصواريخ وال آر . بى . جى حين تسمح المسافات بذلك وقد استخدم هؤلاء المقاتلون من الصاعقة السلاح الأبيض فى التحامهم بأطقم الدبابات الذين حاولوا الفرار بعد ضربها .

ومن جهة أخرى قامت قوات الجيش الثالث بصد المدرعات الإسرائيلية التى حاولت توسيع رأس الجسر جنوباً ، وأرغمتها على التراجع والانسحاب .

وفى الجو . . شن سلاح الجو المصرى هجمات متواصلة على المدرعات الإسرائيلية والنقاط الهامة التى تمركز فيها الإسرائيليون ، كما تصدى للطائرات الإسرائيلية التى حاولت طوال اليوم أن تضرب طرق مواصلات القوات المصرية فى الغرب لمنع تدفق الوحدات إلى ساحات القتال ، وللحيلولة بينها وبين ضرب قواعد الدفاع الجوى التى تصدت لها هى الأخرى ، كما أن أسراباً أخرى من الطائرات المصرية واصلت هجماتها على الثغرة .

وفى غرب القناة . . ظلت المعارك محتدمة فى عنف بالغ ، واستمرت الوحدات المصرية فى تقدمها باتجاه « الدفرسوار » والبحيرات المرة لتضييق الخناق على قوات الثغرة ، وكان دور المدفعية ورجال الصاعقة بارزاً ومؤثراً إلى أقصى حد على هذه القوات التى بدأت تعانى من عنف الهجمات ، وضعف الإمداد،حيث تعرضت أرتال المدرعات التى حاولت الوصول من الشرق لتدعيمها إلى هجمات مستمرة . وقد استخدم عدد من المعلقين العسكريين مصطلح « المصيدة » (فى وصفهم لموقف القوة الإسرائيلية فى الثغرة التى أحاطت بها القوات المصرية من معظم الجوانب) .

اليوم السادس عشر : ١٩٧٣/١٠/٢١

مرة أخرى تصدت المدفعية والطائرات وقوات الصاعقة المصرية للمدرعات الإسرائيلية التى حاولت الاتجاه نحو الإسماعيلية . . واوقفتها تماماً بعد أن كبدتها خسائر ضخمة .

وفى الاتجاه الجنوبى (اتجاه السويس) أحرزت القوات الإسرائيلية تقدماً بطيئاً جداً متكبدة خسائر متلاحقة نتيجة غارات الطائرات المصرية وقصف المدفعية المركز الكثيف وكان من الواضح أن إسرائيل لم تعد تقيم حساباً للخسائر التى تتكبدها فى محاولة مستميتة لتطويق الجيش المصرى الثالث حتى تكون ورقة فى يدها تحاول استغلالها فيما بعد .

وفى البحر . . ألحقت القطع البحرية المصرية خسائر عديدة بالزوارق الإسرائيلية الصاروخية التى اقتربت من أبى قير فى حماية الطائرات (كما هو أسلوب البحرية الإسرائيلية منذ بداية الحرب حيث أنها لم تخرج إلى أية معركة إلا تحت حماية من الطائرات . . بعكس البحرية المصرية التى لم تستنفد جهد السلاح الجوى المصرى –

ولعلها – لهذا السبب آثرت أن تقوم بدور دفاعى عن الموانى والسواحل أكثر من دورها الهجومى) .

. . . .

اليوم السابع عشر : ١٩٧٣/١٠/٢٢

مع طلوع الفجر كانت الوحدات المصرية من مدرعات وصاعقة تهاجم قوات الثغرة ، وتنجح فى استرداد بعض المواقع ، كما أن المدفعية المصرية لم تتوقف عن قصف مناطق الحشد والعبور الإسرائيلية كما وجهت ضرباتها لرأس الجسر فى شرق القناة .

وفى الجو . شاركت الطائرات المصرية فى ضرب قوات الثغرة وتدعيم القوات البرية العاملة على ضفتى القناة . كما أنها بالتنسيق مع قواعد الدفاع الجوى تصدت للطائرات الإسرائيلية التى حاولت تدعيم قواتها جنوب الدفرسوار وقد أسقطت عدداً من هذه الطائرات .

. . . .

هذا وقد استجابت الأطراف المتحاربة لقرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار فى السابعة من مساء اليوم .

وكانت صورة الموقف كالتالى :

القوات المصرية :

أقامت خمسة رءوس جسور ، وحررت مساحة من الأراضى بلغت (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف كيلو متر مربع أى منطقة يبلغ طولها ١٦٠ كيلو متراً على محاذاة قناة السويس فى الشرق وإلى عمق يتراوح بين ١٦ و ١٩ كيلومتراً شرقاً .

القوات الإسرائيلية :

خسرت هذه المساحة الواسعة من الأراضى التى استعادتها القوات المصرية – وبالنسبة لمنطقة الثغرة – فكانت كالتالى :

١ – لم تستطع القوات الإسرائيلية بكل ألوان الدعم التى تلقتها أن تقيم سوى رأس جسر واحد .

٢ – لم تسيطر قواتها فى منطقة الدفرسوار إلا على مساحة امتدت (١٣) كم غرب القناة و ٤٠ كم على امتداد القناة وبذلك فإن وضعها عسكريًّا حرج للغاية .

اليوم الثامن عشر : ١٩٧٣/١٠/٢٣

*** هل أخطأت القوات المصرية حين احترمت قرار المجتمع الدولى بإيقاف إطلاق النار ؟**

إن الواقع يقول : نعم حدث خطأ كبير من جانب القوات المصرية باحترامها لهذا القرار . . إذ أن الطرف المقابل – الجيش الإسرائيلى – لم يظهر طوال تاريخه ما يدل على احترامه للمجتمع الدولى وقراراته .

ولكن الخطأ وقع على أية حال . .

وكانت النتيجة أن القوات الإسرائيلية دفعت طوال ليلة أمس (بعد السابعة مساء « ساعة وقف إطلاق النار ») قوات كثيرة لتدعيم قواتها « المحصورة » فى الثغرة غرب القناة .

وفى الوقت الذى هبت فيه الطائرات المصرية للتصدى لها كانت المدرعات الإسرائيلية تنتهك هى الأخرى قرار وقف إطلاق النار وتتقدم جنوباً باتجاه الطريق الرئيسى المؤدى إلى القاهرة وباتجاه مدينة السويس . . ونجحت فى قطع الطريق بين السويس والقاهرة والاتجاه نحو ميناء الأدبية والاقتراب من مشارف السويس . وقصف المدينة وقتل وإصابة عدد كبير من المدنيين .

أما القوات التى اتجهت نحو الإسماعيلية فى محاولة أخرى للوصول إليها مستغلة هذه المرة انتهاك وقف إطلاق النار ، فقد تعرضت لمقاومة عنيفة ردتها على أعقابها وكبدتها خسائر باهظة .

– هذا وقد انعقد مجلس الأمن الليلة بناء على طلب مصر وأصدر قراره رقم **٣٣٩** مؤكداً ضرورة وقف إطلاق النار ، وانسحاب القوات إلى الخطوط التى كانت قد توقفت عندها فى الساعة السابعة من مساء أمس ١٩٧٣ / ١٠ / ٢٢ .

. . . .

اليوم التاسع عشر : ١٩٧٣/١٠/٢٤

كان من البديهى أن إسرائيل لن تحترم القرار الدولى الجديد لسببين :

١ – أن عودة قواتها إلى حدود ١٩٧٣/١٠/٢٢ ، يعنى عودتها إلى المصيدة والموقف

الحرج عسكريًّا ، وسقوط الورقة التى سعت إليها وهى تطويق الجيش المصرى الثالث .

٢ - كانت إسرائيل ما زالت تخطط لاستغلال قرار وقف إطلاق النار باحتلال مدينة السويس حتى يكتمل حصار الجيش الثالث وتستغل سقوط هذه المدينة الكبيرة فى أيدى قواتها .

. . . .

. . وعليه فإنه مع بداية هذا اليوم ، استأنفت القوات الإسرائيلية خرقها لقرار وقف إطلاق النار . . وتمكنت من الوصول إلى مشارف السويس وحينما اندفعت قواتها لتحتل المدينة فوجئت بمقاومة مذهلة من أفراد الشعب وبعض الوحدات العسكرية . . وارتدت القوات المهاجمة مذعورة بعد أن تكبدت خسائر ضخمة . بينما تمكنت قوات أخرى من دخول ميناء الأدبية الخالى من السكان ، والذى لم تكن توجد فيه قوة كبيرة لحمايته . [تفاصيل هذه المعركة سبق تسجيلها فى فصل سابق] .

. . . .

هذا وقد طلبت مصر مرة أخرى عقد اجتماع فورى لمجلس الأمن للنظر فى استمرار خرق إسرائيل لوقف إطلاق النار ، وقد انعقد المجلس وأصدر قراره رقم ٣٤٠ مطابقاً بالامتثال إلى قراريه السابقين (٣٣٨) (٣٣٩) .

اليوم العشرون : ١٩٧٣/١٠/٢٥

. . . .

مرة أخرى ضربت إسرائيل عرض الحائط بقرارات مجلس الأمن الثلاثة وحاولت دخول مدينة السويس . . ولكنها تكبدت خسائر جديدة واضطرت للانسحاب بعد فشلها التام فى تحقيق هدفها .

كيف حاربت مختلف الأسلحة والأجهزة المصرية

١ – الحرب السرية . . . ماذا فعلت المخابرات المصرية ؟
٢ – السلاح الذى أفقد إسرائيل توازنها منذ اللحظات الأولى .
٣ – « النيل إضرب » . . ثم أنطلق أكثر من ألف مدفع .
٤ – من المشاهد التاريخية .
٥ – أكبر مصيده للطائرات .
٦ – أنهم يدخلون من كل مكان .
٧ – السلاح الذى خنق إسرائيل .
٨ – أكبر حرب مدرعات فى التاريخ (وتفاصيل أخرى عن عملية الثغرة) .

(١)

الحرب السرية

* الذكاء المصرى يتألق فى الحرب السرية . . « حرب المخابرات »
* ماذا فعلت المخابرات المصرية فى مواجهة مخابرات إسرائيل والمخابرات الأمريكية ؟
* ديان يساعد المخابرات المصرية .
* الدهاء المصرى يوقع مخابرات إسرائيل فى أكثر من مصيده .
* خريطة (سيريوس) فى أيدى المخابرات المصرية .
* أعترافات خطيرة عن سقوط قلاع السرية الإسرائيلية . « لواحد من أكبر الكتاب الإسرائيليين »
* كان نجاح المخابرات المصرية وفشل المخابرات الإسرائيلية سبباً فى العديد من المآسى .

. . . .

. . . .

* * *

أكاد أسمعك – أيها القارئ العزيز – وأنت تقول لنفسك ، بمجرد أن وقعت عيناك على عنوان هذا الباب : « لماذا يخصص المؤلف باباً مستقلاً للحديث عن المخابرات ودورها ، إن الصفحات السابقة – خاصة تلك التى يضمها فصل الإعداد والتخطيط ، وخاصة فى باب المفاجأة – قد أشارت أكثر من مرة إلى دور المخابرات . فمن يقرؤها . . لا بد أن يشم رائحة المخابرات فيها ، أو بتعبير المنظمات الفدائية . . من يقرأ سطراً واحداً من هذا الفصل يكاد يرى البصمات التى تقول « إن رجل المخابرات مر هنا » .

ولست أنت وحدك – أخى القارئ – الذى تراوده هذه التساؤلات ، فأنا – قبلك – ترددت كثيراً فى إضافة شىء آخر من دور المخابرات ، فما بالك بتخصيص باب كامل لها ؟ !

ولك أن تسألنى : «كيف إذن حزمت أمرك . . وقررت أن تضيف هذه الصفحات عن المخابرات المصرية . . والإسرائيلية ؟ !

وأقول بكل صدق وأمانة إن ملف الحرب السرية الرهيبة بين مخابرات مصر ومخابرات إسرائيل (المدعمة) والتى قالوا إنها أصبحت أسطورة حية فى العالم لقوتها ووصفوا أحد رؤسائها بأنه « نبى » قد أغرانى تماماً بإضافة هذا الباب بل إننى أحسست أن الاكتفاء بما قدمت بين السطور السابقة يعنى أننى قد بخلت عليك بمعلومات واعترافات لها قيمتها ووزنها . ويجب ألا يخلو « منها كتاب وثائق كهذا الكتاب الذى يشرف بالمثول بين يديك » .

وعلى أى حال سأترك لك الحكم فيما إذا كنت قد أصبت أم أخطأت بمجرد انتهائك من قراءة هذه الصفحات عن الحرب السرية بين المخابرات المصرية . . والمخابرات الإسرائيلية (الأمريكية) مع تحفظ صغير أسارع إلى تسجيله . . وهو أننى سأعتمد كثيراً على ما كتبه المحرر العسكرى لصحيفة يديعوت أحرونوت . فقط سأسجل - قبل أن نلتقى حول قلم هذا الكاتب الإسرائيلى - بعض النقاط الضرورية . .

* فى الحديث عن دور الرئيس أنور السادات الشخصى فى تحقيق المفاجأة أشرت إلى صلته واهتمامه البالغ بالمخابرات .

* كان رجال المخابرات المصرية وراء اكتشاف مواسير النار التى أعدها الإسرائيليون لتدفع اللهب إلى القناة بمجرد بدء العبور المصرى ، لكى تتحول القناة بمن عليها إلى قطعة من الجحيم ، ولم يتوقف اكتشاف المخابرات المصرية لهذا السلاح السرى الإسرائيلى عند مجرد تحديد أماكنه وقوته ، بل إنها استطاعت أن تحضر عينة من السائل المعد للإشعال . . وتم التدريب على التعامل معه .

* بالرصد الدقيق . . حددت المخابرات المصرية ساعة الصفر (الثانية وخمس دقائق) . وقد ذكرت من قبل قصة هذا التحديد وخطورته .

* قدمت المخابرات للقيادة المصرية بيانات مفصلة عن توزيع الجيش الإسرائيلى فى سيناء ، ومعلومات دقيقة عن القادة الإسرائيليين ابتداء من الجنرال شموئيل جونين إلى قادة الفرق والوحدات مع جدول لكل وحدة وما لها من طاقة وإمكانية للقتال .

* كانت المخابرات وراء تسريب أخبار معينة (مثل الأخبار التى تحدثت عن ضعف مصر وسوريا فى مواجهة القوة الضخمة لإسرائيل) وذلك بهدف تخدير العدو .

* قامت المخابرات المصرية بتأمين سرية الاستعدادات للمعركة ، بابتكار أساليب إخفاء جيدة للمعدات ووسائل العبور أثناء وبعد نقلها إلى الجبهة ، وفى نفس الوقت كشفت عملاء المخابرات الإسرائيلية وبالتالى حرمتها من أهم مصادر معلوماتنا .

. . نماذج تفصيلية لبعض أعمال المخابرات المصرية :

النموذج الأول :

استخدمت المخابرات المصرية الجنرال موشيه ديان شخصيًّا فى الوصول إلى معلومات هامة حول الطيران وشبكات الرادار الإسرائيلية .

كيف حدث ذلك ؟ ؟

أولا : ليس الجنرال ديان عميلا للمخابرات المصرية . وهذا شيء بديهى لأنه جزء من الجيش والدولة الإسرائيلية وبهما ارتبطت حياته وأمجاده التى كانت ! !

ثانياً : بدأت القصة بالاهتمام غير العادى من المخابرات المصرية بكل ما نشر وينشر داخل إسرائيل حول أهم وأتفه الموضوعات بلا تفرقة باعتبار المواد المنشورة مصدراً طيباً من مصادر المعلومات المتعددة .

والصلة بين موشيه ديان وهذا الاهتمام غير العادى من المخابرات المصرية بدأت حين ألقى – سيادته – بياناً وافياً أمام الكنيسيت عن إسقاط طائرة الركاب الليبية المدنية (التى أسقطتها مقاتلات الفانتوم قبل الحرب بحوالى سبعة شهور ، والتى أحدث إسقاطها ردود فعل عنيفة ضد بربرية إسرائيل) وكانت الطائرة قد انحرفت عن طريقها نتيجة خطأ ملاحى ، وظهرت على ارتفاع أربعة وعشرين ألف قدم فوق مستوطنة (تسيون) التى تقع غرب رأس سدر بمسافة اثنين وثلاثين ميلا بحرياً ، وكانت تطير بسرعة سبعمائة وخمسين كيلو متراً فى الساعة فى الاتجاه الشمالى الشرقى فى تمام الساعة الواحدة وأربع وخمسين دقيقة بعد ظهر الأربعاء ٢١ فبراير ١٩٧٣ .

وقال ديان فى بيانه إن الرادار الإسرائيلى أوضح الخط الملاحى للطائرة فى الساعة الواحدة وست وخمسين دقيقة بالضبط ، وأن الأوامر صدرت فى الواحدة وتسع وخمسين دقيقة لطائرتى فانتوم للحاق بطائرة الركاب ، وظلت الفانتوم تدور حول فريستها لمدة سبع

دقائق . ثم أطلقت النار وأسقطتها فى الساعة الثانية وإحدى عشرة دقيقة وكانت قد وصلت غرب (رفيديم) بمسافة خمسة وخمسين كيلو متراً ، أى على مسافة عشرين كيلو متراً شرق القناة .

وضع ضباط المخابرات المصريون هذا البيان الذى ألقاه ديان فى الكنيست على مائدة البحث والتشريح ، واستخلصوا من تلك الأرقام الغامضة أن الرادار الإسرائيلى يقضى دقيقتين فى تحديد مسار طائرة تسير بسرعة سبعمائة وخمسين كيلو متراً فى الساعة ، وأن قيادة سلاح الجو الإسرائيلى تصدر أوامرها بالإجراء المناسب بعد ثلاث دقائق كاملة .

ودخلت هذه المعلومات إلى مرحلة أخرى تتصل بالتطبيق فى المعارك الجوية .

هكذا قدم موشيه ديان خدمة ممتازه للمخابرات المصرية اليقظة دائماً . إذ أن هذه المعلومات أضيفت إلى المعلومات التى كانت تستخلصها المخابرات من مصادر أخرى (مثل العميل « فريد » وهو إمرأة فى الأربعين كانت تعمل فى القوات الجوية الإسرائيلية برتبة مساعد ، وقد أمدت المخابرات المصرية قبل لجوئها إلى القاهرة عن طريق قبرص . بأكثر من أربعمائة وثيقة هامة) .

ولذلك فإنه – على سبيل المثال أيضاً – كان جميع الطيارين المصريين يعرفون ويحفظون عن ظهر قلب كل شيء من محطات الرادار الإسرائيلية ابتداء من محطة « مار الياس » (١٤٧٢٢٤٨٠) (ثابتة للإنذار والتوجيه البحرى والجوى) والتى تقع فى أقصى الشمال ، وانتهاء بمحطة (جبل بعون) (١٦١٦٩٤٥٢) فى أقصى الجنوب .

وذلك طبعاً بالإضافة إلى القواعد الجوية بكل تفاصيلها ، والأهداف – الأخرى التى تم تحديدها فى مهام الطيارين المصريين ! !

النموذج الثانى :

آخر لقطة من الصورة : الزمان : الجمعة ٥ – أكتوبر ١٩٧٣ .

المكان : مسكن متواضع فى مدينة القنطرة شرق

ملامح الصورة : فى ذلك المسكن المتواضع فى مدينة القنطرة شرق ، كانت إحدى النوافذ مفتوحة على مصراعيها ، وفى مواجهتها على الضفة الغربية كانت عربة مدرعة مصرية تقف كأنها فى موقع حراسة عادية ، وتحت مدفع « الجرينوف » الذى يعلو الكابينة كان غطاء الفتحة اليمنى مرفوعاً بينما فتحة مدخل السائق محكمة الغطاء ، وكان

باستطاعة من يلقى نظرة من الجانب الشرقى أن يدرك من منظر هذه العربة التى تشبه ذئباً نائماً أن جنودها قد هجروها بسبب أو لآخر ، لكن الواقع أنه كان خلف الفتحة اليمنى عميل من المخابرات يتصل باللاسلكى بجهة ما ليخطرها عن حالة النافذة التى تواجهه فى ذلك المسكن فى القنطرة شرق .

لقد كان هناك فى هذا المسكن عميل بالغ الذكاء ، ابتكر وسيلة اتصال غريبة ، بأن قسم زجاج نافذة غرفة نومه إلى ثمانية مربعات متساوية . وألصق على كل مربع ورقة بلون مختلف ، وكان يقوم بتثبيت مصباح صغير خلف المربع الذى يريد له أن يضئ ، ولما كانت النافذة تُطل على الغرب فقد أمكن لذلك الجاثم فى العربة المدرعه أن يتبين بسهولة إذا كان الضوء ينبعث من المربع رقم (١) أو المربع رقم (٨) . لقد كان كل مربع من هذه المربعات رمزاً لدرجة الاستعداد فى القوات الإسرائيلية .

وقد استمر هذا العميل يمارس عمله الخطير منذ سنوات ، حتى كان هذا اليوم - ٥ / ١٠ / ١٩٧٣ حين ظلت النافذة مفتوحة بصفة دائمة ، ليدلى هذا الجهاز الغريب لنقل الشفرة بمعلومة على جانب كبير من الأهمية ، والخطورة .

وقد انتهى دور هذا العميل - مؤقتاً - فى الساعة الثانية من ثالث أيام القتال بعد أن تم تحرير القنطرة تماماً وانتقل الرجل إلى مكان ما فى القاهرة .

. . . .

. . تلك بعض الأعمال والنماذج السريعة لما قامت به المخابرات المصرية فى حرب « الطوفان » كما سجلتها بعض الملفات التى أمكن الاطلاع عليها . أما الآن . . فنقرأ معاً ما كتبه إيتان هبر المحرر العسكرى لصحيفة يد يعوت أحرونوت فى ٢٥ / ٦ / ١٩٧٤ عن المخابرات المصرية والإسرائيلية :

. . . .

. . . بالإضافة إلى المفاجأة الكبرى - وهى اندلاع الحرب ، أوقع المصريون الجيش الإسرائيلى بمفاجآت أخرى وقد اتضح فور نشوب القتال أن المصريين تصنتوا على المحادثات التى كانت تدور بين القيادات الإسرائيلية فى صحراء سيناء فهاجموا الوحدات الإسرائيلية بنيران المدفعية وبالطائرات بعد التأكد مما يجرى بين القيادات الإسرائيلية فى سيناء من واقع الأحاديث التى كانوا يستمعون إليها .

وحتى قبل إطلاق الرصاصة الأولى فى الحرب قامت المخابرات المصرية بعمل لم يسبق

له مثيل فى حجمه حيث أقامت وحدات استماع ومتابعة ، وكان واضحاً أن هذه المخابرات استطاعت تغطية الوحدات الإسرائيلية سواء كانت على الجبهة أم فى المؤخرة بوحدات مصرية للاستماع والمتابعة ، فكان لكل وحدة إسرائيلية وحدة مصرية على الجانب الآخر ، تتصنت عليها وتتابعها : وهى عملية لم يعرفها الشرق الأوسط من قبل .

وقد اتضح – مثلا – بعد أيام قليلة من القتال فى حرب الغفران ، أنه لدى المصريين خريطة إسرائيلية موضح عليها مناطق وأماكن بأسماء كودية وهى خريطة (سيريوس) .

وهكذا بواسطة رجال المخابرات المتحدثين بالعبرية استطاع القادة المصريون متابعة الخطوات العسكرية الإسرائيلية ، فعرفت المخابرات المصرية الأسماء الكودية الإسرائيلية لمناطق خطوط الجبهة مثل (طرطور) و (لكسيكون) و (عخبيش) و (متسمد) .

فكيف وصلت خريطة سيريوس إلى أيدى المصريين ؟

بالتأكيد لن تعرف الإجابة إلى الأبد !

إن حرب الغفران التى ابتدأت بالقصف من الطائرات وبنيران المدفعية والعبور الجماعى قد كشفت عن حرب أخرى هى (حرب العقول) حرب عقول المخابرات من كلا جانبى الحدود غير المرتبطة بتحركات قوات فقط ، ولم ولن يكف أى طرف منها عن العمل .

. . . .

« قرود على الأبراج »

ويستطرد الكاتب الإسرائيلى قائلا :

منذ أكثر من أربعة أعوام أوقف الجيشان – عبر ضفتى قناة السويس – إطلاق النار ، بينما استمرت حرب المخابرات بلا توقف من خلال استخدام أحدث الوسائل التكنولوجية ومن طبيعة الأشياء أن تدور هذه الحرب وراء ستار من السرية .

والحقيقة التى يجب أن نعترف بها – وإن كانت مؤلمة – هى أن الجندى المصرى قد سجل لصالحه نجاحاً مذهلا . عندما نجح فى مفاجأة جيش الدفاع الإسرائيلى ودولة إسرائيل كلها ، بعد أن استطاع المحافظة بسرية كاملة على استعداداته وأخفاها عن الآخرين . وهو ما نسميه عندنا فى جيش الدفاع الإسرائيلى ، بالجهد المانع فى مجال الأمن الميدانى .

ولا بد من أن تنشر فى السنوات القريبة القادمة تفاصيل أكثر عن عمليات التضليل المصرية السورية التى أربكت وجمدت أجهزة المخابرات الإسرائيلية والأمريكية على السواء .

والحقائق التى تكشفت عن حرب يوم الغفران واضحة ، فمنذ أن توقف القتال فى حرب الأيام الستة (يونية ١٩٦٧) بدأ مستوى المخابرات المصرية يتحسن تدريجياً بعد أن أجرى تغيير وتنظيم كامل فيها حتى أنه فى حرب الاستنزاف بين إسرائيل ومصر فى صيف ١٩٧٠ كان واضحاً أن هناك تحسناً ملحوظاً فى عمل المخابرات المصرية حيث مكنها من الوصول إلى ما وصلت إليه فى حرب الغفران ، فقد أقام هذا الجهاز لنفسه شبكة واسعة من مصادر الجمع والكشف والتصنت لم يسبق لها مثيل فى منطقة الشرق الأوسط على الإطلاق .

وتعمل المخابرات الإسرائيلية الآن جاهدة على تفهم أساليب عمل المخابرات المصرية .

فبعد حرب يونية ١٩٦٧ ، وحتى قبل ابتداء حرب الاستنزاف ، أقام المصريون سلسلة من أبراج المراقبة على طول خط قناة السويس من بورسعيد فى الشمال وحتى بور توفيق فى الجنوب . وكان استخدام هذه الأبراج بعد كل توقف لإطلاق النار حيث كان من السهل رؤية رجل المراقبة أو القرود كما أطلق عليهم رجال جيش الدفاع الإسرائيلى . وقد كون العدد الكبير لهؤلاء القرود فوق أبراج المراقبـة — كون مع الوقت — صورة واسعة وشاملة لقوات جيش الدفاع الإسرائيلى لأماكنه ونقاطه على خط القناة فلقد عرفوا تقريباً وبالدقة ماذا يوجد فى كل نقطة حصينة ، ووضحوا كل موقع لإطلاق النار من الدبابات وكل طريق تسلكه هذه الدبابات ، كما عرفوا سير التدريبات والاستعدادات لجيش الدفاع الإسرائيلى .

ومن أبراج المراقبة هذه استطاعت المخابرات المصرية أن تعرف أيضاً الطرق التى يمكن الوصول منها لقوات معاونة إلى مواقعنا على القناة ، وكم تحتاج إليه الدبابة لكى تصل إلى المرابض الخاصة بها .

وهكذا حدث فى ظهيرة ٦ أكتوبر ١٩٧٣ عندما ابتدأت الحرب ، أن عرفت كل قوة مصرية إلى أين ستصل ، وماذا تعمل لكى تمنع وصول قوة معاونة إسرائيلية .

بعد ذلك ينتقل إيتان هير إلى تحرك المخابرات المصرية فى العمق الإسرائيلى فيقول :

وبالنسبة لمعرفة ما يجرى فى العمق ، كان على المصريين أن يقوموا بطلعات جوية للتصوير ، ومنذ وقف إطلاق النار فى ١٩٧٠ قام المصريون بطلعات استطلاعية لتصوير المواقع والوحدات الخلفية من على بعد من القناة . وكانت الطائرات تقوم بعملها هذا من على ارتفاع منخفض ، وقد صورت فى بعض الأحيان خلايا صغيرة . هذا ولم يكن بالإمكان منع هذه الطلعات .

الاستماع : كذلك طور المصريون فى السنوات الأخيرة وسائل الاستماع العديدة وقد تعلم المصريون اللغة العبرية ليكون استماعهم مفيداً ، وقد استفاد المصريون فى أيام الحرب من وسائل الاستماع ، حتى أن الكثير من قادة إسرائيل ذكروا أنه بعد وقت قصير جداً من أى اتصال لاسلكى كانوا يُهاجَمون بنيران المدفعية وهذا يؤكد تماماً أن المخابرات المصرية استفادت فى ذلك من وحدات الاستماع التى أقامتها على الجبهة .

المعلومات المنشورة

بعد حرب الأيام السته قام المصريون بجهد كبير لجمع كل المواد المنشورة عن إسرائيل وقد استفادت المخابرات المصرية بدون شك من الصحف والمجلات الإسرائيلية . واتضح أن رجال المخابرات فى مصر كانوا يهتمون بكل شيء ويجمعون عنه مواد دسمة (من خلال الصحف والإذاعة والتليفزيون) بل إنهم اهتموا أيضاً بالإعلانات والمنشورات والمعلومات التى قد لا تهم المواطن الإسرائيلى كثيراً ، مثل نقاش فى الكنيست أو تقرير مفتش الدولة .

وقد ظهر نجاحهم فى إعداد ملفات لكل الضباط الكبار فى جيش الدفاع الإسرائيلى فيمكنك أن تقرأ عندهم الكثير عن أى ضابط ابتداء من اللواء (يعقوب دورى المرحوم) ، أو العميد (جدعون شيكون) وما إلى ذلك من حاخامات عسكريين ومتحدثين عسكريين وقادة جدناع . إن لدى المخابرات المصرية معلومات كاملة عن كل هؤلاء (تتضمن تفاصيل تاريخ حياة كل منهم وصوراً مختلفة له) » .

عملاء : أكثر المصريون قبل حرب الغفران من استخدام عملاء مخابرات لهم من بين البدو الذين يعيشون فى صحراء سيناء ، وقد زودوا بعضهم بكاميرات – وأجهزة اتصال دقيقة . كما أن المخابرات المصرية استخدمت عدداً من الطلبة العرب من قطاع

غزة القادمين إلى الجامعات المصرية للدراسة .

كما عملت المخابرات المصرية على الاستفادة من مصادر تعمل فى البعثات والسفارات الشرقية فى إسرائيل .

التحليل : استثماراً للمعلومات التى كانت تجمعها المخابرات المصرية من هذه المصادر المتعددة المتنوعة ، كان يتم نقلها على الفور إلى الخلف لدراستها وتحليلها . مستفيدة فى نفس الوقت من مؤسسات علمية كمركز الدراسات الفلسطينية فى الأهرام ومعهد الدراسات الفلسطينية فى بيروت .

. . . .

. . . .

وتهاوت قلاع السرية الإسرائيلية :

إن قلاع السرية لجيش الدفاع الإسرائيلى قد تهاوت وأهدرت فى حرب يوم الغفران كما لم يحدث من قبل .

وقد تكشف المزيد من أسرار جيشنا بعد أن وقع عدد كبير من جنودنا فى الأسر المصرى والسورى ، وبعد أن وقعت وثائق ومعدات حربية كثيرة بأيدى المصريين والسوريين ، وتسربت معلومات دسمة عن أجهزة الاتصال .

إن هذه الحرب مستمرة ، ولن تتوقف للحظة واحدة فهذه حرب عقول لا تعرف الليل أو النهار ! !

. . . .

. . . .

وقال رجلا المخابرات الإسرائيلية

لقد تمكنت المخابرات المصرية من أن تحصل على تفاصيل الخطة الإسرائيلية المضادة لأى هجوم مصرى ، بل إن الخطة التى وضعتها القيادة الإسرائيلية لعبور القناة إلى الغرب بواسطة فرقة الجنرال شارون والتى تم إعدادها فى شهر مايو ١٩٧٣ – هذه الخطة – ثبت أن المخابرات الحربية المصرية استطاعت أن تحصل عليها . وتوقعت تنفيذها عند منطقة الدفرسوار ، وتم تحصين هــذه المنطقة (طوال الأيام الأولى للحرب) بكثافة ضخمة من القوات المصرية .

وأكثر من هذا نجحت المخابرات المصرية فى الحصول على الخريطة الكودية (خريطة بالشفرة السرية) لسيناء بما فى ذلك منطقة القناة والضفة الغربية ،وكانت القيادة الإسرائيلية قد طبعت تسع نسخ فقط من هذه الخريطة عام ١٩٧٣ ووضحت عليها جميع الأسماء السرية لشبكة الاتصالات الإسرائيلية وقام المصريون بترجمة ذلك كله إلى اللغة العربية ، مما يؤكد أن خطة تأمين وسائل الاتصال والإشارة الإسرائيلية كانت فاشلة تماماً خلال حرب أكتوبر الأمر الذى أدى إلى عديد من الأخطــاء المــأساوية .

ولقد كان أحد هذه الأخطاء وراء واقعة مصرع الميجور جنرال « ألبرت ماندلر » قائد المدرعات الإسرائيلية فى سيناء[1] الذى تلقى قذيفة مباشرة بمجرد أن ذكر لجونين الإسم الكودى للمكان الموجود فيه » .

(توقيع)
الجنرال حاييم هيرتسوج
مدير المخابرات الإسرائيلية السابق

---

(١) تفاصيل هذه الواقعة فى الصفحات الخاصة بمصرع ماندلر ضمن فصل (أوراق القوات الإسرائيلية)

« إن الجيش الإسرائيلى ، وقعت عليه الحرب كالمفاجأة ، وإننى كنت طوال سنوات خدمتى فى المخابرات ، يؤرقنى هذا الكابوس ، وقد حذرت دائماً من استخدام عنصر المفاجأة ضدنا ، وطالبت أكثر من مرة بوجوب قيام مخابراتنا بتحذير الجيش - بمده كافية - عند شعورها بأى تحرك مصرى ، حتى لا يحدث مثل ما حدث من تشويش وارتباك فى كل إجراءات استدعاء الاحتياط وإرسال القوات والمعدات إلى الجبهة » .

(توقيع)
أهارون باريف
رئيس المخابرات ثم وزير الإعلام الإسرائيلى السابق

تعقيب :

عندما اعتزل الجنرال أهارون باريف منصبه كرئيس شعبة الاستخبارات العسكرية (قبل الحرب) أجرى معه مذيع من محطة إذاعة الجيش الإسرائيلى ، مقابلة أذيعت بعد ذلك بساعات وقد دارت هذه المقابلة الإذاعية كالتالى :

المذيع : هل تعرف نحن عن العرب أكثر مما يعرفون ؟

باريف : نعم ، بالتأكيد .

المذيع : زعم بعض محررى الصحف الهامة فى الخارج أنه لوحظ - بحسب اعتقادهم - وهن فى أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية . ما قولك فى ذلك ؟

باريف : أقول إنه علينا أن نثق بأجهزتنا ، وألا نكترث أكثر من اللازم بما تقوله الصحف فى الخارج .

. . . .

. . . .

(٢)

السلاح الذى أفقد إسرائيل توازنها

فى أحد أيام عام ١٩٦٩ أجرى محرر صحيفة ألمانية حديثاً مع وزير الدفاع الإسرائيلى موشيه ديان ، سأله فيه « هل يستطيع المصريون إنزال هزيمة بالجيش الإسرائيلى فى حرب قادمة ؟ » فضحك ديان ملء شدقيه وقال . .

« مستحيل بالطبع . . إنهم فقط ربما يحاربون أفضل لو استعانوا بطيارين ألمـان » .

واندلعت شرارة حرب أكتوبر دون أن تستعين مصر بطيارين ألمان ، أو أمريكيين « فماذا فعل الطيارون المصريون » ؟ .

* * *

قام السلاح الجوى المصرى فى الساعة الثانية وخمس دقائق من بعد ظهر السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ بتنفيذ الضربة الجوية الأولى إيذاناً ببدء القتال .

ولقد كان نجاح هذه الضربة إعلاناً عن نجاح خطة المفاجأة المصرية كما أنها أسفرت عن فقدان العـــدو لتوازنه ، وتخبط وارتباك قيادته فى إصدار القرارات .

وقد اشترك فى هذه الضربة ، كما سبق أن أشرنا – أكثر من ٢٢٠ طائرة ما بين قاذفة وقاذفة متوسطة ومقاتله ، وقد طارت تشكيلات الطائرات فى هذه الضربة على ارتفاعات منخفضة جداً فكانت تبدو كأنها ستلامس الساتر الترابى على جانبى القناة .

وقد بدأ التمهيد النيرانى للمدفعية بعد بدء الضربة الجوية بخمس دقائق ولذلك كانت عودة الطائرات بعد قصف الأهداف مهمة صعبة تم التنسيق لها مع قيادة الدفاع الجوى ، ذلك أن الوقت بين دور كل طائرة وأخرى عبر ممرات محددة لم يكن يتجاوز بضع ثوان .

والنتيجة العامة للضربة الجوية هى أنها نجحت بنسبة ٩٨٪ وليس بنسبة ٢٥٪ كما توقع الخبراء السوفييت ولم يفقد السلاح الجوى المصرى فى هذه الضربة التى قام بها سوى طائرة واحدة فقط وليس ٣٥٪ من مجموعة الطائرات التى قامت بهذه الضربة وكان الخبراء السوفييت قد توقعوا ذلك .

وقد حققت الضربة النتائج المحددة التالية :

١ – شل ٣ ممرات فى مطارات العدو الرئيسية فى سيناء (مجموع زنة القنابل التى ألقيت على مطار المليز مثلا ٦٠ طنًا) .

٢ – شل ٣ ممرات فرعية .

٣ – إسكات ١٢ موقع مدفعية صواريخ هوك .

٤ – إسكات (٢) موقع مدفعية ميدان .

٥ – تدمير (٢) مركز قيادة رئيسى أحدهما مركز أم مرجم .

٦ – إسكات (١) مركز إرسال .

٧ – تدمير (٢) موقع رادار .

٨ – تدمير مركز الإعاقة والشوشرة الرئيسى (مركز أم خشيب) وكان يحوى أحدث الأجهزة الإلكترونية فى العالم ويشكل خطراً على الاتصالات بين القوات المصرية .

ومن الناحية المعنوية فالمؤكد أن الضربة الجوية الأولى أحدثت شرخاً فى الروح المعنوية للجنود الإسرائيليين حينما رأوا فجأة السماء وقد غطتها الطائرات المصرية المندفعة من الغرب لتنقض على مواقعهم فى سيناء كما أن تدمير مراكز القيادة ومركز الإعاقة والشوشرة قد أحدث ارتباكاً بالغاً فى صفوف القيادة .

ومن جهة أخرى فإن الروح المعنوية للمقاتلين المصريين قد ارتفعت تماماً حينما رأوا طائرات سلاحهم الجوى مندفعة نحو الشرق لتوجيه الضربة الأولى – وقد زاد من حماس المقاتلين أن الطيارين فى طريق عودتهم بعد تنفيذ مهمتهم . أخذوا يهزون أجنحة الطائرات تحية لهم وتعبيراً عن نجاحهم فى ضرب الأهداف الإسرائيلية .

. . . .

. . . .

هذا . . وقد واصل السلاح الجوى تنفيذ مهامه التى تلت الضربة الجوية الأولى الناجحة تماماً ، فقام بمساندة القوات البرية وحماية عملية العبور ، وإبرار قوات الصاعقة خلف خطوط العدو ، والتصدى مع الدفاع الجوى لطائرات العدو التى حاولت الإغارة على المطارات والحشود المصرية . . ثم قامت الطائرات المصرية بدور آخر لا يقل خطورة عن الضربة الجوية الأولى ، وهو ضرب القوات الإسرائيلية فى الثغرة والتصدى للطائرات

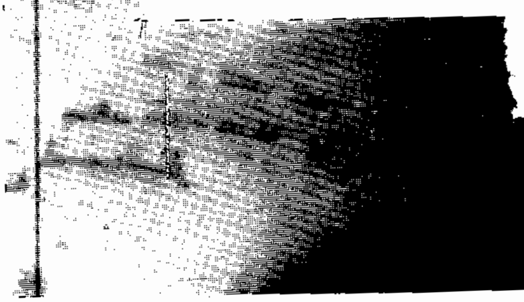

الفريق حسنى مبارك الذى قاد القوات الجوية المصرية قبل وأثناء الحرب وصورة نادرة للضربة الجوية الأولى ، يظهر فيها آثار تدمير مواقع صواريخ هـوك

ء محمود شاكر ، أحد أبطال الطيران ، وقائد القوات
ية بعد تعيين الفريق حسنى مبارك نائباً لرئيس الجمهورية
رة تظهر فيها طائرة ميراج وهى تدخل « دائرة الموت »
دائرة تنشين الطيار المصرى الذى كان يقود ميج ١٧

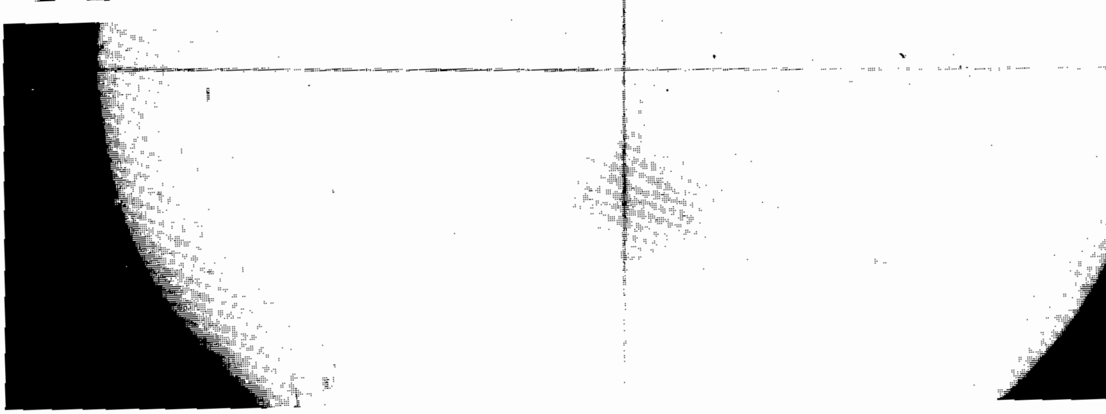

الفانتوم والميراج خاصة بعد أن أسكتت بعض مواقع الدفاع الجوى فى منطقة الثغرة .

. . . .

وإننى إذ أقرر حقيقة واقعة وهى أن محاولة إعطاء صور للبطولات التى قام بها الطيارون المصريون أمر يحتاج لكتاب بل كتب مستقلة ، فإننى سأحاول تقديم أمثلة محدودة دون التقيد بتمثيل مختلف أنواع الطائرات . وقبل أن نصل إلى هذه الصور نتوقف أمام بعض الحقائق التى سجلها التاريخ باسم الطيران المصرى ، وكما حددها الفريق حسنى مبارك (قائد القوات الجوية أثناء الحرب ونائب رئيس الجمهورية بعد ذلك) .

. . . .

١ - ثمة فارق شاسع بين الضربة الجوية الإسرائيلية فى يونية ١٩٦٧ ، والضربة الجوية المصرية فى أكتوبر ١٩٧٣ ، حيث كانت ضربتهم فى يونية لأهداف سهلة ومكشوفة لا تحميها حتى أجهزة رادار حديثة أو وسائل دفاع جوى متقدمة .

أما الضربة الجوية المصرية فى أكتوبر ١٩٧٣ فتختلف تماماً ، فقد كانت عند الإسرائيليين شبكات من الرادار تغطى سيناء والمطارات الإسرائيلية فى العمق ، وكانت هناك مظلة من الفانتوم والميراج تعمل ليلا ونهاراً وكان لديهم حائط من الصواريخ المتطوره على طول خط بارليف ، بالإضافة إلى القمر الصناعى الأمريكى الذى كان يمدهم بكل المعلومات نتيجة رصده لحركة الطيران والقوات المصرية المختلفة .

٢ - كان الوقت المحدد لإعادة التموين بالوقود (١٤) دقيقة ، ولكن أثناء المعركة تم اختصار هذا الوقت إلى (٦) دقائق فقط ، وقد كان الإسرائيليون يتباهون بأنهم ينفذونها فى (٨) دقائق .

٣ - ضرب رجال الخدمة الأرضية والصيانة أرقاماً قياسية فى أعمالهم المختلفة مثل إعادة تموين الطائرات وملئها بالذخيرة .

٤ - فى مساندتها للقوات البرية قامت الطائرات المصرية بضرب تجمعات وطوابير المدرعات الإسرائيلية ، وكانت من أجل ذلك تنخفض إلى مستوى قريب حتى لتكاد تلامس الأرض ، وكانت الحصيلة النهائية أن مجموع ما دمرته الطائرات من المدرعات والدبابات الإسرائيلية يصل إلى ٤٣٠ دبابة ، ومدرعة .

٥ - فى معركة كبيرة بين الطائرات المصرية والطائرات الإسرائيلية فوق الدلتا استمرت ٤٠ دقيقة أسقط للعدو ١٨ طائرة ولم يسقط لنا سوى طائرة واحدة .

٦ – وقعت معركة جوية أخرى فوق شمال الدلتا اشترك فيها حوالى ٧٠ طائرة مصرية ضد عدد مشابه من طائرات العدو الفانتوم والميراج وقد استغرقت المعركة ٥٠ دقيقة تم فيها إسقاط عدد كبير من الطائرات الإسرائيلية . وقد أسقط طيار مصرى واحد خمس طائرات فانتوم فى هذه المعركة .

٧ – لم يتعطل مطار مصرى واحد طوال الحرب (أكثر من ست ساعات) برغم محاولات الطيران الإسرائيلى المستميتة لتحقيق ذلك .

٨ – تمكن الطيار المصرى – قائد الميج١٧ – من إسقاط الطائرة الفانتوم برغم الفارق الرهيب بين إمكانية الطائرة المصرية والطائرة الإسرائيلية المتقدمة جداً .

٩ – لأول مرة فى التاريخ تسقط طائرة هليوكوبتر طائرة مقاتلة . بل ومن طراز فانتوم .

١٠– نجح بعض الطيارين فى إسقاط أربع وخمس طائرات معادية فى طلعة واحدة .

١١– فى الأيام الثلاثة الأولى للثغرة قامت الطائرات المصرية بثلاثة آلاف طلعة قتال فوق منطقة الدفرسوار وقد اشتركت فى هذه الطلعات جميع أنواع الطائرات حتى طائرة التدريب .

١٢– كرر كثير من الطيارين المصريين الطلعات فى اليوم الواحد حتى قام بعضهم بست وسبع طلعات يومياً .

والمعروف أن الرقم القياسى العالمى لا يزيد عن أربع طلعات فقط .

١٣– قام الفنيون المصريون بتطوير الطائرة المقاتلة الاعتراضية الميج ٢١ وجعلوها مقاتلة قاذفة ، لتعويض النقص فى القاذفات ولمواجهة السيل المتدفق على إسرائيل من الفانتوم والسكاى هوك .

١٤– حقق مهندسو المطارات سرعة عالية فى إصلاح الممرات وردم الحفر وتطهيرها من القنابل بكفاءة مذهلة .

١٥– واصل مهندسو وفنيو المطارات الليل بالنهار فى حماس مذهل لإصلاح الطائرات ورفع كفاءتها بحيث لم تتعطل طلعات العمليات فى أى وقت بسبب عدم صلاحية الطائرات .

١٦– انخفض زمن إقلاع طائرات فى حالة الاستعداد الأولى إلى دقيقتين فقط .

١٧– كان تدمير الهدف المعادى لا يستلزم من الطيار غير هجمة واحدة أو اثنتين لا أكثر.

. . . .

وقائع . . وصور من ملفات الطيارين المصريين

هذا المركز الذى يحصى الأفكار فى رأس (. . ! !)

بعد سنة ١٩٦٧ أنشأ الإسرائيليون فى سيناء مركزاً استطلاعياً على جبل أم خشيب وقد بلغ من دقة هذا المركز وآلاته الإلكترونية المتطورة جداً أن أحد القادة الإسرائيليين قال فى وصفه :

« صحيح أن موسى وحده هو الذى تكلم مع الله ، أما الآن فلا أحد يستطيع ذلك . . ولكن عن طريق الأجهزة الموجودة فى أم خشيب نستطيع أن نحصى الأفكار الموجودة فى رأس الله . . »

. . . .

. . . .

إلى هذا الحد كان مركز أم خشيب بالغ الخطورة والأهمية ، إلى هذا الحد كان الإسرائيليون يطمئنون إلى ما يفعله وسيفعله مركز أم خشيب .

ولذلك . . كان لابد أن تعمل القيادة المصرية حساب هذا المركز فى الضربة الجوية الأولى . . وكانت المهمة الخطيرة من نصيب الطيار المقاتل شريف الذى قال لى :

« بوصول تشكيلنا إلى الموقع فى الثانية وبضع دقائق من ظهر السبت ١٩٧٣/١٠/٦ فوجئت بأن عدد الهوائيات المنتشرة فى المركز يفوق الحصر مما أكد لنا خطورة هذا المركز. وقد قمت أنا وتشكيلى على الفور بالانقضاض وإلقاء جميع حمولات طائراتنا الميج ١٧ . . وكانت الدفاعات الجوية الكثيفة حول الموقع قد بدأت تقاومنا فى ارتباك شديد . كان علينا أن نتفادى قذائف المدفعية المضادة للطائرات والصواريخ هوك وأيضاً الطائرات الفانتوم والميراج .

وقد أدى إصرارنا على تدمير المركز إلى مزيد من الارتباك فى صفوف العدو خاصة عندما اشتبكت مع إحدى طائراته الفانتوم التى حاولت منعنا من تدميره وأسقطتها فوق تحصيناته . .

. . . ولعل أكبر دليل على ارتباك الإسرائيليين واستماتتهم فى حماية هذا المركز أنهم أطلقوا صواريخهم دون تفرقة بين طائراتنا وطائراتهم . . وقد انتهت الغارة . . بعد أن وفقنا الله إلى تحقيق النتائج التالية :

١ - تدمير مركز أم خشيب وتعطيله تماماً (لم يعمل إطلاقاً أيام الحرب وقد نقلوا نشاطهم إلى مركز آخر بعيد فى العريش لم يستطع تعويض هذا المركز) .

٢ - إسقاط عدد من الطائرات الفانتوم والميراج .

٣ - تدمير قواعد الصواريخ المحيطة بالمركز » .

. . . .

ضرب طائرات إسرائيلية على الأرض وليصبح الرد خالصاً . .

برغم الفوارق الهائلة بين ظروف الضربة الجوية الأولى التى قامت بها الطائرات المصرية فى أكتوبر ١٩٧٣ ، والضربة الجوية الإسرائيلية فى يونيو ١٩٦٧ ، فإن الطيار المصرى تمكن فى ١٩٧٣ من ضرب عدد من الطائرات الإسرائيلية على الأرض وكأنه كان بذلك يرد على ما فعلته الطائرات الإسرائيلية فى يونيو ١٩٦٧ .

والقصة بطلها الطيار الشهيد صبحى الشيخ الذى كان قائداً لسرب ميج ٢١ وكان مكلفاً بضرب مطار رأس نصرانى وقد أندفع التشكيل إلى مهمته فى ساعة الصفر للضربة الجوية الأولى ، وتم تحقيق المهمة لكن طائرته أصيبت فى نفس اللحظة ، وكان يستطيع القفز بالمظلة والنجاة بنفسه ، لكنه لمح ثلاث طائرات فانتوم إسرائيلية تخرج من دشمتها الثلاثية لتستعد لاعتراض أو بالتحديد لمطاردة الطائرات المصرية التى هاجمت المطار. وهنا قرر الطيار صبحى الشيخ أن يحول طائرته إلى قنبلة (بشرية) يضرب بها الطائرات الفانتوم الثلاث وهى ما زالت على الأرض. فصاح فى اللاسلكى رداً على زملائه الذين أخذوا ينادون عليه محذرين إياه من أن طائرته ستنفجر ، صاح قائلاً« الله أكبر . . تحيا مصر» ثم انقض بالطائرة وسط الطائرات الثلاث فانفجرت طائرته وتوالى معها انفجار الطائرات الفانتوم التى كان لانفجار قنابلها وذخيرتها دوى رهيب . . وقد أضاف هذا الانفجار تدميراً جديداً للمطار هو الآخر .

وبذلك استشهد الطيار صبحى الشيخ بعد أن حقق التالى :

- ضرب وتدمير المطار الإسرائيلى (رأس نصرانى)
- تدمير ثلاث طائرات فانتوم (قبل أن تقلع بثوان معدودات)
- قتل الطيارين الستة الذين كانوا فى هذه الطائرات
- قتل وإصابة عدد غير محدد من جنود وضباط المطار .

* * *

الميج ١٧ تسقط الميراج إلى جانب الفانتوم :

ليس هناك مجال للمقارنة على الإطلاق بين إمكانيات الميج ١٧ والفانتوم . . فالأولى تعتبر بالنسبة للثانية نوعاً بدائياً من الطائرات . . ومع ذلك فقد استطاع الطيارون المصريون - بالميج ١٧ - أن يحققوا إنجازات كبيرة ، ثم كانت قمة تفوقهم حين اشتبكوا مع الطائرات الفانتوم الإسرائيلية ، وتمكن بعضهم من إسقاط هذه الطائرات .

وقد التقيت فى إحدى القواعد الجوية بواحد من هؤلاء الطيارين وهو الطيار الشاب (نقولا) . . الذى استعاد بعض ذكرياته عن المعارك الجوية التى خاضها والأهداف التى حققها هو وزملاؤه . .

. . وقال لى :

- « فى الساعة ٢,٠٥ يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ كنا فوق موقع صواريخ هوك فى (أبو سمارة) شمال سيناء .

بعد وصولنا (المنطقة الميتة للموقع) أطلق الإسرائيليون صواريخهم علينا ، وقد ساعدنا ذلك فى تحديد مكان الموقع الحقيقى بين المواقع الهيكلية .

وكنت قد تأخرت قليلاً وراء التشكيل الذى أعمل معه نظراً لأننى بعد إقلاعى ، وعندما بدأت أرفع العجل ، فوجئت بأنه لم يرتفع ، وكان الحل الطبيعى أن أعود إلى قاعدتى أو أبلغ قاعدتى فى اللاسلكى ولكن نظراً للأوامر بعدم التحدث فى اللاسلكى (ضماناً للسرية والمفاجأة) . ولما كنت مصمماً على عدم العودة قبل مشاركة زملائى فى الضربة الأولى ، فقد واصلت الطيران خلف التشكيل الذى سبقنى بحوالى ٣ أو ٤ كم ، وبمجرد أن رأيت زملائى ينقضون على الهدف اشتعل حماسى أكثر واندفعت نحو الموقع وقد أتاح لى تأخرى تلك الثوانى أن أرى نتائج ضرب زملائى للموقع الذى تم إسكاته تماماً .

والطريف أننى عندما عدت إلى قاعدتى . فوجئت بزملائى وقد انفعلوا عندما رأونى لأنهم توقعوا أننى قد سقطت بعد أن شاهدونى وأنا أطير على ارتفاع أقل من ٥ أمتار تقريباً نتيجة للعطل الذى حدث فى الطائرة .

هذا وقد اشتركت بعد ذلك فى ضرب المستودع الرئيسى للبترول فى شمال رمانة ، كما قام تشكيلنا بضرب مدرعات العدو على الساحل الشمالى ، وما زلت أذكر منظر الجنود الإسرائيليين وقد تركوا دباباتهم المشتعلة وأخذوا يركضون هنا وهناك فى ذعر تام .

وقد هبطت أنا وزميلى (. .) بطائرتينا إلى ارتفاع منخفض فوقهم تماماً مما أثار رعبهم فأخذوا يلقون بأنفسهم على الأرض ويدفنون وجوههم فى الرمال .

أما المعركة التى قمت فيها بإسقاط طائرة ميراج . . فقد حدثت يوم ١٦ / ١٠ / ١٩٧٣ حينما كان تشكيلنا مكلفاً بضرب مدرعات العدو المتقدمة على الطريق الأوسط (لعمل الثغرة) وقد بدأت الطلعة فى الساعة ١٠,٤٥ صباحاً ، وكنا ٨ طائرات فقط ، وتصدى لنا ٢٤ طائرة معادية . وقد أبلغنا قائد التشكيل بأن توجه حمولاتنا فوق أرتال العدو المدرعة ، ثم نشتبك مع طائراته . . وبالرغم من عدم التكافؤ بين طائراتنا وهذه الطائرات المعادية بالإضافة إلى التفوق العددى الذى كان فى صالحهم فإننا استطعنا القيام بمناورات سريعة ، وأسقط زميلى (إيهاب) أول طائرة لهم ، وأسقطت أنا طائرة قائد تشكيلهم . وتخلصنا من المعركة دون أن تسقط لنا طائرة واحدة . هذا ولم تحاول الطائرات المعادية الدخول وراءنا إلى غرب القناة لأن الطيارين كانوا من جنوب أفريقيا كما أظهرت علامة السلاح الخاصة بدولتهم » .

. . . .

* **هو يقود هليوكبتر**
* **وهما يقودان الفانتوم**
* **أى الطرفين يضرب الآخر ؟**

لو وضعت هذه المعادلة البسيطة أمام أى طفل لقال بغير تردد : « مسكين طيار الهليوكبتر . إن طيارى الفانتوم سيلعبان به كما تلعب القطة بالفأر الصغير ثم تلتهمه » .

ولو أضيفت إلى طرفى المعادلة معلومات أخرى تمثل الثقة الهائلة التى يشعر بها الطيارون الإسرائيليون فى أنفسهم وفى طائراتهم ثم السمعة الدولية التى يحظون بها منذ يونية ١٩٦٧

فى مقابل الصورة المهزوزة للطيار المصرى - أيضاً منذ يونية ١٩٦٧ - حيث كان الطيارون المصريون ضحايا النكسة فلحقت بهم كل الإساءات وسوء التقدير .

لو أضيفت هذه المعلومات إلى طرفى المعادلة ثم وضعت من جديد أمام ذلك الطفل ليستنتج أى الطرفين فى هذه المعركة يدمر الآخر ، فإنه أغلب الظن سوف يبتسم ويرفض الإجابة لأن السؤال فى هذه الحالة يعد استهانة بعقله فحين ينعدم التكافؤ بهذا الشكل يصبح الاستنتاج تحصيل حاصل .

ومع ذلك حدث ما لا يتوقعه أحد . .

وقام الطيار المصرى بما لم يسبقه إليه طيار آخر فى العالم .

. . . ونقرأ القصة المثيرة من أولها :

كان ذلك فى أول أيام الحرب (١٩٧٣/١٠/٦) حين اجتاز تشكيل من طائرات الهليوكبتر المصرية قناة السويس ليقوم بإبرار مجموعات من رجال الصاعقة فى عمق سيناء وخلف خطوط العدو . وظهرت على الفور طائرات الفانتوم الإسرائيلية التى كانت تبحث كالمسعورة عن أى طائرة هليوكبتر مصرية . لأن معنى وجودها إبرار وحدات من رجال الصاعقة الذين ينتشرون على الفور ويوجهون ضرباتهم الخاطفة المدمرة لخطوط العدو ومواقعه فى العمق .

كان عدد الطائرات الفانتوم ثمانى طائرات . وكان تشكيل الهليوكبتر مكوناً من أربع طائرات فقط .

استطاع الطيارون المصريون أن يقوموا بعدة مناورات أفلتوا بعدها من حصار الطائرات الفانتوم ، وتمكنوا من إبرار رجال الصاعقة ومعداتهم فى أماكن قريبة من المناطق المحددة .

وبدأت رحلة العودة . .

لكن الطائرات الإسرائيلية - وقد أشعل الغضب حماس طياريها - سارعت بمطاردة الهليوكبتر قبل أن تعود إلى مواقعها غرب القناة .

وكان التفوق الساحق فى الإمكانيات والتجهيزات يؤكد أن المعركة لن تستغرق أكثر من دقيقتين .

عمد الطيارون المصريون إلى استغلال ما لدى الهليوكبتر من إمكانيات محدودة مثل « الطيران العمودى ، والهبوط الرأسى ، والوقوف فى الجو ، وتغيير السرعة والاتجاه فجأة . ثم الطيران المنخفض جداً » وقد استطاعوا بمناوراتهم البارعة الهروب من الصواريخ التى أخذت تطلقها طائرات الفانتوم المسعورة .

ثم حدثت المفاجأة المذهلة .

لقد شاهد الطيار المصرى – قائد الهليوكبتر الثانية فى التشكيل – أمامه مباشرة وفى مواجهته إحدى الطائرات الفانتوم التى قرر طيارها إرباك الهليوكبتر بحدة الاندفاع نحوها لكن الطيار لم يشغل نفسه فى إمكانية تفادى هذه المناورة .

وبسرعة خاطفة وذكاء متقد ، قرر أن يقبل المواجهة غير المتكافئة وهو يصيح فى اللاسلكى لقد أخطأ ابن الـ . . . » وضغط بأصبعه لكى تنطلق صواريخه (المضادة للدبابات) نحو الطائرة الفانتوم التى كانت قد اقتربت تماماً باندفاعها الحاد . وفى أقل من ثانية انفجرت هذه الطائرة ولم يستطع طياراها أن يتمكنا من القفز منها واحترقا بداخلها . .

تلك هى القصة . . التى قلبت كل الموازين . .

لكن الدهشة تتضاءل حين يعرف الإنسان المحايد أن الصورة التى رسمتها الدعاية الإسرائيلية للطيار المصرى منذ يونية ١٩٦٧ كانت كاذبة تماماً وقد دفع الإسرائيليون أنفسهم ثمن هذا الكذب حين أثبتت معارك أكتوبر ١٩٧٣ أنه طيار كفء وذكى وجرىء إلى أقصى حد وأن لديه من الدوافع الوطنية القومية ما يجعله يقتحم أعتى المخاطر ويقبل أصعب التحديات حتى لو كانت مثل تلك المواجهة بينه فى طائرته الهليوكبتر وبين طيارين إسرائيليين فى الفانتوم المقاتلة القاذفة الحديثة جداً .

. . . .

. . . .

. . من أوراق المقاتل طيار جلال :

فى يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ ظهر تشكيل إسرائيلى قادماً فى اتجاه أحد مطاراتنا وصدرت الأوامر باعتراض هذا التشكيل قبل الوصول إلى الهدف . وكانت مهمتى حماية قائد تشكيلنا الذى بدأ يصوب مدافعه على إحدى الطائرات المعادية ، شاهدت طائرتى فانتوم

تحاولان الهجوم على طائرتى من الخلف . . فقمت بعمل مناورة حادة ووضعت إحداهما فى مجال مدفعى وأصبتها ، وهربت الثانية ، وفى أثناء قيامى بحماية المطار تعطلت طائرتى ووقف المحرك تماماً. كان المفروض أن أقفز بالمظلة ، لكننى مع تكرار المحاولة وفقنى الله إلى إدارة المحرك مرة أخرى ودارت الطائرة فى الوقت الذى كانت قد هبطت فيه إلى ارتفاع أمتار قليلة من الأرض وراقبت كمية الوقود فوجدتها كافية وبالتالى توجهت على الفور لتعزيز زملائى وقمت فى نفس الاشتباك بإسقاط طائرة أخرى فانتوم .

وفى يوم ٢١ أكتوبر كلفت بمهمة حماية طائراتنا القادمة بعد ضربها لقوات العدو فى الثغرة وشاهدت تشكيلا من الميراج المقاتلة وراء قاذفاتنا ، فقمت بعمل مناورة جادة وفجأة أصيب قائد تشكيلنا ولمحت الطائرة التى أصابته فقمت بعمل مناورة أخرى ودخلت خلفها وأصبتها بنيران مدفعى وأخذت بثأر زميلى الذى أصيبت طائرته .

وبذلك يكون مجموع الطائرات التى أسقطتها للعدو ثلاثاً . . واحدة ميراج واثنتان فانتوم . هذا بالرغم من أننى لم أشترك فى المعارك إلا ابتداء من ١٤ أكتوبر » .

. . . .

. . . .

* **وحارب الطيار المصرى بطائرات التدريب :**

أمام إلحاح بعض مدرسى الكلية الجوية المصرية ، وافق الفريق حسنى مبارك على اشتراكهم بطائرات التدريب فى ضرب قوات الثغرة الإسرائيلية وقد لبى قائد القوات الجوية هذه الرغبة وفى ذهنه أن هذا النوع من الطائرات البطيئة (بالنسبة لطائرات القتال) يستطيع أن يقوم بدور خاص فى هذه العمليات . . وبالفعل فوجئ الإسرائيليون بأعداد غزيرة من هذه الطائرات التى حقق بها طياروها نتائج باهرة منها إصابة المعبر الرئيسى للتسلل الإسرائيلى وضرب المدرعات والأفراد .

* **وكانت بطولات الفنيين من رجال الطيران بلا حصر :**

ويكفى أن نذكر ما فعله المساعد الميكانيكى بإحدى القواعد الجوية حين التقط قنبلة زمنية ألقتها طائرة إسرائيلية ، فأخذت تتدحرج فوق مَنزل يؤدى إلى دشمة طائرة . التقطها المساعد الفنى على الفور وهو يعلم أنها قد تنفجر فى أية لحظة ثم جرى بها خارج القاعدة

الجوية وألقاها بعيداً . وما كاد يلتفت عائداً حتى انفجرت وأحدث انفجارها تدميراً كبيراً فى الأرض الفضاء التى ألقاها فيها .

---

* **صورة عامة يرويها القائد الأعلى للقوات المسلحة المصرية**

« . . كنت فى غرفة العمليات أتابع سير المعارك ، وأصبت بالدهشة عندما عرض قائد الطيران على قائدى الجيوش البرية تقديم المزيد من المساعدات الجوية قائلا لهما إن لديه احتياطياً من الطلعات وإنه مستعد وجاهز .

وكان القادة فى الجيشين الأول والثانى يقولون له : شكراً . . إن الطلعات الموجودة الآن كافية تماماً » .

وكانت دهشتى لأن المعروف أن قادة الجيوش (البرية) دائماً يصرخون طالبين النجدة من القوات الجوية ، ودائماً لا تتوفر هذه النجدة بالكمية المطلوبة أو فى الوقت المحدد .

أما الآن – فى حرب أكتوبر – فقد تغيرت الموازين . . وقائد الطيران هو الذى يعرض على قادة الجيوش أنه لديه احتياطى إضافى وهم يقولون له « شكراً . . لسنا فى حاجة للمزيد »

. . . .

وقد قال لى قائد الجيش الثانى – بعد الحرب – إنه بعد أن حرر القنطرة دفع العدو بلواء مدرع من الشمال لاستعادتها ، فطلب هو مساعدة جوية ، ووصلت إليه الطائرات بأقصى سرعة وبدأت معركتها مع المدرعات الإسرائيلية – وأخذ هو يتابعها مبهوراً وهو يرى الطيارين المصريين ينزلون على الدبابات دبابة دبابة بكل ثقة وهدوء أعصاب « واخدين راحتهم خالص والواحد منهم يأخد اللفة بتاعة الدوران مضبوطة ، وييجى ، ويضرب ، ويطلع اللى وراه . . وهكذا . . كل هجمة بعمود نار . . كنت واقف أتفرج فعلا . عمود نار بيطلع بعد كل قصفة من طيار من طيارينا » .]

(الرئيس محمد أنور السادات

فى حديث داخل إحدى القواعد الجوية)

حقائق أخرى عن الطيران المصرى :

* أنشئ فى أغلب المطارات أكثر من ممر واحد ، بعضها متواز ، ليسهل الإقلاع والهبوط فى مختلف الظروف الجوية لعدد كبير من الطائرات وليكون كل منهم بديلا للآخر .

* تم تمويه الدشم ببراعة فائقة وذلك باستغلال البيئة المحيطة بها ، كما موهت بعض الممرات مما يجعل رؤيتها من الجو أمراً صعباً للغاية .

* ابتكر استخدام البالونات كوسيلة دفاع سلبية عن المطارات ضد الطيران المنخفض ، برغم أن فكرة البالونات قد ألغيت تماماً منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية .

* استحدث أسلوب استخدام طائرات إعادة الإذاعة لنقل المعلومات إلى الطائرات أثناء الطيران المنخفض حيث يصعب بلوغ الموجات ذات الترددات العالية جداً إلا للطائرات التى تكون على ارتفاعات عالية .

* توصل مهندسو المطارات - بالتنسيق مع أجهزة القطاع العام ، إلى تركيب خلطة ساخنة يستطيعون بها سد الحفر التى تحدثها القنابل فى الممرات . ويتم ذلك خلال ساعات معدودة (بعد أن كان يحتاج إلى وقت طويل) .

* اتخذت تدابير فنية تحقق الاستقلال الذاتى لكل مجموعة طائرات فى إعادة الملء للتزود بالوقود والتحميل بالقنابل والصواريخ فى زمن قصير جداً حتى أن الطلعات كانت تتوالى وكأنها لا تتوقف لحظة .

* * *

شهادات تاريخية للطيران المصرى

* **قال الجنرال « ستيج لوفجرين »** وهو أحد قادة القوات المسلحة السويدية .

« لقد استطاع الطيارون المصريون (بواسطة الطائرات الميج ٢١) سد الثغرات بين سدود وأحزمة نيران وحدات الدفاع الجوى المصرى ، وصنعوا بذلك أسلوبا متكاملا لأحدث خطط الدفاع الجوى القائمة على الطائرات جواً ووحدات الصواريخ والمدفعيات أرضاً ، كما عمل الطيران المصرى إلى جانب الدفاع الجوى من خلال شبكات إنذار جيدة ، وقيادة واعية » .

* **أما الكاتب الخبير الأمريكي روبرت هونز** فقد قال – بشكل تفصيلي أكثر – فى دراسة طويلة له بمجلة « أفيشن ويك » نشرها فى يونية ويولية ١٩٧٥ :

« كانت سنة ١٩٦٧ بالنسبة للأمة المصرية – العربية كارثة ، وقد استطاعت هذه الأمة أن تنهض بعد ذلك ، وتقوم بإنجازات الحرب فى ١٩٧٣ ، وأن يدخل طياروها بعد هزيمة مدمرة لقواتهم فى ١٩٦٧ ، أشرس المعارك الجـوية ضد الطيران الإسرائيـلى ويقاتلوا بندية له حرمته تفوقه الذى اعتاد عليه ، بل وينتزع الطيار المصرى السيطرة على الجو بعد أن كانت للطيران الإسرائيلى دوماً هذه السيطرة . لقد استخدمت القوات الجوية المصرية أسلوباً جديداً فى الاستطلاع والقيادة والسيطرة مع تعاون تام مع قوات الدفاع الجوى ، وكانت النتيجة أن السلاح الجوى الإسرائيلى تعرض لخسائر فادحة فى الطيارين والطائرات ، حتى أن إسرائيل لم تعاود الهجوم بعد الأيام الثلاثة الأولى من الحرب بطائراتها « ماكدونالددوجلاس » (سكاى هوك) ولقد قام المصريون بتدعيم كافة مطاراتهم ومراكز القيادة ومواقع الرادار .

* كما قاموا ببناء الدشم من الأسمنت المسلح كحظائر للطائرات ، كذلك مخازن الوقود ومعدات التسليح والأسلحة ، كما طورت ممرات الطائرات لتكون مجهزة لانتشار الطيارين ، واستخدامات الطوارئ للعودة السريعة إلى ميدان المعارك الجوية .

* كما تلقت مجاميع كبيرة من وحدات الإصلاح الميدانى تدريباً خاصاً يتفاوت – بين الإصلاح السريع لممرات الطائرات ، والإصلاح الفورى للأعطال الميدانية التى تصيب الطائرات والصواريخ والرادارات والمركبات .

* وقامت القوات الجوية المصرية وقوات الدفاع الجوى ببناء شبكات محكمة من المواقع البديلة والمجهزة بأجهزة الإنذار والطائرات والصواريخ الهيكلية ، وكذلك شبكات اتصال خداعية ، وقاموا بتحريك قواتهم المقاتلة الحقيقية فى إطار هذا التركيب لإرباك العدو وتضليله .

. . . ويعد هذا العمل من الإنجازات الهائلة التى تتطلب جهداً عصبياً مضاعفاً ، ولذلك كان عدد الهجمات الجوية التى شنتها القوات الجوية الإسرائيلية على تلك المواقع الهيكلية عدداً كبيراً .

ومن جهة أخرى فإن المهندسين المصريين استحدثوا إضافات إلى المعدات الروسية الجوية والأرضية لتحسين أدائها فى أثناء القتال ، تبعا للظروف الخاصة التى يواجهونها

فى الشرق الأوسط . فلقد استطاعوا تعديل الطائرة الميج ٢١ لتكون قادرة على حمل حمولة أكبر من القنابل ، كما زادوا من مداها ، وحسنوا أجهزة الاتصال ، ودوائر الإطلاق بها ، كما قاموا بتعديل طائرة الهليوكبتر « مى ٨ » لتقوم بدور هجومى ، وذلك بتزويدها بقواذف للصواريخ والقنابل خارج جسم الطائرة ، كذلك بتجهيزين ثابتين لرشاشين ثقيلين ، و« ٦ » مواقع للبنادق الآلية الخفيفة بهدف توفير الحماية المكثفة فى أرض الهبوط . »

. . . .

(٣)

« النيل اضرب »

ثم انطلق أكثر من ألفى مدفع

بعد ٦٠ ثانية من اندفاع الطائرات المصرية نحو أهدافها فى سيناء ، لتحقق الضربة الجوية الأولى ، أصدر قائد المدفعية أمره « النيل . . اضرب » فانطلقت آلاف المدافع تهدر وتصب حممها على النقط الحصينة لخط بارليف ، وأماكن تمركز احتياطيات العدو .

وبينما استمر أكثر من ألفى مدفع ميدان ومتوسط وثقيل وصواريخ وهاونات تصب قذائفها على خط بارليف ونقطه الحصينة وغير ذلك من الأهداف بدقة وكثافة وقوة لم يسبق لها مثيل ، راح عدد من المدافع يطلق بالرمى المباشر على مزاغل الدشم ونقط النيران المكتشفة ، ويفتح الثغرات فى مواقع الأسلاك الشائكة والألغام .

وفى اللحظات نفسها التى بدأ فيها التمهيد النيرانى ، وتحت ستر النيران المتدفقة اندفعت مفارز من القوات تعبر القناة لتستولى على مصاطب الدبابات الموجودة فى العمق القريب (على الضفة الشرقية وخلفها) وتبث الألغام والشراك فى المصاطب الأخرى وتنصب الكمائن على طرق اقتراب احتياطيات العدو المدرعة المحلية لتمنعها من التدخل فى اقتحام القناة — بواسطة القوات الرئيسية — الذى سيتم بعد دقائق .

ولعل خير ما يشهد على قــوة وعنف ودقة التمهيد النيرانى للمدفعية المصرية أن معظم بطاريات المدفعية الإسرائيلية (بالتحديد أكثر من ٩٠ ٪ منها) تم إسكاتها منذ اللحظات الأولى ، ولم تتمكن من توجيه ضربات مؤثرة إلى قواتنا . وقد كان لهذا النجاح السريع والساحق أثره الكبير على سير عمليات العبور والاقتحام وعلى معنويات المقاتلين من الطرفين . فقد تأكدت ثقة المقاتلين المصريين فى السلاح والتخطيط الذى وضعته القيادة ، وأصيب جنود العدو فى الخطوط الأمامية بإحباط شديد نتيجة فشل الدعم المدفعى الذى طلبوه .

أرقام من واقع التمهيد النيرانى للمدفعية المصرية :

١ – كانت كثافة النيران ١٧٥ طلقة فى الثانية الواحدة .

٢ – كان وزن الدانات التى أطلقت ٣ مربع كجم .

٣ – كان عدد القذائف والطلقات التى صبتها المدفعية فى الدقيقة الأولى فقط ١٠٥٠٠ طلقة وقذيفة .

دور المدفعية المصرية فى صد الهجمات المضادة :

بطبيعة الحال لم يكن دور المدفعية المصرية مقصوراً على التمهيد النيرانى ولكنها ظلت تطور أدوارها حسب تطور العمليات القتالية . ولقد كان لها فى صد الهجمات الإسرائيلية المضادة ضد القوات التى اقتحمت القناة والساتر الترابى وخط بارليف وأخذت تقيم رؤوس جسور ، دور كبير تلخصه هذه الكلمات لجندى إسرائيلى :

« لقد تعرضنا لستار من المدفعية لا يمكن وصفه ، فلقد انصبت من كل جانب قذائف المدفعية الثقيلة والصواريخ ونيران الدبابات . وقد تمكنا من شق طريق لنا ، ولكن المعركة استمرت عدة ساعات إذ وقعنا مرة ثانية تحت ستار من نيران المدفعية العنيفة ، حتى احترق كل شيء حولى ، وكان زملائى يصرخون ويقفزون من دباباتهم » . .

أمثلة لما قامت به المدفعية المصرية فى صد الهجمات المضادة :

فى الساعة السابعة والنصف من مساء السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ كانت القوات المصرية التى اقتحمت القناة وتمركزت شرقاً ، قد استولت على أكثر من نصف النقط الحصينة من خط بارليف ، وحاصرت الباق ، واستعدت لتطوير الهجوم فى العمق ، وقبل ان يبزغ فجر يوم الأحد ٧ أكتوبر ١٩٧٣ كانت هذه القوات قد وصلت إلى عمق من ٥ – ٦ كيلومترات ، وتم عبور أعداد كبيرة من المدرعات والمدفعية والأسلحة الثقيلة وخلال نهار هذا اليوم بدأت القوات فى تطوير هجومها شرقاً ، ووصلت إلى عمق من ٨ – ١٠ كيلومترات حيث بدأت تستعد لصد الهجمات الإسرائيلية المضادة .

وفى فجر الاثنين ٨ أكتوبر ١٩٧٣ ، أبلغ أحد مراكز ملاحظة المدفعية الذى تم دفعه فى العمق ليلة ٦ – ٧ أكتوبر عن وجود لواء مشاه ميكانيكى للعدو مدعم بعدد

صرخ قادة وضباط إسرائيل من هول الجحيم الذى أطلقته عليهم
المدفعية المصرية بقيادة الرجل الذى كان مثالاً لهدوء الأعصاب
وسلامة التفكير الفريق محمد الماحى

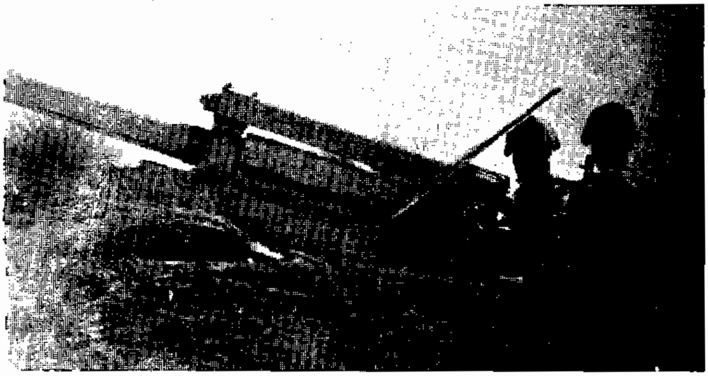

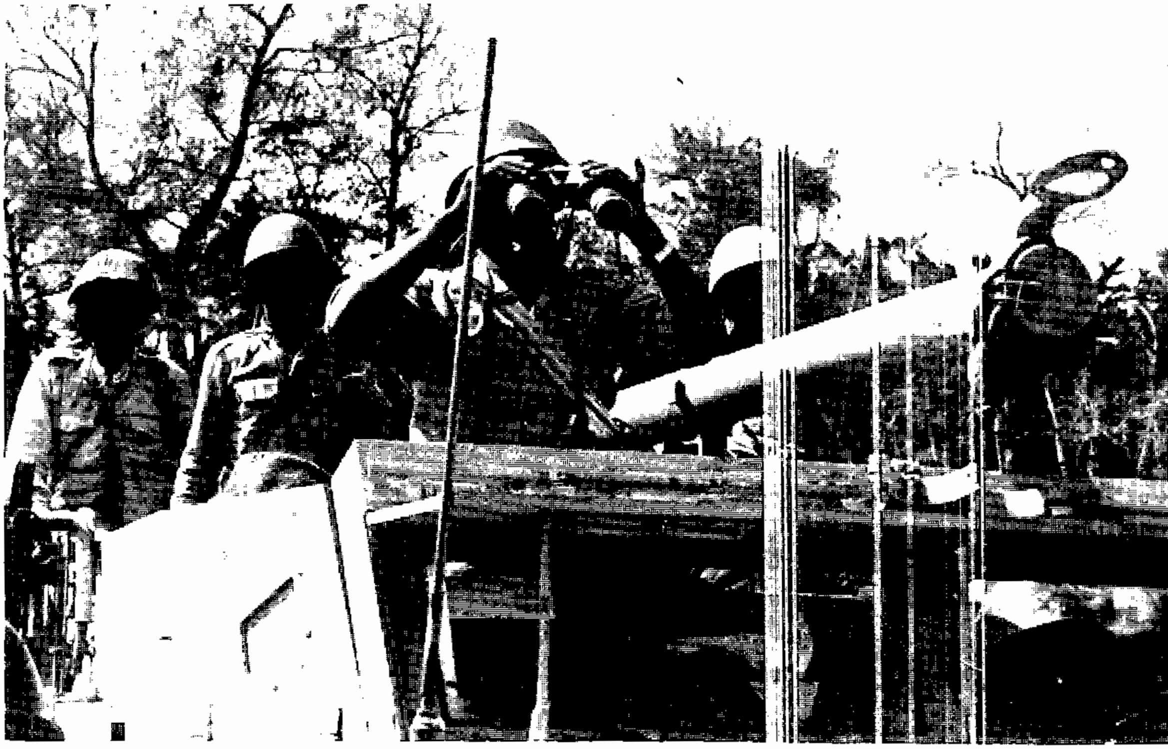

كبير من الدبابات وقد تجمع على الطريق الأوسط ليعيد الملء .

بسرعة تم تقدير الموقف واتضح أن هذا اللواء المدعم فى مرمى حوالى ٢٠ كتيبة مدفعية واقترح قائد مدفعية الجيش الثانى على اللواء سعد مأمون قائد الجيش أن توجه المدفعية قصفة شاملة للواء الإسرائيلى قبل أن ينتهى من إجراءات إعادة الملء فوافق القائد على ذلك وعلى الفور تم تأكيد إحداثيات مكان اللواء ، وهدرت مدافع العشرين كتيبة لتصب نيرانها الكثيفة لمدة عشر دقائق على هذا اللواء . وقد حقق القصف الدقيق نتائج حاسمة إذ اشتعلت الحرائق فى كل مكان ، وتم التقاط استغاثات قائد اللواء الإسرائيلى وبلاغاته المتلاحقة عن خسائره الفادحة .

هل كان هناك ضابط مدفعية مصرى يقف فوق دبابة عساف ياجورى ؟

تعددت وتنوعت المعارك التى اشتركت فيها المدفعية المصرية بكفاءة نادرة ، حتى أن العقيد عساف ياجورى قائد اللواء المدرع (١٩٠) عندما تم أسره بعد تدمير لوائه بواسطة قوات الفرقة الثانية مشاة بالتعاون مع احتياطى المدفعية المضادة للدبابات ، قال مصوراً دقة القصف المدفعى المصرى وكيف أسهم فى تكبيده خسائر جسيمة فى قواته قبل أن يدخل المعركة المباشرة :

« لقد تعرضت قواتى طوال تقدمها من (بالوظة) وحتى قيامها بالهجوم المضاد فى قطاع الفردان لقصف مؤثر من المدفعية المصرية أدى إلى تدمير أكثر من ٧٠ ٪ من المشاه الميكانيكية التابعة للواء ١٩٠ .

لقد كنت أتصور أن دقة النيران وتأثيرها الشديد لا يمكن أن تكون كذلك إلا إذا كان هناك ضابط مدفعية مصرى يقف على برج دبابتى ويصحح نيران المدفعية على قواتى » .

والواقع أن عساف ياجورى لم يكن مبالغاً فى تصويره وتحليله لدقة القصف المدفعى المصرى ، ولعله لم يكن يتصور أن ضباطاً من المدفعية كان قد تم دفعهم منذ اللحظات الأولى للحرب فى العمق لهذا الغرض وهو تصحيح مسار النيران لتصيب احتياطيات العدو المتقدمة .

بل إننى أضيف من واقع معلوماتى الشخصية والمؤكدة أن قائد مدفعية الجيش الثانى — مثلا — تقدم أكثر من مرة بين مواقع العدو ، وقام بنفسه بتصحيح النيران لقواته مما أعطى المثل لضباطه وجنوده وزاد من اشتعال حماسهم وحرصهم على تحقيق أدق النتائج طوال

أيام الحرب . ولعل ما تعرضت له قوات الثغرة الإسرائيلية من قصف مدفعى رهيب صرخوا بسببه يؤكد أن المدفعية المصرية واصلت أداء دورها الكبير حتى لحظة توقف إطلاق النيران .

ولكن . .

هل كان دور المدفعية محصوراً داخل استخدام المدافع المختلفة ؟ إن هناك البعض الذين لا يعرفون حتى الآن أن المشاة الذين تصدوا للدبابات الإسرائيلية بصواريخهم وقذائفهم يتبعون سلاح المدفعية . ومن خلال هذه الحقيقة يتضح لنا حجم الدور الهائل الذى قامت به المدفعية المصرية فى طوفان أكتوبر .

و . . نتوقف الآن . . أمام بعض الوقائع والمواقف والصور . . صائدى الدبابات ! !

صائدو الدبابات

« لا يفل الحديد إلا الحديد » هذا مثل شائع ، ولعله حكمة عالمية لم تتكون إلا بعد مقدمات طويلة ومتنوعة ضربت جذورها فى أعماق التجربة الإنسانية .

وكانت ترجمة هذا المثل أو تلك الحكمة فى ميادين القتال ما اصطلح عليه العسكريون من أن الدبابة لا يوقفها إلا دبابة أو مدفع ضخم تحيط به التحصينات » .

وقد أصبحت هذه الحقيقة نظرية عسكرية لا تقبل الجدل .

لكن المقاتل المصرى السورى قدم للعالم وللعسكريين ضمن ما قدم من مفاجآت تلك المفاجأة التى قلبت هذه النظرية الثابتة .

فهو لم يوقف فقط الدبابة الإسرائيلية . . لكنه تصدى لها ، ودمرها وقتل أو أسر طاقمها من جنود المدرعات الإسرائيليين . .

وليس هذا فقط . . لقد تكرر مشهد مثير شهدته ميادين القتال حين كان الجندى المشاة . . يطارد الدبابة الإسرائيلية . . وتجرى هى أمامه بحجمها الضخم وطاقمها المتحصن داخل دروعها الصلبة – تجرى أمامه مذعورة مرتبكة . ولعل أكثر الروائيين خيالاً ما كان ليتصور هذا المشهد الغريب المثير ، بل إن كتاب مسرح العبث ما كانوا ليتخيلوا هذه الصورة .

وقبل أن نستعرض معاً بعض أوراق ومواقف صائدى الدبابات نلقى نظرة على ما قاله

واحد من أكبر معلق إسرائيل ، ثم ما قاله كاتب فرنسى كبير .

. . . .

« كنا نعتقد أن الدبابة تسحق دائماً قوات المشاة ، وقد أدهشنا أن يقوم المصريون بالهجوم على الدبابات ، وكان لدى هؤلاء الجنود المشاة الشجاعة لإطلاق هذه الصواريخ على المدرعات الإسرائيلية » .

(توقيع)
المعلق الإسرائيلى زئيف شيف

. . . .

« اندفعت الدبابات الإسرائيلية لتهاجم الجنود المشاه ، وكانت مقتنعة تماماً بأنها تستطيع القضاء عليهم بأسرع ما يمكن ، لكنها فوجئت بأن عليها أن تواجه دفاعاً مخيفاً وخارقاً . بل إنها واجهت شراسة مميتة من جانب المقاتلين العرب إذ أن المشاة المصريين كانوا مزودين بالصواريخ المضادة للدبابات من طراز « ساجر » و« سواتر » (شميل) بواقع صاروخ لكل ثلاثة رجال . على أن استخدام هذه الصواريخ لا يتطلب مهارة معينة بقدر ما يتطلب شجاعة من الجندى الذى سيقذفه ، فهو يتكون من صاروخ يمكن حمله ، وحقيبة صغيرة ، ونظارة لتحديد المرمى . ويستطيع الجنود وهم متربصون خلف أحد التلال أو حتى وهم على الأرض المكشوفة أن يتوقفوا . ويدمجوا عناصر الصاروخ المختلفة ويفتحوا النيران . ويكفى الجندى عادة متابعة الهدف المتحرك (سواء كان دبابة أو عربة مصفحة نصف مجنزرة) من خلال نظارة المرمى ، ويقوم جهاز الصاروخ الخاص بتحديد الهدف ، ثم يقوم الجندى بباقى العملية بتوجيه الصاروخ بواسطة سلك رفيع جداً .

ومن المعروف أن مدى هذه الصواريخ يصل إلى ثلاثة كيلومترات ، وتحديده للهدف شبه مؤكد . وقد نجح المشاة المصريون فى القضاء على كتائب مدرعة كاملة مثل كتيبة « برين » التى أمطرتهم بنيران مدفعيتها ولكن دون جدوى .

وقد روى جنود المدرعات الإسرائيليون الذين أصابهم الذعر مما شاهدوه فقالوا : «كنا نضرب ونضرب وكانوا هم يأتون دائماً ! !

وقد كانت هذه المفاجأة فى تكتيك العمليات من الأمور المثيرة للدهشة والاستغراب إذ أن إسرائيل لم تكن تجهل وجود هذه الصواريخ ، وكان الصاروخ « آر . بى . جى ٧ » الذى صنعه السوفييت فى عام ١٩٦٤ قد تبادلته جميع الكتب العسكرية لجيش « تسهال »

بالوصف الدقيق . أما فيا يتعلق بالصواريخ (شميل) أو الصواريخ (ساجر) فقد استعملت من قبل فى حرب الأيام الستة ، وحرب الاستنزاف . . والحقيقة أن ما أثار دهشة الضباط اليهود هو استخدام المشاة المصريين لمختلف هذه الصواريخ ، وبأعداد كبيرة .

وقد تم تدمير عدد كبير من المدرعات الإسرائيلية (على أيدى المشاة المصريين حاملى الصواريخ) وقد اضطر عساف ياجورى- أحد قادة المدرعات الإسرائيلية (قائد اللواء ١٩٠) إلى أن يترك دبابته السنتوريون وهى مشتعلة ، ويسلم نفسه أسيراً فى أيدى المصريين .

(توقيع)
جان كلود جيبوه
الكاتب الفرنسى ومؤلف كتاب
(أيام إسرائيل الرهيبة)

. . . .

من أوارق « عبد الجابر » أحد قادة مجموعات صائدى الدبابات

. . فى ساعة الصفر كنت أتمركز مع أفراد القوة التى أقودها ، وهم من رجال المدفعية المشاة الذين تم تسليحهم بالصواريخ المضادة للدبابات إلى جانب القواذف وغيرها من الأسلحة . كنا نتمركز على مصاطب الساتر الذى أقامته قواتنا على الضفة الغربية للقناة لكى نصطاد من فوقها مدرعات العدو التى سوف تنطلق فى اتجاه القناة للتصدى لموجات العبور الأولى .

وبالمناسبة هذه المصاطب أعطت لنا دفعة قوية لأنها كانت مسيطرة تماماً على شرق القناة ، وكنا بمجرد أن صعدنا فوقها قد ألقينا نظرة على الضفة الشرقية حيث تعرفنا فى مشروعات التدريب على كل ما يتوقع أن يحدث فى المعركة . كان كل شيء محسوباً بدقة . بحيث أننا بعد عبورنا فى الساعة (كذا) سيقابلنا احتياطى مدرعات العدو (كذا) .

وأعود إلى أول عمل لقوتنا . . فى الساعة ٢,٢٠ ظهراً ظهرت دبابة ومجنزرة إسرائيلية على طريق الشط (على بعد حوالى كيلو متر من القناة) وعلى الفور أطلق اثنان من صائدى الدبابات صواريخهما فانفجرتا بمن فيهما من أفراد . واستمر اصطيادنا لأى مدرعة يدفعها العدو نحو القناة .

وبعد آخر ضوء بحوالى ساعة . كنت مع زملائى موجودين شرق سرابيوم فى منطقة أطلقنا عليها منطقة « البرميل » (وذلك لأننا عند قيامنا بالاستطلاع قبل العبور حدد لنا قائد التشكيل هذه المنطقة التى كان يشير إليها برميل سولار وضعه فيها العدو) .

قمنا بالتمركز فى هذه المنطقة . وأعددنا الحفر اللازمة وكان علينا سد الفاصل بين اللواء الأيمن واللواء الأيسر إلى أن يتلاقيا بعد تمام عبور قواتهما وإنشاء رأس الكوبرى .

بدأ العدو فى الهجوم المنظم على الجانب الأيسر ، واستطاع اللواء الذى كان يقوده المقاتل عادل يسرى أن يصد الدبابات المعادية ، وقد تمكنت (١٢) دبابة منها من الدخول فى « الفاصل » الذى تحتله قوتى . . وكان موجوداً بالقرب منى فى ذلك الوقت المقاتل (. . . .) ، وعند سماعى لصوت جنازير الدبابات المقتربة ، طلبت منه الإضاءة وما إن انكشفت أمامنا حتى انهالت عليها الصواريخ وقذائف الـ آر . بى . جى ، وتم تدمير سبع دبابات وهربت خمس دبابات إلى منطقة تسمى قرية الجلاء . وصدرت لنا الأوامر بالتحرك جنوباً والتعامل مع هذه الدبابات الخمس وبمجرد أن تمت إضاءة المكان . حاولت الهروب بأقصى سرعتها ، لكن أفراد القوة كانوا أسرع فى تدميرها عن آخرها . وكنا قد انتشرنا حولها فى شكل حدوة حصان . وعندما تحركت فى اتجاه الشرق زمجرت صواريخنا التى انطلقت من كل جانب بوميض أحمر وهى تتجه إلى هدفها . ومثلما حدث فى المعركة الأولى . فقدت دبابات العدو توازنها وفشل قادتها فى تحديد الأماكن التى تطلق منها الصواريخ ، فكانت تحركاتهم مضطربة ومرتبكة . والطريف أنه مما كان يساعدنا على تحديد أماكن هذه الدبابات . أن انفجار كل دبابة بذخيرتها كان يحدث ضوءاً قوياً نستغله فى توجيه المزيد من الصواريخ أو اصطياد الأفراد الذين يقفزون من الدبابات المشتعلة .

وكانت دقة زملائى فى إصابة مدرعات العدو موضع تعليقهم ، فقال لى المقاتل « . . . . » (احنا فى التدريب كنا بنتدرب على ضرب أهداف أقل فى الحجم من دبابات العدو . . » .

وأذكر أن المقاتل (. . .) فى هذه المعركة دمر دبابتين وكانت هذه هى بداية المنافسة بينه وبين عبد العاطى وبيومى .

ومن المواقف المثيرة فى المعركة الثانية أن دبابات العدو فى اندفاعها السريع اقتربت تماماً من حفرنا ولم يترك واحد من رجالنا حفرته واحتفظنا جميعنا بهدوئنا . . حتى أن إحدى هذه الدبابات اقتربت من حفرتى ولم يعد يفصل بينى وبينها سوى خمسة أمتار

فقط . . . ثم انطلق الرجال خارج حفرهم وتعاملوا مع هذه الدبابات بالقنابل اليدوية وجميع الأسلحة ودمروها جميعها ولم تقع أية خسائر بين صفوفنا باستثناء إصابة طفيفة فى يد المقاتل (. . . .)

وأذكر أننى تركت حفرتى ، واتجهت بسرعة إلى أحد الأفراد لكى أوجهه للتعامل مع إحدى الدبابات التى بدأت تطلق نيرانها علينا ، وفوجئت بالمقاتل (. .) يرتمى على ويطرحنى أرضاً لأنه لاحظ أن إحدى الدبابات قد صوبت مدفعها تجاهى . وسقطت القذيفة فعلاً بالقرب منى ولكنها على أية حال لم تطلق غيرها ، لأن صـــاروخ المقاتل (. . . .) عاجلها على الفور .

لاعب الكرة الذى برز فى صيد الدبابات :

كان عبد العاطى يعد أشهر صائدى الدبابات ليس فى مجموعتى فقط . . ولكن فى الجبهة كلها . . وقد لمع اسمه حينما دعى إلى افتتاح معرض الغنــائم باعتبار أنه دمر أكبر عدد من دبابات العدو وهو ٢٣ دبابة . (بالمناسبة قد لا يعرف الكثيرون أن مجموع ما دمره عبد العاطى من دبابات هو ٢٦ دبابة ولكننا حسبنا له ٢٣ دبابة فقط لأن الدبابات الثلاث الأخرى التى دمرها أيضاً كانت فى قطاع زميله بيومى) .

وقد لا يعرف الكثيرون أيضاً أنه كان من أبرز لاعبى الكرة فى الوحدة ويبدو أن هوايته فى تسجيل الأهداف العديدة فى مرمى الفريق المنافس ، قد انتقلت إلى ميدان القتــال حيث تنافس فى إصابة الأهداف وكانت هذه المرة دبابات العدو .

ولكن الأهم من هذا كله . . أن عبد العاطى قد سجل رقمه القياسى بالرغم من أنه لم يشترك فى القتال الفعلى – كصائد دبابات – إلاَّ فى اليوم الثالث (الإثنين ٨ /١٠/ ١٩٧٣) بعد أن ألح على قائد المجموعة بأن ينتقل من مؤخرة القوة ليقوم بالتصدى لدبابات العدو مثل زملائه الذين نصبوا الكمائن ، وظلت أخبارهم تصل إليه عن الدبابات التى قاموا بتدميرها . وقد أخذ عبد العاطى يلح على قائده الذى أخذ يقنعه بالانتظار . لكنه بكى أمامه . . وقال له : « سيادتك لا تثق فى قدرتى على تحقيق نفس النتائج التى حققها زملائى منذ أول يوم » .

ولم يجد قائده بدًّا من إعطائه واجباً قتاليًّا بعمل كمين فى مكان محدد لبعض دبابات العدو المتقدمة .

اندفع عبد العاطى وزملاؤه الثلاثة إلى الموقع المحدد فى حماس شديد وأخذوا يراقبون الأرض والتلال المرتفعة التى أمامهم . . وبعد فترة وجيزة تقدمت الدبابات الإسرائيلية متخطية سطح التل الذى أمامهم ، وارتفعت أصوات الجنازير ، ولكن القائد لم يصدر لهم أمر الاشتباك حتى تظهر بقية الدبابات المختفية خلف السطح ، وفعلاً عبرت جميع الدبابات وكان عددها ثلاث عشرة دبابة ، وأعطى القائد أوامره بالاشتباك وكان أول من أطلق صاروخه هو عبد العاطى ، وتبعه بيومى صديقه الحميم وبدأ سباق غريب بينهما وبين دبابات العدو .

أخذت الصواريخ تهدر وقادة الدبابات يبحثون فى ارتباك عن مصدرها ويحاولون المناورة أو الالتفاف للهروب من هذه المصيدة .

وبعد عشرين دقيقة فقط انتهت أول معركة يشترك فيها عبد العاطى ، وقد دمر فيها تسع دبابات ، ودمر بيومى أربعاً ، وقد عاتبهما زميلهما عوض قائلاً : إنكم لم تتركوا لى شيئاً لأضربه »

المعركة الثانية :

بعد لحظات من المعركة الأولى ، صدرت الأوامر لعبد العاطى ورفاقه باحتلال موقع آخر ، وكان هذه المرة مرتفعاً ويسيطر على الأرض التى تحيط به . ولم تمض فترة بسيطة حتى هاجمتهم ست دبابات اندفعت نحو الموقع فى عنف وعصبية فسارع عبد العاطى إلى اصطياد الدبابة الأولى ثم اصطاد الثانية والثالثة والرابعة والخامسة وكان يقوم بتجهيز الصاروخ بنفسه ثم توجيهه بعد أن أصيب قائده (. . .) إصابة خفيفة منعته من مساعدته فى التجهيز ، وقد تمكن من مطاردة الدبابة السادسة التى سارعت بالفرار . . ودمرها قبل أن تخرج من مدى صاروخه .

ذاعت شهرة عبد العاطى وزملائه بين إخوتهم المقاتلين المصريين كما أدرك العدو أن الاقتراب من هذه المنطقة التى تربض فيها هذه الكمائن عمل انتحارى ولذلك فقد مرت أربعة أيام دون أن تظهر دبابة معادية واحدة وأخذ عبد العاطى وزملاؤه يشعرون بالملل والضيق فهم لم يتعودوا (كما قال بيومى) الجلوس هكذا بدون عمل » .

والتقى عبد العاطى بقائده المقاتل جابر . . وطلب منه أن ينقله إلى قطاع آخر قائلاً فى لهجة مرحة « إن موقعنا الحالى لم يعد فيه رزق لنا » لكن قائده قال له لا تتعجل فلابد أن العدو سيحاول مرة أخرى من خلال قطاعكم . .

لم يطل انتظار عبد العاطى وزملائه بعد هذا اللقاء ، فنى اليوم التالى مباشرة دفع العدو بإحدى دباباته ليحاول بأسلوب آخر القضاء على هذه المجموعة تمهيداً لاقتحام المنطقة ، . . جـاءت تلك الدبابة واحتلت مكاناً يصعب رؤيتها منه حيث اختفت تماماً ، ولم يظهر منها أى جزء . . وأخذت تقصف الموقع بقذائف متتالية ثم تنزل مرة أخرى فى مكانها وأيضـاً اختفى موقع عبد العاطى تماماً فقـد وجدوا أن القذائف تهدر بجوارهم وتأكدوا تماماً أنهم قد تم اكتشافهم ولكنهم فى نفس الوقت ظلوا يراقبون فى حذر دقيق مصدر النيران وفجأة رأى عبد العاطى مكان الدخان الذى ينبعث من مدفع الدبابة فحدد مكانها ، وانتظر لحظات يفكر فيها فى أسلوب التعامل معها . وبعد فترة وجد أن الضرب قد انقطع ثم فوجئ بأن برج الدبابة وهو الجزء الذى أصبح ظاهراً الآن ، قد فتح وخرج شخص ثم وقف فوقه وأخذ يراقب الموقع بمنظاره لفترة زادت على دقيقة وقد اطمأن إلى أنه قـد دمر تماماً ، وظهر ذلك من إشارته لبقية طاقم الدبابة الذى ظل بداخلها . ثم أخذ هذا الفرد يتناول بعض الحاجيات (مقذوفات فارغة) من داخل الدبابة ويلقى بها إلى خارجها وفى الحال أسرع عبد العاطى فى الاستعداد ، وبالذكاء المصرى اللماح استنتج أن الدبابة المتربصة تحتاج إلى فترة زمنية حتى يمكنها الاشتباك من جديد ، ومع أنها من الأهداف الصعبة إلا أنه قرر أن يبعث لها صاروخاً أو « يشيع لها صاروخ » على حد تعبيره . وتوكل على الله ، وأطلق صاروخه بكفاءة مذهلة ، فانفجرت الدبابة وتطايرت أجزاؤها وانتشرت من حولها الجثث .

ودمرها بصاروخ « لوب » :

كعادتها . . استنجدت المدرعات الإسرائيلية بالطائرات لتخلصها من هذه المجموعة من المقاتلين وقامت الطائرات الفانتوم والسكاى هوك والميراج بغارة كثيفة لم تحقق منها شيئاً . . سوى سقوط طائرة سكاى هوك . . بصاروخ سام ٧ وهروب بقية الطائرات .

وبحث العدو عن أسلوب آخر . . فدفع دبابة نحو الموقع وخلفها عربة مدرعة محملة بعـدد كبير من الجنود . . ومثلما جدد العدو فى أسلوبه جدد عبد العاطى فى استخدامه للصاروخ ، فبعد أن دمر زميله بيومى الدبابة المتقدمة هجر الجنود عربتهم المدرعة التى كانت تقف خلف الدبابة المصابة وانتظر عبد العاطى إلى أن ظنوا أنهم أصبحوا فى أمان ولكنهم ما كادوا يعودون إلى عربتهم المدرعة حتى أطلق عبد العاطى صاروخاً

« لوب » أى أنه ارتفع يمر من فوق الدبابة المصابة وسقط مباشرة على العربة المدرعة من أعلى فانفجرت عن آخرها ولم ينج جندى واحد من طاقمها » .

. . ________________ . .

هكذا توالت المعارك وتوالت خسائر المدرعات الإسرائيلية التى تلقى قادتها تعليمات بعدم الاقتراب من المشاة المصريين . . بل إن هذه المعارك بين الفرد المصرى المشاة والدبابة أو المدرعة الإسرائيلية جعلت الخبراء العسكريين العالميين يعيدون النظر فى دور الدبابة فى الحروب الحديثة .

ويبقى أن أقول إننى لم يقع اختيارى على عبد العاطى وزملائه (عفاريت عبد الجابر) كما أطلق عليهم قائد مصرى كبير . . لأنهم النماذج الوحيدة لصائدى الدبابات المصريين فهناك المئات والآلاف من عبد العاطى وبيومى وطلعت وعبد الجابر اشتركوا جميعاً فى صنع سيمفونية رائعة ومفاجئة بالنسبة لمدرعات العدو التى اعتبرها قادة إسرائيل عنصراً أساسيًّا من عناصر نظرية الأمن الإسرائيلية .

. . . .

والآن كيف صور رجال المدرعات الإسرائيلية ما فعله فيهم صيادو الدبابات المصريون؟ لقد نشرت روايات عديدة تبين جميعها مقدار الرعب وحجم الخسائر التى أوقعها المشاة المصريون (من رجال المدفعية) فى مدرعات العدو . .

ولكننا نكتفى بما قاله واحد من قادة سرايا المدرعات الإسرائيلية . . هو « بارى شمير » الذى كانت سريته فريسة لمجموعة عبد العاطى . .

أما ما يرويه الإسرائيليون عن (قذائف) المدفعية المصرية فنجد مثالاً له من خلال ما يقوله (أورى دان) .

رقصة الصواريخ :

« . . . منذ الخميس ٤ / ١٠ / ١٩٧٣ ألغيت جميع الإجازات فى سريتى ، مثلما ألغيت فى جميع القوات ، وقد اتخذت مدرعاتنا مواقعها فى القطاع الأوسط من القناة على بعد نحو سبعة كيلومترات من خط المياه . . كانت معظم سرايا الدبابات منتشرة بنفس الطريقة . والآن كلفت سريتى بالوصول إلى خط المياه فى المناطق التى يعبر منها المصريون لعرقلتهم ومنع إقامة رؤوس الجسور ، ولكن المصريين لم يستعملوا مناطق العبور

الغامض . . لم أكن أعرف بعد ماذا يسمونه ولا أنه عندما يخترق الدبابة يولد موجة من الحرارة تزيد على ۱۰۰۰ درجة مئوية وأنه يدمر أجهزة الدبابة ، ومن شأنه إحراق كل من يجلس فيها . هذا ولم يكن حظ الدبابات الأخرى فى سريتى بأفضل من حظنا فعندما نظرنا من خلف التلال الرملية شاهدنا مشاعل تحترق . . وقد كانت هذه منذ دقائق دبابات السرية ! !

. . . .

(توقيع)
بارى شمير

«كان ضباط الاستطلاع المصريون (ضباط المدفعية الذين يقومون بتصحيح الضرب) يختبئون بالقرب من قواتنا ويتجولون هناك وكانوا يوجهون المدفعية بالنظارات المكبرة وأجهزة اللاسلكى من مسافة لا تبعد ٥٠٠ متر عن قواتنا وكانوا يوجهون مدفعيتهم إلى المظليين (الذين طلبنا مساعدتهم فى مواجهة كمائن المشاة المزودين بالصواريخ) وكلما كان هؤلاء المظليون يتحركون ، كان هؤلاء الضباط يوجهون مدفعيتهم نحوهم . . ولقد كانوا يفعلون ذلك فى الليل أيضاً بمساعدة القنابل المضيئة .

لقد كانت قذائف المدفعية المصرية قاتلة . كانت تصيب الأفراد والأشجار وتنفجر فى الجو وكانت الشظايا رهيبة وفى ثلاث حالات (فى هذه المعركة) سببت القذائف انهيارات دفنت جنودنا فى حفرهم . . وقد تكبد رجالنا من المظليين نحو ٥٠٠ قتيل وأكثر من ۹۰۰ جريح فى هذه المعركة . .

(توقيع)
جنرال أورى دان

(٤)

أكبر مصيدة للطائرات

بعد كل ما ذكرناه عن الذراع الطويلة أو سلاح الردع الإسرائيلي الأول ، وكل ما قيل عنه ، لسنا بحاجة إلى أن نقول إن قيادة تسهال (جيش الدفاع الإسرائيلى) أصدرت الأوامر لقواتها الجوية بالتصدى فوراً للقوات المصرية والسورية وضربها بشدة وقسوة لإفشال عمليات العبور والاقتحام ، ثم الاتجاه إلى العمق المصرى والسورى لتدمير المطارات والأهداف العسكرية والحيوية – ولا مانع من ضرب بعض الأهداف المدنية (من باب التهذيب والإصلاح . .).

وكانت قيادة (تسهال) مطمئنة تماماً لما سيفعله سلاحها الجوى خاصة وأنه إلى جانب (قوته الأسطورية !) قد تلقى إنذاراً قبل الحرب بفترة كافية ليكون فى أقصى حالات التأهب والاستعداد .

ولكن حرب أكتوبر ١٩٧٣ حملت للطيران الإسرائيلى واحدة من مفاجآتها العنيفة ، وكانت أولى دلائل الفشل هى تأخر رد الفعل الجوى الإسرائيلى لمدة ٤٠ دقيقة كاملة . نتيجة للضربة الجوية المصرية التى شلت تفكير وحركة القوات الإسرائيلية وعلى رأسها السلاح الجوى طوال هذه المدة .

ولكن برغم هذا التأخير . . انطلقت الطائرات الإسرائيلية الفانتوم والميراج والسكاى هوك إلى سماء المعركة . . إلا أنها ما كادت تقترب من أهدافها . . حتى وجدت فى انتظارها المفاجأة المؤلمة لها ولإسرائيل كلها .

لقد انتصب حائط الدفاع الجوى المصرى (والسورى أيضاً) فى وجه هذه الطائرات المطمئنة الواثقة فى إمكانياتها . . وبدأ التساقط السريع . . وتهاوت الفانتوم والميراج والسكاى هوك كالعصافير على حد تعبير الضابط الإسرائيلى (موتى اشكنازى) وكما شهد المراسلون العالميون.

وإذا كنا نحن قد تكلمنا عن الجانب الدفاعى للسلاح الجوى المصرى فى هذه المعارك . فإننا نتوقف الآن أمام حائط الصواريخ . . أو بتحديد أكثر « أسلحة المقاومة الأرضية للطائرات » . .

الإنجازات العامة :

١ – قامت قوات الدفاع الجوى (الأرضية) بحماية مناطق الحشد للقوات المسلحة المصرية ، كما وفرت الحماية لهذه القوات فى أثناء تنفيذها للمرحلة الأولى من الهجوم ، وبعد أن تمركزت فى سيناء فشكلت فوقها مظلة من الصواريخ المضادة للطائرات .

٢ – شاركت وحدات الدفاع الجوى الملحقة بتشكيلات القوات المسلحة فى تحقيق كافة المهام المحددة لها .

٣ – شاركت قوات الدفاع الجوى (بالتنسيق مع الطائرات المقاتلة الاعتراضية) فى حماية العمق المصرى ، ومنع طائرات العدو من ضرب المطارات والأهداف العسكرية والمنشآت الصناعية فى سائر أنحاء الجمهورية .

صورة لحائط الصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات :

امتدت قواعد الدفاع الجوى المصرى بامتداد المواجهة من السويس جنوباً إلى بورسعيد شمالا على طول قناة السويس ، وكان امتدادها من الجنوب إلى الشمال امتداداً لشبكات أخرى من القواعد المضادة للطائرات حتى لا تكون هناك ثغرة فى الطرف الجنوبى للحائط العملاق . وقد كان عمق هذا الحائط من القواعد الصاروخية يكفل لتشكيلات القوات المسلحة الحشد والانتشار فى أوضاع الهجوم والاقتحام .

وأيضاً كان كافياً للتعامل مع الطائرات المعادية التى قد تستطيع الإفلات من إحدى القواعد الأمامية حيث كانت تنتظرها على الفور قواعد أخرى .

(بلغ عدد منصات إطلاق الصواريخ أكثر من (٨٠٠) منصة بالإضافة إلى عدد هائل من بطاريات المدافع المضادة للطائرات) . .

ومن جهة أخرى حددت قيادة الدفاع الجوى مواقع تكتيكية لهذه القواعد بحيث تشكل فيما بينها حماية متبادلة . بمعنى أن الطائرات التى تحاول ضرب قاعدة منها . . لا بد أن تكون فى متناول القواعد الأخرى . .

وقد كانت هذه النظرية من أبرز نجاحات الفكر العسكرى المصرى فى هذا المجال .

كذلك اتسم عمل القواعد بالمرونة وسرعة الحركة النابعتين من الكفاءة الفنية والبدنية والمعنوية العالية لرجال الدفاع الجوى . فكانت تتم مناورات وانتقالات مستمرة بعد كل

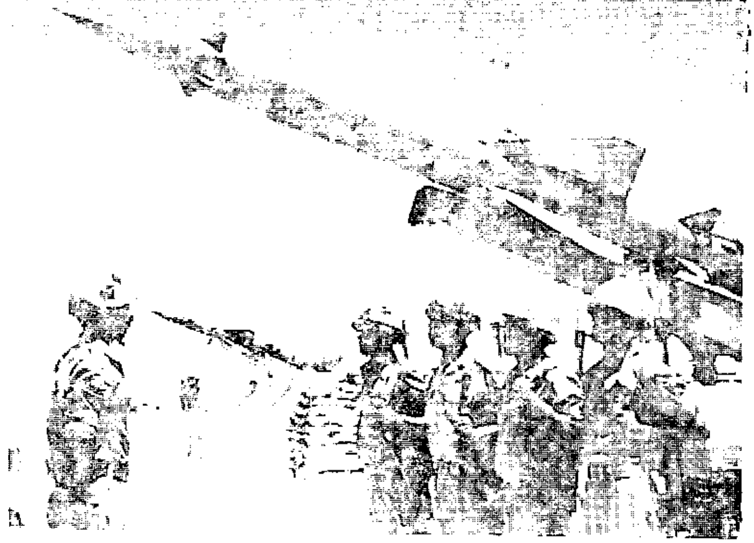

فريق محمد على فهمى قائد قوات الدفاع
الجوى أثناء الحرب

اللواء حلمى عفيفى قائد قوات الدفاع
الجوى [بعد تعيين الفريق محمد على
فهمى رئيساً للأركان]

معركة مع طائرات العدو ، بحيث تتغير مواقعها من وقت لآخر بعد أن يكون العدو قد التقط صوراً للمواقع الأولى ، وأيضاً لعب رجال الدفاع الجوى بالقواعد الهيكلية فى مهارة وجسارة حتى أن عدداً من طائرات العدو تم إسقاطها فى الوقت الذى تصور فيه طياروها أنهم دمروا الموقع الذى لا يكون سوى موقع هيكلى . .

ولا بد أن الفكر العسكرى سيتوقف بالتحليل أمام عملية مواءمة أوضاع قواعد الصواريخ مع أوضاع القوات البرية المتقدمة لتحتفظ لها بالمظلة الصاروخية كغطاء يحميها من الطائرات المعادية . وهذه العملية المعقدة لا يمكن أن تتم إلا إذا توافرت لدى الرجال أقصى درجات الكفاءة الفنية والتكتيكية ، وأعلى درجات الحذر واليقظة والذكاء المتوقد .

صور لانهيار السلاح الجوى الإسرائيلى :

بعد أن تحطمت موجات الطائرات الإسرائيلية التى اندفعت لضرب المعابر وتجمعات القوات المصرية على جانبى القناة . بدأ الطيران الإسرائيلى ، يعمل بنوع من الحذر . . ولكن المعارك التى كان مضطراً لدخولها حولت الحذر إلى خوف واضح فتكررت هذه المشاهد والمواقف :

١ – نتيجة لدقة استخدام الصواريخ ، وبالتالى زيادة الخسائر فى الطائرات المغيرة لوحظ أن بعض الطيارين الإسرائيليين كانوا يقفزون من طائراتهم بمجرد أن تشير أجهزة الإنذار لديهم بصورها المختلفة إلى أن قذيفة صاروخية مضادة أطلقت عليهم . وقد تكرر ذلك بالفعل . . حتى أن عدداً من تلك الطائرات كان يسقط من تلقاء نفسه بعد هبوط الطيارين ! !

٢ – أصدرت القيادة الإسرائيلية تعليماتها إلى الطيارين بعدم الاقتراب من قناة السويس لمسافة ١٥ كيلومتراً حتى لا تصطادهم الصواريخ المصرية المضادة للطائرات .

٣ – ثبت فى بعض الحالات (خاصة مع الطيارين المرتزقة) أن القيادة الإسرائيلية قد ربطتهم فى مقاعدهم ، أو نزعت جهاز إطلاق المقعد بالمظلة فى حالة إصابة الطائرة .

٤ – أضرب الطيارون الإسرائيليون فى بعض القواعد عندما لاحظوا تناقص عددهم بشكل متزايد نتيجة للخسائر العالية .

(وصلت نسبة الخسائر فى الطائرات الإسرائيلية إلى ١٠٠٪ فى بعض الحالات ، مثلما حدث فى الإغارة على أحد المطارات فى شمال الدلتا ، حين أسقطت الصواريخ جميع

الطائرات الفانتوم والميراج التى قامت بالإغارة . . وقد سقط طيار ١٠٠ ما بين قتيل وجريح وأسير) .

٥ – سارعت إسرائيل – بعد وصول الإنقاذ الأمريكى عبر الجسر الجوى والبحرى إلى تغيير أسلوب سلاحها الجوى الذى أضيفت لطائراته أجهزة الإعاقة الإلكترونية الحديثة لمواجهة الصواريخ المصرية (سام ٦ وسام ٢ وسام ٣ وسام ٧) ، لكن الرجال من قوات الدفاع الجوى أدركوا التغيير الجديد ، وتعاملوا مع الطائرات المعادية بأسلوب آخر . . وكبدوها خسائر ضخمة حتى أنه اسقط فوق بورسعيد وحدها خمسون طائرة فانتوم وميراج وسكاى هوك .

٦ – أصيب عدد من الطيارين الإسرائيليين بصدمات عصبية ونفسية امتد تأثيرها لفترة طويلة .

٧ – تقول المصادر الغربية إن إسرائيل خسرت ٢٠٠ طائرة ، بينما تقول المصادر الشرقية إن عدد الطائرات التى أسقطت لإسرائيل ٢٨٠ طائرة وقد ذكرت القيادة الإسرائيلية أن ٣٠٪ من هذه الطائرات أسقطتها الصواريخ ، ٣٠٪ سقطت بفعل المدافع ٢٣م الرباعية المواسير (الشيلكا) وبالرغم من أنهم ذكروا أن ١٥٪ من الطائرات سقطت فى معارك جوية . . ولم يذكروا شيئاً عن الـ ١٥٪ المتبقية إلا أنه مع ذلك يبقى للدفاع الجوى الفضل فى إسقاط ٦٠٪ من مجموع ما سقط من الطائرات الإسرائيلية .

نتائج هامة جدًّا :

١ – أسهم الدفاع الجوى فى تحطيم أسطورة ذراع إسرائيل الطويلة أو عصا إسرائيل الغليظة وهى سلاحها الجوى ، وبذلك تحطم جزء أساسى من نظرية الردع الإسرائيلية ، ونظرية الأمن ذاتها . .

٢ – كشف الأداء والتخطيط العظيمان لقوات الدفاع الجوى زيف الادعاء بأن هناك فجوة تكنولوجية واسعة تفصل بين التقدم الإسرائيلى والتخلف العربى . إذ أن وسائل الدفاع الجوى التى استخدمها المقاتل المصرى والسورى بلغت من الدقة والتعقيد حدًّا يصعب استيعابه إلا من مقاتل متقدم يتمتع بالذكاء والثقافة والقدرة على التصرف المرن السريع .

. . . .

قالوا عن شبكة الدفاع الجوى المصرى :

« لقد كانت شبكة الدفاع الجوى المصرى تعمل بدرجة عالية من الكفاءة جعلتها تسقط لا أقل من عشر طائرات فى أول ساعتين من القتال فى حرب أكتوبر ، الأمر الذى جعل قيادة القوات الجوية الإسرائيلية تحذر كافة الطيارين من الاقتراب من هذه الشبكة لأكثر من مسافة ١٥ - ٢٠ كم .

لقد أثبتت شبكة الدفاع الجوى المصرى التى أنشئت أثناء المراحل الأخيرة من حرب الاستنزاف فى الفترة من ١٩٦٨ - ١٩٧٠ ، فعاليتها تماماً .

(توقيع)
المفكر العسكرى الجنرال ادجار أوبلانس

« إن القدرة الكاملة لنظم أسلحة الدفاع الجوى لم تظهر واضحة إلا فى حرب أكتوبر فى الشرق الأوسط . . ذلك أن اجتماع المدفعية التقليدية وصواريخ أرض / جو وطائرات الاعتراض أتاح استخدام نظام دفاع جوى فعال يغطى عمليات عبور القناة ومنطقة الإمدادات فى الخلف ، ومنطقة العمق فى مصر» .

(توقيع)
(جنرال فارار هوكلى)
رئيس قسم تطور القتال
فى القوات المسلحة البريطانية

« إننى بعد النتائج التى حققتها شبكة الدفاع الجوى المصرى ، وبعد زيارتى لعدد من قواعدها أقول إننى لم أكن أتمنى أبداً أن أكون طياراً إسرائيلياً » .

(توقيع)
خبير عسكرى فرنسى

« فى الأيام الأولى من الحرب كانت هناك ثلاث طائرات تسقط على جبهة القناة من بين كل خمس طائرات إسرائيلية تحاول الإغارة على القوات المصرية وجسور العبور» .

(توقيع)
أحد مراقبى الأمم المتحدة
فى تحقيق نشرته النيوزويك الأمريكية

صور من سجلات رجال الدفاع الجوى المصرى

. . . .

رجل يواجه طائرة ! !

كانت إحدى صور الشجاعة الممتزجة بالكفاءة النادرة تتمثل فى رجال الدفاع الجوى الذين يستخدمون صاروخ الكتف (استريللا) ، حيث يصبح الأمر هنا صراعاً بين رجل فرد وطائرة مقاتلة قاذفة . .

ومن قصص هؤلاء الرجال . . قصة المقاتل نعيم . . وتقول تفاصيلها «كان ذلك فى يوم الأحد ٧/١٠/١٩٧٣ . . حين كانت القوات المصرية تواصل عبورها واقتحام الموانع والتصدى للهجمات الإسرائيلية المدرعة ، عندما ظهر فى السماء أربع طائرات إسرائيلية من طراز فانتوم أقبلت بحمولاتها الضخمة من القنابل والصواريخ مستهدفة المعابر ومن عليها .

وكان نعيم يقف مع زملائه الثلاثة عند بداية المعبر ، عيونهم تلاحق الطائرات المعادية . كانت المسافات بين الرجال الأربعة تكاد تكون منتظمة ، وسقطت قنابل الفانتوم فى المياه وعلى السد الترابى ، وتطايرت الشظايا . واستدارت الطائرات الأربع عائدة إلى قواعدها ولكن نعيم وزملاءه المقاتلين الثلاثة كانوا قد أطلقوا بسرعة البرق أربعة صواريخ من القواذف التى يحملونها فوق أكتافهم .

ومرقت الصواريخ كالسهام النارية وأخذت تطارد الطائرات حتى انجذبت إلى مؤخرتها بسرعة خارقة . وانفجرت الطائرات الأربع فى السماء . . وتناثرت شظاياها وجثث طياريها الثمانية على الأرض . .

واستمر المعبر فى القيام بمهامه . . أما نعيم وزملاؤه . فقد استعدوا لأى هجوم آخر . .

لا بد أن تواصل القاعدة عملها :

فى ظهر يوم ١٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، كانت كتيبة الصواريخ المضادة للطائرات التى يقـودها المقاتل أيمن (فى بورسعيد) تشتبك مع أربع طائرات إسرائيلية . وفجأة أصيبت إحدى المعدات بعطل مفاجىء ، واستلزم هذا العطل أن يتقدم أحد الأبطال للتحكم فى

الأسلاك التى تعطى جهداً كهربائيًا عالياً (يكفى لصعق مائة فرد فى لحظة خاطفة) وقرر المقاتل أيمن أن يقوم هو نفسه بهذه المهمة الخطيرة ، وبالفعل اتجه نحو الأسلاك وأمسك فى يده بقطعة صغيرة من الخشب وأخذ يضغط بها وأصدر أوامره بإطلاق ثلاثة صواريخ . فاهتزت أرجاء الموقع ، وزمجرت الصواريخ الثلاثة وهى تندفع فى شراهة نحو ثلاث طائرات معادية من طائرات العدو . . كل هذا والقائد أيمن ما زال ممسكاً بالقطعة الخشبية التى يضغط بها على الأسلاك حتى لا ينقطع التيار الكهربائى أثناء توجيه الصواريخ إلى الطائرات الإسرائيلية .

وأبلغ ضابط التوجيه القائد . .

« الهدف الأول . . تدمر بصاروخ واحد . . »

وراحت عيون الرجال تتابع الصواريخ على شاشة الرادار وهى تقترب من الطائرات الباقية . وصاح ضابط التوجيه مرة ثانية .

« الهدف الثانى . . تدمر بصاروخ واحد . . »

وفى تلك اللحظة قطع السكون داخل كابينة القيادة صوت من خلال مكبر الصوت المعلق على جدارها : « العطل تم إصلاحه » . .

ورفع أيمن يده عن الأسلاك . . وأقبل نحوه ضابط إطلاق الصواريخ وعانقه وهو يقول له :

« والهدف الثالث . . تدمر بصاروخ واحد يا افندم . . »

حتى آخر قطرة من دمه :

أحد مواقع المدفعية المضادة للطائرات على ساحل البحر الأحمر حيث كان يتم الدفاع عن بعض الوحدات البرية من المشاة والدبابات المتمركزة على ساحل البحر . . ورجال الموقع لا يتوقفون عن العمل واليقظة . .

وبينما كان أحدهم (مصطفى) جالساً فوق مقعده ، ويداه ممسكتان بمنجلة مدفعه المضاد للطائرات من العيار المتوسط ، وعيناه تدققان النظر فى التلسكوب الموضوع أمامه ، ويدور المدفع فى قوس تفتيش بحثاً عن أى طائرة إسرائيلية قد تظهر فى الأفق الممتد أمامه ، فى تلك اللحظة يعلو صوت قائد طاقم الموقع وفى يده سماعة التليفون :

« طائرات معادية . . الاتجاه (. . . . .) المسافة (. . . . . . .) الارتفاع (. . . .)

استعد . . للاشتباك . . »

واندفعت القذائف من فوهات المواقع ، وأخذ مصطفى يضغط على بدال ضرب النار بمدفعه بكل قوته ، وتقذف الطائرات التى فشلت فى الاقتراب من الموقع بحمولاتها بعيداً لكن إحدى القنابل تسقط بجوار مدفع مصطفى ، وتدخل شظية منها فى ساقة اليمنى فتمزقها ، لكنه لم يعد يهتم إلا بمواصلة التصدى للطائرات المغيرة . . توحدت كل أفكاره وطاقته فى الإصرار على الدفاع ضد العدو . . وبدلا من ساقه المصابة أخذ يضغط بيده اليمنى على بدال ضرب النار ، بينما يوجه المدفع بيده اليسرى .

وفشلت الطائرات مرة أخرى فى ضرب هدفها لكن قنبلة ثانية تسقط بجواره مباشرة . . فيسقط مصطفى شهيداً دون أن تفارق يده منجلة مدفعه التى ظل قابضاً عليها . .

(٥)

إنهم يدخلون فى كل مكان . . وبكل وسيلة

كان الجنرال شموئيل جونين قائد القوات الإسرائيلية فى جبهة سيناء ، مجتمعاً مع ضباط القيادة فى غرفة العمليات ، لمناقشة عملية الصد والهجوم المضاد على القوات المصرية التى تواصل عبورها إلى سيناء ، وتحاصر وتحتل عدداً من النقاط الحصينة من خط بارليف . . وفجأة . . تلقى الجندى الذى يعمل على جهاز اللاسلكى فى غرفة العمليات إشارة عاجلة . . ما كاد يسمعها حتى سقط مغشياً عليه . والتقط أحد الضباط تلك الإشارة ، ثم أسرع إلى الجنرال جونين ، وقال له بصوت متلعثم مرتبك :

« إن قوات الكوماندوز المصريين توغلت فى العمق ، وتقوم بمهاجمة أهداف فى منطقتنا هذه ! ! »

وساد الارتباك والقلق غرفة عمليات القيادة . وسارع جونين وضباطه إلى الإمساك بأسلحتهم الشخصية فى أيديهم . . ولم يتخلوا عنها طوال الاجتماعات .

. . . .

وفى منطقة أخرى كان أحد القادة الإسرائيليين (الجنرال كالمان ماجن) يصرخ فى جهاز اللاسلكى : « إن الكوماندوز المصريين يدخلون إلى سيناء من كل مكان . . وبكل وسيلة ، إنهم يأتون من الجو . . ومن البحر . . وعلى الأقدام . . إن هذه القوات تقاتل بشراسة وهى مسلحة بأحدث الأسلحة » .

. . . .

وفى الساعة ١١,٣٠ من صباح الأحد ٧ أكتوبر ١٩٧٣ . . كان الجنرال موشيه ديان وزير الدفاع الإسرائيلى فى الهليوكبتر متجهاً إلى مقر قيادة جبهة سيناء عندما تلقت غرفة عمليات القيادة إشارة أخرى عن ظهور وحدات من قوات الكوماندوز (الصاعقة) المصريين فاتصل به الجنرال جونين فى الجو وقال له :

« لا تهبط بالطائرة . . . على الأقل لا تهبط بهـا فى هذه المنطقـة . . فالكوماندوز المصريون منتشرون هنا الآن ! ! »

ميد. نبيل شكرى قائد
الصاعقة المصرية

لعميد محمود عبد الله قائد المظلات

العميد إبراهيم الرفاعى : كانت حياته وكان استشهاده ملحمة بطولية رائعة

مقاتل صاعقة ينتظر صيده

بعض رجال الصاعقة فى أحد الكمائن التى ألحقت بالقوات الإسرائيلية خسائر فادحة

لقد انتشروا فى كل مكان خلف خطوط العدو ، وبين قواته . وحيثما كانوا يظهرون ، كانوا يثيرون الرعب والفزع

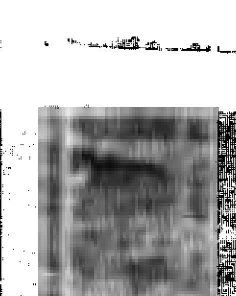

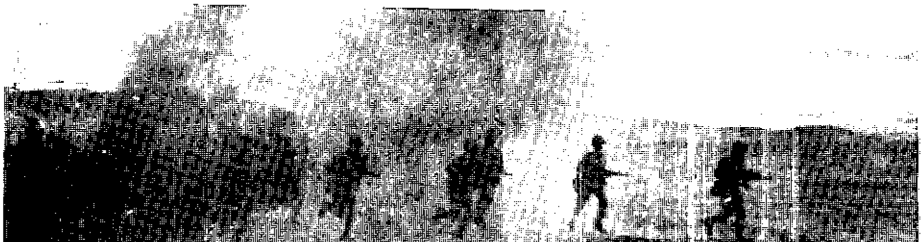

وأصدر ديان أوامره السريعة لقائد الطائرة بتغيير الاتجاه والبحث عن مكان آخر يكون الهبوط فيه مأموناً ! !

أماهم . . رجال الصاعقة (الكوماندوز) المصريون . . فقد كانوا يتنقلون فى خفة النمور بطول وعمق الجبهة كلها . . يظهرون فجأة . . ويوجهون ضرباتهم إلى دبابات العدو ومواقعه . . ويختفون لكى يظهروا فى أماكن أخرى ولكى يبثوا الرعب والفزع حيثما حلوا . . .

. . . .

وكانت المهام الملقاة على عاتقهم صعبة وانتحارية . . فهم عندما تلقوا الأوامر بالانطلاق إلى المواقع الإسرائيلية فى سيناء . . وخلف خطوطهم . . كانوا – كما قال أحدهم ضاحكاً – يعلمون أنهم قطعوا تذكرة ذهاب . . بلا عودة ! !

. . . كان على رجال الصاعقة أن يكونوا طليعة قوات العبور . . ومنهم كانت الوحدات التى كلفت بمحاصرة وإسقاط عدد من النقاط الحصينة لخط بارليف . ومنهم كانت الوحدات التى اندفعت فور عبورها القناة واقتحامها الموانع الأخرى داخل سيناء لتشترك مع مشاة المدفعية فى صد وتدمير المدرعات الإسرائيلية التى ستتحرك نحو القناة لضرب عملية العبور . ومنهم كانت المجموعات التى تم إبرارها داخل سيناء لضرب الخطوط الخلفية للعدو وإرباك أو منع مدرعاته من اجتياز الممرات الرئيسية نحو الغرب . .

وهم كلهم شاركوا بجرأتهم وتضحياتهم الهائلة فى إرباك قيادة العدو وبث الذعر فى القوات الإسرائيلية . . وتكبيدها خسائر كبيرة . . ثم – وهذا هو الأهم – استطاعوا أن يقدموا للعالم صورة رائعة للمقاتل المصرى فى ذروة اللياقة البدنية والذهنية والثقافية تنسجها جميعاً شجاعة غير عادية .

. . . .

ويعترف الكثيرون فى أنحاء العالم بهذه الحقيقة فتقول – مثلا – صحيفة « الصنداى تايمز » :

« لقد حظى الكوماندوز المصريون بقدر كبير من الاحترام الذى يشى بالحقد من جانب الإسرائيليين ! ! »

. . . .

وقائع . . وصور

من سجلات مجموعة الصاعقة (٣٩) :

٥ أكتوبر ١٩٧٣ :

قامت بعض وحدات المجموعة ، مع وحدات مجموعات أخرى من الصاعقة بالتسلل ليلا إلى الضفة الشرقية . . وأبطلت جميع معدات وأجهزة ضخ النار النابالمية التى أعدها الإسرائيليون على الضفة الشرقية لكى يشعلوا بها القناة عندما تعبر القوات المصرية .

٦ أكتوبر ١٩٧٣ :

قامت بعض وحدات المجموعة بقصف آبار ومنشآت البترول فى بلاعيم .

٧ أكتوبر ١٩٧٣ :

فى واحدة من أكبر العمليات وهى الإغارة على مواقع العدو فى شرم الشيخ اشترك فيها جميع ضباط المجموعة ، وأكفأ صف ضباطها ، فأبحرت ٦ لنشات من الغردقة لترسو على رأس محمد ، وتنصب قواعد الصواريخ ، وتطلقها على منشآت ومواقع العدو هناك .

كانت المسافة من الغردقة إلى شرم الشيخ ١١٠ كيلو مترات ، والبحر الأحمر بطبعه قاس ، يبلغ ارتفاع أمواجه ثمانية أمتار .

كان قد تم التجهيز لهذه العملية قبل بدء الحرب بعام كامل . وعندما بدءوا تنفيذها اليوم ، كان جو البحر عاصفاً ، لكنهم استمروا فى إبحارهم بعد أن عاد لنشان إلى القاعدة فى شدوان ودارت معركة مع طيران العدو ، ثم ظهرت لنشاته المسلحة التى تمكنت من إصابة القارب الذى يقوده المقاتل (وسام) واقترب أحد اللنشات من القارب المصاب وبدأ يوجه إنذاره من مكبرات الصوت . « سلموا أنفسكم » وفجأة دار القارب ، واندفع ناحية اللنش الإسرائيلى الذى اختفى بأسرع ما يمكن . وبدأت معركة أخرى مع طيران العدو . . . تخلص منها القارب . وواصل مهمته .

. . . .

يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ :

أغارت المجموعة على منطقة شلاطيم .

يوم ١٥ أكتوبر ١٩٧٣ :

أغارت المجموعة على منطقة الطور ، وضربتها بصواريخ ١٢ ملم .

يوم ١٩ أكتوبر ١٩٧٣ :

وحتى وقف إطلاق النار : تصدت المجموعة لقوات الثغرة التى حاولت الوصول إلى الإسماعيلية ومنعتها من تحقيق هدفها بعد أن كبدتها خسائر ضخمة .

. . . .

من أوراق المقاتل صاعقة شلبى :

فى ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر ٧٣ قامت الهليوكبتر بإبرارنا فى عمق سيناء فى القطاع الشمالى الذى يبعد (٣٠) كيلومتراً من القناة ، وكان علينا أن نسير على أقدامنا (٤٠) كيلو متراً أخرى لكى نصل إلى المحور الشمالى ، وهو الطريق الرئيسى لمرور مدرعات العدو واحتياطاته إلى قناة السويس .

وقبل أن نتحرك أحس العدو بوجودنا فى المنطقة ، فحاول البحث عنا بطائرات الهليوكبتر . وكان قرارى للرجال بأن نتقدم بأقصى سرعة لنصل إلى مسرح العمليات فى التوقيت المحدد ، وفعلا دخلنا المنطقة المحددة ، ثم تمركزنا فى مكان يبعد عن المحور الشمالى بحوالى ٥٠ متراً فقط ، وكانت مهمتنا أن نعطل تقدم الدبابات الإسرائيلية عن طريق هذا المحور بأى ثمن ولمدة تتراوح بين ساعتين وأربع ساعات ، وذلك لإعطاء الفرصة أمام قوات الجيش الثانى لإنشاء المعبر ، وعبور المدرعات بدون تدخل كامل من مدرعات العدو .

. . . عندما وصلنا إلى المكان المحدد وجدنا أمامنا أربع دبابات قامت بالضرب علينا من جميع الاتجاهات ، وكانت المسافة لا تزيد على ١٠٠ متر فقط . . وأصدرت قرارى بالتريث وعدم الرد عليها حتى لا يكتشف العدو موقعنا . والتزمنا الصمت الكامل لمدة (٤٥) دقيقة انسحبت بعدها الدبابات الأربع . ولم نكن قد تعرضنا لأى خسائر .

واتخذنا مواقعنا حول المحور ، وتم حفر هذه المواقع وتمويهها جيداً ، وفى الساعة الثانية والنصف من صباح الأحد ٧/١٠/١٩٧٣ بدأ العدو عملية جس النبض فحرك عربتين نصف جنزير وعربة جيب ، ثم عادت العربات الثلاث مرة أخرى بأقصى سرعة .

وفى الساعة السادسة صباحاً ، سمعنا دبابات العدو تتقدم على المحور من اتجاه العريش (وكانت عبارة عن لواء مدرع يتجه إلى ناحية القناة لإنقاذ المواقع الحصينة من خط بارليف) . تركنا الدبابات تتقدم حتى وصلت بداياتها أمامنا تماماً . فأصدرت أوامرى بفتح النيران ، واشتبكنا معها بجميع الأسلحة الموجودة معنا ، وهى أسلحة خفيفة مضادة للدبابات ، وقنابل ، وصواريخ مضادة للدبابات أيضاً .

وكانت نتيجة المعركة حاسمة . فى خلال ساعتين خسر العدو (١٨) دبابة وأتوبيس ، وعربتين نصف جنزير ، وعربتين للأفراد ، وعربتين جنزير .

. . . . وقد تحركت باقى مدرعات اللواء الإسرائيلى إلى الخلف هاربة من المعركة .

وهكذا نجحنا فى تحقيق مهمتنا الأساسية وهى منع تقدم العدو إلى منطقة القناة حيث أن اللواء المدرع توقف ، وانسحب إلى الخلف ليعيد تنظيم صفوفه . وليخلى المنطقة من الدبابات المدمرة التى سدت الطريق . . كما أننا فى نفس الوقت أوقعنا بالعدو خسائر كبيرة . بينما لم نخسر نحن مقاتلاً واحداً .

جاءوا للانتقام . . فصاحوا . . لا تقتلنا يا مصرى :

فى محاولة سريعة من العدو للقضاء علينا بأى وسيلة ، وصلت على الفور إلى المنطقة وخلفنا أربع طائرات هيلوكبتر هبط منها حوالى ٨٠ فرداً (من الكوماندوز الإسرائيليين) وتقدموا شاهرين السلاح فى اتجاهنا لمحاولة تطويقنا والقضاء علينا . والتزمنا نحن الصمت الكامل ، ثم فتحنا النار فجأة عليهم وتم القضاء على أكثر من ٤٠ فرداً منهم ، وانطلق الباقون يحاولون الفرار مذعورين ، ورفع بعضهم أيديهم إلى أعلى صارخين « لا تقتلنا يا مصرى » هذا ولم نخسر حتى الآن شهيداً واحداً .

وجربوا استخدام مدرعاتهم ضدنا مرة أخرى :

فى تمام الساعة الثانية من هذا اليوم . . وجدنا وراءنا ٢٦ دبابة تتقدم فى اتجاهنا نحن الذين لا يصل عددنا إلى مائة فرد مترجل ! !

. . . المهم . . قررنا ألا نتحرك من حفرنا ، وفضلنا أن نموت داخلها . . وبدأ العدو يتقدم نحونا ، وطلب منا الاستسلام (من خلال مكبرات الصوت) . . ولكننا لم نعبأ بما يقوله . وكان ما يشغلنا تماماً هو كيف نواجه هذه الدبابات الكثيرة بينما لم يعد معنا إلا القليل من الذخيرة .

وفى هذه اللحظات اندفع المقاتل (على نجم) من حفرته ، وجرى وراء إحدى الدبابات ، وألقى عليها قنبلة ففجرتها ، لكنه أصيب بطلقة استشهد على أثرها . ثم تحرك المقاتل (عبد الحليم مهنا) ومعه قاذف آر . بى . جى ، وأخذ يتنقل من حفرة إلى حفرة وهو يوجه ضرباته إلى الدبابات المتقدمة . فدمر ثلاث دبابات فى خمس دقائق فقط ، ثم أصيب فترك حفرته وانطلق يعدو – برغم شدة الإصابة – نحو دبابة رابعة ودمرها . . واستشهد فوقها .

. . . .

بعد ذلك بدأ العدو يطوق المنطقة ، ويخلى دباباته المصابة من المحور لتتمكن المدرعات من المرور ، وانشغل فى تطهير المحور حتى الساعة السادسة مساءً .

وكانت الفرصة أمامنا فى العودة إلى الخلف فى المنطقة المحددة لتجمعنا ، وفى صباح ٨ أكتوبر ، بعد أن دمرنا بعض الأجهزة ، وحملنا معنا زملاءنا المصابين بدأنا العودة وفى أول ضوء للنهار اكتشفنا أننا فى منطقة شئون إدارية للعدو ، وأصدرت أمراً بأن نثبت فى أماكننا حتى المساء ، وفعلاً تحركنا فى الساعة الثانية من صباح ٩ أكتوبر فى اتجاه رأس العش ثم إلى بورسعيد حيث استقبلتنا قيادتنا أحسن استقبال . وكان أول سؤال نوجهه نحن هو : ما هى مهمتنا التالية ؟

(توقيع)
مقاتل صاعقة شلبى

كيف رأى جنود الجيش الإسرائيلى . . رجال الصاعقة المصريين ؟

١ – يا إلهى . . . إنها ليست أشجاراً . . إنهم آدميون . . إنهم مصريون ! !

قال ضابط إسرائيلى من قوات آدن :

« . . . كنا نتقدم بمدرعاتنا ، ورأيت على البعد بقعاً سوداء فى ثنيات الرمال ، ولم أستطع تبين كنه هذه البقع . وعندما اقتربنا منها أكثر . اعتقدت أنها جذوع أشجار

فلم تكن هناك أية حركة تنبعث من هذه الأشياء التى تناثرت أمامنا فى الطريق الذى نتقدم عليه . وأمسكت بجهاز الاتصال وسألت طاقم الدبابة التى تتقدمنا عن تلك الأشياء فى اللحظة التى صرخ فيها أحد قادة الدبابات قائلا :

« يا إلهى . . إنها ليست جذوع أشجار . . إنهم آدميون . . إنهم رجال . . إنهم . . »

ولم أستطع أن أفهم شيئاً للوهلة الأولى . . فماذا يفعل أولئك الرجال الذين ما زالوا صامتين لا يتحركون بينما نحن نتقدم بدباباتنا ونقترب منهم ؟ ؟

. . . وفجأة . . انفجر جحيم من النيران فوقنا . . وانطلقت صواريخ عديدة نحونا . . فدمرت الكثير من دباباتنا ! !

إننا لم نواجه شيئاً مثل ذلك من قبل . . على الإطلاق ! !

٢ – لقد قاتلوا بصورة انتحارية :

يقول مؤلفو كتاب التقصير الإسرائيليون :

« أدخل المصريون فى الحساب عند تخطيطهم للحرب حقيقة أن الجيش الإسرائيلى هو فى الأساس جيش احتياط . ولذلك ألقيت على عاتق ألوية الكوماندوز المدربة مهمة قطع الطرق على قوات الاحتياط للحيلولة بينها وبين الوصول إلى الجبهة . وكانت وحدات الكوماندوز هذه مجهزة بسلاح مضاد للدروع من طراز آر . بى . جى ، وكانت أهدافها احتلال مفارق طرق ، ونقاط حساسة على محاور الحركة المركزية فى سيناء وضرب الدبابات والمدفعية .

وقد أنزلت عشرات من طائرات الهليوكبتر فى تلك الليلة جنود الكوماندوز فى جميع أنحاء سيناء على بعد عشرات الكيلو مترات خلف خطوطنا فى الجبهة . . وبالرغم من إسقاط بعض هذه الطائرات فإن المصريين استمروا فى إبرار جنود الكوماندوز فى عمق ميدان القتال ، وقد نجح المصريون فى إنزال أعداد كبيرة منهم خاصة فى شرم الشيخ جنوباً ، وفى القطاع الشمالى من قناة السويس – حيث برز الكوماندوز المصريون فى الحرب .

. . . .

وعندما اندفعت دبابات الوحدات المدرعة الإسرائيلية الأولى إلى الجبهة الجنوبية فى الساعات الأولى من صباح الأحد (٧ / ١٠ / ١٩٧٣) اصطدمت بكمين كبير من الكوماندوز المصريين الذين سمحوا لقوات القيادة التى كانت تسير فى المقدمة بالمرور

بسلام ، ثم فتحوا نيرانهم على بقية الدبابات فأصيب فى الرشقات الأولى عدد من الدبابات بصواريخ البازوكا التى أطلقت عليها من مدى قصير . . . وسقط الجنود الأوائل من المدرعات قبل وصولهم إلى الجبهة .

. . . وقد روى أحد القادة الإسرائيليين عن الاصطدام بكمين كوماندوز مصرى فقال عنهم : « لقد قاتلوا بصورة انتحارية . . . خرجوا نحونا من مسافة أمتار قليلة وسددوا بازوكاتهم إلى دباباتنا ، ولم يخشوا شيئاً . . . كانوا يتدحرجون بعد كل قذيفة ، بين العجلات فعلاً ، ويستترون تحت شجيرات صغيرة فى جانب الطريق ، ويلقموا البازوكا بطلقات أخرى .

. . . .

وبرغم إصابة أعداد من جنود الكوماندوز المصريين فإن زملاءهم لم يهربوا بل استمروا فى خوض معارك الإعاقة والعرقلة . وكانت معارك انتحارية مع الدبابات ، كما لو كانوا قد أقسموا على دفع حياتهم ثمناً لمنع الدبابات الإسرائيلية من المرور ، واضطر جنود المدرعات إلى خوض معارك قاسية معهم .

(توقيع)
يشعياهو – بن – فورات وزملاؤه
مؤلفو كتاب التقصير (المحدال)

٣ – كيف وقع الإسرائيليون فى أكبر خطر يقع فيه طرف محارب ؟

« وقف القائد الإسرائيلى « آمون » عند منقطة أبو سلطان يشاهد معركة مع فصيلة من رجال الصاعقة المصريين . وكان القائد الإسرائيلى يراقب « بإعجاب بالغ » القتال العنيد الباسل الذى أظهره هؤلاء الرجال المصريون . ومع أن « آمون » قدم معاونة بمدرعاته وعرباته النصف المجنزرة إلى السرية الإسرائيلية المهاجمة . . إلا أن المصريين ظلوا يقاتلون حتى استشهدوا جميعاً فيما عدا رجلا واحداً . ولم يلق هذا الرجل سلاحه أمام الجحافل المتقدمة . لكنه بدلاً من ذلك قفز إلى أعلى التل الذى كان يدافع عنه هو وزملاؤه ، وظل يطلق نيرانه على قواتنا حتى سقط شهيداً على قمة هذا التل .

ولما كان القائد (آمون) يعلم أن وراء هذا الموقع قوات أخرى مماثلة ، ولما كان قد شاهد بنفسه كفاءة هذه القوات فإنه لم يستطع أن يتقدم إلا بعد إمداده بقوات إضافية من المظليين .

وقد أجمع هذا القائد وضباطه على أن أى مصرى أصيب فى هذه المنطقة كان يعتبر

دليلاً حيًّا على الإصرار المتناهى والشجاعة الهائلة التى بذلها هؤلاء الرجال » .

هذه السطور جاءت على لسان الجنرال حايم هيرتسوج المتحدث العسكرى الإسرائيلى ومدير المخابرات السابق ، وقد ذكرها فى كتابه (حرب التكفير) وعبر عنها بقوله « لقد وقعت القوات الإسرائيلية فى أكبر خطر يقع فيه الطرف المحارب وذلك عندما أعجب الضباط والجنود من هذه القوات ببسالة وكفاءة المقاتلين المصريين (من كوماندوز ومشاة وغيرهم) وقد أخذ هذا الإعجاب يتزايد مع تطور عمليات القتال »

إن هذه النتيجة الخطيرة التى سجلها المعلق والخبير الإسرائيلى الكبير . . تعد بغير شك علامة فى نقطة التحول الجذرية التى تمثلها حرب أكتوبر . . خاصة وأن المسافة الفاصلة بين نظرة الجندى الإسرائيلى (السوبرمان) لنفسه ثم للجندى العربى قبل حرب أكتوبر . . ثم هذه النظرة المليئة بالإعجاب به أثناء وبعد الحرب . . هذه المسافة وهذا الانتقال الحاد بين طرفيها . . لا يمكن أن تنتهى آثارها مهما طال الوقت لأنها تمارس فعلها القوى داخل « النفس البشرية » ومثل هذا التأثير على سيكلوجية الجندى الإسرائيلى بالذات . . يتضاعف حجمه وخطره على ثقته وكفاءته .

٤ – كان شيئاً غريباً :

كان جنود الكوماندوز المصريون يتجولون فى المنطقة ، وينصبون الكمائن للدبابات الإسرائيلية (دبابات إريك شارون) و « بيرن » « وكالمان » . وفى أحد الأماكن استطاعوا إصابة دبابات بيرن . ولم تستطع دباباتنا القضاء عليهم .

وعندها طلبت خمس مجنزرات مع مظليى دانى . .

لقد كان شيئاً غريباً . . هل يصد ثلاثون مصريًّا ليس معهم أكثر من مدافع البازوكا رتلا إسرائيليًّا مدرعاً هكذا ؟ !

لقد تميز المصريون بالإقدام . وكانت مجموعاتهم الاستطلاعية المزودة كما يجب تعرف كيف تختبئ من قواتنا وتتجول هنا وهناك . .

(توقيع)
أورى دان

يقول التاريخ

. . كان المصريون أول من ابتكروا أعمال الفدائيين (الصاعقة) الكوماندوز فى التاريخ :

«إن الأرض قاطبة سترحب بى بوصفى الحاكم القوى فى داخل طيبة « كامس » حامى مصر . ولقد أقلعت منحدراً فى النيل بوصفى محارباً لأهزم « العامو » (الهكسوس) بأمر آمون صادق التضحية ، وقد كان جيشى شجاعاً يسير أمامى كأنه عاصفة من نار ، وكان جنود المازوا[1] فى مقدمة معاقلنا ليتجسسوا على مواقع العدو ، وليدمروها شرقاً وغرباً ، ومعهم طعامهم وأدمهم [2] » .

(من وثيقة فرعونية وهى على لسان الملك كامس ابن الملك سفنن رع وشقيق أحمس – والثلاثة هم الذين أجهزوا على الهكوس وطهروا منهم الوطن العربى) .

---

(١) المازوا : نسبة إلى بلاد النوبة .

(٢) من كتاب تاريخ الثورات المصرية ص ١١٣ (ترجع هذه الوثيقة إلى أكثر من ١٥٩٠ عاماً قبل الميلاد ، ويتضح من سياقها أن ملك طيبة (كامس) قد ابتدع العمل الفدائى قبل أن يعرفه العالم فكانت قوات المازوا التى تتقدم خلف خطوط العدو للاستطلاع والإرباك والتدمير . . هى نفسها قوات الصاعقة أو الكوماندوز فى عصرنا هذا) .

(٦)

السلاح الذى خنق إسرائيل

النكتة الإسرائيلية وبحرية إسرائيل :

وقف عضو الكنيست الإسرائيلى ليتحدث عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وبعد أن مر (مرور الكرام) على بعض جوانب الفشل الذى لقيته قوات الدفاع الإسرائيلى ، تلفت حواليه ثم قال بلهجة مسرحية : « ولكن أيها السادة . . . فلتعلموا جيداً أننا لم نخسر كل المعارك أو أن أسلحتنا جميعها فشلت فى تحقيق أهدافها . . فلقد قام سلاحنا البحرى بأعمال مجيدة . . وتفوق على البحرية المصرية والبحرية السورية طوال أيام الحرب » .

وقد أرسل شاب إسرائيلى خطاباً ينبض بالمرارة إلى صحيفة معاريف ، سخر فيه من كلام عضو الكنيست وقال إن كلام العضو المحترم يذكرنى بالنكتة التى يتبادلها الإسرائيليون الآن على المقاهى وفى المنتديات .

وتقول هذه النكتة : (إن رجلا ذهب إلى نجار يهودى واشترى منه مائدة خشبية ودفع له ثمنها ، وتوجه بها إلى بيته ، ولكنه ما كاد يستخدمها حتى اكتشف أن إحدى أرجلها مكسورة ، فحملها وعاد بها إلى النجار ، وشرح له عيبها ، فقال النجار بهدوء : « صحيح أن إحدى أرجلها مكسورة لكن لا تنس يا عزيزى أن الأرجل الثلاثة الباقية سليمة تماماً) .

ولكن ما الصلة بين خطبة عضو الكنيست الإسرائيلى ثم التعليق الساخر لواحد من شبابهم وبين الحديث عن دور البحرية المصرية فى معارك أكتوبر ١٩٧٣ . .

إن الصلة وثيقة تماماً فلقد بدأت إسرائيل منذ وقف إطلاق النار فى تنفيذ مخطط دعائى ما عاد ينطلى على المراقبين الموضوعيين . . لقد تحدث قادة إسرائيل وكتابها عن السلاح البحرى الإسرائيلى ونسبوا إليه أعمالا كبيرة . . بل قالوا إن هذه الحرب شهدت ميلاد القوة البحرية الإسرائيلية الحاسمة . .

ولا شك أن إسرائيل تحاول بهذه الدعاية أن تعوض انهيار طيرانها ومدرعاتها بأن تضفى بطولات كثيرة على سلاحها البحرى . . وحتى لو افترضنا جدلا أن ما تقوله صحيح فلقد اتضح أن « مائدة » قواتها المسلحة غير متوازنة « كما تقول نكتتهم » .

ولكن حيث أننا نقدم دراسة علمية ، فإننا لا نستطيع ولانملك الحق فى أن نفترض جدلاً صحة أى ادعاء ، لأن استقراء الحوادث والعمليات ينفى ما تدعيه إسرائيل لسلاحها البحرى على حساب البحرية المصرية والسورية . .

بل إن ذلك الشاب الذى أرسل خطابه الساخر حول خطبة عضو الكنيست كان أحرى به أن يعدل النكتة الإسرائيلية المشهورة بحيث تكون معبرة عن الواقع الموضوعى للجيش الإسرائيلى كما خرج من حرب أكتوبر فتصبح النكتة مثلاً كالتالى :

(اشترى رجل من نجار يهودى مائدة خشبية وبعد أن دفع له ثمنها توجه بها إلى بيته لكنه ما كاد يستخدمها حتى اكتشف أن أرجلها مكـ ـرة ومترنحة فحملها وعاد بها إلى النجـــار وشرح له حالتها فقال له النجار فى هدوء : صحيح أن أرجلها مكسورة ولكنك عندما تريد استخدامها تستطيع أن تستعير أربعة أرجل لها من عند صديقنا الأمريكى . .)

وإذا كان هذا هو تعقيبى على الدعاية الإسرائيلية لسلاحها البحرى على حساب البحرية المصرية والسورية وما تحمله فى طياتها فإننى أكون قد وضعت النتيجة أولاً . . وبالتالى فهأنذا أضع المقدمات من خلال وثائق البحرية المصرية . .

عملت البحرية المصرية من أجل تحقيق ثلاثة أهداف :

أولا : هدف استراتيجى يتمثل فى قطع خطوط المواصلات الإسرائيلية بالبحرين الأحمر والأبيض وقد تحدد الهدف بناء على دراسة علمية أظهرت **الأسس التالية** :

(ا) اعتادت إسرائيل أن تأخذ الحرب البحرية معها طابع الاشتباكات المحلية المحدودة فى المناطق المتاخمة للسواحل فقط .

(ب) اعتماد إسرائيل على الخطوط الملاحية التى تمر بمناطق حاكمة يمكن استغلالها فى عمليات التعرض لخطوط المواصلات .

(حـ) اعتماد إسرائيل الأساسى على النقل البحرى فى توفير الإمداد بالمعدات والمواد الاستراتيجية وعلى رأسها البترول الذى لا يتوافر لها محلياً .

(د) ما يتيحه العمق الاستراتيجى للوطن العربى من إمكانيات ممتازة للبحرية المصرية من حيث التمركز وإعادة العمل .

(هـ) إمكانية استخدام سلاح الألغام الخطير فى المناطق القريبة من دفاعات القوات الإسرائيلية .

الفريق محمد عبد الغنى الجمسى
مع الفريق فؤاد زكرى قائد القوات
البحرية

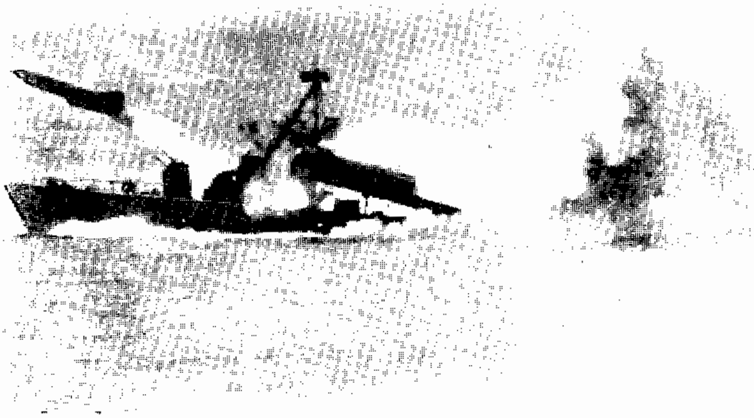

قامت القوات البحرية المصرية
بدورها الحاسم قبل وطوال أيام الطوفان.

(و) إمكانية مفاجأة العدو وإرباكه بتعميق النشاط البحرى وإبعاده عن النطاق التكتيكى بآلاف الكيلومترات . مع توجيه ضربة قاصمة لنظرية الأمن الإسرائيلى التى تعتمد على استمرار التواجد فى شرم الشيخ لتأمين الملاحة ، عبر مضايق تيران . .

وبالنسبة للبحر الأبيض المتوسط يتحقق هذا الهدف الاستراتيجى باستخدام الغواصات التى تؤهلها إمكانياتها للبقاء بالمناطق البعيدة لفترة طويلة وللعمل فى سرية كاملة .

ثانياً : تركيز المجهود الرئيسى لإنجاح ومعاونة القوات البرية فى أعمالها القتالية باعتبارها القوة الأساسية القادرة على تحرير الأرض وتحقيق النصر ، وتتمثل المعاونة والمساندة فى قصفات نيرانية من المدفعيات الساحلية والقطع البحرية ، أثناء التمهيد النيرانى وخلال مراحل العمليات على أساس العمل على جبهة عريضة شمالاً وجنوباً وفى توقيتات منسقة ، متقاربة ، مما يؤثر على تشتيت مجهود العدو ، وإضعاف رد فعله . . وكذلك فى منع بحرية العدو من التعرض لهذه القوات .

ثالثاً : توفير كافة أنواع الدفاعات للموانئ الرئيسية والوحدات العسكرية والتجارية الموجودة فى مشارفها لمنع العدو من التدخل فى هذه المنطقة ، وكان التهديد الأول هو الغواصات التى يمكنها إنزال متسللين ومخربين ، أما التهديد الثانى فهو لنشات العدو المسلحة التى يمكنها قصف الموانى ومهاجمة السفن التجارية والوحدات الحربية .

تلك هى الأهداف والمهام التى ألقيت على عاتق السلاح البحرى المصرى – فماذا حقق منها :

١ – قامت القوات البحرية المصرية بقصف تجمعات العدو الساحلية ومعاونة القـوات البرية بالنيران من اتجاه البحر بالوحدات البحرية ، والمدفعية الساحلية . وتمت قصفاتها فى الأيام الأولى للعمليات على جبهة عريضة حيث تم قصف رأس بيرون وشرق بور سعيد ورأس سدر وشرم الشيخ ورأس محمد فى اليوم الأول للعمليات بالإضافة إلى الاشتراك فى التمهيد النيرانى بمنطقة عيون موسى ورأس مسلة وشرق بور سعيد . وقد تكررت هذه القصفات فى المراحل التالية من العمليات .

٢ – أمكن تنفيذ مخطط التعرض لخطوط المواصلات البحرية للعدو . . بكفاءة تامة ، فلم تدخل أو تخرج أية سفينة من ميناء إيلات حتى توقيع اتفاقية الفصل بين القوات . . كما انخفض الدخول والخروج إلى الموانى الإسرائيلية على البحر الأبيض

إلى ١٢ ٪ من حجمها الطبيعى .

٣ – لم تستطع البحرية الإسرائيلية المساس بأمن وسلامة حرية الملاحة إلى الموانئ المصرية الرئيسية وبصفة خاصة بالإسكندرية وسفاجة ، بل استمرت هذه الموانئ فى العمل بحالة طبيعية وبنفس الطاقة إن لم يكن أكثر . فعلى سبيل المثال كان عدد السفن التى دخلت وخرجت من ميناء الإسكندرية فى يوم ٣ أكتوبر عشر سفن بينما وصل العدد فى ١٧ أكتوبر إلى ٢١ سفينة .

إنجازات للبحرية المصرية فى غيبة أو فشل البحرية الإسرائيلية

١ – قامت البحرية المصرية بعملية بث الألغام فى المياه التى يطل العدو على سواحلها بمدخل خليج السويس (قبل بداية العمليات) بتشكيل مكون من عدة وحدات . **هذا ولم تلاحظ البحرية الإسرائيلية هذا النشاط على الإطلاق . . وقد تكرر تنفيذ هذه المهمة عدة مرات دون أى تدخل من السلاح البحرى الإسرائيلى سوى فى المرة الأخيرة التى تمت يوم ١٩ أكتوبر .**

٢ – قصفت الوحدات البحرية مناطق بعيدة عن قواعدها **ولم تعترضها وحدة بحرية واحدة** ومن هذه المناطق منطقة شرم الشيخ التى تعتبرها إسرائيل قاعدة هامة لتأمين الملاحة عبر مضيق تيران . . وقد تكرر القصف عدة مرات بالصواريخ الموجهة وغير الموجهة .

٣ – بالنسبة للمهمة الرئيسية للبحرية الإسرائيلية التى طالما أعلن عنها القادة الإسرائيليون وهى تأمين خطوط المواصلات البحرية ، فقد ظهر عجز السلاح البحرى الإسرائيلى عن تحقيق هذه المهمة حين نجحت البحرية المصرية فى إغلاق مضيق باب المندب ، وقلصت نشاط الموانئ الإسرائيلية على البحر الأبيض المتوسط إلى الحد الأدنى . . وقد تحدثت عن هذه الحقيقة دراسة لمعهد ليونارد ديفيز الإسرائيلى فقالت بالنص :

« إن السفن الحربية المصرية ، جعلت مصر قادرة على حصار مضيق باب المندب ، ولم تكن إسرائيل تملك سوى وحدات خفيفة بالبحر الأحمر وكانت هذه الوحدات عاجزة عن فك الحصار ، حيث لم يكن فى مقدور القوات البحرية المتمركزة بهذه المنطقة العمل بأعالى البحار . وإن التغير الجذرى الذى حدث فى البحر الأحمر وفشل إسرائيل فى تجميع قوة بحرية فى هذه المنطقة قد مهد الطريق لحصار إسرائيل بواسطة البحرية المصرية » .

سؤالان وجوابان :

١ - إذا كانت تلك هى الإنجازات الضخمة للبحرية المصرية - وهى بالتالى دليل حاسم على فشل البحرية الإسرائيلية - فما هى مبررات الدعاية التى تعزف باستمرار لإضفاء هالة القوة على السلاح البحرى الإسرائيلى ؟

تقول الإجابة العلمية الواقعية إن البحرية الإسرائيلية فى محاولة لإخفاء ما أخفقت فيه لجأت إلى عمليات تكتيكية صغرى لا قيمة لها أكثر من المظهر الدعائى ، فوجهت مثلاً بعض القصفات ضد مناطق نائية وغير حيوية .

٢ - هل تكبدت البحرية الإسرائيلية خسائر ملحوظة فى معاركها مع البحرية المصرية ؟

المؤكد أن السلاح البحرى الإسرائيلى فقد فى معاركه المختلفة مع البحرية المصرية العديد من وحداته كسفن وزوارق الصواريخ . .

وكانت أضخم خسائره التى لم يكشف عنها النقاب إلا بعد الحرب بعامين ومن خلال تقارير المخابرات الأمريكية **غرق واحدة من الغواصات الإسرائيلية فى معركة بحرية بالقرب من بورسعيد ، وتقول التقارير إن إغراق هذه الغواصة وحدها يعنى تدمير ثلث السلاح البحرى الإسرائيلى بغض النظر عن الخسائر الأخرى فى الوحدات الأصغر . هذا بالرغم من أن البحرية الإسرائيلية كانت تعمل دائماً تحت حماية الطائرات وخاصة الهيليوكوبتر .**

. . . .

من أوراق البحرية المصرية

ما كادت شمس السبت ٦ أكتوبر **١٩٧٣** تغيب وراء الأفق حتى كانت بعض وحدات البحرية المصرية تأخذ طريقها فى اتجاه الشرق بمحاذاة الشاطئ ، وقرر القائد أن تكون السرعة بطيئة إلى حد ما حتى لا تثير الشكوك خاصة وأن الاحتمال بأن طيران العدو يقوم بمسح جوى كان قائماً . .

استمرت سفن الصواريخ فى تقدمها شرقاً دون أن يحدث أى اعتراض من قطع العدو البحرية أو يظهر لها أثر . ويشـدد القائد على المزيد من الحذر خشية أن يكون

العدو قد أعد كميناً مفاجئاً ، ثم وصلت السفن إلى أهدافها فوجهت قذائفها وصواريخها لتدمر موقع الردار الذى أقامه العدو عند (رأس بيرون) ، كما ضربت مختلف المواقع على الساحل الذى تحتله القوات الإسرائيلية .

وتماماً مثلما توقع الرجال ظهرت أعداد كبيرة من طائرات الفانتوم والسكاى هوك والهيليوكبتر وألقت مئات الفوانيس المضيئة (فليرز) .

كانت الساعة تشير إلى منتصف الليل . . ومعنى ذلك أنه على الرجال أن يشقوا طريق العودة بأية وسيلة لكى يصلوا مع خيوط الفجر إلى المياه الإقليمية . . إذ أن أمامهم إبحاراً يستغرق أكثر من خمس ساعات متواصلة ! !

وأدرك القائد خطة العدو حين لاحظ أن طائراته تلقى القنابل وفوانيس الإضاءة فى طريق عودتهم لكى يضطروا إلى الهروب شرقاً ، وعلى الفور تقرر الاستمرار فى الاتجاه نحو قاعدتهم والانطلاق بالسرعة العالية مع المناورة المستمرة تفادياً لقنابل الطائرات الإسرائيلية ، وعندئذ جن جنون هذه الطائرات فبدأت المقاتلات فى الهجوم والضرب برشاشاتها لكنها لم تفلح فى تحقيق أية إصابة ، واستخدمت الطائرات الهليوكبتر صواريخها السلكية ، لكن قادة الوحدات البحرية كانوا يعرفون جيداً كيف يتفادون هذه الصواريخ ، مما أثار ارتباك وحقد الطائرات المعادية فاقتربت إحداها (هليوكوبتر) من السفينة الأولى . بصورة أحس فيها قائدها المقاتل مسعود بأنه لابد أن يستثمرها ، فوجه مدافعه نحوها وفى لحظة واحدة كانت هذه الطائرة الهيليوكوبتر تسقط أمامهم فى البحر .

استمر هجوم الطيران المعادى ٩٠ دقيقة ، واستمر رجال القطع البحرية فى مناوراتهم إلى أن انسحبت الطائرات إلى قواعدها . . . ومع الخيوط الأولى للصباح كانت جميع الوحدات تدخل إلى مراسيها بعد أن نفّذت جميع مهامها ، مضافاً إليها إسقاط طائرة هليوكوبتر .

من أوراق المقاتل بحرى ناجى

فى ليلة ٨ أكتوبر ١٩٧٣ خرج تشكيل سفن بقيادة المقاتل على ، للمرور أمام سواحلنا وتدمير أية أهداف معادية يتم اكتشافها .

كنا أربع سفن . . قادها المقاتل محب والمقاتل ديدى وأنا ، أما سفينة القيادة فكان يقودها المقاتل على (قائد التشكيل) .

وفى منتصف الليل كشفت راداراتنا عن وجود ٩ أهداف أمامنا ، وخلال لحظات تم توزيع الأهداف وأطلق المقاتل على ٣ صواريخ على الأهداف الثلاثة التى كانت فى قطاعه فأصابها وبدأنا نحن نتعامل مع الأهداف الباقية .

كانت الصواريخ المندفعة فوق مياه البحر تحيل الليل فى هذه المنطقة إلى نهار ساطع ، وبالتالى فإن الغلبة فى مثل هذه المواقف تكون للقائد الذى يعطى أوامره بالإطلاق قبل القائد المعادى ولو بثانية واحدة وفى أقل من خمس دقائق أغرقنا للعدو خمس زوارق صواريخ من التى أحضرها ضمن صفقة شاربورج المهربة والتى استخدم منها الصاروخ «جبرابيل » المصنع محلياً .

كانت نتيجة المعركة قاسية بالنسبة لبحرية العدو خاصة وأننا لم نفقد قطعة واحدة ، فألقى بطائرات الهيليوكوبتر المزودة بالصواريخ داخل المعركة لكننا ظللنا نناور ونحاور هذه الصواريخ إلا أن سفينتين من وحداتنا تعرضتا للإصابة . وخلال ٣٠ دقيقة مواجهة بالصواريخ فى البحر نجحنا فى إدخال الطائرات الهليوكوبتر فى مرمى صواريخنا المنطلقة من قواعدها . . وتنبه الطيارون الإسرائيليون فآثروا الانسحاب ، واختفوا من سماء المعركة التى كانت أول معركة تصادمية بين لنشات صاروخية فى تاريخ المعارك البحرية وكانت الغلبة فيها لوحداتنا . .

(توقيع)
مقاتل بحرى « ناجى »

(٧)
أكبر حرب مدرعات فى التاريخ

[تفاصيل أخرى عن عملية الثغرة]

مقارنة مع أكبر حروب المدرعات التاريخية :

– لو ألقينا نظرة سريعة على معارك المدرعات الكبرى فى التاريخ ، لوجدنا – بالمقارنة السريعة أيضاً – أن معارك المدرعات التى شهدتها ميادين القتال فى حرب أكتوبر قد فاقتها كمًّا ونوعاً وعنفاً .

فمثلاً كان حشد المدرعات فى معركة العلمين التى جرت فى عام ١٩٤٢ يصل إلى ١٧٢٥ دبابة للطرفين المتحاربين (قوات مونتجمرى البريطانية وقوات المحور بقادة رومل) وفى معركة « كورسك » التى أذهلت ضخامة حجمها الخبراء والمحللين كان عدد المدرعات التى اشتركت فيها من الطرفين ٦٥٠٠ دبابة وقانص دبابة مدرع كان لدى الجيوش السوفييتية منها ٣٦٠٠ دبابة وقانص ، مقابل نحو ٢٧٠٠ دبابة وقانص لدى الجيوش الألمانية .

– أما فى حرب أكتوبر فقد بلغ حشد المدرعات لدى الطرفين المتحاربين (إسرائيل والجيوش العربية) ٦٧٠٠ دبابة ومدرعة . بالإضافة إلى أعداد كبيرة من الدبابات دخلت ميدان القتال من خلال الجسر الأمريكى الجوى والبحرى الذى أمد إسرائيل بأحدث الدبابات والمدرعات . كما أن المدرعات الهائلة العدد التى اشتركت فى هذه الحرب كانت حديثة ومتعددة الإمكانيات .

. . . .

– وقد تلقت المدرعات الإسرائيلية صدمة مروعة منذ اندلعت الحرب . . عندما اندفعت فى ثقة وعنف متأكدة أنها سوف تسحق المشاة المصريين الذين شكلوا أولى موجات العبور ولا تساندهم المدرعات . فإذا بهؤلاء المشاة يعكسون الآية ويسحقون هم المدرعات الإسرائيلية (قالت إشارة لاسلكية تلقتها قيادة جبهة سيناء الإسرائيلية إن مدرعات بيرن تنسحق أمام المشاة المصريين ، وكذلك مدرعات شارون تتكبد الخسائر) .

– وتوالت الخسائر الفادحة فى المدرعات الإسرائيلية طوال معارك الصد والهجوم المضاد خاصة عندما عبرت المدرعات المصرية ونسقت عملياتها مع المشاة . (فوجئ جنود مدرعاتنا الذين تحركوا بدباباتهم نحو تجمعات جنود المشاة المصريين . فوجئوا عندما انصب عليهم بغتة وابل من القذائف من مسافة كليومترين أو ثلاثة .

. . لقد كان المصريون يتحركون على شاكلة « الفيالق » الرومانية : كتلة من الجنود تتوسطها الدبابات . . وهكذا كانوا يتوقفون ويتحركون إلى الأمام والخلف . . . فيلق رومانى كثيف جداً . ويقول الكاتب الأمريكى « كينيث براور» (إنه فى – نهاية ظهر يوم ٧٣/١٠/٧ لم يكن لدى إسرائيل سوى ٩٠ دبابة مصابة بشدة – من مجموع ٢٥٠ دبابة كانت لديها فى الخطوط الأمامية) . كما أن تدمير اللواء المدرع ١٩٠ وأسر عساف ياجورى فى معركة مع الفرقة الثانية المشاة لم تستغرق سوى دقائق كانت ضربة مخيفة للمدرعات الإسرائيلية (كما أنها تعتبر إنجازاً عسكرياً فى الدفاع المضاد للدبابات لم يسبق له مثيل فى التاريخ) .

. . . .

– وبالنسبة للمدرعات المصرية فإنها عبرت القناة إلى سيناء بعد عدة ساعات من عبور المشاة (بعد أن تم إنشاء ١٠ جسور) وقد تم تشغيل نحو ٥٠ معدية انتقلت عليها فى نفس الوقت دبابات وآليات فى النقاط التى لم يتم إنشاء جسور فيها .

– وقبل بزوغ فجر اليوم الثانى (الأحد ٧ أكتوبر) كانت الدبابات المصرية تتدفق على الضفة الشرقية لتدعم رءوس الجسور التى يحميها المشاة بأسلحتهم الخفيفة المضادة للدروع .

– المدرعات المصرية تتقدم فى الأيام الأولى إلى عمق ٨٠ كم فى سيناء . .

خلال ليلة (٦ – ٧ أكتوبر) قامت سرية من المدرعات البرمائية الخفيفة والمشاة الميكانيكية المصرية بالتقدم نحو ممر متلا ، حيث هاجمت مركز قيادة القطاع الجنوبى فى الساعة ٨,١٠ من صباح اليوم التالى ، وهاجمت فى الساعة ١,٥٠ بعد الظهر محطة رادار فى المنطقة نفسها ، ثم عادت السرية لتأخذ مواقعها مع القوات الرئيسية فى رءوس الجسور قرب القناة .

– كما قامت سرية أخرى مماثلة بمهاجمة بعض المواقع الإسرائيلية الصغيرة قرب ممر الجدى ، ثم اندفعت نحو مطار « بيرتمادا » الواقع إلى الشرق من ممر الجدى وهاجمته

اللواء كمال حسن على
قائد المدرعات المصرية

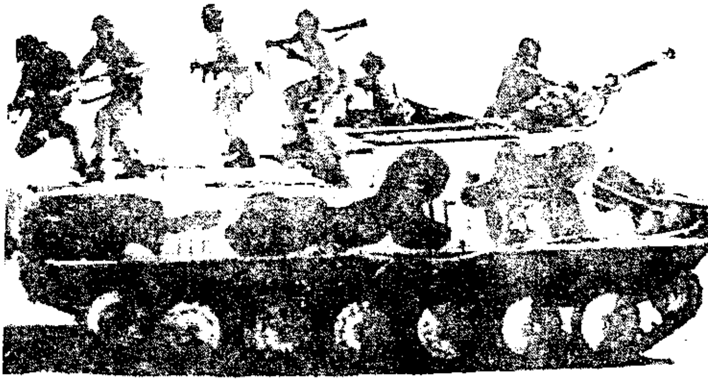

حققت المدرعات المصرية بطولات عديدة
طوال ايام الطوفان

فى إغارة فدائية سريعة (وكان ذلك فى الساعة ١٠,١٠ من صباح يوم ٨/١٠/٧٣) ثم عادت إلى رءوس الجسور بعد أن هاجمت موقع رادار للعدو فى طريق عودتها .
(وبذلك تكون هذه السرية المدرعة المصرية قد وصلت فى عملياتها إلى عمق ٨٠ كم تقريباً داخل سيناء) .

– وقد ركزت المدرعات المصرية بعد ذلك جهدها فى تدعيم رءوس الجسور وربطها بعضها ببعض . واستدعى ذلك بالطبع الدخول فى معارك متعددة مع المدرعات الإسرائيلية التى قامت بأكثر من هجوم مضاد لم ينجح منه هجوم واحد . هذا بينما ظلت الفرقتان المدرعتان المصريتان الفرقة الرابعة والفرقة (٢١) على الضفة الغربية للقناة حتى ذلك الوقت (١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٠ / ١٩٧٣) .

المعركة الكبرى : أو معارك الـ ٣٠٠٠ دبابة

نظراً لاشتداد ضغط الهجوم الإسرائيلى المضاد على الجبهة السورية قررت القيادة المصرية القيام بعملية هجومية محدودة نسبيًّا تنفذها القوات المدرعة الميكانيكية بهدف تخفيف الضغط على الجبهة السورية ، ثم تعميق شريط الأرض المحررة على الضفة الشرقية إلى عمق ٣٠ كم تقريباً حتى المداخل الغربية للممرات .

وقد أحاط بهذا القرار عدة مخاطر كانت القيادة المصرية تدركها تماماً . وأهمها خروج القوات من ستر غطاء صواريخ الدفاع الجوى المتمركزة غرب القناة ، وكان ذلك يعنى أنها ستتعرض لهجمات سلاح العدو الجوى الذى تلقى دعماً هائلاً من أمريكا بعد أن اهتزت فعاليته إلى حد كبير فى الأيام الأولى ، كما كانت القيادة المصرية تؤمن بضرورة الحفاظ على رءوس الجسور وعدم إضعاف القوات التى تسيطر عليها . ولذلك كانت التعليمات تحدد حجم القوات التى ستقوم بهذه المهام بأن تكون مفارز صغيرة نسبيًّا .

. . . .

– وبدأ الهجوم فى الساعة ٦,١٥ من صباح يوم ١٤/١٠/١٩٧٣ بقصف تمهيدى من المدفعية استغرق ١٥ دقيقة ، واشترك فى تحقيقه (٥٠٠) مدفع وقاذف صواريخ كاتيوشا ، على أربعة محاور تقدم .

وبمجرد انتهاء القصف تقدمت على محور ممر متلا فى الجنوب قوة مكونة من لواء

مدرع ، وكتيبة مشاة ميكانيكية – وتقدمت فى اتجاه ممر الجدى قوة مكونة من لواء مشاة ميكانيكى ، وعلى المحور الأوسط تقدم لواءان مدرعان . وعلى المحور الشمالى تقدم لواء مدرع واحد .

. . . .

– وقد تعرضت هذه المدرعات لمقاومة عنيفة ما كانت لتتاح للقوات الإسرائيلية لولا أنها كانت تستخدم الأسلحة والدبابات الحديثة التى وصلت إليها منذ أيام عبر الجسر الجوى الأمريكى . فمثلاً استخدمت القوات الإسرائيلية فى صد المدرعات المصرية المتقدمة صواريخ « تاو » الأمريكية الجديدة – لأول مرة – وكانت تستخدمها من منصات أرضية ومن طائرات هليوكبتر . كما أن طيرانها – كما سبق أن أشرنا – كان قد جرى تدعيمه بطائرات وأجهزة حديثة بالإضافة إلى طيارين متطوعين ومرتزقة .

. . . .

– ومن ثم كان لابد من قرار حاسم وسريع . . وهو ما اتخذته القيادة المصرية بعودة المفارز المدرعة المتقدمة لتساهم فى بدء مرحلة جديدة من مراحل الحرب وهى مرحلة تثبيت وتقوية رءوس الكبارى ، إذ أن تقارير المخابرات المصرية أفادت بأن إسرائيل سوف تستثمر أسلحة ومعدات الجسر الجوى والبحرى الأمريكى والطيارين والفنيين المتطوعين والمرتزقة فى القيام بهجوم مضاد مدرع للوصول إلى القناة .

. . . .

– ومما تجدر الإشارة إليه هنا أنه فى الوقت الذى عادت فيه المفارز المدرعة « منتصف ليل ١٤ أكتوبر ٧٣ » كانت القيادة المصرية قد دفعت بعدة مجموعات من رجال الصاعقة إلى خلف خطوط العدو فى عمق سيناء ، وقد بدأت هذه المجموعات على الفور فى توجيه ضربات عنيفة وبالغة الجرأة ضد كافة احتياطات القوات الإسرائيلية التى كانت تتجمع خلف بقية التشكيلات استعداداً للهجوم المضاد الشامل . كما أن الطائرات المصرية دمرت وشتت طابوراً إسرائيلياً على الطريق الساحلى فى نفس الوقت الذى دارت فيه معارك تصادمية أكدت فيها القوات المصرية استيلاءها على مركز القيادة الإسرائيلى غرب ممر متلا . ولعل هذه العمليات هى التى أخرت بدء الهجوم الإسرائيلى المدرع الذى كان متوقعاً أن يبدأ فى صباح ١٥ أكتوبر – فيبدأ بعد الرابعة من بعد الظهر وكان تركيز المدرعات الإسرائيلية ضد الفرقة المصرية ١٦ مشاة التى كانت تمثل ميمنة الجيش

الثانى المصرى كما أنها كانت بمثابة قوة الحراسة للجانب الأيسر من المفصل الموجود بين الجيشين المصريين (الثانى والثالث) .

. . . .

– وكان الهجوم قد بدأ كعملية تمويه بهجوم لواء مدرع من منطقة تجمعه قرب – (الطاسة) على المحور الأوسط تجاه « الإسماعيلية » لمشاغلة الفرقة (٢١) . المدرعة .

. . . .

– والمثير للاهتمام أنه برغم كثافة الهجوم الإسرائيلى المدرع ضد الفرقة المشاة (١٦) التى كان يقودها العميد عبد رب النبى حافظ . . لم تفلح القوات المهاجمة فى تحقيق أهدافها بل إن الفرقة المشاة تحولت من موقف الدفاع إلى موقف الهجوم ، وتمكنت من حصار القوات المدرعة المهاجمة وكبدتها خسائر كبيرة ، والمعروف أن هذه القوات التى دفعتها القيادة الإسرائيلية لمهاجمة الفرقة ١٦ مشاة كانت طليعة أول محاولة على نطاق واسع لاختراق دفاعات القوات المصرية (عن طريق استغلال طبيعة الأرض السبخية فى المنطقة المحاذية للجانب الأيمن للجيش الثانى شرق القناة) . وكانت هذه القوات هى أفضل القوات العاملة فى « أوغدا » (مجموعة ألوية) شارون . ولكن القيادة الإسرائيلية سارعت بدفع قوات أخرى لتحقيق نفس المهمة . ولكن المقاومة المصرية دمرت وشتت هذه القوات أيضاً ، فعادت القيادة الإسرائيلية تدفع بتشكيلات جديدة دخلت فى معارك شرسة مع القوات المصرية .

. . . وقد استمرت المعارك فى هذا القطاع ١٢٠ ساعة (خمسة أيام متواصلة) وكانت من العنف مما جعلها صورة مروعة للدم والدمار . وقد تكبدت فيها إسرائيل خسائر رهيبة باعتراف قادتها الذين قرروا فى أكثر من مرة – طوال هذه المعارك – إلغاء الهجوم وعملية الثغرة لولا أنهم كانوا فى مسيس الحاجة لتحقيق أى شيء مهما كان محدود القيمة العسكرية ولعل ما يؤكد ذلك أن الجنرال ديان اقترح فى يوم ١٩٧٣/١٠/١٦ انسحاب قوات المظلات قائلاً : « لقد حاولنا ولكننا لم نستطع . . . يجب إلغاء العملية كلها . . إن المصريين سوف يذبحون المظليين من رجالنا فى الضفة الغربية بمجرد أن يطلع الصباح » هـذا وقد كانت أشرس هذه المعارك تلك التى دارت فى منطقة قرية الجلاء المصرية التى تقع شمال شرق البحيرات المرة والتى أطلق عليها الإسرائيليون « المزرعة الصينية » وقد قال قادة إسرائيل ومنهم شارون نفسه : « إن هذه المعارك لم يشهدها الجيش الإسرائيلى

فى تاريخه » بل إن شارون قال بالحرف الواحد « لقد عملت فى الجيش ٢٦ عاماً خضت خلالها حروباً كثيرة . . لكن ما شاهدته فى هذه المعارك يجعلنى أقول إن الحرب السابقة لم تكن سوى معارك صغيرة ! ! » كما أن جونين قال فى حديثه مع ديان « لو كنا عرفنا أن المصريين سيلحقون بنا هذه الخسائر لما كنا فكرنا فى العملية (الثغرة) كلها ! ! » .

– والمعروف جيداً . . وبشهادة الخبراء والمراقبين العسكريين ، بل وباعتراف عدد من قادة وضباط إسرائيل ، أن الجيش الإسرائيلى لم يحقق السيطرة الحقيقية على هذا الموقع إلا بعد إقرار وقف إطلاق النارفى (٢٢ أكتوبر) . حين انتهكت القوات الإسرائيلية هذا القرار وسارعت بتدعيم القوة التى عبرت إلى غرب القناة والتى كانت معرضة للانسحاق فى أى وقت حتى أن التعليمات صدرت لشارون بعدم الابتعاد عن ضفة القناة استعداداً لكى ينسحب إلى الشرق . كما أنه من الثابت أن القوات الإسرائيلية برغم كثافة هجومها بأسلحتها ومعداتها المجددة لم تفلح فى توسيع رأس الجسر الذى أقامته فى الشرق ، ولم تتمكن من زحزحة العناصر الأمامية للواء الأيمن من الفرقة ١٦ مشاة إلى الخلف إلا لمسافة كيلومترين فقط .

– ولقد كانت الخسائر الإسرائيلية أكبر بكثير من عملية الثغرة التى حاولت إعطاءها أهمية تذكر . والدليل على ذلك مقبرة المدرعات الإسرائيلية . . فى منطقة قرية الجلاء (المزرعة الصينية) .

. . . .

– ولعلنا نستطيع أن نخلص فى نهاية هذا الجزء إلى الاستنتاجات المحددة التالية :

. . . .

١ – بالرغم من نجاح المدرعات المصرية (والسورية) فى تحقيق إنجازات ملموسة فإنها لم تعط أقصى ما لديها من إمكانيات . وقد يرجع ذلك – فى غالبيته – إلى الظروف التى أحاطت بالمعارك الكبيرة التى خاضتها .

٢ – بالنسبة للمدرعات الإسرائيلية . . كانت خسائرها أحد الملامح البارزة للحرب . . ويمكن القول إنه قد ثبت لهذا السلاح الإسرائيلى أن أيام الحرب الخاطفة قد ولت إلى الأبد ، وأن الفشل أصبح أقرب إليه من النجاح خاصة بعد تعاظم دور المشاة المصريين المزودين بالأسلحة المضادة للدروع التى يستخدمونها بكفاءة وجسارة فائقتين .

– **وبالنسبة للثغرة الإسرائيلية يقول التحليل العلمى :**

لم تكن هذه هى المحاولة الأولى إذ أن إسرائيل بدأت هذه المحاولات من يوم ١٠/٨ وقد فشلت جميعها ، ثم إنه إذا كان نجاح أى عمل يقاس بما تحقق من نتائج وما تكلف من جهد وخسائر فإننا نجد أن المحاولة الأخيرة تخضع لهذه الحقائق :

١ – كانت الخسائر الإسرائيلية ضخمة للغاية (تشهد عليها مقبرة المدرعات الإسرائيلية فى قرية الجلاء (المزرعة الصينية) وآلاف القتلى والجرحى من خيرة الضباط والجنود فى جيش الدفاع والذين كان من بينهم أكثر من (٥٠٠) قتيل و(٩٠٠) جريح من رجال المظلات وهم أفضل عناصر الجيش الإسرائيلى . . .

كما أن منطقة الثغرة فى غرب القناة شهدت المزيد من القتلى والجرحى الإسرائيليين خاصة تلك القوات التى حاولت دخول مدينة السويس .

. . . .

٢ – عند صدور قرار وقف إطلاق النار وبدء تنفيذه . . كانت قوات شارون فى الغرب . . معرضة للتدمير الكامل دون أن تحقق شيئاً على الإطلاق **بدليل أنهم عزلوا الجنرال شلومو جازيت مسئول الإعلام لأنه نشر صورة الخطوط التى وصلت إليها القوات الإسرائيلية فى ٢٢ أكتوبر فانكشف تماماً ما قامت به هذه القوات من توسع بعد خرقها لوقف إطلاق النار .**

. . وحتى بعد انتهاك إسرائيل لقرار المجتمع الدولى بهدف إنقاذ قواتها فى الثغرة بتوسيع الرقعة التى تنشرها فيها . . لم تنجح إسرائيل فى تحقيق أهدافها .

. . لقد كان الهدف الأساسى من الثغرة تطويق الجيشين المصريين الثانى والثالث .

ولم تستطع قوات شارون الوصول إلى الإسماعيلية وتحقيق أى قدر من مجرد الإزعاج لقوات الجيش الثانى . كما أن الجيش الثالث لم يتأثر بعملية الحصار (وهى لم تكن حصاراً كاملا بدليل فشل القوات الإسرائيلية فى احتلال السويس التى أصبحت عمقاً للجيش الثالث – وبدليل أن قوات هذا الجيش أخذت تدعم مواقعها . . بل تكسب أرضاً جديدة فى اتجاه الشرق ! !) .

ولقد علق أكثر من خبير عسكرى عالمى على وضع القوات الإسرائيلية فى الثغرة . . فقالوا إنها بدلاً من أن تحاصر وتدمر القوات المصرية ، أصبحت هى الرهينة فى أيدى المصريين .

– ولعل أكبر دليل على فشل وضعف عملية الثغرة ، أن مصر عندما وضعت الخطة لتصفيتها (فى أقل وقت كما تعهد اللواء سعد مأمون الذى كلف بالمهمة) سارع هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية ، بالسفر إلى القاهرة . . حيث التقى بالرئيس أنور السادات . . وقال له بالحرف الواحد :

« إننا لن نسمح لكم بتصفية القوات الإسرائيلية فى غرب القناة وسوف تتدخل أمريكا ضدكم مباشرة لوفعلتم ذلك ! ! » . -

– وبديهى أنه لولا إدراك الولايات المتحدة الأمريكية لضعف موقف القوات الإسرائيلية غرب القناة وإمكانية سحقها . لما استخدمت هذه اللهجة ، وأبدت هذا الانزعـــاج عندمـــا كشفت لها أقمار التجسس عن استعداد القوات المصرية المحيطة بها لتدميرها تماماً .

. . . .

. . . .

وهكذا يتضح تماماً أن عملية الثغرة لم تتعد حدود كونها عملية تليفزيونية إعلامية – ولعل ما ورد فى صفحات سابقة . . وما أسجله على الصفحات التالية من تقييم بعض الخبراء العالميين ، وبعض الإسرائيليين لحجم هذه الثغرة – يؤكد أنها بالفعل . . كانت مجرد عملية تليفزيونية ! !

العملية التليفزيونية :

« إن الثغرة التى حققها الإسرائيليون لم تكن سوى ضربة حظ حتى وإن لم يعترفوا بذلك . فعلى سبيل المثال حدث ما كان لا يمكن أن يصدقه عقل إذ كيف يمكن أن يعقل أن يتمكنوا من سحب كوبرى طوله ٢٠٠ متر ووزنه ٥٠٠ طن مسافة عشرين كيلومتراً عبر ميدان قتال دون أن تصيبه أضرار . ولكن هذا ما حدث بالفعل .

كما أن القيادة الإسرائيلية لم تقرر القيام بهذه العملية إلا بعد بدء الجسر الأمريكى الذى نقل إلى إسرائيل كميات هائلة من الأسلحة والمواد العسكرية . وكذلك بعد أن قدمت أمريكا إلى قادة إسرائيل صورة من التقارير التى جمعتها طائرتا التجسس الأمريكيتان (بلاك بيرس – ٧) والتى أفادت بأن منطقة تمتد حوالى ٤٠ كيلومتراً تكاد تخلو من

القوات تقع على الضفة الغربية على جانبى الدفرسوار ، وتقابلها على الضفة الشرقية منطقة مماثلة إلا أنها أضيق نطاقاً منها .

. . . .

إنه مما لا شك فيه أن الإسرائيليين نجحوا فى العبور بضربة حظ على الرغم من أنهم لا يعترفون بذلك . ولولا الكميات الهائلة من الدعم الأمريكى التى مكنت الإسرائيليين من القيام بأكثر من ألف طلعة طيران يومياً عبر الثغرة مستخدمة أحدث الوسائل المضادة – الإلكترونية لمواجهة الصواريخ السوفييتية . .

كما أنه لولا تجاهل إسرائيل الصارخ لقرارات وقف إطلاق النار أكثر من مرة .

لولا ذلك كله لما تمت عملية الثغرة . .

وبالرغم من ذلك فقد أصيب الإسرائيليون بخيبة الأمل مرتين : المرة الأولى عندما فشلوا فى دخول السويس ، والمرة الثانية عندما فوجئوا بصمود الجيش الثالث الذى تصوروا أنه سيلقى سلاحه ويستسلم . بل إن قوات مصرية صغيرة تشبثت بمواقعها داخل المنطقة التى ادعى الإسرائيليون أنهم احتلوها . . ولم تستسلم هذه القوات .

. . . .

إننى أرى أن وصف عملية الثغرة بأنها **عملية تليفزيونية** . . هو وصف دقيق .

وإن كنت أفضل استخدام وصف (معركة الدعاية) لأن العالم ركز اهتمامه عليها بعد أن توخى الأمريكيون والإسرائيليون قدراً كبيراً من الحرص والعناية فى توجيهها . فقد كان الإسرائيليون يريدون استرجاع صورة الجندى الذى لا يقهر ، أما الأمريكيون فقد كانوا يريدون أن يبرهنوا على تفوق أسلحتهم .

لقد كانت معركة الدعاية (عملية الثغرة) معركة حافلة بكثير من الأباطيل التى حاول البعض (الإسرائيليون) أن يؤكدوها وهى أباطيل يمكن أن تولد كثيراً من الآمال الزائفة .

(توقيع)
الخبير العسكرى البريطانى
الجنرال ادجار أوبلانس

من . يحاصر . . من ؟ ؟

التقيت فى ١٣ ديسمبر ١٩٧٣ أثناء قيامى بعملى كمراسل لليوناتدبرس فى جبهة سيناء ، بجندى إسرائيلى (سبق تجنيده فى الجيش الأمريكى قبل أن يأتى إلى إسرائيل) وقبل أن أتحدث إليه ، قال لى :

« أتعرف لماذا نشعر باليأس ؟ » .

وقبل أن أرد عليه أو أطلب إليه تفسير شعوره ، نظر هو إلى ناحية الجنود المصريين من قوات الجيش الثالث فى الضفة الشرقية للقناة وقال : « لقد كنا نتصور أننا نحاصرهم لكن انظر إلى روحهم المعنوية المرتفعة ؟ إنهم دائماً مستعدون للقتال فى أى وقت . إنهم يدركون تماماً أنهم هم الذين يحاصروننا ولسنا نحن كما ندعى الذين نحاصرهم . اسمع يا سيدى . . إننا لا نريد الحرب هنا . . لا نريد شيئاً هنا . . »

. . . .

وتركنى الجندى الإسرائيلى بعد ذلك ومضى بعيداً عنى . . وكان من الواضح أنه كزملائه يعانى من يأس قاتل . . ولقد أدركت اليوم تماماً لماذا أصدرت القيادة الإسرائيلية أوامرها بمنعنا نحن الصحفيين من التحدث إلى أى واحد من قوات جيش الدفاع الإسرائيلى الموجودة فى جبهة سيناء .

إن السبب ليس هو الحيلولة دون تسرب الأسرار العسكرية كما تزعم القيادة الإسرائيلية ولكنهم أرادوا بقرارهم ألا ننقل مثل هذه الصورة التى جسدها حوارى مع ذلك الجندى ، كما أنهم يخشون من نقل ونشر الشتائم والاتهامات التى يوجهها الجنود .

. . . ——————— . . .

(توقيع)
المراسل الحربى لوكالة يونيتدبرس
فى ١٩٧٣/١٢/١٣

« إن القوات الإسرائيلية لم تستطع تطويق الجيش الثالث المصرى إلا بعد قرار وقف إطلاق النار » .

(توقيع)
نوم شومسكى
فى كتابه « السلام فى الشرق الأوسط »

إن (٢٥٠٠ قتيل وثلاثة آلاف جريح) كانوا الثمن الباهظ الذى دفعته قوات أريئيل شارون فى القتال المستمر الذى وصل من خلاله إلى غرب القناة . وبعد (٩) أيام من القتال العنيف . فى أعقاب الهجوم المصرى المفاجئ بدت المهمة التى ألقيت على لواء المظليين بقيادة دانى ماط .. مهمة انتحارية . ولقد تكبد هؤلاء المظليون وحدهم (٥٠٠) قتيل وأكثر من (٩٠٠) جريح .

(توقيع)
أورى دان

« عندما وصل موشيه ديان (بعد وقف إطلاق النار) إلى الدفرسوار ، وقف بجانب الجنرال شارون وتفقد بعينه المسرح الذى دارت فيه معركة الثغرة ، وبعد أن شاهد بنفسه كمية الخسائر والدمار الذى يقف كدليل حى على المعركة التى بلغت قسوتها ومرارتها حداً لا يصدقه عقل ، أصيب (ديان) بالذعر ، وعندئذ نظر إليه « آمون » (أحد القادة الذين شاركوا فى العملية) وردد عبارة صادقة تماماً عن هذه العملية بأسرها ، فقال :

« انظر إلى وادى الموت هذا ؟ ؟ » .

.. وعادت نظرات ديان تتنقل فى « مسرح المعركة » . ولم يرد بكلمة واحدة ! !

(توقيع)
الجنرال حاييم هيرتسوج
فى كتابه « حرب التكفير

... ———— ...

« نتيجة للخسائر الفادحة التى تكبدتها إسرائيل فى المعدات والأفراد ، وتحت الضغط السياسى والعسكرى والاستراتيجى ، وبعد أن مدت أمريكا إليها الجسر الجوى الضخم ، وجدت إسرائيل فرصة فى عملية الدفرسوار غرب القناة ، ولذلك حاولت أن تحيط هذه العملية بأضخم دعاية ممكنة لكى تحجب حجم وقيمة الخسائر التى منيت بها نتيجة النجاح الضخم الذى حققته الجيوش العربية

ولكن بات واضحاً أن هذا النجاح المحدود الذى حققته إسرائيل لا يستطيع تحييد آثار النصر العسكرى العربى ولا حجب الهزيمة التى لحقت بإسرائيل .

ولقد أثيرت عشرات التساؤلات حول عملية الدفرسوار (الثغرة) وحاول الكثيرون

– انسياقاً وراء الدعاية الإسرائيلية – استخدامها كمبرر للانتقاص من حجم وقيمة الإنجاز العسكرى العربى . ولكن لابد أن نؤكد حقيقة هامة وهى أن جميع هذه التساؤلات والمحاولات لا تنال من قيمة هذا الإنجاز ، ولا تستطيع إخفاء حقيقة العزلة السياسية التى أضحت عليها إسرائيل .

إن نتائج أى حرب يجب أن تقاس فى مضمونها العام بما أسفرت عنه من تطورات ومتغيرات شاملة وليس بحساب المكاسب أو الخسائر التكتيكية المحدودة على هذا الجانب أو ذلك والتى هى شيء طبيعى فى أى عملية عسكرية » .

(توقيع)
الكولونيل بريج كومار نارايان
فى كتابه « الحرب الرابعة »

« طبقاً للمقاييس العسكرية البحتة . . فإن محاولة شارون لإقامة رأس الجسر كانت تمثل « كارثة » . إن القوات التى بدأت العملية كانت تساوى فرقة كاملة .

ولكن . بعد ١٦ ساعة من النشاط الإسرائيلى الجنونى . . فإن شارون لم يستطع أن ينقل إلى الضفة الغربية من القناة سوى قوة تقل عن كتيبة واحدة . بالإضافة إلى دعم مدرع صغير .

وبالإضافة إلى ذلك كله . . فلم ينجح الإسرائيليون فى إقامة كوبرى أو جسر . وبسبب إصابة القذائف المصرية لأجزاء الجسر فإنه لم تكن هناك فرصة لإقامته خلال الاثنتى عشرة ساعة التالية .

. . . ولو أخذنا فى الاعتبار كمية النيران التى كانت مستمرة فى الانطلاق خلال كل منطقة المثلث (الطاسة – البحيرات المرة – الإسماعيلية) منذ المساء السابق فإن الإسرائيليين لم يكن لديهم الحق فى أن يأملوا أن تكون فى جانبهم حتى الآن المفاجأة . ولو كانت قوة مصرية مؤثرة من أى نوع قد تدخلت يوم الثلاثاء (١٠/١٦) فإنها كانت ستقضى على العملية كلها مهما فعل الإسرائيليون .

. . . . .

إن الخطة الأصلية للقيادة الإسرائيلية العليا كانت تقتضى أن يقوم شارون ولواء تحت قيادته بإقامة رأس جسر وتأمينه ، حتى يستطيع العميد أفراهام آدن أن يعبر بعد ذلك فوراً لكى يبدأ الاكتساح فى اتجاه الجنوب بهدف قطع الجيش الثالث المصرى . ولقد

كان أصحاب الخطة يقولون إنه بمجرد تمركز القوات الإسرائيلية جنوباً ، فإن إسرائيل سوف تحتاج فقط إلى السيطرة على جبهة تمتد خمسة عشر ميلا تقريباً بين الشلوفة والسويس ، وهذا يمكنها من احتواء الجيش الثالث .

. . . ولكن فى صباح يوم الثلاثاء كان المصريون قد حطموا كل هذا . حتى أن الأمل فى إقامة رأس الجسر تضاءل تماماً ، مما جعل شارون يقول : « فليذهب رأس الجسر هذا إلى الجحيم . . إن الشىء المهم الآن هو أن نتسلل خلف خطوط المصريين » .

إن الخطأ من الجانب المصرى يكمن فقط فى نقص الاتصالات العسكرية ونقل المعلومات بسرعة . إذ لم يكن هناك معادل مصرى للداوريات الإسرائيلية ونشاط الاستطلاع ، إن القادة المصريين الصغار كانوا ببساطة يحاربون الإسرائيليين بشجاعة خارقة وكفاءة ممتازة عندما كانوا يظهرون أمامهم ، ولكن النقص الوحيد هو أنهم لم يقوموا بإعطاء أولوية كاملة لعمل تقارير قتال يتم إبلاغها فوراً إلى أعلى المستويات .

. . . .

ومع ذلك فإن المصريين تمالكوا أنفسهم وقاموا بهجوم منسق ومترابط ومرتفع للغاية فى يوم ١٦ أكتوبر . ولقد ركزوا هجومهم هذا على المداخل الشرقية لنقطة العبور . ومع أن هذا الهجوم جاء متأخراً فإنه كان فعالا جداً . ونجح تقريباً . لقد جاء الجيش الثانى المصرى من الشمال إلى ناحية الجنوب بثقله كاملا . وتحرك الجيش الثالث من الجنوب شمالا . وكان هدفهما نجدة وتعزيز المشاة المصريين الذين ما زالوا يحتفظون بمواقعهم فى منطقة المزرعة الصينية ضد الطائرات والمدرعات الإسرائيلية .

ولقد كان مقدراً أن يؤدى هذا الهجوم المصرى إلى وضع نهاية للخطط الإسرائيلية لأن انطلاق كمية خطيرة من النيران المصرية من المزرعة كان سيجعل نقطة العبور مجردة من الحماية .

ولقد دارت معركة دبابات قاسية وضارية طوال الليل . وكان المصريون يقاتلون فيها الإسرائيليون دبابة بدبابة . ووصل الأمر إلى أن أحد المهندسين الإسرائيليين عند ضفة القناة قال : « إن المصريين أغلقوا الطريق خلفنا » .

ومع الفجر وأثناء اشتعال معركة الدبابات . . بدأ المهندسون الإسرائيليون ينقلون المهمات والمعدات من جديد ، ولكن المدفعية المصرية تدخلت فى نفس اللحظة تقريباً . . . ويصف أحد الجنود الإسرائيليين هذا الموقف قائلا : « إننى كنت فوق نقالة (معدية) مائية

حينما وصلنا إلى الضفة الغربية ، وكانت النقالة تحمل عربتين نصف مدرعتين وسيارة جيب وبالضبط فى نفس اللحظة التى وصلت فيها هذه الشحنة إلى الشاطىء الآخر ، بدأ قصف المدفعية على الشاطىء تماماً .

ويقول الجاويش (زفى) : « مع صباح الأربعاء سيطر المصريون بالنيران علينا فى كلتا الضفتين . فى اللحظة التى كانت تبدأ فيها نقالة مائية فى الخروج من ضفة متجهة إلى الضفة الأخرى ، فإنها كانت تجد أمامها وفوقها سداً مخيفاً ومرعباً من المدفعية المصرية ، وإذا وصلت إلى الشاطىء فإنهم كانوا يقصفونها من جديد . »

. . . الآن وبعد أن تحرك المصريون أصبح الإسرائيليون يتساقطون قتلى وجرحى بأعداد كبيرة وضخمة .

ولكن كان من الواضح أن إسرائيل تستميت تماماً فى هذه المعركة لأنها سوف تكون العامل المخفف الوحيد الذى ستخرج به فى مقابل النجاح الكامل الذى حققه المصريون طوال الأيام العشرة الأولى . وهذا ما يفسر الخسائر الضخمة التى تحملتها ، والمحاولات المستميتة التى قامت بها بواسطة كل أنواع الأسلحة .

. . . (قال ضابط إسرائيلى « لقد كنا تحت النيران المصرية طول الوقت . وكانت هذه النيران خطيرة جداً . وكان جنودنا هدفاً للمدافع والطائرات فى المواقع المجاورة . . ولا يوجد بيننا من لم يفقد صديقاً فى هذه المعركة » .)

* * *

وبرغم تلك الاستماتة . فإن الحقيقة هى أن الخطة الإسرائيلية فشلت أصلا ، وبشكل درامى . . ولم يتم رتقها إلا بصعوبة بالغة .

وكما اتضح تماماً بعد ذلك فإن هذه العملية الإسرائيلية غرب القناة قد حققت فقط — نجاحاً فى الحد الأدنى من أهدافها السياسة . ولقد كان الهدف السياسى الرئيسى هو رفع الروح المعنوية للإسرائيليين والحصول على ورقة للمساومة بها .

وحتى فى هذه الحدود فإن الأمر احتاج إلى **استغلال إسرائيلى وغد وسافل لانتهاكات وقف إطلاق النار فى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣** .

(توقيع)
اندريه دويتش
(فى كتابه خفايا حرب الشرق الأوسط)

« إن وجود القوات الإسرائيلية غرب القناة كان من الممكن أن يتحول إلى كارثة بالنسبة لإسرائيل » .

(توقيع)
المعلق العسكرى لتليفزيون لندن

« إن الحديث عن الوصول إلى غرب القناة طنطنة لا تفيد . والأولى بكم أن تواجهوا الواقع » .

(توقيع)
النائب البريطانى الصهيونى كروسمان فى حديث
إلى زعماء إسرائيلى

إن القوات الإسرائيلية فى غرب القناة ، كانت رهينة فى أيدى القوات المصرية إذ أنها كانت بدون عمق استراتيجى مما كان يحول بينها وبين القدرة الفعالة على الدفاع أو الهجوم المؤثر .

يضاف إلى ذلك أنها كانت فى قلب منطقة الحشد العسكرى المصرى . وبناء عليه فإن هذه العملية لم تكن سوى تليفزيونية .

(توقيع)
الخبير العسكرى الفرنسى العالمى ومدير معهد
الدراسات الاستراتيجية الفرنسية السابق
(الجنرال بوفر)

* * *

لقد تميزت عملية الثغرة بالمصادفات (التى وقفت إلى جانب القوات الإسرائيلية) فقد استطاع المصريون أكثر من مرة تثبيت القوات الإسرائيلية المشتركة فى هذه العملية شرق القناة ، وعندما أردنا إنزال معدات العبور إلى الماء وتقدم رجال المظلات لفتح الطريق لها لم يسمح لهم المشاة المصريون بالتقدم خطوة واحدة . وانهالت القذائف والصواريخ المصرية ، وقتل الليفتنانت كولونيل « جونى » كبير المهندسين المختصين ببناء الكوبرى ، وذلك قبل وصوله إلى الماء ، وبعد بناء هذا الكوبرى دمر المصريون بعض أجزائه وتركز الهجوم عليه بكافة الأسلحة حتى الهليوكبتر شاركت فى محاولة إحراقه . وكان دور المدفعية المصرية قاسياً . فلم ترحم الكوبرى أو القوات التى حاولت إقامته » .

(توقيع)
الجنرال حاييم هيرتسوج

* **صور لخسائر الإسرائيليين فى عملية الثغرة :**

قال الجنرال آدن (قائد فرقة مدرعة إسرائيلية) :

« ما كادت تمر ثلاث دبابات حتى تعطل الجسر ، ثم تلقينا أشد قصف عرفناه .

ومنذ اللحظة التى اكتشف فيها المصريون حقيقة وجود رأس الجسر ، وجهوا إليه معظم القوة المدفعية التى كانت فى حوزتهم فى تلك المنطقة ، وقد بذلوا جهوداً مضنية لهدم الجسر وضرب القوات الموجودة حوله ثم شرعوا فى إرسال موجات وموجات من طائراتهم نحو الجسر والمحاور المؤدية إليه .

ولم تتمكن طائراتنا الهليوكبتر من انتشال الجرحى . .

من عاموس إلى زوجته :

فى مذكراته التى أخذت شكل رسائل بعث بها قائد الجسر الإسرائيلى (عاموس) إلى زوجته . . يتضح جانب من حجم الخسائر الرهيبة التى تكبدتها القوات الإسرائيلية فى محاولة الثغرة .

يقول عاموس (فى ١٧ أكتوبر ١٩٧٣) :

« لا أدرى كيف انقضت هذه الليلة علينا . إن ذلك يعد أعجوبة . لقد أطلق المصريون علينا نيران الكاتيوشا طوال الليل ، وكانت قافلة من الذخيرة تقف فى وسط الساحة وخفت من أن تنفجر سيارة الوقود وحقًّا اشتعلت داخل الساحة سيارة كهذه لكنها كانت بعيدة وقد انفجرت بجانبها سيارة أخرى .

لقد كان القصف كارثة . . وكان الرفاق يهجرون المصفحات ويتركونها دائرة . كان القصف المدفعى أكثر الأمور قسوة علينا ، ولكن عندما يأتى مع هجوم جوى أيضاً فإن الموقف يصبح أصعب بكثير . فعندما تسقط القذائف من الطائرات تريد أن ترى أين هى لكى تهرب منها ، لكى تغير موقعك ، بينما يتحتم عليك – مع قصف المدفعية – أن تدفن رأسك فى الرمل » .

لقد كان هذا أتوناً بحق . ويبدو أن المصريين قرروا القضاء على الجسر ، وقد أنزلوا علينا يوم الخميس ثلاثة أسراب رباعية من طائراتهم ، فأصابتنا بالصواريخ إصابات مباشرة ، ومن بين من قتلوا ضابط الهندسة » .

ثم يوجه عاموس رسالة ثانية يقول فيها :

كان هناك مثلاً قطاع أصبح العبور فيه إحدى التجارب القاسية . لقد كان هناك قصف لا يتوقف ، ثم فجأة صراخ : « طائرات . . طائرات . . » وأغارت الطائرات المصرية ، أما أنا فقد قفزت مذعوراً بينما هى تلقى قنابلها التى أصبت أنا بشظاياها . وتمالكت نفسى ، وأخذت أركض باتجاه الجسر ، وبينما كنت أركض مهرولاً ، شاهدت أربع طائرات ميج تغير علينا ، والتصقت بالحاجز الترابى ورأيت القنابل تسقط ، والصواريخ تنطلق . إنها لحظة تشعر فيها بأنها قد ضاقت عليك . لكنها على أية حالة انقضت .

اقتربت من الجسر . ورأيت هناك مسلخاً ، ونحو عشرة من الرفاق قد اختبأوا بين الحاجز وبين جرار كان هناك ، أغارت عليهم طائرة ميج وأصابتهم جميعاً . وكان كل شىء حولهم يشتعل . كان منهم القتلى والجرحى . قمنا بنقل من بقوا منهم على قيد الحياة إلى محطة تجميع الكتيبة . كانت هناك تلة صغيرة داخل « الساحة » عليها حمالات وحمالات وحمالات . . (نقالات) مغطاة جميعها بالبطانيات ، وبمرورك من هناك كنت تشاهد أحذية حمراء وسوداء وخضراء ، كنت تشاهد أطراف خصلات الشعر الأشقر والأسود . كانوا بالعشرات والعشرات حتى أننى خشيت أن أرفع بطانية من هذه البطانيات لأننى إذا فعلت ذلك سأرى رفيقاً .

وإننى – يا زوجتى العزيزة – باعتبارى قائداً – كان على أن أقلل قدر الإمكان من الرضوخ لعواطفى فى مثل هذه الظروف وإلا انتهيت . فهناك وظيفة ، وهناك ضرورة لمن يشجع الآخرين فلا يجوز أن يعزى الواحد الآخر .

كنت أفكر ملياً فى تلك الصفوف العديدة من الحمالات (النقالات) فى الليالى الطوال . وانتظرت طلوع النهار لأبتعد عن تلك المناظر ، ولكى أتوقف عن الركض فى الظلمة تحت القصف المصرى المتواصل . إننا كنا نتساءل : « ما الذى لم ينزل علينا من ألوان القصف والضرب ؟ لا شىء أقل من القذائف عيار ١٦٠ مليمتراً .

. . . لقد كانت الساعات تمر علينا كما لو كانت – لبطئها – تزحف لا أكثر .

* **وصورة أخرى يسجلها الضابط طبيب « عيران »** :

ماذا تفعل حين تجد أن عليك أن تتلقى الضربات وتتلقى . . وتتلقى . دون أن يكون فى مقدورك أى شىء ؟ وكأن أحداً يوقفك فى ركن ويضربك بقبضته ، وكل ما تستطيع أن تفعله أنت هو أن تتلقى الضربات . . لقد كانت هذه هى حالتنا ، لكن هناك فارقاً بين كسر أسنانك وبين فقدان حياتك . .

أذكر مثلاً أنه حدث قصف شديد ، وخرجت بسيارتى الجيب إلى الجانب الآخر حيث كان الجرحى يتزايدون ، وعند ما عدت من هناك ، على الجسر ، سقطت قذيفة فى الماء . سقطت أمامى تماماً . ووصلت إلى محطة تجميع الجرحى ، فوجئت بقذيفة تسقط على بعد ١٠ أمتار أمامى . نعم عشرة أمتار فقط . قفزت إلى دبابة الإخلاء . وأخذت أطرق لهم على بابها ، فاعتقدوا أن ذلك طرق الشظايا المتناثرة ولم يفتحوا . أخذت أصرخ وأصرخ حتى يفتحوا لى ، ولم يدخلونى إلا بعد أن نفذ صراخى إلى داخل الدبابة .

وبعد أن توقف القصف ، خرجت منها ولكننى ما كدت أسير قليلاً حتى سقطت قذيفة أخرى فاختبأت فى مكان ما . جلست وطأطأت رأسى . سمعت الصفير وزعقات الشظايا ، وبعد أن خف القصف ، التفت حولى وشاهدت دبابة تشتعل وكان هناك قبل ذلك طاقم دبابة أخرى تلقى وجبته (من القذائف) ، وكانت إصابة الأفراد الأربعة مباشرة . ولم يبق منهم أحد على قيد الحياة ») .

. . . .

** **ومرة أخرى نعود إلى عاموس قائد قوة الجسر** . الذى يكتب حلقة أخرى من مذكراته الدامية فى صورة رسالة ثالثة لزوجته يقول فيها :

« فى يوم ٢٢ أكتوبر وقبل تنفيذ قرار وقف إطلاق النار بفترة بسيطة ، كان القصف المدفعى المصرى الأخير مخيفاً وقاتلاً . وما كدت أدخل إلى مجنزرتى حتى سمعنا الصفير ، وسقطت قذيفة بالقرب منها ، واحتكت بالفولاذ ، وانفجرت على مسافة متر واحد منا . كان الانفجار هائلاً ، ودخلت الشظايا إلى المحرك واشتعلت سيارة الوقود ، وانفجرت سيارة الذخيرة .

استمر سقوط الموت علينا ربع ساعة . وكنت واثقاً أنها نهايتنا . . وسمعت تأوهات

الجرحى حولنا فى كل مكان . . كما سمعت أصواتاً تستغيث من كل صوب « يا مضمد . . يا مضمد » .

وفجأة ساد الهدوء (بدأ تنفيذ قرار وقف إطلاق النار من قبل القوات المصرية) ساد الهدوء ونحن لا نصدق أننا نجونا . . أو أننا كتبت لنا الحياة . . لقد كلفنا قصف الوداع غالياً » .

(٨)

من المشاهد التاريخية الأولى لطوفان أكتوبر

« ١ » المشاة ، والعبور

- فى لقاء مع مراسل بريطانى ، قال لى : « إن التاريخ العسكرى والإنسانى حرم من تسجيل عملية العبور المصرية بالصور والتسجيلات الصوتية والكاميرات السينمائية والتليفزيونية ».

وانضم إلى الحديث مراسل يوغوسلافى كان معنا داخل العربة الجيب التى انطلقت بنا داخل سيناء بين المواقع المصرية المحررة . فقال « إنه مشهد لن يتكرر فى التاريخ . »

وأضاف مصور سينمائى مصرى بأنه « لو تم تصوير هذا المشهد لظلت السينما العالمية ، والأكاديميات العسكرية فى مختلف أنحاء العالم تستخدمه لعشرات ومئات السنين »

وكنت أنا بالطبع – وما زلت – أتفق معهم فى ذلك كله . .

ولعل ما ذكرنى بهذا الحوار محاولتى الآن لأصور بقلمى بعض ملامح هذا المشهد ، وأعترف أن القلم فى يدى يحس بعجز شديد وقصور بالغ عن القدرة على تصوير هذا المشهد المثير الضخم .

فكيف أصور مثلاً ما حدث فى الساعة ٢,٢٠ ظهر السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، وبعد انتهاء الضربة الجوية الأولى ثم القصف المدفعى الهائل ، حين اختفت فجأة صفحة المياه فى قناة السويس وغطتها مئات وآلاف قوارب العبور التى امتلأت بالمقاتلين المصريين الذين أخذت صيحاتهم تهدر وتشق السماء « الله أكبر » ، ثم صورة مجموعات منهم وقد ألهبهم الحماس والتلهف للحظة التحرير . ففضلوا أن يسبحوا إلى جانب القوارب المطاطية ؟

. . وكيف أصور الساتر الترابى العملاق وقد أخذت رماله لون ملابس المقاتلين المصريين الذين أخذوا يتسلقونه فى سرعة مذهلة . . وعلى ظهورهم معداتهم وأسلحتهم الثقيلة . . بينما أخذ آخرون يجرون عربات اليد الصغيرة بما عليها من معدات وأسلحة أكبر . . وقد أقام الرجال بين بعضهم البعض كوبرى آدمى يمتد على الحبال المعلقة إلى الساتر

ينقلون حمولة العربات من واحد لآخر حتى قمة الساتر . . وأيضاً هذا التنسيق الغريب فى استخدام السلالم المصنوعة من الحبال للمساعدة فى اعتلاء الساتر . .

وفى الوقت نفسه يندفع رجال المهندسين لإقامة الكبارى والمعابر ، وتوجه المجموعات الخاصة منهم مضخاتهم التوربينية لتشق الساتر الترابى وتفتح فيه هذا كله . . بينما تهدر قذائف المدفعية . . وتنهال نيران العدو على بعض أماكن العبور بعد أن فشلت فى تحديد جميع الأماكن . ثم ها هو ذا الطيران الإسرائيلى بعد ٤٠ دقيقة يندفع إلى سماء المعركة ويحاول تدمير المعابر وضرب القوات العابرة . بينما تتصدى له وسائل الدفاع الجوى المصرية .

إنه مشهد . . بل مشاهد يتضاءل بجانبها قلم أى كاتب ، بل إن كاميرات السينما والتليفزيون ما كانت لتستطيع نقل كل أبعادها وأعماقها المثيرة .

ولذلك فإننى أكتفى بتسجيل هذه الصور لهذه المشاهد التاريخية ، كما وصفها وسجلها بعض الجنود والضباط الإسرائيليين الذين أخذوا يصيحون فى اللاسلكى « المصريون يعبرون القناة » « جموع غفيرة من الجنود المصريين » « مئات من قوارب المطاط » « قوارب من تيل الزجاج » .

وقال أحد جنود نقاط المراقبة على الساتر الترابى ، وهو يبلغ قيادته عما يدور فى تلك اللحظات .

« المصريون ينزلون قواربهم تحتنا مباشرة . إنهم يعبرون الآن . القوارب العديدة مملوءة بالكثير من الجنود . . الجنود ينزلون ومعهم مقذوفات وأسلحة مختلفة . . بعض دباباتنا تهاجمهم الآن . قوات مدرعة مصرية تعبر . كثيرون من الجنود يقفزون إلى الشاطئ الشرقى . . ويتقدمون إلى الأمام ومعهم أسلحتهم وصواريخهم .

طائرات هليوكبتر بها كوماندوز مصريون تمر فوق الآن متجهة إلى داخل سيناء . . دبابات ٥٤ تقف فى مواجهتنا على الساتر الغربى وتطلق النيران علينا . . قوارب كثيرة أخرى تعبر . . موجة خلف موجة . . إنهم ينتشرون فى منطقتنا ويحاولون تطويقها . . إنهم يغرسون الأعلام المصرية . . إنهم ينصبون أحد الكبارى . . العربات تسقط البراطيم . . . قوافل ضخمة . . . مدرعات كثيرة . ! . دبابات . . . لوارى . . مدفعية صاروخية . . . أرتال من عربات الجيب . . . .

بطارية هاون تقوم بتقدير المسافة . . ثم بدأت توجه قذائفها فى عنف . . أصبحت

برغم كل الصعاب . . تسلق المقاتلون المصريون الساتر الرملي الشاهق ، بينما واصل زملاؤهم من سلاح المهندسين . . شق هذا الساتر لعبور المركبات والمدرعات

مساحة النقطة الحصينة مغطاة بالشظايا كوجه ملىء بالجدرى . . إن ضرب المدفعية المصرية . . . مركز وعنيف للغاية ! ! » .

* * *

* **مورد خاى . . مقلوباً . . ولا يسمع شيئاً :**

كان مورد خاى يجلس على برج المراقبة فى التحصين المطل على جسر الفردان ، عند ما سمع فجأة ، هديراً يصم الآذان ويزداد قوة وعنفاً . لقد مر عن يساره سرب كبير من الطائرات المصرية النفاثة منطلقاً داخل سيناء على ارتفاع يكاد يصل إلى ارتفاع الكثبان الرملية .

لم يـر مردخاى شيئاً على سطح القناة . . ولكن فجأة . . وفى لحظات خاطفة ، امتلأت المياه أمامه بعشرات القوارب التى تحمل الجنود المصريين المسلحين ، وهى تجدف عابرة القناة من الغرب إلى الشرق .

قال مردخاى لنفسه « ما هذا ؟ » إنه منظر لا يصدق . . المصريون يعبرون القناة » .

ولم يكد مردخاى ينهى تساؤله (لنفسه) حتى تلقى برج المراقبة الذى يجلس عليه ، قذيفة من غرب القناة . ولحسن حظه لم يسقط به البرج ، ولكنه وجد نفسه معلقاً بما تبقى له من قوة بالإفريز الحديدى الذى كان قد ركز عليه المنظار المكبر .

وشاهد مردخاى مذعوراً عشرات الجنود المصريين يقفزون على الحواجز ، ويركضون على الرمال المنبسطة أمامه ، ثم يقتربون من أسوار الحصن ويدسون تحت لفائف الأسلاك الشائكة أنابيب سوداء مستطيلة قذفت سحباً من الدخان ، ووهجاً من النيران ، وأعمدة من الرمال . ولم يدرك — لسبب ما — لماذا كانت المشاهد التى تدور أمامه صامتة تماماً . لقد كان يخيم صمت مخيف . ولكن يبدو أنه سادت من حوله ضوضاء هائلة . رجال يركضون ويلوحون بأذرعتهم . وزخات رصاص تنطلق من المواقع . كل ذلك يحدث لكنه ما زال لا يسمع شيئاً . وأغضبه جداً كونه معلقاً بصورة مقلوبة . . ولم يستطع أن يبلغ عما يجرى أمامه . ولم يعرف مردخاى ماذا جرى له إلا بعد أن تمكن من الوصول إلى التحصين حيث أدرك أنه قد أصيب بالصمم نتيجة إصابة القذيفة للبرج ، كما أنه اكتشف أن أجزاء من لحم ساقه قد تمزقت . .

* * *

« ب » المهندسون والمعابر

كنا نراها كالأذرع تزداد طولا من ضفة إلى أخرى :

من الفصول أو الصور المثيرة لحرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، تلك الصورة التى عبر عنها أحد الجنود الإسرائيليين من قوات خط بارليف ، حين تحدث عن إنشاء المصريين لكبارى وجسور فى سرعة مذهلة وقال : « كنا نراها كالأذرع تزداد طولا من ضفة إلى أخرى » كما أن موشيه ديان قال : « لقد حطم المصريون اعتقادنا فى المدة التى يحتاجون إليها لإقامة المعابر والكبارى إذ كنا نتوقع أنهم يحتاجون إلى وقت أطول بكثير (يزيد عن ٢٤ ساعة) وبالتالى كنا سنجد الوقت لدفع مدرعاتنا وطائراتنا لتدمر هذه الكبارى قبل أن يكتمل إنشاؤها » .

وإذا كان رجال المعابر والكبارى قد حققوا هذه الملحمة فى وقت قياسى ، فإن ذلك يرجع أساساً إلى التدريب الشاق والطويل ، وإلى الجهد الكبير لسلاح المهندسين الذى قام بتصنيع ٦٠ ٪ من معدات العبور .

وقد بدأت هذه الملحمة فى ٥ أكتوبر ١٩٧٣ حين وصلت إلى الجبهة آلاف القطع من معدات العبور ، وانتشرت على طول المواجهة خلف الساتر الترابى المقام على الضفة الغربية للقناة ، ووضعت كل معدة فى حفرتها وتم تمويهها جيداً .

وتمركزت العناصر الخاصة بفتح الثغرات (الممرات) فى الساتر الترابى الشرقى خلف الشاطئ مباشرة ومعها معداتها . استعداداً لإشارة البدء . وفى نفس الوقت كانت عدة وحدات من الدفاع الجوى قد اتخذت أماكنها بالقرب من معدات العبور للدفاع عنها ضد طيران العدو . وقد تعمدت بعض الوحدات من رجال الكبارى والمعابر أن تقوم بإلقاء ألغام هيكلية (تعمدت وضعها على مرأى من العدو) فى المساحات المعدة أمام الكبارى ، وفى نفس الوقت قامت بانتشال الألغام الحقيقية من هذه الأماكن ! !

وعندما حانت ساعة الصفر . بلغ الحماس بالمقاتلين حداً كبيراً حتى أن الأفراد المختصين بتشغيل المضخات المائية التوربينية من الضفة الشرقية لم يستطيعوا الانتظار ،

فعبروا قبل موعدهم مستغلين دخول الطائرات إلى سيناء وضرب المدفعية لمواقع العدو . وفى هذه اللحظات بدأ إسقاط « البراطيم » .

وبرغم محاولات العدو لإعاقة مد الكبارى فإن الرجال كانوا مصممين على تنفيذ مهمتهم الخطيرة . وبالفعل نجحوا فى إقامتها (فى زمن أقل من الزمن المحدد لهم بأربع ساعات كاملة) ، وبدأت القوات فى العبور إلى سيناء ، وتحركت الدبابات والمدافع والصواريخ لتلحق بالمشاة التى سبقت فى العبور.

وقد تدخل العدو منذ البداية بطائراته فى محاولة لضرب الكبارى لكن الرجال لم يتركوا أماكنهم وظلوا يدافعون عنها ويصلحون ما يصاب منها فى أسرع وقت . وكانوا فى آخر ضوء من كل يوم ينقلون هذه الكبارى من أماكنها إلى أماكن أخرى ليفاجأ العدو فى اليوم التالى بأن عملية الرصد والاستطلاع التى قام بها بالأمس . . لم تعد ذات فائدة . . بل إنه كان يهاجم الكبارى الهيكلية . ويتعرض للصواريخ المضادة للطائرات .

ومن صور الإصرار والجرأة التى تحلى بها رجال الكبارى والمعابر ، ما حدث عندما تمكنت الطائرات الإسرائيلية من ضرب أحد الكبارى وإلقاء قنابل زمنية عليه ، وكان على المقاتلين إما أن يتركوا الكوبرى يغرق فى مياه القناة وإما أن يقوموا على الفور بفكه وإصلاحه وسط قنابل العدو الزمنية التى يحتمل انفجارها فى أى وقت . وكان قرار قائد الكوبرى المقاتل « صالح » العمل على إنقاذه من الغرق بأى شكل ، وفعلا نزل إلى الماء ومعه مجموعة من المقاتلين ، وتم إنقاذ الكوبرى ، وتركيبه فى مكان آخر بعد أن قام مقاتلان بجمع القنابل المتناثرة فوقه بأسرع ما يمكن . . وقد انفجرت بمجرد إبعادها عن الكوبرى .

(جـ) : مرة أخرى : المشاة واجتياح الحصون

صورة تكررت مع جميع حصون خط بارليف :
كيف سقط حصن الفردان (حزايون) ؟

[اندفع المقاتلون المصريون المكلفون باحتلال هذا الحصن – بعد أن عبروا القناة ، وتسلقوا الساتر المانع الترابى يحملون معداتهم وأسلحتهم . فى وقت قصير للغــاية . . اتجهت المجموعة الأولى إلى القسم الجنوبى من النقطة الحصينة ، وقد تم إسقاطه فى ساعات قليلة من بدء الهجوم لكن النقطة الشمالية ظلت تقاوم لمدة تصل إلى خمسين

ساعة ، وكان المقاتلون المصريون يهاجمون بإصرار ، وعندما اتضحت مناعة الحصن واستفادة القوة الإسرائيلية الموجودة فيه بإمكانياته وتجهيزاته الضخمة ، قرر ضابط شاب أن يلف متستراً بالماء ، واندفع مع رجاله تحت نيران العدو . يهاجمون النقطة الحصينة من الخلف بدلا من مهاجمتها من الأمام كما حدث طوال « اليومين السابقين » .

اقتحم الضابط إحدى دشم الحصن هو ورجاله . دار قتال بالسلاح الأبيض . فى الوقت الذى كان يتم التقاط المكالمات اللاسلكية بين جندى الإشارة بالحصن وقيادتهم . . وفى اللحظة التى وعدتهم فيها القيادة بدفع المدرعات لمساندتهم ، وكان جندى الإشارة يصيح طالباً أن يطلقوا المدافع من العمق على القوة المصرية . فى هذه اللحظة كانت هذه القوة قد قضت على مقاومة الجنود الموجودين فى الدشمة الأولى . . ثم انطلقوا إلى بقية الدشم والمخابئ . . وسيطروا تماماً على النقطة الحصينة بعد أن قتلوا وأسروا جميع من كانوا فيها من الضباط والجنود الإسرائيليين . .

ورفع العلم المصرى فوق نقطة الفردان . . وفشلت كل غارات العدو الجوية فى إضعاف سيطرة القوة المصرية عليها . . كما تم تدمير وضرب المدرعات التى حاولت الاقتراب لاستعادتها .]

تلك هى قصة سقوط إحدى النقاط الحصينة من خط بارليف . فكيف يحكى الإسرائيليون أنفسهم قصة الذين كانوا بداخلها قصة السقوط . . ؟

. . . .

« إنهم يقتربون . . إنهم يقتربون » (ثم انقطع الإرسال) :

سجل المراسل الحربى لإذاعة إسرائيل – دقيقة بدقيقة – الحوار الساخن الذى دار بواسطة اللاسلكى بين إريك شارون – الذى لم يكن يستطيع التحرك بقواته ، وظل مرابطاً على المرتفعات فى مواجهة الإسماعيلية – وبين الجنود والضباط الذين تبقوا فى موقع (حيزايون) الحصين ، الذى يقع بالقرب من جسر الفردان القديم ، وبعد أن تم حصار جنود هذا الحصن وأصبحوا « كالغرقى وسط الجنود المصريين » أخذوا ينادون على قيادتهم لتهب لنجدتهم ، « وكانت أصواتهم المنزعجة متوترة بصورة لا يمكن أن تنسى » .

« إننا الآن عشرون داخل الحصن ، وقد أصيب القائد . إن الذى يتحدث إليكم الآن هو جندى الإشارة . انهضوا لتخرجونا من هنا » .

وقد اضطر إريك شارون بنفسه إلى أن يتناول السماعة عدة مرات ليطمئن الجنود قائلا :

– « عليكم بالهدوء يا أولادى . . لا تخرجوا من الحصن بأى حال ، وسوف نغطيكم بالمدفعية . . »

– « حسناً لقد فهمنا ذلك ، ولكن لا تقطعوا الإرسال بيننا . . إن الموقف قاس للغاية . . »

وطيلة ساعات وساعات من يوم الأحد حتى يوم الاثنين أخذت المدافع الإسرائيلية فى الدفاع عن حصن (حيزايون) عن بعد مستعينة بالصوت المضطرب للجندى المسئول عن الإرسال ، وكان عمل المدفعية شبيهاً بدقات المطارق على ذباب غير مرئى . وعادت صرخات الاستغاثة تنطلق من جهاز الإرسال فى الحصن .

« على بعد ٤٠٠ متر من الباب الشرقى عاد المصريون إلى الهجوم » إنهم يلقون سريعاً بقنابل يدوية تحركوا . . تحركوا . . »

وفى الساعة السادسة والنصف ، أصاب الذعر الكامل إرسال الحصن وأخذ صوت بالداخل يصرخ ويصرخ . .

« إنهم يقتربون . . إنهم يقتربون . أطلقوا المدافع سريعاً . . إنهم على بعد ٥٠ متر . . »

ثم انقطع الإرسال نهائيًا . . لقد اقتحم المصريون الحصن وأسروا من بقى من الجنود على قيد الحياة . .

أما مراسل إذاعة إسرائيل الحربى . . فقد أغلق جهاز التسجيل الإذاعى بيد مرتجفة ولم يمكنه الاضطراب الشديد من التعليق على ذلك التسجيل . .

« د » صورتان بالألوان الحية لموقف واحد عاشته قوة إسرائيلية ثم قوة مصرية

« فى تمام الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم – السبت – استسلم أفراد النقطة القوية للعدو شمال خليج السويس ، وهى النقطة التى كانت قد حاصرتها قواتنا ، وشلت فاعليتها ؛ ثم استمرت فى تقدمها شرقاً لتحقيق مهامها القتالية فى سيناء . وقد بلغ مجموع أفراد العدو الذين استسلموا لقواتنا – ليأسهم من استمرار القتال فى النقطة – « خمسة من الضباط ، ٣٢ من ضباط الصف والجنود بكامل أسلحتهم ، ومنها ثلاث دبابات باتون » .

. . . .

كان هذا هو البيان الذى أدلى به المتحدث العسكرى المصرى فى ظهيرة يوم ١٣ أكتوبر ١٩٧٣ والواقع أن هذا البيان قد وضع النقطة الأخيرة على حروف فصل مثير من قصة الجندى الإسرائيلى « السوبرمان » و « الجيمس بوند » كما كانت تصوره وسائل الإعلام الصهيونية . . انتهى هذا « الفصل » بشكل درامى جذب إليه أنظار العالم أجمع ، وهو يتابع مشهد استسلام الضباط والجنود الإسرائيليين بعد انهيار مقاومتهم برغم ما يتمتع به موقعهم الحصين من إمكانيات ضخمة . وكانت صورة قائد الموقع وهو يرفع يده بالتحية العسكرية للقائد المصرى الذى حاصر الموقع ، ثم وهو يسلمه العلم الإسرائيلى – بعد أن ارتفع مكانه العلم المصرى – كانت هذه الصورة جزءاً من « الرتوش » التى أضافها سير العمليات للبيان الذى أدلى به المتحدث العسكرى المصرى .

وإذا كان يوم ١٣ أكتوبر قد شهد نهاية الفصل الذى انكشفت فيه حقيقة الجندى الإسرائيلى . فلعل القدر كان يحمل فى طياته فصلا مقابلا كان لا بد أن تدور وقائعه لكى تتوفر كل مقومات المقارنة الحية بين الجندى الإسرائيلى (بكل ما أحاط به من هالات أسطورية) والمقاتل المصرى (بكل ما تعرض له من حرب نفسية هزت صورته أمام الكثيرين) .

أقول كان القدر يخبئ بين طياته ذلك « الفصل » من قصة حرب أكتوبر ، متمثلا فى موقع آخر دارت فيه الأمور بشكل مخالف . فقد كان الجنود المحاصرون فى ذلك الموقع

جنوداً مصريين . . وكانت كل الظروف ضدهم – كما سيتضح فى الصفحات المقابلة – ولكن مقاومتهم استمرت ١٣٤ يوماً . . وتوجت بالنجاح .

هكذا . . تقف الصورتان (بألوانهما الحية) فى مواجهة بعضهما بعضاً ، فتكون المقارنة الموضوعية متاحة لكل دارس وقارئ . كما ستتضح بعد ذلك .

. . . .

صفحات من مذكرات قائد موقع لسان بورتوفيق :

السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ :

على الرغم من أننا تلقينا أمس إشارة من قيادة الأركان . . عن احتمال قيام المصريين بهجوم على مواقعنا فإننا استبعدنا ذلك تماماً . فنحن بقوتنا الهائلة قد أدخلنا اليأس إلى قلوبهم . وهم كما أكدت قياداتنا ، أضعف من أن يفكروا فى دخول حرب جديدة معنا .

ومع ذلك فإننا رفعنا درجة الاستعداد . وكان لدينا – فى موقعنا (ميزح)[1] كل ما يطمئننا – فحتى لو فكر المصريون فى الهجوم ، فإن موقعنا من أقوى مواقع خط بارليف ، وخاصة بعد الإضافات الهائلة التى دعم بها الموقع بعد ذلك الهجوم الذى شنته عليه قوة مصرية فى أثناء ما يسمى بحرب الاستنزاف .

ونتيجة لهذا « الاطمئنان » حاول قائد الموقع (الذى توليت القيادة بعد مصرعه) وهو الملازم أول دافيد ترجمان – حاول الاتصال – فى الساعة الواحدة والربع – بخطيبته فى شرم الشيخ – (وعلى فكرة – كانت هى أيضاً زميلة لنا فى جيش الدفاع برتبة ملازم) . . وقبل أن يتفق دافيد مع خطيبته على اللقاء فى اللد بمجرد حصوله على إجازة هو الآخر ، قطعت المكالمة واستشاط هو غضباً ، وأخذنا نمزح معه دون أن يبتسم .

وفى الساعة الواحدة والنصف سمع دافيد صوتاً قادماً من بعيد ، ولم يكن هذا هو الصوت المألوف لعامل التليفون فى مركز أم خشيب ، ومرة أخرى استشاط دافيد غضباً ، وطلب من المتحدث أن يدع الخط إلى أن يتحدث مع خطيبته ولكن المتحدث أجابه ببرود أنه يتكلم من القيادة العامة ليدلى بإشارة عاجلة إلى قائد الموقع . ورد دافيد بحنق :

– أى موقع ؟

---

(١) « ميزح » هو الاسم العبرى لموقع « لسان بور توفيق » .

– موقع ميزرح ؟ (لسان بور توفيق)
– حسناً . . إننى القائد .
– نعم ياسيدي . . إشارة من قائد الأركان : « يحتمل أن يقوم المصريون بـ . . » وهنا انقطع الاتصال قبل أن تنتهى الإشارة ، وعاد دافيد إلى الدق على جهاز التليفون ، ولكن الجهاز اللعين بدا ميتاً ، ولم يتحقق للاتصال أن يتم إلا بعد ثلث ساعة .

. . . إلى أن كانت الساعة الثانية وخمس دقائق حين سمعنا أزيزاً مكتوماً وأصوات انفجارات قريبة . . إن طائرات السوخوى المصرية تقذف سيلا من القنابل . وفى الوقت نفسه تقريبـاً تساقطت قذائف المدفعية الحادة . . لا أفهم شيئاً حتى الآن .

دمرت قذائف المدفعية المصرية وسائل الاتصال . ومواقع المراقبة .

. . ترى هل يكون ما يحدث مجرد حادث فردى أكبر قليلا من الحوادث السابقة ؟ أتمنى ذلك .

. . استمر القصف المصرى ساعتين .

. . رأيت أربع دبابات إسرائيلية تدخل موقعنا . . (ياللكارثة ؟ ! لقد أصيبت ثلاث دبابات منها . . وسقط أطقمها ما بين قتلى وجرحى) .

* قرب الغروب رأينا عشرة قوارب مليئة بالجنود المصريين تعبر بهم القناة أصدرت أوامرى بضربهم بالمدفع الرشاش الثقيل . لا فائدة فقد أصيب هو الآخر . . فتح رجال الموقع نيران مدافع عوزى ، تمكنا من إصابة بعض المشاة . لكن موجة الهجوم وصلت إلى الساتر وسمعناهم يتصايحون فى ثورة : « سنذ بحكم . . »
* لماذا لم تعمل مواسير النابالم ؟ لغز آخر ! !
* نسف المشاة المصريون من حملة قاذفات اللهب خزان الوقود فى الموقع .
* بدأ القتال بتبادل القنابل اليدوية .
* سقط أول قتيل منا .
* لاحظت أن القوات المصرية تندفع ناحية الشرق . لكنهم تركوا بعض المشاة الذين بدأوا فى حصار الموقع .
* هبط الليل . أسوأ ليل فى حياتى . القذائف تدك المعقل . الجنود المصريون يستخدمون قاذفات الصواريخ .

سقط القتيل الثانى . والثالث .

* لقد حوصر الموقع تماماً . وتم عزله من جميع الاتجاهات .
* توالى سقوط القتلى والجرحى وكان من بينهم القائد (دافيد) .
* أصبحت مسئولا عن قيادة الموقع .
* مازلت متأكداً من أن قوات جيش الدفاع سوف تأتى لفك الحصار المصرى وتنقذنا . إننى متأكد من ذلك تماماً .

الأحد ٧ أكتوبر (المنظر المخيف !!) :

هبط الليل . . وأخذت القذائف تدك الحصن ، وراح الجنود المصريون يستخدمون قاذفات الصواريخ والقنابل اليدوية التى أخذت تنفجر داخل الدشم . لم يعد هناك شك فى أن الموقع أصبح محاصراً ، ومقطوعاً عن بقية العالم . الحالة المعنوية منهارة . نفدت حقن المورفين وزجاجات البلازما كما تناقصت كمية الأربطة الموجودة .

مازلت واثقاً من أن طيراننا ومدرعاتنا ستصل لنجدتنا . على الأقل هذا ما أؤكده لرفاقى .

الاثنين ٨ أكتوبر :

مع طلوع فجر هذا اليوم . . تلقينا صدمة أخرى مروعة لقد كان المشهد الذى بدا تحت أنظارنا مثيراً للذعر واليأس . . إن ما اعتدنا رؤيته قبل ذلك كمنطقة بيضاء من الرمال أصبح أسود « من الآليات المصرية » . . لم نعدنشاهدالرمل . كانت الأرض كلها مغطاة بالعربات المصرية ، وغير بعيد عن السور المحيط بالموقع كانت تمر الدبابات بأعداد كبيرة ، كما كانت هناك سيارات نقل ومدافع وصواريخ . كل ذلك كان يتحرك ويجرى ، فى حين أننا كنا بين طرفى الكماشة .

أخذت مئات القذائف تنفجر فوق الموقع والدشم . استطاع جنود المشاة المصريون أن يصلوا إلى فتحات الموقع . فأخذوا يلقون بالقنابل اليدوية داخل الساحات التى تحمى السور ، ووجهت الدبابات مدافعها إلى مداخل الموقع ، فراحت بقية دباباتنا التابعة للموقع تطلق نيرانها . وأثناء الاشتباك أخذ جندى اللاسلكى يصرخ طالباً النجدة .

. . . .

الثلاثاء ٦ أكتوبر :

يبدو أن المصريين لم يبدأوا هجومهم الفعلى حتى الآن لكن أفراد الموقع – من تبقى منهم – كانوا يعانون من الإرهاق والخوف .

استطعت أن أستخدم نظارتى الميدانية لأعرف ما يدور حول الموقع . ولكنى رأيت ما لم أصدق . لقد كان العلم المصرى يرفرف فوق الدشمة المجاورة ! هبط قلبي وشعرت بالعار والانهيار . وخاصة أن عدد الذين يصلحون للقتال من رجالى فى هذا اليوم لا يزيد على عشرة ! !) وكان علىَّ أن أواصل رفع روحهم المنهارة . . وأخذت أقول لهم : « لسوف تمر الأزمة . . وسيأتى رجالنا . . إنهم قادمون فقليلاً من الصبر . . قليلاً من الصبر ! ! » أيـدنى المضمد يرحمئيل يسرائيلى فقال هو الآخر . . « إننى متأكد أنهم سيأتون لإنقاذنا . »

الأربعاء ١٠ أكتوبر
الخميس ١١ أكتوبر
الجمعة ١٢ أكتوبر

لم نتوقف عن طلب النجدة . الأمل فى وصولها يتلاشى . . الموقف بالغ السوء . لم تعد تجدى تنقلاتى بين مواقع الحصن فالجنود والضباط ينهارون لحظة بعد أخرى . قال أحدهم إن الذخيرة تنفد .

الهجمات المتقطعة للمشاة المصريين تطرد النوم من عيوننا . تلقينا إشارة من قيادتنا تقول : « إذا لم نستطع إرسال النجدة إليكم . . فعليكم بالاستسلام » . . لقد تأكد ماتوقعته !

. . نجح دكتور الموقع ناحوم فربين فى علاج جندى أصيب بجروح بالغة نتيجة إصابته « ببازوكا » فتحطمت يداه ، ودخلت الشظايا فى جميع أعضاء جسده وحتى فى عنقه . وبعد مرور ساعات قليلة أخذ يهذى ثم فقد وعيه . قام الدكتور ناحوم بقطع زنده . . وكان يقاوم ارتجاف يديه وهو يفعل ذلك .

إن وضع الجرحى لا يطاق .

. . صورة أول جريح يسقط من بيننا فى يوم السبت الماضى مازالت ماثلة أمامى . فى لحظة هدوء حكى لى الدكتور ناحوم كيف فشل فى علاج هذا الجريح . قال لى « لم

أسيطر على النزيف ، وشعرت بأنه سينتهى بين يدى . وقد مات فعلاً بعد ست ساعات تقريباً . . إن هذه هى المرة الأولى التى يموت فيها شخص وأنا المسئول الوحيد عنه . وعندما تحققت من وفاته جلست فى مكان ما من المستوصف داخل الموقع وأنا غير قادر على القيام بأى عمل . وبقيت هكذا مدة عشر دقائق . . إلى أن بدا وصول جرحى آخرين . . وكان لزاماً على أن أسارع إلى إسعافهم .

هكذا أخذ يحدثنى الدكتور ناحوم إلى أن دوت فرقعة هائلة . . فقلت لنفسى : بدأوا الضرب مرة أخرى .

. . . .

صباح السبت ١٣ أكتوبر

مر أسبوع على حصار المصريين لنا . أصبحنا مجموعة منهكة تماماً . قمت بالاتصال لاسلكياً بالقيادة الجنوبية . . ودار بيننا الحوار التالى :

- القيادة : شلومو . . هل يمكنك الصمود ؟
- أنا : مستحيل . . مستحيل . . ليست هناك فائدة . . إننى سأسلم
- القيادة : اسمعنى جيداً . . إذا استطعت أن تصمد قليلا . . فسوف نبذل كل جهد لنخرجكم من هناك .
- أنا : طالما أننى أقول لك إنه لم تعد هناك أية فائدة .
- القيادة : حسناً . . أرجو أن نراك . . هل تريد شيئاً ؟ !
- أنا : نعم . . اذهب إلى بيتى .
- القيادة : هل تعرف شيئاً عن وضعنا ؟
- أنا : سلبى . . سلبى
- القيادة : بالنسبة للموضوع (الاستسلام) فقد تم عمل اللازم . . عندما تظهرون فى التليفزيون المصرى . . قل للأولاد أن يرفعوا رءوسهم ويبتسموا .
- أنا : لقد وعدونا بتطبيق اتفاقية جنيف . لسوف أخلى القتلى والجرحى .
- القيادة : ألا تريد أن تضيف شيئاً ؟
- أنا : أبلغ أسرتى . . وقل للزملاء أن يسهروا على أمى وأبى .

* انتهى دورى فى الاتصال بالقيادة ، وتركت ضابط الاتصال فى الحصن (عموس

الضابط الإسرائيلى شلومو أرديبيست (قائد موقع لسان بور توفيق) يرفع يده بالتحية العسكرية للعلم المصرى وللضابط المصرى لدى قاد المعركة وستولى على الموقع

الجنود المصريون يقودون امامهم جنود الموقع الحصين (لسان بور توفيق) إلى مكان تجميع الاسرى

فى أحد القوارب التى حملتهم إلى الضفة الغربية . . ومنها إلى مقر الاسرى

سيجل) ليتلو هو عليهم قائمة الرجال الموجودين ، وذكر لهم أسماء الجرحى ، وحالة كل واحد منهم ، ثم قرأ بعد ذلك قائمة القتلى ، وكان الذى يتلقى منه هذه القوائم عامل اللاسلكى فى القيادة ويدعى (ماركو) ولما كان يعرف بعض القتلى الذين ذكر (عموس) أسماءهم ، فإنه انفجر باكياً وهو يصيح فى الجهاز : « اصمدوا . . اصمدوا . . »

. . . .

– قمت بالاستعدادات الأخيرة للاستسلام ، وقام الدكتور ناحوم بتغيير الضمادات للجرحى ، واقترحت أنا على الرجال أن يحلقوا ذقونهم ويغيروا ملابسهم لكن معظمهم لم يعبأ بما أقول .

وأمرت أحد الجنود بأن يحمل معه كتاب التوراة الموجود فى الحصن (وكان قد قدم لنا هدية من يهود رومانيا) .

– بعد ذلك خرجت . . ومعى الدكتور ناحوم لإجراء المفاوضات مع الضابط المصرى الذى جاء معه صحفيون ومصورو تليفزيون من جنسيات مختلفة . وطلبت إذناً بجمع جثث القتلى ، فوافق على الفور ، وعدت إلى الرجال فى الحصن ، وتم نقل الجرحى فى القارب الأول ، وبعد ذلك نقلت بقية المجموعة وكانت عدسات الصحفيين وكاميرات التليفزيون تفترس ملامحنا . .

وبرغم الخوف من الأسر فإننى أحسست بالقدرة على التنفس جيداً » .

* * *

* مازالت لمذكرات شلومو أردنيست الذى تولى قيادة موقع « ميزرح » أو « لسان بورتوفيق » لها بقية . فقط نتوقف الآن لحظات لنرى ما يقوله « جرانفيل واتسن » مراسل رويتر وأحد عشرات الصحفيين الذين شاهدوا استسلام هذا المرفق .

قال جرانفيل واتسن :

« استسلم اليوم آخر موقع إسرائيلى حصين على الضفة الشرقية لقناة السويس ، وتم أسر ٣٧ شخصاً من القوات الإسرائيلية وبدا عليهم الإرهاب ، وكانوا ملطخين بالأوحال حتى حين تم اقتيادهم بزوارق التجديف عبر القناة إلى الضفة الغربية وكان أول إسرائيليين يجرى نقلهما بالقوارب قائد الموقع ويدعى شلومو أردينيست ويبلغ من العمر ٢٣ عاماً برتبة « لفتنانت » ، وأما الثانى فكان طبيب الوحدة .

وقد واجه الضابطان الشابان على ضفة القناة عدداً من المصريينَ الذين أكدوا لهما أنهما سيلقيان المعاملة المناسبة وفقاً لاتفاقيات جنيف . إلا أن القائد المصرى المسئول عن عملية التسليم لم يرقه منظر القائد الإسرائيلى الشاب الذى يمشى متمهلا فقال له بالإنجليزية « قف . . انتباه » وعلى الفور امتثل القائد الإسرائيلى ، ورفع يده محيياً العلم المصرى ، هذا وعندما دخلت الموقع استطعت أن أرى معدات ، وأجهزة راديو وعدسات مكبرة وخوذات ، وكانت هناك صناديق كثيرة مليئة بالذخيرة . . (وكان من الواضح أن الإسرائيليين لم يستسلموا بسبب نفاد الذخيرة !) .

. . . .

تلك كانت الصورة الحية لانهيار الضباط والجنود الإسرائيليين فى موقع حصين جداًّ . . وانعدام قدرتهم على المقاومة ولهفتهم على الاستسلام .

تلك كانت الصورة كما سجلها بقلمه مراسل وكالة رويتر . وكما نقلتها أنا عنه حرفياً .

ونعود إلى مذكرات شلومو أردنيست قائد موقع لسان بور توفيق ، مع مراعاة أن الصفحات التالية أضافها إلى مذكراته بعد عام من الحرب .

. . . .

« . . مرت الأيام . . ومرت الشهور . . وما زال كل شيء ماثلاً أمامى بكل الوضوح وكل الألم وكل القسوة . إنك يمكنك أن تفعل أى شيء . أن تقضى وقتاً طيباً . أن تزور أحد أصدقائك . وأن تجلس ساعات طويلة تقرأ الكتب ، وأن تسافر خارج البلاد . باختصار تستطيع أن تفعل أى شيء ، ولكن تلك السحابة القاتمة لا يمكن أن تنساها أو تغيب عن عيونك . إنها أهوال الحرب . حرب يوم الغفران (أكتوبر) . . إنها الحرب وذكرياتها التى تطاردنى أينما كنت ، وأينما ذهبت . إننى حتى الآن لا تفارقنى تلك المناظر الفظيعة . . حين ظهر الصُلب الذى برز من الماء (يقصد الدبابات والمدرعات المصرية) . وأبداً لا أنسى الرصاص الذى كان يمر من فوق رؤوسنا بلا توقف ، وذلك البحر البشرى المصرى الذى برز لنا من الرمال . لقد حدث لنا فى ذلك اليوم ما لم يكن يخطر على بال أحد منا . أبداً لم نتوقع أن يحدث ذلك فى حياتنا أو فى حياة أجيالنا القادمة .

. . . .

إننى أتذكر الآن كيف تمكن الجنود المصريون المسلحون بقاذفات اللهب من التسلل إلى قرب الحصن ، حيث بدأوا بعد ذلك فى توجيه المقذوفات ، وإلقاء القنابل اليدوية

علينا . أتذكر صرخة أول قتيل من بيننا . . أتذكر . . أتذكر .

أتذكر لحظات الاستسلام للمصريين . . حين سلمنا العلم ، وعبرنا إلى الجانب الآخر من القناة معصوبي الأعين ، ثم قادونا فى عدة عربات . . أتذكر اللحظة التى دفعونا فيها إلى غرفة التحقيقات .

. . . .

وحينما عدت من الأسر إلى بيتى فى « بين براك » وجلست مع أصدقائى كانت سعادتهم غامرة . . وأحاطونى (هم أيضاً) بالأسئلة والتحقيقات . . لكنها كانت هذه المرة من أصدقاء ومع كأس القهوة والتورتة . وإلى جوارنا أبى وأمى اللذان لم تبتعد نظراتهما عنى .

. . . .

بعد ذلك سافرت وزملائى إلى المصحة فى (زخرون يعقوب) للاستشفاء والاسترخاء . ماذا حدث بالضبط ؟ كيف حدث ما حدث ؟ كيف قتل هؤلاء الذين بقيت جثثهم فى الموقع . . وأين هى الآن ؟

. . . .

إننى – قبل الحرب – كنت أفكر فى التوقيع على استمارة الخدمة الدائمة وقد قضيت ساعات طويلة فى مكتب قيادة « الناحال » أتحدث فى هذا الموضوع – ولكننى الآن – وبعد عودتى من الأسر – أطلق سراحى !

. . . .

منذ أيام طلبوا منى مرافقة إحدى فرق البحث عن الجثث المفقودة فى سيناء وبالتحديد الجثث التى بقيت فى موقع « ميزح » وموقع « كفار » وموقع « منشح » وقد وافق المصريون على أن يرافق فرق البحث هذه أحد المحاربين الذين كانوا فى المنطقة فى أثناء القتال .

وكان على أن أدخل هذه المواقع للبحث عن ست جثث مفقودة كما جاء فى المعلومات المتوفرة . . إننى حين علمت بأننى سأعود إلى حيث كان موقعى . . إنتابتنى مشاعر لا أستطيع أن أصفها .

. . إننى أستطيع أن أغمض عينى وأرى كل شبر وكل سنتيمتر فى الموقع . أتذكر كل شىء . .

. . . .

منذ عرفت بنبأ عودتى – مع فرق البحث عن الجثث – وأنا لا أعرف للنوم طعماً . لقد

طاردتني تلك المناظر .عادت إلى ذاكرتي صورة ماحدث ، وتلك الجثث التي تركناها ووضعنا بجانبها وثائق وخوذات وما إلى ذلك ، كعلامات نتعرف من خلالها – بعد ذلك – على الزملاء الذين تركناهم . . ولقد كان الضباط المصريون ورجال الصليب الأحمر يقفون على مقربة منا ونحن نفعل ذلك .

* مرت على لحظات خاطفة شاهدت من خلالها الآباء الذين فقدوا أبناءهم ونظراتهم تقول . . فلنعمل أى شيء من أجل أن يكون لهم قبور يمكن لنا البكاء عليهم فيها . .

إننى لا أعرف ماذا حدث للموقع بعد أن دخل إليه المصريون . اعتقدت أنهم قد هدموه فى أثناء الحرب – تخيلتهم داخله .

* لقد كان هذا الموقع جزءاً منى ، وقد عشت فيه شهوراً عديدة .

* جاء اليوم الذى خرجت فيه – مع فرق البحث عن الجثث – إلى تلك المنطقة .

وفى الطريق إلى هناك تذكرت الحرب مرة أخرى . . . القتلى والأسرى . . وتلك اللحظات المؤلمة والقاسية . وذلك الخوف من اللحظة القادمة التى لا تعرف ماذا سيحدث لك فيها .

* توقفنا انتظاراً لتأشيرة الدخول إلى المنطقة ، ولكن المصريين لم يسمحوا لى بالدخول إلى الموقع .

. . . .

* عدت إلى الشمال . إلى المدينة . إلى الحياة والأحلام .

فى الليلة الأولى – بعد عودتى من الأسر – لم أحلم بشيء . لأننى لم أستطع النوم حتى الصباح .

فى الأسابيع التالية تملكتنى تلك المشاهد والمناظر . كنت أنام وأصحو فجأة مذعوراً ومبللاً بالعرق . وبجانب سريرى كنت أرى دائماً أمى . . وكنت أسألها .

– لماذا تقفين هنا ؟

وكانت تجيبنى قائلة :

– شلومو . . لقد سمعتك تصرخ وأنت نائم .

وأقول لها : « لقد رأيتهم . . رأيت الزملاء الذين قتلوا . . سمعت صرخاتهم . . لقد كان شيئاً أليماً . . ومروعاً . . » .

. . . .

. . انتهت مذكرات شلومو أردينست . . قائد موقع لسان بور توفيق أو موقع ميزح كما كان يطلق عليه الإسرائيليون . . ولعل هذه المذكرات تكون قد أعطت صورة دقيقة لمجموعة من الضباط والجنود الإسرائيليين فى موقف من مواقف الحرب التى تحققت فيها أول مواجهة بين الجندى الإسرائيلى والمقاتل المصرى .

ويحين الآن الوقت لكى نعقد المقارنة الحية والمحددة والحاسمة من خلال وقفة أمام الصورة الأخرى – صورة مجموعة من الضباط والجنود المصريين عاشوا هم أيضاً تجربة الحصار فى أيام الحرب . . كيف كانت ظروفهم ؟ وكيف تصرفوا ؟ ولعل ما يضيف إلى سهولة المقارنة أننا سنقرأ أيضاً صفحات من مذكرات أحد المقاتلين المصريين من قوة موقع كبريت .

أولاً : وصف لكلا الموقعين

١ – موقع لسان بور توفيق :

(أ) كان من يقف فوق الضفة الغربية لقناة السويس يرى هذا الموقع فى الشرق وقد بدا مثل جبل صغير . لقد كان يضم ست دشم أقامها الإسرائيليون على طول اللسان الممتد إلى ما يزيد على خمسة كيلومترات .

وكان عرضه يتراوح ما بين ٧٥ و ٢٠٠ متر .

جدران الدشم تتكون من عربات السكك الحديدية المليئة بالأسمنت المسلح وفلنكات السكك الحديدية . وفوق هذا ردم رملى يرتفع حوالى ٣ أمتار لا تؤثر فيه القذائف .

الدشم الست متصلة فيما بينها بأنفاق تحتية بحيث إذا سقطت إحداها يهرب أفرادها إلى الدشم الأخرى ويغلقون خلفهم أبواباً فولاذية صلبة . باختصار كان الموقع محصناً بحيث لا يؤثر فيه ضرب الطيران والمدفعية بشكل كبير حتى أن أكبر أنواع القنابل كانت لا تحدث فيه إلا إصابات طفيفة بالجدران والأسمنت .

هذا بالإضافة إلى تسليح الموقع الذى يضم خمس دبابات أمريكية الصنع من طراز باتون ، وبطاريات مدفعية ثقيلة ، ورشاشات ثقيلة ومتوسطة ، إلى جانب التسليح الشخصى للأفراد .

(ب) كانت القوة التى تحصنت فى هذا الموقع مكونة من اثنين وأربعين فرداً منهم الطبيب والمضمد .

(حـ) عندما بدأ الهجوم المصرى . . أغلق أفراد القوة الإسرائيلية الموقع على أنفسهم وبدأوا المقاومة من الداخل . وقد تجاوزتهم القوات المصرية المدرعة منطلقة إلى الشرق . وتولت قوة صغيرة عبارة عن جزء من كتيبة أمر الموقع فحاصرته واحتلت الأماكن المحيطة به .

٢ - موقع كبريت :

كانت تجهيزاته أقل بكثير من تجهيزات موقع لسان بورتوفيق لسببين محددين هما :

١ - لما كان موقع لسان بورتوفيق قد تعرض لغارة من قوات الصاعقة فى أثناء حرب الاستنزاف . . فإن الإسرائيليين أعادوا بناءه مستفيدين من الدروس التى نتجت عن تلك الغارة فجعلوه واحداً من أقوى حصون خط بارليف .

٢ - الأهمية العسكرية لموقع لسان بورتوفيق تفوق كثيراً أهمية موقع كبريت وبالتالى انعكس ذلك على تجهيزات كل منهما .

ثانياً : يوميات الموقعين

يوميات موقع اللسان :

٦ أكتوبر / بدأت قوة الصاعقة المصرية بقيادة المقاتل زغلول حصار الموقع . كان واضحاً أن التحصينات القوية تساعد أفراده على البقاء أطول مدة ممكنة . كما أن الذخائر والأغذية ومواد الإعاشة مكدسة فيه بما يضمن المقاومة شهوراً عديدة .

- مع بداية الحصار . . بدأت استغاثات طلب النجدة .
- ردت القيادة الجنوبية بأن النجدة فى الطريق .

موقع كبريت :

من **٢٣** أكتوبر / مع قرار وقف إطلاق النار . . وانتهاك القوات الإسرائيلية له أصبح الموقع مجرد نقطة وسط حصار قوات الثغرة الإسرائيلية . قرر قائد الموقع إبراهيم عبد التواب عدم الالتجاء إلى داخل النقطة القوية إدراكاً منه بأن العدو يعرف كل تفاصيلها حيث أنه هو الذى شيدها . . ولم يتركها إلا بالهجوم المصرى يوم ٦ أكتوبر . . وبناء على ذلك انتشر أفراد القوة المصرية حول النقطة ، ونظموا أنفسهم وأماكن ذخيرتهم وتموينهم . كانت هجمات العدو قد بدأت منذ تسعة أيام وقد شن العدو على الموقع غارات جوية

مكثفة بدأت من أول ضوء . . وكان الفاصل الزمنى بين كل غارة وأخرى لا يزيد على أربع دقائق .

أقسم القائد عبد التواب مع رجاله بألا يستسلمـوا ، أو يمكنوا القوات الإسرائيلية من اقتحام الموقع إلا على جثثهم . . لم تتوقف هجمات العدو لحظة واحدة .

نقل بعض الرجال زملاءهم الجرحى على نقالات . . وساروا بها على الأقدام مسافة سبعة كيلومترات إلى الجنوب حيث وحدات الجيش الثالث . وتركوا جرحاهم للعلاج وعادوا إلى موقعهم .

* ظهرت مشكلة المياه . . فابتكر أحد الجنود وسيلة لتقطير مياه قناة السويس . . وبرغم أنها كانت تتم فى ظروف خطرة ، وتحتاج لصبر هائل فإنهم نجحوا فى تحقيق هدفهم إلى حد ما .

* قام القائد بتوزيع الطعام الموجود . . نصيب كل فرد فى اليوم هو « نصف علبة فول ١٢٥ جراماً + ربع باكوبسكويت + $\frac{١}{٨}$ لتر مياه » .

* برغم الظروف الصعبة التى أحاطت بأفراد الموقع فإنهم لم يكفوا عن الاشتباك مع القوات الإسرائيلية التى تحاصرهم . لم يكتفوا بالتصدى لهجماتهم وإنما كانوا يضربون أى تحرك للعدو فى المنطقة المحيطة بهم ، وكان مما يؤثر على أعصاب الإسرائيليين أن القوة المصرية بدأت تستخدم الأسلحة والذخيرة الإسرائيلية التى استولت عليها باستيلائها على الموقع فى بداية الحرب .

* الاشتباكات اليومية لا تتوقف والحصار الإسرائيلى يزداد كثافة وعنفاً .

مع لسان بور توفيق (الجمعة ١٢ أكتوبر) :.

* التقطت القوات المصرية إشارة لاسلكية صادرة عن الموقع الإسرائيلى يطلب فيها قائد الموقع (شلومو أردينيست) من قيادته الاتصال بالصليب الأحمر لحضور عملية تسليم الموقع . . وفى مساء اليوم نفسه اتصل مندوب الصليب الأحمر فى القاهرة بالقيادة المصرية ليقدم طلب حكومة إسرائيل بالموافقة على استسلام الموقع – وكان قد مضى على حصاره ستة أيام فقط – وكانت القوة التى تحاصره أقل من كتيبة صاعقة .

موقع كبريت :

* محاولات الإسرائيليين لاقتحام الموقع – برغم وقف إطلاق النار لا تهدأ أو تتوقف .
* مضى على الحصار حتى الآن شهر وثلاثة أيام .
* عرضت إسرائيل فى مباحثات الكيلو ١٠١ أن تخلى القوة المصرية موقعها وتخرج منه دون أسلحة .
* رفضت القيادة المصرية ، ورفض قائد الموقع ورجاله وأبلغوا قيادة الجيش الثالث أنهم متمسكون بالأرض .
* قدمت إسرائيل عرضاً ثانياً وهو أن تخلى القوة المصرية موقعها دون أن يستسلم أفرادها ويتم تسهيل مرورهم للالتحاق بوحدات القوات المسلحة المصرية ومعهم كافة أسلحتهم وذخيرتهم .
* رفض قائد الموقع ورجاله وأكدوا تمسكهم بالأرض .
* فى يوم ١٧ نوفمبر تجيء إشارة من الصليب الأحمر تفيد بأنه ستصل طائرة هيلوكبتر إسرائيلية وسيهبط منها أفراد من الصليب الأحمر لإخلاء الجرحى الموجودين بالموقع وتسليمهم إلى القوات المصرية فى الكيلو ١٠١ .
* رفض قائد الموقع ورفض الجرحى أنفسهم . . وقال القائد إنه لو وصلت الطائرة فسيفتح الموقع نيرانه عليها .
* عادت الاشتباكات والهجمات الإسرائيلية على الموقع بصورة بالغة العنف والضراوة .
* القوة المصرية تقاوم برغم سقوط بعض القتلى والجرحى .

موقع لسان بور توفيق (السبت ١٣ أكتوبر) :

سبعة أيام فقط هى التى مرت على حصار الموقع . . حاولت القيادة الإسرائيلية أن تقنع قائد الموقع بمحاولة الاستمرار فى المقاومة مع وعود مجددة بإرسال نجدات إليه لكنه قال إنه مصمم ورجاله على الاستسلام . . . وقد تم اليوم فعلاً استسلام قوة الموقع . . ورفع عليه العلم المصرى .

موقع كبريت (١٤ يناير ١٩٧٤) :

تسعون يوماً مرت حتى الآن وما زالت القوة المصرية تتشبث بالموقع برغم الحصار الإسرائيلى والهجمات التى تستخدم فيها الطائرات والمدرعات والمدفعية وقوات الكوماندوز.

استشهد اليوم العقيد إبراهيم عبد التواب . . حيث كان يقف بنفسه فى نقطة الملاحظة المتقدمة ليوجه المدفعية ، وسقطت دانة هاون ٨١ مللى عليه . . فأسلم روحه .

حل الرائد سعد فى قيادة الموقع وقد اجتمع على الفور ببقية الرجال وجددوا جميعاً القسم على مواصلة النضال والمقاومة .

موقع كبريت (أول مارس ١٩٧٤) :

انقضى على الحصار الإسرائيلى للموقع حتى الآن ١٣٤ يوماً . . دون أن تستسلم القوة المصرية ، أو تهتز قدرتها على المقاومة برغم وقوع الخسائر ، وكثافة الهجوم الإسرائيلى وشراسته .

تنفيذاً لاتفاقية فك الاشتباك الأولى انسحبت القوات الإسرائيلية من المنطقة وعادت إلى الشرق . . وبذلك انهار الحصار . . واستقبل أفراد القوة المصرية أول سيارة تصل إليهم وكان فيها اللواء سعد مأمون مساعد وزير الحربية (وقتئذ) واللواء أحمد بدوى قائد الجيش الثالث . وقد رفع مساعد وزير الحربية يده بالتحية العسكرية واحتضن أفراد الموقع واحداً . . واحداً .

. . . .

يوم من مذكرات مقاتل مصرى . . من قوة « كبريت » :

اليوم هو الثامن عشر من شهر يناير ١٩٧٤ .

مضى على صمودنا داخل الموقع أكثر من تسعين يوماً . . وأنا وزملائى مستعدون للصمود أضعاف هذه المدة برغم كل الصعاب .

بالنسبة لمذكراتى اليوم فإننى استيقظت مبكراً جداً (الواقع أن كلمة « استيقظت » لا تؤدى المعنى المطلوب والمعتاد ، فالليل هنا معناه استيقاظ دائم ، أما النوم فهو متقطع لا يتجاوز دقائق معدودة) .

فى الصباح الباكر قمنا بضرب لنش للعدو كان يحاول احتلال الجزيرة القريبة جداً منا . . وكانت « ضربة معلم » فقد تهاوى اللنش إلى القاع من أول قذيفة .

تم توزيع التعيين « الأكل والماء » بواقع كل علبة تعيين (وغالباً ما تكون علبة فول أو خضار زنة ٢٠٠ جرام) لأربعة أفراد . . يعنى نصيبى لليوم كله ربع علبة . (لا يهم) .

ألمس ويلمس زملائى أن قلوب الجيش والشعب كله معنا .

علمت أن محمود يعانى من آلام روماتيزمية حادة .

عندى علبة عصير أحتفظ بها من عشرة أيام لأتناولها حين أصاب بإرهاق شديد . أخذتها وأعطيتها له (طبعاً هذا كل ما أستطيع أن أقدمه له . لو كنا فى القاهرة مثلاً لقدمت له علبة شيكولاته محترمة) .

سرنى جداً أن الرجال يسموننى هنا « أخونا نور » فأنا أحبهم وأعزهم جداً . . إنهم أكثر من إخوتى .

أمس كان دورى فى مجموعة التقطير . كادت تصيبنى طلقة غادرة حين كنت أحمل إحدى فلنكات السكك الحديدية لنجعلها وقوداً لتسخين المياه المالحة .

بعد نجاحنا فى تقطير زجاجتين كاملتين . . وقبل أن نصل إلى أماكننا فتح العدو نيرانه على الموقع . . اتبعنا معه « الطريقة إياها » : استخدمنا كل الأسلحة المتوفرة لدينا وخاصة الأسلحة الإسرائيلية التى استولينا عليها فى هذا الموقع منذ أول أيام الحرب . (وهذا يغيظهم ويصيبهم بالانهيار) أيضاً كان بعض الرجال يتقدمون بسرعة البرق فى اتجاه القوات الإسرائيلية التى تحاصرنا ، مما كان يجعلهم يتصورون أن عددنا ضخم جداً . . وأن معنا أسلحة وذخيرة بغير حدود .

مع هبوط الليل توقف الاشتباك العنيف اللهم إلا بعض الطلقات الفردية .

وجدتنى الليلة أفكر فى الأهل والأصدقاء . بابا الحبيب وأخى مدحت . يا ترى عامل إيه دلوقتى ؟ من أول الحرب لم أره . – يا ترى ماما بتقول إيه دلوقتى ؟ واحد فى الجيش الثالث . وواحد فى الجيش الثانى .

تناولت طعامى مع زملائى سعيد وأحمد وعبد الفتاح . قررنا أن نأكل علبة الخضار على دفعات تحسباً للأيام القادمة التى قد لا يصل فيها أى تعيين .

ضحك سعيد وهو يقول « الكيف أهم من الكم » .

أرسل لى سلامة ورقة يطلب فيها منى سيجارة أو أقل . وأيضاً باكو شاى لو أمكن

(للأسف نحن الأربعة فى المخبأ ليس معنا إلا سيجارة واحدة وشاى يكفى دور واحد) .

أرسلت أدعوه للحضور ومشاركتنا فى السيجارة والشاى . على غير ما توقعت (نتيجة لظروفنا) – لبي سلامة الدعوة واستقبلناه ضاحكين وقلت له « الشاى يخليك تجازف فى الوقت دا وتيجى هنا » ، ورد علينا بضحكته الهادئة وهو يقول لنا « أنا جاى أقولكم خبر عظيم يدوبك وصلنى دلوقتى » ولابد أن حب الاستطلاع قفز إلى ملامحنا مسرعاً فأضاف هو على الفور « الذئب . . استرد بصره ورجعت صحته تمام » . تحول حب الاستطلاع إلى فرحة غامرة ، وانطلقت أسئلتنا متدافعة بعضها وراء بعض . تسعى كلها إلى التأكد من الخبر الذى حمله إلى الموقع أحد رجالنا الذين تسللوا عبر قوات العدو إلى أول موقع لجيشنا الثالث حيث عرف النبأ العظيم . .

ووجدتنى أنا أعود بذاكرتى إلى أكثر من شهرين . . وأعيش من جديد قصة زميلنا المقاتل الشرس أحمد رمضان الذى أطلقنا عليه أكثر من اسم ، والتصق به اسم « الذئب » من بين هذه الأسماء . .

كنا فى ذلك الوقت قد بدأنا نواجه مشكلة نفاد كميات التعيينات (الأكل) والمياه الموجودة لدينا . . وكان علينا أن نفكر فى طريقة أو أخرى لتوفير احتياجاتنا . وتوصلنا إلى فكرة تكثيف مياه البحر ، وخصصنا مجموعات منا لهذه المهمة . . وكنت أنا واحداً من هذه المجموعات .

وبالنسبة للتعيينات . . جمعنا كل ما كان قد تعرض منها للاحتراق نتيجة الاشتباكات . . (واكتشفنا أن الأكل المحروق لذيذ جداً) لكن المشكلة لم تحل . . فقد انتهت أيضاً هذه التعيينات .

مرت أيام لم يتناول أحدنا شيئاً على الإطلاق . . وبدأنا فى عمليات انتحارية بدأها الذئب (أحمد) وأربعة من الزملاء حين اخترقوا صفوف العدو المحاصرة لنا ، ووصلوا إلى أول موقع مصرى على بعد ثلاثة كيلومترات . . واستقبلهم زملاؤنا فى هذا الموقع (من مواقع الجيش الثالث) استقبالاً حافلاً ، عادوا بعده وقد حملوا كل ما استطاعوا من طعام وماء . . وكانت رحلة عودتهم – عبر مواقع العدو مرة أخرى – بالغة الجرأة والخطورة ، وقد قبلهم قائدنا « عبد التواب » فرداً فرداً ، وقام فى الحال بتوزيع الكمية علينا جميعاً بالتساوى . .

وتكررت هذه العملية مرات ومرات . . وكان عدد أفراد القوة يتضاعف مرة بعد

أخرى . . واشتركت أنا فى إحدى هذه العمليات .

لكن الإسرائيليين اكتشفوا « اللعبة » فأخذوا يضيقون الخناق علينا ، وأحكموا حصارهم تماماً .

لكن أحمد (الذئب) اعتبر نفسه مسئولاً عن حل المشكلة الجديدة . . أو مسئولاً عن مشكلة الأكل والشرب لنا جميعاً بشكل عام . . فأخذ يراقب نقطة مراقبة العدو فى مواجهة موقعنا ولاحظ أن رجالها الأربعة يأتون إليها مع أول ضوء للنهار ومعهم « تعيين » اليوم من طعام وماء ، وكعادتهم لا يجرءون على البقاء فى النقطة ليلاً خوفاً من أن يتعرضوا لإحدى غاراتنا ، فكانوا بمجرد هبوط الليل يتركونها إلى موقع آخر يتجمعون فيه مع عدد آخر من زملائهم . وهنا اتخذ « الذئب » قراره ، فتسلل إلى النقطة مساء . . ونام فيها – وحده – إلى أن ظهرت تباشير الفجر . . ولمح الجنود الإسرائيليين الأربعة قادمين وكل واحد منهم يحمل صندوقين من الطعام الجاف والطازج . . وقد فتح أحدهم الراديو الذى يحمله .

اتخذ الذئب مكانه . . واستعد برشاشه . . وقد قرر أن يؤجل صدامه معهم إلى آخر لحظة . . وبالفعل ضبط أنفاسه تماماً . . إلى أن دخلوا النقطة . . وصوت الراديو يكاد يغطى على أحاديثهم ، وعلى صفير أول واحد منهم . وقبل أن يفتح هو رشاشه نحوه فأصابهم الارتباك والذعر . . وسيطر هو على الموقف بأسرع ما يمكن فقتل ثلاثة منهم ، وأسر الرابع وحوله إلى عربة جر بأن قام بربط صناديق التعيينات والماء على صدره وظهره وقاده أمامه إلى الموقع حيث استقبله القائد . . وعلقت أنا على منظره وهو يدفع الأسير الإسرائيلى المحمل بالأكل والماء أمامه . . فقلت « الخير على قدوم الواردين » وعلق هو ضاحكاً « الواردين مين ؟ . أنا واللا العسكرى الإسرائيلى دا ؟ » .

بعد ذلك بأقل من ساعة شن الإسرائيليون هجوماً عنيفاً علينا فى محاولة للانتقام وإسقاط الموقع وإجبارنا على الاستسلام لكنهم فوجئوا بنا نرد عليهم بعنف أشد . . بل إن ثلاثة أفراد منا . . تسللوا فى أثناء الضرب . . إلى أقرب نقطة من أحد مواقعهم وفتحوا عليه نيرانهم . . فأثاروا بينهم ارتباكاً شديداً . . .

ولم نخسر نحن فى هذا الهجوم سوى إصابة بسيطة للزميل عامر . . وتدمير جهاز الاتصال الوحيد الذى نستخدمه فى موقعنا . . وعلى الفور تقرر أن يقوم بعضنا بعمل انتحارى آخر . يتلخص فى التسلل مسافة ثلاثة كيلومترات . . إلى أول مواقع الجيش

الثالث لإحضار جهاز اتصال من قيادتنا هناك . . وتطوع أحمد « الذئب » للقيام بهذه المهمة قائلاً وهو يبتسم « أنا رجلى خدت على السكة دى أكتر منكم ؟ » . . وتسلم فعلاً خطاباً من القائد عبد التواب . . واتجه إلى البحر وقطع المسافة سباحة وكان كلما حل به التعب يستريح على الشماندورات الموجودة فى مياه القناة . . فيستجمع قواه ثم يعاود العوم .

وكانت مفاجأة رائعة لنا حين عاد فى مساء اليوم التالى ومعه جهاز اللاسلكى ملفوفاً بأكياس البلاستيك حتى لا تفسده مياه البحر . . وفى الليلة التالية صمم أحمد « الذئب » على أن يقود المجموعة التى تقرر أن تقوم بنسف أحد مراكز الوقود التى تعتمد عليه قوات العدو المحاصرة لنا اعتماداً كبيراً . . وكانت المهمة شاقة للغاية . . ولكن أحمد وأفراد المجموعة . . اندفعوا إلى هدفهم وقذفوا بعبواتهم الناسفة فى عمق المركز . . فبدأت الانفجارات وتحولت المنطقة إلى جحيم من النيران .

وبعد دراسة سريعة للموقف . . اتخذنا جميعاً مواقع الاستعداد لصد الهجوم المتوقع . . وكونت كل مجموعة كميناً فى الطرق التى ينتظر أن تتقدم منها الدبابات الإسرائيلية وقد وفقت أنا ومجموعتى فى تدمير إحدى الدبابات . . وتمكنت مجموعة الذئب التى كانت على يسارى من تدمير دبابة أخرى . . واشتبكوا مع أفراد طاقمها الذين حاولوا الفرار منها . . ورفع أحد أفراد الكمين رأسه من حفرته التى يحتمى فيها مهللاً ومكبراً ظنًّا منه بأن جنود العدو قد قتلوا جميعاً ، ولكن طلقة غادرة أصابته فى رأسه . . فسقط شهيداً . . فاندفع أحمد نحوه . . . وكانت صدمته شديدة حتى أنه لم يتنبه للانفجار الذى وقع بالقرب منه . . والذى أغمى عليه بعده . . ثم فقد بصره بسببه .

كانت صدمته شديدة لأن الزميل الشهيد هو محمود صديقه ، ورفيق صباه ودراسته ، وخدمته بالقوات المسلحة . . ولعل ما زاد من صدمة أحمد أنه قال لمحمود قبل هذه العملية « لا داعى لاشتراكك أنت هذه المرة . . وعليك أن تستريح قليلاً » . فانفعل محمود وقال له « يا أحمد أرجوك متحرمنيش من الشهادة » . . . ولم يكن أحمد هو وحده الذى أصابه كل هذا الحزن من أجل محمود . . . فقد بذلنا نحن جميعاً جهداً هائلاً للتغلب على حزننا من أجله . . . ومن أجل أحمد نفسه الذى فقد بصره . .

وكان المطلوب أن تبدأ عملية انتحارية أخرى لإخلاء أحمد وزميل آخر هو عزت لعلاجهم . . . وكنت أنا ضمن المجموعة التى حملتهم فى قارب وتحركت بهم تحت

ستار كثيف من النيران حتى أول حدود قواتنا الرئيسية . . » .

استعدت هذا الشريط من الذكريات المثيرة وأنا أنظر إلى سلامه الذى أخذ يحكى لنا كيف أن الأطباء فى مستشفى السويس قالوا إن السبب الرئيسى فى شفائه واسترداد بصره هو روحه المعنوية العالية وليست الجلسات الكهربائية الإثنتى عشرة التى أجروها له .

وقد أضاف سلامة قائلاً : إن « الذئب » كان مصمماً على العودة إلى كبريت لولا تدخل اللواء أحمد بدوى قائد الجيش الثالث شخصياً واشتراكه – مع مدير المستشفى – فى إقناعه بالبقاء فيها . . تحت الملاحظة . . وللقيام بدور آخر فى السويس .

لم أكن وحدى الذى قبل سلامه لهذه الأخبار الرائعة عن زميلنا « ذئب كبريت » . . أحمد رمضان ابن دمنهور ، بل إن مصطفى أهداه كوب الشاى الذى كنا سنقتسمه جميعاً . . وإن كان هو قد صمم على مشاركتنا إياه فيه .

. . . إنها أيام صعبة لكنها رائعة . . وأروع ما فيها أننا نزداد تصميماً يوماً بعد يوم على التشبث بموقعنا . . مهما كان الثمن ؟

« مقاتل نور »

. . . .

. . . .

تلك كانت صورة القوة المصرية التى تعرضت للحصار فى موقع كبريت . وقاومت ١٣٤ يوماً إلى أن انسحب الإسرائيليون أنفسهم ونحن إذا ما وضعناها إلى جانب صورة القوة الإسرائيلية فى موقع لسان بورتوفيق والتى استسلمت بعد سبعة أيام فقط من حصارها .

إذا نحن وضعنا الصورتين متقابلتين فإننا لا نحتاج إطلاقاً لتحديد نقاط المقارنة واستخلاصها فكل صورة تنطق بواقع أصحابها .

. . فقط . . لابد أن أقول . . إن ما ظهر من سقوط الهالة الكبيرة التى أحاطت بالجندى الإسرائيلى « السوبرمان » كما اتضح فى موقع لسان بور توفيق . . ما هو إلا تأكيد للحقيقة الكبيرة التى أثبتتها حرب أكتوبر / رمضان . . وهى سقوط أحد أركان نظرية أمنهم المتمثل فى تفوق الجندى الإسرائيلى وبراعته وجرأته . . كما صورته دعايتهم .

وفى الوقت نفسه تقول « الصورة المقابلة » : صورة الأفراد المصريين الذين قاوموا الحصار فى موقع كبريت طوال تلك الفترة . . إن حرب أكتوبر قد أزالت الصدأ الدعائى « النكسوى » الذى أحاطت به الدعاية الصهيونية المقاتل المصرى . سقط الصدأ . . وظهر المعدن الحقيقى لهذا المقاتل . . فكان المثال الحى للشجاعة والذكاء والصمود .

باختصار :

فى موقع لسان بور توفيق سقط القناع عن الجندى الإسرائيلى . . وفى موقع كبريت سقط الصدأ عن معدن المقاتل المصرى .

. . . .

(٣)

من أوراق القوات المسلحة السورية

فى الساعة الثانية وخمس دقائق بعد ظهر يوم السبت ٦ / ١٠ / ١٩٧٣ وفى اللحظة التى بدأ فيها الهجوم المصرى ، كانت القوات السورية تبدأ هى الأخرى هجومها بستار كثيف من نيران المدفعية فانطلق أكثر من ألف مدفع تصب قذائفها على جميع المواقع الإسرائيلية فى الجولان .

وفى نفس الوقت كانت الطائرات الميج والسوخوى السورية تندفع موجة بعد موجة وتلقى بحمولتها على المواقع والدبابات ومنشآت اللاسلكى الإسرائيلية .

وتقدمت ثلاثة طوابير من القوات السورية نحو الخطوط الإسرائيلية وهى خطوط دفاعية مزودة بكافة أنواع الأسلحة المضادة للدبابات وبقاذفات الصواريخ

وكان التقدم السورى على ثلاثة محاور رئيسية :

١ – المحور الرئيسى الأوسط وقد حققت القوات السورية فيه (خرقين) أساسيين يتجه أولهما على محور خان ارينبه – الحميدية ، طريق القنيطرة مسعدة ويطوق القنيطرة من الشمال . ويكمل الخرق الثانى الطوق حول القنيطرة من الجنوب .

وكانت أهداف هذه العملية محاصرة القوات الإسرائيلية الموجودة فى القنيطرة وتدميرها والتحرك بعد ذلك غربا على محورين .

(ا) القنيطرة – واسط – قنيعة

(ب) القنيطرة – كفر نفاخ – صنابر

٢ – المحور الشمالى وهو محور ثانوى يخرق الجبهة فى اتجاه مجدل شمس – مسعدة – – بانياس .

٣ – المحور الجنوبى وهو محور ثانوى أيضاً يخرق الجبهة عند الرفيد وينقسم إلى فرعين يتجه أحدهما شمالا على محور : (الرفيد – تل الفرس – الفرارة – القنيطرة) . وذلك لتطويق القوات المحصورة بين الخط الأمامى وطريق « الرفيد – الجوخدار – فيق – كفر حارب – الحمة » بالإضافة إلى ضربة تتجه من « تسيل » فى اتجاه طريق

« الرفيد – فيق » تقطع مواصلات قوات العدو فى جوخدار .

. . . .

وكانت إسرائيل قد أقامت سلسلة من التحصينات الهندسية والموانع الميدانية والنقط الدفاعية فى مواجهة القوات العربية السورية ، كما أقامت فى الوقت نفسه مستعمراتها وفق مخطط دفاعى يضمن التعاون فيما بينها بالنيران وتحيط بهما حقول الألغام والأسلاك الشائكة والخنادق .

وقد تقدمت وحدات الهندسة السورية وفتحت الثغرات فى هذه الحقول وحددتها وعندما أعطيت إشارة البدء اندفعت الدبابات والمشاة تتقدمها وحدات الاستطلاع .

وتركزت المعارك منذ البداية فى القطاعين الأوسط والجنوبى ، وبدأت القوات السورية بالتوغل فى الجولان .

وفى ثالث أيام الحرب تقدمت القوات السورية على القطاع الشمالى أيضاً ، وبدأت عملية تطويق القنيطرة من شمالها وغربها .

وقد بدأت القوات الإسرائيلية الجوية غاراتها على المدن السورية منذ مساء ٨ – ٩ . فى اليوم الرابع (١٠ / ٦ / ١٩٧٣) قصفت الطائرات الإسرائيلية العاصمة السورية دمشق . وأصابت مستشفى الشرق ودار المعلمين ومبنى نقابة الأطباء والمركز الثقافى السوفييتى وعدداً من المبانى والمساكن .

كما تسللت طائرات أخرى إلى مدينة حمص وضربت مصفاة حمص وسد الرستن . .

. . . .

وقد واصلت القوات السورية البرية تدعمها الطائرات هجماتها على المواقع الإسرائيلية واستعادت جبل الشيخ الذى بنى عليه الإسرائيليون مرصداً محصناً بطريقة غير عادية حيث أقيم فى ذروة الجبل وأحيط بأسلاك شائكة وحصائر وسياج وألغام وحوله دشم فى كل منهما رشاش (٥٠٠) ، ولكل دشمة سرداب يؤدى إلى الملاجئ الرئيسية للطابق السفلى فى المرصد (من أعلى يوجد طابقان فى شكل برج ومن أسفل ينتهى بنقطة ضيقة) .

ويحيط بالمرصد أيضاً جدار من الأسمنت المسلح يصل سمكه إلى متر ونصف متر وفوقه تراب ناعم ثم أحجار سوداء كبيرة على شكل مدرجات .

وللمرصد مزاغل لإطلاق النيران . أما حقول الألغام فلا تبعد عنه أكثر من ٢٠ متراً مما يجعل مهمة المهاجم لاختراقه من غير الباب الرئيسى بالغة الصعوبة .

وفى الداخل توجد غرفة عمليات وأجهزة دقيقة ويأخذ المدخل شكل دهليز ملتو يتفرع إلى الداخل .

وعلى جوانب هذا المرصد مرابض هــاون ومستودعات ذخيرة وملاجئ للأفراد محصنة تماماً . وفى أعلاه هوائيات مختلفة ومداخن للتهوية . ومناظير استطلاع (بيروسكوبات) وكان أسلوب التخاطب بين قوات المرصد يتم بواسطة « ديكتافونات موزعة على مختلف الجدران

وقد اتضح أن المرصد يخدم أغراضاً أكبر من مجرد استطلاع إسرائيل للأراضى والمواقع السورية حيث أشارت الدلائل إلى أن ثمة أبحاثاً وعمليات استطلاع كانت تتم لحساب أمريكا وحلف الأطلنطى . .

هذا وقد سقط موقع المرصد فى أيدى القوات السورية بعد معركة عنيفة لم تستغرق أكثر من ٤٥ دقيقة .

. . . .

. . . .

وفى اليوم الخامس تمكن العدو من إحراز بعض التقدم والضغط على القوات السورية ومع المزيد من تركيز الضغط والهجمات أحرز الإسرائيليون تقدماً آخر .

وفى اليوم السادس (١١ / ١٠ / ٧٣) واصلت الدبابات الإسرائيلية تقدمها شرقاً بعد أن تمكنت إثر قتال ضارمن اختراق خط الدفاع السورى الذى أقامته سوريا إلى الشرق قليلا من خط وقف إطلاق النار لعام ١٩٦٧ وقد تكبدت القوات الإسرائيلية خسائر كبيرة فى هذا الهجوم .

أما فى القطاع الأوسط فقد اصطدمت الدبابات الإسرائيلية بمقاومة سورية عنيفة منعتها من التقدم .

وقد نشطت وحدات إسرائيلية من المدرعات والمشاة الميكانيكية فى داخل الجولان فى عملية هدفها تصفية الجيوب التى خلفها السوريون وراءهم بعد الانسحاب شرقاً .

كما قامت الطائرات الإسرائيلية بتوجيه ضربات قوية ضد المدرعات السورية العاملة فى القطاع الشمالى على المحور الرئيسى القنيطرة – سعسع واستمرت فى نفس الوقت الغارات على عمق الأراضى السورية فهاجمت الطائرات المطارات الرئيسية الثمانية فى منطقتى حمص ودمشق وقصفت المنشآت البترولية والكهربائية فى حمص مرة أخرى كما

هاجمت مناطق اللاذقية وطرطوس وبانياس .

ومع ذلك فقد تكبدت الطائرات المغيرة خسائر كبيرة .

وقـد تمكنت القوات السورية من وقف التقدم الإسرائيلى فى القطاع الشمالى فى « خان ارينبه » وقامت بهجوم مضاد ضد المدرعات الإسرائيلية فى محاولة لإفساح المجال أمام القوات السورية – التى كانت لا تزال تقاتل داخل الجولان – ولتمكينها من الانسحاب شرقاً .

وفى الوقت نفسه تمكنت القوات السورية العاملة فى « الرفيد » من السيطرة على الوضع ودحر الإسرائيليين إلى الوراء فى حين واصلت المدفعية السورية عملها بفاعلية كبيرة وألحقت بالعدو خسائر فادحة .

هذا وقد عاودت الزوارق الإسرائيلية الصاروخية محاولات هجومها على الساحل السورى والمنشآت الجوية فى اللاذقية وطرطوس وبانياس وقد تصدت لها الزوارق السورية .

وفى اليوم السابع (١٢ / ١٠ / ٧٣) كان واضحاً أن الموقف يشهد نقطة بارزة بالنسبة لتطور القتال، ففى الأيام الخمسة الماضية تمكنت الوحدات الإسرائيلية المدرعة من وقف تقدم القوات السورية ودفعها إلى خلف خط القتال لعام ١٩٦٧ والتوغل خلف الخط فى القطاع الشمالى على محاذاة الطريق المؤدى إلى دمشق .

وقد دفعت إسرائيل اليوم طيرانها فى موجات متتابعة لضرب المدرعات والمدفعية السورية وأيضاً لضرب أهداف فى عمق الأراضى السورية وقد دارت معارك جوية أظهر فيها الطيارون العراقيون والسوريون شجاعة وكفاءة فائقتين وقد فشلت لذلك الطائرات الإسرائيلية فى تحقيق مهامها .

وبرغم وصول القوات المدرعة الإسرائيلية إلى مشارف قرية (سعسع) فإن دخول القوات العراقية التى وصـلت تواً إلى أرض المعركة أحدث هزة فى الموقف الإسرائيلى وقد باغت لواء مدرع عراقى القوات الإسرائيلية المتقدمة على محور « جيعا كفر ناسج » وشن هجوماً معاسكاً عليها وتمكن من دحرها وإجبارها على التراجع حتى تل الشعار بعد قتال عنيف تكبدت فيه القوات الإسرائيلية خسائر كبيرة فى المعدات والأرواح وتم خلالها أسر عدد من أطقم دباباتها والجنود العاملين مع القوة .

كما أن المدفعية السورية واصلت طيلة اليوم قصف المواقع والمدرعات الإسرائيلية بفعالية كبيرة موقعة فيها خسائر ضخمة .

وبهذا اتضح أن المعركة لم تتجه الوجهة التى أرادتها إسرائيل فبدلا من الاستنزاف الكامل لإمكانات الجيش السورى ، وجدت القيادة الإسرائيلية أن قواتها هى التى تستنزف خاصة وأنها لم تحقق التقدم الذى كانت تسعى إليه ، فالجيش السورى لازال قوياً ويستطيع دفع المزيد من الوحدات إلى جبهة القتال . كذلك فقد أدخل وصول القوات العراقية عاملا جديداً على الموقف زاد من تعقيد الأمور أمام القيادة الإسرائيلية إذ تأكد لديهما أن ميزان القوى فى المدرعات والمدفعية لا يعطيها القدرة على إحداث ثغرة فى الخطوط السورية كما تريد القيادة الإسرائيلية .

. . . .

وفى ليلتى ١٢ ، ١٣ / ١٠ / ٧٣ لجأت القوات السورية إلى استخدام تكتيك حرب إنهاك واستنزاف ، فقد دفعت إلى المناطق التى كانت الدبابات الإسرائيلية قد وصلت إليها فى هجومها الأخير مجموعات من المغاوير (الصاعقة) قامت بالإغارة على هذه المدرعات فأحدثت خسائر وفزعاً فى صفوف الإسرائيلين .

. . . .

وفى يوم ١٢ / ١٠ توقف الهجوم الإسرائيلى جنوبى قرية سعسع وقامت القوات العراقية بهجوم مضاد ناجح تمكنت بواسطته من دحر القوات الإسرائيلية مسافة كبيرة إلى الوراء على محو « غباغب – كفر ناسج » وبذلك تم تضييق الخناق على قوات الثغرة من الناحية الجنوبية .

وفى صباح ١٣ / ١٠ / ٧٣ بدأت القوات الأردنية التى وصلت أمس إلى الجبهة السورية بهجوم مضاد ضد القوات الإسرائيلية التى كانت تتقدم باتجاه تل الحارة وقد أجبرت هذه القوات على التراجع .

. . وبهذا تحسن الوضع كثيراً بالنسبة للقوات السورية وحققت توازناً هاماً أعطاها القدرة على العمل بحرية أكبر.وبسرعة وقفت فرقة مشاة معززة بالدبابات والآليات مدعمة بوحدات من اللواء المغربى وكتيبة مشاة تابعة لقوات فتح الفلسطينية فى مواجهة القوات الإسرائيلية التى كانت قد دخلت قرية « بيت جن » .

أما مسئولية مواجهة قوات محور الجهد الرئيسى للقوات الإسرائيلية العاملة على الطريق المؤدية إلى دمشق فقد أنيطت بفرقة مدرعة سورية معززة بكتيبتين من الدبابات عائدتين إلى احتياطى القيادة العامة السورية .

[illegible]
[illegible] العصبية في [illegible]
[illegible] المصرية خلال [illegible]
[illegible]

أول طيار إسرائيلي أسير في
الجبهة السورية

وفى الجنوب الشرقى تسلم اللواء العراقى المدرع الثانى عشر المسئولية فى المنطقة التى تقع فى مواجهة كفر ناسج وجيعا .

وإلى الجنوب قليلا تسلم اللواء المدرع (٤٠) الأردنى المسئولية فى قطاع « تل الحارة » . . مع انتهاء اليوم أتمت القوات العربية محاصرة الجيب من جميع الاتجاهات وبدأت قوات الطرفين فى إقامة خطوط دفاعية لهما فى المناطق التى تسيطر عليها . كما باشرت القوات (السورية والعراقية والأردنية تدعمها الوحدات السعودية والمغربية والكويتية والفلسطينية) ، الضغط المستمر على القوات الإسرائيلية . بينما نشطت الطائرات السورية فى تقديم الدعم للقوات البرية على طول خط المواجهة وفى التصدى للطائرات الإسرائيلية التى كانت تحاول مهاجمة أهداف حيوية فى عمق الأراضى السورية .

. . . .

وقد شهدت بقية أيام الحرب حتى ٢٤ / ١٠ / ١٩٧٣ معارك استنزافية قامت بها القوات العربية واستطاعت من خلالها دفع القوات الإسرائيلية بضعة كيلو مترات عن بعض المواقع ، ولكن الدعم الأمريكى الذى ظهر على الجبهتين (المصرية والسورية) منذ اليوم السادس للحرب ، وتصاعد يوماً بعد يوم – لكى يعطى القوات الإسرائيلية دفعة تستعيد بها توازنها – هذا الدعم لم يتح الفرصة الكافية للقوات العربية لكى تقضى على الثغرة الإسرائيلية التى حاصرتها تماماً وكان موقف الإسرائيليين فيها لا يحسدون عليه .

كذلك فقد استعادت القوات الإسرائيلية مواقع جبل الشيخ بما فيها المرصد بعد معارك عنيفة استمرت حتى يوم ٢١ / ١٠ / ٧٣ وتكبدت فيها إسرائيل خسائر ضخمة .

مشاهد من الجبهة الشمالية

« لم يكن هناك ما يشير إلى وجود شيء غير عادى على الجانب السورى . . كان الرعاة السوريون – كما هى عادتهم كل يوم – يتجولون فى المنطقة مع قطعانهم ، وفى الساعة الثانية بعد الظهر أعلنت النيران الكثيفة للمدفعية السورية اندلاع الحرب .

. . . .

كانت القنابل تنهمر علينا من كل الاتجاهات ، وخيل إلى أنهم يروننا بوضوح أو أن لديهم عدداً هائلا من المدافع تغطى قذائفه كل ركن من هضبة الجولان ، وكلما رفعت رأسى كنت أرى القذائف تنهمر بسرعة .

وركز السوريون نيرانهم على مدرعاتنا كما بدءوا يطلقون للمرة الأولى صواريخهم المضادة للدبابات وأحسست أن الأرض كلها قد زلزلزت . . وكان كل شئ يمر فى سرعة غريبة .

ها هو ذا طابور سورى مدرع يتقدم نحونا لا يتهيب شيئاً . . أصبنا الدبابتين اللتين فى المقدمة ، فدارت بقية الدبابات من حولهما ببساطة ، واستمرت فى طريقها ثم بدأت الصواريخ تصيب دبابات مواقعى واحدة بعد الأخرى .

وبعد ساعتين أدركت أن المسألة خطيرة فلم يكن قد بقى لدينا من عشرات الدبابات التى كنا نملكها سوى دبابتين فقط ، وأخذت الحالة المعنوية لمن تبقى من جنودى تنخفض سريعاً .

واتصلت بمركز القيادة وأبلغتهم أننا عاجزون عن إيقاف الهجوم السورى . .

. . وتحت ستار من الدخان بدأنا نتراجع تاركين الجثث والدبابات المحترقة وكان السوريون متفوقين علينا فى كل شئ . . وكنا نعانى صدمة نفسية قاتلة .

واستولى علينا – بعد أن فقدنا جميع الدبابات – شعور طاغ بالعجز . . »

(الكولونيل الإسرائيلى (بواز) الذى كان يرابط بقواته فى الخطوط الأمامية للجبهة الشمالية)

« بدأ السوريون يقيمون الجسور فوق الحفر المضادة للدبابات مستخدمين فى ذلك « البولدوزرات » التى كانت تتبعها السيارات من حاملات الكبارى . ولم يكن فى وسعنا مجرد منعهم .

ولقد مرت دباباتهم بالقرب منا تماما ، ثم دارت حول مواقعنا . . وكان هناك ما بين عشرين وثلاثين دبابة تمكنت من اجتياز الحفرة فوق الجسرين اللذين تمت إقامتهما . وظهرت بعد ذلك طائراتنا فى السماء فأصابت إحدى الدبابات وهى تمر فوق أحد الجسور غير أن السوريين تمكنوا من إقامة جسر ثالث » .

(توقيع)
ياهو شوا
أحد الجنود الإسرائيلين فى القطاع الأوسط من الجبهة الشمالية

الفصل الخامس

وكانت « الحرب الإعلامية » . . نقطة تحول هى الأخرى !

أنت تكذب مثل راديو القاهرة !
عفواً : أنت تكذب مثل راديو تل أبيب ! !

كانت نظرة الإسرائيليين للإعلام العربى – خاصة بعد يونية ١٩٦٧ تنبض بالسخرية والتهكم ، حتى أن شبانهم كانوا عندما يمزحون يقولون بعضهم للبعض : « أنت تكذب مثل راديو القاهرة ! ! » .

بل إن الخبراء الإسرائيليين تعدوا نطاق السخرية والقول بكذب الإعلام العربى ، إلى كتابة دراسات يحللون فيها « هذا الإعلام الكاذب . . وأسبابه الاجتماعية » . – وهذا على سبيل المثال – واحد من أشهر الأساتذة الإسرائيليين هو « هركابى » . . كتب يقول :

« إن افتقار العرب إلى الأمانة فى حياتهم العامة ، وميلهم إلى تسميم أفكارهم هى أخطاء شائعة عند العرب أنفسهم ، وهى أخطاء يندوون بها هم أنفسهم » .

. . والواقع أن هذه النظرة لم تكن إسرائيلية فحسب ، ولكنها امتدت إلى دول كثيرة بنت رؤيتها للإعلام العربى على أخطائه فى حرب يونية ١٩٦٧ ، وقامت الدعاية الصهيونية بتغذية هذه الرؤية بكل الوسائل .

. . . .

ولكن . . لماذا تحولت الجملة الإسرائيلية الشهيرة « أنت تكذب مثل راديو القاهرة » إلى العكس تماماً . . فأصبحت « أنت تكذب مثل راديو تل أبيب » . . ؟

إن هذا التحول الذى نتعرض له بالدراسة فى هذا الفصل هو نتيجة أخرى للحرب بالغة الأهمية والخطورة . بل إنها فى حد ذاتها تجسيد لنقطة تحول ضخمة فى الصراع العربى – الإسرائيلى كله .

أولا : فكرة عامة عن جهاز الإعلام الإسرائيلى :

قبل وأثناء حرب أكتوبر كانت هناك عدة هيئات تقوم بالعمل الإعلامى بديلا عن وزارة إعلام خاصة . وهذه الهيئات هى :

١ - **الإدارة المركزية فى وزارة الخارجية** : وتقوم على العمل الإعلامى الموجه للرأى العام العالمى ، وتشرف عليها وزارة الخارجية .

٢ - **مكتب المعلومات المركزى** . ويشكل من المكتب الصحفى للحكومة هيئة واحدة ترتبط بمكتب رئيس الوزراء . ومهمة هذا المكتب المركزى هى ترسيخ الوحدة الثقافية والروحية والاجتماعية بين السكان فى إسرائيل ، وتعميق ارتباطهم بالدولة .

والمكتب مسئول بشكل أساسى عن الإعلام الموجه إلى الداخل .

٣ - **المتحدث بلسان الجيش** : وهو المسئول مع (هيئة العلاقات العامة) فى وزارة الدفاع عن اطلاع الجمهور الإسرائيلى والخارجى بصفة مستمرة على الأوضاع العسكرية . وبديهى أن للمتحدث العسكرى أهمية ضخمة فى أثناء الحروب .

. . هذا وتتصل هذه الهيئات أو المحطات الإعلامية بشكل مباشر بالمراكز العليا فى الدولة وهى :

(مكتب رئيس الوزراء - وزارة الخارجية - وزارة الدفاع) . وبالتالى فإنها هى التى تقوم بوضع الشكل الأساسى للخطة الإعلامية من خلال ما يصدر عنها من بيانات أو تصريحات أو مؤتمرات صحفية وتصب عملها فى دار الإذاعة والتليفزيون التى تتصل هى الأخرى مباشرة بمكتب رئيس الوزراء ، وفى الصحافة التى تخضع هى الأخرى لتوجيهات المكتب الصحفى لرئيس الوزراء . وتجدر بنا الإشارة إلى أن ما كان يقدمه الإعلام الإسرائيلى من خلال الإذاعة العبرية كان يتم تصفيته وتعديله عندما يوجه عبر الإذاعة العربية . . بحيث كان يتم التركيز على الصمود الإسرائيلى ونقاط الضعف فى الجانب العربى .

. . . .

كيف سار الإعلام الإسرائيلى أثناء الحرب ؟

(أ) كان البيان الأول موجهاً من جولدا مائير رئيسة الوزراء وقتذاك ، وقد أذيع هذا البيان بعد ساعات قليلة من نشوب الحرب ، وركزت فيه مائير على النقاط التالية :

١ - قيام جيش الدفاع بصد الهجوم المصرى - السورى .

٢ - قوات جيش الدفاع تكبد القوات العربية خسائر فادحة .

٣ - لم تفاجأ إسرائيل إطلاقاً باندلاع القتال وبالتالى فإن جيش الدفاع كان على

أهبة الاستعداد منذ اللحظات الأولى .

٤ – الثقة كاملة فى أن أحداً لن يصاب بالذعر .

٥ – التركيز على أن العرب انتهكوا يوم الغفران اليهودى .

. . . .

(ب) بعد ذلك . . أعطيت الكرة (الإعلامية) إلى وزير الدفاع الجنرال موشيه ديان وذلك لاستثمار رصيده الشعبي و « البطولى ! ! » وباعتباره من أركان أسطورة جيش الدفاع الذى لا يقهر ، فقام على الفور بالظهور على شاشة التليفزيون (قبل منتصف الليل) ووجه حديثاً جاء فيه أن معارك قاسية تدور على الجبهتين المصرية والسورية وأن إسرائيل لم تكن تريد شن حرب وقائية ، وأنه بعد فترة انتقال محدودة سوف يصل جيش الدفاع إلى كامل قوته المعهودة .

. . . .

وبعد ذلك عقد ديان مؤتمراً صحفياً – فى نفس الليلة – أبرز فيه ما يلى :

– يجرى الآن صد المصريين ، وسوف يتم إخضاعهم !

– سترفض إسرائيل وقف إطلاق النار .

– لن تستمر الحرب أشهراً أو أسابيع أو حتى أياماً . . فسوف يحسمها جيش الدفاع الإسرائيلى فى وقت قصير جداً يقاس بالساعات ! !

. . . .

وبرز بعد ذلك دور الجنرال حاييم هرتسوج كبير المعلقين الإسرائيليين ومدير المخابرات السابق . فوجه أول أحاديثه فى منتصف الليلة من اليوم الأول (٦ أكتوبر ١٩٧٣) . . وقال فيه :

– إن إسرائيل كانت على أقل درجة من الاستعدادات .

– إن القوات الإسرائيلية على قناة السويس محدودة .

– مع إتمام الحشد سيتم الانتقال إلى مرحلة الهجوم المضاد .

– إن التفوق الإسرائيلى حاسم تماماً . وليس محل مناقشة . !

– سوف يتم انتزاع الأراضى التى احتلها العرب . . وسوف يجبرون على وقف إطلاق النار .

. . . .

وإلى جانب المتحدث العسكرى (حاييم هرتسوج) توالت تقارير المراسلين الحربيين من خلال الإذاعة ، وعلى صفحات الجرائد والمجلات ، وقد ذكرت معظم هذه التقارير صوراً جزئية من المعارك ، وتحدثت عن بطولات كثيرة . . كان واضحاً عنصر المبالغة فيهـــا .

ومن أمثلة هذه التقارير ما قاله المراسل الحربى (عاموس اتنجر) عن أنه تم تدمير وهدم عدد من الجسور التى أقامها المصريون عبر القناة وأنه من المتوقع أن يتم تدمير باق الجسور سريعاً . وقال عاموس : إن قواتنا المدرعة دخلت فى مرحلة الهجوم . وقد سادت الفوضى بين القوات المصرية نتيجة القصف الذى وجه لها ، وقد تم انقطاع بعض هذه القوات عن خطوط تموينها .

. . . .

ومن جبهة الجولان قال المراسل الحربى (بحزقيل همئيرى) :

إن ضابط مدرعات شاب لا يتخطى عمره ٢٤ سنة قاد قوة صغيرة فى معركة ضد طابور مدرعات سورية ، واستطاع تدمير أكثر من خمسين دبابة وشاحنة سورية فى وسط هضبة الجولان » .

. . . .

وتحدثت الصحف العبرية التى ظهرت يوم ٧ ، ٨ أكتوبر عما أسمته بالكوارث العربية الأولى .

فمثلا قالت لينفارماسيون فى يوم ٧ أكتوبر « من وجهة النظر العسكرية فإن هذه المواجهة المسلحة مع العدو تدور فى ظل استراتيجية أفضل بكثير من مثيلاتهـــا عام ١٩٦٧ .

– وقالت « هآرتس » فى نفس اليوم : « إن واشنطن على ثقة من أن إسرائيل ستتصدى للهجوم وتنهيه فى يوم أو اثنين » .

– وقالت « هاتسوفيه » : « إن الضربات التى يوجهها جيش الدفاع الإسرائيلى إلى القوات العربية أقسى من الضربات التى وجهها إليها فى الماضى » .

. . . .

ونواصل معاً قراءة بعض ما ذكره الإعلام الإسرائيلى أثناء المعارك لكى ننتقل بعد ذلك إلى ما وقع فيه من تناقضات كشفت انهيار الخطوط الدفاعية والهجومية للإعلام

الجنرال ديفيد إليعازر فى أحد تصريحاته الملتهبة فى الساعات الأولى للحرب ، مشاركاً بقية القادة الإسرائيليين حملة إعلامية كشف المراسلون الأجانب كذبها الفاضح

الجنرال حاييم هيرتسوج المتحدث العسكرى الإسرائيلى فى مؤتمر صحفى . . كان ملمحاً من صورة هزيمة الأعلام لإسرائيلى

الإسرائيلى ، مع انهيار خطوط قوات جيش الدفاع .

– فى يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٣ – لخص العميد « يتسحاق حوفى » قائد المنطقة الشمالية الوضع فى الجبهة السورية قائلا :

« إن سلاح الطيران (الإسرائيلى) يقوم بتدعيم ومساعدة القوات المدرعة وهو يعمل فى سماء نظيفة لا طائرات للعدو فيها ، كما أن طائراتنا لا تواجه تقريباً أية نيران أرضية من قوات السوريين بعد أن تم تدمير معظم بطاريات الصواريخ السورية المضادة للطائرات بالأمس .

. . . .

– وفى الجبهة الجنوبية قال العميد « أبراهام مندلر » ، قائد القوات المدرعة فى سيناء :

« إن القوات المصرية قد تصدعت . . وإنه يجرى ضرب هذه القوات حتى الهزيمة النهائية . إن سيناء تشهد للمرة الرابعة هزيمة المصريين ! ! »

. . . .

– أما (ديان) فقد عاد ليبث تصريحاً آخر عبر الإذاعة العبرية . . قال فيه : إننا سوف نلحق بالعرب هزيمة رهيبة . إننا سنسحق كليتهم . . وإذا كانوا قد ألحقوا بنا بعض الخسائر نتيجة المباغتة فإننا سوف نلقنهم درساً قاسياً لن ينسوه . وإن النصر الذى سنحققه لن يستغرق سوى ساعات فقط .

. . . .

– ويتحدث أيضاً دافيد أليعازر رئيس الأركان الإسرائيلى ، أمام مئات الصحفيين الأجانب الذين ازدحمت بهم يوم ٨ أكتوبر قاعة بيت سوكولوف للمؤتمرات وهى المركز الصحفى لجيش الدفاع الإسرائيلى ، فيقول :

« إننا سنطارد المصريين والسوريين ، . . وسنلاحقهم . . وسنسحق عظامهم وندق لحمهم » .

– بل إن الإعلام الإسرائيلى وصل إلى الحد الذى أعلن فيه عن وصول مجموعات السياح إلى البلاد كما كان مقرراً . . وتوقع وصول مجموعتين أخريين فى الأيام القليلة القادمة ! !وحتى لو كان الإعلام الإسرائيلى يحاول إخفاء وصول المتطوعين والمرتزقة الذين نشطت الوكالات الصهيونية فى جمعهم أو استئجارهم ، بالقول بأنهم « سياح »

إلا أن اللهجة التى أذيع بها الخبر كانت توحى بأن كل شىء يعود إلى ما كان عليه بفصل جيش الدفاع الذى لا يقهر !

– ثم نتوقف أخيراً أمام تقرير للمراسل الحربى «ريلر شور» الذى بعث من جبهة القناة يقول «فى الساعات الأولى للمعركة جرح ضابط شاب ، وبقى فى دبابة مصابة لا تستطيع الحركة . وعلى الرغم من جروحه فإنه نجح فى وصل دبابته بدبابة أخرى كانت مصابة أيضاً ، وبمساعدة قائد هذه الدبابة الثانية أخذ يطارد العدو ودمر دباباته ونقل بعض الجرحى ، ثم هاجم بعض المواقع المصرية ! !

(هكذا رسم المراسل الإسرائيلى للمستمعين والقراء صورة لا يحققها جيش جيمس بوند نفسه ! ! مهما كان خيال المخرج والمؤلف ! !)

التناقض . . والارتباك :

إذا كانت بعض دلائل التناقض قد ظهرت فى الصفحات السابقة ، إلا أن المتابعة الدقيقة تكشف الكثير من التناقضات الحادة بما تعكسه من ارتباك إعلامى واضح . ولنلتقط مثلاً هذه النماذج .

– فى يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٣ وهو نفس اليوم الذى وعد فيه ديان بسحق «كلية» العرب كما يقول التعبير الإسرائيلى ، وقال فيه أليعازر «إننا سنسحق عظام المصريين والسوريين وسندق لحمهم» فى نفس هذا اليوم . . كان مذيع راديو إسرائيل يقول فى ثقة – إن قواتنا تسحق – أكرر «تسحق» القوات المصرية والسورية ، وإن جنودنا فى الجبهة المصرية يقولون «إننا لا نرضى أن نكون مكان المصريين الذين أجهز عليهم تسهال «جيش الدفاع ! !» . . وأيضاً قال مراسل حربى :

«إننا ننقض وننقض ، ويقول لى رجال مدرعاتنا إن أمامنا قوة تفوقنا عدداً ، ولكن المعرفة فى هذه الحالة تلعب دوراً أكبر من العدو المتفوق تماماً مثل لعبة الشطرنج ! !»

. . . ويقول مراسل آخر (يبهو شواع جلون) مراسل الإذاعة العبرية «إن المعطيات القائمة فى أرض المعركة الآن تؤهلنا لإبادة السوريين تماماً : !»

. . ويقول مراسل آخر (رافى أونجر) من جبهة سيناء :

«إننى أستطيع أن أصف قائد القوة التى أرافقها بأنه صاحب القبضة الساحقة ! !»

. . هذا بعض ما جاء فى يوم ٨ / ١٠ / ٧٣ عن سحق القوات الإسرائيلية للمصريين والسوريين . .

ولكـن فى نفس اليوم يحدث التناقض الواضح حين تذاع مقابلات مع ضباط وجنود إسرائيليين . . وترد رسائل أخرى من المراسلين الإسرائيليين :

* فتذاع مثلاً مقابلة مع ضابط إسرائيلى يقول فيها :

« مازلنا نتعرض لقصف شديد جداً ، وتقع القذائف حولنا ، وبسبب هذا القصف المدفعى تراجعنا إلى الوراء ، لكن القادة يأمروننا بالتقدم إلى الأمام بأى ثمن ، ونحن ننتظر ما سيحدث وفى هذه الأثناء تستمر علميات القصف » .

* ويقول ضابط آخر من سلاح الطيران فى مقابلة مع مراسل الإذاعة العبرية :

« أما بالنسبة للقوات الأرضية فإنها مزودة بمعدات مضادة للطائرات كثيرة وفعالة جدًّا ، وإن قوة النيران المضادة للطائرات قوية جدًّا فى معظم الجبهات » .

وفى اليوم التالى (٩ أكتوبر ٧٣) وبعد انهيار الهجوم الإسرائيلى المضاد تتوالى الرسائل لتكشف المزيد من التناقض .

فيقول مثلاً مراسل الإذاعة العبرية (رونى دانيال) :

« بالأمس كنت شاهداً لنقاش بعض الجنود فى آلية نصف مجنزرة ، وكان موضوع النقاش هو : ما الاسم الذى سيطلقونه على هذه الحرب ، وتبلور اقتراح من واحد منهم بأن يكون الاسم « حرب الأيام الرهيبة ! ! »

– ولكن إيجال آلون ، نائب رئيس الحكومة يقول فى اليوم التالى (١٠ / ١٠ / ٧٣) :

« إن الجيش الإسرائيلى لن يتوقف عند خطوط وقف إطلاق النار وإذا اقتضت عملية إبادة العدو المصرى والسورى ذلك ! ! »

– وفجأة تستجمع جولدا مائير شجاعتها وتقول « فى نفس اليوم » :

« فى هذه الأيام الأربعة واجهتنا ساعات صعبة جدًّا ، وساعات شجاعة جدًّا . . لقد حدث تحول نسبى ، ومع هذا فإننى ملزمة بأن أقول لكل واحد منكم إن الحرب لم تنته حتى الآن ! !

. . . .

واستمر ارتباك وانهيار الإعلام الإسرائيلى طوال أيام الحرب ، لكى يفقد الإسرائيليون أنفسهم والعالم كله الثقة نهائيًّا فيما يصدر عن أجهزة الإعلام الإسرائيلية .

ونحن لو أردنا أن نضيف أمثلة أخرى – ولو من الفترة التى تصورت فيها إسرائيل أن إعلامها استعاد توازنه – فإننا سنجد ما يؤكد الارتباك والكذب والانهيار .

فمثلا ها هو ذا ديان يظهر مرة أخرى ليقول فى ١٨ / ١٠ / ٧٣ (بعد أن أنقذ

الدعم الأمريكى قوات جيش الدفاع . . مما مكنها من دفع قوة إلى غرب القناة فيما سمى بالثغرة) يقول ديان :

« إننا قد استعدنا زمام المبادرة فى الجبهة المصرية ، هذا بالإضافة إلى زمام المبادرة التى حققناها فى الجبهة السورية . إن هناك مفاجآت تنتظر المصريين » .

وبالرغم من أنه (ديان) تجاهل تماماً ما قاله فى بداية الحرب من أنها ستستغرق ساعات فقط وليس أياماً (كان قد مر على بدايتها حتى ذلك الوقت ١٢ يوماً ! !) فإنه أكد على استعادة جيش الدفاع لزمام الأمور . . بل ووعد بمفاجآت مثيرة .

والمعروف أن القوات الإسرائيلية التى كانت تقوم بمهمة الثغرة فى ذلك الوقت كانت تعانى من الضربات المصرية القاسية والرهيبة — كما وصفها الضباط والجنود الإسرائيليون — ولدرجة أن ديان نفسه ومعه بارليف واليعازر وجونين طلبوا من شارون الاقتراب من الشاطئ لاحتمال إلغاء العملية كلها ! !

. . وعلى أى حال فقد تأكد التناقض الإعلامى العلنى حين ظهر المتحدث العسكرى حاييم هيرتسورج فى (٧٣/١٠/٢١) ليقول :

« إنه تجب الإشارة إلى أن الجيش المصرى يقاتل ويعمل كجيش منظم وإن جزءاً من قواته يرابط فى مواجهة قواتنا دون أن يدخل معه بعد المعركة الشاملة . وكما هو واضح فإن الجزء الرئيسى من جيش العدو موجود الآن فى سيناء دون وجود أى مؤشر لإمكانية زحزحته ! » = بل إنه هو نفسه (ديان) عاد يقول فى (٧٣/١٠/٢٠) « إننى لا أقول بأن الحرب فى الجبهة السورية قد انتهت وبالنسبة للقناة فلا زلنا بعيدين جداً عن احتلال إقليمى وطردهم إلى غرب القناة » .

. . . .

. . وتستوقفنا الكذبة الكبرى التى لطخت وجه الإعلام الإسرائيلى تماماً وأكدت فيها تضليل إعلام إسرائيل للكثيرين منذ بداية الحرب ، ولعلها تكون امتداداً — بوجه خاص — لتلك الكذبة التى طيرتها وكالات الأنباء فى يوم ٨ / ١٠ / ٧٣ كخبر مثير (ومتوقع من الجيش الذى لا يقهر) حين أعلن أن قوات الجنرال آدن قد عبرت القناة فى منطقة حزيون وفرقان — وقد تسبب نقل هذا الخبر الكاذب فى صدمة مؤلمة للصحفى الفرنسى « أين كيو » الذى سارع بنقله إلى صحيفة « لوفيجارو » . . . أما الخبر . . أو الكذبة الأخيرة التى أقصدها فهى تلك البرقية التى طيرتها وكالات الأنباء يوم ٢٤ أكتوبر

٧٣ عن احتلال القوات الإسرائيلية لمدينة السويس ، وكيف أدلى الحاكم العسكرى الإسرائيلى (الذى وقف بمسدسه معلقاً فى حزامه وفرحة الانتصار تطفو على وجهه) بتصريح يقول فيه إن مقاومة المدينة انتهت . . وإنها الآن تأتمر بأمره باعتباره الحاكم العسكرى

وحين توالت استغاثات القوات الإسرائيلية التى حاولت دخول السويس . . وأصبح الشغل الشاغل للقيادة محصوراً فى إنقاذ من تبقى من هذه القوات وإخراجهم من بين نيران المقاومة الشعبية فى السويس . . كان على إعلام إسرائيل أن يبتلع كذبته . . ويبحث عن أى مبرر بعــد أن تكشفت الحقائق للعالم كله . وظلت السويس صامدة . . قــوية .

. . . .

وبديهى أن المراسلين الأجانب الذين تدفقوا على إسرائيل لدى اندلاع الحرب ومعظمهم يؤمن بأنه سيتسنى له مشاهدة عرض مكرر لحرب خاطفة مثل تلك التى قام به جيش الدفاع الإسرائيلى فى ١٩٦٧ . . والذين سمع بعضهم لدى وصولهم فى صباح الأحد ٧ / ١٠ / ١٩٧٣ ثانى أيام القتال ، من يقول لهم من الإسرائيليين » : « لقد تأخرتم كثيراً . . إن تسهال (جيش الدفاع) على وشك أن ينهى العملية كلها » ! !

بديهى أن هؤلاء المراسلين قد عانوا كثيراً من الإعلام الإسرائيلى . . فقد سقط كثيرون منهم فى الأكاذيب التى أبلغت لهم فى صورة تقارير وبيانات . وفقد بعضهم سمعته الصحيفة لدى صحيفته وقرائه أو وكالته . . حتى أن رؤساء هيئات التحرير التى ينتمون إليها فى الخارج أرسلوا لهم يقولون :

« **إننا لا نثق فى بلاغات الناطق العسكرى الإسرائيلى** » :

. . ومن جهة أخرى منع هـؤلاء المراسلون الأجانب من السفر إلى خطوط الجبهة خلال الأيام الأولى من الحرب ، ومن حديقة العشب الأخضر فى بيت سوكولوف (الذى استخدم مركزاً للاتصال لجميع الصحفيين المحليين والأجانب) أرسلوا إلى صحفهم يقولون وقد خذلوا تماماً « إن إسرائيل تخفى حقيقة ما يجرى فى ميادين القتال » .

. . وعندما تسلل بعضهم سرًّا إلى جبهة الجولان . . عادوا إلى تل أبيب لإرسال برقياتهم محاولين خداع الرقابة العسكرية وقد حملوا معهم أخباراً مثيرة للقلق . . فقد أجروا لقاءات مع عدد من الضباط والجنود الإسرائيليين الذين قالوا لهم بتشاؤم كبير : « لقد

انتهى عهد الجيش الذى لا يقهر ، وانتهى العيد » . وقالوا : « إن الأمر صعب للغاية ، إن العرب يقاتلون أفضل مما كانوا يقاتلون فى عام ١٩٦٧ . الوداع يا سوكون » !

ملحوظة : (استمع المراسلون الأجانب لهذه الأقوال فى الوقت الذى كانت بيانات إسرائيل – التى كان عليهم نقلها لصحفهم وإذاعاتهم – تقول : إن جيش الدفاع قد استعاد تماماً زمام الأمور على الجبهة السورية وإنه دمر الجيش السورى).

ثم ها هوذا مراسل اليونيتدبرس . . يتمكن من الاقتراب من جندى إسرائيلى من القوة التى تطوق الجيش الثالث (على حد قولهم) . . وبمجرد أن تحدث مع هذا الجندى الذى سبق تجنيده فى الجيش الأمريكى ، سأله عن موقف قواتهم فقال الجندى : « هل تعرف لماذا أشعر باليأس ؟ انظر . . انظر إلى قوات الجيش الثالث المصرى (فى الضفة الشرقية للقناة) . . لقد كنا نتصور أننا نحاصرهم . . ولكن ها أنت ذا ترى روحهم المعنوية مرتفعة ، وهم دائماً مستعدون للقتال وفى أى وقت . إنهم يدركون تماماً أنهم هم الذين يحاصروننا ولسنا نحن الذين نحاصرهم كما نقول . إننا هنا لا نريد شيئاً سوى العودة إلى بيوتنا » ! !

سمع مراسل اليونايتدبرس هذه الكلمات من الجندى الإسرائيلى فى الوقت الذى كان فيه إعلام إسرائيل يهلل ويصدر البيانات والتصريحات عن سوء حالة الجيش المصرى الثالث (المحاصر) .

وقد علق المراسل على ما سمعه قائلا : الآن عرفت لماذا يمنعنا المسئولون الإسرائيليون من الالتقاء بجنودهم ! !

. . . .

. . . .

مواقف وصور من أوراق الإعلام الإسرائيلى

١ – ماذا تقول إذاعة القاهرة . . يا كوستا ؟ !

تسرب القلق (الذى كان بمثابة نهاية العالم) رويداً رويداً إلى داخل إسرائيل . تسرب هذا القلق (كما يقول جان كلود جيبوه) مثلما يتسرب السم البطىء داخل جسم الإنسان . كان كثيرون يعرفون حقيقة الموقف لأن إسرائيل كبلد صغير لا يمكن إخفاء خبر عنه لمـــدة طويلة . كما أن إمكانية الاستماع إلى الإذاعات الأخرى متاحة فى كل الأحوال .

وفى استوديوهــات إذاعة إسرائيل كان الفنيون منزعجين بعد سماع الأشرطة التى بعث بها المراسلون من الجبهة « والتى كانت الرقابة قد منعت إذاعتها » . . وبدءوا ينقلون الأخبار .

وقد وقعت حادثة عجيبة فى استوديوهات أجهزة التصنت للإذاعات العربية التى تقع فى شارع (صدلين هاما لكا) . وكان المسئول عن الجهاز رجلا يبلغ التاسعة والثلاثين من العمر ، وهو من أصل مصرى يدعى (سقراط كوستا) . وكان قد استدعى مثل الجميع فى ٦ أكتوبر ، وطوال ثمانية وأربعين ساعة تابع وسجل جميع النشرات الإخبارية التى نقلتها إذاعات القاهرة ودمشق وبيروت وقد دهش كثيراً لسماع تلك البيانات إذ لاحظ أنها بيانات معتدلة وأكثر تحديداً ودقة من بيانات إسرائيل الصاخبة .

وعندما غادر سقراط كوستا مكتبه يوم الثلاثاء ٩ / ١٠ / ٧٣ التف حوله جيرانه وأصدقاؤه وأخذوا يسألونه :

« ماذا تقول إذاعة القاهرة يا كوستا ؟ وماذا تقول إذاعتا دمشق وبيروت . . يا كوستا ؟ ؟ »

. . . .

. . . .

٢ – لقد كان الأمر رهيباً رهيباً :

بمجرد إعلان وقف إطلاق النار اتجه أحد ضباط المظلات الإسرائيليين الذين كانوا ضمن قوات شارون فى الثغرة ، اتجه على الفور إلى مبنى التليفزيون الإسرائيلى معرباً عن سخطه لما كانت تنقله إذاعتهم ، وأخذ يصيح فى وجوه كل من يقابلهم .

« إنه شيء لا يمكنكم أن تتصوروه . . لقد كان الأمر رهيباً هذه المرة . . كان الأمر رهيباً . . رهيباً ! ! »

٣ – أجرأ عملية تزوير إعلامى :

لم يقتصر خداع الإعلام الإسرائيلى للرأى العام العالمى على إصدار بيانات مضللة ونقل تقارير كاذبة عن سير العمليات بجبهات القتال . ولكن تشبثاً بأوهام الماضى ، وفى محاولة للحفاظ على صورة جيش الدفاع الذى لا يقهر والجندى (الإسرائيلى) السوبرمان قام إعلام إسرائيل بارتكاب أجرأ عملية تزوير (إعلامى) . فبينما كان العالم يتابع أخبار الحرب الدائرة محاولا المواءمة بين ما يسمعه من مصادر مختلفة . . وفى الوقت الذى بدأت تنمو فيه الشكوك تجاه ما يصدر عن إسرائيل من أخبار وتحقيقات . . . وصلت إلى محطات التليفزيون فى الولايات المتحدة وبعض دول أوربا وأمريكا اللاتينية أفلام من إسرائيل تصور القتال على الجبهتين المصرية والسورية .

وفى البداية انخلعت قلوب العرب الذين يعيشون فى تلك البلاد ، وشعر المتعاطفون مع القضية العربية بالحزن يتسلل إلى مشاعرهم ، بينما ابتسم الآخرون . . وهم يقولون : « إن إسرائيل تكتسح – كالعادة – القوات العربية . ألم نقل لكم إن جيش إسرائيل لا يقهر . . وإن العرب لا قبل لهم بالقوات الإسرائيلية المتفوقة المتحضرة ؟ ! »

. . وفجأة . . « سقطت السماء فوق رأس الإعلام الإسرائيلى . . لقد اتضح أن هذه الأفلام التليفزيونية مأخوذة من أفلام حرب يونية ١٩٦٧ . . وتكشفت أجرأ عملية تزوير إعلامى . . قامت بها إسرائيل . .

وزادت فجوة الشك وعدم التصديق بين العالم . . والإعلام الإسرائيلى .

٤ – ولم تفلح الوقيعة :

حاول الإعلام الإسرائيلى الضرب على وتر الخلافات بين الدول العربية وبين بعضها والاتحاد السوفييتى . وكانت أولى هذه المحاولات يوم ٨ / ١٠ / ٧٣ حين أذاعت الإذاعة الإسرائيلية خبراً وهمياً يقول : « إن رئيس الحكومة اللبنانية اجتمع بالسفراء العرب فى بيروت وطلب إليهم التأثير على « المخبرين الفلسطينيين » لكى لا يقوموا بأية عملية من من شأنها أن تعطى إسرائيل ذريعة لمهاجمة لبنان » .

وفى نفس اليوم قالت إذاعة إسرائيل « إنه مع بدء اليوم الثالث للمعارك تستمر الدول العربية بالتعهد بتقديم المساعدة خطياً وشفهياً لكل من مصر وسوريا ! ! »

وفى ١١ أكتوبر ١٩٧٣ نفثت إذاعة إسرائيل من خلال فم البروفيسور شمعون شمير محاولة سامة للوقيعة بين مصر وسوريا فقال فى تحليل له : « لقد بدأت تطرح فى أوساط العرب بعض الأفكار حول أهداف المصريين من الحرب وهناك من يقول إن المصريين جعلوا من السوريين لقمة مدفع . لكى يستطيعوا هم أنفسهم إحراز مكاسب إقليمية فى سيناء » .

وفى اليوم نفسه قال هيرتسوج : إن الذى يحدث الآن هو أن الجيش المصرى الذى قام بعملية اختراق أولى فى قناة السويس لم يتقدم ، وسيجد نفسه فى تشكيل مغلق فى الوقت الذى يسفك فيه الجيش السورى دمه ويقاتل دفاعاً عن حياته ، وسينجم عن هذا الواقع تبعات خطيرة فى العلاقات العربية .

وتلقى جولدا مائير خطاباً فى ١٣ / ١٠ تقول فيه : « إن الاتحاد السوفييتى لا يعطى الأسلحة حباً فى العرب وإنما انطلاقاً من مصالح واضحة خاصة به ، إن السوفييت لا يهمهم ولا يعنيهم موت آلاف العرب واليهود ! ! »

ويعود هيرتسوج ليمسك بعصا القيادة لألحان الوقيعة فيقول : « إن دعم القوات العراقية لسوريا ليس عملية دعم عسكرية فقط . فاليوم هناك فرقة عراقية فى سوريا ، وقد جاءت من بغداد حيث يحكم جناح حزب البعث الذى يخوض صراعاً ضد جناح حزب البعث الحاكم فى سوريا ! ! »

. . ويمتد اللحن السام بتعليق لإذاعة إسرائيل يقول : « إنه اتضح من التحقيق مع بعض الجنود المغاربة الذين وقعوا فى الأسر أن السبب الذى أرسلوا من أجله إلى سوريا لم

يكن واضحاً لديهم حتى اللحظة الأخيرة وأنهم لم يعرفوا أنهم سيقاتلون ضد إسرائيل وأن مصير قواتهم كان مراً ! ! »

. . ولا تتوقف محاولة الإعلام الإسرائيلي عند حد محاولة الوقيعة بين الدول العربية ، بل إنها امتدت لتحاول الوقيعة بين أفراد القوات المصرية أنفسهم وكذا بين أفراد القوات السورية . فمثلا أذاع المراسل الحربي (يوسف سوكير) في يوم ١٣ / ١٠ رسالة يقول فيها : « إن طبيباً مصريًّا كان يرافق وحدة من الكوماندوز قال له إنه تلقى تعليمات واضحة بأن يعالج الضباط فقط لا الجنود ! ! »

ومن جهة أخرى يقول تعليق صحفي : « إن الثقة مفقودة بين الضباط السوريين من السنيين والشيعة والعلويين وبين الضباط السوريين من الدروز ! ! »

. . هكذا حاول الإعلام الإسرائيلي إحداث الوقيعة بأي شكل وبكل الوسائل اللا أخلاقية . . لكن هذه المحاولات باءت جميعها بالفشل الذي أضيف إلى رصيد إعلام إسرائيل من الفشل المتوالي . فقد كانت الدول والشعوب العربية واعية تماماً ومدركة لأهداف هذه الحملات الإعلامية . بل إن المواطن العربي البسيط كان يكتشف بسهولة عملية الخداع السامة فيما يصدر عن إعلام إسرائيل ، فهو يعرف مثلا أن موقف لبنان كان طيباً طوال أيام الحرب وأن ذلك الاجتماع الذي تحدثوا عنه من ابتكار الخيال الإسرائيلي ، كما أن الدول العربية لم تكتف بالمساعدة (الشفوية) كما قالت إذاعة إسرائيل بل إن هذه الإذاعة نفسها أخذت تصرخ من تدفق المساعدات من الدول العربية ، وأخذت تنعى حظها عندما دخل سلاح البترول العربي قوياً حاسماً . كذلك كان المواطن العربي البسيط كان يعلم جيداً مدى التنسيق بين الجيش المصري والسوري [illegible] ذلك التنسيق الذي تبلور في الكثير من مراحل الحرب [illegible] يترك المصريون جيش سوريا يترنح وحده . وتحطيم طوريا هجومهم خصيصاً لتخفيف الضغط عن الجبهة السورية .

باختصار كان بديهياً أن إسرائيل لا يرضيهم أن تتأخر المساعدات العربية ولا يهمها مصلحة سوريا [illegible] فتحذرها تارة من الوجود العسكري العراقي ، وتنبهها تارة أخرى إلى أن مصر جعلتها لقمة سائغة .

كما أنها – إسرائيل – ليست بالتأكيد حريصة على الجندي المصري . فتنهال دموعها تعاطفاً معه لأن أطباء الجيش يعالجون الضباط الجرحى فقط ويتركون الجنود كما اخترع إعلامها على لسان أحد مراسليها . وأخيراً . . فإن سذاجة الادعاء بأن القوات المغربية جاءت

إلى سوريا دون أن تعلم أنها ستدخل حرباً أو أنها ستقاتل إسرائيل . . أمر يثير السخرية والشفقة على تهاوى قلاع الإعلام الإسرائيلى . . فليس هناك ذلك الإنسان الساذج (العبيط) الذى يتخيل أنه جاء ضمن قوات من جيشه إلى سوريا للسياحة مثلا أو حضور مباراة فى كرة القدم أو أنه لو قدر واشترك فى الحرب فإن عدوه سيكون مثلا الجيش البرازيلى أو الرومانى . . المهم أى جيش إلا جيش إسرائيل ! !

. . . .

سذاجة . . لم تفلح السموم فى إخفائها . .

وسقوط آخر للإعلام الإسرائيلى . . أليس كذلك ؟ !

. . . .

٥ – إذاعتنا تكذب . . أنتم تكذبون ! !

فى مساء الاثنين ٨ / ١٩ / ٧٣ . . وصل المراسل الحربى الإسرائيلى « بريميا يوفيل » إلى أحد الخنادق فى سيناء ، وما كاد يعد جهاز التسجيل ويقترب بالميكرفون من أحد الجنود حتى صاح فيه الجميع : « إنكم تكذبون . . إن الإذاعة تكذب . . إنكم تكذبون ؟ ! »

وفتح أحدهم الراديو الترانزستور . . الذى انطلق منه صوت المذيع وهو يقول : « إن قواتنا تسحق – أكرر تسحق – المصريين ! ! » . . واتصل بريميا يوفيل بإذاعة « صوت إسرائيل » بطريقة عاجلة وصرخ قائلاً أوقفوا هذه الأكاذيب إنكم تخدعون أنفسكم إن الموقف هنا فى جبهة سيناء . . سيئ للغاية ! »

ولم يرد عليه أحد . . بل أغلق التليفون فى وجهه . فأمسك هو بالسماعة وألقاها على أرض الخندق ، والتف حوله ثلاثون من الجنود وكانوا منهكين واجمين وقال له أحدهم : « لا تغضب . . فأنت لست مسئولا عن هذه الأكاذيب . . بيد أن زملاءك الذين يعملون فى صوت إسرائيل لن يضيرهم شيء إذا اعترفوا بالحقيقة ! ! »

ولم يجب يوفيل . وبعد لحظة عادت الإذاعة تكرر بيانها : (إن قواتنا تسحق – أكرر تسحق – المصريين . . إن جنودنا فى سيناء يقولون إنهم لا يرضون أن يكونوا مكان المصريين الذين أجهز عليهم جيش الدفاع « تسهال ») ! !

٦ – وتحطم « جازيت » لأنه نشر الخريطة الحقيقية !

توالى تبديل وتغيير المسئولين عن الإعلام الإسرائيلى فى محاولة لإنقاذه من الفضائح المتتالية . وبعد أن استدعى أهارون ياريف (رئيس المخابرات الإسرائيلية السابق) ليتولى هذه المسئولية ، اعتزل مهمته كمسئول عن الإعلام فى اليوم الثالث . واقترح موشيه ديان على السيدة مائير رئيسة الحكومة أن تضع شئون الإعلام فى نطاق مسئوليتها ، وقد وافقت على ذلك ، ولكن بعد أقل من اثنتى عشرة ساعة اتصلوا هاتفياً من مكتبها بديان وقالوا له : « ليس عندنا شخص ملائم لتولى هذه المهمة » وهكذا أعيدت الكرة إلى وزارة الدفاع ، فقام ديان بتعيين الجنرال « شلوموجازيت » منسق الأعمال فى المناطق المحتلة ، مسئولا عن شئون الإعلام . وبعد أسبوع تحطم جازيت أيضاً وأبعد عن مسئوليته الإعلامية **فماذا كان الخطأ الفادح الذى ارتكبه ؟ !**

إن مؤلفى كتاب المحدال الإسرائيليين يقولون إجابة على هذا السؤال : « لقد ارتكب جازيت خطأ فادحاً عندما عرض خريطة توضح الخطوط التى وصل إليها الجيش الإسرائيلى فى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، لأنه فى اليوم التالى عندما تم توسيع مجال السيطرة الإسرائيلية غربى القناة على إثر خرق وقف إطلاق النار عرضت الخريطة التى رسمها (جازيت) كبرهان على مكان وقوف القوات الإسرائيلية فى اليوم الذى أعلن فيه وقف إطلاق النار ! ! »

. . هكذا طرد مسئول الإعلام لأنه لم ينتبه لأسلوب الخداع والكذب الذى مارسه الإعلام الإسرائيلى . . فكان نشره لتلك الخريطة التى وضحت موقف القوات الإسرائيلية فى الثغرة قبل انتهاكها لقرار وقف إطلاق النار . . دليلا على أمرين هامين :

١ – ضعف وحرج موقف هذه القوات التى بدأ تنفيذ القرار وهى بين فكى القوات المصرية .

٢ – انتهاك إسرائيل لقرار وقف إطلاق النار لكى توسع هذه القوات من الأرض التى تنتشر عليها حتى تخف قبضة القوات المصرية عليها !

* ونستطيع أن نقول بصورة أخرى إن الإعلام الإسرائيلى حين أخطأ فذكر الحقيقة كشف الفشل العسكرى ، وحين عاقب المسئول عن ذكر هذه الحقيقة ، أكد الإصرار على انتهاج أسلوب الكذب والخداع . . فهو بذلك قد سقط مرتين ! !

٧ – **كذب . . وفشل . . وانهيار :**

يصف مؤلفو كتاب التقصير موقف الإعلام الإسرائيلى فيقولون فى أكثر من موقع :

(أ) لم يعد الجنود الإسرائيليون يصدقون كلمة واحدة مما تبثه إذاعة صوت إسرائيل فبينما هم مجبرون على صد العدو المصرى كانوا فى الإذاعة يتحدثون قائلين :

« إن قواتنا تسحق وتبيد وإننا نكسر عظام الجيش المصرى ! ! »

(ب) . . فى اليوم الثانى ، **عندما اتضح أن الوضع على الصعيد الإعلامى سيئ كالوضع فى الجبهات** . تم البحث عن شخص آخر ليتولى مسئولية الإعلام واستدعى الجنرال أهارون ياريف ليقوم بهذه المهمة وعندما اتضح أن أزمة الثقة أكبر مما كان متصوراً تقرر عقد مؤتمر لكشف أقل القليل من الواقع المرير ! ! .

(حـ) ربما كان أحد أسباب **الفشل التام** الذى منى به الإعلام الإسرائيلى يعود إلى أسلوب المسئولين عن جهاز الإعلام التابع للجيش الإسرائيلى ! !

(د) لكن موشيه ديان لم يغفر للعقيد « لاهف » ما حدث خلال الأيام الأولى للحرب ، ولسبب ما أراد أن **يحمله مسئولية فشل الإعلام** التى تقع على عاتقه هو ، وسعياً **لترميم الحطام** عينوا ضابطاً بالرتبة نفسها مسئولاً إعلامياً

٨ – **التضليل . . والبيانات المتبجحة . . والتناقض و . . . و . . . .**

كتب يوئيل ماركوس فى صحيفة هآرتس (٦ / ١١ / ١٩٧٣) يقول :

ليس من شك فى أن الجمهور يمر فى أزمة ثقة . فهو لا يثق بالمسلمات والنظام **والإعلام** . ولدى كثيرين شعور بأنهم خدعوا ولم تقل لهم الحقيقة ! . . والأسوأ من هذا أن أحداً لم يخبرهم حتى الآن بالحقيقة ! ! إن الشك يسودنا : الشك فيما حدث ، والشك فيما يحدث الآن !

إن أزمة الثقة هذه لم تتولد دفعة واحدة . لقد تولدت على مراحل عندما كان الجمهور يكتشف فى كل مرحلة شيئاً جديداً لم يكن يعرفه فى المرحلة السابقة !

لقد بدأ كل شيء فى اليوم الأول من الحرب عندما بدأت حملة من التشويه والإخفاء والتضليل والكذب المفضوح بهدف رفع المعنويات كما قيل . ولقد اتضح هذا لدرجة

أصبحت معها برامج الأخبار العبرية من راديو القاهرة والتليفزيون الأردنى مصدر معلومات موثوقاً به أكثر من إسرائيل ! !

أى تدهور هذا الذى وصلنا إليه ؟ ؟ لقد علمنا من التليفزيون الأردنى أول مرة – عن طريق صور حية ظهرت فيها الأعلام المصرية على تحصيناتنا بأن المصريين موجودون فى خط بارليف . وعندما كان ناطقون موثوق بهم يتحدثون هنا فى إسرائيل – فى اليوم الثانى للحرب – عن « تحول » وعن هجوم مضاد وعن أن « قواتنا تبيد المصريين » كان بالإمكان الاستماع فى كل ساعة إلى راديو القاهرة يذيع بالعبرية تفاصيل ما حل بدبابات عساف ياجورى ، وفى اليوم نفسه ، الذى تفاخر فيه معلق رسمى فى تل أبيب بأن سلاحنا الجوى دمر كل الجسور التى أقامها المصريون على القناة أعلن أحد مراسلى « نيوزويك » الذى رافق القوة المصرية التى عبرت القناة أن ٧٠ ألف جندى مصرى مع ٩٠٠ دبابة قد عبروا « الجسور » (التى قلنا إنها لم تعد قائمة ! !) .

وعندما أعلنت شخصيات مرموقة عندنا عن إصابات لقواتنا هنا وهناك . وعن دبابات للعدو دخلت هنا وهناك ، عرف الآلاف من جنود الاحتياط (الذين كانوا بين المدنيين) إن « هنا » و « هناك » تعنى أن المصريين قد سيطروا على قناة السويس بكاملها وأن السوريين قد وصلوا إلى نصف هضبة الجولان تقريباً .

ويضيف الكاتب الإسرائيلى قائلا :

« خلال هذه الحملة من التضليل ، والبيانات المتبجحة ، والتناقض ، وعدم الدقة ، والإخفاء المتعمد أصيبت ثقة الجمهور بضربة أخرى . وكان ذلك عندما بدأ يتضح أن وجهة نظر سياسية أمنية كاملة قد انهارت تماماً . ويبدو لى أن نقطة التحول حدثت عندما علمنا بالحصار المصرى على « باب المندب » فى اليمن الجنوبى فقد اتضح لنا فجأة أن شرم الشيخ ليس حيويًّا كما كنا نعتقد طوال أعوام عديدة .

وإلى جانب ذلك انهارت « الشعارات » القائلة « إن وضعنا لم يكن فى أى مرة أحسن مما هو عليه الآن » و « إن الزمن فى صالحنا » وإن العرب لا يستطيعون مهاجمتنا . . إلخ .

ويختتم ماركوس دراسته قائلا :

« إن التقارير الكاذبة جاءت مع الارتباك الذى تولد فى أثناء الحرب »

. . . .

. . . .

ماذا تقول إذاعة القاهرة . . يا كوستا ؟ !

بادئ ذى بدء لم يحدث خطأ مطبعى . . أو تكرار غير مقصود لهذا العنوان . . فلقد آثرت أن أجعل عنوان هذا الباب عن الإعلام العربى . . هو نفسه العنوان الذى تناولت فيه إحدى الوقائع التى تكشف فقدان الثقة فى الإعلام الإسرائيلى . . وذلك لأنه يكشف فى نفس الوقت النجاح الذى حققه الإعلام العربى ، والثقة التى اكتسبها ليس فقط لدى الرأى العام العالمى ولكن لدى الإسرائيليين أنفسهم .

. . . .

فكيف تحقق هذا النجاح . . وتلك الثقة ؟

كيف وصل الأمر إلى حد أن الإسرائيليين كانوا – أيام الحرب – يتجمعون فى شارع (صدلين هامالكا) ليسألوا (سقراط كوستا) المسئول عن أجهزة الاستماع للإذاعات العربية . . عما تقوله إذاعة القاهرة وإذاعتا دمشق وبيروت ؟

كيف حدث هذا التحول الخطير . . فانتقل الإسرائيليون من السخرية من إذاعة القاهرة وضرب المثل بها فى مجال الكذب . . إلى البحث عما تقوله « عن ثقة فى كل ما يصدر عنها ؟ ؟ » إن هذا التحول البارز يجعلنى أركز فى حديثى على الإعلام المصرى لأنه – كما اتضح – كان محور الهجوم والسخرية طوال أعوام ما قبل ١٩٧٣ – ولأنه وهذا منطق - نموذج للإعلام العربى كله .

هكذا . . تحرك الإعلام المصرى

أولا – ما قبل ساعة الصفر : (اجتياز « حاجز اهتزاز الثقة »)

كانت المسئولية الملقاة عل عاتق الإعـلام المصرى مسئولية ضخمة وحساسة إلى حد كبير ، فمثلما كان على القوات المسلحة أن تجتاز قبل كل شيء حاجز الخوف الذى أقامته عالياً ضارياً أحداث يونية ١٩٦٧ والدعايات الصهيونية التى انطلقت فى جهد مخطط وكبير لكى تحول هذا الحاجز إلى حقيقة مخيفة . كان أيضاً على الإعلام المصرى أن يجتاز – قبل كل شيء – فجوة اهتزاز الثقة التى بدأت أيضاً مع حرب ١٩٦٧ . وتلقفتها الدعاية الصهيونية لكى تجعلها حقيقة ثابتة . وما عداها مجرد استثناء ! ! وكانت هذه الفجوة تقف بكل أبعادها بين المواطن العربى وإعلامه ثم بين العالم الخارجى والإعلام العربى .

ومن خلال التفهم الواعى لهذا « الواقع الإعلامى » ، ومن أجل القيام بالدور المرتقب من ساعة الصفر . استحدثت الخطة التى وضعها المسئولون عن الإعلام المصرى اتجاهات متعددة ومحددة لاجتياز تلك الفجوة ، وبالفعل استعاد الإعلام ثقة واحترام الكثيرين عندما اختفت تماماً المبالغات والتشنجات الإذاعية والصحفية ، وسادت النبرة الهادئة الموضوعية . وتغلب جانب التحليل العلمى المركز على التفسيرات الانفعالية . . كما أنه تم تدارك ذلك الخطأ المتمثل فى تجاهل ما يصدر عن إعلام العدو ومنع تداوله فأصبح طبيعياً – إلى حد كبير أن ينشر ويذاع ما يكتبه ويذيعه إعلام إسرائيل أو أصدقاؤها فى العالم الغـــربى ولكى يخضع ذلك كله للتعليق والتحليل بالأسلوب العلمى الهادئ ، ولعل هذه الخطوة بالذات كانت دليلاً على استعادة الإعلام المصرى لنضجه وذكائه » .

ثانياً : الخطة الإعلامية الخداعية « لقد خدعنا إعلامكم الذكى ! ! » :

بعد أن توقف إطلاق النار . سارع كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى إلى بدء جهوده من أجل تحقيق حل سلمى يمنع انفجار الموقف مرة أخرى ، وفى أولى زياراته للقاهرة وأثناء مأدبة العشاء ، التقى بالدكتور عبد القادر حاتم ، الذى كان نائباً لرئيس

الوزراء ووزيراً للإعلام منذ الأيام الأولى لثورة « ١٥ » مايو التصحيحية ، وقد قال كيسنجر للدكتور حاتم : « أعترف لك بالذكاء . فقد خدعنا إعلامكم الذكى ، وباعد بيننا وبين التقدير الذى كان واجباً أن نتنبه إليه ! ! »

ولعل ما قاله كيسنجر – معبراً عن رأيه واستنتاجات الأجهزة الأمريكية المختلفة – يكفى لتوضيح ما قام به الإعلام المصرى من دور بارز فى تنفيذ الخطة الخداعية الشاملة التى ابتلع العدو والعالم « طعمها » وكانت « المفاجأة » فى وقت ومكان يصعب أو يستحيل فيه تحقيق المفاجأة خاصة بهذا الحجم ! !

ومن المعروف أنه لإحكام تنفيذ الجانب الإعلامى من هذه الخطة كانت قد تشكلت لجنة عليا برئاسة الدكتور محمد عبد القادر حاتم وممثلين لوزارات الحربية والخارجية والإعلام . كما أن الاتصال كان مستمراً بين مسئول الإعلام (الدكتور حاتم) ووزير الحربية المشير أحمد إسماعيل على رحمه الله .

ثالثاً – الإعلام المصرى فى المعركة : (إذن كان المصريون يصدقون)

(أ) بالإضافة إلى كل ما ورد فى الحديث عن الإعلام الإسرائيلى ، وكيف اتجهت الثقة كلها إلى الإعلام المصرى تستوقفنا هذه الواقعة التى شهدتها شاشة التليفزيون البريطانى فى آخر أكتوبر ١٩٧٣ ، عندما استضاف برنامج « البانوراما » مدير الإعلام الإسرائيلى ، وقال له المذيع البريطانى : « لقد كنتم تدعون من محطة إسرائيل أنكم ستهشمون عظام الجيش المصرى . وأنكم حطمتم رجاله ودباباته . فكيف يتفق هذا مع ما تأكد للعالم أجمع من هزيمتكم ؟ بينما كانت الإذاعة المصرية تذيع انتصارات المصريين فى تواضع وبدون مبالغة أو تفاخر ! ؟

– وهنا أجاب مدير الإعلام الإسرائيلى قائلا :

« إننا كنا نريد أن نرفع الروح المعنوية للشعب والجنود الإسرائيليين ! ! »

– وعلق المذيع البريطانى على ذلك بقوله :

« إذن كنتم تكذبون .. وكان المصريون يصدقون ! »

. . . .

وتستوقفنا – بعد هذه الواقعة الهامة – شهادة أخرى جاءت هذه المرة على لسان وزير الخارجية الفرنسى الذى أدلى بحديث قال فيه :

« إنه لأول مرة يؤكد الإعلام المصرى الثقة فيه بإعلانه الحقيقة بصدق كامل ، الأمر الذى جعله يكسب ثقة الدول الغربية ، بينما كانت إسرائيل لا تذيع الأخبار الحقيقية الصادقة على العالم ! ! »

. . . .

(ب) منذ اتخاذ القرار ببداية المعركة تم الانتقال الفورى من خطة ما قبل المعركة إلى تنفيذ خطة المعركة ذاتها ، وقامت كافة الأجهزة بتنفيذها على أكمل وجه تحت إشراف لجنة العمل الوطنى العليا . وأستطيع أن أقول إنه مما يسر تنفيذ هذه الخطة أنها كانت – فى معظم مراحلها – امتداداً طبيعياً للخطة السابقة .

وقد التزمت هذه الخطة الإعلامية (القتالية) بالمبادئ الأساسية التالية :

١ – الهدوء . . والبعد الكامل عن الزعيق والتشنج الإعلامى .

٢ – مخاطبة العقول . . وليس العواطف .

٣ – الصدق الكامل وتأكيد الثقة فى كل ما يصدر عن أجهزة الإعلام .

٤ – السرعة فى نقل الأخبار .

(حـ) تنفيذاً لهذه المبادئ تم نقل ما يدور على جبهة القتال إلى جماهير الشعب بصورة منتظمة وسريعة ، حيث انتقلت عناصر تمثل كافة أجهزة الإعلام إلى جبهة القتال وشاهدت أرض المعارك أعداداً كبيرة من المراسلين الحربيين المصريين المؤهلين للقيام بهذه المهمة . . وقد أثمر ذلك كله فى نقل صور حية لما يدور فى ميدان القتال وللبطولات العديدة التى حققها المقاتلون المصريون ، بل إن عدداً من المراسلين انتقلوا إلى الجبهة السورية ومن هناك اكتملت صورة المعارك والبطولات للقوات العربية المسلحة .

– تم تقديم التسهيلات اللازمة لأكبر حشد صحفى عالمى شهدته مصر ، وقام المتحدث الرسمى والمتحدث العسكرى بالعمل فى تنسيق متكامل من أجل إعطاء صورة كاملة للأحداث سياسيًّا وعسكرياً ، وذلك بالإضافة إلى ما نقله هؤلاء المراسلون بأنفسهم من جبهات القتال .

– وإلى جانب توخى الصدق الكامل مما حقق الثقة فى كل ما يصدر عن الإعلام المصرى العربى منذ الأيام الأولى للحرب ، نجحت أجهزة الإعلام المصرى فى شن حرب نفسية على العدو . . مما أضعف معنويات جنوده وقادته . وبالرغم من أن الحروب النفسية تستلزم عادة نوعاً من المبالغة والتلفيق فإن الإعلام المصرى تمسك بالصدق فقط . . وقد

أضاف ذلك إلى نجاحه فى هذه الحرب . خاصة وأنه اعتمد على ما كان يقوله العدو نفسه قبل الحرب بالثقة والغرور . . وما اعترف به ضباطه وجنوده أثناءها وبعدها .

– حاولت إسرائيل بكل جهودها الإعلامية أن تنتقص من الثقة التى نالها الإعلام المصرى ، وقد تصورت أنها وجدت ضالتها عندما تأخرت أجهزة الإعلام المصرية عن إعطاء صورة كاملة – مثلما تعودت منذ البداية – لعملية الثغرة الإسرائيلية (التليفزيونية) . وعلى الرغم من أن هذه السلبية الوحيدة جاءت نتيجة الظروف القتالية ، وتأخير القيادة المحلية الميدانية الصغرى فى الإبلاغ عما يحدث .

وهذا نفسه ما ساعد القوات الإسرائيلية فى التقاط أنفاسها على أرض المعركة بالرغم من ذلك إلا أن الإعلام المصرى سرعان ما استعاد إيقاعه المنتظم الصادق ، وبالتالى فشلت المحاولات الإسرائيلية المتهافتة للنيل منه ، وجره إلى الهوة التى وقعت فيها أجهزة الإعلام الإسرائيلية نفسها منذ اللحظات الأولى .

تجربة شخصية :

من خلال عملى كمراسل حربى للإذاعة ، لاحظت بالتجربة – ما أشار إليه مراسلون أجانب – من أن البيانات العسكرية كانت تتوخى الصدق لدرجة أنها كانت تقلل أحياناً من حجم خسائر العدو وإمعانا فى الدقة . فمثلا . . كنت فى قطاع الجيش الثانى فى ثالث أيام القتال وشاهدت انتهاء معركة بين سرية مدرعات مصرية . . وكتيبة مدرعات إسرائيلية . . وحين تقدم قائد السرية المصرية الشاب إلى قائد اللواء ليبلغه بخسائر العدو (لم تتعرض سريته لأية خسارة) قال له . . « لقد دمرنا ١٣ دبابة باتون وسنتوريون » . واستمع إليه القائد الذى كان يراقب سير المعركة ، ثم أمسك بجهاز اللاسلكى ليبلغ بدوره عن نتيجتها ، وفوجئ قائد السرية – وفوجئت أنا معه بالرجل وهو يقول : « دمرنا للعدو ٨ دبابات » . . وانفعل النقيب « صلاح » وسأل القائد لماذا أنقص العدد بهذه الصورة ؟ . وهو قد دمر بالفعل ١٣ دبابة وليس ثمانى دبابات ؟ فقال القائد . . أنا أصدقك تماماً . . ولكن العدو سحب خمس دبابات مصابة وبالتالى لا يمكن أن أعطى بياناً إلا بالدبابات الموجودة بالفعل لدينا ! ! »

واقتنع الضابط الشاب . . وأذكر أنه ابتسم لى – فى شىء من الضيق – عندما فتح الراديو الترانزستور بعد دقائق ، واستمع للبيان الذى أشار إلى تدمير « ٨ » دبابات

فقط فى هذه المعركه ! !

– إلى هذا الحد كانت الدقة . . وكان الصدق . .

– وقد مررت بأكثر من تجربة لمست فيها بيدى هذه الصفات التى أكسبت إعلامنا الثقة والاحترام ، ولعلى لا أنسى ذلك الحوار الذى دار بينى وبين ضابط الأمن العسكرى الذى أسمعته تسجيلا لى من الجبهة وكان الجندى الذى أجريت معه المقابلة . . متحمساً بشكل واضح . . وتحدث عن بطولات زملائه (وليست بطولاته التى عرفتها أنا) ثم أشار إلى فرار وهروب الجنود الإسرائيلين أمامهم ! !

وقد فوجئت باعتراض ضابط الأمن الصديق ، وقوله لى إن الجندى صادق فى حواره معك مائة فى المائة ، ولكن هذه البطولات – برغم وقوعها – فيها ما قد يبدو نوعاً من المبالغة . . كما أن تصوير جنود العدو فى هذه الصورة ليس مقبولا – برغم صدقه فى معارك مختلفة لأنه إذا كان عدد من ضباطهم وجنودهم قد فروا . . وهربوا تاركين مواقعهم ومعداتهم ، فإن البعض الآخر قاوم وحاول التشبث بموقفه ، وبالتالى فإن ما يقوله الجندى – فى التسجيل – قد يوحى بأنه حكم مطلق وهذا ما نرفضه نحن .

* إلى هذا الحد كانت الدقة . . وكان الصدق .

* وبهذا التخطيط والتنفيذ كسب الإعلام المصرى العربى جولته الخطيرة مع الإعلام العسكرى . ولا ينتقص من هذه الحقيقه ذكر النظرية القائلة بأن العمل العسكرى الناجح يحقق إعلاما ناجحاً . . ذلك لأن الجهد التخطيطى والتنفيذى إعلامياً قد استثمر بذكاء نجاح العمل العسكرى . . بعد أن نجح تماماً من عبور مانع اهتزاز الثقة الذى وقف فى مواجهة الإعلام العربى – كما أشرت – منذ حرب يونية ١٩٦٧ .

* ولهذا . . طلب المسئولون عن الإعلام فى العالم من مراسليهم أن يأخذوا معلوماتهم من الجانب المصرى (دون الجانب الإسرائيلى) ولهذا تجمع الإسرائيليون فى شارع (صدلين هامالكا) ليسألوا (سقراط كوستا) المسئول عن أجهزة الاستماع للإذاعات العربية . .

« ماذا تقول إذاعة القاهرة . . ياكوستا ؟ ؟ »

اعتراف . . وشهادة :

« لقد تحدثنا أكثر من اللازم قبل « يوم الغفران » ويبدو أننا تعلمنا كيف نتكلم ! لقد كان المصريون صبورين ، كما كانت بياناتهم أكثر واقعية منا ، كانوا يقولون

ويحلنون الحقائق تماماً ، حتى بدأ العالم الخارجى . وبعد الأيام الأولى من الحرب يتجه إلى الثقه فى أقوال وبيانات المصريين تماماً » .

(توقيع)
الجنرال حاييم هيرتسوج
المتحدث العسكرى الإسرائيلى ومدير المخابرات السابق

« لقد لوحظ اختفاء المبالغات من الإعلام العربى ، فى حرب ١٩٧٣ ، وطوال أيامها ، قامت إذاعة القاهرة بإذاعة الأناشيد الوطنية والتعليقات المعتدلة إلى جانب ما كانت تذيعه من نداءات – عن طريق موجة الإذاعة العبرية بها – تدعو فيها الشعب الإسرائيلى للإطاحة بحكومته التى تقوده إلى كارثة !

إن المراقبين الإسرائيليين يشيرون إلى أن إذاعة القاهرة خاضت فى حرب أكتوبر حرباً أخرى (شريفة) ، كما يشيرون كذلك إلى أن الإسرائيليين أصبحوا يحبون – بشكل عام – الاستماع إلى محطة (كول كاهير) » صوت القاهرة باللغة العبرية « ويستقون منها الأنباء » .

(توقيع)
مراسل وكالة الأنباء الفرنسية فى تل أبيب

الفصل السادس

العالم العربى . . فى المعركة

« لقد وجد مائة مليون عربى أنفسهم أمام حقيقة عزيزة على أنفسهم وهى الوحدة » .

(المحرر السياسى والعسكرى لمجلة النيوزويك)

الدور الذى لعبته كل دولة عربية فى المعركة :

من المفاجآت التى تلاحقت وراء بعضها البعض مع اندلاع شرارة الحرب ، تلك الوقفة العربية الواحدة ، ومشاركة مختلف دول العالم العربى فى المعركة بشكل أو بآخر . .

وهذه نظرة سريعة . . نتبين من خلالها معالم خريطة العمل العربى الموحد :

١ - كانت البداية الناصعة . . فى التنسيق الجيد بين مصر وسوريا ، والقيادة الموحدة بينهما .

٢ - أعلن العراق حالة الطوارئ ، ووضع قواته تحت تصرف مصر وسوريا ، وأرسل بالفعل تشكيلات من الطائرات والمدرعات للجبهة السورية ، واستأنف علاقاته مع إيران حتى يركز قواته وجهوده فى مساندة القوات العربية الشقيقة ودعا الأردن لفتح الجبهة الثالثة مع إسرائيل ثم دعا إلى وقف تصدير البترول إلى الولايات المتحدة ، وبادر إلى إيقافه من ناحيته ، وقام بتأميم شركتين أمريكيتين فى شركة نفط البصرة . كما قام بجهد ديبلوماسى واضح .

٣ - فى السعودية وضع الملك فيصل الجيش فى حالة تأهب ، وأرسل بعض القوات إلى الجبهة السورية ، ومد مصر وسوريا بدعم مالى ونفذ قرارات خفض إنتاج النفط ، بل رفع نسبة التخفيض الأولى إلى ١٥ ٪ ومنعه عن كل من الولايات المتحدة وهولندا .

ولعل موقف السعودية بالذات قد شكل صدمة لأمريكا وأوربا الغربية نظراً للعلاقات الوثيقة التى كان تربطها بهذه الدول لدرجة (الاطمئنان الكامل) لموقفها بالنسبة لهم . . وبديهى أن هذا الموقف السعودى قد دعم من وحدة العمل العربى . خاصة مع تعاظم دور الملك فيصل فى التحرك الدبلوماسى والدعم المستمر لمصر وسوريا .

٤ - الكويت : اشتركت القوات الكويتية الموجودة فى جبهة السويس فى القتال

كما اشتركت المدفعية الكويتية فى القتال على الجبهة السورية . وقدمت الحكومة الكويتية دعماً مالياً لمصر وسوريا ، واستجابت لقرار تخفيض إنتاج النفط بنسبة ٥ ./٪ وزادت الخفض إلى ٢٣ ./٪ مع فرض الحظر على الولايات المتحدة وهولند ، كما أسهمت الكويت فى التحرك السياسى الدولى .

٥ – وضعت دولة اتحاد الإمارات العربية إمكانياتها تحت تصرف مصر وسوريا ، واستجابت لقرارات خفض إنتاج البترول ومنعته كلية عن الولايات المتحدة وهولندا وقدمت دعماً ماليًا متفاوتاً للدولتين المحاربتين .

٦ – قدمت ليبيا مساعدات مالية لمصر وسوريا ، كما وضعت عدداً من طائراتها الميراج وبعض مدرعاتها تحت تصرف القوات المصرية واشتركت فى تخفيض إنتاج النفط وأوقفت تصديره إلى كل من الولايات المتحدة وهولندا .

٧ – قامت البحرين بإلغاء التسهيلات الممنوحة للولايات المتحدة فى قاعدة بحرية (بالبحرين) وخفضتا إنتاج البترول وأوقفتا تصديره إلى كل من الولايات المتحدة وهولندا ، وقد فعلت (عمان) نفس الشيء وأرسلت بعثات طبية إلى مصر وسوريا .

* وضعت الجمهورية العربية اليمنية ، وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية قواتهما تحت التأهب وأسقطت الدولتان خلافاتهما السابقة واشتركتا معاً فى فرض الحصار على باب المندب الذى قامت به البحرية المصرية .

* أرسلت السودان بعض قواتها إلى الجبهة المصرية . وشاركت فى التحرك السياسى خاصة مع الدول الأفريقية الخمس التى سمحت بسفر المتطوعين إلى إسرائيل .

* وضع لبنان قواته فى حالة الاستعداد وفتح مجاله الجوى للطيران السورى ، مما عرضه لتهديد إسرائيل ، واعتدائها على مركز الرادار فى (الباروك) متذرعة بحجة أنه كان يعمل لصالح القوات السورية . وقد تصدت المدفعية اللبنانية للطائرات الإسرائيلية وأسقطت إحداها كما قدمت الحكومة اللبنانية مساعدات طبية ضخمة لسوريا ووضعت كل مستشفياتها تحت تصرفها .

* قامت الجزائر بجهد كبير فأرسلت بعض قواتها للاشتراك فى القتال ، وأوقفت مشاريع التنمية لديها لدعم معركة التحرير ، وقدمت مساعدات مختلفة ، ودفع الرئيس بومدين ثمن صفقة من الأسلحة طلبتها مصر من الاتحاد السوفييتى ، وكانت تحركات الرئيس الجزائرى المتعددة بالغة الإيجابية ، كما أن الجزائر سارعت إلى تنفيذ قرارات خفض إنتاج

النفط وحظر إرساله إلى أمريكا وهولندا .

* اشتركت المغرب ببعض قواتها فى جبهات القتال ــ خاصة الجبهة السورية ــ وكانت شجاعة المقاتلين المغاربة مثار الاهتمام والتعليق .

* وضعت تونس جيشها فى حالة تأهب .

* أرسل الأردن لواء مدرعاً إلى الجبهة السورية وشارك فى بعض التحركات الدبلوماسية .

المقاومة الفلسطينية :

لعبت المقاومة الفلسطينية دوراً ملموساً على الجبهتين السورية والمصرية ، فاشتركت بعض قوات جيش التحرير الفلسطينى فى عمليات على الجبهة المصرية ومن أبرز ما قامت به قوات المقاومة على الجبهة السورية :

١ – قيام المجموعات الانتحارية بتدمير مستودعات الذخيرة فى جبل أم حواويط

٢ – قيام عدد من الثوار بقطع الطريق العام غربى القدس ، ونسف عدد من المعديات والجسور ، كما قاموا بنسف قطار محمل بالذخيرة والجنود قرب مدينة خان يونس .

٣ – اشتبكت قوات المقاومة الفلسطينية فى قتال عنيف مع القوات الإسرائيلية فى القطاع الشرقى من الجبهة اللبنانية جنوب جبل الشيخ ، وشنت هذه القوات هجوماً على مرتفعات « أبو الروس » ثم قامت وحدة من المقاومة بقصف شبكة الرادار العسكرية الواقعة على قمة جبل الجرمق فى الجليل الغربى .

٤ – اشتبكت وحدة أخرى مع قافلة عسكرية وقصفتها بالصواريخ ، بينما كانت متجهة إلى الجولان .

٥ – قتلت وحدة أخرى مساعد مدير الأمن الإسرائيلى فى قطاع غزة « موشى كارمى » (ليلة ٦ – ٧ أكتوبر ١٩٧٣)

٦ – قامت وحدات من المقاومة بالهجوم على عدد من المستعمرات فى الجليل الأعلى ، وسيطرت على تل السدانة فى مرتفعات جبل حورانى .

٧ – قامت وحدات فلسطينية أخرى بنسف وتدمير مستودعات النفط الاحتياطى فى منطقة كفار طريم شرقى القدس .

* هذا بالإضافة إلى عدة عمليات أخرى اعترف بها المتحدث العسكرى الإسرائيلى (حايم هيرتسوج) .

• ومن المهم أن نشير إلى دور المقاومة الفلسطينية فى تجميع الكثير من المعلومات ذات الطابع العسكرى والاقتصادى عن العدو ، وقد نسقت جهودها فى هذا المجال مع القيادتين السورية والمصرية، كما أنها أسهمت فى تشتيت جهد المخابرات الإسرائيلية قبل الحرب بفترة طويلة .

* * *

البترول العربى . . سلاحاً فى المعركة

« كل نقطة من البترول تساوى نقطة من الدم » .

(كليمانصو)

« عندما تحدث بعض القادة والمفكرين العرب قبل الحرب عن إمكانية استخدام بترولهم فى الضغط على الدول المساندة لإسرائيل بمنع تصديره لفترة ما . . ضحكت السيدة جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل وقالت مطمئنة أصدقاءها : (إن العرب لن يفعلوا شيئاً . . من هذا القبيل . . وهم لو فعلوا ذلك سوف يشربون بترولهم . . ولن يحققوا أى شىء) .

* * *

عندما انعقد المؤتمر الدولى للأحزاب الاشتراكية – بعد حرب أكتوبر – تساءلت جولدا مائير : ما الذى فعلته الأحزاب الاشتراكية التى فى الحكم أو التى فى المعارضة من أجل إسرائيل ؟ إن دولة واحدة لم توافق على تموين الطائرات التى أرسلتها أمريكا إلى إسرائيل فى محنتها الكبرى ؟

وبعد انتهاء المؤتمر جلست مائير واجمة ذاهلة . وقالت لمن حولها : لقد طرحت عليهم تساؤلاتى . . لكن أحداً منهم لم يرد . . فقد كانت أفواههم مملوءة بالبترول .

* * *

ودخل سلاح البترول المعركة :

١ – الخطة :

مثلما أثبت العرب قدرتهم فى الإعداد والتخطيط العسكرى كان تخطيطهم لاستخدام سلاح البترول محدداً وعلمياً إلى درجة كبيرة .

وبعد مبادرات من بعض الدول العربية لاستخدام هذا السلاح الخطير ، عقد مؤتمر للدول العربية المنتجة للبترول ، وكانت أهم مبادئ العمل ، « كما ركز عليها الوفد المصرى » هى :

١ – ضرورة تجنب أى فشل فى التوصل إلى قرار إجماعى حتى لا تكون هناك أية ثغرة

فى « العمل البترولى » تؤثر بالضرورة على نتائجه وصورة الوحدة العربية .

٢ – أهمية استخدام الذكاء والمرونة والإيجابية مع الحفاظ على سلامة اقتصاديات الدول العربية المنتجة للبترول .

٣ – المقصود باستخدام هذا السلاح هو : حفز الدول الصناعية الكبرى على ممارسة ضغط مؤثر على أمريكا بالذات ثم إسرائيل لكى يصبح الموقف فى غير صالحهما . هذا بالإضافة إلى تحييد بقية الدول .

٤ – أن يتبع القرار تنفيذ حاسم ودقيق . وأن يتطور التنفيذ مع تطور الأحداث والاحتمالات .

٥ – الحرص على ألا ينال استخدام تخفيض إنتاج البترول من الدول الصديقة .

. . هذا وقد نجح المؤتمر فى استيعاب وتنفيذ هذه المبادئ وغيرها مما طرح للبحث والنقاش .

٢ – سير العمليات البترولية :

١ – ربما يكون سلاح البترول قد تأخر فى دخول المعركة . . لكنه امتد بعدها لفترة طويلة حتى تحقق الجزء الأكبر من أهداف استخدامه وقد بدأ العمل فوراً فى خفض الإنتاج بنسبة لا تقل عن ٥ ٪ (من إنتاج شهر سبتمبر) ثم تجاوزت عدة دول هذه النسبة فقررت الجزائر والكويت وقطر تخفيض الإنتاج ١٠ ٪ ، فى حين قررت السعودية تخفيضه بنسبة ١٥ ٪ (والمعروف أن اعتماد أوربا وأمريكا على بترول السعودية كبير) .

٢ – وقف تصدير البترول إلى الولايات المتحدة وهولندا .

قررت الدول العربية (بعد مؤتمر الكويت) قطع النفط عن كل من الولايات المتحدة وهولندا .

٣ – قام العراق بتأميم حصة الشركتين الأمريكيتين فى شركة نفط البصرة (وكان ذلك فى ثانى أيام القتال) . وفى ٢١ أكتوبر ١٩٧٣ أمم حصة هولندا فى نفس الشركة .

٤ – اتخذ الوزراء العرب المجتمعون للمرة الثانية فى الكويت (فى ٤ نوفمبر ١٩٧٣) القرارات التالية :

(١) خفض الإنتاج بنسبة ٢٥ ٪ على إنتاج شهر سبتمبر ١٩٧٣ والاستمرار فى التخفيض بمعدل ٥ ٪ شهريًا وذلك حتى جلاء القوات الإسرائيلية عن جميع الأراضى المحتلة فى يونية ١٩٦٧ واستعادة حقوق شعب فلسطين الشرعية .

(ب) الاستمرار فى الحظر الكامل على شحنات البترول إلى الولايات المتحدة وهولندا .

(حـ) إيفاد عدد من الوزراء العرب (البتروليين) إلى دول العالم لشرح وجهة النظر العربية فى استخدامها سلاحها البترولى .

(د) متابعة مواقف الدول واستمرار تصنيفها بين دول معادية أو محايدة أو صديقة ليتناسب استخدام سلاح البترول مع دورها . وقد أنيط بوزراء الخارجية العرب القيام بهذه المهمة .

مؤتمر ٨ ديسمبر ١٩٧٣

فى هذا المؤتمر الذى عقده وزراء البترول العرب فى الكويت أيضاً ، اتفق على النقاط التالية :

(ا) تخفيض الإنتاج فى شهر يناير ١٩٧٤ بنسبة ٥٪ من مستوى إنتاج الشهر السابق .

(ب) الاستمرار فى حظر بيع البترول إلى الولايات المتحدة وهولندا .

(حـ) ربط استخدام سلاح البترول بالتوصل إلى اتفاق على انسحاب إسرائيل من الأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ وفق برنامج زمنى تضمنه الولايات المتحدة .

مؤتمر ٢٣ ديسمبر ١٩٧٣

قررت الدول العربية رفع أسعار البترول – للمرة الثانية دون الرجوع للشركات الأجنبية المنتجة – وكان الرفع بنسبة ١٠٠٪ .

وقد أثمر هذا القرار فى ارتفاع عائدات الدول العربية .

مؤتمر ٢٥ ديسمبر ١٩٧٣

– قرر وزراء البترول العرب فى هذا المؤتمر زيادة الإنتاج بنسبة ١٠٪ (ومعنى ذلك خفض الإنتاج العام بنسبة ١٥٪ فى شهر يناير ١٩٧٤ بالمقارنة بإنتاج شهر سبتمبر ١٩٧٣)

ومن ناحية أخرى استمر الحظر على الولايات المتحدة وهولندا والبرتغال وروديسيا وأفريقيا الجنوبية .

– وقد رحبت الدول الغربية بهذا القرار ، واعتبر دليلا على مرونة الموقف العربى .

نتائج الحرب البترولية

١ – كان لاستخدام الدول العربية لسلاح البترول مدلول سياسى خطير ، فقد كان تجسيداً للتضامن العربى الكامل ، والوقوف صفًّا واحداً . كما أبرزت الإجراءات التى اتخذتها الدول العربية فى هذا المجال إمكانية وأهمية قيام الأمة العربية بوضع كافة أسلحتها وطاقاتها وإمكانياتها المتكاملة فى المعركة المصيرية . وبالتالى زاد وزن الأمة العربية . وتغيرت نظرة العالم إليها بعد عدم الاقتناع بقدرتها على تحقيق وحدتها القوية واتخاذ مثل هذه الخطوات الموحدة المتناسقة .

٢ – دخلت القضية العربية – بعد ظهور أزمة الطاقة – كل بيت فى أوربا وأصبحت حديث الساعة فى الأوساط الدولية ، حيث امتد الضغط العربى من خلال سلاح البترول إلى كل مكان . . فأصبح كالناقوس القوى الذى يدق آذان العالم بأن الأمة العربية لها قضيتها العادلة . . وأن استمرار تجاهلها . . لا بد أن يعود على الآخرين بالضرر .

ومن ثم أصبح مألوفاً . . أن يبحث المواطن العادى فى أوربا وأمريكا وآسيا الذى كان لا يهتم بما يجرى فى منطقة الشرق الأوسط . عمن يشرح له الكثير عن الأمة العربية . . وقضيتها والتوسع والتعنت الإسرائيلى .

٣ – امتداداً لهذه النتيجة . . أدركت الدول المستهلكة للبترول أنها قد أخطأت عندما لم تتعامل مباشرة مع البلدان العربية المنتجة للبترول ، وأن عليها أن تتدارك هذا الخطأ حتى تؤمن احتياجاتها حيث ثبت لها – من خلال هذه الحرب – أن مجرد العلاقات مع الشركات البترولية والأوربية لا يحقق لها ذلك . ولعل ما يترجم هذه الحقيقة اتجاه الكثير من الدول إلى إقامة مصالح متبادلة مع الدول العربية . . بأن تقدم لها السلاح أو الخدمات التكنولوجية والمساهمة فى التصنيع والتنمية . . فى مقابل البترول .

٤ – تهيأت الظروف لرفع أسعار البترول مما ضاعف من عائداته على الدول العربية المنتجة له . . ومن الطبيعى أن الزيادة الهائلة فى دخول هذه الدول تساعد فى التصنيع والتنمية كما أنها تفتح لها أسواق السلاح فى كل مكان حتى تدعم قوتها العسكرية .

لهذا . . كان – ولا يزال – البترول سلاحاً خطيراً

حقائق كثيرة – يدركها العالم جيداً – تصنع للبترول دوراً خطيراً فى السلم والحرب – ونحن نذكر بعض هذه الحقائق كدليل على هذه الحقيقة وعلى حجم وقوة السلاح العربى البترولى .

١ – تستهلك الدول الصناعية . . أمريكا وأوروبا الغربية واليابان معاً حوالى ٨٠٪ من الطاقة فى العالم . ومن المحتمل أن تتزايد هذه النسبة حتى عام ١٩٨٥ . إذ سوف لا يقل اعتماد هذه الدول عن ٥٠٪ من مطالب طاقتها على البترول ، وذلك باستثناء اليابان حيث يتوقع أن تزيد النسبة إلى (٨٥٪) .

٢ – تستخدم الدول الصناعية حوالى ٨٠٪ من إنتاج البترول اليومى العالمى ، وتعتمد اليابان وأوروبا على واردات البترول ، أما أمريكا فتستورد ٢٥٪ من احتياجاتها البترولية .

٣ – يبلغ الاحتياطى (المؤكد) من البترول ٥٥٠ بليون برميل ، يوجد منه فى دول الشرق الأوسط وحدها ٦٢٪ .

٤ – ستظل دول العالم الصناعية تعتمد على الشرق الأوسط ومنطقة الخليج بصفتها من أهم وأكبر مصادر البترول .

٥ – لن تتمكن الدول الصناعية الكبرى من إيجاد مصدر طاقة جديد كبديل للبترول قبل عشر أو خمس عشرة سنة ، وفى خلال هذه السنوات سيزداد اعتماد هذه الدول على بترول الشرق الأوسط .

* * *

. . وبعد حرب أكتوبر ، واستخدام العرب لبترولهم . . كتبت جريدة دافار الإسرائيلية فى ١٣/١١/١٩٧٣ .

« بدلا من أن يشرب العرب نفطهم ، شربت جولدا مائير على حقدها برميل حقد إضافى ، وذهبت إلى أوروبا متعطشة إلى أيام زمان داعية « العالم الحر » إلى أخذ نفط العرب بالقوة لأنه لا يجوز أن يملى أصحاب آبار النفط الخمسة على العالم الحر سياسته فاليوم إسرائيل . . وغداً . . من الضحية ؟ ! »

* * *

وكتب المعلق السياسى لصحيفة (يديعوت احرونوت) ارئيل غيناى حول حجم سلاح البترول . . فقال :

«بمزيد من الأسف تبين أن النفط سلاح لم نفهم معناه كما يجب ، ولم نقدر تأثيره المباشر تقديراً صحيحاً» .

* * *

الفصل السابع

وحقق طوفان أكتوبر هذه النتائج !

« تظل إسرائيل تنتصر وتنتصر . . . **ثم تفقد كل شيء عند أول هزيمة**
ويظل العـــرب ينهزمون وينهزمـــون **ثم يحصلون على كل شيء عند أول انتصار** »

توقيع
(دافيد بن جوريون)
أحد مؤسسي إسرائيل وحكمائها ورئيس وزرائها الأسبق

* * *

وبعد أن تمكنت إسرائيل من الحاق الهزيمة بالعرب فى ثلاث جولات مستغلة أخطاءهم الكبيرة . . جاء السادس من أكتوبر من عام ١٩٧٣ . . فإذا بالعرب يعدون ويخططون ثم يخوضون حرباً مع إسرائيل . . يتحقق لهم فيها النصر وتذوق فيها إسرائيل مرارة الهزيمة لأول مرة » .

توقيع
(التاريخ الحديث)

* * *

فكرت كثيراً فى أن أجعل عنوان هذا الفصل « بعض نتائج طوفان أكتوبر » أو ما ظهر حتى الآن من نتائج طوفان أكتوبر ، ذلك لأننى أثق تماماً فى أن حدثاً ضخماً له هذه الأبعاد الطوفانية التى جعلت منه بشهادة الجميع نقطة تحول فى تاريخ العرب الحديث ، وبالنسبة لإسرائيل بل فى العالم المعاصر بأسره . . لا يمكن لأى دارس أن يلم بكل نتائجه ، ذلك لأنه مع مرور الأيام والسنين يتمخض الطوفان عن نتائج أخرى قد لا يمتد البصر الآن لاستكشافها ، كما أن هناك من النتائج التى تحددت معالمها بالفعل ما يمكن أن ينمو حجمها وتتسع آثارها . ولعل ما يؤكد هذ المفهوم هو ما يظهر يوماً بعد يوم ومن خلال دراسات الباحثين والخبراء من جوانب ونتائج جديدة لم تفرض نفسها على خريطة آثار طوفان أكتوبر من قبل .

. . . ومع ذلك فإننى – وقد رضخت للعنوان الذى صدرت به هذا الفصل – طموحاً إلى حصر كل ما ظهر من نتائج الطوفان الأكتوبرى – أسارع الآن إلى تسجيل هذه النتائج مع اعتذار مسبق بأننى فد أكتفى فى الكثير منها بما قل ودل ، خاصة وأنها تستوعب – بتفاصيلها الدقيقة – كتاباً مستقلا . . أو أكثر من كتاب .

. . . .

١ – **الجانب العربى ماذا تحقق له :**

. . . بعد نكسة ١٩٦٧ عاشت الأمة العربية سنوات ستًّا عجافا لم يكن يظهر فيها بارقة أمل إلا لتختفى . . وتزداد حدة التقلصات فى النفس العربية الجريحة ، صحيح أن مصر شنت حرب استنزاف ضد إسرائيل (المنتصرة) لفترة ليست قصيرة إلا أنها – برغم أعبائها – لم تستمر . وعادت حالة اللاحرب واللاسلم لتفرض كابوسها القاتم على الروح العربية .

وازدادت حدة حرب الاستنزاف المعنوية التى شنتها إسرائيل على الأمة العربية حتى بدا للعالم وإسرائيل بصفة خاصة أن المقاومة العربية . . ستتآكل وتنهار ، أو كما قال مفكر عسكرى عربى . . بدا للإسرائيليين أن « الثمرة العربية غدت ناضجة وأن هزة صغيرة ستسقطهـــا فى سلتهم » ، وأن الأمر لا يتطلب سوى استغلال الوقت وانتظار معول الزمن الكفيل بهدم إرادة القتال العربية .

ولذلك احتفظ الجنرال موشيه ديان وزير الدفاع بثقته التامة فى قرب الإعلان الرسمى للاستسلام العربى . فهو حين أعلن بعد حرب ١٩٦٧ مباشرة أنه سيجلس فى مكتبه منتظراً أن يدق التليفون ليجد على الطرف الآخر منه الزعماء العرب – الذين يعرفون رقم تليفونه جيداً – لكى يطلبون إليه أن يسمح لهم بالتوقيع على وثيقة الاستسلام – حين أعلن ديان ذلك – فإن مرور الأيام وتضخم حالة اللاسلم واللاحرب . . قد أكد له أنه سوف يسمع بالفعل فى أقرب وقت – رنين التليفون العربى . .

ولكن فى هذه اللحظة اندلعت حرب أكتوبر . . وبدأ مد الطوفان العربى لتتحقق على الفور . ومع الأيام . النتائج التالية :

١ – تحطيم حالة اللاحرب واللاسلم وبالتالى تحطيم كل التفاعلات المخيفة التى كانت ستنجم عنها .

٢ – تحطيم عقدة الخوف واستعادة الثقة بالنفس . وأيضاً استعادة ثقة العالم بالإنسان العربى الذى كادت تلك السنين القاتمة تمحو صورته الحقيقية كمقاتل له تاريخه الحافل .

٣ – أيضاً ثبتت بوضوح كامل قدرة العرب على المبادرة والتخطيط المشترك ووحدة الجبهات وحفظ الأسرار ومفاجأة العدو والانتقال من مواقع الدفاع إلى مواقع الهجوم ، والتمكن من استخدام الأسلحة الحديثة المعقدة وأيضاً التعامل مع أحدث الوسائل التكنولوجية .

كذلك برز شعور الأمة العربية بوحدة مصيرها وتوحدها فى المعركة وقدرتها على استخدام مواردها الهامة والفعالة فى معركتها المصيرية .

٤ – امتداداً لهذه النتيجة وضع العرب أيديهم على قيمة إمكانياتهم الهائلة ، وما يمكن أن يكون عليه مستقبلهم حين يتم الاستخدام الأمثل لهذه الإمكانيات والطاقات سواء كانت بشرية أو بترولية أو أرصدة أو موقفاً جغرافيًّا له أهميته .

ولعل ما يبلور هذه النتيجة ما اعترف به الكثيرون من الكتاب والمعلقين السياسيين من أن العرب أصبحوا « القوة السادسة فى العالم » .

٥ – إكتسبت السياسة العربية حجماً وقدرة كبيرة ، وأصبح متاحاً لها التحرك والمناورة وتحقيق الإنجازات المتتالية مستثمرة انتصارها العسكرى وظهور قوة سلاحها الاقتصادى فحصل هدف « تحرير الأراضى المحتلة من قبل إسرائيل » على تأييد عالمى شامل ، كما أخذت قضية الشعب الفلسطينى حجمها الحقيقى فاعترف أكثر المنحازين لإسرائيل بشرعية حقوق الشعب الفلسطينى وأهمية تحقيقها وبالتالى اعترفت المنظمات الدولية بمنظمة التحرير الفلسطينية بل إن ما حدث فى نوفمبر ١٩٧٥ من إدانة هيئة الأمم المتحدة للصهيونية والتأكيد على حقوق الشعب الفلسطينى ثم الموافقة الحاسمة على حضور ممثلى الشعب الفلسطينى لجلسة مجلس الأمن التى دعت إليها دول عربية وعلى رأسها مصر لمناقشة الاعتداء الإسرائيلى على مخيمات الفلسطينيين فى لبنان (نوفمبر ٧٥) ذلك كله يوضح حجم التعبير الهائل فى النظرة للقضية العربية ومحورها المتمثل فى القضية الفلسطينية .

٦ – خرجت القوات العربية من هذه الحرب بخبرة قتالية عظيمة سواء على مستوى القيادات التخطيطية أو الميدانية أو على مستوى الأفراد .

٢ – **الجانب الإسرائيلى :**

إذا كنت سأترك الحديث عن آثار طوفان أكتوبر العربى على إسرائيل ، لكتاب ومفكرين إسرائيليين وأجانب حتى لا تكون هناك شبهة المبالغة أو غير الموضوعية إلا أننى – فقط أضع هذه النقاط التى قد تصلح كمفاتيح لما ستتضمنه الدراسات الإسرائيلية التالية :

١ – فقد الجندى الإسرائيلى ثقته المطلقة بقيادته ، واهتزت ثقته فى نفسه وتحطمت نظرته للمقاتل العربى الذى واجهه لأول مرة – بشكل حقيقى – فى هذه الحرب . . تلك النظرة التى كانت تتمثل فى الاستهانة به والتحقير من شأنه عسكرياً وثقافياً ومعنوياً .

٢ – تأكد للجندى الإسرائيلى بما حدث من خطوات الانسحاب من الأراضى العربية . . أن أية حرب قادمة لن تحمل سوى المزيد من الفشل الاستراتيجى .

٣ – وضع طوفان أكتوبر حجم التقدم التكنولوجى لإسرائيل فى حجمه الطبيعى . . وكشف أنه لا توجد تلك الهوة بين إسرائيل والعرب فى هذا المجال .

٤ – انهارت نظرية الأمن الإسرائيلية . . وانهار معها جيل من القادة والجنرالات الإسرائيليين الذين سطعت أسماؤهم وحفرت صورهم فى الوجدان الإسرائيلى وبديهى أن انهيار هؤلاء القادة الذين كانوا المثل الأعلى . . والصورة الذهبية للإسرائيلى . . قد أحدث شرخاً لا يستهان به فى نفس وروح الشاب الإسرائيلى .

ومن النتائج الحاسمة للحرب فى هذا المجال أيضاً أنها أجهزت على معظم الزعماء الذين ينتسبون لجيل الآباء المؤسسين وعلى رأسهم جولدا مائير التى أسقط الطوفان مقعد رئاسة الوزراء من تحتها .

٥ – فقد الجندى الإسرائيلى صورته التى ألحت بها الدعاية الصهيونية على أذهان العالم باعتباره صورة للجندى السوبرمان المتفوق دائماً . . فلقد اكتشف العالم أن هذا الجندى السوبرمان . . انهار وفر واستسلم حين واجهه الجندى العربى .

وبالتالى سقطت أسطورة الجيش الإسرائيلى الذى لا يقهر وأسطورة مخابراتها التى قالوا إنها من أفضل أجهزة المخابرات فى العالم . باختصار فقدت إسرائيل صورتها كدولة قوية أسطورية (وهذا بالتحديد ما يعبر عنه الفصل الذى تحدثت فيه عن إسرائيل دولة كبرى أم صغرى) .

٦ – من أقسى النتائج على الإسرائيليين . اضطرارهم لإعادة النظر إلى القضية

الفلسطينية فى ضوء معطيات الحرب والتحرك السياسى العربى . فقد ثبت لهم بما لا يقبل الشك أن القضية الفلسطينية كانت ولا تزال أساس الصراع مع العرب ولن يتوقف هذا الصراع ما لم تجد هذه القضية حلا عادلا .

٧ – لم تعد إسرائيل تمثل العصا الغليظة التى تضرب بها أمريكا العرب حين تشاء ردعهم وتأديبهم . بل لقد ثبت أن هذه العصا الغليظة تحتاج لحماية من أمريكا . واتضح أن حجم هذه الحماية يمثل عبئاً على السياسة والاقتصاد الأمريكى .

ونتيجة لذلك قنعت إسرائيل بدور التابع الذليل لأمريكا بعد أن كانت قدوصلت إلى اقتناع كامل بأنها تعتبر نداً لأمريكا وحامية لمصالحها فى المنطقة . والحقيقة أن هذا التقلص الإسرائيلى فى هذه العلاقة سيظل يفرز آثاراً بعيدة الغور والخطورة على إسرائيل .

٨ – كانت تكاليف الحرب عبئاً رهيباً على اقتصادإسرائيل (أكثر من ٨ مليارات ليرة) ، وحيث إنها فرضت نتائجها حالة من الاستعداد واليقظة الدائمة فإن ٥٣٪ من الميزانيات الجديدة خصصت للجيش مما ضاعف تدهور الاقتصاد الإسرائيلى .

٩ – الهجرة من إسرائيل إلى الخارج أو الذين أسرعوا يقطعون تذاكر للسفر ذهاباً دون عودة مع اهتزاز مفهوم الأمن الإسرائيلى ، واهتزاز الصهيونية كعقيدة ودين اهتزت تماماً فكرة الهجرة اليهودية فى الشتات إلى أرض فلسطين .

ولم يكن الأمر هو مجرد ضعف موجات الهجرة إلى إسرائيل ولكنه امتد إلى الوجه الآخر . . حين تزايدت عملية النزوح والهجرة من إسرائيل إلى الخارج .

– وقد كتب أحد الكتاب الإسرائيليين بعد ثمانية أشهر فقط من حرب أكتوبر فى مجلة هآرتس يقول :

« لقد تحولت بعد حرب الغفران إلى متشائم كبير ، وإننى توصلت إلى استنتاج بأن العرب لن يسلموا بوجود إسرائيل الحالى بينهم كرأس جسر أوربى وبعد أن ذاقوا طعم النصر الحلو فى ميدان القتال وطعم كونهم دولة كبرى اقتصادية لن يستريحوا .

(قد يصنعون معنا تسويات لمدة خمس أو عشر سنوات سوف يتعلمون المزيد من عمليات الحرب وحظر البترول وفى المرة القادمة سوف يلقون بكل ذلك فى الصراع النهائى .

. . . .

هذا وقد أجرى معهد الأبحاث الاجتماعية فى إسرائيل استطلاعاً حول رغبة الإسرائيليين فى النزوح طرح فيه سؤالا واحداً هو :

– لو كانت لديك فرصة فهل كنت تفضل أن تعيش بقية حياتك خارج دولة إسرائيل ؟

وقد جاءت الإجابة على هذا السؤال – فى قطاع الشباب من طلبة المدارس الثانوية مزعجة للقيادة الإسرائيلية إذ قال أربعون فى المائة ممن أجابوا على الاستطلاع إنهم فعلا يريدون أن يعيشوا خارج إسرائيل ؟

ويقول الدكتور الإسرائيلى دوف التيسور (وهو محاضر كبير فى علم النفس) والاقتصاد فى جامعة برايلان ورئيس قسم البحوث فى معهد البحوث الاجتماعية التجريبية) يقول بعد دراسة قام بها .

إن الذين يريدون النزوح من إسرائيل اليوم بعد حرب أكتوبر ويفكرون بصوت مرتفع يعدون أغلبية بين الجماهير التى تشعر بالانهزامية وهو المعسكر الآخذ فى الانتشار من نهاية الحرب .

إن الشبان من جيل (الصابرا) يريدون بناء مستقبل جديد لهم بعد أن ثارت لديهم التساؤلات بعد الحرب .

« هل لنا مستقبل فى إسرائيل ؟ »

« من نكون ؟ . وماذا نكون ؟ . . وإلى أين وجهتنا ؟ »

. . . .

هذا . . . وإلى جانب النزوح الكامل ، تتزايد عمليات السفر إلى خارج إسرائيل وهو سفر يطول غالباً . . وربما يكون بلا عودة وحينما طرح على وكلاء السفريات فى إسرائيل سؤال يقول « من الذى يسافر هذه الأيام إلى الخارج ؟ سارعوا بالإجابة قائلين :

ومن الذى لا يسافر ؟ . . إن إسرائيل كلها تسافر إلى الخارج . . وأهدأ الذين يطلبون السفر ، يقول لك : « إننى مسافر لأننى أريد التخلص من التوتر » .

. . . .

وتضع جريدة هارتس الإسرائيلية فى بحث واسع لها . . هذه الصورة التى تعد نموذجاً لتيار النازحين من إسرائيل بعد طوفان أكتوبر . . تقول الجريدة

« يعتبر » « راف صابار » رجلاً نموذجيًّا . إنه يتحدث قليلا ويصيغ أقواله فى وضوح . إن الوقت يجرى به هذه الأيام . إنه يتم الاستعدادات الأخيرة للسفر إلى الولايات المتحدة لقد قرر النزوح . لقد سرح فى الأسبوع الماضى من الاحتياط بعد فترة خدمة دامت فى

سيناء ١٥٠ يوماً وكانت غاية فى القسوة .

و « راف صابار » رقيب مدرعات متزوج وأب لطفلين وهو مولود فى مدينة ريفية بالقرب من تل أبيب منذ ٣٣ سنة ويكسب مرتبه من العمل فى العلاقات العامة وهو يتقاضى ٣٠٠٠ ليرة فى الشهر .

إن حالته الاقتصادية طيبة . . ولكنه مصمم على النزوح . . إنه يريد أن يبدأ حياة جديدة فى الولايات المتحدة الأمريكية .

وفى الأسابيع التى سبقت تسريحه من الجيش وبعد أن ساد الهدوء فى الجبهة المصرية على أثر توقيع اتفاقية فصل القوات أجرى (راف) محادثات طويلة مع رفاقه من أفراد الاحتياط فى العربة نصف المجنزرة وكانت الأقوال التى سمعها تعبر عن الإحساس الذى اجتاح إسرائيل بعد الحرب .

وفى لحظة صدق كان كل منهم يفرغ ما عنده ويتحدث معه بصراحة لقد أبدى كثيرون رغبتهم فى النزوح والهروب من الحروب التى لا تزال تنتظر إسرائيل . .

. . . .

ويقول (راف) . .

إن من الصعب جداً أن أعود إلى الحياة العادية التى عرفتها قبل حرب أكتوبر إن الحياة تبدو لى اليوم مختلفة تماماً ، لقد قتل عدد من رفاقى وكنا نعتقد أن جيشنا عظيم ومنتصر وقوى أما الآن فقد جعلنا المصريون نخفض أنوفنا لقد وطئوا كل من فى الجيش لقد اختفت الهالة . . إننا مصابون . . إن الجيش مجروح .

. . . وإننى لا يمكن أن تنمحى من ذاكرتى كل النداءات الأخيرة التى التقطتها باللاسلكى من المواقع الحصينة طلباً للنجدة قبل أن تسقط فى أيدى المصريين « النجدة النجدة المصريون يهاجموننا . بعد قليل سوف يقضون علينا . . إنهم قادمون . . » كانت تلك النداءات تتكرر فى اللاسلكى ثم تصمت الأصوات ويختفى الواحد بعد الآخر .

. . كذلك لن أنسى وعود القيادة لهؤلاء الجنود فى تحصينات بارليف . كانوا يقولون لهم : سوف تأتى على الفور لإنقاذكم » « المساعدات فى الطريق إليكم » .

ومع ذلك لم ينقذهم أحد .

* ماذا كان سيحدث لو كنت أنا شخصياً مكان أحد المحاصرين الذين يصرخون طلباً للنجدة ؟

* ولأى سبب قتل أكثر من ٢٥٠٠ شخص ؟
* هل إسرائيل أفضل من دول أخرى ؟
* لماذا أخجل من النزوح منها ؟ ما العيب فى ذلك ؟
* ما الذى يدفعنى إلى البقاء هنا فى إسرائيل ؟
* ولماذا ؟
* فمن الذى يتذكر كل القتلى والجرحى والمشوهين ؟
* لقد حدث كل شيء كطرفة عين ؟
* من الذى سيعيد أشخاصاً أعزاء علينا ؟
* هل كانت الحرب أمراً اقتضاه الواقع ؟

إننى على أى حال لا أريد دولة كهذه .

لقد نجوت بالصدفة عندما سقطت قذيفة مصرية بجوارى وقتلت زميلى . . إننى لا أريد أن أقتل فى الحرب القادمة بقذيفة قد لا تخطئ الهدف » .

. . . .

تلك صورة تجسد موجات النزوح من إسرائيل بعد أن أغرق طوفان أكتوبر تلك المغريات التى كانت تشجع شبابهم على البقاء فيها .

وإننى أستطيع أن أضيف واثقاً أن هناك ألواناً أخرى من النزوح فإن أولئك الذين لم يتمكنوا من النزوح المادى بأنفسهم وأسرهم إلى خارج إسرائيل ، يعانون تماماً من نزوح الثقة والطمأنينة من نفوسهم ، كما أن هناك من يهاجرون هجرة اجتماعية ونفسية . . . فتذهب بهم الصدمات التى أحدثها طوفان أكتوبر إلى مستشفيات الأمراض العصبية والنفسية التى تقول الإحصائيات إن نسبة المترددين عليها والمقيمين فيها تتزايد بشكل مستمر ؟ كما أن هناك من اعتزلوا أسرهم ومجتمعهم . . وآثروا الانطواء والتأمل فى البحر كما قال الكاتب الإسرائيلى « يا هو ناتان جيفن » .

. . . .

. . . .

ثم أتوقف أنا الآن لأترك المجال – كما أشرت فى البداية لأقلام إسرائيلية وأجنبية تتبادل هى بالتحليل بنتائج طوفان أكتوبر على إسرائيل .

يقول المؤرخ الإسرائيلى يعقوب تلمون (٥٨ سنه – أستاذ التاريخ المعاصر فى الجامعة العبرية وعضو الأكاديمية الإسرائيلية للعلوم وقد عمل أستاذاً زائراً فى عدة جامعات أمريكية وأوربية كما أنه حائز على جائزة إسرائيل للعلوم الاجتماعية فى سنة ١٩٥٦ على كتابه (مصادر الديموقراطية التوتاليرية)، وله عدة مؤلفات أخرى ترجم بعضهما إلى (الإنجليزية والفرنسية) يقول هذا الرجل الذى يمثل تلك المكانة العلمية والاجتماعية الكبيرة فى إسرائيل:

« خلال السنوات الأخيرة كان قادتنا البارزون والنشيطون أكثر سخطاً على السياسيين ورجال الإعلام فى العالم كله، وكانوا يسخرون منهم لأنهم ينذرون من خطر اندلاع القتال والانفجار القريب منا. فقد كان هؤلاء يقولون إن بلدنا إسرائيل وجاراتها مثل برميل البارود وإن السلام العالمى معرض للخطر فى منطقتنا. وقد حرص متحدثونا كثيراً على إقناع العالم بأنه « لا شيء يحترق فى منطقتنا باستثناء معامل تكرير البترول المصرية » (وكان صاحب هذه المقولة السيد موشيه ديان تعليقاً على تحذيرات أولئك السياسيين العالميين وإشارة إلى ضرب الطائرات الإسرائيلية لمعامل تكرير البترول المصرية فى الزيتية فى أثناء حرب الاستنزاف) وقد زعم متحدثونا أيضاً أنه إذا أظهر العرب من حين لآخر دلائل روح القتال والاستعداد الحربى تكفى بضع ضربات وإسقاط دستة من طائراتهم، ثم توجيه إغارة شديدة عليهم لتلقينهم درساً يمتد مفعوله لأشهر كثيرة على الأقل فالعرب لن يجرءوا على رفع رؤوسهم وإذا جن جنونهم وانبروا إلى حرب فعلية فسيكون مصيرهم مريراً على يد جيش الدفاع الإسرائيلى المتأهب على امتداد الحدود الواسعة والمثالية والخطوط المحصنة وغير القابلة للاحتراق والبعيدة عن تجمعاتنا السكانية. وقد أكد لنا المصدر نفسه مراراً وتكراراً (وكانت آخر مرة قبل حرب أكتوبر بأيام قليلة) أكد أنه لن يكون هناك خوف من اندلاع الحرب لعشر سنوات على الأقل وأن حالة اللاسلم واللاحرب ستستمر عشرين أو ثلاثين سنة وفى تلك الأثناء يأخذ التفاوت التكنولوجى بيننا وبين أعدائنا فى الاتساع.

. . معاذ الله أن تفوت هذه الفرصة :

ويبدو أن هذا المفهوم قد رسخته الظروف بعد صدام حسين مع المخربين (الفلسطينيين) فى شرق الأردن وبعد خروج الروس من مصر وتغلبنا على الإرهاب الفلسطينى وتوقف

الأمريكيين عن مضايقتنا بمشروع روجرز . فلقد بدا أن البلد قد هدأ وكنت تستطيع أن تستمع إلى تصريحات عديدة بأنه قام -- فى الحقيقة – سلام واقعى . وقيل : « لا تبدو ملحوظات ولا تثيروا ولا تخلقوا صعاباً بالمطالبة بالمفاوضات والمعاهدات المكتوبة والموقعة التى سنضطر فيهما إلى التنازل عن القليل أو الكثير فحالة اللاسلم واللاحرب تبدو لنا مثالية ونستطيع أن نستوطن كل مكان وبسرعة معاذ الله أن نفوت هذه الفرصة التاريخية .

وأصبح الاطمئنان لنظرية الأمن عقيدة صوفية :

بالإمكان القول أن الاطمئنان لنظرية الأمن أصبح جزءاً من عقيدة صوفية ومبدأ أساسياً لبرنامج سياسى وتحولت فى النهاية إلى مصلحة راسخة . . وقد ترسخت هذه الطمأنينة بنبوءة تكامل الوطن وبالغطرسة وبنظرية التفوق المطلق للجيش الإسرائيلى والتخلف الأبدى للعرب وبالمسلمات حول حدود الأمن المثالية التى أتيحت لنا وغدت هذه الطمأنينة من جانبها تلك المسلمات .

ماذا حدث أو ما هى نتائج حرب أكتوبر على إسرائيل :

بعد أن قام المؤرخ الإسرائيلى (يعقوب تلمون) بهذا التحليل للموقف النفسى والعسكرى والسياسى داخل إسرائيل بعد حرب يونيو ١٩٦٧ يصل فى دراسته إلى ما حدث بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ فيقول :

« لقد تبددت افتراضات أساسية ومسلمات وتوقعات كانت بمثابة لبنات فى بناء المفهوم الشامل . تبددت جميعها الواحدة بعد الأخرى ؟

١ – لم تمنع الحدود الآمنة (المزعومة) تغلغل مئات الألوف من جيوش مصر وسوريا بمعداتهم الثقيلة بين ليلة وضحاها ونحن لا ندرى ماذا كان سيحدث لنا لو لم تلق حكومة الولايات المتحدة بكل ثقلها فى كفة الميزان لصالحنا .

٢ – ظهرت وحدة عربية أكثر تراصاً وفعالية مما كانت عليه فى أى وقت مضى وهى تملك قوة كبيرة بصورة احتكار النفط (كم أكثرنا الاستخفاف بأهميته حتى أننا أنكرنا وجود مشكلة الوقود) وكانت المساعدات المالية التى قدمتها دول النفط العربية لدول المواجهة أداة هائلة إن هذه الحرب أثبتت أن مواقفنا القديمة من العرب كانت بمثابة الأسمنت للقومية العربية .

٣ – كانت سياستنا كلها خلال السنوات الأخيرة – كما ذكرنا – قائمة على الافتراض إننا سننجح فى دعم أعمالنا بالصورة التى نريدها حتى الضم الكامل من خلال تجاهل ما سيقوله (الغوييم) غير اليهـود وبكلمات أخرى ستكون لدينا القوة والقدرة على إملاء إرادتنا على العالم بأسره .

أين نقف اليوم بعد حرب ١٩٧٣ ؟

(ا) جميع الدول الأفريقية التى كنا نتباهى بالعلاقات معها قطعت كل علاقاتها بنا . . واتحدت دول أوربا الغربية لمنع المساعدات عنا ووضع قيد على طموحاتنا .

(ب) كان الاعتقاد السائد بأن الولايات المتحدة بحاجة إلينا فى الحقيقة بدرجة لا تقل وربما تزيد على حاجتنا إليها قائماً على أساس أن الاستراتيجية العالمية لأمريكا تفرض عليها أن تمنع الروس من الحصول على موطئ قدم فى منطقتنا وفى المحيط الهندى وفى أفريقيا ونحن الدعامة الرئيسية المستقرة الوحيدة للنظام الدفاعى الأمريكى من مراكش حتى الهند وربما حتى اليابان .

هذا ما كان . . ولكن نتائج هذه الحرب جعلت الولايات المتحدة تعاملنا كدولة تابعة مزعجة ينبغى إجبارها على قبول الطاعة الإملاء .

وعندما تكلم وزير الخارجية الأمريكى هنرى كيسنجر عن إمكان الضمانة الأمريكية لإسرائيل حدد نواحى العلاقة الخاصة بينها وبين أمريكا : « علاقة عاطفية وكون إسرائيل ديموقراطية وحرص الولايات المتحدة على منع القضاء على دوله . »

. . ولم يذكر كيسنجر أى شىء عن مصالح سياسية أو استراتيجية مشتركة .

(حـ) بعد خمس وعشرين سنة من انضمامنا إلى عائلة الشعوب بافتخار شديد على موجة من العطف الدولى المتحمس كمتساوين بين متساوين أصبحنا منبوذين بين الشعوب .

(د) اتضح أنه بدلا من أن نكون حماة وأعواناً ومنقذين ليهود الشتات فى أنحاء العالم أصبحت دولتنا مرتبطة بيهود العالم ، معتمدة على إنقاذهم لها .

(هـ) إن علينا الآن أن نشد الأحزمة على بطوننا ونعتمد على الجبايات البائسة (من يهود العالم) والمنح الأمريكية .

. . . .

٤ – تقوضت أسطورة قومية عظيمة وهى أسطورة جيش الدفاع الإسرائيلى .

إفلاس الشركة الأمريكية – الإسرائيلية للمصالح المشتركة

ونتائج أخرى

يرجع الارتباط الذى حدث بين مصالح الولايات المتحدة الأمريكية ومصالح وقوة إسرائيل إلى عهد بعيد . يبدأ مع إنشاء دولة إسرائيل ذاتها . لكن هذا الارتباط اتخذ شكله العلنى تماماً . . والقوى جداً قبيل حرب يونية ١٩٦٧ ، ثم كانت تلك الصدامات بين حكومة الأردن ومنظمات المقاومة الفلسطينية فى عام ١٩٧٠ ، لتتأكد أكثر : الشركة الأمريكية – الإسرائيلية للمصالح المشتركة ، حين أزمعت سوريا التدخل لمساندة المنظمات الفلسطينية ، فتحركت الولايات المتحدة بتهديد واضح ، ثم بمساعدات عسكرية ضخمة لإسرائيل . . حتى يتوقف التدخل السورى وبذلك تحافظ الولايات المتحدة على النظام القائم الذى تعتبر الإخلال به انتصاراً للاتحاد السوفييتى ، وفى نفس الوقت تحافظ إسرائيل على صورتها باعتبارها القوة الرادعة واليد الغليظة فى المنطقة كما تؤمن نفسها من احتمالات وجود القوات السورية مع المنظمات الفلسطينية على الحدود الأردنية .

ويقول زئيف شيف المعلق والكاتب الإسرائيلى :

كان دور إسرائيل فى هذه « الشركة » هو الحراسة العسكرية فى المنطقة على الوضع العسكرى والسياسى القائم ، وكان أبرز جوانب هذا الدور هو منع المصريين بأى ثمن من عبور القناة والسيطرة عليها .

ولكن إسرائيل فشلت فى هذا الدور . ونتيجة لذلك فقد أفسدت الشركة الضرورية جداً بالنسبة لها » .

ثم ينتقل الكاتب الإسرائيلى الشهير إلى المزيد من نتائج حرب أكتوبر فيقول :

الشكوك وفقدان الثقة :

« لقد زعزعت الحرب إسرائيل من أساسها ، فبدلاً من الثقة المفرطة ، جاءت الشكوك العميقة وقد برزت هذه الشكوك بعد الحرب لدى القادة بشكل خاص ،

كما تزعزعت الثقة بالنفس . وفجأة ثارت أسئلة كانت موضوعة على الرف طوال الوقت . هل سنبقى نقاتل إلى الأبد ؟ وهل هناك أمل للصمود فى حرب جديدة فى الوقت الذى تتزايد فيه فروق الكميات لصالح العرب ، وفى الوقت الذى يسيطرون فيه على الكنوز الطبيعية وعلى مخزون النفط ؟

لقد أظهرت هذه الحرب – مرة أخرى – الخطر على وجود الدولة ، كما أبرزت مخاوف قديمة » .

انهيار التقاليد الراسخة :

« فى داخل الصدمة الكبرى أدت الحرب أيضاً إلى أزمات صغيرة ولكنها ذات صدى هائل ، وقد حدثت إحدى هذه الأزمات فى الجيش الإسرائيلى ، فبعد سنين من محافظة الجيش على تقليد عدم ترك جرحاه فى ساحة المعركة ، ترك هذه المرة جرحى وأصحاء فى الأرض التى سيطر عليها العدو ، كما ترك دبابات مع أطقمها سواء الجرحى منهم أو غير الجرحى . وواجه القادة العسكريين مشكلة خطيرة وهى هل يضحون برجال آخرين من أجل تخليص المصابين ؟ وفى نهاية المعارك كان هناك المئات من أسماء الجنود فى قائمة المفقودين » .

وأظهرت الحرب نكسة أخرى لإسرائيل :

أظهرت حرب يوم الغفران نكسة أخرى ، فقد كشفت الزعامة الإسرائيلية بكامل تقصيرها ولم يكن هناك من يتحدث إلى الشعب فى أحلك ساعاته ، وبالرغم من أن وزير الدفاع موشيه ديان حاول أن ينفى – بعد الحرب – ما قيل عن انهياره خلال المعارك ، فإنه تبين أن ديان أكتوبر (١٩٧٣) لم يكن هو ديان يونية (١٩٦٧) .

ولقد أدت الحرب إلى أزمة ثقة . فالشعب لا يثق بزعمائه . وهذه الأزمة فى الثقة أكثر عمقاً ومرتبطة بمسائل كثيرة . لقد كان الجيش صورة للوهن الفكرى وتدهور القيم الأخلاقية ولم يكن « شيئاً آخر » كما كان يقال عنه ! !

إسرائيل تعود إلى مراحلها الأولى :

إن دولة إسرائيل كان الخطر يتهدد وجودها أكثر من أى دولة أخرى .

ولقد أكدت هذه الحرب أن الإسرائيليين شعب صغير .

وإن مصدر الهزة التى واجهت إسرائيل فى الأساس هو فى الإحساس بأن الدولة قد عادت فجأة إلى مراحلها الأولى ، إلى وضعها الأول فلقد وجدت إسرائيل نفسها فجأة – بعد حرب الغفران – تقف فجأة أمام مخاطر تحيط بوجودها . . . وهكذا تبين لإسرائيل أنه لن تكون لها إمكانية الردع بعد ذلك . .

فلقد قوبلت قوات قوة الردع الإسرائيلية التى أحرزت بصورة رئيسية بفضل سلاحها الجوى ، قوبلت بردع عربى آخر مضاد . . كما أن صواريخ (سكاد) هى التى ردعت إسرائيل عن القيام بعمليات فى العمق .

وفى أعقاب هذا التحول عادت إسرائيل إلى الوضع الذى كانت عليه فى الخمسينيات ، برغم الفوارق التى حدثت خلال الزمن فى قدرة القوات وفى الظروف الجغرافية ، وأحد أعراض ذلك هو استعداد إسرائيل بعد حرب يوم الغفران لتغيير موقفها من قوات الأمم المتحدة ، فبعد حرب ١٩٥٦ كانت مصر هى التى أرادت التستر من وراء قوات الأمم المتحدة ، وخصصت لها مساحات من الأرض المصرية ، والآن – بعد حرب ١٩٧٣ – أصبحت إسرائيل هى التى تجد قناعة فى منطقة الفصل بينها وبين الجيش المصرى ، والتى تتواجد فيها قوات الطوارئ الدولية وهذا ما يؤكد إحساسها بأنها فقدت الكثير من قوة الردع التى كانت لديها ويعتبر هذا مفترق طرق فى النزاع العربى الإسرائيلى » .

العرب يحطمون حاجز الخوف :

لقد اخترق العرب حاجز الخوف ، ومنذ الحرب والعرب يقولون إن من ينجح مرة يمكنه أن ينجح مرة أخرى كما يمكنه القضاء على عدوه (إسرائيل) على مراحل . والرئيس السادات أصبح يتحدث بعد الحرب عن السلام حسب شروطه هو ، ومن ضمنها إعادة الحقوق الشرعية للفلسطينيين .

فى بعض الحالات قام الإسرائيليون بنقل جثث قتلاهم . [لكنهم تخلوا كثيراً عن أداء هذا الواجب المقدس مثلما تراجعوا عن محاولات إنقاذ أعداد من جرحاهم] ويقول مؤلفو كتاب «حرب يوم كيبور» إن نسبة القتلى من القوات الإسرائيلية كانت عالية وثقيلة ، حتى أن قتلاهم فى يوم واحد كان عددهم يفوق ما خسرته إسرائيل فى حرب ١٩٤٨

الجيوش العربية تدخل عصراً جديداً :

لقد دخلت حرب ١٩٧٣ فى عدة مجالات بمثابة « حرب أزرار » أكثر مما توقعت إسرائيل فلقد كانت حرباً إليكترونية حقيقية . كما ظهر فى شبكات الصواريخ المضادة للطائرات وفى الأسلحه التى استخدمت ضدها فى القتال البحرى ، وفى الصواريخ الجديدة التى استخدمها المصريون فى ضرب محطة الردار ، وأيضاً فى التشويش الإليكترونى الذى استخدموه فى خلال المعارك ثم فى التصنت المكثف لشبكات الاتصال .

إن الجيوش العربية - بذلك - دخلت عصراً جديداً ، وخطت خطوة كبيرة إلى الأمام فى المجال الإليكترونى - منذ عام ١٩٦٧ . ولقد تحدثوا فى إسرائيل . خلال حرب الاستنزاف عن (صيف إليكترونى) أما العرب والمصريون فى مقدمتهم ، فقد قرروا الاستعداد الفعلى لحرب إليكترونية وقاموا بشراء معدات حربية حديثة ، ودربوا عليها مقاتليهم جيداً . وقد نجحوا فعلاً فى استخدامها . ولذلك فإن الاتجاه القائم فى إسرائيل لرؤية خصومها متجمدين فى كفاءتهم بحيث يقوم الروس بعمل كل شىء بدلاً منهم أصبح محتماً أن يتغير ، بعد نجاح العرب فى التقدم بسبب تحسن جهازهم الفنى واستيعابهم للمعدات الحديثة .

قدرة العرب على شن حرب شاملة :

أثبتت الحرب أيضاً أن العرب قد فكروا بمفاهيم الحرب الشاملة ، عندما أغلقوا مضيق باب المندب فى وجه الملاحة الإسرائيلية . كما فعلوا فى حرب ١٩٦٧ عندما أغلقوا مضايق تيران .

ولقد اعتمد الردع الإسرائيلى - حتى حرب ١٩٧٣ - على الاعتقاد بأن المصريين لن يجرؤوا على الإيقاع بالملاحة بعيداً عن حدود الدولة أيضاً وذلك لأنهم سيخشون تحول الحرب المحدودة إلى حرب شاملة بما فى ذلك من امتداد ردود الفعل الإسرائيلية إلى أماكن فى العمق كالإسكندرية مثلاً .

ولكن تقدير العرب كان هو التقدير السليم ، واضطرت قيادتنا إلى الاكتفاء فى حربها مع مصر بعمليات الجبهة » .

* * *

وهذا كاتب إسرائيلى آخر هو الدكتور « أمنون كابليوك » بتناول بعض آثار الطوفان الأكتوبرى العربى . . مركزاً على انهيار الأساطير الإسرائيلية فيقول « كابليوك » فى كتابه « إسرائيل . . نهاية الأساطير . »

عشر أساطير حطمتها الحرب :

« إن حرب أكتوبر قد حطمت عشر أساطير إسرائيلية هى » :

(١) أسطورة الأمر الواقع :

لقد انتهجت إسرائيل سياسة الأمر الواقع فترة طويلة من تاريخها . وكانت تتوقع استمرار الوضع الناجم عن حرب يونية ١٩٦٧ عشرين سنة أخرى يتحول معها السلام إلى استسلام عربى . . وقد برهنت حرب أكتوبر على أن الأمر الواقع لم يمنع شن الحرب فحسب ، بل كان سببها المباشر .

(٢) أسطورة الحدود الآمنة التى تردع العرب :

كانت أفكار وتصريحات القادة الإسرائيليين تقول « إن خطوط وقف النار تمثل حدود الأمن المثالية التى تردع العرب عن مجرد التفكير فى مهاجمة إسرائيل بفضل عمقهـا الاستراتيجى . ولقد أتخم الرأى العام الإسرائيلى بعد يونية ١٩٦٧ بتصريحات عن أهمية الاستيطان الإسرائيلى فى الأراضى العربية المحتلة ، وأقيمت المستعمرات بالفعل ، ثم مع الدقائق الأولى من حرب أكتوبر كان الشغل الشاغل هو إخلاء سكان مستعمرات الجولان السبع عشرة وبغير جدوى لأن المدفعية السورية كانت تقوم فى ذلك الوقت بعملية « حصاد » .

كذلك ثبت أن التمسك بشرم الشيخ التى كان يقول عنها موشيه ديان (إننى أفضل شرم الشيخ بدون سلام على سلام بدون شرم الشيخ) ثبت أن ذلك التمسك لم يكن مفيداً فقد جاء الحصار من (باب المندب) .

(٣) أسطورة مادية :

وهى الأسطورة التى طالما رددتها إسرائيل عن أن خط بارليف لا يمكن اقتحامه .

ولقد جاءت حرب أكتوبر لكى يتبدد هذا الخط فى ساعات ، وتتبدد معه الـ ١٥٠٠ مليون ليرة إسرائيلية التى أنفقت على إنشائه (هذا بخلاف المصاريف غير المنظورة) .

(٤) أسطورة المخابرات الإسرائيلية الخرافية :

كانت أسطورة المخابرات الإسرائيلية الخرافية المعصومة من الخطأ أمراً غير قابل لمجرد المناقشة . وربما كانت للمخابرات الإسرائيلية أرصدة خارجية سابقة أعطتها هذه « الزهوة » والهالة الأسطورية مثل عملية خطف « إيخمان » سنة ١٩٦٠ وشحنه إلى إسرائيل ، ومثل الاعتداءات على العلماء الألمان فى مصر ، ومثل الإعداد لحرب يونية ١٩٦٧ ، ومثل سرقة الزوارق الحربية الخمسة من ميناء شربورج الفرنسية سنة ١٩٦٩ ، ولكن هذه المخابرات (الإسرائيلية) أفلست فجأة وعجزت عن كشف نوايا المصريين والسوريين قبيل حرب أكتوبر ، وفوجئت بالحرب تماماً مثل رجل الشارع الإسرائيلى .

(٥) أسطورة أن العرب لا يفهمون سوى لغة القوة :

وقد تمثلت هذه الأسطورة فى ضرورة أن نلقن العرب عند وقوع أى اعتداء عربى – ولو كان اعتداء صغيراً أو عارضاً أو حتى لو كان رداً على اعتداءات إسرائيلية – نلقن العرب درساً قاسياً ، ونرغمهم على دفع الثمن ، ونعاقبهم بصورة لا يتجاسرون بعدها على القيام بأية محاولة جديدة .

وبعبارة أخرى أن الذى يسكت العرب ويخيفهم هو سياسة القوة والردع (مثل تدمير معامل تكرير البترول بالزيتية فى السويس خلال أكتوبر ١٩٦٧ ، والهجوم على بعض قادة الفلسطينيين داخل بيروت ، وإسقاط الطائرة الليبية ، والغارات المستمرة على جنوب لبنان ، وافتعال معركة جوية مع سوريا يتم فيها إسقاط ١٣ طائرة ميج) .

ولقد تهاوت هذه الأسطورة عندما اتضح أن هذه الأفعال كانت تزيد من تصميم وإصرار العرب ، ثم جاءت حرب أكتوبر . . لتظهر أنهم لا يخشون القوة . . بل يحطمونها ويظهرون قوتهم هم . . »

(٦) أسطورة أن العرب لم يخلقوا للحرب :

ونحن نحتاج إلى كتاب ضخم كى ندون كل الاستهانات وكلمات التحقير

التى تلفظ بها جنرالاتنا العاملون منهم والمحالون إلى الاحتياط حول الجندى العربى وضعف الجيوش العربية .

إلى أن جاءت حرب أكتوبر وبعد ا ذاحآتها الكبرى : المقاتل العربى .

فوجد الجندى الإسرائيلى نفسه امام مقاتل عربى شجاع منضبط لديه قدرة قتالية ممتازة بفضل التدريب الجيد مقاتل مستعد للتضحية بكل شىء .

وكانت المفاجأة أكبر تجاه الجندى المصرى الذى أبدى بسالة فائقة واقتداراً عظيماً » .

(٧) أسطورة تفتت العالم العربى واستحالة استخدام سلاح البترول :

كانت هذه الأسطورة راسخة فى أذهان القادة فى إسرائيل ، ولم يكن أحد ينظر إلى ما يقال عن سلاح البترول إلا على أنه مجرد دعاية .

واتضح أن العرب فى الأزمات يقفون صفًّا واحداً ، ويصفون خلافاتهم ولقد كنا نقول فى إسرائيل (لكى يتمكن العرب من مهاجمة إسرائيل بحظ من النجاح عليهم أن يتحدوا أولاً . وهذا محض خيال فهم ممزقون دائماً وأبداً بخلافاتهم الداخلية ، ولهذا فهم عاجزون عن وضع سياسة منسقة ، فكيف إذن يستطيعون أن يشنوا حرباً جماعية ؟ ؟)

لقد كنا نقول : إن العرب (بهذه الصورة) هم أحسن حلفائنا ، ولكن حرب أكتوبر ألغت هذه الكلمة من القاموس السياسى الإسرائيلى كما أن العرب أدركوا أهمية سلاح البترول لهم ، واستخدموه بفعالية وجرأة وفى توقيت مناسب .

(٨) الأسطورة القائلة بأن الفلسطينيين فى الأرض المحتلة يرضخون وسيرضخون :

وكانت ثمة شواهد فى المعاملات تقوى خيوط تلك الأسطورة ، ومن هنا نشأت التصريحات التى تخصص فيها قادة إسرائيل مثل : « لا يوجد هناك شىء اسمه فلسطين . الفلسطينيون فى (إسرائيل) استكانوا لوضعهم ولاستمرار السيطرة الإسرائيلية عليهم إلى ما لا نهاية .

وجاءت حرب أكتوبر وزلزلت هذه الأسطورة أيضاً ، فإذا بالسكان العرب يثورون ، وتكاثرت الأعمال الفدائية داخل المدن والمستعمرات .

وبلغ عدد الفدائيين العاملين داخل إسرائيل آلافاً ، وهوجمت وقصفت (٤٤)

مستعمرة إسرائيلية [١١٦] مرة خلال تلك المرحلة . .

إذن يوجد شيء هناك اسمه فلسطين وفلسطينيون . .

(٩) أسطورة أن الزمن يعمل لصالح إسرائيل :

أكد القادة الإسرائيليون مرات عديدة أن الزمن يعمل لصالح إسرائيل ، ثم جاء زمن ثبت فيه أن الزمن ليس ملكاً خالصاً لإسرائيل وأن جمود القيادة الإسرائيلية جعلها لم تفهم أن الزمن يدور فى فراغ وأنه مرتبط بعوامل عالمية كثيرة .

(١٠) أسطورة « المهم ما يفعله اليهود » :

وتلك أسطورة من صنع بن جوريون مؤسس إسرائيل الذى كان يقول دائماً « لا يهم ما تقوله الأمم . المهم ما يفعله اليهود » .

وأثبتت حرب أكتوبر أن ما يفعله اليهود ليس مهماً وليس هو كل شيء وأن هناك إرادة أخرى ومضادة تستطيع أن تفرض نفسها إذا أرادت .

ولقد كانت الصدمة فى سقوط تلك الأسطورة فوق الاحتمال ، وقد يعبر عنها ما قاله أحد جنود جيش الدفاع الإسرائيلى بعد عودته من الحرب . . حين أخذ يتمتم لأحد الصحفيين ويقول فى ذهول :

« قبل ثلاثة أشهر كنت أعتقد أننى جزء من القوة المتفوقة فى الشرق الأوسط وعندما هدد السادات بالحرب ضحكت وقلت لنفسى :

« يا للسخف . . إننا خلال ساعتين سنكون فى دمشق ، وخلال ثلاث ساعات سنكون فى القاهرة .

لقد استهنت بالعرب . . لماذا ؟ لأننى تعلمت فى المدارس أن أحتقرهم تعلمت أننا الأقوياء وهم الضعفاء . كنت أعتقد أنه لا أهمية لما تقوله الأمم . والمهم هو ما يفعله اليهود » .

رسالة إلى جولد مائير

وهذه رؤية إسرائيلية أخرى لنتائج طوفان أكتوبر ، اتخذت شكل رسالة نشرت فى إحدى الصحف الإسرائيلية التى قدمت لها ثم قدمتها بالصورة التالية :

فى ١٩٧٣/١٢/١٤ قام الدكتور بنيامين شازار « محاضر التاريخ بالجامعة العبرية بزيارة لمقابر الجنود الإسرائيليين فى جبهة السويس ، وقد استخلص من هذه الزيارة دروساً رأى من واجبه كأستاذ جامعى أن يوجهها إلى القادة الإسرائيليين وليس إلى طلبته ، على أساس أنهم مسئولون عن تسيير دفة الأمور فى البلاد .

. . . وقد صاغ الدكتور (بنيامين) هذه الدروس فى صورة رسالة بعث بها إلى جولد مائير رئيسة الوزراء فى ذلك الوقت .

وهذا نص الرسالة :

سيدتى . . رئيسة الحكومة :

. . . لقد ثبت أن تفوقنا العسكرى ليس مطلقاً ، وأن الحدود الآمنة المثالية قد انهارت خلال فترة وجيزة ، وأن قناة السويس ليست حاجزاً من الطراز الأول ضد الدبابات وأن القادة والجنود العرب لم يتصرفوا كما كنا نتصور ، وفى نفس الوقت فإن عدداً من قادتنا العسكريين ارتكبوا أفدح الأخطاء ، وذلك حين ظنوا أنهم يخوضون حرباً على غرار حرب ١٩٦٧ .

إن العرب قد تغلبوا على قيود الخوف ، وأن على الإسرائيليين أن يتغلبوا على قيود الشك فى ذلك .

إن هناك طريقاً واحداً فقط لوضع حد لفقدان الروح المعنوية ولمعالجة الذهول الذى يصيب الإسرائيليين بالشلل وقد رأوا كيف انهار كل ما كانوا يؤمنون به .

هذا الطريق – يا سيدتى – هو الاعتراف العلنى والمخلص بالأخطاء ، والتوجه بإخلاص ورضى نحو التسوية السلمية اللازمة » .

(المخلص)
د. بنيامين شازار

ويقول يشعياهو بن فورات وزملاؤه فى كتابهم المحدال :

« هددت حرب الغفران ، خلال الأيام الأولى ، وجود دولة إسرائيل فى الصميم . كما كانت إسرائيل فى وضع حرج من الناحية السياسية أيضاً . فمنذ نشوب الحرب وحتى الآن . تقف إسرائيل معزولة فى الساحة الدولية ، ومعتمدة بصورة مطلقة على حسن نية حكومة الولايات المتحدة . وقطعت معظم الدول الأفريقية علاقاتها بنا . وحكومات دول أوربا الغربية التى رضخت لابتزاز سلاح النفط الذى استخدمته الدول العربية ، فضلت الحصول على النفط عن التضامن مع إسرائيل .

. . . .

لقد انهار خط الدفاع السياسى لإسرائيل بقوة . عند ما سقط خط بارليف فى سيناء كانت مأساة ومع ذلك فسقوط الخط العسكرى كان أهون إذا ما قورن بسقوط الخط السياسى لإسرائيل . الذى تركها مكشوفة دون دعم سياسى ، ودون تفهم لموقفها وبالذات فى هذا الوقت المصيرى جداًّ للدولة .

لقد كان هذا السقوط ساحقاً ومطلقاً ومأساوياًّ .

. . . .

ثم ننتقل إلى أكثر من تحليل لخبراء وكتاب عسكريين عالميين لنتائج حرب أكتوبر :

[ما من حدث خلال ربع القرن الأخير استطاع أن يهز العالم ، ويحركه ، ويؤثر فيه بقسوة بمثل ما استطاعت هذه الثمانية عشر يوماً التى استغرقتها الحرب العربية الإسرائيلية الرابعة أن تفعله .

ولم يحصل العرب فى وقت من الأوقات على تأييد العالم وإعجابه بمثل ما حصلوا عليه فى هذه الحرب .فلقد تولدت عن عبور الجيش المصرى لقناة السويس ، وتقدم القوات السورية فى الجولان قوة دفع كافية لجعل القوى العظمى ، وأوربا الغربية ، ومجموعة الدول غير المنحازة والدول الأفريقية ، تشعر فى ساعات معدودة بتأثير هذا الحدث عليها . فقطعت (٢٩) دولة علاقاتها الدبلوماسية بإسرائيل ، وأعلنت دول عدم الانحياز تأييدها غير المشروط للعرب ، ووجدت دول غرب أوربا نفسها مدفوعة بحكم مصالحها – بعد استخدام سلاح البترول العربى فى الحرب – إلى التحول

جولدا مائير . . .
لم تستطع أن تبكى ! !

كانت إسرائيل تعتبر سلاحها الجوى رمزاً لقوتها . . ولذلك كان لتساقط طائراتها صدى مؤلم ودلالة مخيفة .

قالوا إنه إله الحرب ومعشوق إسرائيل
وكان انهيـاره نهـاية لأسطورته

عن موقفها التقليدى المؤيد لإسرائيل . وتحرك مجلس الأمن فى القضية لأول مرة بشكل جدى منذ ٢٢ عاماً ، وتوترت علاقات أمريكا بحلفائها الأوربيين بسبب وقوفها إلى جانب إسرائيل ، حتى أنها لم تجد سوى جزر الأزور البرتغالية طريقاً لمد جسرها الجوى .

. . . .

ولقد كان فى مقدمة العوامل التى أحدثت هذا التأثير كله ، بغير شك ، المظهر الذى بدت عليه القوات المصرية والسورية فى ميادين القتال ، ومستوى الأداء ، والروح المعنوية العالية التى تحلت بها ، وكميات وأنواع الأسلحة التى استخدمتها وأجادت استخدامها بطريقة أثارت دهشة كافة الخبراء العسكريين فى العالم فضلاً عن دهشة الإسرائيليين أنفسهم . وفى المرحلة الأولى من الحرب وخلال الأسبوعين الأول – والثانى أبلت الجيوش العربية بلاء حسناً وليس من شك فى أن ما تحقق خلال هذه الأيام سيظل مفخرة للعسكرية العربية وأجيالها القادمة على طول الزمان .

وربما كانت الولايات المتحدة الأمريكية هى أول من فطن إلى ما أسفرت عنه حرب أكتوبر من تطورات ومتغيرات كاملة شاملة ، ولذلك جاءت استجابتها سريعة ، فلقد انزعج الأمريكيون من اندلاع القتال يوم (٦) أكتوبر ، وتابعوا نتائجه بقلق ، لكن ما أثار قلقهم على وجه التحديد لم يكن التقدم المدهش للقوات المصرية ولا حجم الخسائر التى منيت بها إسرائيل فى الأرواح والعتاد ، أو إخفاق إسرائيل فى الدفاع عن خط بارليف والاحتفاظ به ، أوحتى فقدانها لمئات من طائرات الفانتوم والسكاى هوك وإنما كان ما أثار قلقهم فى الأساس هو أن العرب أصبحوا يمسكون قضيتهم فى أيديهم ، وباتوا يمتلكون القدرة – ولأول مرة – على المبادرة واختيار الوقت والمكان المناسبين لبدء تحركهم .

. . لقد عاشت أمريكا دائماً على اعتقاد أن التضامن العربى لن يكون حقيقة يوماً ما . وأنه يكفيهم تسليح إسرائيل لكى يضمنوا مصالحهم فى المنطقة ولذلك كان من الصعب أن تصدق أن دولاً مختلفة كالجزائر والمغرب وتونس والسودان وليبيا ستسارع إلى التنافس على مساعدة مصر وسوريا فى الحرب ، وأن سلاح البترول العربى سيدخل المعركة .

. . وهكذا تفقد إسرائيل – لأول مرة منذ قيامها – دور حامى المصالح الأمريكية

بل إنها بدلاً من أن تحمى هذه المصالح ، أصبحت هى نفسها فى حاجة إلى حماية أمريكية عاجلة ! !]

(توقيع)
الكولونيل بريج كومار نارايان
فى كتابه « الحرب الرابعة »

* * *

« لقد تركت حرب أكتوبر آثاراً عميقة ليس على الشرق الأوسط ودوله فحسب حيث بددت عدداً من الأساطير والأوهام ، وإنما أيضاً على حلف الأطلنطى حيث أدت إلى ظهور اتجاهات فى الفكر العسكرى ، وهى اتجاهات كانت فى بعض الحالات كامنة منذ الحرب العالمية الثانية ، ذلك لأن بعض النظريات والمفاهيم التى ظلت مقبولة لفترة طويلة بدأت تتعرض للشك فى قيمتها ومن بينها الهدف من إنشاء حلف الأطلنطى ذاته .

كما أن حرب أكتوبر تركت آثارها ليس على الإستراتيجية العربية والإستراتيجية الإسرائيلية والنظريات والتكتيكات العسكرية فحسب ، وإنما تركتها أيضاً على عوامل أخرى مثل الروح المعنوية واستخدام أسلحة معينة فى ميدان القتال ، وتصعيد استخدام – الأسلحة الإليكترونية وقد شهدت هذه الحرب بعث المقاتل العربى باستعادته لثقته فى نفسه وقدراته .

لقد أحدثت حرب أكتوبر عدداً من التغييرات فى الغرب أبرزها أن حلف الأطلنطى أصيب بشرخ كبير جعله هشاً وما يزال كذلك حتى الآن . فقد كانت هذه الحرب بمثابة صدمة للحلف الأطلنطى . . وخاصة حينما طلبت أمريكا من حلفائها أن يقدموا لطائراتها تسهيلات الهبوط والتزويد بالوقود لتمكينها من إقامة الجسر الجوى الطويل لنقل الإمدادات والأسلحة والذخائر الحيوية من أمريكا إلى إسرائيل ، اعتذرت بعض الدول الحليفة عن عدم تقديم هذه التسهيلات ، ورفضت الدول الأخرى رفضاً صريحاً ولم تتمكن أمريكا من إقامة جسرها الجوى إلا باستخدام مطار واحد فى جزر الأزور – بعد أن ساومت حكومة البرتغال .

ومن جهة أخرى . . كانت السرية – التى أحاطت بها أمريكا جسرها الجوى الضخم دون أن تكلف نفسها بواجب إبلاغ الدول التى كان هذا المخزون موجوداً فى أراضيها

بما كانت تفعله ـ سبباً آخر فى تساؤل هذه الدول عما إذا كانت مصالح أمريكا الثنائية أهم لديها من الهدف من الحلف ذاته .

الخبير البريطانى العسكرى
أدجار أوبلانس

كان الرأى العام الغربى مهيأ دائماً لتوقع أسوأ النتائج من الجانب العربى ، لأنه كان مبهوراً بالإسرائيليين الذين بدوا من قبل وكأنهم فوق مستوى البشر . ولذلك فإن حرب أكتوبر أحدثت تأثيرات ضخمة . ومما يدعو للسخرية أن أصدقاء إسرائيل الذين بذلوا الكثير منذ عام ١٩٦٧ فى سبيل تشويه الحقيقة . . ووضع العرب فى تلك الصورة وإسرائيل فى الصورة المقابلة . . قد أسهموا بدورهم فى ضخامة هذه النتائج .

فبالإضافة إلى تحسن صورة العرب من خلال معاركهم فى سيناء وعلى الجولان ، تعرضت صورة إسرائيل لإعادة نظر وتقييم بالغة العنف والقسوة .

إن ما حدث لإسرائيل وما قاد إلى سقوط السيدة جولد مائير والجنرال ديان وبالتالى إلى نهاية عهد كامل كانت تسيطر فيه على الحياة السياسية فى إسرائيل المبادئ – الصارمة للصهيونية الأولى . . أمر لم يشعر به الإسرائيليون فقط . . وإنما أحس به العالم كله .

. . . .

إن المصريين بالتنسيق الجيد مع السوريين قد حققوا نجاحاً فوق المتوقع بعبور القناة واقتحام التحصينات القوية لخط بارليف.ولقد كان إنجازاً مثيراً – بأى – مقياس من المقاييس – أن يعبر جيش مانعاً مائياً كقناة السويس ، يصل اتساعه إلى مائة ياردة ويحميه ساتر ترابى يتراوح ارتفاعه بين ٣٠ و ٥٠ قدماً ، بغض النظر عن التحصينات الملاصقة والتى صرفت عليها إسرائيل حوالى ٤٠ مليون جنيه إسترلينى .

إن أى جيش يحقق ذلك – وفى ساعات قليلة بل فى وضح النهار إنما يحقق نجاحاً ضخماً ورائعاً . وعندما يكون الجيش الذى يقوم بمثل هذا العمل فى موقف الجيش المصرى الذى عانى من ذكريات مأساوية لما حدث له فى ١٩٦٧ – فإن النجاح يكون أكبر بل إنه يتعدى حدود النجاح المتعارف عليه . إنه يصبح نقطة تحول .

. . . وعلى الجانب الآخر . . نجد أن هزيمة إسرائيل تتضاعف نظراً للصورة الأسطورية التى كانت تظهر فيها دائماً . إنه مع كل موقع إسرائيلى يسقط ، ومع كل طائرة فانتوم كانت تتهاوى فى هذه الحرب . كان حجم الخسائر يبدو مضاعفاً وخاصة أن العالم لم

يتعود أن يرى ، إسرائيل فى غير تلك الصورة .

وهكذا أخذت افتراضات ومسلمات كاملة تهتز وتتحطم .

ولعل الآثار النفسية هى التى تضيف إلى المعنى الحقيقى لما حدث فى أكتوبر وإن — كانت هذه الحرب قد شهدت بالتأكيد تحولاً بارزاً فى ميزان القوى العسكرية فى المنطقة حيث سقط التفوق الإسرائيلى الذى أحست به إسرائيل دائماً .

(توقيع)
كريستوفر مايهيو
ومايكل آدمز
فى كتابهما (. . ليس للنشر)

« لقد أدرك الإسرائيليون أخيراً أن أمنهم لا يمكن أن يتحقق لمجرد الاحتفاظ بالسيطرة العسكرية ، بعد أن أصبحت حالة دولتهم التى لا تقهر موضع تساؤل » .

(توقيع)
جيمس شليزنجر
وزير الدفاع الأمريكى
فى ١٩٧٣/١٢/٢٦

« دخل العالم نتيجة حرب أكتوبر فى مرحلة سياسية واقتصادية جديدة ، ولن تعود أحوال العالم إلى سـابق عهدها قبل هذه الحرب .

(توقيع)
بيير ميسمير رئيس وزراء فرنسا
(فى حديث لمراسل وكالة « ن . ى . ت » فى تل أبيب ، بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢)

« لقد جاءت حرب رمضان بفجائية لا يصل إليها غير الأداء العسكرى العربى الممتـاز ووجد مائة مليون عربى أنفسهم أمام حقيقة عزيزة على أنفسهم وهى الوحدة ومهما يكن فإن السبب الرئيسى لهذه الوحدة العربية هو بوضوح وقبل كل شىء ذلك النجاح الذى تحقق لهم فى ميدان القتال ، وفى فرض الحظر العربى على إمدادات البترول . »

(توقيع)
مجلة النيوزيويك
فى ١٩٧٣/١٢/١٧

الفصل الثامن

« ماذا . . . . لو . . . . ؟ ! »

ماذا . . . لو ؟ ؟

ليس هناك أدنى شك فى أن الأمة العربية قد حققت فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، إنجازات ضخمة وهائلة انعكست بشكل واضح وحاد على وضع إسرائيل التى وجدت نفسهـا لأول مرة فى مواجهة الطوفان العربى ، ولم تستطع مع كل أنواع الدعم والإنقاذ التى تدفقت عليها أن تعدل من مسار هذا الطوفان ، ووجدت نفسها فى النهاية لا تقوى على تحديد وتقليص النتائج التى بدأت وستظل تفرض بصماتها على المجتمع الإسرائيلى . حتى أن البعض من الخبراء (من أصدقاء إسرائيل) قد بدأوا يتساءلون فى قلق (عما إذا كانت ستظـــل باقية إلى نهاية القرن بعد أن بدأ الطوفان العربى ؟) ، . . وليس هذا هو التحليل الوحيد الذى يشير إلى هذه « النتيجة » ، فلقد تدفقت مع تدفق الطوفان دراسات وتحليلات داخل إسرائيل وخارجها تؤكد جميعها خطورة وعظمة ما قام به الإنسان العربى فى أكتوبر ١٩٧٣ . ولعلنى لست بحاجة إلى أن أعيد ما سبق أن سجلته من هذه الدراسات والاعترافات والتحليلات .

. . . .

ولكننى – مع ذلك كله – أقول : ماذا . . لو . . . ؟ ؟

إننى كشاب عربى عاش نكسة ١٩٦٧ بكل مرارتها العلقمية ، وتماسك بصعوبة خارقة (مثلما تماسك بقية الشعب العربى ثقة فى ماضيه وحاضره ومستقبله) – ثم عاش انتصار ١٩٧٣ . . لتزول مرارة النكسة من حلقه وخلايا مخه وجسده – أجدنى مع ذلك أمعن النظر فى وقائع هذه الحرب ، ولا أمنع النفس من وقفة تمنى (ماذا . لو ؟) . . . . ولعل ما يشفع لى هذه الوقفة ، إدراكى العميق بأن العمل العظيم يكون مفيداً ومثمراً ويحتفظ بعظمته وعمقه ليس بقدر ما حقق وحسب ، وإنما بقدر ما يدلنا على الخطوات القادمة أو المسافة الباقية بين ما تحقق وما كان يمكن أن يتحقق أكثر .

. . . .

ومن أجل أن نضع أيدينا على هذه المسافة ، وبدون أى شبهة انتقاص من دور لدولة

عربية أو أخرى ، أو محاولة الجلوس على مقعد جنرال ينثر آراءه وأحكامه ذات اليمين وذات اليسار . . ، أقول . . ماذا . . لو . . ؟

ماذا . لو أن الأمة العربية قد تجاوزت **قبل الحرب بفترة كافية** ، كل تلك الحساسيات والتيارات التى عوقت وحدة التفكير والعمل . . والتى جعلتها تتحرك – بعد اندلاع الحرب بأيام – وبإحساس الأخ الذى يسارع إلى الوقوف إلى جانب أخيه بعد أن شاهده فى معمعة حمى وطيسها ، لو أن الأمة العربية . . قد فعلت ذلك فى وقت مبكر . . وجمع بين قواتها المسلحة تخطيط وقيادة واحدة أو مشتركة وبالتالى كان العدو يجد نفسه منذ اللحظات الأولى أمام قوات عربية ، تمثل الأمة العربية كلها تمثيلاً فعليًّا وحقيقيًّا . وتعمل بتنسيق كامل سبقته تدريبات مشتركة . .

لو أن ذلك حدث . . لكان طوفان أكتوبر قد أضاف إلى نتائجه حسماً سريعاً ونهائيًّا لقضية الأمة العربية .

. . . .

إن دخول جزء من القوات العراقية إلى ساحة القتال على الجبهة الشمالية فى اليوم السابع للحرب . . قد هز إسرائيل ، وجعلها تعيد حساباتها وتتأكد من نهاية حلمها باستنزاف الجيش السورى تماماً . .

كما أن دخول لواء مدرع أردنى واحد إلى ساحة القتال – فى اليوم الثامن – أضاف للجبهة السورية دعماً طيباً ، وبالتالى ضاق الخناق على الثغرة الإسرائيلية فى هذه الجبهة .

بل إنه فى الوقت الذى حدث فيه تواجد وتنسيق مقبول بين الجيش السورى والقوات العراقية واللواء الأردنى والوحدات السعودية والمغربية والكويتية والفلسطينية . . وأصبح ممكناً القضاء على الثغرة نهائياً بل واستعادة المواقع التى استعادتها القوات السورية فى الأيام الأولى للحرب ثم تخلت عنها أمام ضغط القوات الإسرائيلية التى استقبلت منذ الساعات الأولى أعداداً كبيرة من المتطوعين اليهود . . ثم تلقت فى اليوم الخامس الإمدادات الأمريكية الضخمة .

أقول فى هذا الوقت الذى أصبح فيه ذلك كله متاحاً . . كان المجتمع الدولى قد تدخل . . بقرار مجلس الأمن لوقف إطلاق النار ! ! !

وامتداداً لنفس هذا المفهوم . . أقول :

ماذا . . لو أن الجبهة الشرقية كانت قد دخلت الحرب فى نفس التوقيت الذى

اندلعت فيه على الجبهة الشمالية (السورية) والجبهة الجنوبية (المصرية) ؟

المؤكد إنه لو لم تكن تلك الخلافات والتيارات والحساسيات التى حكمت الأمة العربية لفترة طويلة ، لكان هناك تخطيط وتنسيق مسبق . . ولفوجئ العدو باشتعال الجبهة الشرقية هى الأخرى وقد وقفت فيها القوات الأردنية ومعها قوات عراقية وسعودية وجزائرية ومغربية وليبية . . وتونسية . . ويمنية وكويتية ومن دول الإمارات العربية ؟

ويكفى للتدليل على خطورة « لو » هذه ، بالانزعاج الذى كان مسيطراً طوال أيام الحرب الأولى على القيادة الإسرائيلية خوفاً من انطلاق قذيفة واحدة من الجبهة الشرقية . . !

. . . .

ثم ماذا . . لو أن سلاح البترول بدأ استخدامه فى وقت مبكر ؟

لقد بدأت اجتماعات الدول العربية المنتجة له فى يوم ١٧ / ١٠ / ٧٣ أى بعد مرور أكثر من أحد عشر يوماً من الحرب . . ومع ذلك ، وبالرغم من التدرج البطىء فى نسبة التخفيض . . فإن العالم كله وعلى رأسه أمريكا نفسها . . اهتز . . وبدأ ينظر للموقف العربى بصورة أخرى حتى إن دولا أوربية تخلت عن صداقتها التقليدية لإسرائيل ، بل اختلفت مع الحليفة الأكبر - (الولايات المتحدة) فى شكل وضرورة الجسر الجوى الذى صرخت إسرائيل مطالبة بسرعة مده إليها . .

. . . .

فـ . . . ماذا لو حدث ذلك فى الأسبوع الأول مثلا . . ولو بشكل إنذارى ؟ . . ماذا لو أن هذه الخطوات كانت جاهزة ومعدة بكل دراساتها واحتمالاتها قبل وقوع الحرب . . وليس بعدها . . ؟ ماذا ؟

. . . .

و . . ماذا . . لو استخدمت الدول العربية سلاح أرصدتها الهائلة فى أمريكا وأوربا الغربية .

إن مجرد التفكير فيه . . أثار حالة من القلق والأرق فى هذه الدول .

ولكنه للأسف . . لم يتحول من الفكرة إلى واقع أو حتى جزء من الواقع . .

وتصور معى أخى القارئ . . ماذا لو انضم هذا السلاح - فى الوقت المناسب - إلى سلاح البترول - أو حتى ماذا لو أن الدول المعنية كانت تعرف أو تشعر مقدماً بأن العرب - لو أرادوا - سوف يستخدمون سلاح أرصدتهم بشكل إجماعى موحد . . وفى الوقت المناسب لهم . ؟ !

ثم ماذا لو أن سوريا وقد نسقت للمعركة مع مصر ، وكان بدء هجومها فى ساعة الصفر التى بدأ فيها الهجوم المصرى لطمة عنيفة للفكر والأداء العسكرى الإسرائيلى . . ماذا لو قبلت وجهة نظر المشير أحمد إسماعيل على – رحمه الله – وقد كان الرجل قائداً للجبهتين – بأن يتم الاستيلاء على الجولان فى سرعة وثبات مع تحطيم قوات العدو فيما يسمى بمناطق قتل فى كل وثبة ، ثم تطهير المواقع التى يتم تحريرها من فلول القوات الإسرائيلية . . حتى لا تكون عودته إليها ميسورة أو مأمونة ؟ وماذا لو أن القوات السورية استغلت نجاحها الساحق فى اليومين الأولين من الحرب . . وعملت على تعزيز مواقعها واستحكاماتها (وبالطبع كان ذلك يتيسر أكثر لو أن القوات العراقية والأردنية وغيرها كانت موجودة فى الجبهة قبل الحرب بوقت كاف ؟)

. . . .

وأيضاً ماذا لو أن الاتفاق الذى تم بين القيادتين المصرية والسورية بشأن الضربة الجوية قد تم تنفيذه بدقة على الجبهة السورية . .

ماذا لو قامت الطائرات السورية بتدمير مطارات إسرائيل فى شمال الجليل . . لقد كان فى هذه المطارات أكثر من مائة وخمسين طائرة . . وكانت هدفاً قريباً ومكشوفاً ومن السهل تدميرها على الأرض فى الضربة الجوية المفاجئة وخاصة أن مصر قدمت للسلاح الجوى السورى قبل الحرب أطناناً من القنابل المخصصة لضرب ممرات الطائرات ؟

. . ماذا لو تم ذلك وأضيف إلى ما حققته بطولات المقاتل السورى طوال معاركه مع العدو ؟

ماذا . . . لو . . تم ذلك ؟ !

* وماذا لو أن المقاومة الفلسطينية قد وحدت فصائلها ونسقت تماماً مع دول المواجهة وأضافت لأعمالها ضربات أكبر داخل إسرائيل ولخطوط إمداد ومواصلات قواتها . . ؟ !

* ثم ماذا لو أن المقاومة الشعبية فى القرى التى تسللت إليها قوات الثغرة الإسرائيلية على ضفة قناة السويس الغربية ، كانت معدة ومجهزة بالشكل الرائع الذى كانت عليه داخل مدينة السويس ؟ !

. . . .

* و . . ماذا لو أن الإتحاد السوفييتى تجاوز فى صداقته لمصر تلك المخاوف والشكوك . . وقدم لها دعماً عسكرياً يصل إلى نصف ما قدمته أمريكا إلى إسرائيل ؟ !

* ثم . . تساؤل واحد . . **أتجه به هذه المرة إلى إسرائيل** . . فأقول لقادتها ماذا . .
لو لم تتم أكبر عملية نقل دم « مسلح » لجيش الدفاع الإسرائيلي ؟ ماذا كان سيؤول إليه حالها لو أن أمريكا لم تسارع بمد جسرها الجوى والبحرى لإنقاذ جيش الدفاع

إننى أكتفى باستعادة ما قاله الجنرال الأمريكى إيفيل بانجر لمراسل اليونايتدبرس :
« إن إسرائيل بقيت قائمة كدولة لأننا لم نخنها فبدون الأسلحة والنفاثات الأمريكية كان محتوماً أن تفنى إسرائيل » .

. . . .

وأخيراً . . يبقى أن أقول مرة أخرى . . إن تساؤلاتى التى طرحتها ويطرحها معى بالتأكيد كل مواطن عربى . . لا تنقص إطلاقاً من قيمة الإنجاز العظيم الذى حققته القوات المصرية والسورية . . بالإضافة إلى الوحدات العربية التى شاركت فى الحرب .

أبداً . . لا تنتقص هذه التساؤلات من دور سلاح البترول . . ومساعدات الدول النفطية العربية .

أبداً . . لا تعنى هذه التساؤلات أن الطوفان العربى لم يجعل إسرائيل تترنح . . أو أن آثاره العميقة بالنسبة لها . . سيحدها زمان أو مكان .

أبداً لا تقلل هذه التساؤلات من الدور البطولى للقوات التى قاتلت بشراسة وشجاعة لن ينساها جنود وضباط إسرائيل .

أبداً لا تنتقص هذه التساؤلات من عظمة الإعداد والتخطيط المصرى للحرب . . أو من الجهد الذى بذل فى إعداد المقاومة الشعبية . . بدليل ما قامت به داخل السويس كما أشرت .

. . . .

الشيء الوحيد الذى يؤكده تساؤلى هو أن إسرائيل برغم ذلك – قد نجت من هزيمة ساحقة (لو) لم تمتد إليها يد الإنقاذ على جسر جوى وبحرى لم يسبق له مثيل فى التاريخ .

وأصل إلى نهاية سلسلة « ماذا . . لو . . . ؟ !

وأنت أيها القارئ العزيز . . تستطيع أن تضع لها عنواناً آخر . .

تستطيع أن تجعل عنوانها . . « حلم شاب عربى » فهى تساؤلات لا تتوقف عند الماضى . . ولكنها تمتد وتتلهف لتحقيقها فى المستقبل .

. . إن الأمة العربية رأت ولمست ما تستطيع أن تفعله « لو » تجاوزت الحساسيات . .

أربع صور تجسد نتائج طوفان
أكتوبر . بلا أي تعليق !

والتيارات . . واتجهت نحو وحدة كاملة . . وضع المقاتل العربى أساسها الصلب المتين فى السادس من أكتوبر ١٩٧٣ .

. . إن ما تم فى العاشر من رمضان . . السادس من أكتوبر . . بمثابة « بروفة » أو « مثال » لما يمكن أن تحققه الأمة العربية . . لو توحدت كلمتها . . وتوحد عملها . .

ولأن الإنجاز العربى فى هذه الحرب المجيدة . . عظيم وعميق . . فإنه قد كشف لنا بضوء ساطع – استمد وقوده الهائل من بطولات الرجال ، ودماء الشهداء – ما يدلنا على سبل تحقيق المزيد مما كان ممكناً تحقيقه . . وما نستطيع به أن نؤكد مكانة الأمة العربية باعتبارها القوة السادسة فى العالم .

المصادر والمراجع

أولاً : اللقاءات الشخصية :

١ – لقاءات مباشرة مع عدد كبير من قادة وضباط وجنود القوات المسلحة المصرية أذعت بعضها فى البرنامجين اللذين بدأت تقديمهما مع اندلاع شرارة حرب أكتوبر وهما : (يوميات مراسل حربى) ثم (صوت المعركة) .

٢ – لقاءات مع بعض الضباط والجنود من القوات المسلحة السورية .

٣ – لقاءات مع بعض الضباط والجنود الإسرائيليين الذين قام بأسرهم المقاتلون المصريون .

٤ – لقاءات مع بعض المراسلين والمحررين العسكريين الأجانب .

ثانياً : الكتب والصحف والمجلات . كما تحددها الصفحات التالية . . . . .

أولاً : المراجع الإسرائيلية :

(أ) الكتب :

١ – حرب التكفير « تأليف حايم هيرتسوج رئيس المخابرات الإسرائيلية السابق والمتحدث العسكرى باسم الجيش الإسرائيلى والمعلق والكاتب العسكرى ومندوب إسرائيل « بعد حرب أكتوبر » فى الأمم المتحدة » .

٢ – « زلزال فى أكتوبر » تأليف المحرر العسكرى الإسرائيلى المعروف زئيف شيف .

٣ – « التقصير » تأليف يشعياهو – بن – فورات ، يهوناتان جيفن ، أورى دان ، إيتان هيفر ، حيزى كرمل ، إيلى لنداو ، إيلى تابور .

٤ – إسرائيل ونهاية الأساطير « تأليف أمنون كابليوك .

٥ – إسرائيل تتجه للسفر إلى الخارج : دراسة ميدانية نشرتها جريدة هآرتس / الإسرائيلية .

٦ – بناء الجيش الإسرائيلى – إيجال آلون .

٧ – حياتى – جولدا مائير .

٨ – قصة حياتى – موشيه ديان

(ب) الصحف والمجلات الإسرائيلية التى صدرت منذ ٢١ سبتمبر ١٩٧٣ وحتى (مارس ١٩٧٦ :

وهى : معاريف – هآرتس – بمحانيه – هعولام هازيه – يديعوت أحرونوت – جويش كرونيكل – جيروزاليم بوست – عل همشمار – دافار – هاتسوفيه .

(حـ) تقارير رصد إذاعة إسرائيل العبرية وإذاعة الجيش الإسرائيلى وتليفزيون إسرائيل.

ثالثاً : المراجع العربية :

(ا) الكتب :

١ – حرب رمضان : اللواء حسن البدرى وآخرون .

٢ – الحرب العربية الإسرائيلية الرابعة (وقائع وتفاعلات) – سلسلة كتب فلسطينية .

٣ – حرب الساعات الست : عبد الكريم درويش وليلى تكلا .

٤ – مصر بعد العبور – سعد شعبان – أحمد كمال الطوبجى – على محمد محبوب .

٥ – الحرب خدعة : إبراهيم شكيب .

٦ – حرب أكتوبر (دراسات فى الجوانب الاجتماعية والسياسية – مركز الدراسات السياسية والاجتماعية بالأهرام ، والمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية القاهرة) .

٧ – دروس الحرب الرابعة – المقدم الهيثم الأيوبى .

٨ – حرب أكتوبر فى الإعلام العالمى – د . حمدى الطاهرى .

٩ – رحلة الساق المعلقة – عميد أركان حرب عادل يسرى .

١٠ – وثائق حرب أكتوبر – موسى صبرى .

١١ – أسرار حرب رمضان – إبراهيم البرجاوى .

١٢ – الشخصية العربية بين المفهوم الإسرائيلى والمفهوم العربى – السيد ياسين .

١٣ – المفاجأة – ماهر عبد الحميد .

١٤ – تاريخ الثورات المصرية – عبد الواحد إسماعيل القاضى .

١٥ – الجبرتى – طبعة دار الشعب .

١٦ – مصر القديمة – سليم حسن .

١٧ – هيرودوت فى مصر – وهيب كامل .

١٨ – فى موكب الشمس – د . أحمد بدوى .
١٩ – إمتاع الأسماع – للمقريزى .
٢٠ – مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب – جمال الدين محمد بن سالم بن واصل – تحقيق د . جمال الدين الشيال .
٢١ – صلاح الدين الأيوبى – د . جمال الدين الرمادى .
٢٢ – ماذا بعد حرب رمضان – أحمد صدقى الدجانى .
٢٣ – سلاح البترول والصراع العربى الإسرائيلى – د . حامد ربيع .
٢٤ – عندما سقطت السماء فوق إسرائيل – محمد فيصل عبد المنعم .
٢٥ – حرب الساعات الست – عبد الستار الطويلة .
٢٦ – سقوط جدار الوهم – كمال سعد .
٢٧ – حرب الجولان أو تحرير الإرادة العربية – فاروق البربير .
٢٨ – اليوم السابع / يوميات مذيع فى جبهة القتال – حمدى الكنيسى .
٢٩ – وانطلقت المدافع عند الظهر – اللواء أ . ح.محمد عبد الحليم أبو غزالة .
٣٠ – سرى جدًّا – محمود عوض .
٣١ – دروس الحرب الرابعة – المقدم الهيثم الأيوبى .
٣٢ – إسرائيل بعد الزلزال – عبد الرحمن سليمان ، أحمد الحملى .
٣٣ – أضواء على الأدب الصهيونى المعاصر – إبراهيم البحراوى .
٣٤ – صهيونيون حتى أطراف أصابعهم – محمود فوزى .
٣٥ – معارك العرب ضد الغزاة – محمد عماره .
٣٦ – معارك رمضان فى سيناء والجولان – المستشار عبد المجيد مرعى .
٣٧ – السويس مدينة تحت الحصار – رياض سيف النصر .
٣٨ – الرجال والفانتوم – سعد عبد الكريم .
٣٩ – بطولات حرب رمضان – حسين طنطاوى .
٤٠ – الشرارة طريق النصر – دار الصياد .
٤١ – أسرار حرب رمضان – حسام حازم .
٤٢ – بعد أن تسكت المدافع – محمد سيد أحمد .
٤٣ – وتحطمت الطائرات فى سماء دمشق وسقط بارليف عند الظهيرة – عبد الله الأسدى .

٤٤ – الحرب النفسية فى المنطقة العربية – د . حامد ربيع .
٤٥ – اليهودية والصهيونية وإسرائيل – د . عبد الوهاب المسيرى .
٤٦ – من يحكم فى تل أبيب – د . حامد ربيع .
٤٧ – حرب السلام – حسنى نصار .
٤٨ – دراسة فى الشخصية الإسرائيلية « الإشكنازيم » – د . قدرى حفنى .

(ب) الصحف والمجلات العربية :

١ – ملف مجلة المصور (من ١٩٧٣ – إلى ١٩٧٦) .
٢ – ملف مجلة الهلال (١٩٧٣ – ١٩٧٦) .
٣ – ملف مجلة النصر (١٩٧٣ – ١٩٧٦) .
٤ – ملف مجلة آخر ساعة (١٩٧٣ – ١٩٧٦) .
٥ – ملف مجلة روز اليوسف (من ١٩٧٣ – ١٩٧٦) .
٦ – ملف مجلة صباح الخير (١٩٧٣ – ١٩٧٦) .
٧ – ملف مجلة الطليعة (١٩٧٣ – ١٩٧٦) .
٨ – ملف مجلة الحوادث (اللبنانية) (١٩٧٣ – ١٩٧٦) .
٩ – ملف مجلة كل شيء (اللبنانية) (١٩٧٣ – ١٩٧٦) .
١٠ – ملف مجلة السياسة الأسبوعية (١٩٧٣ – ١٩٧٦) .
١١ – ملف مجلة الشئون الفلسطينية (١٩٧٣ – ١٩٧٦) .
١٢ – ملف مجلة فلسطين الثورة – الصحيفة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية .
١٤ – ملف جريدة الأهرام (١٩٧٣ – ١٩٧٦) .
١٥ – ملف جريدة الأخبار (١٩٧٣ – ١٩٧٦) .
١٦ – ملف جريدة الجمهورية (١٩٧٣ – ١٩٧٦) .
١٧ – ملف جريدة القوات المسلحة (١٩٧٣ – ١٩٧٦) .
١٨ – ملف جريدة الأنوار اللبنانية (١٩٧٣ – ١٩٧٦) .
١٩ – ملف جريدة النهار اللبنانية (١٩٧٣ – ١٩٧٦) .

(ج) الدراسات والكتيبات التى صدرت عن هيئة الاستعلامات المصرية ووزارة الحربية المصرية .

(د)الدراســات والكتيبــات والنشرات التى صدرت عن مؤسســة الدراســات الفلسطينية - بيروت .
(هـ)خطب الرئيس محمد أنور السادات من عام ١٩٧١ حتى آخر عام ١٩٧٥ .
(و)حلقات من مذكرات الرئيس محمد أنور السادات التى نشرت بجريدتى الأهرام والأخبار .
(ز)محاضر ندوة أكتوبر الدولية التى عقدت فى القاهرة - فى عام ١٩٧٥ .

الكتب الأجنبية

(A)

1 – Les Jours Terribles d'Israel – De Jean-Claude Gulleb aud.
2 – Confrontation – Walter Laquer.
3 – Insight on The Middle East War.
4 – Peace In The Middle East ? – Noam Chomsky.
5 – Publish it not .. (The Middle East Cover – Up.
(Christopher Mayhew– Michael Adams)
6 – Arab Attitudes to Israel – Y. Harkabi.
7 – Kissinger – Marvin Kalb & Bernand Kalb.
8 – The Fourth war – B. Komar Narayan.
9 – Yom Kippur war – By the Insight Team of the Sunday Times.
10 World Armaments and disarmament (Stockholm International) Peace Research Institute).
11 – The Making of a war – John Bulloch.
12 – Die Schlacht am Israel – Gerhard Konzelman.

الصحف والمجلات الأجنبية

(B)

1 – Sunday Times.
2 – Sunday Telegraph.
3 – News Week.
4 – Times.
5 – Aviation week.
6 – Time.
7 – Time Jewish Observer.
8 – Survival.
9 – Le Monde.
10 – Le Figaro.

الفهرس

الصفحة

لماذا الطوفان ٧

الفصل الأول

تمهيد

إسرائيل دولة كبرى ؟ ! ١٣

* لافتة فوق نقطة حصينة ١٣
* كل شيء على ما يرام ١٤
* ونحن لا نبالى . . لا نبالى ١٥
* لا نخجل من شيء ١٥
* من الخرطوم . . إلى بغداد . . إلى الجزائر . . والعكس ! ١٦
* لو أطلقوا قذيفة واحدة ؟ ! ١٦
* أيها الجبناء ماذا تنتظرون ؟ ! ١٦
* أنا بمفردى . . أوقفهم ! ١٧
* السادات لم تواته الشجاعة ١٨
* نحن الأقوى ١٨
* على مصر أن تستعير طيارين ألمان ! ١٨
* استعراض القوة فى آخر ذكريات النصر ١٩
* لغة الجيش . . الذى لا يقهر ٢٠
* ميدالية ديان ٢٠
* . . تعلموا من جيش الدفاع . . أيها السادة ٢٠
* لن تقع أية حرب ٢١

الصفحة

* أفضل طيارين فى العالم ٢١
* العلم الإسرائيلى فوق السد العالى ٢١
* لا أمل . . لاحل . .أو هى القنبلة الذرية ! ! ٢٢
* كيف كان ينظر العرب إلى إسرائيل . . وإلى أنفسهم ؟ ! ٢٣
* تمزيق الماضى والحاضر والمستقبل ٢٣
* مطلوب عشر سنوات ٢٣
* هل تتحول المدافع إلى مواسير مياه ٢٤
* وانهمكوا فى اختيار أجمل كلب ٢٤
* الألم واليأس ٢٤

فجأة . . إسرائيل دولة صغرى ٢٥
* جيش الدفاع الإسرائيلى سيحل أزمة المساكن والمواصلات فى مصر . . . ٢٥
* سنضربهم ضرباً مبرحاً . سنسحق « كليتهم » ٢٦
* مؤتمر سحق العظام ٢٦
* نهاركم – أيها العرب – أسود ٢٧
* بأنفسهم – سعى العرب – إلى مصيرهم ٢٧
* حزنت عليكم ٢٨
* السادات . . يصرخ . . « أنقذونى » ! ! ٢٨
* نهاية دولة إسرائيل الكبرى ٣٠
* لم أستطع أن أبكى ٣١
* بطل إسرائيل ينهار ٣١
* إسرائيل دولة صغيرة أكثر من اللازم ٣٣
* وظهر حجمها الصغير . . أيضاً . . فى مدارسها ٣٣
* اسألوا حرب أكتوبر ٣٥
* قرون إسرائيل انخفضت ثم تلاشت ٣٥
* أخشى أن يحطم العرب عظامنا ٣٦
* العقاب . .على السنوات السمان ٣٦

الصفحة

* حين تكون الدولة بدون تقاليد ٣٧
* إسرائيل التي كانت . . لن تكون ٣٧
* دير شبيجل ترى الصورة الجديدة ٣٨
* الدولة التي تحولت إلى سلم خشبي غير مترابط ٣٩
* الاحتفال الحزين ٣٩
* لن تكون كما كانت ٤٠
* إنهم معذورون في قلقهم وخوفهم ! ! ٤٠

الفصل الثانى

فى البدء كان القرار

* رسالة هامة من نيويورك من المستمعة غادة أ . رشيد ٤٦
* السادات . . و « سقنن رع – تاعا الثانى » ٤٨
* هل تريدون الذل والعار ؟ ٤٩
* هل يتحد العرب ؟ ٥٠
* خطوة أخرى إلى الأمام جداً ٥٥
* الضربة التي بدت وكأنها طائشة ٥٥
* وخاض جولة أخرى من أجل القرار الأكبر ٦١
* التصرفات الغريبة ، وتزايد الشكوك ٦٣
* وتوالت المفاجآت المذهلة ٦٣
* الحلقة الأخيرة فى دائرة التمهيد والإعداد ٦٩
* القارة السمراء تحتضن القضية العربية ٦٩
* وأوربا تخطو على طريق تفهم الحق العربى ٧٠
* وكان القرار ! ! ٧١
* نظرة أخرى على القرار ٧٢
* أمر القتال ٧٣

الصفحة

* أخطر اجتماعات المجلس الأعلى للقوات المسلحة ٧٤
* قالوا . . عن الرجل والقرار ٧٥

الفصل الثالث
حرب العقول

* هكذا دار الإعداد والتخطيط ٨٥
* كراسة الجمسى ٨٥
* أخطر مانع مائى فى التاريخ ٨٦
* الساتر المانع الترابى. ٨٨
* سلاح إسرائيل السرى ٨٩
* قبضة إسرائيل الحازمة ٩١
* صورة عامة لقبضة إسرائيل الحازمة ٩٣
* قلاع القرون الوسطى ٩٤
* وقفة أمام أحد حصون بارليف ٩٦
* لماذا أقام الإسرائيليون خط بارليف. ٩٨
* كيفَ حاربت العقول المصرية معركة الإعداد والتخطيط ١٠١
* الجولة الأولى : كيف التغلب على المانع المائى ؟ ١٠٢
* الجولة الثانية : هل تحترق بهم القناة ؟ ١٠٤
* الجولة الثالثة : فى مواجهة الساتر المانع الترابى ١٠٨
* الجولة الرابعة : هل تنطلق قبضة إسرائيل الحازمة . . ؟ ١١٣
* العدو . . صورته . . كيف يفكر ؟ كيف يخطط ؟ ١١٩
* الجيش الثور ١١٩
* علينا أن نهاجم دائماً ١١٩
* كيف درس فريق العقول المصرية تفكير العدو وتخطيطه ١٢٠
* حين نسى الجنود الإسرائيليون أسماءهم ١٢٢

الصفحة

* النظام العسكرى الإسرائيلى ١٢٣
* الذراع الطويلة الرادعة ١٢٥
* هل حقاً « الفخر كل الفخر للمدرعات ! ! » ١٣٢
* المخابرات الإسرائيلية وتضاؤل فرص المفاجأة ١٤١
* حرب العقول تصل إلى ذروتها ١٤٣
* سير العمليات العقلية فى تحقيق المفاجأة ١٤٥
* الدور الخاص والبارز الذى لعبه السادات ١٤٥
* السادات والعمل السرى ١٤٧
* عمليات للخداع والتمويه قام بها السادات شخصياً ١٤٩
* ساتر السرية والإخفاء ١٤٩
* الاستعداد للأكل لا للحرب ١٥٠
* التحرك سياسيًّا . . وكفى الله المؤمنين القتال ١٥٠
* اشتركت فى هذه اللعبة دون أن أدرى ١٥١
* السادات بين السبت والاثنين ١٥٢

شهادات للإعداد والتخطيط المصرى السورى ١٥٥
* ما بين غمضة عين وانتباهاتها . . حدث ما حدث ١٥٥
* شهادة لها قيمتها ١٥٦
* الاقتدار والحكمة ١٥٧
* ثلاث هزائم فى ثلاثة أيام ١٥٧
* الحب الذى وقعت فيه إسرائيل ١٥٨

وتوالت سلسلة العمليات العقلية من أجل المفاجأة ١٦١
* العالم بما فيه إسرائيل . . هدفاً للتمويه ١٦١
* تعليق على ما لا يحتاج إلى تعليق ١٦٦
* فصل آخر من خطة الخداع والتمويه والمفاجأة ١٦٧
* تضليل جواسيس الجو ١٦٨

الصفحة

* وتتوالى سلسلة عملية الإخفاء والتمويه ١٦٨
* الدهاء العربي يتغلب على الذكاء اليهودى ١٧٠
* ماذا قالت لجنة أجرانات ١٧٧
* يقول التاريخ ١٧٩
* كيف كان موقف القوات المصرية ١٨١
* كلمة أخيرة فى حرب العقول ١٨٩
* تفاصيل الخطة العربية كما حددها خبير إسرائيل ١٩٠

الفصل الرابع
وقائع وصور من سير العمليات القتالية

(١) من أوراق جيش الدفاع الإسرائيلى

المصادر التى استقيت منها هذه الأوراق ١٩٦

ماذا كان يدور فى إسرائيل من ٣ أكتوبر حتى ظهر ٦ أكتوبر؟ . . . ١٩٦
* بيان من جيش الدفاع الإسرائيلى ١٩٨
* فى سيناء ١٩٩
* موقف اللواء المدرع قيادة العقيد أمنون ٢٠٤
* موقف السرية التى تحركت نحو معبر الإسماعيلية ٢٠٥
* موقف لواء العقيد دان ٢٠٦
* موقف لواء العقيد جابى ٢٠٨
* محاولات أخرى ٢٠٨
* وانسحبت الدبابات وفوقها جثث الجنود ٢٠٩
* جميع قادة الدبابات من قوات جابى قتلوا أو أصيبوا ٢٠٩
* خسائر . . خسائر ٢١٠
* مفاجأة مذهلة فى البحر الأحمر ٢١٠
* قتلى وجرحى وتشنجات عصبية ٢١٢

الصفحة

* حصن أوركل ٢١٢
* حصن بودابست : إننى متنازل عن المساعدة الجوية ٢١٣
* حصن لسان بورتوفيق ٢١٤
* حصن بوركان ٢١٤
* حصن ميلانو ٢١٤
* خلافات بين الجنرالات ٢١٤
* ديان ينهار ٢١٦
* ورقة من مذكرات جولدا مائير ٢١٦
* وريقات من أجندة موشيه ديان ٢١٧

من أوراق دافيد أليعازر ٢٢١

* شيء ما فى الأفق ٢٢٨
* تحول خطير ٢٣٤
* النبأ الخطير ٢٣٦
* تقرير مزعج للغاية ٢٤٢
* اليوم الأسود ٢٤٩
* الرقص للأمام والخلف ٢٥١
* يوم أكثر سواداً . . . وديان ينهار تماما ٢٥٧
* جولدا تقبل الطيارين الأمريكيين ٢٦٩
* الحبل السرى ٢٧٣
* ونجوت بأعجوبة ٢٧٩
* السويس يجب ألا تكون ستالينجراد أخرى ٢٨٧
* النكتة الإسرائيلية ٢٩٢

صور ومواقف إسرائيلية متناثرة ٢٩٣

* وكان مقتل الرجل الحديدى رمزاً محزناً لإسرائيل . . . ٢٩٣
* من أوراق قائد لواء إسرائيلى مدرع ٢٩٩
* حكاية المقدم رؤبين ٣٠١

الصفحة

* واقتنص المصريون الليل من جيش الدفاع ٣٠٣
* وتخبطت كالحيوان المطارد ٣٠٥
* السويس فوهـة الأسد ٣٠٧
من أوراق القوات الإسرائيلية فى الجولان ٣١٤
* صور من الجبهة السورية ٣٢١
أكبر عملية نقل دم مسلح فى التاريخ. ٣٢٤
* قصة الإنقاذ بالتفصيل ٣٢٧
* كيف كان الجسر الجوى الأمريكى ٣٣٢
* الجسر البحرى ٣٣٥
* إلى هذا الحد كانت إسرائيل تطلب الإنقاذ ٣٣٦
* شهادات أخرى ٣٣٨
* خسائر إسرائيل فى الأسلحة والمعدات والقتلى والجرحى والأسرى . . ٣٣٩
الأسرى الإسرائيليون وأقوالهم ٣٤٦
* من مذكرات عساف ياجورى أشهر أسير إسرائيلى ٣٥٤

(٢) من أوراق القوات المسلحة المصرية

* الرجل الذى أدار الحرب ٣٦٢
* الحرب من الجانب المصرى ٣٦٤
* معارك الجو والبر والبحر يوماً بيوم ٣٦٤
كيف حاربت مختلف الأسلحة والأجهزة المصرية ٣٩١
الحرب السرية ٣٩٢
* نماذج تفصيلية لبعض أعمال المخابرات المصرية ٣٩٤
* كيف وصلت خريطة سريوس إلى أيدى المصريين ٣٩٧
* قرود على الأبراج ٣٩٧
* وتهاوت قلاع السرية الإسرائيلية ٤٠٠
* وقال رجلا المخابرات الإسرائيلية ٤٠١

الصفحة

السلاح الذى أفقد إسرائيل توازنها ٤٠٣
* وقائع وصور من ملفات الطيارين المصريين ٤٠٨
* صورة عامة يرويها القائد الأعلى للقوات المسلحة المصرية . . . ٤١٥
* حقائق أخرى عن الطيران المصرى ٤١٦
* شهادات تاريخية للطيران المصرى ٤١٦
« النيل اضرب » . . ثم انطلق أكثر من ألفى مدفع ٤١٩
* أرقام من واقع التمهيد النيرانى للمدفعية المصرية ٤٢٠
* دور المدفعية المصرية فى صد الهجمات المضادة ٤٢٠
* أمثلة لما قامت به المدفعية المصرية فى صد الهجمات المضادة. . . ٤٢٠
* صائدو الدبابات ٤٢٣
أكبر مصيدة للطائرات ٤٣٣
* قالوا عن شبكة الدفاع الجوى المصرى ٤٣٨
* صور من سجلات رجال الدفاع الجوى المصرى ٤٣٩
إنهم يدخلون فى كل مكان وبكل وسيلة ٤٤٢
* رجال الصاعقة « الكوماندوز المصريون » ٤٤٤
* وقائع وصور ٤٤٥
* كيف رأى جنود الجيش الإسرائيلى . . رجال الصاعقة المصريين . . ٤٤٨
السلاح الذى خنق إسرائيل ٤٥٣
* النكتة الإسرائيلية وبحرية إسرائيل . . ٤٥٣
* إنجازات البحرية المصرية فى غيبة أو فشل البحرية الإسرائيلية . . . ٤٥٧
* من أوراق البحرية المصرية ٤٥٨
أكبر حرب مدرعات فى التاريخ . . وتفاصيل أخرى عن عملية الثغرة . ٤٦١
* مقارنة مع أكبر حروب المدرعات التاريخية ٤٦١
العملية التليفزيونية ٤٦٩
* من يحاصر من ؟ ٤٧١
* صور لخسائر الإسرائيليين فى عملية الثغرة ٤٧٧

الصفحة

من المشاهد التاريخية الأولى لطوفان أكتوبر	٤٨١
* من أعمال سلاح المهندسين المصريين	٤٨٥
* موردخاى مقلوباً ولا يسمع شيئاً.	٤٨٤
* صورة تكررت مع جميع حصون خط بارليف.	٤٨٦
* صورتان بالألوان الحية لموقف واحد عاشته قوة إسرائيلية ثم قوة مصرية	٤٨٩
* صفحات من مذكرات قائد موقع لسان بورتوفيق	٤٩٠
* يوم من مذكرات مقاتل مصرى من قوة كبريت	٥٠٤

(٣) من أوراق القوات المسلحة السورية

* مشاهد من الجبهة الشمالية .	٥١٩

الفصل الخامس

وكانت الحرب الإعلامية – نقطة تحول هى الأخرى	٥٢١
* أنت تكذب مثل راديو القاهرة . . عفواً . . أنت تكذب مثل راديو تل أبيب	٥٢٣
* فكرة عامة عن جهاز الإعلام الإسرائيلى	٥٢٣
* كيف سار الإعلام الإسرائيلى أثناء الحرب	٥٢٤
* التناقض والارتباك.	٥٢٩
* مواقف وصور من أوراق الإعلام الإسرائيلى	٥٣٤
* ماذا تقول إذاعة القاهرة يا كوستا	٥٣٤
* هكذا تحرك الإعلام المصرى	٥٤٣
* تجربة شخصية	٥٤٦

الصفحة

الفصل السادس

العالم العربى فى المعركة

* الدور الذى لعبته كل دولة عربية فى المعركة ٥٥١
* المقاومة الفلسطينية ٥٥٣
* البترول العربى سلاحاً فى المعركة ٥٥٥
* نتائج الحرب البترولية ٥٥٧
* لهذا كان ولا يزال البترول سلاحاً خطيراً ٥٥٩

الفصل السابع

وحقق طوفان أكتوبر هذه النتائج

* الجانب العربى ماذا تحقق له ٥٦٤
* الجانب الإسرائيلى. ٥٦٦
* الهجرة من إسرائيل إلى الخارج ٥٦٧
* معاذ الله أن تفوت هذه الفرصة. ٥٧١
* وأصبح الاطمئنان لنظرية الأمن عقيدة صوفية ٥٧٢
* ماذا حدث – أو – ما هى نتائج حرب أكتوبر على إسرائيل . . ٥٧٢
* أين نقف اليوم بعد حرب ١٩٧٣ ؟ ٥٧٣
* إفلاس الشركة الأمريكية – الإسرائيلية للمصالح المشتركة . . . ٥٧٤
* الشكوك وفقدان الثقة ٥٧٤
* انهيار التقاليد الراسخة ٥٧٥
* وأظهرت الحرب نكسة أخرى لإسرائيل ٥٧٥
* إسرائيل تعود إلى مراحلها الأولى ٥٧٦
* العرب يحطمون حاجز الخوف ٥٧٦
* الجيوش العربية تدخل عصراً جديداً ٥٧٨

الصفحة

* قدرة العرب على شن حرب شاملة ٥٧٨
* عشر أساطير حطمتها الحرب ٥٧٩
* رسالة إلى جولدا مائير ٥٨٣

الفصل الثامن

ماذا . . . لو . . . ؟

* ماذا لو . . ؟ ٥٩٣
- المصادر والمراجع ٦٠١

المؤلــف

- حَمدى الكُنيّسى.
- رئيس الإذاعة الأسبق.
- المراسل الحربى للإذاعة فى حرب أكتوبر.
- صاحب أشهر برامج الحرب «صوت المعركة» و «يوميات مراسل حربى».
- الكاتب السياسى والعسكرى والرياضى.
- عضو مجلس إدارة اتحاد كتاب مصر لعدة دورات.
- مستشار مصر الإعلامى فى إنجلترا والهند (١٩٨٠ - ١٩٨٥).
- خبير دولى فى الإعلام باليونسكو (١٩٧٥ - ١٩٧٨).
- عضو مجلس إدارة النادى الأهلى لعدة دورات.
- عضو المجالس القومية المتخصصة.
- أمين عام مهرجان القاهرة للإذاعة والتليفزيون لعدة دورات.

من مؤلفاته:

١ - المجموعة القصصية «حينما يتوقف اللعب» (طبعتان).
٢ - قالوا فى عبد الناصر (أربع طبعات).
٣ - الطوفان (طبعتان).
٤ - البطولة السمراء (طبعتان).
٥ - روما ٩٠.
٦ - العودة من الأسر (رواية قصيرة للأطفال).
٧ - عاشر العشرة (رواية قصيرة للأطفال).
٨ - الحرب طريق السلام (فاز بجائزة أحسن كتاب لعام ١٩٩٧).
٩ - الرئيس وأنا.
١٠ - السلطة وطول العمر.
١١ - اليوم السابع (بين حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر) (ثلاث طبعات).